

دبر القديسين أنبا مقار

# الرسائل الثماني والعشرين

شرح ودراسة

أغنى الرسائل في التعرف على شخص المسيح

الأب متى المسكين

كتاب: الرسالة إلى العبرانيين : شرح ودراسة.  
«أغنى الرسائل في التعرف على شخص المسيح».

المؤلف: الأب متى المسكين

الطبعة الأولى: ١٩٩٣

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي الطرون.

صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٤٦٠٩ / ١٩٩٣

رقم الإيداع الدولي: I.S.B.N. 977-240-041-3

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

## اعتراف بالفضل لذويه

لقد طبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي التطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخفيفة وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة ترويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجها على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسنة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غنى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارىء بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.	الأب إرميا
نسخ النسخة الخفيفة ومراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.	الأب يوحنا
تنقيح النسخة الخفيفة ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة ترويب الكتاب وتنسيق فصوله.	الأب وديد
المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.	الأب باسيليوس
نسخ النسخة الأولى عن المسودة التي يخط المؤلف.	الأب ديمتري
تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص.	الأب ويصا
جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأولى.	الأب برني
آلة الطباعة الأوفست — آلة تطبيق الملازم — آلة خياطة الملازم — آلة القص — التجليد.	الأب لونجينوس
نسخ النسخة الأولى عن المسودة التي يخط المؤلف.	الأب دوروثيوس
جمع النص على آلة الجمع التصويري.	الأب أخوخ
المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.	الأب سوريال
جمع النص على آلة الجمع التصويري.	الأب يسطس
مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.	الأب دوماديوس
تجهيز لوحات الطباعة.	الأب زكريا
مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.	الأب إيفانيوس
نسخ النسخة الأولى عن المسودة التي يخط المؤلف.	الأب أبرآم
نسخ النسخة الأولى عن المسودة التي يخط المؤلف، ثم الطباعة والتجليد.	الأب جيزوم

وأخيراً — نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارىء، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

السبت ٥ يونيو سنة ١٩٩٣ — ٢٩ بشنس ١٧٠٩ ش.

دير القديس أنبا مقار

عشية عيد حلول الروح القدس (العنصرة)

## المحتويات

الصفحة

تقديم

المدخل إلى شرح الرسالة إلى العبرانيين

الفصل الأول: ظروف كتابة الرسالة إلى العبرانيين

- ١ - كاتب الرسالة ومدى قانونيتها
- ٢ - عنوان السفر كما وُجد في المخطوطات القديمة
- ٣ - طبيعة هذا السفر وهل هو رسالة؟
- ٤ - موضع هذا السفر (الرسالة إلى العبرانيين) بين بقية الأسفار (الرسائل)
- ٥ - لمن كُتبت هذه الرسالة
- ٦ - تاريخ كتابة الرسالة إلى العبرانيين
- ٧ - مكان كتابة الرسالة إلى العبرانيين

الفصل الثاني: خصائص الرسالة إلى العبرانيين وأهميتها

أولاً: نبدأ بأهميتها

ثانياً: خصائص الرسالة إلى العبرانيين

- ١ كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح
- ٢ ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح المقدمة
- ٣ المسكن القديم (القدس العالمي) والمسكن الجديد في السماء
- ٤ الأغراض الرئيسية من الرسالة برمتها
- ٥ مقدار التشابه في العناصر الموضوعية بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى
- ٦ إنجيل القديس يوحنا وسفر العبرانيين
- ٧ الرسالة الأولى لبطرس الرسول وسفر العبرانيين
- ٨ رسائل بولس الرسول وسفر العبرانيين

الفصل الثالث: دراسة تمهيدية عن النبوة والأنبياء

أولاً: ما هي النبوة؟

ثانياً: من هم الأنبياء وعددهم

(أ) النبي هو المتكلم بضم الله

(ب) النبي هو «الرائي» أيضاً في اعتبار العهد القديم

٨٤	(ج) النبي هو رسول رب الجنود
٨٤	(د) النبي هو «عبيدي»
٨٥	(هـ) النبي هو «رجل الله»
٨٦	جدول بأسماء الأنبياء الواردة في الأسفار المقدسة
٨٧	مع أزمنة نبوتهم والملوك المعاصرين لهم
٩٠	ثالثاً : وظيفة الأنبياء
٩٣	رابعاً : النبي الصادق والنبي الكاذب
٩٧	خامساً : علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيا «شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤيا : ١٩ : ١٠)
١٠٥	سادساً : الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبوتهم
	سابعاً : توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء

## شرح الرسالة إلى العبرانيين

الصفحة	أرقام الآيات	أقسام الرسالة	الأصحاحات
١١٢	٤-١:١	ديباجة الرسالة	الأصحاح الأول
١١٣	٢١:١	أولاً : الاستعلان في التقديم بالأنبياء	
١٤٢	٣:١	والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن	
١٦٥	٤:١	ثانياً : طبيعة وعمل الابن	
		ثالثاً : آية الانتقال إلى موضوع الرسالة	
١٧٠	١٨:٢-٥:١	الدفاع الأول : تفوق الابن على الملائكة	
١٧٠	١٤-٥:١	القسم الأول : شهادة الأسفار لرفعة شأن الابن فوق الملائكة	
١٧١	٦-٥:١	أولاً : تفوق الابن على الملائكة باعتبار بنوته لله	
١٨٤	٩-٧:١	ثانياً : علو كرامة الابن باعتباره ملكاً ممسوحاً من الله	
		ثالثاً : علو كرامة الابن باعتباره الأزلي خالق الكون	
١٩١	١٢-١٠:١	ومقارنته بالفانيات	
٢٠٢	١٤-١٣:١	رابعاً : تفوق الابن وعلو كرامته بجلوسه على العرش عن يمين الآب في جلال الملوكية تعبيراً عن النصر	
٢١١		استمرار الدفاع الأول بخصوص تفوق الابن على الملائكة	الأصحاح الثاني
٢١٢	٤-١:٢	القسم الثاني : خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن	
٢٢٨	١٨-٥:٢	القسم الثالث : تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه	
٢٢٩	٩-٥:٢	الفكر الأول في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه	
٢٤٤	١٨-١٠:٢	الفكر الثاني في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه	
		الخطوة الأولى : علاقة ابن الله بالأبناء	
٢٤٤	١٣-١٠:٢	الذين سبق فعيّتهم لميراث المجد	

الخطوة الثانية: أن التجسد جمعها معاً:

٢٥٤ ١٦-١٤:٢

ابن الله الوحيد وهم كبر

الخطوة الثالثة: لماذا جاء التجسد كضرورة حتمية

٢٦٢ ١٨-١٧:٢

لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا

الدفاع الثاني: تفوق المسيح على موسى ويشوع وتفوق الراحة

٢٧١ ١٣:٤ - ١:٣

التي يقدمها المسيح على راحة العهد القديم

٢٧٦ ٦-١:٣

أولاً: بين موسى خادم خيمة الاجتماع والمسيح الابن

صاحب البيت وبيته نحن الكنيسة

الأصحاح  
الثالث

٢٩٥ ١٣:٤ - ٧:٣

ثانياً: تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم (شرح مزمو ٩٥)

٢٩٦ ١٩-٧:٣

١ - الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله

٢٩٧ ١١-٧:٣

(أ) التذمر في البرية

٣٠٨ ١٥-١٢:٣

(ب) تطبيق درس التذمر في البرية

٣١٧ ١٩-١٦:٣

(ج) الدرس المستفاد من المزمور كله بتدقيق

٣٢٣ ١٣-١:٤

٢ - الراحة السماوية باقية لنا

الأصحاح  
الرابع

٣٢٤ ١٠-١:٤

لأنه لم يتحقق بعد

(ب) مسئولية دعوة الدخول إلى راحة الله خطيرة

٣٣٧ ١٣-١١:٤

والإنسان ليس حراً في قبولها أو رفضها

ختام الأصحاح الرابع: الانتقال إلى موضوع الدفاع الثالث:

٣٤٧ ١٦-١٤:٤

تقديم لعقيدة المسيح كرئيس كهنة (كهنوت المسيح)

٣٥٩ ١٨:١٠ - ١:٥

الدفاع الثالث: تفوق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم

٢٨:٧ - ١:٥

الجزء الأول: كهنوت المسيح من حيث طبيعته الفائقة

٣٦١ ١٠-١:٥

أولاً: مواصفات رئيس الكهنة في النظام الماروني

ومدى انطباقها على المسيح إنما بصورة فائقة

الأصحاح  
الخامس

٣٦١ ٣-١:٥

(أ) ينتهم أن يكون بشراً متضامناً مع البشر

٣٦٦ ١٠-٤:٥

(ب) يلزم أن لا يعين نفسه بل يعينه الله

٣٨٧ ٢٠:٦ - ١١:٥

ثانياً: تمهيد للكشف عن أسرار المسيح

٣٨٧ ١٤-١١:٥

(أ) وقفة للمراجعة والتفريع: بلاد هولا العبرانيين

٣٩٧ ٢٠-١:٦

(ب) التحذير المخيف:

الأصحاح  
السادس

٣٩٨ ٣-١:٦

١ - التقدم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية

٤٠٥ ٨-٤:٦

٢ - مصير المرتدين عن الإيمان حينما تضيع فرصة التوبة

٤٢١ ١٢-٩:٦

٣ - عودة إلى التشجيع وإلقاء الرجاء في قلوبهم

٤٢٨ ٢٠-١٣:٦

٤ - صدق مواعيد الله

		ثالثاً: مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق	الأصحاح السابع
٤٣٩	٢٨-١:٧	على خلفية ملكي صادق	
٤٤٠	٣-١:٧	١ - ملكي صادق الكاهن والمملك	
٤٦١	١٠-٤:٧	٢ - مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي	
٤٦٥	١٤-١١:٧	٣ - عدم كمال الكهنوت اللاوي	
٤٧٠	١٩-١٥:٧	٤ - تفوق الكهنوت الجديد	
٤٧٣	٢٢-٢٠:٧	٥ - امتياز كهنوت المسيح يؤكد قسَم إلهي	
٤٧٥	٢٥-٢٣:٧	٦ - دوام كهنوت المسيح هو السر الفائت لفاعليته	
٤٧٩	٢٨-٢٦:٧	٧ - صفات المسيح أضفت على الكهنوت تفوقاً لانهاية له	

الجزء الثاني (من الدفاع الثالث):

٤٨٧	١٨:١٠ - ١:٨	كهنوت المسيح من حيث عمله الفائت	الأصحاح الثامن
		أولاً: منظر المسيح كرئيس كهنة سماوي،	
٤٨٧	١٣-١:٨	وما تضمنه من الشروط للقيام بالخدمة:	
٤٨٨	٦-١:٨	(أ) الهيكل الجديد	
٤٩٨	١٣-٧:٨	(ب) العهد الجديد	

		ثانياً: الخدمة القديمة والخدمة الجديدة	الأصحاح التاسع
٥١٥	٢٨-١:٩	كفارة المسيح في مقابل كفارة الناموس	
		(أ) ذكر أجزاء الخيمة القديمة ومحتوياتها والامتيازات المحددة	
٥١٦	١٠-١:٩	لخدمة الكهنوت القديم في أسلوب احترامهم ووقار مقصود	
٥١٦	٥-١:٩	١ - الخيمة وأجزائها ومحتوياتها	
٥٢٢	٧-٦:٩	٢ - خدمة الكهنوت داخل الخيمة	
٥٢٤	١٠-٨:٩	٣ - القصد من محدودية الخدمة الضيقة	
		(ب) كفارة المسيح كرئيس كهنة أعظم،	
٥٣١	٢٨-١١:٩	المؤسسة على العهد الجديد	
٥٤٠	٢٢-١٣:٩	دم المسيح: الحقائق المرصودة في الرسالة عن دم المسيح	
		١ - دم المسيح يظهر الضمير	
٥٤٠	١٤-١٣:٩	في مقابل ذبائح اللاويين التي تظهر الجسد	
		٢ - دم المسيح أساس العهد الجديد	
		في مقابل دم الحيوانات	
٥٤٣	٢٢-١٥:٩	الذي تأسس عليه العهد القديم	

		ثالثاً: الذبائح القديمة، والذبيحة الجديدة الواحدة العظمى	الأصحاح العاشر
٥٥٩	١٨-١:١٠	وأثرها الخالد والدائم إلى الأبد	
٥٨٨		مراجعة سريعة لأجزاء الرسالة إلى العبرانيين	

٥٨٨	٣٩-١٩:١٠	تطبيقات عملية:	بقية
٥٨٩	٢٥-١٩:١٠	النقلة الأولى: الدخول إلى الأقداس العليا بدم يسوع	الأصحاح
٦٠٧	٣١-٢٦:١٠	النقلة الثانية: تحذيرات من السقوط والهلاك	العاشر
٦٢١	٣٩-٣٢:١٠	النقلة الثالثة: التعمية الأخيرة	
٦٢١	٣٤-٣٢:١٠	(أ) ذكريات الماضي الحلوة وما كان فيها من صبر وشكر	
٦٢٦	٣٩-٣٥:١٠	(ب) تحذيرات لتلا نفقد الجمالة ونتلف ثمر جهادنا	
		جوقة من أبطال الإيمان	الأصحاح
٦٢٣	٤٠-١:١١	وانصارات للإيمان تهز القلوب	الحادي عشر
٦٣٤		ارتباط الأصحاح الحادي عشر بما يسبقه وبما يليه	
٦٣٥	٣-١:١١	+ تعريف الإيمان	
٦٣٨	٣٨-٤:١١	+ لوحة شرف لتلا بنجوم الإيمان	
٦٤٣	٢٢-٨:١١	+ إيمان البطارقة الأولين	
٦٤٩	١٦-١٣:١١	السمة المميزة لإيمان البطارقة الأولين	
٦٥٣	٢٢-١٧:١١	نماذج حية من إيمان الآباء البطارقة الأولين	
٦٦٥	٣١-٢٣:١١	+ الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير	
٦٦٥	٢٨-٢٣:١١	موسى قائد الخروج: صورة القادي الجديرة بالاحترام	
٦٧٥	٣١-٢٩:١١	إيمان الشعب	
٦٧٦		أنشودة البحر: فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله	
٦٨٢	٣٨-٣٢:١١	+ الإيمان في بكور قيام إسرائيل	
٦٨٢	٣٥-٣٣:١١	أولاً: الذين عملوا أعمالاً عظيمة	
٦٨٩	٣٨-٣٥:١١	ثانياً: الذين تحملوا مشقات عظيمة	
٦٩٩	٢٩-١:١٢	الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان	الأصحاح
٧٠٠	١٣-١:١٢	الخط الأول: الانضباط والاحتمال	الثاني عشر
٧٠٠	١:١٢	التوجيه الأول: تقديم الدوافع التي تشجع	
٧٠٠	١:١٢	بل تحمّل الانضباط والاحتمال	
٧٠٤	٣ و٢:١٢	التوجيه الثاني: النموذج الإلهي الحيّ الفعّال	
٧١٠	١٣-٤:١٢	التوجيه الثالث: القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال	
٧١٨	١١-٩:١٢	+ تأديب الأبناء من الآباء الجسديين	
٧٢١	١٣-١٢:١٢	وتأديب الأبناء الروحيين من أبي الأرواح	
٧٢١	١٣-١٢:١٢	+ دعوة إلى نهضة روحية	
٧٢٤	١٧-١٤:١٢	الخط الثاني: التمسك بالسلام والنقاوة	
٧٣٢	٢٩-١٨:١٢	الخط الثالث: التزامات يحتمها العهد الجديد	
٧٣٢	٢١-١٨:١٢	(أ) حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى	



٧٣٤	٢٩-٢٢: ١٢	(ب) حال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع
٧٣٧	٢٢: ١٢	+ مدينة الله الحي اورشليم السماوية
٧٤٧	٢٥: ١٢	+ والآن احترسوا وانتبهوا لصوت الله
		+ نبوة عن كيفية زوال الأرض والسما
٧٥٠	٢٨-٢٦: ١٢	واستعلان الملكوت الأبدي
٧٥٩	٢٥-١: ١٣	الأصحاح ختام الرسالة: وصايا راعوية
٧٦١	٦-١: ١٣	الثالث عشر ١ - واجبات اجتماعية (كنسية)
٧٧٠	١٧-٧: ١٣	٢ - واجبات دينية: التقليد الأبوي والتمسك بالتعليم الصحيح
٧٨٨	١٧: ١٣	الخضوع والطاعة للمدبرين
٧٩١	٢٥-١٨: ١٣	٣ - وصايا شخصية
٧٩٦		+ كلمة ختام
٧٩٧		الفهارس الموضوعية

# مراجع الكتاب

## BIBLIOGRAPHY

- ATTRIDGE, Harold W., *A Commentary on the Epistle to the Hebrews*, (Hermeneia, A Critical and Historical Commentary on the Bible, Fortress Press, 1989).
- BARMBY, J., *Hebrews*, Exposition, (The Pulpit Commentary, Vol. 21, reprint 1980).
- BROWN, Raymond, *The Message of Hebrews*, (The Bible Speaks Today 1982).
- BRUCE, F.F., *The Epistle to the Hebrews*, (New London Commentaries 1964, 1977<sup>5</sup>).
- BUCHANAN, George Wesley, *To the Hebrews*, (The Anchor Bible 36, Doubleday 1972).
- CHRYSOSTOM, St. John, *Homilies on Hebrews*, (Nicene and Post Nicene Fathers, 1st Series, Vol. XIV, Eerdmans, reprint 1969).
- COTTON, J.H., *The Epistle to the Hebrews, Exposition*, (Interpreter's Bible, Vol. XI, Abingdon, 1955).
- DAVIES, J.H., *A Letter to Hebrews, Commentary*, (The Cambridge Bible Commentary, Cambridge 1967).
- EDWARDS, T.C., *The Epistle to the Hebrews*, (New York, 1888).
- EVANS, Louis H., *Hebrews*, (The Communicator's Commentary, Vol. 10, Word Books Pub., Texas, 1985).
- GUTHRIE, Donald, *The Letter to the Hebrews, an Introduction and Commentary*, (Tyndale New Testament Commentaries, 1983, reprint 1989).
- JERDAN, C., *Hebrews*, Homiletics, (The Pulpit Commentary, Vol. 21, reprint 1980).

LÜNEMANN, G., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Hebrews*, (Meyer's Commentary on the New Testament, Vol. 9, 1883, reprint 1983).

MACAUBY, J.C., *Expository Commentary on Hebrews*, (Moody Press, Chicago, 1948, reprint 1978).

MOFFATT, James, *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistle to the Hebrews*, (International Critical Commentary, 1924, reprint 1986).

MONTEFIORE, Hugh, *The Epistle to the Hebrews*, (Black's New Testament Commentaries, London, 1964, reprint 1987).

PLUMER, William S., *Commentary on the Epistle of Paul, The Apostle, to the Hebrews*, (1872, Baker Book House, Grand Rapids, Michigan, reprint 1980).

PURDY, A.C., *The Epistle to the Hebrews, Introduction and Exegesis*, (Interpreter's Bible, Vol. XI, Abingdon, 1955).

ROBINSON, TH. H., *The Epistle to the Hebrews*, (The Moffatt New Testament Commentary, Harper Pub. 1933).

SHEPARDSON, Rev. Daniel, *Studies in the Epistle to the Hebrews* (New York 1901, 1903<sup>2</sup>).

VANHOYE, A., *Our Priest is Christ, The Doctrine of the Epistle to the Hebrews*, (Rome 1977).

WESTCOTT, Brooke Foss, *The Epistle to the Hebrews, The Greek Text with Notes and Essays*, Grand Rapids 1889, reprint 1970.

WILSON, R.McL., *Hebrews*, (New Century Bible Commentary, Eerdmans, 1987).



تقديم

## تقديم

بعد أن انتهيت من شرح الرسالة إلى أهل رومية، وقد تسلّطت أضواؤها على بصيرتي، وطبعت محتواها على فكري ووجداني، حتى ملكت عليّ كل قدراتي، وغطت على ما عداها من الأسفار، ظننت أنني قد فقدت معها القدرة على التأمل في غيرها أو حتى الكتابة، فألقيت بقلمتي واستسلمت لمناظرها، أستعيدها وأجترُّ محتواها ولا شيء سواها ...

وهذا هو شأن التأمل في الأسفار. فكل سفر في ذاته هو رؤية كاملة لا تترك لغيرها مكاناً في محيط فكر الإنسان لمحدوديته. غير أنني أدركت أن كل رؤية لحقائق الله سرعان ما تمتد بوعي الإنسان وإدراكاته، توسّع من إمكانياته وتمهّد لرؤى غيرها، وهكذا يمتد وعي الإنسان في الإلهيات بلا حدود.

فإن كانت الرسالة إلى أهل رومية قد غطت كل منهج الخلاص — بما فيه من فداء ومصالحة وبر الله المجاني ونعمة التبني للخليقة الجديدة للإنسان بالمسيح يسوع في أعمال موته وقيامته، حتى لم يعد من إضافة أو تكميل — وقد خُيِّلَ إليّ أن هذا هو المنتهى في لاهوت المسيح والخلاص، إلا أنني بمراجعتي المتأنية الفاحصة للرسالة إلى العبرانيين انفتح أمامي منهج آخر للاهوت المسيح، هو أيضاً كاملٌ متكاملٌ غير منقوص قادرٌ بذاته أن يملأ كل فكري ووجداني، ويطنّي هو الآخر بدوره على كل ما عداه!! فعجبتُ من أمر المسيح كيف أن الفكر مهما اتسع وتعمّق لا يمكن الإحاطة به، ولكن النظر إلى المسيح قادر بحد ذاته أن يخلق كل مرة منهجاً جديداً مُعدّماً لأن يملأ كل فكر الإنسان ووجدانه!! فأدركت عن يقين لماذا تعددت الأسفار ولماذا تعدّد الأنبياء والملمهون!

أما من جهة منهج الرسالة إلى العبرانيين، فهو الوجه الأكثر انحصاراً في «شخص» المسيح عن كل المناهج الأخرى للأسفار. فإن كان منهج الرسالة إلى أهل رومية تترامى أطرافه ليحيط بكل أعمال المسيح الفدائية وبلوغ أقصى مفهوم للخلاص والمصالحة والبر المجاني ونوال البر الأبدي والتبني في المسيح، فمنهج الرسالة إلى العبرانيين يستعلن لنا الصفات الذاتية لشخص المسيح بعمق وسمولا يُجَارَى.

غير أن الذي استهواني للتلمذ على الرسالة إلى العبرانيين وشدني إلى الروح الذي كُتبت به هذه الرسالة، هو مقدار المناسبة التي كُتبت من أجلها هذه الرسالة وما نعيشه نحن الآن في هذه الأيام!

فمعروف أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت لتوعية اليهود المتصرين والشد من أزرهم بعد أن آمنوا بالمسيح وقد أحاطت بهم ظروف صعبة بدأت تزلزل إيمانهم، فمن جهة أصبحوا موضع اضطهاد وملاحقة من بقية اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح، الذين ضيقوا عليهم وازدروا بهم وأخرجوهم من المجمع والهيكل ونهبوا أموالهم وممتلكاتهم كما تقول الرسالة:

+ «ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أُرْتِمَ (تعمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة ... وقبلتم سلب أموالكم بفرح ...» (عب ١٠: ٣٢ و٣٤)

ومن جهة أخرى، كان الرومان قد بدأوا في مناوأة اليهود: سواء في أيام كلوديوس قيصر الذي طرد اليهود من روما ولاحقهم في اورشليم وغيرها، أو غيره من الحكام الرومان. والمعتقد عن ثقة المفسرين أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت عشية الحرب السبعينية، أي في الشهور الأولى من سنة ٦٥م، فكانت البلاد آنذ تتمخض بحركات العصيان والتمرد التي انتهت بتضييق الخناق عليهم حتى انفجرت الحرب بعد ذلك، التي فيها تحزبت كل اورشليم وأحرق الهيكل وقتل اليهود وظردوا من كل تخومها على يد تيطس وفاسباسيان.

فلو تفحصنا هذا الوضع بعين الروح وبحسب النبوات وأهمها التي أعلن عنها المسيح، نجد المناسبة التي تربطنا بظروف هذه الرسالة شديدة الواقعية.

**فأولاً:** نجد أن الرسالة إلى العبرانيين كُتبت بعد مرور ألفي سنة من وضع الله لأسس العبادة اليهودية، وها نحن قد أكملنا الألفي سنة بعد أن وضع المسيح أسس العبادة المسيحية.

**ثانياً:** إن هذه الرسالة كُتبت لليهود المؤمنين عندما تزعزع إيمانهم بسبب الظروف القاسية التي أحاطت بهم، فالآلام والاضطهادات بدأت تضغط عليهم، وتُذَر الحرب قد لاحت في الأفق. وها نحن نعاني نفس الظروف. ولا يخفى على القارئ أن المسيح لما سبق وأخبر التلاميذ عن علامات آخر الزمان، جمع بين علامات أهوال الحرب السبعينية بالنسبة لليهود مع أهوال الحرب الكونية الأخيرة بالنسبة لكل المؤمنين في آخر الزمان، بلا فارق زمني وعن حكمة بالغة السرية والعمق، لأن ما كان هو «آخر الأيام» بالنسبة للعبادة اليهودية يطابق بحد ذاته ما هو «لآخر الأيام» بالنسبة للعبادة المسيحية. فبالنسبة لليهود الراضين للإيمان بالمسيح كانت الحرب السبعينية انتهاءً

لزمّن صبر الله على الذين رفضوه. أما بالنسبة للذين قبلوه من اليهود فأتتهم هذه الرسالة «إلى العبرانيين» لتشد من أزرهم وتقوّي إيمانهم، حتى لا يخوروا من هول ما عانوا وما كانوا مزعمين أن يعانوه!

وهكذا ينكشف لنا سر المناسبة التي تجمعنا الآن مع المؤمنين الأوائل من جهة قصد ومضمون هذه الرسالة عينها، وما تحويه من جهة شد أزر إيماننا وتقوية رجائنا فيما نعانیه الآن وما هو مزعم أن نعانیه من أهوال الأيام الأخيرة. لأن انحدار التقوى وانفلات زمام الإيمان عند غالبية المسيحيين الآن وفي كل العالم صار يشير بقوة إلى واقع الأيام الأخيرة بحسب نبوة المسيح: «متى جاء ابن الإنسان أعلّه يجد الإيمان على الأرض!» (لوقا ١٨: ٨)

إن علامات آخر الزمان قد صارت ملموسة: «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى» (مت ٢٤: ١٢-١٤). أما الإحساس بتباطؤ مجيء الرب حسب وعده، فأصبح يعصف بإيماننا كلما ازداد العالم ضلوعاً في الابتعاد عن الحق والعدل والرحمة، وتوغّل في ظلام الخطيئة رسمياً، وفاحت رائحة النجاسة في كافة أرجائه بلا حياء، حتى صارت علّة الزنا هي مرض العالم الأخير الذي يتقدّمه إلى القضاء المحتوم.

أما الأتقياء في هذا العالم الآن والذين يخافون الله ويحفظون طهارة السيرة فقد تمّ فيهم قول الوحي المبارك على لوط البار في سدوم وعمورة:

+ «وإذ رقد مدنتي سدوم وعمورة، حكم عليهما بالانقلاب واضعاً عبرةً للعديد أن يفجروا. وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة. إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعدّ يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة. يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين مُعاقبين.» (بط ٢: ٦-٩)

أما انتهاء الألفي سنة فقد كملت الآن بحساب القديس بطرس، حينما أشار إليها بحساب أحبيته المشهورة، كما في لغز، إذ جعل الألف الأولى بحساب الله والألف الثانية بحساب الإنسان هكذا:

+ «عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في "آخر الأيام" قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة. لأن هذا يخفى عليهم بإرادتهم ... ولكن لا يخفّ عليكم هذا الشيء الواحد أيها



الأحباء أن يوماً واحداً (أول) عند الرب كألف سنة ( + ) وألف سنة كيوم واحد (ثاني). لا يتباطأ الرب (عن ذلك) عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأني علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقْبَلَ الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي، كلكس في الليل، يومُ الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. « (٢بط ٣: ٣-١٠) »

ثم يعود القديس بطرس ويكلمنا على مستوى الرسالة إلى العبرانيين في ذلك الزمان، بقوله: + « فبما أن هذه كلها تنحل، أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات ملتبهة والعناصر محترقة تذوب، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر. لذلك أيها الأحباء إذ أنتم منتظرون هذه اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام. واحسبوا أناة ربنا خلاصاً. « (٢بط ٣: ١١-١٥) »

وسوف يرى القارىء كيف أن الرسالة إلى العبرانيين تستحث اليهود الذين انفصلوا عن الهيكل والمجمع، بعد أن آمنوا بالمسيح، ونالوا ما نالوا من الآلام والتعذيب والتشريد وسلب أموالهم ومقتنياتهم، إذ تخاطبهم هكذا: + « فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر، حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. « (عب ١٠: ٣٥ و٣٦) »

ولأن الخوف كان مُخدقاً بهم، لسلا ينكروا الإيمان بالمسيح ويرتدوا إلى اليهودية من ثقل الاضطهاد والملاحقة، فقد بدأت الرسالة بتقييم بارع لتفوق الإيمان بالمسيح وتقديم شخص الرب يسوع في صفاته الجوهرية الإلهية باعتباره ابن الله الفائت على كافة الأنبياء والملائكة وموسى، ثم في صفاته الشخصية التجسدية كرئيس كهنة وراعي الرعاة العظيم والملك الأبدي على طقس « ملكي صادق»، وترجمتها ملك البر وملك ساليب أي ملك السلام، بملك غير مُقتنى من أب أو أم: « بلا أب بلا أم! « (عب ٧: ٣) »

وهكذا تسترسل الرسالة في أوصاف المسيح الفائقة الوصف والإبداع لإقناع اليهود الذين آمنوا بالمسيح ليكونوا على وعي وثيق بإيمانهم، فلا ترهبهم الاضطهادات والآلام، ولا يفتت في عَضْدِهِمْ سلبُ الأموال وثقل العوز والضيق، فلا يفرطوا في إيمانهم بالمسيح أو يرتدوا. وهكذا يحذّرهم: + « مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة. فكم عقاباً أشرّ

تظنون أنه يحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله، وحيب دم العهد الذي قدس به دنساً،  
وازدرى بروح النعمة؟ فإننا نعرف الذي قال: لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب. وأيضاً:  
الرب يدين شعبه. مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي!!» (عب ٢٨-٣١)

ثم تزيد الرسالة في تحذيرها لهم من خلع ثوب المعمودية الروحي ووجد الإنسان الجديد،  
فيسقطوا عن النعمة، ومن الارتداد إلى السيرة القديمة والانغماس في حماة الطين ثانية:

+ «لأن الذين استُتيروا مرةً، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا  
كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا (عن المسيح)، لا يمكن تجديدهم أيضاً  
للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه.» (عب ٤: ٦-٦)

وتعود الرسالة وتشدد على خطورة الارتداد عن المسيح:

+ «أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتد لا تُسرَّ به نفسي. وأما نحن فلنسا من الارتداد للهلاك  
بل من الإيمان لاقتناء النفس.» (عب ٣٨ و٣٩)

وروح الرسالة كلها هو للعزاء، وتشديد الإيمان، وإذكاء الثقة والرجاء، ورفع مستوى  
الاحتمال لقبول كل أصناف الآلام والتعذيب حتى الدم!:

+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل  
الصليب مستهيناً بالهزّي فجلس في يمين عرش الله. فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة  
مقاومة لنفسه مثل هذه لثلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم  
بجاهدين ضد الخطية، وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني، لا تحتقر تأديب  
الرب ولا تحخر إذا وبّخك ... ولكن كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل  
للحزن، وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر برّ للسلام. لذلك قوموا الأيادي  
المسترخية (برفعها للصلاة) والركب المخلّعة (للسجود والسعي للخدمة).» (عب ١٢:  
٢-٥ و١١ و١٢)

والآن بنظرة واحدة عميقة نرى أن هذا الكلام بروحه وحروفه ينطبق على وضعنا الحالي فيما  
صارت إليه أمورنا وأمور العالم حولنا، وكان الرسالة إلى العبرانيين يمكن وضع عنوان جديد لها  
باسم: «رسالة إلى أبناء نهاية هذا الزمان» أو «رسالة ختام الألفين»!!

لذلك، ونحن نجوز معاً تعاليم وموجيات هذه الرسالة، علينا أن لا يتوه وعينا عن أننا مقصودون  
من الروح بحكم الواقع الذي نحياه والنهائية التي لاحت في الأفق.

المدخل إلى شرح الرسالة إلى العبرانيين

## الفصل الأول

### ظروف كتابة الرسالة إلى العبرانيين

#### ١ - كاتب الرسالة ومدى قانونيتها:

بحسب التقليد الإسكندري والتسليم الكنسي، فإن كاتبها هو القديس بولس الرسول، وأول من قال بذلك هو العلامة كلمندس الإسكندري (١٥٠ - ٢١٥ م)<sup>(١)</sup>، مبيّناً أن بولس الرسول كتبها باللغة العبرانية كونها مرسله إلى العبرانيين، والذي قام بترجمتها إلى اللغة اليونانية هو القديس لوقا الإنجيلي، وذلك بسبب وجود تعبيرات لغوية وكلمات لم ترد قط في رسائل بولس الرسول<sup>(٢)</sup>. أما قول العلامة كلمندس أن الذي ترجمها هو القديس لوقا الإنجيلي بالذات، فذلك بسبب تواجد كثير من التعبيرات اللغوية في الرسالة مطابقة لإنجيل القديس لوقا وسفر الأعمال، مما حدا بكثير من العلماء، الذين أقلعوا عن فكرة كون ق. لوقا هو مجرد مترجم إلى أنه قد يكون هو الذي كتبها أصلاً وذلك بسبب أنهم لم يجدوا ما يثبت أنها مترجمة. ولكن ينفي هذا القول - أي أن ق. لوقا الإنجيلي هو كاتبها الأصلي - أن ق. لوقا لم يشغل أصلاً باللاهوتيات أو شرحها بل كانت مواهبه مقتصرة على جمع وثبت الحقائق والتسجيل الوثائقي فيما يخص سيرة المسيح.

ومعروف أن قول العلامة كلمندس الإسكندري بأن بولس الرسول هو الكاتب الأصلي للرسالة إنما هو مأخوذ عن أستاذه العلامة السابق عليه وهو العلامة بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية<sup>(٣)</sup>. والمحقق عندنا والمعروف أن العلامة كلمندس الإسكندري تعلم على يدي بنتينوس حوالي عشر سنوات (١٨٠ - ١٩٠ م)، لأن بنتينوس توفي بعد سنة ١٩٠ م<sup>(٤)</sup>، بقليل إذ يقول عنه: "إن القس المطوّب (لقب بنتينوس) يؤكد ويصبر على أن ق. بولس هو كاتب الرسالة إلى

1. Euseb., H.E. 6.14.

2. H.W. Montefiore, p. 1.

3. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 17.

(٤) العلامة بنتينوس بعد أن علم في مدرسة الإسكندرية، ذهب إلى الهند وبشر بالإنجيل هناك، وذلك بحسب تحقيقات المؤرخ يوسابيوس: H.E. V.X.2. وتعيّد له الكنيسة القبطية في ٢٢ يونيو من كل عام.

العبرانيين"، علماً بأن العلامة كلمندس الإسكندري استمر محافظاً على التقليد السابق عليه بكونه استشهد بآيات من الرسالة إلى العبرانيين على أنها منسوبة لبولس الرسول.

وبعد كلمندس الإسكندري جاء أوريجانوس<sup>(٥)</sup> ليرى، ليس في اللغة فقط، بل أن الأسلوب نفسه ليس مطابقاً لأسلوب بولس الرسول، ولكنه قال بأن الأفكار فيها هي أفكار بولس الرسول، وانتهى إلى القول بأن: "الله وحده يعلم مَنْ هو كاتب هذه الرسالة". وقد ظل أوريجانوس متمسكاً بالتقليد الآبائي السابق عليه، فقد استشهد في كتاباته بآيات من الرسالة إلى العبرانيين لتأكيدِه على قانونية الرسالة، ولكنه لم ينشغل بالتعليق على قول العلامة كلمندس كون الرسالة إلى العبرانيين كُتِبَتْ أصلاً بالعبرية ثم ترجمت إلى اليونانية. كما جاء أيضاً في تعاليم أوريجانوس أن رسائل بولس الرسول هي أربع عشرة رسالة<sup>(٦)</sup>، وبذلك يضم الرسالة إلى العبرانيين إلى بقية رسائل بولس الرسول.

كما ينقل لنا المؤرخ يوسابيوس القيصري نص رأي العلامة أوريجانوس — من مخطوطة شرحه للرسالة إلى العبرانيين — كالآتي:

[ إذ كنت أقول رأبي — (في الرسالة إلى العبرانيين) — فإني أقرر أن الأفكار فيها هي أفكار بولس الرسول، ولكن اللغة والتركيب اللغوي هما لواحد يسترجع من الذاكرة، أو كأنه يعود إلى مذكراته التي دوّن فيها ما قبل بضم معلمه. لذلك فإن كانت أية كنيسة تقرر أن هذه الرسالة لبولس الرسول فهذا حسن وموافق في هذا الأمر لأنه يخص حقيقة لا يُناقش فيها، لأنه لم يكن بدون سبب أن الآباء السابقين في الأزمنة السالفة سلّموها لنا باعتبارها أنها لبولس الرسول، إذ هي تشرح في جوهرها آراء بولس الرسول، أما فيما يخص كتابة الرسالة على وجه التأكيد فإله وحده يعلم ذلك. فالتقرير الذي وصل إلينا هو على وجهين، وجه يقول إن كلمندس الذي صار أسقفاً على روما هو الذي كتبها وآخرون يقولون من وجه آخر إنه لوقا هو الذي كتبها والذي كتب أيضاً الإنجيل وسفر الأعمال. أما عن هذا الأمر فأنا لا أقول أكثر من ذلك ]<sup>(٧)</sup>.

كما يضيف يوسابيوس عن أوريجانوس قوله [ إن الأفكار في الرسالة عجيبة وباهرة = θαυμάσια وليست من دون كتابات بولس المعترف بها ].

5. Donald Guthrie, *op. cit.*, p. 17.

6. Westcott, *Hebrews*, p. lxxix.

7. Euseb., VI.25; cited by Westcott., *op. cit.*, p. lxxvii.

كذلك يضيف يوسابيوس عن أوريجانوس قوله [ إن الأسلوب والتركيب في الرسالة هما لشخص يستحضر من الذاكرة تعاليم الرسول بولس ويكتب مذكراته المختصرة لما قاله معلّمه ]<sup>(٨)</sup>.

وهذه الشهادة التي لأوريجانوس هي ذات وزن عالٍ جداً كمكتملة لشهادة كلمندس الإسكندري السابق عليه، لأن بهما معاً يتكوّن لدينا التقليد الإسكندري منذ ما قبل العلّامة كلمندس وأوريجانوس.

ولقد حسم القديس أثناسيوس الرسولي هذا التردد في خطابه الفصحي لسنة ٣٦٧ إذ حسبها ضمن الأسفار المقدسة القانونية وجعل رسائل بولس الرسول أربع عشرة رسالة وحسبها ضمن [ الأسفار القانونية الإلهية ]<sup>(٩)</sup>، مؤكداً أن هذا بحسب أقدم المخطوطات المتوفرة لديه في ذلك الوقت. ومنذ أيام ق. أثناسيوس حتى اليوم، وكنايس الشرق وبالأخص مصر تقول بقوله.

والآباء في الشرق الذين جاءوا بعد أوريجانوس تجبّوا التشكك في كاتبها وأخذوا بأن بولس الرسول هو صاحب الرسالة إلى العبرانيين<sup>(١٠)</sup>. وكانت قد استقرّت في التقليد الكنسي منذ القديم قانونية الرسالة إلى العبرانيين، فقد وُجدت مسجّلة ضمن رسائل بولس الرسول وكان ترتيبها بعد الرسالة إلى أهل رومية مباشرة في مجموعة مخطوطات تشستر بيتي Chester Beatty (في مجموع ٨٦ ورقة خاصة برسائل بولس الرسول) التي اكتشفت في مدينة هرموبوليس (الأشمونين)، وتاريخ كتابة رسائل بولس الرسول في هذه المخطوطات هو أوائل سنة ٣٠٠م<sup>(١١)</sup>.

هذا في الشرق وفي كنيسة الإسكندرية بالذات. أما في الغرب، فبالرغم من أن كلمندس الروماني استشهد في خطابه بآيات مطابقة تماماً لآيات الرسالة إلى العبرانيين، إلا أنه لم يتطرق إلى الحديث عنها. وقد تأخر الغرب كثيراً في قبول قانونية الرسالة إلى العبرانيين، ففي القرن الثالث، أي في أيام ق. كيريانوس (استشهد سنة ٢٥٨م)، الذي يُعتبر خير من يمثّل الفكر الغربي، لم يأخذ بقانونية الرسالة إلى العبرانيين<sup>(١٢)</sup>، وكذلك رفضها ترتليان (١٥٥ - ٢٢٠م)، وإيرينيئوس رفض أيضاً قانونيتها، وكذلك هيبوليتس.

8. Ibid.

9. Athanasius, *Paschal Letter XXXIX*, 3, 5. NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 552.

10. D. Guthrie, p. 18.

11. *Oxford Dict. of Christian Church*, s.v.

12. D. Guthrie, p. 18.

وأول مَنْ قَبِلَ قانونية الرسالة إلى العبرانيين في الغرب هو القديس هيلاري أسقف بواتيه (٣١٥-٣٦٧م) المعتبر أنه «أثناسيوس الغرب»، وكان بالفعل أكثر لاهوتيي اللاتين علماً وأعلامهم شأنًا وقدراً.

وقد حذا حذو هيلاري كلُّ من القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) والقديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)<sup>(١٣)</sup>. ولكن القديس أغسطينوس لم يكن قاطعاً في وجهة نظره من جهة الرسالة إلى العبرانيين، ففي بداية كتاباته أخذ بقانونيتها وأصالتها كونها لبولس الرسول، ولكن في نهاية أيامه فرَّق بين كونها قانونية وبين كونها للقديس بولس إذ حسبها لمجهول<sup>(١٤)</sup>.

وكذلك فكل علماء الغرب ولاهوتييه الذين جاءوا بعد أغسطينوس أخذوا بقانونيتها وتردّدوا كثيراً في نسبتها لبولس الرسول.

وهكذا ظلَّ الغرب مصمّماً على إغفاله لقانونية هذه الرسالة لمدة أربعة قرون كاملة، علماً بأن قانون موراتوري (وهو من مدوّنات القرن الثاني) أغفل ذكرها بالمرّة<sup>(١٥)</sup>.

أما في الشرق، كما سبق وقلنا، فالرسالة إلى العبرانيين أخذت وزنها العالي منذ القرن الأول ودخلت ضمن الأسفار القانونية بوضوح منذ أيام العلامة بنيتيوس مدير مدرسة الإسكندرية، الذي عاش وعلم حتى سنة ١٩٦م، كما سبق القول، كما سلّم ذلك للعلامة كلمندس الإسكندري. وقد اقتبس منها البابا ديونيسيوس الإسكندري<sup>(١٦)</sup> المدعو بالكبير الذي تنيح سنة ٢٦٤م، وكان بدوره عالماً لاهوتياً بارزاً ومديراً للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية منذ سنة ٢٤٧م<sup>(١٧)</sup>. وقد أكّد قانونيتها ونسبها للقديس بولس. كذلك العالم اللاهوتي ثيوجنوستس Theognostus<sup>(١٨)</sup>، وكان أيضاً مديراً للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية خلفاً للقديس ديونيسيوس الإسكندري. كما اقتبس منها واعترف بقانونيتها القديس بطرس بابا الإسكندرية المعروف بخاتم الشهداء<sup>(١٩)</sup> (استشهد سنة ٣١١م)، وقد اعتلى الكرسي الإسكندري سنة ٣٠٠م. وقد مدحه المؤرخ يوسابيوس معتبراً إياه

13. Ibid.

14. Ibid.

15. Everett Ferguson, *Canon of Muratori, Date and Provenance*, cited by Attridge, *Hebrews*, p. 3 n. 20.

16. Westcott, p. lxi.

(١٧) نفي مرتين تحت اضطهاد الإمبراطورين ديسيوس وفاليريان، وتعيّد له الكنيسة القبطية في الثالث عشر من برمهات من كل عام.

18, 19. Ibid.

كنموذج للأسقف الوفي التقي الحاذق في دراسته للأسفار المقدسة (٢٠).

وقد اعترف مجمع أنطاكية (٢١) سنة ٢٦٤م بقانونية الرسالة إلى العبرانيين ونسبتها للقديس بولس.

كما اعترف بقانونيتها ونسبتها للقديس بولس أيضاً القديس ثاوفيلس الأنطاكي (٢٢) (عاش في نهاية القرن الثاني) وكان من كبار المدافعين عن الإيمان القويم.

كذلك القديس أثناسيوس الرسولي (٢٩٦-٣٧٣م) الذي جلس على كرسي الإسكندرية سنة ٣٢٨م، فقد احتسب الرسالة إلى العبرانيين ضمن الأسفار المقدسة، كما احتسب عدد رسائل بولس الرسول أربع عشرة رسالة، وقد أعطاها ترتيبها بحسب أقدم المخطوطات حيث جاءت الرسالة إلى العبرانيين في ترتيبها هكذا (الرسالتان إلى كورنثوس ثم الرسالة إلى العبرانيين ثم تيموثاوس الأولى ...). وما أن وضع القديس أثناسيوس هذا الترتيب والتقنين حتى أخذ به الآباء والكتّاب اليونانيون، وطبعاً ذلك لا يفترق عما وضعه العلامة كلمندس الإسكندري وأوريجانوس من بعده.

وقد كانت هذه الاعتبارات عينها ثابتة عند البابا ألكسندروس الذي اعتلى الكرسي الإسكندري سنة ٣١٣م وتنيح سنة ٣٢٨م. وكذلك العلامة ديديموس اللاهوتي الضرير (٣١٨-٣٩٨م) الذي ترأس إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وهو صاحب الرسالة «على الروح القدس» و«على الثالوث». والمعروف أن من أشهر تلاميذه القديس غريغوريوس اللاهوتي (النزينزي) والقديس جيروم والعلامة روفينوس.

ومن الآباء الرهبان المشهورين المتصلّعين في شرح الأسفار المقدسة القديس إيسيدوروس الفرمي أو البيلوزي الذي قال أيضاً بقانونية الرسالة إلى العبرانيين ونسبتها إلى ق. بولس (توفي سنة ٤٥٠م)، وقد كان مترئساً على ديريه بيلوزيوم (شرق بالوظة - بالقرب من بورسعيد الآن)، وهو صاحب الألفي رسالة في العقيدة والشرح والتعاليم الأخلاقية.

كذلك، فإن القديس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية، الذي اعتلى الكرسي سنة ٤١٢م وتنيح سنة ٤٤٤م، قد استخدم الرسالة إلى العبرانيين باعتبارها رسولية وقانونية.

(٢٠) عاش تحت اضطهاد دقلديانوس واستشهد تحت اضطهاد مكسيمين Maximin، وتعيّد له الكنيسة القبطية في التاسع

والعشرين من هاتور من كل عام.



وحذا حذو مصر في ذلك كل من القديسين كيرلس الأورشليمي، ويعقوب أسقف نصيبين وأفرام السرياني، وآباء الكبادوك الثلاثة القديسون باسيليوس وغريغوريوس النيسي وغريغوريوس النزينزي، وإبيفانيوس أسقف قبرص والقديس يوحنا ذهبي الفم.

وقد أجازت المجامع في هيبو سنة ٣٩٣ وفي قرطاجنة سنة ٣٩٧ أولاً ثلاث عشرة رسالة للقديس بولس فقط، وأما في مجمع قرطاجنة سنة ٤١٩ فقد نُصَّ على أربع عشرة رسالة للقديس بولس. وهذه المجامع الثلاثة كانت بقيادة القديس أغسطينوس.

وبعد ذلك بقيت الرسالة إلى العبرانيين حافظة لقيمتها القانونية ونسبتها الرسولية لبولس الرسول في الغرب وفي روما حتى قيام الإصلاح.

وبدخول عصر النهضة الأوروبية القائمة على الدراسة اليونانية العلمية للأسفار على خلفية العقل الناقد اعتماداً على المنطق واللغة معاً، كان أهم مَنْ رفض نسبتها لبولس الرسول هو لوثر Luther إذ نسبها لأبُلُوس، وتبعه كلفن Calvin الذي شكَّ في رسوليتها بالدرجة الأولى ونسبها لكلمندس الروماني والقديس لوقا الإنجيلي.

وهكذا تمزق الفكر الغربي وتعددت النظريات ولم يعد يجمعها فكر واحد ولا نريد أن نريك القارئ بالآراء المتضاربة، حيث رأني ينسخ رأياً، وبالنهاية نسخت الآراء بعضها البعض. فالذي قال إن القديس برنابا هو كاتبها، عارضه غيره، والذي قال بل لوقا، وقف قبالة مَنْ ردَّ كلِّ براهينه، كذلك فيما قيل عن كلمندس الروماني وأبُلُوس الإسكندري وحتى برسكلا قالوا إنها هي التي كتبها، وكان هذا الرأي للعلامة الألماني هارناك نفسه، ويا للعجب! ولكن الذي بقي حتى الآن في الفكر الغربي هو أهميتها اللاهوتية العظمى، وكفانا!!

أما في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، ففي ٢٤ يونية سنة ١٩١٤ اجتمعت اللجنة البابوية الخاصة بالأسفار المقدسة وقررت أن كل الشكوك التي كانت سارية سابقاً بخصوص نسبة الرسالة إلى العبرانيين لبولس الرسول هي ليست بذات أهمية ولا ترتقي إلى مستوى القانون حتى لا تحسب بين الرسائل الأصيلة لبولس الرسول. ولكن في سنة ١٩٥٥ م صرحت سكرتارية هذه اللجنة أن كل القرارات التي صدرت والخاصة بأزمته تدوين الأسفار المقدسة للعهد الجديد ومدى قانونيتها لا تلزم العلماء الكاثوليك (٢٣).

وبهذا القرار الأخير لسكرتارية اللجنة فتحت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الباب على مصراعيه للعلماء النقاد ليقولوا كل ما يريدون، وهكذا أصبح من المستحيل تكوين رأي ثابت في هذا المجال يعبر عن الفكر الرسمي الكاثوليكي.

أما الشرق فقد بقي ثابتاً على ما استلمه منذ التقليد الأول من القرن الأول، باعتبارها الرسالة الرابعة عشرة لبولس الرسول. ولعل أعظم ما قرأت عن تاريخ قانونية هذه الرسالة ونسبتها للقديس بولس هو ورودها في قانون الأسفار المقدسة في مجموعة مخطوطات تشستر بيتي (سنة ١٣٠٠م)، والتي اكتشفت في هرموبوليس بصعيد مصر، وكان ترتيب الرسالة ضمن مجموعة رسائل بولس الرسول يلي الرسالة إلى أهل رومية مباشرة، وهذا بحد ذاته يوحي إلينا بمكانة هذه الرسالة العالية القدر عند الآباء الأوائل في مصر، مما جعلني أتشجع في الإقدام على شرحها بعد أن انتهيت من شرح الرسالة إلى أهل رومية.

وبحسب رأيي، فإنه إن لم يكن بولس الرسول هو كاتبها فلا بد أن يكون كاتبها من هو أعلى شأناً من بولس الرسول، وليس في جعبة الكنيسة حسب ظنتنا من هو أعلى من القديس بولس، وإلا فلماذا يغفل هذا الرسول الجليل الشأن اسمه أو لا يكتب إلا هذا السفر؟ على أي حال فهي الرسالة الرابعة عشرة لبولس الرسول حسب التقليد الكنسي.

## ٢ - عنوان السفر كما وجد في المخطوطات القديمة:

بحسب أقدم المخطوطات وُجد عنوان الرسالة هكذا: πρὸς Ἑβραίους أي «إلى العبرانيين»، وهذا واضح في كل المخطوطات المفسية أي المصرية البحرية.

أما المخطوطات السريانية فتضيف كلمة «الرسالة» هكذا: «الرسالة إلى العبرانيين»، وبعضها يضيف: «الرسالة إلى العبرانيين لبولس الرسول». أما المخطوطات اليونانية فتعطي العنوان هكذا: «بولس الرسول إلى العبرانيين». ولكن المعروف في علم المخطوطات أن العنوان لا يكون جزءاً من صميم الرسالة في الأصل، وذلك بحسب الأصول في التحليل الوثائقي. لذلك يعتبر أن هذه العناوين إنما وضعت للرسالة في وقت مبكر جداً حينما بلغت فعلاً إلى يد من أرسلت إليهم لتكون على مستوى الاستخدام الليتورجي العلني للشعب وخاصة عند بدء جمع الرسائل في مجموعة واحدة. وهذه العناوين هي مرتبطة أصلاً بالرسالة العامة لمجموعة الأسفار كإنجيل. وكل سفر إنما يُعطى العنوان الذي يعبر تعبيراً صحيحاً معتمداً على ما يحتويه من استعلان.

فالرسالة إلى العبرانيين بحسب عنوانها تنبئ عما فيها، وما فيها هو واضح بكل مقياس أنه

لرجال عبرانيين حقاً امتلأت قلوبهم بأفكار ثابتة متوارثة ورجاء وعزاء مستمد من العهد القديم، وقد عبّر عنهم القديس بولس في رسائله كيهود مسيحيين «بأهل الختان».

- + «فاندهش المؤمنون (المسيحيون) الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً» (أع ١٠: ٤٥)،
- + «ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان» (أع ١١: ٢)،
- + «لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل (بطرس) مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان.» (غل ٢: ١٢)
- + «يسلم عليكم أسترخس ... ومرقس ... ويسوع المدعويستطس الذين هم من الختان، هؤلاء هم وحدهم العاملون معي للكلوت الله الذين صاروا لي تسلية.» (كو ٤: ١٠ و١١)

واضح هنا مدى علاقة ق. بولس بهؤلاء اليهود المسيحيين الذين ستمهم ق. بولس «أهل الختان» أو «المؤمنين من أهل الختان» أو «الذين هم من الختان» باختصار، وهؤلاء هم المسنون في هذه الرسالة بـ «العبرانيين».

### ٣ - طبيعة هذا السفر وهل هو رسالة؟

الذي يهتنا في البداية من كل هذه العناوين هو أنها معتبرة منذ البدء أنها «رسالة»، بالرغم من أنها بدون فاتحة الرسالة كباقي الرسائل، ولكن نهايتها واضحة أنها رسالة بالرغم من أن مضمونها يكاد يكون إنجيلياً بحد ذاته كالرسالة إلى أهل رومية. ولكن إذا تأملنا في الآية الأولى من الأصحاح الثاني نحس في الحال بأنها خطاب مباشر يستنهض همة المرسل إليهم:

+ «لذلك يجب أن تنتبه أكثر إلى ما سمعنا لثلاث نفوته.» (عب ٢: ١)

كذلك في بداية الأصحاح الثالث:

+ «من ثم أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب ٣: ١)

+ كذلك: «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي.» (عب ٣: ١٢)

+ كذلك: «فلتخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه.» (عب ٤: ١)

+ «الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ قد صرتم متباطي

المسامح. « (عب ٥: ١١)

+ «ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص — وإن كنا نتكلم هكذا — لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم. « (عب ٦: ١٠ و ٩)

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس ... لتتقدم بقلب صادق ... « (عب ١٠: ١٩ و ٢٢)

+ «اذكروا مرشديكم الذين كلّموكم بكلمة الله، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم. « (عب ١٣: ٧)

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ لأنني بكلمات قليلة كتبت إليكم. « (عب ١٣: ٢٢)

هذه الآيات تعطينا الانطباع أنها رسالة عزاء (كلمة وعظ) تحمل كل مشاعر الأبوة والأخوة معاً، الأبوة من الوجهة الإيمانية المسيحية والأخوة من الوجهة اليهودية. وكتابتها لا يدعي أنه رسول لهم ولا أب عليهم، فهم قد تقبلوا الإيمان كمسيحيين ربما قبله، لذلك نسمعه يقول: «لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته (أي رئيس كهنة اعترافنا) المسيح يسوع» (عب ٣: ١). لذلك فهو يتودّد إليهم كأخ، كواحد منهم، حتى يبليغهم رسالة العزاء هذه ليشدّد إيمانهم بالمسيح كما أعطاه الله. كذلك نسمعه بوضوح في هذه الآيات السالفة وهو يضع نفسه معهم وكأنه يتقبل التوجيه الإيماني معهم: «يجب أن تنتبه ...»، «لاحظوا رسول اعترافنا ...»، «فلنخف ...»، «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة ...»، «لتتقدم ...». والرسالة كلها تسير على هذه الوتيرة، فهو يستحي جداً أن يظهر وكأنه رسول أو معلم عليهم، ليس عن ضعف أو خوف ولكن عن لياقة الدعوة التي دعاه بها الله أن يكتب لليهود. لذلك نسمعه ينتقل بسرعة من «نحن» إلى «أنتم» حتى يُخفف من ضغط الروح الرئاسي الذي يتكلم به: «فلتنخف ... يرى أحد منكم أنه قد خاب منه» (عب ٤: ١)، «فلنجهد أن ندخل ... لئلا يسقط أحد.» (عب ٤: ١١)

٤ — موضع هذا السفر (الرسالة إلى العبرانيين) بين بقية الأسفار (الرسائل):

بحسب أبحاث العلامة وستكوت (٢٤):

أ — في المخطوطات المرموز إليها بالحروف (C و B و A و N) وهي بالترتيب السينائية

والإسكندرانية والفاثيكانية والأفرايمية، تأتي الرسالة إلى العبرانيين قبل الرسائل الرعوية مباشرة (الرسالتين تيموثاوس والرسالة إلى تيطس) وبعد الرسالتين إلى تسالونيكي، وهو الترتيب الذي أخذ به معظم الآباء الأوائل.

ب - في المخطوطات الطيبية والبشورية<sup>(٢٥)</sup> تقع الرسالة إلى العبرانيين بين الرسالتين إلى كورنثوس والرسالة إلى غلاطية.

ج - في المخطوطات السريانية تأتي هذه الرسالة بعد الرسائل الرعوية والرسالة إلى فليمون أي في نهاية الرسائل الثلاث عشرة.

وهكذا نجد أنه في أقدم المخطوطات التي جُمعت فيها كل رسائل بولس الرسول وُجدت الرسالة إلى العبرانيين إما ضمن الرسائل أو بعد الثلاث عشرة رسالة. ولكن في مجموعة مخطوطات شستر بيتي (١٣٠٠ م) وُجدت الرسالة إلى العبرانيين بعد الرسالة إلى أهل رومية مباشرة<sup>(٢٦)</sup>. وواضح من هذا الترتيب مقدار علو شأن هذه الرسالة لدى الأقباط قديماً.

### ٥ - لمن كُتبت هذه الرسالة؟

إن العنوان الذي وُجد مُصدراً به هذه الرسالة منذ القدم، ولو أنه لا يُعتقد أنه دوّن بيد كاتب الرسالة، فإنه يعبر على أي حال عن اعتقاد الآباء الأوائل الذين اضطلعوا بنسخ هذه الرسالة وضمّوها للأسفار المقدسة الرسولية في مجموعة واحدة. وفي الحقيقة فإن هذا العنوان يكشف عن صفة الأشخاص الذين كُتبت لهم هذه الرسالة، كما توضحه محتوياتها التي تنطق بأنهم يهود بالمولد وورثة العهد القديم بلا نزاع.

### عبرانيون Ἑβραῖος<sup>(٢٧)</sup>:

هذا اللقب يأتي في الأسفار المقدسة للعهد الجديد على معنيين:

الأول بمعنى لغة اليهود كما جاءت في (أع: ٦: ١): «وفي تلك الأيام إذ تكاثرت التلاميذ حدث تدمير من اليونانيين على العبرانيين...». هنا يلاحظ أن كلاً من اليونانيين والعبرانيين هم يهود

(٢٥) أي طيبية (الأقصر) وبشوري هي منطقة شمال الدلتا: البرلس والمنزلة، لأن المنزلة التي هي بحيرة الآن كانت أصلاً من أخصب بقاع مصر ولكن فتح عليها البحر الأبيض عند مضيق «الجميل» وأغرق الشعب البشوري القبطي الساكن في هذه المناطق لأسباب حربية في القرن التاسع. وكان بهذه الأرض الواطئة نحو أربعين كيسة.

26. Oxford Dictionary of Christ. Ch. under: Hebrews.

27. Westcott, op. cit., p. xxxv.

أصلاً، ولكن اليونانيين هم يهود تركوا وطنهم وفقدوا لغتهم لأنهم عاشوا في الشتات في بلاد اليونان، فصاروا يتكلمون باليونانية مع أنهم يهوداً تماماً من نسل إسرائيل. لذلك فلقب العبرانيين جاء لا لكي يصف جنسهم أنهم يهود بل ليصف لغتهم بالدرجة الأولى.

أما المعنى الثاني فيفيد النسل اليهودي:

+ «أهم عبرانيون؟ فأنا أيضاً، أهم إسرائيليون؟ فأنا أيضاً. أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضاً.»

(٢ كو ١١: ٢٢)

+ كذلك: «من جهة الختان ممتحنون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين

عبراني من العبرانيين.» (في ٣: ٥)

أما معنى كلمة «عبراني» أو «عبرانيون»، فهي إفادة عن الدعوة التي دعا بها الله إبراهيم أن يترك وطنه وعشيرته ويعبر نهر الفرات ويتغرب في أرض فلسطين. فهنا عبور إبراهيم نهر الفرات بما يشمل من معنى الدعوة والطاعة والغربة والإيمان معاً أصبحت كلها تحتويها كلمة «عبراني». فهي في الحقيقة كلمة ذات معانٍ عميقة للغاية! وقد أصبحت لقباً قديماً «شعبي» لجنس اختاره الله ودعاه.

أما لقب اليهود *Ioudaïos* كما جاءت في الأناجيل والرسائل، فهو لقب شعب بني إسرائيل كأمة مجتمعة المصالح واللغة والرجاء مهما تفرقت وانقسمت إلى مجموعات وفي بلاد عديدة. وأول مرة أعطيت هذا اللقب كان بعد رجوعهم من السبي. فقبل السبي كان بنو إسرائيل منقسمين إلى مملكتين: إسرائيل في الشمال؛ ويهوذا في الجنوب وكانت تسمى باليهودية، ولكن بعد عودتهم من السبي أخذوا لقباً عاماً هو «اليهود»، وكان يفيد ضمناً تيهانهم في أرض الغربة البعيدة. ثم بعد خراب أورشليم تفرقوا مرة أخرى في سبي، على وجه الأرض على مدى دهور للتأديب، فعاد إليهم لقب التيهان على الأرض أي اليهود *Ioudaïos*.

ويلاحظ في إنجيل ق. يوحنا أنه عندما كان يشير إلى الشعب في مواقفه العدائية للمسيح كان يلقبهم باليهود، وعندما كان يتحدث عنهم في قبولهم وإعجابهم بالمسيح كان يلقبهم بالشعب أو الجموع:

+ «وتبعه جمع كثير.» (يو ٦: ٢)

+ «جمعاً كثيراً مُقبل إليه.» (يو ٦: ٥)

+ «فكان اليهود يتذمرون عليه.» (يو ٦: ٤١)

- + «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل.»  
(يو:٦:٥٢)
- + «لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود.»  
(يو:١٨:٣٦)
- + «أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت ...» (يو:١٩:٧)

وهكذا كان لقب اليهود عند ق. يوحنا يمثل الشعب غير المؤمن التائه في ضلاله، بعكس لقب إسرائيل في إنجيل ق. يوحنا فهو يمثل الامتياز: «هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه» (يو:١:٤٧). ولكن يلاحظ حساسية اليهود لهذا اللقب الذي بدأوا ينسلخون عنه بعد ما اجتمعوا في فلسطين مرة أخرى ليستعيدوا لقبهم الأول القديم «بني إسرائيل»، فأعطوا لأنفسهم لقب «الإسرائيليين» Ἰσραηλίτης، ودولة إسرائيل التي تعني ضمن ما تعني أن زمن التيه قد مضى وعبر وجاء زمن الاستيطان مرة أخرى. ولقب «إسرائيل» كان ولا يزال يعبر عن الامتياز عند الله والفخر والكرامة عند الشعب:

- + «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال.» (أع:٢:٢٢)
- + «الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراك والعبادة والمواعيد.»  
(رو:٩:٤)

+ والآن علينا أن نعود إلى لقب «العبرانيين» لنفحصه من مضمون الرسالة إليهم. واضح مما سبق أن كلمة «عبرانيين» لا تفيد انحصاراً عملياً في مكان أو دولة معينة، ولكنه لقب عام شعبي يفيد صفة الجنس واللغة وليس صفة السكنى أو الوطن.

+ ومن مضمون الرسالة لا نجد أي أثر لوجود اختلاط مع الأمم الذين قبلوا الإيمان المسيحي. وإذا، فالرسالة مرسله لكنيسة لا يوجد بها أي اختلاط مع مسيحيين من الأمم لأنها تخلو من أية توجيهات أو توصيات خاصة بالأمم، بل وأيضاً لا يُعتقد أنها مرسله خاصة ليهود مسيحيين ضمن كنيسة فيها أمميون ومسيحيون، بل هي خاصة بيهود مسيحيين يعيشون معاً في عزلة عن أميين منتصرين، وهذا يجعلهم منحصرين في فلسطين على أغلب الظن.

+ كذلك لا نجد أية توصيات خاصة بما يجب أن تكون عليه العلاقات بين هؤلاء اليهود المسيحيين والأمم المنتصرين، فهنا يتضح غياب الأمم كلية، أي أن موطن أصحاب هذه الرسالة بعيد تماماً عن بلاد الأمم جميعاً.

ومن تركيز الرسالة على موضوع الكهنوت يتمثل في ذهننا في الحال أن بين هؤلاء اليهود المتنصرين كثيراً من الكهنة السابقين في الهيكل ذوي الوجاهة والمركز المرموق، حيث آل حالمهم إلى ضياع المجد الديني عنهم:

+ «لذلك يجب أن نتنبّه أكثر إلى ما سمعنا (عن مجد المسيح الابن ... الأصحاح الأول كله) لثلاث نفوته ... فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا.» (عب ٢: ٣١)

+ «وأما المسيح فكابن على بيته، وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ٦)

+ «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم لكي لا يقسى أحد منكم بغرور الخطيئة، لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداة الثقة ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ١٢-١٤)

+ «فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه.» (عب ٤: ١)

+ «فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لثلاث يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها.» (عب ٤: ١١)

+ «... وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه.» (عب ٦: ٦)

+ «فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب ١٠: ٢٩)

+ «وأما نحن فلنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس.» (عب ١٠: ٣٩)

+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة.» (عب ١٠: ٣٥)

ثم بعد هذه التحذيرات المرعبة عن الارتداد عن الإيمان المسيحي تعود الرسالة وتعطيهم تشجيعات وحثاً على الصبر والتمسك بالرجاء:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار ... فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب ٤: ١٤ و١٦)

+ «ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية،



لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد. » (عب ٦: ١١ و١٢)

- + « لتتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. » (عب ١٠: ٢٣)
- + « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تناولون الموعد. » (عب ١٠: ٣٦)
- + « لذلك نحن أيضاً، إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا. » (عب ١٢: ١)
- + « فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لثلاث تكلفوا وتحنروا في نفوسكم. لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية... » (عب ١٢: ٤ و٣)
- + « لذلك قوموا الأيادي المسترخية والركب المخلّعة... » (عب ١٢: ١٢)

كما يبدو من الرسالة أن بعضاً من هؤلاء العبرانيين المسيحيين قد قُبض عليهم وألقوا في السجن مقيدين بسبب إيمانهم بالمسيح، كما أن البعض الآخر كانوا يعانون الإذلال في المعاملة:

+ « اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمذللين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد. » (عب ١٣: ٣)

والرسالة تُذكّرهم بما عانوه سابقاً منذ بدء إيمانهم بالمسيح واعتمادهم، كيف دخلوا تحت الآلام والضيق والاضطهاد والملاحقة ونهب أموالهم بعد قطعهم من المجمع، أي فقدانهم لحقوق اليهودي في وطنه! وهو إذ يذكّرهم بتلك الآلام المرعبة يحثّهم على احتمال الآلام الأقل:

- + « ولكن تذكّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أنرتم (اعتمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة. من جهة مشهورين بتعبيرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصَرَّف فيهم هكذا... وقبلتم سلب أموالكم بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالا أفضل في السموات وبقياً. » (عب ١٠: ٣٢-٣٤)

كما يذكّرهم أن يتمثلوا برشديهم الذين منهم من استشهدوا وماتوا:

- + « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم. » (عب ١٣: ٧)

من هذه الآيات ذات اللون الصارخ في تعبيرها عن هذه الجماعة القليلة المستضعفة يتضح:

١ - أن الرسالة مرسلتة لجماعة محددة تعيش في مكان محدد وليست رسالة لعامة العبرانيين المسيحيين. والذي يُريد هذا الترجيح أن الكاتب يَعُدُّهم بزيارة خاصة، كما يكشف أنه سبق أن زارهم:

+ «اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً.»  
(عب ١٣: ٢٣)

+ «ولكن أطلب أكثر أن تفعلوا هذا لكي أُرَدَّ إليكم بأكثر سرعة.» (عب ١٣: ١٩)

٢ - كذلك فإن هؤلاء العبرانيين المؤمنين بالمسيح كانوا قد قبلوا الإيمان المسيحي منذ مدة طويلة:

+ «كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان...» (عب ٥: ١٢)

+ «مِنْ ثَمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب ٣: ١)

٣ - أنهم أهملوا الاجتهاد وبدأوا يتذمرون، فَصُمَّتْ إيمانهم وفقدوا رجاءهم:

+ «مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به إذ قد صرتم متباطئي المسامح.» (عب ١٠: ١١ و١٠)

+ «ولكننا قد تيقننا من جهتكم أيها الأحباء أموراً أفضل (الخوف من سقوطهم) ومختصة بالخلاص وإن كنا نتكلم هكذا (أي التحذيرات).» (عب ٦: ٩)

+ «ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية.»  
(عب ٦: ١١)

+ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة.» (عب ١٠: ٣٥)

+ «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لتلا تكلؤا وتخوروا في نفوسكم.» (عب ١٢: ٣)

+ «إن كنتم تحملون التأديب يعاملكم الله كالبنين.» (عب ١٢: ٧)

من هذه الآيات السابقة كلها نفهم أن هذه الجماعة اليهودية المسيحية كانت تمثل كنيسة مسيحية لا يوجد بها أي عنصر أممي متنصّر، كما أنه لم يكن لهم أية علائق بكنائس مسيحية أممية أخرى، لغيباب أية إشارة عن كيفية التعامل مع مسيحيي الأمم. فواضح أنها كانت كنيسة

منحصرة في فلسطين. كذلك، فالآلام والضيقات وسلب أموالهم لا يمكن أن تتم في مناطق رومانية تحت الحكم المباشر للرومان، حيث حقوق المواطن وأمنه كانت مكفولة، لذلك فإن هذا أيضاً يشير بوضوح إلى أنهم كانوا تحت تعسف حكم السنهدريم وأن إيمانهم بالمسيح قد جلب عليهم القطع من المجمع وما يؤول إليه ذلك من حرمان واضطهاد وسلب حقوق.

فإن كان قد مال كثير من العلماء للقول بأن هؤلاء العبرانيين كانوا في كنيسة روما أو كورنثوس أو أفسس أو حتى الإسكندرية فهو قول لا يتمشى مع عزلة هذه الجماعة عزلة شديدة بهذا المقدار، إذ لم يكن لهم أية علائق مع مسيحيي الأمم، وهذا يستحيل أن يوجد في أية كنيسة في العالم آنذ إلا في أورشليم أو اليهودية. ويوجد تسجيلات تاريخية تثبت هذه الحقيقة أوردتها المؤرخ يوسابيوس القيصري: فهو يقرر أن كنيسة أورشليم بقيت يهودية تماماً لا يوجد فيها أي عنصر أممي حتى إلى قيام ثورة هديان:

[ كانت مكوّنة كلياً من العبرانيين =

.(٢٨) [ συνεστάναι τὴν πᾶσαν ἐκκλησίαν ἐξ Ἑβραίων

كما يُقرر في نفس المكان أن الأساقفة فيها جميعاً كانوا من أهل الحتان.  
ويتفق هذا مع العظات المنسوبة لكليمنتس الروماني إذ يقول:

[ إن يعقوب الذي يقال له أخو الرب كان هو المؤمن على تدبير كنيسة العبرانيين في أورشليم =

.(٢٩) [ πεπιστεύμενος ἐν Ἱερουσαλὴμ τὴν Ἑβραίων διέπειν ἐκκλησίαν

لذلك فالأسقف وستكوت العالم اللغوي والإنجيلي (٣٠) ومعه العالم W. Leunard والعالم Ehrhard (٣١) يقولون إن عنوان الرسالة التي نحن بصدها «إلى العبرانيين» ينص بوضوح أنه لكنيسة أورشليم أو إحدى الكنائس التابعة لها في اليهودية، ويقول إنه ربما يكون العنوان أصيلاً وجزءاً من الرسالة. ولكن لا يدعي بأن تقريره هذا يمكن أن يقطع نهائياً هذه المشكلة، ثم يستدرك ويؤكد أن الذي يهيم القارئ بالدرجة الأولى هو مدى أصالة الروحانية المستقرة في هذه الرسالة. هذا هو الذي يفوق كل شك ويفوق كل اعتبار آخر.

28. Euseb., *H.E. IV, 5.*

29. *Clementine Homilies, XI.35.*

30. Westcott, *op. cit.*, p. xli.

31. Cited by Donald Guthrie, *op. cit.*, p. 25.

## ٦ - تاريخ كتابة الرسالة إلى العبرانيين:

من مفردات الرسالة تضيق أماننا المسافة التي يمكن أن نوقّع فيها تاريخ كتابة هذه الرسالة. لأن الذين أرسلت إليهم الرسالة هم من الجيل اللاحق لجيل الرسل مباشرة، وذلك بحسب الآيات: «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا...» (عب ٢: ٣). فهنا الكاتب كعادته في الرسالة يضع نفسه مع الذين يخاطبهم ويقول: «تَثَبَّتْ لنا من الذين سمعوا»، فالذين سمعوا الرب هم الرسل والتلاميذ. فالكاتب يضع نفسه تواضعاً مع المُرسَل إليهم ويقول: «تَثَبَّتْ لنا من الذين سمعوا»، ولكن هذا ينطبق فقط على هؤلاء العبرانيين لأن بولس الرسول تقبَّل وتَثَبَّتْ من الرب نفسه وليس عن طريق الخبر. ولكن على أي حال فنحن داخل مرمى الزمن الرسولي، وإنما في ختامه.

+ «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم.»  
(عب ١٣: ٧)

هنا واضح أن بعض مرشديهم نالوا إكليل الشهادة، وهذا مؤكد، فمعروف أن من أوائل الذين استشهدوا يعقوب أخا الرب المسمى «بأسقف أساقفة كنيسة العبرانيين بأورشليم»، كما يقرر ذلك المؤرخ اليهودي المنتصر القديس هجسيبوس Hegesippus الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وهو مواطن فلسطيني - في خمسة كتب له تسمى:  $\delta\upsilon\omicron\mu\nu\eta\mu\alpha\tau\alpha$  = Memoirs والتي احتفظ لنا بها يوسابيوس القيصري ولم يتبقَّ منها الآن إلا أجزاء فقط، وهي تؤرِّخ للكنيسة الأولى في فلسطين. ويقول إن يعقوب الملقب بالبار والمدعو أخا الرب استشهد في موقف مؤثر للغاية سنة ٦٣م (٣٢).

+ «فإنه لو كان (المسيح) على الأرض (الآن) لما كان كاهناً إذ يوجد الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس الذين يخدمون شبه السماويات وظلها...» (عب ٨: ٥٤)  
هذا يعني أن الهيكل كان لا يزال قائماً، وكانت تُقدَّم فيه الذبائح والقرابين والخدمات، وهذا يعني أننا الآن - أثناء كتابة الرسالة - في الفترة ما قبل خراب الهيكل وأورشليم، أي قبل سنة ٧٠م.

+ «الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تقدَّم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكتمل الذي يخدم.» (عب ٩: ٩)

+ «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكتل الذين يتقدمون، وإلاً أفما زالت تقدّم ...» (عب ١٠: ٢١)

+ «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه (جسد الرب ودمه).» (عب ١٣: ١٠)

من هذه الآيات يُفهم تماماً أن الهيكل كان لا يزال قائماً وكانت تقدّم فيه الخدمات والذبائح. وهذا معناه أن الحرب السبعينية لم تكن قد بدأت، والهيكل لم يكن قد تحزّب بعد. إذ فنحن هنا في هذه الرسالة قبل قيام الحرب، أي قبل سنة ٦٧م.

وفوق هذا كله، كان لا يمكن أن تغفل الرسالة سقوط أورشليم وخراب الهيكل لو كانت قد كتبت بعد الحرب السبعينية. إذ ففيها بالقطع قد كتبت قبل قيام الحرب بل وقبل بدء علاماتها المروعة أي قبل سنة ٦٧م. ثم قول الكاتب: «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب» (عب ١٠: ٢٥). فهنا إشارة ضمنية بحساسية روحية فائقة من بولس الرسول أن «اليوم يقرب»، بمعنى النهاية التي تكلم عنها الرب فيما يخص أورشليم. وكان ق. بولس يرى بعين الرؤيا أو النبوة الخراب آتياً سريعاً والخروج من المدينة وشيكاً: «فلنخرج إذأ إليه خارج المحلّة حاملين عاره (صليب الآلام) لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب ١٣: ١٤ و ١٤)

من هنا يمكن بشيء من الاطمئنان أن نقول، وبحسب كثير من العلماء المدققين، أن الرسالة إلى العبرانيين كتبت بين سنة ٦٤ و سنة ٦٥م. وهذا يعطي فرصة جيدة ليكون بولس الرسول هو كاتبها لأنه استشهد بعد هذا التاريخ مباشرة.

#### ٧ — مكان كتابة الرسالة إلى العبرانيين:

يقول العلماء الثّقاد أن ما كتبت في آخر الرسالة هكذا: «إلى العبرانيين كتبت من إيطاليا على يد تيموثاوس» قول لا يُعتدّ به، فهو وإن كان مسجلاً في المخطوطات القديمة لكن يروونه أنه إنما دُوّن من واقع ما هو داخل الرسالة. ونسأل نحن: وما الضّير في ذلك؟ يقولون إن الكاتب حينما قال: «يسلم عليكم الذين من إيطاليا»، فهذا لا يشير أنه كان في إيطاليا مباشرة، بل ربما كان الذين من حوله آتين من إيطاليا، ولكن هذا التأويل لا يكفي لكي يلغى ما كتبه الكتاب الأوائل في شرح نهاية الرسالة، بل ربما كانوا هم على صحّة أكثر لأنهم الأقرب والأكثر فهماً للرسالة.

## الفصل الثاني

### خصائص الرسالة إلى العبرانيين وأهميتها

أولاً: نبدأ بأهميتها:

ونبدأ بأهميتها لنا نحن الأمم المتتصرين! ونرجى قليلاً أهميتها إلى الذين أرسلت إليهم، أي العبرانيين. فأهميتها مشتركة، وهذه هي عظمة الوحي المقدس وقيمة كلمة الله في الإنجيل، فهي مهمة للأمس، كما لليوم، كما إلى الأبد، وهي ليست فقط نافعة ومهمة، بل هي أيضاً نور وحياة.

ولكي ندرك مدى أهمية هذه الرسالة ينبغي أن نتصور الأسفار المقدسة ينقصها هذا السفر، أي هذه الرسالة إلى العبرانيين، فماذا يكون الأمر؟ أو ماذا كانت ستكون عليه علاقة أسفار العهد القديم بأسفار العهد الجديد، وبالتحديد ماذا تكون رؤيتنا للعهد القديم برؤيته، آباء وأنبياء وناموس وأسفار وعبادة وكهنوت وذبائح، خاصة بعد أن سقطت أورشليم وتهلّمت وخرب الهيكل واحترق بكل ما فيه وسوي بالتراب، وتشتت شعب الله المختار إلى أقصى الأرض! أي معنى عندئذ تستقر عليه أسفار العهد القديم التي كانت تحمل أنظمة العبادة هذه بكل مذكراتها وتديققاتها وكل تدبيرات الله وتوصياته واهتماماته، وإلى أي مدى تُعتبر هذه بعد ذلك أنها مقدّسة ومُلهمة من روح الله ولازمة للحياة، بعد أن هكذا طُوح بها جميعاً وألغى عملها وانمحت من على وجه الأرض وتبدد الشعب الذي كان قد اشتغل بها!! هل كان يمكن أن يقوم للعهد القديم قائمة في قلوب المسيحيين؟ وإن قام، فكيف يواجهون التعارض الشديد بين أنظمة الروح في العهد الجديد، والأنظمة القديمة التي أبطلت وأفرغت من محتوياتها واندثرت معالمها!! وكيف يحتفظون بقديسية أسفار العهد القديم وقد أفرغت من محتواها هكذا؟؟ إن هذه الأسئلة صادقة وخطيرة وقادرة بحد ذاتها أن تزلزل الإيمان، ليس بالعهد القديم وأسفاره بل بالوحي المقدس ذاته، أي بصدق الله وكلمته!

من أجل هذا ساق الله بالروح القدس من كتب هذه الرسالة وأملأها، ليلتحم العهد الجديد بالقديم وتلتحم الأسفار بالأسفار، والكلمة بالكلمة، وذلك بالروح الواحد والقم الواحد الذي نطق الاثنين كلياً في زمانه!!

+ «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه»!! (عب ١: ١ و٢)

هنا أعطى هذا السفر سرّ الإلتحام: القديم بالجديد، بالكلمة الواحدة، لأن الذي نطقها واحد وهو الله. هنا الأسفار يمسك بعضها بعضاً بسر الكلمة الواحد والروح الواحد الذي نطقهما، فالقديم منها يحمل في طياته بالكلمة الواحدة صورة الجديد حتماً، والجديد صار هو هو القديم مُستَعْلَناً فيه نفس الكلمة إنما في غايتها واكتمالها.

وعليك أن تتصور إنساناً مثل «ماركيون» وقد سقط من مكتبته سفر العبرانيين، أو هو الذي أسقطه، فماذا صار إيمانه بالنسبة للعهد القديم برُمْتِه، بأسفاره وأعمال الله فيه، فقد قال ببطلان العهد القديم كُلاًّ وبأسفاره، معتبراً أن اليهودية كلها بمرآتها الكتابي والعبادي هي ضد المسيحية، وأن المسيح جاء ليلغي هذه القوة المضادة، وتجراً بالقول بأن إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد بل ضده. وهكذا صار عنده فصل الإنجيل عن الأنبياء وناموسهم أمراً منتهياً لا رجعة فيه ولا استثناء. وهكذا وقف ماركيون الكافر ضد التعاليم الرسولية التي تحمل التراث القديم في صميم كيائها، وضد الروح المسيحية ومجتمعها الحامل لكل موارث وبركات الآباء والأنبياء. وهكذا وسموه بالكافر! إذ تعثّر في الوحي الإلهي وبالتالي في اللاهوت المسيحي عشرة قاتلة.

كما يمكن أن نتصور إنساناً آخر مثل المدعو في التقليد الأبوكريفي باسم «برنابا» على أنه رفيق ق. بولس في الأسفار، إذ كتب رسالة سُمّيت باسمه، زيفاً أو حقيقة لا نعلم، هذا غابت عنه روح الرسالة إلى العبرانيين. فماذا قال؟ قال: إن الله أعطى رسالة واحدة وأقام عهداً واحداً، وإن هذه الرسالة وهذا العهد هو ما نعرفه الآن بالإنجيل، ولكن اليهود لم يدركوها كما أرسلت إليهم وتعثّروا فيها منذ البدء، وهكذا توقف العهد وبالتالي لم يأخذ قوته وعمله، حتى جاء المسيح (رسالة برنابا ٤: ٦).

وهكذا فإن برنابا هذا المزعوم أنه رسول يكون بذلك قد جمّد كلمة الله وشلّ حركة الوحي الإلهي، وأفسد عمله، وأبطل حكمة الله في التعامل مع الإنسان على مدى الأزمان، وجعل صبر الله وأناته على الإنسان وهو يعلمه ويدرب فكره وضميره وحواسه — باطلاً، وجعله لا صبراً ولا طول أناة بل فشلاً وتقصّاعاً، وحاشا!! ولو اتسع فكرنا وإدراكنا وتعمقنا ما كان يمكن أن تؤدي إليه هرطقة ماركيون أو شطحة برنابا إذا لم تكن الرسالة إلى العبرانيين قد أنارت أفق المسيحية مبكراً وسدّت هذه المنافذ والثغرات القاتلة قبل أن يتم خراب الهيكل وتتم الكارثة في مظهرها الجارف

المالحق، نعم لكانت العشرة بلا قيام ولاهتزت أسس المواعيد وارتجت عتبات الاختيار وسقط هيكل التدبير الإلهي وانفصلت الألف عن الياء وانقطعت سُبل الربط بين البداية والنهاية، ولفقد الآخر ميراثه في الأول.

ولكن، وبعد ذلك، فليتعجب معي القارئ وليشدد به العجب حينما يعلم أن علماء زمان النهضة، وحتى علماء هذه الأيام، يقولون بأن برنابا هذا عينه هو الكاتب لسفر العبرانيين!! والحجة السيدة عندهم أن ألفاظاً كثيرة وردت متطابقة في الرسالتين والأسلوب يتقارب بين الرسالتين، ولم يدركوا أن «في القدير موتٌ يا رجل الله.» (٢مل ٤: ٤٠)

إذاً، فقد وضع سر الروح الذي أوحى للقديس بولس أن يكتب الرسالة إلى العبرانيين أو يملئها نقاطاً على من ترجمها إلى اليونانية. فهذه الرسالة حدد الروح القدس الخط الإيماني الذي يتحتم أن يسلكه الفكر الرسولي المسيحي في طريقه الصحيح، ليرى المسيح متجلياً في أسفار العهد القديم، ويرى قوة الوحي المقدس وثباته وصدقه قديماً وحديثاً، كما أعلن عنه المسيح بضمه: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.» (مت ٢٤: ٣٥)

+ اسمع كيف يربط سفر العبرانيين أعمال الله وأقواله ووصاياه ربطاً متيناً لا يقوى الجاهل على فكّه حينما يكشف راحة الله في سر راحة السبت، في سر راحة كنعان، في سر راحة المسيح بالقيامة والجلوس عن يمين الله، باتفاق الروح وكأنه نعم سماوي وذلك في الأصحاح الرابع من الرسالة: حيث يكشف أن راحة يوم السبت كانت لربط فكر اليهود براحة الله نفسه الكائنة عنده والمزمعة أن تكون لبني الإنسان. ثم لكي يصوّر راحة السبت تصويراً أكبر، مثلها في راحة الشعب الخارج من العبودية والثانه في البرية، بالراحة في أرض تفيض لبناً وعسلاً، أرض كنعان، ثم وعد براحة أفضل إن هم أطاعوا، وهكذا في المسيح انكشفت الراحة الحقيقية راحة الله التي تصوّرت أولاً في السبت ثم في كنعان وهي الراحة التي فقدوها في جوهرها لأنهم كسروا السبت وأفسدوا الأرض:

+ «إذا بقيت راحة لشعب الله، لأن (المسيح) الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله. فلنجهتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها!!!» (عب ٤: ٩-١١)

هكذا جعل سفر العبرانيين راحة الله بعد الخلق هدفاً روحياً و غاية للإنسان، ينتهي إليها بعد أن يكتمل القصد من خلقته، عبوراً بالسبت كتذكرة زمنية للراحة وبأرض كنعان كاستقرار مكاني



مُريح، ثم للراحة العليا كنصيب للأبرار الذين أكملوا عمل الخلاص بالمسيح ومعه.

فانظر أيها القارئ العزيز كيف ربط سفر العبرانيين بين راحة المسيح التي نشدها بل نحيهاها براحة السبت وكنعان ربطاً لا محيص عنه. فماذا إن جحدنا طقس السبت وأصوله؟ أليس هذا يكون جحداً لراحة الله العليا في الوطن السمائي، وبعد ذلك كيف نفهم طقس الراحة العليا في المسيح الذي دعانا إليه؟ أليس السبت هو التصوير الزمني لراحة الله الفائقة عن الأزمان؟ ثم أليست أرض كنعان هي التصوير المكاني لراحة الله العليا الفائقة في الوطن المنزّه عن المكان والكيان؟

+ كذلك حينما يكشف هذا السفر العلاقة الصحيحة بين عمل رئيس الكهنة قديماً، في حُظوة دخوله بحسب أمر الله إلى قدس الأقداس حاملاً دم الكفارة على يديه ليقدمه أمام الله وفي حضرته على غطاء التابوت بين الكاروبين فتقبل منه الكفارة وتغفر خطايا الشعب وجهالاته، وبين دخول المسيح إلى أقداس السماوات حاملاً دم ذبيحة جسده ليرتأى أمام الله فيجد لنا فداءً وخلصاً وصلاحاً أبدياً. فلولا هذه الصورة التطبيقية المتينة التي قدمها سفر العبرانيين بالنسبة لرئيس الكهنة في القديم وعمله والمسيح بدخوله قدس الأقداس، لظلّ صعود المسيح إلى السماء بعد الصليب والقيامة سرّاً مجهولاً لنا.

هنا يكون سفر العبرانيين قد أدّى مهمتين عظيمتين:

**الأولى:** كونه رفع طقس الكهنوت في العهد القديم وذبيحة الكفارة إلى مستوى النور كمثال واقعي ملهم، وقد وُضع بحكمة الله البالغة ليمهّد تمهيداً عملياً وتصويرياً دقيقاً لما هو مزعم أن يكمله ابنه المبارك في ذبيحة الخلاص التي أعدها الله لنا منذ الأزل.

أما المهمة الثانية: فهي الشرح العملي الذي وُضِح لنا بأجلى صورة ما أكمله المسيح عنا بدخوله إلى الأقداس العليا وهو حامل خطايانا في دم ذبيحته، مكتملاً عنا التكفير النهائي على قدر ما لنمه من قوة حياة وقداسة وعلى قدر ما له من دالة النبوة أمام الله أبيه. وهكذا، وكما يقول السفر، صار ضامناً لنا عهداً أفضل (عب ٧: ٢٢)!!

وهكذا يمكن أن نلخص سفر العبرانيين في أنه جعل لله صوتاً واحداً وكلمة واحدة وفكراً واحداً وعملاً واحداً لغاية واحدة على مدى العهد القديم كله والجديد إلى النهاية. لقد أحيا هذا السفر في قلوبنا وأثار في فكرنا استمرارية الله الحكيمة في تهذيبه للإنسان وتوسيع وعيه ومداركه بمرحلة متداخلة متماسكة:

+ « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه!! » (عب ١: ٢٥١)  
 وكان لسان حال سفر العبرانيين: «أنا الألف والياء»!! (رؤ ٢٢: ١٣)

ثانياً: خصائص الرسالة إلى العبرانيين:

في البداية ليتنا نضع معياراً واحداً يمكن أن يجمع بين طياته كل الخصائص التي لهذه الرسالة وهو ما تقوله الرسالة بوضوح في هذه الآية:  
 + « وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ (عزاء) = τοῦ λόγου τῆς παρακλήσεως لأنني بكلمات قليلة كتبتُ إليكم » (عب ١٣: ٢٢) وعليه يمكن تسمية الرسالة بجملتها: «رسالة عزاء».

أما أولى خصائص هذه الرسالة أو هذا العزاء، فهو أنها تتعامل مع ناموس العهد القديم بصدرٍ رحبٍ أو ترحّب به كبداية عزاء من الله للإنسان، أتى ناقصاً وضعيفاً على قدر نقائص وضعف الإنسان الذي كان يتعامل معه!

ولأول مرة نواجه رسالة تشرح روح النظام اللاوي للناموس القديم بإيجابية واضحة من وجهة نظر مسيحية أو بروح الإنجيل، فتتخاشى النقد أو الهدم، بل تبرز المعاني والإجراءات والمراسيم على ضوء ما تمّ منها أو على مثالها فيما أكمله المسيح، وكان الرسالة استحوذ عليها قول الإنجيل إزاء كل حادثة كانت تتم بهذه الإشارة المتواترة: «لكي يتم ما قيل بالأنبياء» (مت ٢: ٢٣، ١٣: ٣٥، ٢١: ٤، ٢٧: ٣٥)، أو مثلاً: «لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل: عَظُمَ لا يكسر منه» (يو ١٩: ٣٦)، حيث الإشارة هنا إلى ما جاء في الطقس من جهة أكل الفصح في سفر الخروج (١٢: ٤٦). فهذا الربط السري بين ما قيل في القديم وما تم في الجديد، أو ما عُمل في القديم وما عُمل في الجديد هو الروح الذي تستمد منه هذه الرسالة إلهامها وكل تعليمها.

ومن وجهة نظر الرسالة إلى العبرانيين غير المُعلّنة ولكن المتضمّنة حتماً في تصوّرها، اعتبار أنه إذا كان المسيح كرئيس كهنة قد دخل بدعه إلى الأقداس العليا حاملاً دم ذبيحته كفارة لخطايانا فوجد لنا فداءً أبدياً يُحتسب أنه رحمة لنا بكل يقين؛ فبكل يقين يكون الطقس اللاوي الذي وضع هذا المشال أصلاً، إذ أقام من بني هارون رئيس كهنة يدخل بدم ذبيحة الكفارة إلى قدس الأقداس حيث يشترى فعلاً وبالحقيقة أمام الله وينضح بالدم على غطاء التابوت فتُغفر خطايا الشعب، يكون هذا أيضاً تعبيراً عن رحمة الله لهم وبكل يقين إنما في إطار التعاملات الجسدية.

هكذا يرى هذا السفر العزائي كل الطقوس وكل الأوامر والنواهي التي للناموس الموضوع قديماً أنها كانت تعبيراً عن رحمة الله في حدود الجسديات، بقدر ما هي مثال للرحمة العظمى الآتية في حدود الروحيات الفائقة، أو هي كانت الرحمة والعزاء في حدودها الناقصة — بقدر نقص الوسائل — التي أعطيت آنئذ لتمهد للآتي الكامل في مراحمه وعزائه الذي لا يُحد. على أن الله لا يمكن أن يعطي رحمته ناقصة إلا على أساس عدم مقدرة استيعاب الإنسان للرحمة في صورتها الكاملة، لذلك كانت الرحمة في نقصانها تمثل على أي حال تدريباً للإنسان ليتأهل للرحمة الكاملة. وهذا هو الناموس في اعتبار الرسالة إلى العبرانيين: ناقص في عزائه، ولكنه يؤهل على كل حال لكامل العزاء.

في اعتبار الرسالة إلى العبرانيين أن النظام الناموسي موضوع لتدريب الإنسان كيف يتطهر من النجاسات التي تنجس الجسد، لكي يتدرَّب الضمير على بغضة النجاسة وبالتالي الخطية، التي سَمَّاهَا الأعمال الميتة في داخل الضمير: «... دم المسيح الذي بروح أزيي قَدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائرهم من أعمال ميتة» (عب ٩: ١٤). ولكن كل التشريعات الناموسية بقيت ناقصة غير قادرة على الوصول بالضمير إلى حالة الرضى الكامل: «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام، أن يكتمل الذين يتقدمون وإلا أفما زالت تُقدَّم؟ ... لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.» (عب ١٠: ١-٤)

وبهذا يتقدم السفر إلى حتمية التحول من الناقص إلى الكامل، من الظل إلى الصورة عينها، من دم ثيران وتيوس إلى دم المسيح، من تطهُّر من النجاسة بالذبيحة والماء إلى تقديس القلب والضمير بالروح.

+ «لذلك عند دخوله (المسيا) إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيئات لي جسداً، بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر... التي تُقدَّم حسب الناموس، ثم قال ها أنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله. ينزع الأول لكي يُشَبَّت الثاني. فبهذه المشيئة نحن مقدِّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب ١٠: ٥ و٦ و٨-١٠)

+ ولقد ركَّز سفر العبرانيين رؤيته للناموس والأنظمة اللاؤوية لا من جهة نفعها أو عدم نفعها للإنسان، بقدر ما ركَّز على قيمة وعمل هذا الناموس وهذه الأنظمة بالنسبة لمشورة الله وتدريبه، وتدرُّج الوحي الإلهي في أخذه بيد الإنسان بترقٍّ وامتدادٍ إلى أعلى.

+ ورؤية السفر للناموس غير محصورة في الناموس بحد ذاته، بل في مقدار ارتباطه باستعلان المسيح الآتي وعمله الفدائي العظيم، فهو لا يرى الناموس أنه مجرد خطوة على الطريق منفصلة وقائمة بحد ذاتها، بل ظللاً ملازماً للصورة الحقيقية المختلفة في الرمز والآية في شخص المسيح، يستمد منه اعتباره ولزوميته وكيانه بحيث يكاد المرء يشعر بروح هذا السفر وكأنه يقول لولا المسيح ما كان ناموس! تماماً كما يقول: لولا قيام الشخص في النور ما كان يمكن أن نرى له ظللاً. ولكن الظل، كما يُرى في سفر العبرانيين، وإن كان متصلاً اتصالاً وثيقاً بالصورة إلا أنه ليس له قوة الصورة ولا قدرتها.

+ «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون.» (عب ١٠: ١)

+ كذلك فإن سفر العبرانيين ينشغل بصورة أساسية بالمجتمع أي الجماعة ولا ينشغل بالفرد، كما لا نجده ينشغل بالصراع بين الجسد والروح، ولكننا نجد كل همّه منصباً على المفارقة بين الظل والصورة، أو بين الشبه والحقيقة، لأن معيار الإلهام الذي يقوم عليه فكر هذا السفر هو الحقيقة الأساسية العظمى التي وضعها الله منذ البداية لتكون الأساس الفكري والوجداني والتأملي لموسى النبي وهو يأخذ وصايا وترتيبات العبادة اليهودية بأكملها، حينما أراه الله مثال كل شيء، حيث المثال هنا παράδειγμα اعتُبر في اللاهوت الكتابي أنه مجرد نموذج أوّلي توضيحي، وقد سُمّي بعد ذلك أنه شبه السماويات وظلها: «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال παράδειγμα المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون.» (خر ٢٥: ١٧٨)

وقد جاءت كلمة «المثال» بمعنى الظل «ظل σκιά الأمور العتيدة» (كو ٢: ١٧). وذكرها سفر العبرانيين في موضع آخر باسم «أشبه الحقيقة»:

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد، أشبه الحقيقية ἀντίτυπα τῶν ἀληθινῶν بل إلى السماء عينها...» (عب ٩: ٢٤)

وجاء الاصطلاحان معاً هكذا: «الذين يخدمون شبه السماويات ὑποδείγματι وظلها σκιά» كما أوحى إلى موسى وهو مزعم أن يصنع المسكن، لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل. ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لعهد أعظم قد تثبتت على مواعيد أفضل.» (عب ٨: ٦٥)

وواضح أن الفرق بين المهدين ليس هو الفرق بين الحقير والأعظم بل بين العظيم والأعظم،

كذلك الفرق بين الخدمة في الناموس وخدمة المسيح ليس على مستوى الحقيِر والفاضل بل على مستوى الفاضل والأفضل! وهذا في مقابل الشبه والحقيقة! والظل والصورة! والمثال والأصل! والناقص والكامل، وضوء الفجر المعتم وضوء النهار الساطع، أو ضوء مصباح وضوء الشمس.

ولهذا يُعتبر المسيح بالنسبة للناموس، في عُزف سفر العبرانيين، مُكَمَّلَ المشورة أو كمال القصد والوعد.

+ «فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة، وأما كلمة القَسَم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكَمَّلاً (في المجد) إلى الأبد.» (عب ٧: ٢٨)

كذلك، فالهيكَل (المسكن) وكل ما يتعلق به، كمقدِّسٍ خاص لله على الأرض، اعتُبر في سفر العبرانيين أنه المسكن أو المقدِّس العالمي الناقص، أما الذي دخله الرب يسوع المسيح في السماء فهو الأكمل والأعظم.

+ «قرايين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكَمَّلَ الذي يخدم.» (عب ٩: ٩)  
+ «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة.» (عب ٩: ١١)

+ بسبب هذا الارتباط الوثيق بين عهد الناموس وعهد البر بالمسيح، في منهج سفر العبرانيين، فهو عندما ينتقل من الناموس إلى المسيح لا يحدث بينهما فجوة أو قَطْع أو مسافة، فالمسيح لا يبرز في سفر العبرانيين فجأة، ولكن السفر يتخذ أسلوب التوضيح التدريجي والممتد بدون فصل، فيبينها وحدة حقيقية، وعندما يرفع الغطاء عن الواحدة يكشف في الحال سرَّ الآخر.

+ «لأن أولئك بدون قَسَمٍ قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقسم من القائل له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (عب ٧: ٢١)

+ «وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء، وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول.» (عب ٧: ٢٣ و٢٤)

+ «فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة، وأما كلمة القسم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكَمَّلاً إلى الأبد.» (عب ٧: ٢٨)

المحاور الأساسية التي تدور حولها المقارنة كلها تمسك بيد عبادة الهيكَل وملابساتها، وباليد الأخرى عبادة المسيح في اتصال سرِّي غاية في العمق الإبداعي الذي يوحى بالفعل أن

هذا كلمة الله في الأنبياء وهذا كلمة الله في ابنه، فالتكلم واحد والسامع واحد!! والكلمة هي الكلمة!!

**العوامل الأساسية التي تحرك الحوار غير المعلن بين الرسالة والمرسل إليهم:**

**فأولاً: من وجهة الإيمان المسيحي:**

لقد قامت المناادة بالإيمان المسيحي على أساس رؤية العيان لقيامته المسيح من بين الأموات بقوة وجلال ومجد، فكانت هذه الرؤية شهادة بالغة الأثر شرحت معنى الموت وألغت عثرة الصليب.

كما أن المناادة بعودة المسيح وسرعة مجيئه ثانية كانت من العوامل المبهجة التي رفعت من معنويات اليهود الذين تركوا اليهودية غير عابئين بالاضطهاد والخسارات، بل وزاد أيضاً المتحمسون منهم لأوطانهم بقرب عودة الملك لإسرائيل: «يا رب هل في هذا الوقت ترد المُلْك إلى إسرائيل؟» (أع ١: ٦)، ولكن هوذا قد طالت الأيام والسنون ومات منهم من مات واستشهد من استشهد والرب لم يأت، وصدى الرؤية العيانية لقيامته الرب بأجسادها انحصرت بموت أصحابها، فبدأ موت المسيح وعثرة الصليب تأخذان شكلاً من الضغط على بهجة القيامة وتضعفها عند هؤلاء العبرانيين، بل وتزعزع الإيمان بالمسيح نفسه.

**وثانياً: من وجهة النظر اليهودية:**

امتداد رفض اليهود للمسيح وبالتالي للمسيحيين كان يزداد ويتعمق، والفصل في المعاملة بدأ يأخذ نوعاً من العنف ثم المطاردة، فانغلقت أبواب الهيكل أمامهم وتوقفت شركتهم في العبادة العامة الوطنية وممارسة طقوسهم الدينية في هيكلهم بمواعيدها. فبدأ الفراغ يزداد ويزحف على الحياة اليومية الفردية والجماعية، وبدأت العداوة والمقاومة تزداد بين السنهدريم والكنيسة فشقت اليهود نصفين، بين وطنيين متمسكين بدين ووطنهم، ويهود منفيين داخل أوطانهم بلا وطن ولا مدينة ولا هيكل ولا امتيازات يهودية من أي نوع. فبدأ السؤال الحرج يزداد ضراوة في قلوبهم وتتحير ضمائرهم، هل رفض الله شعبه؟ لماذا هكذا صرنا وكأننا قطعنا من أجداننا وميراثنا وتعرّبنا في بلادنا؟

وهكذا ونحت هذين العاملين الأساسيين: الإخفاق في الرجاء المسيحي والاختناق في الواقع اليهودي، بدأت روح المنتصرين من اليهود تزداد قلقاً على مدى الأيام، كما بدأت تراوهم إغراءات الارتداد إلى اليهودية للتخلص من الأزمة الفكرية والنفسية التي تسرّبت إلى الإيمان

المسيحي لترفع منه بهجة الخلاص ومجد الرجاء وحرارة الإيمان وفرح الروح وحقيقة المسيح الحي!

وهنا تحرك الروح القدس وحفظ لهم هذا السفر النفيس سفر العزاء، وكأنه كلمة وعظ في أحرج الأوقات!!

ومرة أخرى، فإن الروح القدس نفسه ومن خلال هذه الرسالة عينها، ومن واقع هذه العوامل بكل نصوصها وحروفها، يخاطبنا نحن المسيحيين في هذه الأيام الأخيرة التي سبق وتنبأ عنها جميع الرسل الملهمين أنها أيام الارتداد التي ستعجل من المجيء الثاني للرب: «لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً» (٢تس ٢: ٣). وهكذا تصبح هذه الرسالة إلى العبرانيين هي عينها رسالة الساعة الآن للذين يترجون مجيء الرب.

والآن نأتي إلى كيف تناقش الرسالة هذه العوامل — وغيرها — وتردّها إلى الرؤية الصحيحة:

١ — فمن جهة قوة القيامة التي كانت تزكيتها في البداية شهادة الذين عاينوها — وقد رقدوا — ثم كان يلهبها انتظار سرعة مجيء الرب؛ فهذان الأمران كانا يرتكزان على مستوى المنظور فيما حدث في الماضي، أي مشاهدة القيامة؛ وعلى ما يُرجى حدوثه، أي بانتظار رؤية مجيء المسيح المقام، بحسب تصوير الملاك للتلاميذ، فمن جهة كل هذا نرى الرسالة تعالج، بالتركيز الشديد جداً والمتكرر بصورة صارخة، قيمة الإيمان وعمله والتمسك به إلى النهاية. هذا الإيمان الذي عاشه الآباء القديسون الأمانة للوعد دون أن يتحقق لهم هذا الوعد أو يروه. وقد أعطت الرسالة ليس مثلاً واحداً بل أمثلة عديدة. فأولاً أوضحت لهم ما هو الإيمان، حتى لا يتعلق اليهود بانتظار مجيء الرب بالرؤية المنظورة والاعتماد على الشعور فقال: «وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمرور لا تُرى» (عب ١١: ١). ثم بدأ يعطي النماذج والأمثلة: «فإنه في هذه شهيد للقديسين» (عب ١١: ٢). فأعطى أولاً قيمة الإيمان، وذلك بأننا نؤمن بأن الخلقية المنظورة تكونت أصلاً مما لا يُرى، أي أننا نعيش الآن على أساس إيمان بأن أصل خلقتنا غير منظور. ثم أعطى أمثلة لجلال وعظمة نتيجة الإيمان للذين آمنوا، مبيّناً أنه أساس العلاقة التي تربطنا بالله: «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه، لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه.» (عب ١١: ٦)

وأعطى بعد ذلك عشرين مثلاً من الآباء والأنبياء القديسين، وعقّب على ذلك بأنه بالرغم من إيمانهم الذي عاشوه وعملوا به إلا أنهم لم يروا المواعيد!! «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها (بالروح) وصدّقوها (بالإيمان) وحيّوها (بالثقة) وأقروا بأنهم

غرباء ونزلاء على الأرض» (عب ١١: ١٣). وهنا يؤكد أن مفهوم الحياة بالإيمان لا يعتمد على الالتصاق بوطن أرضي!! «ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم، لأنه أعدّ لهم مدينة (أورشليم العليا)». (عب ١١: ١٦)

ثم يزيد لهم التأكيد أن الحياة بالإيمان تحتتمل كل أنواع الضيق والظلم والاضطهاد والاستشهاد، وفيها يعتبر الإنسان المظلوم أنه غلب العالم!! بل والعالم نفسه لا يستحق هؤلاء الذين تألموا بالظلم واحتملوا شاكرين ولم يطلبوا الاستعفاء أو يطلبوا النجاة!!  
 + «وآخرون عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل. وآخرون تجربوا في هزءٍ وجلدٍ ثم في قيود أيضاً وحبس. رجموا، نُشِّروا، جُربوا، ماتوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود معزى، معتازين مكروبين مُدَلِّين، وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين في براري وجبال ومغائر وشقوق الأرض». (عب ١١: ٣٥-٣٨)

ثم يوغمي السفر مرة أخيرة بأن مثل هؤلاء الذين عانوا كل هذا الظلم حتى الموت لم ينالوا المواعيد التي وعُودوا بها!! كل هذا ليرفع من معنويات ومن إيمان وروح ورجاء هؤلاء العبرانيين الذين كانوا يعانون جزءاً يسيراً من هذا الضيق والألم، غير أنهم كانوا قد بدأوا يتزعزعون من جهة الإيمان بالمسيح، إذ ركزوا على انتظار مجيئه ورؤيته حسب الوعد، وقد تأخر، ولم يتحقق الوعد بحسب المنظور الذي كانوا ينتظرونه: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا المواعيد». (عب ١١: ٣٩)

ثم ليت القارئ اللبيب يدرك أن هذا الكلام الموحى به من الله ينطبق على حالنا في هذه الأيام، فهي بالحقيقة رسالة وعظ وعزاء.

٢ - من جهة احتمال الضيق والآلام والاضطهادات والتشهير والخزي: بعد أن سجل السفر هذه الحالات العشرين من الذين عاشوا بالإيمان تحت الضيق والألم والاستشهاد، ينبه ذهنهم أن أرواح هؤلاء الذين عاشوا بالإيمان وعُذِّبوا ورفضوا النجاة وماتوا هي حولهم، تنظر إليهم وتشجعهم لكي يغلبوا كما غلبوا هم فتقول لهم:

+ «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كلَّ ثقلٍ والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر = (نركض) بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا». (عب ١٢: ١)

ثم يستحضر أمام ذهنهم المسيح وهو يعاني أشنع الاضطهاد والآلام أثناء الصليب، باعتبار أنه هو رئيس الإيمان الذي يعيشون به، حتى لا يتزعزعوا ويخوروا في إيمانهم:



+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله. فتفكروا في الذي احتمل من الحطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لتلا تكلثوا وتخوروا في نفوسكم.» (عب ١٢: ٢ و٣)

وليلاحظ القارئ كيف يربط السفر بين إيمانهم المسيحي وإيمان المسيح نفسه كرئيس لهذا الإيمان عينه، ثم يربط بين ما يتألمون به ظلماً من الأشرار وما عاناه المسيح على نفس المستوى. وهكذا يوضح أن الآلام هي اختبار لقوة الإيمان، وأن الإيمان المسيحي يستمد من المسيح نفس القوة التي احتمل بها المسيح الآلام والخزي، فلا ينبغي أن يخوروا في إيمانهم أو يضعفوا في احتمالهم أو ينوءوا بحملهم.

٣ - من جهة كونهم منبوذين من بني وطنهم ومحرومين من امتيازات الوطن، وكأنهم غرباء في مدينتهم:

يوضح لهم سفر العبرانيين أن إيمانهم المسيحي، كما سبق وقلنا، يستمدونه من المسيح رئيس الإيمان، ولذلك فالمسيح بالنسبة لهم هو النموذج الذي ينبغي أن يكون مثلهم الأعلى؛ بل وعليهم أن يدركوا أنه، من أجلهم، ولكي يقدّسهم الله، سفك دمه لا على مذبح أرضي ترابي ولا في هيكل أورشليم بل ولا في أورشليم كلها، بل سفكه خارج أبوابها، بمعنى أن تقدّسهم الله في المسيح يتحتم أن يكون خارج «المدينة». وهكذا فلنكي يقبلوا تقدّيس دم يسوع المسيح، عليهم أن يخرجوا خارج المدينة خروجاً روحياً ونفسياً، أي لا يتمسكوا بأرضها وترابها، وخروجاً ليس في مجد العبادة الهيكلية بأنظمتها وجلال خدمتها الشكلي الزائل، بل في انحناء الرأس حاملين الصليب المحسوب أنه العار الذي حمله من أجلنا؛ لكي إذا ما شاركناه في حمل هذا العار والخروج الفاضح من أبواب أورشليم، نشترك أيضاً في مجد قداسه وتقدّيسه لنا في السماء وندخل إلى الأقداس العليا مكرّمين بهذا الدم:

+ «لذلك يسوع أيضاً لكي يقدّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب (باب المدينة)، فلنخرج إذاً إليه خارج المحلّة<sup>(١)</sup> حاملين عاره، لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب ١٣: ١٢-١٤)

وواضح من تكميل المسيح ذبيحة نفسه الكفارية خارج الهيكل وخارج أورشليم، أن هذه

(١) «وأما لحم النور وجلده وفرته فتحرقها بناجٍ خارج المحلّة، هو ذبيحة خطية.» (خر ٢٩: ١٤)

الذبيحة صارت لتقدّيس العالم كله وليست هي لإسرائيل فقط. فكل إسرائيل عليه أن يخرج خارج «الملة» وخارج أورشليم، ليتقبّل من دم المسيح التقديس الكفاري الأبدي وليس السنوي الجسدي بعد. وهكذا، فإن الإيمان بالمسيح يحمل في طياته التغرّب الحقيقي عن الوطن الأرضي.

#### ٤ - من جهة حرمانهم من عظمة وجمال الهيكل والراحة النفسية من الخدمات فيه :

هذا الإحساس بالنقص والحرمان، أعطى سفر العبرانيين الحل من الأساس بقوله أن العبادة اليهودية بأكملها استلمها موسى بيد ملائكة حسب التقليد العبراني. والآن يشرح لهم أن المسيح هو أعظم من الملائكة جملة وتفصيلاً، ولكن يعتبر أن أخذَهُ صورة مستضعفة وتأسيس عبادته على أساس عار الصليب بالخروج من الهيكل والمدينة وكأن لا وطن للمسيح، هذا التواضع الشكلي في العبادة وشخص المسيح تخفي وراءه حقيقة المسيح أنه أعلى من الملائكة، فهو ابن الله الأزلي. فإن كان قد تنازل إلى صورة العبد وقبّل الإخلاء حتى الموت بإهانة وعار الصليب، فهذا كان من أجلنا ليرفع سلطان الموت عنا وليرفعنا إلى مجده. ففي هذا النزول والإخلاء والتواضع، إن في شخصه أو عمله الذي صار أساس العبادة المسيحية، يذخر لنا المسيح - في ضعف حالنا هذا الذي نشترك فيه معه - تعاطفاً وملاطفة وتعزية وشفاعة دائمة حقيقية تغشى حياتنا الداخلية وتقوّي ضمائرنا وتعزّي قلوبنا، لنرى أنفسنا أعظم من الهيكل والمدينة والأرض بكل ما فيها.

أما جمال الهيكل كبيت الله وعظمة موسى الذي كان عليه رجاء إسرائيل، فهذا كله محسوب مجرد بيت مبني بيد إنسان يخدعه إنسان، أما المسيح فهو باني هذا البيت وليس هو خادماً فيه كموسى، بل المسيح هو صاحبه، والبيت الحقيقي هو نحن لو تمسكنا بالإيمان به إلى النهاية (عب ٣: ٣-٦):

+ «صائراً (المسيح) أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم لأنه لَمَنْ مِنْ الملائكة قال قط أنت ابني؟ ...

وأيضاً متى أدخلَ البكرَ إلى العالم (بالتجسد) يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله ...  
وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور...

وأنت يا رب (المسيح) في البدء أسست الأرض، والسماوات هي عمل يديك، هي تبيد ولكن أنت تبقى، وكلها كثوب تبلى (بما فيها أورشليم والهيكل)، وكرداء تطويها فتستغيّر، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفتنى. ثم لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ ...

لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لثلاث نفوته، لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم

بها ملائكة (الناموس كله) قد صارت ثابتة، وكل تعدد ومعصية (على وصايا موسى) نال مجازة عادلة،

فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره. »

(عب ١: ٤-٨ و ١٠-١٣ و ٢: ١-٣)

+ «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكملاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد!!  
لأنه لاق بذلك الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام...»

فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما (ليستطيع أن يموت)، لكي يبسبب بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس ... لأنه فيما هو قد تألم مجزباً يقدر أن يعين المجربين. » (عب ٢: ١٠ و ١٤ و ١٨)

+ «فإن هذا (المسيح) قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت. » (عب ٣: ٣)

إذاً، فالذي يتمسك بالمسيح والإيمان به، يكون له عزاء وراحة ورجاء في خلاص ومجد لا يُقَارَن بما كان لليهودي من جرء صلته بالهيكل والخدمة فيه. فالصلة بالمسيح، بالمقارنة بالصلة بموسى والهيكل، كالصلة بالله والسماء بالمقارنة بالصلة بخادم في بيت من حجارة. والصلة بين مجد المسيح وعبادته بالمقارنة مع مجد الهيكل والخدمة فيه، كالصلة بين المجد الحقيقي والمجد الزائل الذي تطويه السنين.

٥ - ثم الأخطر من كل ما سبق، يوعّتهم هذا السفر أن تَزَعْرُجَ إيمانهم ونظرتهم إلى خلف وإغراء الارتداد هو بسبب عدم اكتشافهم حقيقة المسيح كمنقذ أعظم أو كرئيس كهنة عظيم صاحب الكفارة الكبرى للإنسان. وهذا أدى إلى ضعف الالتصاق به، وبالتالي إلى عدم اكتساب قوة التقديس بلعه الذي يرفع الإنسان فوق كل الزعازع المحيطة ويُدْخِلُهُ الأقداس العليا تحت مظلة الله سالماً آمناً حيث الراحة العليا.

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار. »

(عب ٤: ١٤)

- + «فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لكي فنال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب ٤: ١٦)
- + «وإذ كُتِلَ (بالآلام والصليب) صار لجميع الذين يطيعونه، سبب خلاص أبدي.» (عب ٥: ٩)
- + «... قد صرتم متباطئي السامع لأنكم، إذ كان ينبغي أن تكونوا مُعلِّمين لسبب طول الزمان (بعد الإيمان)، تحتاجون أن يعَلِّمكم أحد...» (عب ٥: ١١ و١٢)
- + «وأما هذا (المسيح) فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول، فمن ثمَّ يقدر أن يخلِّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس، بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة، وصار أعلى من السموات.» (عب ٧: ٢٤-٢٦)
- + «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب ٨: ٢ و١)
- + «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد — أشباه الحقيقية — بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا ... ليبطل الخطية بذبيحة نفسه.» (عب ٩: ٢٤ و٢٦)
- + «فبهذه المشيئة نحن مقدِّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب ١٠: ١٠)
- + «فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله...» (عب ١٠: ١٢)
- + «لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين.» (عب ١٠: ١٤)
- + «فاذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً، حياً، بالحجاب أي جسده<sup>(٢)</sup>، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان...» (عب ١٠: ١٩-٢٢)
- + «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب ١٠: ٢٣)

كما تتطرق الرسالة إلى سبب جوهرى في ابتعاد هؤلاء اليهود المسيحيين عن جادة الإيمان المسيحي والشبات فيه مما أدّى إلى خطر إمكانية الارتداد إلى اليهودية، وهو اكتفاؤهم بالسير في موكب المسيحية مع السائرين دون الإمساك بالإيمان راسخاً ورَّضد الغاية وطاعة الله، ومن الوجه الآخر ظهورهم بمظهر اليهود في وسط اليهود، وذلك خوفاً أو مجاملة، مع أنهم مسيحيون، الأمر الذي

(٢) عجيب حقاً أن يذكر ذلك إشعيا النبي: «مرّسالاً في طريق لم يسلكه برجليه.» (إش ٤١: ٣)

من شأنه أن يفتح مجال التأثير عليهم لجذبهم إلى العبادة اليهودية مرة أخرى، أي الارتداد عن الإيمان.

هنا يحذّرهم السّفَر من السلوك مسلك شعب إسرائيل في البرية الذين تدمروا وعَصَوْا أوامر الله ولم يؤمنوا بوعد الله وفكّرُوا في العودة إلى مصر. هؤلاء أقسم الرب أن لا يدخلوا إلى راحته، وراحته بحسب الشكل هي أرض كنعان؛ ولكن سفر العبرانيين يراها، بحسب الحق والروح، أنها راحة الله السماوية، فهم فعلاً طُرحَت جثثهم في القفر ولم يدخلوا أرض كنعان وبالتالي راحة الله العليا:

+ «لذلك كما يقول الروح القدس، اليوم إن سمعتم صوته، فلا تقسّوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، ...

حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي،  
انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله  
الحي، ...

لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداة الثقة ثابتة إلى النهاية، ...

فمن هم الذين إذ سمعوا أسخطوا، أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى؟

ومن مَقَّت أربعين سنة، أليس الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر؟

ولن أقسم لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يطيعوا؟

فترى أنهم لم يقدرُوا أن يدخلوا لعدم الإيمان!» (عب ٣: ٧-١٩)

ويعود ويقول لهم إننا نحن المسيحيين نقف الآن موقف شعب إسرائيل الخارج من مصر، فنحن نعيش بالإيمان على رجاء وعد الله أيضاً أننا سندخل راحة المسيح في كنعان السماوية وطننا الأبدي ونكون شركاء مجده. هذا إذا تمسكنا بالإيمان، أما إذا استهترنا بالدعوة واخترنا العصيان، فالنتيجة أننا سنخيّب من وعد الله أي من نصيب الراحة العليا:

+ «لأننا نحن أيضاً قد بُشّرنا (بالمسيح حتى بالإيمان ننال الموعد) كما أولئك، لكن لم

تنفع كلمة الخبر (على فم موسى لشعب إسرائيل الخارج من مصر) أولئك إذ لم تكن

متمزجة بالإيمان في الذين سمعوا.» (عب ٤: ٢)

+ «لأننا نحن المؤمنون (باسم المسيح) ندخل الراحة ... لأن (المسيح) الذي دخل راحته

استراح هو أيضاً من أعماله (أعمال تجديد الخلق) كما الله من أعماله.» (عب ٤: ١٠ و٣)

+ « فلنَجْتَهِدُ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ لِشَلَا يَسْقُطُ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعَصِيَانِ هَذِهِ عَيْنِهَا. »  
(عب: ٤: ١١)

+ « فَلْتَحَفَّ أَنْهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدِ بِالدَّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ. »  
(عب: ٤: ١١)

وعلى القارىء أن يتصوّر هذا المنظر: شعب إسرائيل بعد أن تذمّر على الله وحاول الارتداد والعودة إلى مصر، فكان أن الله أبغضهم وأقسم أنهم لن يدخلوا راحته، وبالمعنى الجسدي لن يدخلوا أرض كنعان، وكان أن ظل الشعب يسير فاقد الإيمان بالله ومتذمراً، وفي الوقت عينه كان قد وقع عليه غضب الله. وهكذا ودون أن يدري الشعب وهو لا وعيه عن مصيره، ظل يسير وجثتهم تتساقط على الأرض جثة وراء جثة ويوماً بعد يوم، إلى أن فني الجيل كله تحت التراب، إلا اثنين كانا قد آمنا وصدّقنا وعد الله، كالب بن يَفْتَةَ ويشوع بن نون. منظر حزين وحزين للغاية!

هكذا يوغمي سفر العبرانيين هؤلاء اليهود المسيحيين لئلا بعد ما آمنوا بالمسيح يرتدون عن الإيمان، فيفقدوا الوعد.

### سِرُّ مَلِكِي صَادِق:

٦ - سفر العبرانيين يتجاوز الانحصار في الناموس ليفك أسر العبرانيين من الاختناق بحدوده الضيقة:

لذلك نجده لا يبدأ من موسى ولا من إبراهيم كما فعلت الرسالة إلى أهل رومية، بل من ملكي صادق باعتباره شخصية دينية أعلى شأناً من إبراهيم، لأن إبراهيم قدّم له العشور واستلم منه البركة والتعزيد بسر الخبز والخمر. وهذا يعني أن العبادة اليهودية بأكملها بما فيها الناموس هي مرحلة على الطريق نحو الله أو بالنسبة لتدبير الله، حيث يبقى طقس ملكي صادق شامخاً على طقس إبراهيم (الختان) وموسى (الكهنوت اللاوي)، حيث يصرّح السفر بأن ملكي صادق أكبر من إبراهيم شأناً:

+ « وَلَكِنْ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ مِنْهُمْ - (ملكِي صَادِق) - قَدْ عَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ (أَي أَخَذَ مِنْهُ الْعَشُورَ، مِمَثَلًا لِلَّهِ) وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ الْمَوَاعِيدُ، وَبَدُونَ كُلِّ مَشَاجِرَةِ (بَدُونَ نَزَاعٍ) الْأَصْغَرَ - إِبْرَاهِيمَ - يُبَارِكُ مِنَ الْأَكْبَرِ - مَلِكِي صَادِق. » (عب: ٧: ٦ و٧)

وهكذا يتجاوز الناموس إلى ملكي صادق كأعلى، الذي كان في الحقيقة رمزاً للمسيح الآتي كما كشف ذلك الروح القدس بالوحي على فم داود داعياً بقَسَمٍ من نحو المسيح: « أقسم الرب

ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤). وهكذا أعطى الكهنوت في المسيحية صورة سرّية سماوية فائقة القدر والوصف لا علاقة لها قط بكهنوت شعب إسرائيل والهيكل. فالكهنوت في الكنيسة ليس كهنوت خدمة مقدّسات أرضية، ولا مذابح مصنوعة بالأيدى ولا هو ينتسب إلى نَسَب بشري، ولا هو من وضع بشر، بل هو كهنوت على طقس ملكي صادق، كهنوت منتسب إلى الله الحي مباشرة، ليسراً فائق لا يُفهم إلا في شخص المسيح ابن الله. يختص بالمقدسات السماوية والمذبح الواحد الناطق السماوي، وذبيحته التي يخدم عليها ومنها هي ذبيحة ابن الله الحي حمل الله السماوي الذي يرفع خطايا العالم، ولا تزال هي كما هي قائمة في سر ملكي صادق بخبز وخر!! وقد ألمح إلى هذا المذبح وهذه الذبيحة عينها سفر العبرانيين بقوله المملوء سرّاً: «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون الهيكل (ذبائح اللاويين) أن يأكلوا منه!!» (عب ١٣: ١٠)

وهكذا نجح سفر العبرانيين في أن يرفع رؤية الإنسان اليهودي المسيحي من التاموس الأقل في شخص موسى أو حتى إبراهيم إلى شخص المسيح الأعظم. وهكذا وبالتالي رفع درجة الكهنوت في الإيمان المسيحي من الكهنوت اللاوي أو رئاسة الكهنوت الماروني الزمني للإنسان إلى كهنوت ملكي صادق المعتبر في الوحي المقدس أنه كهنوت إلهي أبدي وليس بشرياً، حاضر فيه سرّ الابن: + «لأن ملكي صادق هذا ملك ساليَم كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه، الذي قَسَم له إبراهيم عُشراً من كل شيء، المترجم أولاً ملك البر (صادق) ثم أيضاً ملك ساليَم أي ملك السلام، بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداية أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مشبّه بآبِن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب ٧: ١-٣)

وهكذا، وإن بدا أن سفر العبرانيين وكأنه يرجع بالتاموس إلى خلف حيث بداية البداية، أي فيما قبل إبراهيم، إلا أنه في نفس الوقت امتدّ بالتاموس عينه إلى المسيح باعتباره في آن واحد مولوداً تحت التاموس، وهو أعلى من التاموس، وسابقاً عليه منظوراً في شخص ملكي صادق الرمز الخاص لحقيقة كهنوت المسيح الأبدي.

وهنا لا يغيب عن القارئ أن سفر العبرانيين يكون بهذا قد مجّد التاموس إذ جعله إجراءً تحضيرياً، ولكن جعل مجد المسيح قبل التاموس وبعده بآن واحد! «إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي» (يو ١٥: ١٥). هذا السر نطق به المعمدان، ممثلاً للعهد القديم، مشيراً إلى المسيح، والذي عبّر عنه المسيح نفسه للسامرية: «لأن الخلاص هو من اليهود» (يو ٤: ٢٢)، مشيراً إلى نفسه!! «أنا الذي أكلمك هو»!! (يو ٤: ٢٦)

٧ - وباستعلان المسيح رئيس كهنه على رتبة ملكي صادق بحكم النبوة وانكشاف الواقع التاريخي، فإن سفر العبرانيين أدخل إلى حيّز الاستعلان مجد ذبيحة الكفارة حتماً وبالضرورة، ولكن بمفهوم كهنوت ملكي صادق الذي يخلو من الذبائح الحيوانية. وهكذا دخل الصليب وذبيحة المسيح الكفارية موضع الاستعلان والتطبيق، في صورتها الفعلية والعقلية السرية، أي بالجسد المذبوب على الصليب وبالخبز والخمر المعطى باليد لأكل الفم:

+ «لنا مذبح (عقلي) لا سلطان للذين يخدمون المسكن (الذبائح الحيوانية) أن يأكلوا منه.»  
(عب ١٣: ١٠)

وهكذا دخل سفر العبرانيين في مقارنة شاملة بين كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح، وبين ذبائح القديم وذبيحة المسيح، وبين أثر أو فاعلية ذبائح العهد القديم وفعل ذبيحة المسيح، وبين المسكن في القديم الذي كانت تقدّم فيه الذبائح والمسكن الجديد الذي قدّم فيه المسيح ذبيحته.

### كهنوت العهد القديم وكهنوت المسيح:

+ «لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس - فيما لله - لكي يقدم قربان وذبائح عن الخطايا، ... إذ هو أيضاً يحافظ بالضعف ...، كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه، ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً.» (عب ٥: ١-٤)

+ «كذلك المسيح أيضاً لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له - أنت ابني أنا اليوم ولدتك - كما يقول أيضاً في موضع آخر - أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ... مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق.» (عب ٥: ٥ و ١٠ و ١٦)

+ «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أخذ ناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق؟ ولا يقال على رتبة هرون؟

لأنه إن تغيير الكهنوت فبالضرورة يصير تغييراً للناموس أيضاً ... فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت. وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر، قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول (بقسم) لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (بقسم).» (عب ٧: ١١-١٧)

وهنا يعطي النتيجة الحتمية لتغيير الكهنوت والفارق بينهما، فالناموس يبطل وكهنوت المسيح يبقى ويكتمل الفداء إلى الأبد:



+ «فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكتمل شيئاً ولكن (أعطي لكي به) يصير إدخال رجاء أفضل به نقرب إلى الله.» (عب ٧: ١٨ و ١٩)

+ «لأن أولئك (الكهنة) بدون قَسَمِ قد صاروا كهنة، وأما هذا فبِقَسَمِ من القائل له أقَسَمَ الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل، وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل أن الموت يمنعهم عن البقاء، وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقَدِّمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب ٧: ٢١-٢٥)

ويعتَّب على ذلك سفر العبرانيين بقوله أن هذا الامتياز يوضح مقدار اهتمام الله أن يأتي المسيح بعد الناموس ليكمل بذبيحة واحدة مقدسة الغفران والتقديس إلى الأبد:

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات. الذي ليس له اضطراب كل يوم (٣) مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدَّم نفسه ... ابناً مكتملاً إلى الأبد.» (عب ٧: ٢٦-٢٨)

وهكذا يرتفع سفر العبرانيين بحقيقة المسيح كرئيس كهنة إلى قمة المنهج التوضيحي لعمل المسيح هكذا:

+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات.» (عب ٨: ١)

ذبائح العهد القديم وذبيحة المسيح المقدسة:

ذبائح العهد القديم:

+ «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر، أبداً، بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكتمل الذين يتقدِّمون! وإلاً فما زالت تقدِّم؟» (عب ١٠: ٢١)

+ «لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتبوس يرفع خطايا.» (عب ١٠: ٤)

- + « إذ يقول آنفاً إنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم تُرد ولا سررت بها، التي تقدّم حسب الناموس. » (عب ١٠: ٨)
- + « وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية. » (عب ١٠: ١١)

## ذبيحة المسيح:

- + « لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً. » (عب ١٠: ٥)
- + « ثم قلت هنذا أجيء، في ذرّج الكتاب مكتوب عني، لأفعل مشيئتك يا الله، ... ينزع الأول لكي يثبت الثاني، فهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة! » (عب ١٠: ٧ و٩ و١٠)
- + « وأما هذا (المسيح) فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله ... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين. » (عب ١٠: ١٢ و١٤)

ويعتّب سفر العبرانيين على ذلك مؤكداً أنه إذا كانت المغفرة قد تمّت وكملت بشهادة النبوات عن ذبيحة المسيح، فإن المعنى الحتمي لهذا يكون توقّف الذبائح والقربان، وبالتالي توقّف خدمة الكهنة وبطالان وظيفتهم:

- + « ويشهد لنا الروح القدس أيضاً، لأنه بعد ما قال سابقاً هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم (إذا يبطل الناموس المكتوب على ورق) ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد (إذا تبطل الذبائح ومقدّموها)، وإنما حيث تكون مغفرة هذه (الخطايا مجاناً) لا يكون بعد قربان عن الخطية. » (عب ١٥: ١٧-١٥)
- + « لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجّسين يقدّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهّر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي. » (عب ٩: ١٣ و١٤)
- + « هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه. » (عب ٩: ٢٨)

المسكن القديم (القدس العالمي)؛ والمسكن الجديد في السماء:

يعتبر سفر العبرانيين أن الانتقال الذي تم بواسطة المسيح باعتباره رئيس كهنة حاملاً ذبيحة نفسه إلى الأقداس العليا هو قمة التغيير الذي حدث في الانتقال من عبادة الله في المسكن القديم الذي نصبه الإنسان على الأرض إلى عبادة الله في موضع مسكنه في السماء:

+ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي ἀληθινῆς الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب ٨: ٢٠١)

+ «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة ... بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.» (عب ٩: ١١ و١٢)

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية ἀληθινῶν ἀντίτυπα بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب ٩: ٢٤)

ثم يبدأ السفر ليوضح كيف أن بدخول المسيح إلى داخل الحجاب، إلى قدس الأقداس في السموات مسكن الله، ربطنا ونحن على الأرض ربطاً وثيقاً محكماً بالله في مسكنه في السماء، مشبهاً المسيح بهلْب نحن مربوطون فيه كمركب في خضم البحر حيث يُلقى البحار الملب في العمق المجهول فتثبت المركب ولا تخشى زعازع البحار. هذا من جهة، ومن جهة أخرى بدخوله افتتح لنا الطريق المغلق للدخول، ولكن بدمه الذي دخل به هو من أجلنا، حاملاً جنسنا فيه:

+ «... تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب. حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.» (عب ٦: ١٨-٢٠)

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله. لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان.» (عب ١٠: ١٩-٢٢)

ثم يعود السفر ليعطينا لمحة من بعيد إلى ما يحويه هذا المسكن السماوي أي القدس الإلهي العجيب الآن الذي هو أورشليم السماوية:

+ «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار (بسبب حلول الله قديماً) وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف وبوق وصوت كلمات (الله) استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم

كلمة ... وكان المنظر هكذا مُخيفاً، حتى قال موسى: 'أنا مرتعب ومرتعد'؛ بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديّان الجميع وإلى أرواح أبرارٍ مكثّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دمٍ يرشّ يتكلّم أفضل من هايل. « (عب ١٢ : ١٨-٢٤)

### والآن نأتي إلى الأغراض الرئيسية من الرسالة برمتها

طبعاً واضح أن الغرض الرئيسي في الرسالة هو شد أزور هؤلاء اليهود الذين آمنوا بالمسيح منذ زمن طويل والذين قد بدأ إيمانهم يتزعزع للأسباب التي ذكرناها سابقاً.

ولكن توجد أغراض دقيقة مطروحة داخل الرسالة.

فموت المسيح القائم في عشرة الصليب الذي اعتبره السفر من وجهة نظر اليهود أنه عار: «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب ١٣ : ١٣)، والذي كان هو السبب الرئيسي الذي جعلهم يشعرون بالخجل ويضعفون أمام مقاوميهم بل ويضعفون في إيمانهم، هو نفسه القوة السرية الإلهية التي نتقدم بها إلى الله كسبب للشكر وتقديم التسبيح: «فلنقدّم به (أي بالصليب) في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاءٍ معترفة باسمه.» (عب ١٣ : ١٥)

ثم هو نفسه أي الصليب والدم المسفوك عليه الذي يؤهلنا دائماً للدخول أمام الله لنخدمه بضمير طاهر - عوض الأجساد الحيوانية التي كانت تؤهل لطهارة الجسد بالذبايح الميتة:

+ «لأنه إن كان دم ثيران وتبوس ورماد عجلة مرشوش على المُنجّسين يقُدّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزي قدّم نفسه لله بلا عيب، يطهّر ضمائرکم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩ : ١٣ و١٤)

كذلك فإن الخطية التي على أساسها قامت كل الذبايح قديماً ولم تستطع أن تُلغى سطوتها بدليل استمرار تقديم الذبايح كل هذه الأيام والسنين بلا نهاية، قد أبطلها المسيح مرة واحدة بدم ذبيحته، وبه اكتسب لنا كفارة دائمة لا تحتاج إلى تكرار ولا تضعف إلى الأبد:

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا؛ ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذا ذلك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم

ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل الخطيئة بذبيحة نفسه.» (عب ٩:

٢٤-٢٦)

كما أنه بهذا الدم عينه الذي لذبيحة المسيح، قد حصلنا ليس على تطهير الجسد حتى يمكن أن ندخل هيكل الله، بل على تقديس النفس والروح والجسد جميعاً لندخل إلى قدس أقداس الله لتتراءى أمامه بثقة:

+ «فبهذه المشيئة نحن مقدِّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب ١٠: ١٠)

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كَرَّمَهُ لنا حديثاً حياً بالجلباب أي جسده وكاهنٌ عظيمٌ على بيت الله؛ لنتقدَّم بقلب صادقٍ في يقين الإيمان مرشوشةً قلوبنا من ضميرٍ شريرٍ...» (عب ١٩-٢٢)

واضح هنا أن علة ثقتنا كل حين بالدخول إلى أقداس الله التي كان لا يدخلها إلا رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة، هي دم المسيح الذي اغتسلنا به وتقدَّسنا. فكما أن علة جرأة رئيس الكهنة للدخول إلى الأقداس كانت هي «دم» ذبيحة الكفارة الذي كان يحمله على يديه، هكذا أصبحت جرأتنا نحن بالتالي للدخول إلى الأقداس هي بسبب دم المسيح الذي هو دم الكفارة العظمى الدائم والحى الأبدي، الذي رُشَّ على قلوبنا وضمائرنا، فهو يؤهلنا للدخول كل حين وبلا مانع؛ بل بيقين وثقة أيضاً.

كذلك، فإننا بهذا الدم وهذه الذبيحة وهذا الصليب حصلنا على أقصى ما يمكن أن نحصل عليه في علاقتنا بالله، وهو ما يسميه سفر العبرانيين بالكمال أو التكميل، أي تكميل كل ما كانت تهدف إليه جميع وصايا الناموس وعجزت عنه:

+ «لأنه بقربان واحد (جسده على الصليب) قد أكمل إلى الأبد المقدسين.» (عب ١٠: ١٤)

+ «فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد، له كهنوت (على أساس ذبيحته) لا يزول، فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله. إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم (بدمه).» (عب ٧: ٢٤ و٢٥)

وهكذا قصد هذا السفر أن يحوِّل لهم وفيهم أسباب خجلهم من المسيح وعثرة إيمانهم بالصليب وعلة ضعفهم وضعف الإنجيل في نظرهم، إلى قوة حقيقية، بل إلى حقيقة القوة في الإنجيل نفسه والإيمان عينه، ويرفع من نظرتهم إلى المسيح كحامل عار حينما حمل الصليب، إلى حامل تقديس وتكميل بل وكمال الذين آمنوا به ونالوا به الدخول إلى الأقداس العليا بثقة وقلب صادق. وإن

كان هذا فيما يبدو يختص بالخارج من جهة حياتهم وسلوكهم بين أقرانهم ومواطنيهم، فبالأكثر ما يتم لهم بهذا الدم والصليب في الداخل، في سيرتهم الداخلية وأمام قلوبهم وضمايرهم. فالخطية التي حطمت نفوسهم وأضعفت موقفهم أمام الله ولم تستطع آلاف الذبائح وصفوف الكهنة ورؤساء الكهنة أن يزحزحوها عنهم، هذه الخطية عينها هي التي أبطلها لهم المسيح بالتتمام ليعيشوا، ليس بعد بضمير خطية، بل بشعور التقديس والمقدسين المكملين أمام الله!

وبهذا التركيز الهائل على عمل ذبيحة المسيح الكفارية وقوة فعل دمه سواء في حياتهم الخارجية وسلوكهم، أو في حياتهم الداخلية وسيرتهم أمام ذواتهم والله، كان القصد الأساسي هو التقليل من لهفة انتظارهم لعودة المسيح وترقُب مجيئه الثاني لينقذهم من القلق والضعف الذي ألمَّ بهم بسبب عدم اكتشافهم لحقيقة موت المسيح الكفاري وعمله الفدائي العظيم، كرئيس كهنة كل حين قائم ودائم لهم في السماء يشفع فيهم.

كذلك فإن تركيز السفر على ذبيحة المسيح الكاملة في الفداء والغفران، كان القصد منه إلغاء مفهوم الذبائح الحيوانية من وجدانهم وتعلُّقهم بالتطهيرات الجسدية الفاقدة قيمتها من جهة الضمير، كما رفع من سمو عمل المسيح في آلامه وموته.

والآن، وبمنظرة عامة فاحصة على هذا الأسلوب التوضيحي للعبادة في وجهها اليهودي السابق وفي وجهها المسيحي الذي انفتح عليهم في المسيح، نجد أن فكر هذا السفر ومنهجه وتنسيقه اللاهوتي يرفع من قدر العبادة ككل كما يرفع من استعلان حكمة الله في تدبيره سواء في الناموس أو المسيح، بنوع من العمق الروحي الذي لا يجاريه سفر آخر من الأسفار المقدسة.

وقد نجح سفر العبرانيين لا في المحيط اليهودي المسيحي الذي كُتب له، بقدر ما نجح في المجال المسيحي الأُمِّي على مدى العصور كلها وحتى اليوم، وقد أصبح له الفضل الأول على كافة الأسفار في شرح وتوضيح أعمال المسيح الفدائية كلها، موقَّعة ليس على النبوات فحسب، بل وعلى كل أعمال الناموس وطقوسه بكل دقائقها، الأمر الذي وسَّع من مدارك الإنسان المسيحي الأُمِّي من جهة شخص المسيح وكل أعماله في أصولها وأسبابها وأهدافها. وبذلك أصبح موقع سفر العبرانيين بالنسبة لجميع الأسفار في العهدين القديم والجديد هو موضع الفيلسوف أو المايسترو الذي يسك في يديه سر البداية والنهاية ليقود الفكر بدفع إلهي حكيم، مجتَباً الإنسان كل الشكوك والعثرات التي تبدو — في الحقيقة — خطرة، أثناء العبور على آلام المسيح وسفك دمه وموته على الصليب موت العار خارج أسوار أورشليم.

وإلى سفر العبرانيين يُعزى الآن الفضل العميم في منهج اللاهوت المسيحي في فهم دقائق معنى الكفارة والفداء والتقديس بالدم والصدود وارتفاع المسيح ودخوله فوق أعلى السموات، وليس مجرد فهم دقائق المعاني اللاهوتية فقط، بل وتقديم النموذج العملي التوضيحي الذي سبق أن رسمه الله بالناموس كمثال الله، لكي ينقل فكر الإنسان نقلاً سهلاً هيناً من الصورة والمثال إلى الأصل والحقيقة.

وبالتالي إذ يسلط هذا السفر نور الإنجيل على العهد القديم، يكشف بوضوح صدق نبواته عن كل ما صار بالمسيح يسوع. كما يكشف عن أصالة أحكامه الناموسية وإجراءاته وممارساته كأمثلة وظلال سماوية صامتة خرساء، ولكن قيّمة، لحقائق المسيح الناطقة الفعالة ونوره الإلهي العجيب.

وهكذا، وبعد أن كانت كل ترتيبات طقوس الناموس حركات شبه ميتة يعوزها المعنى، خرساء لا تنطق بما تهدف إليه، جاء المسيح ليستنطقها لتعطي لغة الحقائق الإلهية، فتتجلى جميعاً وتأخذ معناها بل وتلبس ثوب اللاهوت الناطق بروح الله سواء من جهة خيمة الاجتماع بأقداسها وموسى الخادم فيها أو الكهنوت اللاوي أو الذبائح الصامتة أو المذبح الحجري أو راحة السبت الزمني أو المدينة المستعبدة مع بنيتها، أو الجبل الملموس المدخن، أو صهيون مدينة الوعد. هذه كلها جاء سفر العبرانيين فرفع في تودة وحكمة أستار الظلال عن هذه الأشباه، فإذا هي حقائق السماء عينها منظورة بالروح، وابن الله يخدم فيها الخلاص لحساب الإنسان، حيث الحاجز المتوسط ليس هو الواقع بين القدس وقديس الأقداس المطلوب هدمه، بل هو الكائن في فكر الإنسان وقلبه الذي أنيط بسفر العبرانيين أن يرفع ظلّه عن قلب الإنسان فيترأى كل شيء في مكانه ولكن في نور ابن الله، فظهرت الحقائق السماوية دون أن تهتز صور الأشياء العتيقة أو تنحطم! وبثقة الإيمان دخل الإنسان، كل إنسان، إلى ما داخل الحجاب إلى قدس الأقداس عينه وعليه رش دم رئيس الكهنة نفسه ابن الله، ليرأى أمام الآب ذاته لينال الغفران الكامل برش دم المسيح.

وبذلك يتحقق وعد المسيح لليهود: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل.»

(يو: ١٠: ١٠)

لهذا نجد سفر العبرانيين يوضّح في مقدمته موقع الآباء والأنبياء وكل النبوات مع كل التنظيمات التي نصّ عليها الناموس بمنتهى التدقيق كيف تحتويها جميعاً «كلمة الله». أما قيمة هذا المحتوى بأجمعه باعتباره كلمة الله، فيقرره المسيح نفسه في القول: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول.» (مت: ٢٤: ٣٥)

فإن كان من جهة العهد القديم قد سبق أن «كلم (الله) الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة» (عب ١: ١)، عاد الله وأكمل كلامه: «في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب ١: ٢)، بمعنى أن ابن الله جاء ليأخذ على عاتقه تكميل كل ما فات ليدخله كله كميّرات له ثم بالتالي لنا، وهذا بعينه صادقٌ عليه المسيح بتأكيد ذاتي: «لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت ٥: ١٧). لذلك، ففي عرف سفر العبرانيين، العهد الجديد هو «الكمال»، ولكن ليس مقتطعاً من لا شيء، بل هو الكمال بمعنى التكميل لعهد سابق كان ينقصه المسيح فقط كوسيط نهائي من الطرفين فوق العادة يتوج العلاقات التي طرحها الله قديماً لتربط الإنسان به. فإن كانت قيمة العهد القديم كمهد يرتبط به الله مع الإنسان من طرف واحد؛ وهو الله، بكلمة خرجت من فمه؛ فالعهد الجديد هو عهد أوثق كمالاً دخل فيه الله مع الإنسان بتمثيل متبادل من الطرفين في شخص يسوع المسيح الحامل لبنة الله وبنوة الإنسان معاً، حيث التحمت فيه ذات الله بذات الإنسان، وتوحدت فيه كلمة الله بكلمة الإنسان ومشيشة الله بمشيشة الإنسان، وقداسة الله بعجز الإنسان. وهكذا استعاد الإنسان مكانته الأولى والعظمى من الله، وورث مع الابن كل معطيات الله، لا في قرى بل في اتحاد.

مقدار التشابه في العناصر الموضوعية بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى:

من الأسفار التي تقترب من سفر العبرانيين في كثير من العناصر الموضوعية، إنجيل القديس يوحنا ورسالة بطرس الأولى، ورسائل بولس الرسول، ولكن ليس على مستوى النقل وإنما تشابه في الفكر اللاهوتي في إطاره العام، فسفر العبرانيين لم ينقل نصوصاً حتى ولا من أسفار العهد القديم بل كان يقتبس منها ومن الذاكرة.

إنجيل القديس يوحنا وسفر العبرانيين:

+ واضح في ترتيب التسلسل في رواية إنجيل القديس يوحنا أنه يتبدى بالعرف على المسيح قبل التجسد، باعتباره «الكلمة» الذي كان في البدء «عند الله»، «وكان الله»! بهذا الترتيب عينه يبدأ سفر العبرانيين. فالمسيح قبل التجسد كان هو ابن الله، وفي هذا الابن «كلمنا» الله. وواضح من هذا أن المسيح هو كلمة الله!!

+ كذلك يراه إنجيل ق. يوحنا أن «كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣)، بمعنى الخلق؛ وعلى نفس المستوى يراه سفر العبرانيين أن الله «به أيضاً عمل العالمين»



(عب ١: ٢) بمعنى الخلق أيضاً.

+ وكما يراه إنجيل ق. يوحنا أنه «كان (هو) النور الحقيقي» (يو ١: ٩)؛ كذلك يراه سفر العبرانيين أنه «بهاء مجده ورشم جوهره.» (عب ١: ٣)

+ ثم كما يُجَمَلُ إنجيل ق. يوحنا رسالة المسيح بجملتها في تجسده وموته الكفاري وصعوده وجلسه في الأعالي مبتدئاً بالتجسد «والكلمة صار جسداً» (يو ١: ١٤)، كذلك يجمل سفر العبرانيين رسالة المسيح جميعها في قوله: «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب ١: ٣)، ومبتدئاً كذلك بالتجسد بقوله: «متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله.» (عب ١: ٦)

+ وكما يقرون إنجيل ق. يوحنا آلام المسيح بمجده: «وأما يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة (الصليب) ليتمجد ابن الإنسان» (يو ١٢: ٢٣)؛ كذلك يقرر سفر العبرانيين: «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد.» (عب ٢: ٩)

+ وقد استطاع إنجيل ق. يوحنا أن يلتقط للمسيح صورة كرئيس كهنة يصلي لدى الله أبيه صلاته التشفعية الطويلة من أجل تلاميذه وكل المؤمنين به، معبراً عن قيامه بهذه المهمة عن جدارة ذاتية لم يقدمها لهم مخلوق: «ولأجلهم أقّس أنا ذاتي» (يو ١٧: ١٩)؛ أما سفر العبرانيين فقد خصص أصحابات بكاملها قَدَّم فيها المسيح في هذه الوظيفة السرية العظمى التي نالها من قبل الله بقَسَمٍ داعياً إياه رئيس كهنة الخيرات العتيدة، القادر أن يشفع ويخلص إلى التمام.

+ وكما يكشف إنجيل ق. يوحنا عن روحانية العبادة وترفعها عن مستوى الحسيات والزمنيّات: «الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٤)؛ هكذا ارتفع سفر العبرانيين بالعبادة من «قرايين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم. وهي قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الإصلاح» (عب ٩: ٩ و١٠)، ارتفع إلى «المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة.» (عب ٩: ١١)

+ كما نلّمح في الفكر اللاهوتي لإنجيل القديس يوحنا حقيقة أن المسيح «كفارة» لخطايا العالم كله: «وإن أخطأ أحد فلنا شفيح عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة *ἵλασμός*

لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (٢يو١: ٢و١). وهذا هو عمل رئيس الكهنة بالتحديد القاطع؛ كذلك نجد أن الفكر اللاهوتي لسفر العبرانيين يقوم أساساً على عمل المسيح الكفّاري كرئيس كهنة.

+ وفي إنجيل ق. يوحنا يتمركز اللاهوت حول حقيقة أن المسيح يعتمد على الآب كلبية في القول والفكر والمشيئة والعمل: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يو٥: ٣٠)؛ وهذا التمرکز اللاهوتي في شخص الآب يسود كل الفكر في سفر العبرانيين بلا استثناء.

### الرسالة الأولى لبطرس الرسول وسفر العبرانيين:

+ يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في التركيز الشديد على آلام المسيح كنموذج لما ينبغي أن تكون عليه حياتنا وخلصنا:

١بط٢: ٢١: «لأنكم لهذا دُعيتم، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته».

عب١٢: ٣: «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلؤوا وتخزوا في نفوسكم».

+ كذلك يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في التركيز على كون ذبيحة المسيح كانت على مستوى الطهارة الكلية فصار دم ذبيحته بلا عيب، ومن هنا يقوم سر قوته في التطهير الكامل!

١بط١: ١٨ و١٩: «عالمين أنكم اقتديتم لا بأشياء تفتى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح».

عب٩: ١٤: «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزيي قدم نفسه بلا عيب يطهر ضمائرکم من أعمال مية لتخدموا الله الحي».

+ كذلك أيضاً يشترك بطرس الرسول مع سفر العبرانيين في الاحتفاظ بمفهوم الكهنوت في العهد الجديد على أساس روحي صرف وعلى الذبائح إنما على أساس روحي صرف أيضاً:

١بط٢: ٥: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيّة بيتاً روحياً (عوض هيكل أورشليم) كهنوتاً مقدساً (عوض الكهنوت اللاوي) لتقديم ذبائح روحية (عوض ذبائح الحيوانات) مقبولة عند الله بيسوع المسيح».

عب ١٣: ١٥: «فلنقدم به (كرئيس كهنة وبذبيحة نفسه) في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه».

### رسائل بولس الرسول وسفر العبرانيين:

يلزم هنا أن نؤكد أن الرسالة إلى العبرانيين معتبرة في التقليد اللاهوتي الإسكندري أنها للرسول بولس. ونحن نأخذ بهذا التقليد، غير أننا نرى أن الرسالة إلى العبرانيين إن كان فيها جديدًا بالنسبة لرسائل بولس الرسول فهو لا يتعارض معها، ونعزو هذا إلى تخصص هذه الرسالة في محتواها وهدفها للعبرانيين فقط، لذلك لا عجب أن يكون فيها عناصر جديدة أكثر ملاءمة لليهود المنتصرين مما لمسيحيي الأمم، مثل إعطاء المسيح وظيفة جديدة تماماً لم ترد في كل رسائله الثلاث عشرة الأخرى وهي وظيفة رئيس الكهنة، الأمر الذي يصعب على مسيحيي الأمم إدراك عمقه، لأن هذه الوظيفة تأخذ معناها ومبناها وأهميتها وعظمتها من الطقس الذي يدركه اليهود جيداً ولا تدركه الأمم.

كذلك، فبينما نجد المبدأ اللاهوتي الذبائحي وبالأخص الكفاري — وهو اختصاص رئيس الكهنة في الطقس — سائداً بالدرجة الأولى في الرسالة إلى العبرانيين، نجده مخفياً ومتقلصاً تماماً في الفكر اللاهوتي لبقية رسائل القديس بولس الرسول، إذ لا يذكر فيها بولس الرسول كلمة «الكفارة» إلا مرة واحدة جاءت في الرسالة إلى أهل رومية (٣: ٢٥)، بل وكلمة «الذبيحة» لم تأت في سائر رسائل بولس الرسول الثلاث عشرة إلا مرة واحدة في الرسالة إلى أفسس (٥: ٢)، وفي معنى ذبيحة السرور وليس الكفارة!! وليس هذا تقصيراً في منهج الرسائل الثلاث عشرة فهي كلها لكنايس الأمم المنتصرين، حيث القيمة الذبائحية معدومة على المستوى التطهيري والتقيدي عند الوثنيين.

والملاحظ أن سفر العبرانيين يخلو من قضيتين لاهوتيتين تقعان في رسائل بولس الرسول موقع العصب الذي يشد أزر المنهج اللاهوتي كله وهما: مفهوم «الحلول» حيث يحل المسيح في القلب ويملاً الحياة، ومفهوم «الاتحاد بالمسيح»، إذ لا نجد أي أثر لاصطلاح «في المسيح» و«مع المسيح» في الرسالة إلى العبرانيين. ولا غرابة في ذلك، فالرسالة إلى العبرانيين مكتوبة ومرسلة لقوم تخلخل إيمانهم بالمسيح وكانوا على وشك الارتداد إلى اليهودية، فمن أين يحكي لهم عن المسيح الساكن فيهم؟ أو عن اتحادهم بالمسيح؟ فهذه خبرات حرموا نفوسهم منها بسبب ابتعادهم عن الصلاة (عب ١٠: ٢٥)، وبسبب انسداد آذانهم عن التعليم: «إذ قد صرتم متباطئي المسامح، لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلمكم أحد ما هي أركان براءة أقوال الله وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي!!» (عب ٥: ١١ و١٢)

ولكن إزاء هذه الفروقات، نجد الاتفاق بين فكر الرسائل الثلاث عشرة وفكر الرسالة إلى العبرانيين كثير التطابق:

+ في أمر ضعف الناموس وتوقف سلطانه بمجيء المسيح الذي أفرغه من محتواه:

رو٣: ٢٠: «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه. لأن بالناموس معرفة الخطية».

عب ١٠: ١: «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة (الكفارة) التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون».

+ كل من الرسائل الثلاث عشرة وسفر العبرانيين يضع أورشليم السماوية في مقابل سيناء ليوضح الانتقال من المثال τύπος إلى الأصل ἀρχέτυπος، ومن الشبه إلى الصورة، ومن الظل إلى السموات عينها ومن الرمز إلى الحقيقة:

غل ٤: ٢٤-٢٦: «وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان، أحدهما من

جبل سيناء الوالد للعبودية (تحت الناموس) الذي هو هاجر، لأن هاجر جبل سيناء في العربية (إسماعيل) ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنينا (تحت الناموس). وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً (إسحق والموعد) فهي حرّة».

عب ١٢: ١٨ و ٢٢ و ٢٣: «لأنكم لم تأتون إلى جبل (سيناء) ... بل قد أنتم إلى

جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات».

+ كذلك نجد أن الرسائل الثلاث عشرة تتفق مع سفر العبرانيين في وصف طاعة المسيح المنسحق التي جلبت الخلاص في مقابل عدم طاعة آدم التي جلبت القصاص:

رو ٥: ١٩: «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً».

عب ٥: ٩ و ٨: «مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي».

وفيما عدا ذلك، ينطبق الفكر اللاهوتي في الرسائل الثلاث عشرة مع مثيله في لاهوت سفر العبرانيين فيما يخص لاهوت المسيح الكامل، وكل صفاته الإلهية بغير نقصان: من بنوة ذاتية لله، وخلقته للعالم، إلى ارتفاع وتفوق فوق الملائكة، وكل خليفة مهما كانت في الأرض والسماء، وتكميله الفداء على الأرض وفي السماء، وجلوسه عن يمين عظمة الله في السموات، وتشفيعه الدائم لتكميل الخلاص، ثم قوة دمه الفعّال بالروح الأزلي الذي فيه بصورة دائمة، للتطهير والتقديس وكطريق مكرّس للمفديين به للدخول أمام الله إلى أقداس الله في السموات. ويذكر سفر العبرانيين شركة الروح القدس دون التوقف على عمل الروح القدس. كما يذكر الإفخارستيا ذكراً عابراً باعتبارها الأكل من السر المقدم على مذبح الله، كما يذكر استنارة المعمودية والحصول على مواهب الدهر الآتي هنا في هذا الدهر.

غير أنه يعوز سفر العبرانيين التقنين السري الكامل للفكر اللاهوتي عن الكنيسة كجسد المسيح، غير أنه ألمح إلى كونها بيت الله وذلك في اختصار شديد: «وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ٦)

كما يخلو المنهج اللاهوتي لسفر العبرانيين من استعلان نوال بر الله في المسيح الذي يُعتبر أساس الفكر الخلاصي في بقية الرسائل. فالتركيز على الله في ذاته هو السمة الغالبة على سفر العبرانيين أكثر من التركيز على المسيح<sup>(٤)</sup>. ولقب يسوع أكثر وروداً من لقب المسيح، فانشغال السفر ينحصر أكثر في العمل البشري للمسيح.

وفي الختام نحن نحمل لسفر العبرانيين الفضل في التفرد أكثر من جميع الأسفار في إطلاق صفة «الله» وأضحى صريحة على المسيح في بساطة وهدوء دون أي تشكيك: «وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك.» (عب ١: ٨)

4. H.W.Montefiore, *op. cit.*, p. 6.

## الفصل الثالث

### دراسة تمهيدية عن النبوة والأنبياء

في الآية الأولى والثانية من الأصحاح الأول تقدّم الرسالة ما يُعتبر مقارنة بين استعلان الله في القديم للآباء بالأنبياء بطرق وأنواع كثيرة، وبين استعلان الله لنا في هذه الأيام في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.

والشيء الذي أحجمت عنه الرسالة إحجاماً كلياً هو أنها لم تعط أي بيان عن ما هو الاستعلان الذي قدّمه الله في القديم للآباء بالأنبياء، وما هي هذه الطرق والأنواع الكثيرة التي قدّم الله بواسطتها الاستعلان قديماً. ولكن الرسالة محقّة كل الحق في أن لا تقدم شيئاً بالمرّة عن ماهية هذا الاستعلان القديم ولا وسائله ولا ظروفه أو طرقه وأنواعه لأن الرسالة مكتوبة للعبرانيين، أي اليهود أصحاب التوراة وأصحاب هؤلاء الأنبياء، الذين عاشوا حقيقة هذا الاستعلان بكل محتواه التاريخي والإلهي، فهو مضمون عبادتهم ومصدر افتخارهم.

ولكن ما بال حالنا نحن، ونحن لسنا عبرانيين والقليل ممّن قرأ أسفار العهد القديم عن وعي، ولا نقول دَرَسَهَا، حتى يمكن أن نأخذ بواقع الرسالة ونعبر على موضوع استعلان الله في القديم للآباء بالأنبياء دون أن نناقشه.

لذلك وجدنا أنه لكي يكون القارئ المسيحي المعاصر على وعي باستعلان الله في هذه الأيام في ابنه، يتحتم علينا أن نعطي قدراً كافياً من التوضيح لاستعلان الله بالأنبياء في القديم. لأن مضمون الرسالة — كما سوف يراها القارئ — يقوم على أساس المقارنة بين نقص الاستعلان في القديم بالأنبياء إزاء كمال الاستعلان في المسيح، وكان ذلك هدف الرسالة عند ق. بولس ليقنع هؤلاء العبرانيين المترعزين بأفضلية الإيمان بالمسيح عن موسى والأنبياء.

لذلك نحن نبدأ هنا بتقديم دراسة مختصرة عن استعلان الله في القديم بالأنبياء ليكون لدى القارئ الأساس الذي يمكن أن يستوعب على أساسه المقارنة التي نخوضها الرسالة لتبيان أفضلية الإيمان بالمسيح عن موسى والناموس والأنبياء.

## العناصر الأساسية للدراسة:

- ١ - ما هي النبوة؟
- ٢ - مَنْ هم الأنبياء؟
- ٣ - وظيفة الأنبياء.
- ٤ - النبي الصادق، والنبي الكاذب.
- ٥ - علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيح.
- ٦ - الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبوتهم.
- ٧ - توقف النبوة، وانتهاء عصر الأنبياء.

## أولاً: ما هي النبوة؟

النبوة προφητεία وتعني ما يُعلن عن مشيئة الله. كذلك، فالنبوة هي أيضاً الاستعلان revelation، وباليونانية: ἀποκάλυψις، وهي من مقطعين: ἀπο- يرفع، καλύπτω وتعني يحيط بـ أو يغطي، حيث يأتي بمعنى حجاب المرأة καλύπτρα.

لذلك فالنبوة هي رفع الغطاء أو القناع عن شيء أو سر مخفي. والنبوة عمل يختص بوعي الإنسان حيث يفتح الوعي ليكشف ما كان مخفياً عن الفهم الطبيعي للإنسان.

أي أن النبوة هي موهبة فائقة للطبيعة فيها يفتح وعي النبي لمعرفة الأمور الفائقة عن طبيعة العقل والمدركات البشرية، أو بمعنى أكثر وضوحاً، الانفتاح على المجال الإلهي لمعرفة مشيئة الله. ولهذا فإن سفر الرؤيا الذي يختص برؤيا يوحنا اللاهوتي فيما يخص عمل الله في الأيام الأخيرة، دُعي الأبوكاليبسيس ἀποκάλυψις.

ومعروف أن هذه الموهبة، أي النبوة، ليست من أعمال البشر الإرادية بل هي عمل الله المباشر في الإنسان، كما يقول بطرس الرسول بوضوح: «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان؛ بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين. من الروح القدس.» (٢بط ١: ٢٠ و٢١)

ونحن إذا أردنا أن نحدد معنى وعمل النبوة التي تأتي بسياق من الروح القدس نجد أن سفر الرؤيا حدّدها بصورة علنية مبدعة بقوله إنها هي الشهادة للمسيح، هكذا:

+ «فخررت أمام رجله (الملاك) لأسجد له، فقال لي: انظر لا تفعل، أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع. اسجد لله. فإن شهادة يسوع هي روح النبوة!!» (رؤ ١٩: ١٠)

ومنها يتضح أن كل النبوات التي ساقها الروح القدس في الأسفار على يد الأنبياء إنما هي لـ «شهادة يسوع»!! أو بمعنى آخر فإن كل نبوات الكتاب تصبُّ في الشهادة ليسوع المسيح واستعلان شخصه وعمله.

وهنا تصيح المقابلة ويصبح الربط بين ما تكلم الله به للآباء بالأنبياء قديماً وبين ما تكلم به لنا في هذه الأيام في ابنه، وحدة واحدة غير منقسمة، كحقيقة مستلنة قديماً بالأنبياء فيما يخص المسيح جزئياً تمهيداً لاستعلانها كلياً في المسيح المستعلن كابن الله. ومن المواصفات المبدعة للعلاقة بين استعلان المسيح بالنبوة في الأسفار القديمة واستلانه بالتجسد والظهور العلني كإنسان في الإنجيل، ما يقدمه لنا بطرس الرسول أيضاً مشبهاً إياها بمصباح كان يضيء في الليل بالنسبة لشمس أشرقت بطلوع الفجر:

+ «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح (المسيح) في قلوبكم.» (٢بط ١: ١٩)

بمعنى أنه على الذي يريد أن يتعرف على حقيقة استعلان المسيح باعتباره «الله ظهر في الجسد»، أن يتتبع النبوات من البدء بتدقيق - وفي خضوع وتقوى وصلاة، وسوف يقوده الروح القدس المتكلم في هذه النبوات خطوة خطوة حتى يشرق في قلبه الإيمان بحقيقة المسيح كانبثاق نور النهار بعد عتمة الليل.

والمسيح يؤكد ذلك ويشبّهه بالتعليم الذي لقّنه لتلميذي عمواس بعد القيامة عندما جدّهما في الطريق عابسين يتطرحان هومهما كيف مات المسيح الذي كان عليه رجاء إسرائيل وهوذا له ثلاثة أيام في القبر، إذ لم يكونا قد سمعنا بالقيامة:

+ «فقال لهما: أيها الغبيّان والبطيّان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي (يتحتّم) أن المسيح يتألّم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى، ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.» (لو ٢٤: ٢٥-٢٧)

بهذا التعليم الإلهي الذي قدّمه المسيح لتلميذي عمواس تسجّل منهم الكنيسة اللاهوتي على



مدى العصور في دراسة حياة المسيح، والذي يتلخص بحسب كلام المسيح كالأتي:

- ١ - الإيمان الواعي المنفتح بقلوب ناشطة وبمتهدة للإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء باعتبار أنها تخص المسيح كلياً وبلا شك.
- ٢ - التعرف على أهمية آلام المسيح كما جاءت في النبوات كمدخل حتمي للدخول إلى مجده.
- ٣ - إن أسفار موسى تدخل في مضمونها العملي والتفسيري كجزء أساسي في تفسير حقيقة استعلان المسيح.
- ٤ - إن جميع ما قاله الأنبياء يدخل في صلب اختصاص المسيح باعتبار أنها تنتهي إليه وتأخذ معناها منه.
- ٥ - إن جميع الأسفار المقدسة المعروفة في العهد القديم جزء لا يتجزأ من حقيقة استعلان المسيح.

### ما معنى هذا؟

معناه أن تاريخ العهد القديم كله مصوغ على إيقاع النبوات، فلم تأت النبوة على هامش التاريخ، سواء تاريخ الحوادث العظمى كالطوفان، ودعوة إبراهيم، وانقلاب سدوم وعمورة، والخروج من مصر، وامتلاك الأرض بما عاصرها من حروب، أو تاريخ القضاة ثم الملوك، أو خراب أورشليم والسبي البابلي الحزين. بل إنه في الحوادث العظمى كالحوادث الصغرى تقف كلمة الله على فم الأنبياء ممسكة بأعنة الحركات العظمى والصغرى لتصنع منها تاريخاً، وإن تعددت أحقابها وأشكاله وأهواله، فهو يخضع بضغظ إلهي فائق لكلمة الله التي ينطقها الأنبياء في حينها لتوجه التاريخ نحو هدف واحد يسير نحوها برتابة وانسجام يفوق حد التصور: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.» (مت ٤: ١٧)

وعلى طول المدى كانت كلمة الإلهام تتحقق بدقة وثيقة في تاريخها الذي سبق وحدته، هذا عبّر عنه المسيح بقوله: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون.» (يو ١٤: ٢٩) وهكذا يأتي التاريخ دائماً مضداً للنبوة، وهو يوثقها باعتبار النبوة صانعة التاريخ حقاً وبلا منازع.

•

ولعل من روائع الفكر التقليدي اليهودي القديم الذي لم يكن يخلو من إلهام، أن اعتبر كتبه اليهود أسفار يشوع والقضاة (صموئيل) والملوك أنها «أسفار الأنبياء الأوائل»، مع أن التاريخ واضح أنه هو سمتها الأولى بحسب الفكر الساذج. ولكن اكتشف اليهود أنه لم يكن كاتب هذه الأسفار يسجل حوادث للتاريخ بقدر ما كان وجدانه منشغلاً بالدرجة الأولى بالإلهام النبوي الذي

ينسج من حوادثها استعلانات لمراحم الله القدير وسلطانه مع توقيعات متقنة للنبوات وهي تأخذ مجراها ومرساها على مدى الزمن.

وهكذا تأتي أسفار العهد القديم بحسب مظهرها سجلات لحوادث وأسماء طواها الزمن، ولكن بحسب حقيقة صياغتها وجوهر الروح الذي وقَّعها وربَّتها هي عند أصحاب العيون المفتوحة على كلمة الله والقلوب الواعية لحركات الروح «نبوات»، قالها الله فكانت وبقيت كائنة تشهد في عمق الزمن لعمل الله الفائق عن الزمن. وهكذا يصحُّ لنا القول أن الكلمة النبوية هي روح التاريخ، ليس تاريخ إسرائيل وحسب، بل وتاريخ كل الأمم والعالم. فإن استثنينا النبوة من التاريخ مات التاريخ وأصبح مزيجاً من رمم وحجارة، ووثائق محفوظة في المتاحف.

لذلك نحن نعجب من علماء هذا العصر الذين ينادون بـ «مسيح التاريخ»، الذين أرادوا بهذه التسمية أن يمددوا من حجم المسيح فنسبوه للتاريخ، معتبرين أن كل ما يوافق التاريخ عليه من جهة المسيح يكون هو الصحيح في المسيح، غير عالمين — بسبب غياب كلمة الإلهام والنبوة عنهم وبالتالي روح التاريخ — أن التاريخ هو المنسوب للمسيح، وكل ما يتفق مع المسيح من التاريخ يكون هو التاريخ. فالمسيح كما هو رب السبت هو رب التاريخ برؤيته، أما إن تعارض فيكون التاريخ قد فقد مضمونه الإلهي والإنساني معاً وتحول إلى سجلات لحضارات قامت وذوت وتاريخ جماعات وأفراد تملأ أضياب (\*) المتاحف ودور الكتب.

فإن كان عند مؤرخي العالم أن فلسفة التاريخ تنحصر فيما تؤول إليه من عبثٍ وحكمٍ ونصائح، فعند دارسي التاريخ على ضوء استعلانات الله في كلماته على فم الأنبياء يكون التاريخ هو الميدان المفتوح الذي يسجل فيه الله عنايته ورحمته وسلطانه وبجده الأسنى، ما يتجه بالتاريخ نحو غاية واحدة هي فداء الإنسان وخلصه وإلباسه ثوب البرِّ ليصير لانقاً لحياة الأبد في ملكوت الله.

من هذا نفهم أن كل نبوة جاءت في القديم على فم نبيٍّ إنما كانت حركةً توقيعيةً حيةً على صفحة الزمن تركت خلفها صياغة تاريخية ذات معنى وذات قصد وذات هدف، وأن النبوات جميعاً هي توقيعات حية على مدى الزمن، صنع منها التاريخ نسيجاً مقروءاً، والذي يُحسن فهمه يبلغ هدفه لا محالة. فإذا أدركنا أن معنى النبوة الصادقة وهدفها هو استعلان الله، أدركنا في الحال أن التاريخ حتماً ينتهي بالمسيح حيث استعلان الله النهائي والكلّي، وأن دور الأنبياء هو التوقيع بالحروف الأولى لاسم المسيح المقروء بالكامل في الإنجيل!

## ثانياً: مَنْ هم الأنبياء، وعددهم

أ – النبي هو المتكلم بضم الله:

بحسب تعريفنا للنبوة يكون النبي هو الذي يستعلن قول الله أو الذي يتكلم بضم الله، وهذا موافق تماماً لقول إشعياء النبي في نبوته في الأصحاح الأول: «اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض ... إن شئتم وسمعتن تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم». (إش ١: ٢٠ و ١٩ و ٢٠)

إذا فالنبي هو الذي يسمع قول الرب بأذنه الروحية المفتوحة، ويرى رؤيا القدير بعينه المكشوفة، ويتكلم بما يسمع، ويخبر بما يرى، ليعطي رسالة استعلان عن فم الله مسموعة ومنظورة.

وقد ترجمت السبعينية كلمة «النبي» بالعبرية إلى كلمة προφήτης<sup>(١)</sup>، وهي تعني «واحد يتكلم عن الله»، وجذورها مأخوذة من كلمة φημι وتعني بحسب القاموس اليوناني: صوت من السماء، أما προ فهي تفيد: نيابة عن. وهكذا تعطينا الترجمة السبعينية المعنى الدقيق المشروح جاهزاً في ترجمتها لكلمة نبي = بروفيتيس = أي المتكلم نيابة عن الله. وهذا يطابق تماماً قول الرب لإرميا النبي:

+ «فقال الرب لي: لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل مَنْ أرسلك إليه تذهب، وتتكلم بكل ما أمرك به». (إر ١: ٧)

+ «لذلك هكذا قال الرب: إن رجعت أَرْجِعْكَ فَتَقِفْ أَمَامِي، وإذا أخرجت الثمين من الرذول فمثل فمي تكون». (إر ١٥: ١٩)

وهذا نبي آخر يشهد كيف يتكلم الأنبياء فيقول زكريا النبي.

+ «فأبوا أن يصغوا وأعطوا كتفاً معاندة وثقلوا آذانهم عن السمع؛ بل جعلوا قلوبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين. فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود، فكان كما نادى هو فلم يسمعوا، كذلك ينادون هم فلا أسمع قال رب الجنود». (زك ٧: ١١-١٣)

1. Liddell and Scott, *A Greek-English Lexicon*, Oxford, p. 859; Freeman, *An Introduction to the Old Test. Prophets*, p. 39.

على أن النبي حينما يسمع في داخله صوت الله يتكلم، تنجس كل طاقات فكره وتتوقف مع عقله ومشاعره كأنها أمام أسد قد زجر فجأة، وهذا بشهادة نبي يشهد بذلك:

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء. الأسد قد زجر فَمَنْ لا يخاف، السيد الرب قد تكلم فَمَنْ لا يتنبأ.» (عز ٣٤: ٨ و٧)

+ «ويل لي أنني هلكت ... لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود.» (إش ٦: ٥)

فلما زجر أمضيا الكاهن عاموس النبي لكي لا يتنبأ على الملك فرغ فيه ذاك:

+ «فأجاب عاموس وقال لأمضيا: لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي؛ بل أنا راع وجاني جيز، فأخذني الرب من وراء الضأن وقال لي الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل.» (عز ٧: ١٥ و١٤)

وهنا يُظهر عاموس النبي بتعبير عملي رائع أن النبوة ليست عملاً إرادياً ولا ادعاءً؛ بل هي أمر تكليف من الله، لا يملك إلا أن ينفذه صاغراً وطائعاً معاً.

وأظهر ما في النبي هي الأذن المفتوحة التي يسمع بها كلام الله — كرمذ — وهذا واضح من حياة صموئيل النبي:

+ «والرب كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاوول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين فامسحه رئيساً لشعبي إسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين.» (١ صم ٩: ١٥ و١٦)

ولكن على العموم، فإن حالة النبي حينما تأتيه النبوة لا يكون في وضعه الطبيعي، فالنبوة بصوتها ورؤيتها تأتيه من الخارج كطاقة جارية تغزو نفسه الداخلية فيتوقف فكره الطبيعي، أي عقله الذي يعمل عن طريق المخ، إذ يفتح وعيه الروحي النفسي فيلغي حركة الفكر الطبيعي. ومن هنا لا يستطيع النبي الصادق أن يزيد على أو يقلل مما يسمعه أو يراه. فالنبوة ليست موهبة طبيعية؛ بل هي تكليف لا يتبع إرادة أو مواهب الإنسان الطبيعية.

ب — النبي هو «الرائي» أيضاً في اعتبار العهد القديم:

واضح هنا أن الاسم متصل بالعين المفتوحة، فإن كان «النبي» يسمع ويتكلم فـ «الرائي» يرى ويصف. على أن صاحب الوعي المفتوح على السماع يكون أيضاً مفتوحاً على الرؤيا، وقد اعتاد شعب إسرائيل في البداية خاصة في أيام القضاة أن يقولوا على النبي أنه رائي:

+ «سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يُدعى سابقاً الرائي = ο βλέπων.» (١ صم ٩: ٩)

وظلّ أيضاً اسم "الرائي" سارياً حتى آخر عصر الأنبياء، ونحن نسمعه في سيرة عاموس النبي مرادفاً لكلمة النبي:

+ «فقال أمّضيا لعاموس: أيها "الرائي" اذهب اهرب إلى أرض يهوذا وكنّ هناك خبزاً وهناك تنبأ (يهده)، وأما بيت إيل فلا تُعدّ تنبأً فيها بعد لأنها مقدّس الملك وبيت الملك.» (عا ٧: ١٢ و١٣)

كذلك نجد اسم الوظيفتين معاً هكذا:

+ «ولما قام داود صباحاً كان كلام الرب إلى جاد النبي رائي داود قائلاً: اذهب وقُلْ لداود هكذا قال الرب...» (٢ صم ٢٤: ١١ و١٢)

+ «وأمر داود الأوّل والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي، وأخبار ناتان النبي، وأخبار جاد الرائي.» (١ أي ٢٩: ٢٩)

أما النبي أو الرائي فلم يكن في استطاعته أن يغيّر حرفاً واحداً مما يسمع أو يحوّل منظرأً صعباً يراه بأن يلفظه أو يهوّن من رعبه، لذلك نسمع كيف ملّ الشعب رؤية الرائين ومناظر الناظرين مما ساء في عينيّ الله فكلمّ إشياع هكذا:

+ «لأنه شعب متمرد، أولاد كذبة، أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب الذين يقولون للرائين لا تروا (حيث الرائي تأتي بالعبرية = Roch) وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات (حيث كلمة ناظر تأتي بالعبرية = hozeh)، كلمونا (نبوة) بالناعمات انظروا (منظر أو رؤية) مخادعات (كالأنبياء الكذبة)، حيدوا عن الطريق، ميلوا عن السبيل، اعزلوا من أمامنا قدوس إسرائيل.» (إش ٣٠: ٩-١١)

ونحن نقرأ في سفر العدد الأصحاح (٢٢) وما بعده، كيف استدعى بالاق بن صفور ملك موآب نبياً من آرام اسمه بلعام وهو وثني ليلعن له شعب إسرائيل، فكان جواب بلعام:

+ «فأجاب بلعام وقال لعبيد بالاق: ولو أعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهي لأعمل صغيراً أو كبيراً... أما الذي يضعه الرب في فمي أحترص أن أتكلّم به... لا أقدر أن أتجاوز قول الرب لأعمل خيراً أو شراً من نفسي، الذي يتكلمه الرب إياه أتكلّم... ثم نطق بمثله وقال وحي بلعام بن بعور وحي الرجل

«المفتوح العينين» وحي الذي «يسمع أقوال الله» ويعرف معرفة العلي، الذي «يرى رؤيا القديس» ساقطاً (ممدوداً على الأرض) وهو مكشوف العينين، أراه ولكن ليس الآن (المسيح)، أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز كوكب من يعقوب («أنا يسوع ... أنا أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير» رؤ ٢٢: ١٦) ويقوم قضيب (ملك) من إسرائيل ...» (عد ٢٢: ١٨؛ ٢٣: ١٢؛ ٢٤: ١٣ و١٥-١٧)

واضح أن هذا النبي كانت له قدرة أن «يسمع ويرى»، وهو منطرح على الأرض مفتوح العينين! ومفتوح الأذنين!!

من هذا نفهم أن الأمم لم تخلُ من أنبياء حازوا على درجة كبيرة من الحكمة والقدرة على التنبؤ، فالله لم يرحم الأمم من هذه الموهبة ومن معرفتهم إياه، وكانت نبوتهم تُخدم بدورها تنوير الشعوب عن حقيقة الله<sup>(٢)</sup>. وأروع مثل لذلك هو أيوب وأصدقاؤه، فهؤلاء جميعاً كانوا على درجة الأنبياء لبني المشرق (أي ١: ٢٠). واعتماداً على التلمود اليهودي فإنه كان يوجد سبعة أنبياء كانوا يتنبأون للأمم وهم بلعام وأبوه بعور، أيوب الملقب بالصدّيق، أليغاز التيماني، بلدد الشوحي، صوفر النعماني، أليهو البوزي<sup>(٣)</sup>.

ولكن بالرغم من ذلك فقد امتاز شعب إسرائيل عن كافة الأمم بحضور الله معهم بصورة جليّة ملموسة: «فقال (الرب لموسى): وجهي (أقنومي) يسير فأريحك. فقال له (موسى): إن لم ييسر وجهك فلا تُصعِدنا من ههنا، فإنه بماذا يُعلم أنني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك، أليس بمسيرك معنا فتمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك باسمك.» (خر ٣٣: ١٤-١٧)

ولكن الذي يلفت نظرنا قول بلعام مرتين: «لا أقدر أن أتجاوز قول الرب ...»، كذلك: «الذي يضعه الرب في فمي أحترص أن أتكلم به»، «الذي يتكلمه الرب إياه أتكلم».

هنا واضح لنا أن دخول النبي في حالة النبوة أو الرؤيا يُفقدته كل إمكانياته الشخصية في

2. Arthur Weiser, *The Old Testament. Its Formation and Development*, p. 292-293.

3. Freeman, *op. cit.*, p. 20, v.11.

See John Bowman, "Prophets and prophecy in Talmud and Midrash", *Evangelical Quarterly*, XXII, No. 2 (April 1950, 107-108).

التحكّم فيما ينطق به الله في فمه، فما يتكلّم به الله يتكلّم به النبي قولاً بقول، ولكن عن رضى وخضوع وإذعان واجف، وامتنال محكوم.

### ج - النبي هو رسول رب الجنود:

حيث كلمة «رسول» بالعبرية هي «مالاك» (malak) وتستخدم للتعبير عن الملاك وعن الرسول سيّان. فملائكة السماء هم رسل الرب الروحيون. كذلك الأنبياء فهم رسل استعلان لكلمة الله، أي لتوصيل رسالة الله: «حيثذ سمع زربابل بن شألتيثيل ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وكل بقية الشعب صوت الرب إلههم وكلام حجّي النبي كما أرسله الرب إلههم وخاف الشعب أمام وجه الرب. فقال حجّي رسول الرب برسالة الرب لجميع الشعب قائلاً أنا معكم يقول الرب.» (حج ١: ١٢ و١٣)

ومعروف أن الأنبياء كانوا معتبرين أنهم رسل من قبل رب الجنود، لذلك كانت لهم هيبه، ولكن في الأيام الأخيرة لما استهانوا بقدوس إسرائيل استهزأوا بأنبيائه وضاعت هيبه الرسل: «فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً، ومرسلاً، لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزأون برسول الله وردلوا كلامه (النبوات) وتهانوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء.» (أى ٢: ٣٦ و١٥ و١٦)

وفي نبوة ملاخي النبي يذكر علامة مجيء الرب بإرسال رسوله (إيليا): «هأنذا أرسل ملاخي (رسولي، إيليا النبي) فيهيء الطريق أمامي. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك (رسول) العهد الذي تُسرون به ...» (ملا ٣: ١)

### د - النبي هو «عبيدي»:

العبد هنا هو أقوى تعبير عن الملكية المطلقة، فهو تعبير تكريمي بالدرجة الأولى لشدة وقرب علاقة الإنسان بالله، فإن كان النبي هو رسول رب الجنود فهو المؤمن على كلمة الله والرسالة للآخرين، وأما النبي كعبد لله فهو المخصّص لخدمة الله الخاصة وليست للآخرين فهو يملك لذات الله، لذلك فهو لقب تقديسي، لأن التخصّص لله هو القداسة بعينها في إطار المحبة:

+ «لا تكونوا كأبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون قائلين: هكذا قال رب الجنود ارجعوا عن طرقكم الشريرة ... فلم يسمعوا ... أبأؤكم أين هم؟ والأنبياء هل أبدأ يحيون؟ ولكن كلامي وفرائضي التي أوصيتُ بها عبيدي الأنبياء أفلم تدرك آباءكم ...» (زك ١: ٤-٦)

- + «وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راعٍ قائلاً: ارجعوا عن طرقكم الرديّة واحفظوا وصاياي، فرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء.» (٢مل١٧: ١٣)
- + «فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكراً كل يوم ومرسلاً، فلم يسمعو لي ولم يميلوا أذنه بل صلبوا رقابهم، أساءوا أكثر من آباؤهم.» (إر٧: ٢٥ و٢٦)

هـ - النبي هو «رجل الله»:

- رجل الله هو لقب الاختيار عن لياقة وكمال يليق بإنسان ينتسب إلى الله. سمعناه أول ما سمعناه عن موسى الذي كان يكلمه الله وجهاً لوجه!!
- + «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته ... ولم يقم بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه.» (تث٣٣: ١٠ و٣٤: ١٠)

ثم عن صموئيل النبي وإيليا وأليشع:

- + «فقال شاول لغلامه كلامك حسن. هلم نذهب، فذهبنا إلى المدينة التي فيها رجل الله ... وفيما هما آتيان في وسط المدينة إذا بصموئيل خارج للقائهما ...» (١صم٩: ١٠ و١٤)
- + «فقال لهما ما هي هيئة الرجل الذي سعد للقائكم وكلمكم بهذا الكلام؟ فقالوا له إنه رجل أشعر متنطقٌ بمتطقة من جلد على حقويه. فقال: هو إيليا التشبي. فأرسل إليه رئيس خمسين مع الخمسين الذين له فصعد إليه وإذا هو جالس على رأس الجبل. فقال له يا رجل الله الملك يقول انزل. فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلت نار ...» (٢مل١: ٧-١٠)
- + «وانطلقت (المرأة الشوفية لما مات ابنها) حتى جاءت إلى رجل الله (أليشع النبي) إلى جبل الكرمل فلما رآها رجل الله ...» (٢مل٤: ٢٥)

وبالنهاية نرى أن صفات الأنبياء عموماً تحييء كصورة رمزية باهتة أو كنبوة في حد ذاتها تحمل الإطار الخارجي المنظور من بعيد لجوهر الصفات التي حملها لنا الابن بتجسده كوسيط وحيد بين الله والناس.



## جدول بأسماء الأنبياء الواردة في الأسفار المقدسة مع أزمنة نبوتهم والملوك المعاصرين لهم

الأنبياء		قبل انقسام المملكة		التاريخ ق.م.	
صموئيل وناثان وجاد وأخيا		في عصر الملوك شاول وداود وسليمان		١٠٥٠-٩٣٣	
الأنبياء	الملوك	التاريخ	الأنبياء	الملوك	التاريخ
أنبياء إسرائيل	ملك إسرائيل	٩١١-٩٣٣	شمعيا	رجعم	٩١٦-٩٣٣
أخيا	يربعام	٩١٠-٩١١		أبيام	٩١٣-٩١٦
	ناداب	٨٨٧-٩١٠	عزريا - حناني	آسا	٨٧١-٩١٢
	ابعشا	٨٨٦-٨٨٧			
	إيلة - زمري	٨٧٥-٨٨٦			
ميخا بن بلمة	عمري	٨٥٣-٨٧٥	ياهو بن حناني	يهوشافاط	٨٤٦-٨٧٠
إيليا	أخآب	٨٤١-٨٥٣	عوبديا	يورام - أخزيا	٨٤١-٧٤٨
أليشع	أخزيا - يورام	٨١٤-٨٤١		عثليا	٨٣٥-٨٤١
	ياهو	٧٩٨-٨١٤	يوئيل	يوآش	٨٩٦-٨٣٥
	يوآحاز	٧٨٧-٧٩٨	يونان	أمصيا	٧٨٢-٧٩٦
عاموس	يربعام الثاني	٧٤٧-٧٨٧		عزريا	٧٤٠-٧٨٢
هوشع	زكريا - شلوم	٧٣٥-٧٤٦	إشعيا	يوثام	٧٣٥-٧٤٠
	مناحيم - فصحيا	٧٣٢-٧٣٥	ميخا	آحاز	٧١٦-٧٣٥
	فائق	٧٢٢-٧٣٢			
	هوشع	٧٢٢			
السبي إلى آشور					
				حزقيا	٦٨٧-٧١٦
			ناحوم	منسى	٦٤٢-٦٨٧
				آمون	٦٤٠-٦٤٢
			صفنيا - إرميا	يوشيا	٦٠٩-٦٤٠
				يوآحاز	٦٠٩
			إرميا - حبقوق	يهوياقيم	٥٩٨-٦٠٩
			إرميا - حزقيال	صدقيا	٥٨٧-٥٩٨

أنبياء السبي وما بعد السبي		التاريخ (ق.م.)
إرميا - حبقوق - دانيال - حزقيال	السبي إلى بابل	٥٨٧-٥٣٥
حجّاي - زكريا (الحاكم زربابل)	العودة إلى أورشليم وبناء الهيكل	٥٣٥-٥١٥
ملاخي (الحاكم نحميا)	بناء أسوار أورشليم	٤٣٣

وواضح من هذا الجدول الزمني التاريخي<sup>(٤)</sup> أن الأنبياء ينقسمون إلى أنبياء ما قبل السبي، وأنبياء زمن السبي، وأنبياء ما بعد السبي وواضح أن الحقبة الزمنية التي استغرقتها النبوة في الكتاب حوالي ٦٠٠ سنة. ولكن في التقليد اليهودي ينقسم الأنبياء إلى أنبياء كتبة دُونُوا نبواتهم، بل إن نبواتهم جاءت تحت تأثير الكتابة، وهم ١٦ نبياً: أربعة منهم كبار (في حجم النبوة المدونة) وهم إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال. واثنا عشر من الصغار الباقين. وهؤلاء الأنبياء الكتابيون دامت حقبة نبواتهم حوالي ٤٠٠ سنة حتى ملاخي النبي الذي من بعده توقفت النبوة رسمياً حوالي ٤٠٠ سنة أيضاً حتى ظهور يوحنا المعمدان.

### ثالثاً: وظيفة الأنبياء

بحسب الكتاب المقدس، الأنبياء لا يُستون إلى وظائف الهيكل. ولكن بحسب إرسالياتهم الفائقة من السماء مباشرة كمرسلين من الله، فلهم هيمنة افتراضية فوق وظائف الهيكل بل وفوق وظائف كل الطوائف حتى الملوك، وذلك من واقع الجهة التي يمثلونها «رسول رب الجنود»، الصفة التي لا يحلم بها ملك أو كاهن أو حتى رئيس كهنة.

ولكن لكي نصح فكرياً سائداً عند الجميع نقول: إن النبي لا يفرضه الله ليعوض نقصاً في أداء الخدمات في وظائف الكهنة أو الحكومة أو الملك، فرسالته الرسمية هي إيجابية حتى ولو جاءت كلماته في صورة نقد وتوبيخ وإنذار، أو اتهام وتهديد. فالقصد الأساسي من رسالة النبي هو استعلان فكر الله الذي هو قائم في الأصل ومسجل في الشريعة والوصايا والفرائض. لذلك فرسالة النبي تتبع أصلاً من دستور التوراة ومن حقائق الشريعة؛ أي، بمنتهى الاختصار، استعلان حق الله

4. J.Douglas (ed.), *New Bible Dictionary*, second edition, p. 977; Walton, John H., *Chronological and Background Charts of the Old Testament*, Academic Books, Zondervan, 1978.

على كل مشول في الهيكل أو المملكة حتى الملك نفسه ولكن من واقع ما سبق وفرضته الشريعة.

ولكن بكثير من التمعّن والفهم، نجد موقع النبي محمداً في صلب الدستور الموسوي في الأصحاح (١٨) من سفر التثنية. فبعد أن أوجز وظيفة الكهنة اللاويين وموقعهم من الشعب، أكمل الله على فم موسى موقع «النبي» ولمّح على علو إمكانياته بما يفوق قدر الكهنة. ولكي نفهم ذلك علينا أن نقرأ بدقة من هذا الأصحاح:

+ «لا يكون للكهنة اللاويين — كل سبط لاوي — قسم ولا نصيب مع إسرائيل ... الرب هو نصيبه كما قال له، وهذا يكون حق الكهنة من الشعب ... تعطيه أول حنطتك وخرك وزيتك وأول جزاز غنمك لأن الرب إلهك قد اختاره من جميع أسباطك لكي يقف ليخدم باسم الرب هو وبنوه كل الأيام ...»

متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك ... من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقيسة ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل ذلك مكروه عند الرب ...، يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون ... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطلبه. » (تث ١٨: ١ — ١٩)

واضح هنا من كلام الله على فم موسى أن بدخول الشعب أرضه الجديدة سيجد شعباً تقامس العرافة أي معرفة الغيب والخفي أو التكهّن (عائف) أو التنظير أو السحر أو استخدام الأحجية والتعاويذ وهذه كلها محاولة لمعرفة ما هو فوق إدراك الإنسان من الأمور التي هي في سلطان الله وحده. لذلك ولكي يحقق الله لشعبه هذه الأمور الفائقة عين لهم مستقبلاً وعن يد نبي مثل موسى — أي من وسط الشعب — له هذه القدرات الفائقة، التي توفي بكل مطالب الشعب من جهة معرفة كل ما يعسر عليهم معرفته من أمور الله الخفية وإعلاناته<sup>(٥)</sup>.

وواضح هنا أن النبوة الحقيقية أو الحقّة والكاملة هي كما وصفها الله تماماً: «أجعل كلامي في فمه»، «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»، «لكلامي الذي يتكلم به باسمي». وطبعاً هذه المواصفات لم تتم على وجه الكمال المطلق إلاّ بمجيء المسيح ابن الله.

(٥) «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسياً الذي يقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء، قال لها يسوع أنا الذي أكلمك هو.» (يو: ٤: ٢٥ و٢٦)

ولكن الذي يهمننا في سياق حديثنا عن وظيفة النبي عامة هنا هو أنه يحقق ما لا يستطيع أن يحققه الكهنة!

أما إذا تأملنا في وظيفة «النبي» هنا، نجد أنها في الحقيقة لا تتناقض مع ما قدمه موسى الذي أعطى شرائع ووصايا وفرائض من كلام الله ومن فمه وكل ما أوصى به، ونقله للشعب باسم الله. ولكن السؤال هنا إذاً، ما ضرورة النبي هذا، بعد ما أعطى موسى كل ما أعطى؟ واضح هنا بلا لبس أو إبهام أن ما قدمه موسى بكل ما قدم يحتاج إلى توضيح وتكميل بل وإلى الكمال! ... هذا سيحاوله الأنبياء الذين سيرسلهم الله تبعاً مبكراً ومؤخراً. ولكن سيبقى عمل موسى وعمل كل هؤلاء الأنبياء ناقصاً نقصاً خطيراً، يشهد بذلك عدم استجابة الشعب وخروجه عن طاعة الله، بانتظار ذلك النبي الذي هو مثل موسى، كونه يأتي مشرعاً ولكن ليكمل حتى الكمال ما نقص من موسى ومن الأنبياء!!!

أما إفلاس الأنبياء جميعاً إزاء عصيان شعب إسرائيل وشروعه، فواضح جداً من كلام إرميا النبي الذي يضم صوته إلى صوت جميع الأنبياء هكذا:

+ «الكلام الذي صار إلى إرميا عن كل شعب يهوذا ... إلى هذا اليوم، هذه الثلاث والعشرين سنة صارت كلمة الرب إليّ فكلمتكم مبكراً ومكلاً فلم تسمعوا، وقد أرسل الرب إليكم كل عبده الأنبياء مبكراً ومرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع.» (إر ٢٥: ٤-١)

وباختصار بالغ استطاع إشعيا النبي أن يلتقط كلمات الله التي تلخص كل عمل الأنبياء هكذا:

+ «ناد بصوت عالٍ، لا تمسك، ارفع صوتك كبوق، وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم.» (إش ٥٨: ١)

وهذه صيحة ملاخي النبي كآخر صوت نبوة سمعه الشعب، حيث انطلقاً من بعده مصباح النبوة بانطفاء نور العهد القديم:

+ «اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتُ بها في حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام.» (مل ٤: ٤)

وذلك بانتظار الآتي.

### رابعاً: النبي الصادق والنبي الكاذب

+ «وأما النبي الذي يُظفي ἀσεβήση فيتكلم باسمي كلاماً لم أُوصِ أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب، فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يَصِرْ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تحف منه.» (تث ٢٠ : ٢٢-٢٠)

هنا يضع الله علامة لدى الناس لكي يتعرفوا بها على النبي الصادق أي الذي يستمد نبوته من الله فيكون بحسب الحق، من النبي الكاذب الذي أسماء الوحي بالذي يظفي، وقد جاءت هذه الكلمة في السبعينية بمعنى يتوَّح ἀσεβήση وهو الذي يتنبأ ادعاءً بأنه من عند الله وهو يتنبأ «بروح» الكذب وطبعاً بطغيان من الشيطان الكاذب وأبو كل كذاب. والعلامة هي أن ما يقوله نبي الله الحق تتم في وقتها المحدد بالنبوّة.

ولنا في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول مثلاً واضحاً للنبي الصادق المدعو «نبي الرب» وهو «ميخا النبي» إزاء الأنبياء الكذبة وكان عددهم ٤٠٠، وقد طغاهم روح الكذب، حيث كانوا يصدقون بقوة أن روح النبوّة عليهم ولكنهم كانوا قد طغوا أي طغاهم روح الكذب. وتأتي القصة في أصولها أن ملك يهوذا وكان يُدعى يهوشافاط اتحد مع ملك إسرائيل المدعو أخآب (الذي جعل إسرائيل يخطيء) لكي يحاربا معاً ملك آرام، فاستدعى أخآب أنبياء الكذبة لكي يتنبأوا له هل يحارب أم لا كمعادة الملوك قبل القتال آنذ، فقالوا له: اصعد وحارب والرب قد دفع آرام ليديك. وتكمل القصة كالآتي:

+ «فقال يهوشافاط: أما يوجد هنا بعد نبي للرب فنسأل منه؟ فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط: إنه يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب به، ولكنني أبغضه لأنه لا يتنبأ عليّ خيراً بل شراً وهو ميخا بن يَمَلَّة، ...، وأما الرسول الذي ذهب ليدعو ميخا فكلمه قائلاً: هوذا كلام جميع الأنبياء بفم واحد خير للملك، فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير. فقال ميخا: حي هو الرب أن ما يقوله لي الرب أنكلم ... فقال: رأيت كل إسرائيل مشتتين على الجبال كخراف لا راعي لها!! ...»

فلما راجعه أخآب عاد ميخا وكشف للملك عن رؤيا رآها في الحال وهي عجيبة حقاً وتكشف كيف يظفي الشيطان بالكذب على الأنبياء.

+ «وقال (ميخا) فاسمع إذأ كلام الرب: قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب: مَنْ يُغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد (\*) ... ثم خرج الروح (الشیطان) ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: بماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال (الرب): إنك تغويه وتقننر فإخرج وافعل هكذا. والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشرّاً».

وكان واحد من هؤلاء الأنبياء الكذبة اسمه صدقيا بن كنعنة قد صنع لنفسه قرني حديد وقال لأخآب: «هكذا قال الرب: (كذا) بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا». فما أن انتهى ميخا النبي من سرد رؤياه عن كيف سيغوي الروح الأنبياء بروح كذب يلبسهم جيماً حتى «تقدّم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال: من أين عبر روح الرب (كذا) مني ليكلّمك؟ فقال ميخا: إنك سترى في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مدع إلى مدع لتحتسب. فقال (أخآب) ملك إسرائيل: خذ ميخا ووزده إلى آمون رئيس المدينة وإلى يوأش ابن الملك وقل: هكذا قال الملك ضعوا هذا في السجن وأطعموه خبز الضيق وماء الضيق حتى آتي بسلام. فقال ميخا: إن رجعت بسلام فلم يتكلم الرب بي. وقال: اسمعوا أيها الشعب أجمعون».

ومات أخآب في المعركة «فلحست الكلاب دمه ... حسب كلام الرب الذي تكلم به».

وليتأمل القارىء في مدى وثوق نبي الله من صدق كلامه أنه هو بالفعل كلام الله! وكيف تم بالحرف الواحد.

وهنا نريد أن نوجه نظر القارىء نحو تشديد المسيح المستمر في كلامه نحو الشعب بقوله: «الحق الحق أقول لكم»، ليفهم الشعب من أين كان المسيح يتكلم وبأي كلام: «لأنني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم ... فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم» (يو ١٢: ٤٩ و٥٠)

كذلك علينا أن ننتبه جداً في قول المسيح مراراً: «أقول لكم الآن، قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون أنني أنا هو» (يو ١٣: ١٩)، لأنه قصد بهذا أن يتحقق تلاميذه ونحن بالتالي أن المسيح كان يتكلم بكلام الله. وهي العلامة التي أعطها العهد القديم ليتعرف بها الشعب على النبي

(\*) مدينة شرق الأردن، في نحو نصف سبط منسى، استولى عليها الآراميون وحاول أخآب استعادتها.

الصادق. وهذا ما تم لتلاميذه بالفعل: «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا، فأمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع.» (يو: ٢١ و٢٢)

لقد جاء المسيح أعظم من موسى ومن كل نبي، لأنه إن كان موسى أعلى من بقية الأنبياء بحسب قول الرب لمريم وهرون: «فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هرون ومريم (اللذين كانا قد تكلمنا ضد موسى) فخرجا كلاهما. فقال اسمعا كلامي، إن كان منكم نبي للرب، فبالرؤيا أستعلن له في الحلم، أكلمه؛ وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي، فمأ إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين...» (عد ١٢: ٥-٨)؛ أما من جهة الرب يسوع، فالله الآب لم يتكلم معه فمأ لقم بل تكلم فيه، ولم يعاين «شبه الرب» بل كان هو الرب، ولم يعاين الله معاينة بل يقول المسيح عن نفسه: «ليس أحد (ولا موسى) صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان (المسيح) الذي هو في السماء» (يو: ٣: ١٣). وأيضاً ينفي المسيح نفياً قاطعاً أن يكون أحد ما قد رأى الله قط إلا هو باعتباره الابن الوحيد: «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر (أعلن).» (يو: ١٨)

## خامساً: علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيح «شهادة يسوع هي روح النبوة» (رؤ ١٩: ١٠)

[«الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا  
عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت  
الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق  
فشهد بالآلام التي للمسيح والأجساد التي بعدها.»  
(١بط ١: ١٠-١١)]

لعلّ من أوائل مهام أنبياء العهد القديم بحسب إحساسنا الروحي واستقراننا للأناجيل وبقية  
أسفار العهد الجديد أنها كانت الإعلان والإشارة للمسيا الآتي ومحاولة الإعداد له بالقلب والروح،  
وبذل كل الجهد ليجعلوا الشعب يعيش في وعي دائم بحتمة مجيء المسيا. وللتدليل على ذلك وفوق  
كل ما كُتب في الأناجيل نقرأ:  
+ «أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك "عهداً" للشعب ونوراً  
للأمم.» (إش ٤٢: ٦)

ثم اسمع كيف حفظ الآباء القديسون الأوائل هذه النبوة وآمنوا بها وعاشوا على رحمتها  
وانتظروها حتى أتت فهتفوا بكلماتها هي هي:  
+ «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان. وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل  
والروح القدس كان عليه... وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة  
الناموس، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام  
لأن عيني قد أبصرتنا خلاصك الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم  
ومجداً لشعبك إسرائيل.» (لو ٢٥: ٢٧-٣٢)

وهنا جدير بنا أن نوضح ترجمة هذه الآية على النسخة السبعينية، فهي كما جاءت تماماً في  
إشعيا مرتين (٤٢: ٦، ٤٩: ٨): «عهداً للشعب» وليس مجدداً، حيث كلمة «العهد» جاءت  
هكذا: διαθήκη بمعنى «العهد» تماماً. وتعني هنا العهد الجديد، بخلاف العهد الأول. لذلك  
تُحسب آية إشعيا النبي هذه من أدق الآيات التي تستعلن المسيا والعهد الجديد. ويعود إشعيا  
ويوضح نوع هذا العهد فيصفه بأنه «عهد سلام»:



+ «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع، أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي  
διαθήκης τῆς εἰρήνης لا يتزعزع قال راحمك الرب.» (إش ٥٤: ١٠)

وهو نفس ما هتفت به الملائكة يوم ميلاد المسيح (لو ٢: ١٤).

ويعود إشعيا النبي ويؤكد أن هذا العهد سيكون عهداً أبدياً أيضاً:

+ «وأجعل أجرتهم أمينة وأقطع لهم عهداً أبدياً διαθήκην αἰώνιον διαθήσομαι.» (إش ٦١: ٨)

أما إرميا النبي فيستعلن هذا العهد عهد مسياً بأنه هو العهد الجديد غير العهد الأول القديم !!!  
+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا (اليهودية والجليل) عهداً  
جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم ...» (إر ٣١: ٣١ و٣٢)

ويأتي حزقيال ويضم صفة السلام إلى صفة الأبدية للعهد بصورة مبدعة هكذا:

+ «وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً.» (حز ٣٧: ٢٦)

ويقول العلامة وستكوت إنه بحسب تعاليم الربيين: [ فالأنبياء يحسبون أنبياء فقط لأنهم  
تنبأوا عن مجيء المسيا. ] (١)

لقد سبق أن قلنا (صفحة ٧٦) إن النبوة هي الاستعلان، وعمل النبي هو بالأساس استعلان  
الله سواء في طبيعته أو في ذاته وبالتالي في عمله. واستعلان الله سواء من جهة الطبيعة أو الذات  
مفتاحه الوحيد هو استعلان أبوة الله التي تحققت بمجيء الابن ظاهراً متجسداً ومتأنساً. لذلك  
فالعلاقة بين قيام الأنبياء وبين المسيا أصلاً وبالأساس هي التنبؤ على كل المستويات اللازمة  
لتفتيح وعي الإنسان لاستقبال حقيقة مجيء الابن في الوقت المحدد من قبل تدبير الآب. وبعبارة  
تناسب مع العهد القديم ولغته نقول: إن الدور الذي قام من أجله الأنبياء، هو استعلان المسيا  
القادم الذي فيه يتركز كل عمل الآب وإظهار تدبيره ومشيته من جهة محبة الله وتدبيره لعملية  
الخلاص والفداء بالمسيح يسوع ابنه المتجسد.

لذلك يصبح من الأمور المتحققة عملياً والمفهومة لاهوتياً في وعي الكنيسة وتقليدها، أن النبي لا  
يكون نبياً إلا بقدر ما يعلن عن المسيا ويمهد له الطريق في فكر الإنسان ووعيه الروحي لاستقباله في

الميعاد المحدد.

فإن كان في بداية العهد القديم — وكما ورد في سفر التثنية — قد رتب الله مع موسى نبيّه قواعد الناموس والشريعة والفرائض بكل دقائقها؛ فذلك كله لم يكن أكثر من تمهيد وإعداد لمجيء النسبي الآخر الأعلى شأناً والحامل لوصايا جديدة وكلمات جديدة يضعها الله في فمه، فإذا تكلم يكون هو الله نفسه المتكلم: «أقيم لهم نبيّاً (آخر) من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ...» (تث ١٨: ١٨). إذاً فهناك وصايا جديدة غير وصايا موسى قد أُعدت وترتبت من الله لتظهر بعد أن تكون قد استنفذت وصايا موسى عملها.

وواضح غاية الوضوح أنه إن كان هناك نبيٌّ يأتي عوض نبي، فهناك حتماً يكون ناموسٌ آخر يأتي عوضاً عن ناموس، ووصايا أخرى جديدة تأتي عوض وصايا قديمة، الأمر الذي نسمعه بوضوح في مستهل خدمة المسيح: «سمعتم أنه قيل للقديس ... أما أنا فأقول لكم.» (مت ٥: ٣٣ و٣٤)

ويكاد يصبح من المفروغ منه أن يُقال إن موسى جاء كنبي ليتنبأ عن نبي آخر يأتي بعده ليكمل ما بدأ. أو باختصار نقول إن غاية نبوة موسى، عملياً ولاهوتياً، هي أن تعلن المسيا وتعدّه له. لذلك أصبح من المحقق لنا أن موسى قد تبرهن صدق نبوته، عندما جاء المسيح حاملاً اسم الله: «أنا هو» و«كلمة الله في فمه»!! وهذا ما قاله بولس الرسول: «لأن غاية الناموس هي المسيح» (رو ١٠: ٤)، و«قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح.» (غل ٣: ٢٤)

فإن كانت نبوة موسى هكذا تأسست وهكذا تحدّدت غاياتها في إطار مجيء المسيا وعمله سواء في مجمل ومضمون الناموس أو في الفرائض والوصايا وبقية التعاليم وأقوال الله، فإن بقية النبوات لجميع الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى تنحصر حتماً في الشهادة للمسيا، وكان منطلقهم سواء في الإنذار أو التوبيخ أو العزاء أو التشجيع هو من واقع هذا الناموس عينه، وهذه الفرائض والوصايا عينها!!

هذا نقرأه بوضوح في تقليد الكنيسة الأول على فم بطرس الرسول: «الخلاص الذي فتنس وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالألام التي للمسيح، والأعجاد التي بعدها.» (بط ١: ١٠ و١١)

بل وليس موسى فقط وناموسه وفرائضه ووصاياه، التي أفرغ كل مضمونها في المسيا «النبي»

الآتي باسم الرب وكلمات الله في فمه، بل وحتى إبراهيم المحسوب أنه رأس جنس اليهود، والذي خرج منه الشعب المختار بأنبيائه، نجد أن أساس دعوته وأساس إيمانه وأساس بركة الله له يتحدد في النسل (بالمفرد)، أي الميسّا الذي سيخرج منه، فتتبارك به كل الأمم بشعوبها.

بل وقد اتسع التقليد الكنسي منذ القديم ليرى كل حوادث العهد القديم حتى الفيضان ونوح مع فُلْكه والذي صُوّرتَه الكنيسة أنه مثال المعمودية التي صارت في المسيح يسوع، ليرى ذلك نجاة من الموت وأداة بلوغ الحياة الأبدية مع المسيح، وهذا يصفه أيضاً بطرس الرسول كالآتي:

+ «الذي (بعد الموت) فيه أيضاً (أي في روح المسيح) ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً، حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يُبنى، الذي فيه خلص قليلون أي ثمانين أنفس بالماء. الذي مثاله (مثل الطوفان والفلك) يخلصنا نحن الآن أي المعمودية.» (١بط ٣: ١٩-٢١)

والآن يعوزني الوقت، والمجال ضيق، لكي أقدم للقارئ جميع الأنبياء وهم يشيرون إلى المسيا في عتمة الرؤيا من وراء الدهور (\*)، الذين بحسب قول بطرس الرسول كان روح المسيح الذي فيهم يستعلن لهم الآلام التي سيعانيها المسيح والأعجاد التي ستأتي بعدها حتماً، وكيف وُلد من عذراء، وأين سيولد، وأين يعيش ويتربى، وأين يهرب من وجه القاتلين ثم يعود، وكيف سيُهان في موته ويتعذب، وفي عطشه يُسقى خلاً، وبالحديد تُثقب يداه ورجلاه ولكن عظماً من عظامه لا يُكسر، وكيف سيكون فصحننا المذبوح، وكيف يقوم؟ وأين يجلس في الأعالي ويتكلم عن يمين الله! وداود يسمع بأذنيه قَسماً من فم الله أن هذا هو المسيا عينه الذي يكون رئيس كهنة إلى الأبد يظهر الخطايا ويمحط كفارة الشعوب، ثم يجلس ملكاً للسلام (مز ١١٠)، يراه إشعيا يفتح السماء ولا أحد يغلّق ويغلق ولا أحد يفتح (إش ٢٢: ٢٢)، ويراه دانيال قد «أعطي سلطاناً ومجداً وملكوته لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا ٧: ١٤)

وهكذا انشغل جميع الآباء والأنبياء بالمسيا الآتي فكان شاغلهم الأول وشغلهم الوحيد، وهكذا بآية مختصرة غاية الاختصار يطلق ملاك سفر الرؤيا وصفاً يجمع كافة النبوات في بؤرة الشهادة للمسيح: «اسجد لله فإن شهادة يسوع هي روح النبوّة.» (رؤ ١: ١٩)

(\* بشأن هذا الموضوع انظر للمؤلف الكتب الآتية:

— «قصة الإنسان حول الخطية والخلص»، ص ٥٢-٦٢.

— «النبوات الخاصة بالمسيح "المسيا" في العهد القديم»، مجلة مرقس عدد يناير وفبراير ١٩٨٥، ص ١-٢٠.

## سادساً: الأنواع والطرق الكثيرة التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن نبواتهم

يضيق بنا المقام أن نسرّد للقارئ كل الأنواع التي استخدمها الأنبياء في التعبير عن مقاصدهم من النبوّة، فقد استخدموا كافة الوسائل في التعبير، سواء التشبيه أو الكناية، أي الرمز، أو المجاز أو المبالغة أو التشخيص، كأن يجعل الأشجار تتكلم. كل ذلك ليتناسب مع السامع أو الحال أو الزمان.

كما استخدم الأنبياء بوحى من الله أعمالاً تشخيصية وتشبيهية عديدة للغاية لشرح القضاء المنتبأ به على الشعب أو البلاد.

+ فأرميا النبي عمل بتوصية من الله أنياراً (جمع النير الذي يوضع على عنق زوج البقر للحراث) وسار بها في الشوارع وأرسلها للملوك تعبيراً عن سقوطهم تحت نير نبوخذ نصر: «هكذا قال لي الرب: اصنع لنفسك رُبُطاً وأنياراً واجعلها على عنقك...» (إر ٢٧: ٢).

+ ويهوشع أمره الرب أن يتزوج بزانية حتى يشبه ويصوّر أعمال زناها، وهي تحت زوج، بإسرائيل التي زنت من وراء إلهها (هو ١-٣).

+ وإشعيا سار عرياناً وحافي القدمين ليصوّر ما سيحدث لمصر وأثيوبيا وهما تحت عبودية ملك آشور (إش ٢٠: ١-٦).

+ وحزقيال أمر أن يصنع حصاراً على قالب من الطوب ويسبّح حوله بسور من حديد ثم ينام على جنبه الأيسر ٣٩٠ يوماً، ثم على جنبه الأيمن أربعين يوماً. أما الحصار فهو تصوير لما صار من أمر الله لحصار أورشليم، وأما النوم على الجنين فهو يوم عن كل سنة سبي لإسرائيل ثم يهودا: ولكي يضمن الرب أن لا يتحرك حزقيال وهو على جنبه هذه المدد المديدة قال له: «وهأنذا أجعل عليك رُبُطاً فلا تُقلّب من جنب إلى جنب حتى تتم أيام حصارك.» (حز ٤: ١-٨)

+ وحزقيال أيضاً أمر أن يأكل أكلاً نجساً تصويراً عملياً على حرمان إسرائيل الذي سيعانيه في السبي (حز ٤: ٩-١٧).

+ وحزقياىال النبى أيضاً أمر أن يحرق جزءاً من شعره ليصوّر حريق وخراب أورشليم هي وشعبها (حز: ١-٤).

+ وحزقياىال أيضاً أمر أن يخاطب الجبال والآكام والأودية يخبرها بأمر الله أنه جالب عليها سيفاً للإبادة: الأصنام مع جثث بني إسرائيل (حز: ١-٧).

+ وحزقياىال أيضاً أمره الرب أن يمثل مَنْ هو راحل عن مكانه صباحاً ومساءً، ثم أمره أن ينقب الحائط ويخرج منه ثم يغطي رأسه ويمشي في العتمة، فإذا سأله يقول: هكذا سيخرج إسرائيل للسبي، وينقبون الحائط ليهرب الملك، ويغطون وجهه حتى لا يتعرف عليه الأعداء والشعب من ورائه، ولكنهم يقبضون عليه هو والشعب ويؤتى بهم إلى بابل أرض الكلدانيين (حز: ١٢: ١٢).

ومن هذه التشبيهات العملية والأمثال المصوّرة والمنفّذة بين الأنبياء الشيء الكثير، بجوار الأسماء التي أمروا أن يُسمّوا بها أولادهم تمييزاً عن مصير الشعب (إش: ٧: ٣؛ ١: ٨، هو: ٤: ٦ و ٩). لذلك جاءت هذه الرموز الحية والتشبيهات لتضيف إلى النبوات تأثيراً قوياً بليغاً في نفوس الشعب ليرغؤوا، فلم يرغؤوا أبداً.

ولكن أهم ما يُلفت نظرنا في طرق التعبير النبوي هو إعطاء المثل "τύπος" في صورة ضبابية ليعبّر عن الأصل "ἀρχέτυπος" المخفي الذي لم يأت ميعاد استملاته بعد، إنما باتقان شديد للغاية، حتى إن النسبي نفسه كان يظن أن هذا المثل ينتهي عند ذاته مع أنه ينتهي باستعلان الأصل المأخوذ عنه المثل "τύπος". والأمثلة في ذلك كثيرة جداً.

فخروف الفصح كطقس الخروج صار عند اليهود أقصى تعبير عن الخلاص مع أنه كان مجرد مثال ضعيف أو تقريبي للمسيح الذي سيقدم جسده للموت ذبيحة حيّة للخلاص الحقيقي للعالم. وانكشف المثل عندما استملته يوحنا المعمدان في نبوته: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم.» (يو: ١: ٢٩)

وقس على ذلك كل الذبائح والميكل نفسه باعتباره الخيمة التي يجتمع الله فيها مع شعبه، هذا المثل أو المثال Type المأخوذ عن الأصل ἀρχέτυπος الذي انكشف فرفناه أنه هو حلول الله في جسد إنسان أي التجسد الذي تحقق باتحاد المؤمنين بالمسيح، الأمر الذي بلغ استملاته النهائي بالكنيسة.

كذلك رئيس الكهنة الذي بتقديم ذبيحة الكفارة عن الشعب يصبح له حق الدخول بدم

الذبيحة إلى الأقداس ليرأى أمام الله للحصول على حق تطهير خطايا الشعب الجسدية والتي عن السهو. وإذ بنا نرى هذا الطقس المهيّب مجرد مثال في ضباب عما قام به المسيح من تقديم ذاته ذبيحة كثّارة من أجل خطايا العالم، لا عن خطايا الجسد فحسب بل وأيضاً خطايا القلب والفكر والضمير التي قتلت نفسية الإنسان وأورثته الموت الأدبي والروحي، وليس عن خطايا السهو فقط بل وكل الخطايا: خطايا العالم أجمع بكل صنوفها المرعبة، ثم قام بجسده من الأموات ودخل إلى الأقداس العليا وترأى أمام الله من أجلنا فوجد لنا فداءً أبدياً. وهكذا استُعْلِنَ المسيح أنه هو رئيس الكهنة الحقيقي فيما لله.

وقس على ذلك طقس خروج الماء من الصخرة ورفع الحية النحاسية على العصا وطقس الختان والسبت. هذه الأمثلة التي تشبث بها اليهود وكأنها قمة العبادة ونهاية التقرب إلى الله ورباط العهد الأبدي مع الله، إذا بها مجرد أمثلة أخذت وقتها وعبرت؛ وحينما جاء المسيح تحققت كل الأمثلة فيه إذ هو الأصل لها جميعاً. فأنكشفت الصخرة، وإذا هي المسيح؛ والضربة التي أخرجت الماء هي الحربة التي فتحت جنب المسيح فخرج منها ماء المعمودية مع الدم بروح أزلّي لميلاد الإنسان من جديد للحياة الأبدية؛ والحية النحاسية إذا بها هي الخطيئة التي قتلها المسيح بالجسد لما ارتفع على الصليب وكل مَنْ رَأَى وآمَن نال الحياة من بعد الموت؛ والختان إذ به هو خلع الخطيئة من الجسد بالموت مع المسيح؛ والسبت وإذا به هو الراحة الحقيقية التي دخلها المسيح بعد أعمال الخلاص المضنية الخاصة بالخلقة الجديدة للإنسان، والذي بعد أن أكملها على الصليب يوم الجمعة المحسوب أنه آخر أيام شقاء الإنسان استُعْلِنَتْ الراحة العليا، السبت الروحي الأبدي مع شركة المجد مع ابن الله.

والواضح أن عين الأنبياء المفتوحة لم تقف أبداً عند هذه «الأمثلة» Types في ذاتها، بل كثيراً ما تخطتها لترى، ومن على بُعد، الأصل ذاته ἀρχέτυπος في صورته البهية. ولكن إذا دققنا في هذه الأمثلة بالأنواع والطرق الكثيرة التي عبّر بها الأنبياء عن مقاصد الله الأزلية لخلاص الإنسان وفدائه وإعلان ملكوته ودعوته، نجد أنها تدور كلها حول شخص المسيا الآتي، وبعض هذه الأمثلة جاء واضحاً والآخر كلفز في غموض ينتظر الاستعلان: فهو الكوكب الذي يظهر من يعقوب، وهو القضيب المشرّع أي الملك صاحب التشريع الجديد، وهو سلم يعقوب الذي على الأرض ورأسه تمس السماء، وهو ابن الإنسان وابن داود، والصخرة التي تابعت إسرائيل، وعمود النور الذي سار بإسرائيل في البرية، وهو ملاك العهد وملاك الله وملاك حضرته، ونسل المرأة ونسل إبراهيم ونسل داود، وعبيد الغصن وعبيد داود وعبيد البار وعبد المتسلّطين، ورجل الأوجاع

وأصل يثسى وقضيب من جذريثى وغصن من أصوله، وغصن البر وغصن الرب، والغرس الذي غرسته بين الله، ونرجس شارون، وسوسنة الأودية، ونور عظيم، ونور للأمم، وشمس البر، وحصن البر، وحصن المساكين، وحصن البائس في ضيقه، وملجأ من السيل وغنخبا من الريح، وصخر الدهور، وصخرة ملجأى وصخرة قلبي وصخرة خلاصي، وظل من الحر، والأساس المؤسس وحجر امتحان وحجر رأس الزاوية وحجر قطع بغير يدين، وغتاري الذي سُرْتُ به نفسي، الفادي ومخلص ابنة صهيون، وسيكون (أماناً) وعهداً للشعب، وشارع الشعوب، وقُدوس إسرائيل ورئيس جند الرب، وراية للشعوب، ومُعَلِّم بين ربوة، وسهم مبري وبجَن. وهو المسيح الرئيس، ورئيس السلام ورئيس الرؤساء، والملك، وملك يهوذا، وملك المجد، والملك ببهانه، مُكَلَّل بتاج من إبريز، ومثل نار المحمص، ومثل أشنان القصار، كعِرْق من أرض يابسة، مثل المطر على الجزاز، مثل الغيوث الجارفة على الأرض، كسواقى ماء في مكان يابس، كظل صخرة عظيمة في أرض معيية، كمخبا من الريح، اسْمُكَ دُهْنٌ مهراق، أْبْرَعُ جِمالاً من بني البشر، إكليل جمال، تاج بهاء، حجر عظيم، وتَدُّ مَشْبَتٌ في موضع أمين، محب أَلْزَق من الأَخ، طلعتة كلبنان، كله مشتبهات، مظلوم، محتقر، مخذول، مجروح، مسحوق، مصاب، مضروب، متروك، متمجَّد، عظيم، حبيبي، راعي، فادي، ابن، عجيب، إله، مشير، رئيس السلام، قدير<sup>(٧)</sup>.

وواضح في هذه الاصطلاحات جميعاً كرموز وأمثلة وكتابات وأوصاف في أشخاص وأشياء وأعمال وحوادث، أنها وُضعت بإحكام النبوة كأضواء وأشعة من بعيد رُئيت في العهد القديم متفرقة لا يجمعها فكر ولا تحددها معالم، ولكنها رُئيت جميعها في العهد الجديد متجمعة جميعاً في بؤرة واحدة، وإذا هو وجه يسوع المسيح الذي أشرق في قلوبنا، جامعاً هذه النبوات بل وكل من نطقوها بل وكل أسفارها، في وحدة عضوية حية ناطقة بالروح القدس الذي صورها جميعاً وهي تلمع بجمال لا يمكن أن يعبر عنه فكر وبالتالي يُقصر من دونه القلم.

ولكن الشيء الذي يشد انتباهنا من واقع مدخل الأصحاح الأول لسفر العبرانيين أن هذه الأوصاف تربط ربطاً بديعاً بين المثل والأصل. وهكذا فالعهد القديم بهذه الأمثال يحوي كل محتوى العهد الجديد دون أن يحتويه، كلغز يحمل كل تفاصيل الحقيقة ولكن يقف حائراً لا يعرف ما هي.

(٧) انظر كتاب: «مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين»، ص ٤٣٦-٤٥٦.

## مستوى كلمة الأنبياء

كلمة الله (وبالعبرية debhar Yahweh) أو "كلمة الرب أو السيد":  
ما هي كلمة الله؟

في اللاهوت العبري تعتبر كلمة الله قوة ديناميكية، أي ذات قوة فعّالة متحركة ذات فعل محتم ولها تأثير حتمي: «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبث وتعطي زرعاً وللزراع وخبزاً للأكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليّ فارغة بل تعمل ما سُرتُ به وتنجح في ما أرسلتها له.» (إش ٥٥: ١٠ و١١)

وكلمة «كلمة» بالعبرية (دافار dabhar) لا تفيد «كلمة» فقط بل و«فعل» أيضاً. فمثلاً «الأفعال الطيبة» هي بالعبرية «دفاريم طوفيم».

نفاذ كلمة الله "كأمر مقضي به على الأرض" (إش ١٤: ٢٦):

من أهم وأخطر التقليدات في اللاهوت اليهودي أن «كلمة اللعن» أو «كلمة البركة» حينما تُقال فإنها تُعتبر فعلاً قد نفذت في الحال. هذا واضح في بركة إسحق ليعقوب الذي تزيّف بشخصية عيسو البكر وأبوه لا يعلم، لأن عينيه كانتا قد كلّتا عن الرؤيا. فبالرغم من أن البركة قيلت على عيسو، ولكن لأن يد إسحق كانت فوق رأس يعقوب فقد حلّت البركة على يعقوب، ولم يُعد في الإمكان تغييرها بعد أن انكشف تزييف يعقوب:

+ «وحدث عندما فرغ إسحق من بركة يعقوب ويعقوب قد خرج من لدن إسحق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده. فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه ليقيم أبيي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك. فقال له إسحق أبوه: من أنت؟ فقال: أنا ابنك بكرك عيسو، فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً. وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليّ فأكلت من الكل قبل أن تحييء وباركته؟ نعم ويكون مباركاً. فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرةً جداً. وقال: لأبيه باركني أنا أيضاً يا أبي. فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك. فقال: ألا إن اسمه دُعي يعقوب، فقد تعقّبتني الآن مرتين. أخذ بكوريستي وهوذا الآن قد أخذ بركتي. ثم قال: أما بقيت لي بركة؟ فأجاب إسحق وقال لعيسو: إني قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وعصده بحنطة وخر. فماذا أصنع إليك يا ابني.» (تك ٢٧: ٣٠-٣٧)



كذلك نقرأ في قصة بلعام مبدأ اللعنة وكيف يمكن أن تعمل عملها لدى الأنبياء، إن كانت قد صدرت بأمر الله:

+ «فالأآن تعال والعنن لي هذا الشعب لأنه أعظم مني لعله يمكننا أن نكسره فأطرده من الأرض، لأنني عرفت أن الذي تباركه مُبارك والذي تلعنه ملعونٌ.» (عد ٢٢: ٦)

وقد أعلن الله مراراً في العهد القديم أن ما ينطقه الأنبياء والذين يرسلهم باسمه هو متكفل شخصياً بتنفيذه خاصة في أمور الفداء، كما هو متكفل بإبطال تنبؤات المخادعين ومحقق العرافين:

+ «هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن، أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السموات وحدي، باسط الأرض، مَنْ معي، مُبطل آيات المخادعين ومحقق العرافين، مُرجع الحكماء إلى الوراء ومجهل معرفتهم، مقيم كلمة "عبيد" ومُتمم رأي رُسله.» (إش ٤٤: ٢٤-٢٦)

ويؤكد الرب، على فم حزقيال، نفاذ كل ما يتكلم به في حينه، وهو لا يسوّف في قضائه:

+ «وكان إليّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم هوذا بيت إسرائيل قائلون: الرؤيا التي هو رائيها هي إلى أيام كثيرة، وهو متنبئ لأزمة بعيدة. لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب: لا يطول بعد شيء من كلامي. الكلمة التي تكلمت بها تكون، يقول السيد الرب.» (حز ١٢: ٢٦-٢٨)

وتوجد نبوات في العهد القديم نفذت علاماتها في الحال بمجرد نطقها، وكانت مرعبة:

+ «وإذا برجل الله قد أتى من يهوذا بكلام الرب إلى بيت إيل ويربعام واقف لدى المذبح (مذبح الأوثان) لكي يوقد. فنأدى نحو المذبح بكلام الرب وقال: يا مذبح يا مذبح هكذا قال الرب هوذا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتُحرق عليك عظام الناس. وأعطى في ذلك اليوم علامة قائلاً: هذه هي العلامة التي تكلم بها الرب، هوذا المذبح ينشق (الآن) ويذرى الرماد الذي عليه. فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح في بيت إيل، مَدَّ يربعام يده عن المذبح قائلاً امسكوه. فبيست يده التي مَدَّها نحوه ولم يستطع أن يردّها إليه. وانشق المذبح وذُري الرماد من على المذبح حسب العلامة التي أعطها رجل الله بكلام الرب.» (١مل ١٣: ٥-١)

كما تُثت لعنة أليشع التي لمن بها الأطفال في الحال عندما نطق بها كعقاب لأنهم هزأوا به:

+ «ثم صعد من هناك إلى بيت إيل، وفيما هو صاعد في الطريق، إذا بصبيان صغار خرجوا

من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع. اصعد يا أقرع. فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجت دبتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدأ.» (٢مل٢: ٢٤و٢٣)

وهكذا مرتين طلب إيليا أن تنزل نارٌ من السماء وتأكل الذين جاءوا من طرف الملك ليقبضوا عليه:

+ «فأرسل إليه رئيس خمسين مع الخمسين الذين له، فصعد إليه وإذا هو جالس على رأس الجبل. فقال له: يا رجل الله، الملك يقول انزل. فأجاب إيليا وقال لرئيس الخمسين: إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السماء وتأكلك أنت والخمسين الذين لك. فنزلت نار من السماء وأكلته هو والخمسين الذين له.» (٢مل١: ١٠و٩)

وهكذا انشق نهر الأردن عند كلمة إيليا في الحال، وكذلك من بعده على يد أليشع بعد أن حصل على بركة إيليا. بل وجيع الضربات التي حصلت على مصرمت في الحال بعد أن نطقها موسى من فمه.

وليس على الأفراد والجماعات وحسب، بل وعلى الأمم برؤستها والشعوب أعطى الله كلمته لينطق بها الأنبياء:

+ «ومد الرب يده ولمس فمسي، وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك. أنظر، قد وكَلْتُكَ هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتتلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس.» (إرا: ١٠و٩)

هكذا كان الأنبياء على يقين أن الكلمة التي ينطقونها حينما يسمونها من فم الرب هي نافذة المفعول لا محالة، بل وخالقة من العدم، وأن الكون كله خُلِقَ بالكلمة: «بكلمة الرب صِيغَتِ السموات وبسُمة فيه كل جنودها» (مز٣٣: ٦)، «وقال الله ليكن نور فكان نور» (تك١: ٣)، «لَتُسَبِّحَ اسم الرب، لأنه أمر فخلقت.» (مز١٤٨: ٥)

وهكذا تحوّل يقين الأنبياء إلى إيمان ثابت وطيد نعيشه الآن: «بالإيمان نفهم أن العالمين قد أنقذت بكلمة الله حتى لم يتكوّن ما يُرى مما هو ظاهر.» (عب ١١: ٣)

وقد تقبلها حزقيال النبي من الله كفضية مسلم بها على المستوى الحتمي:

+ «لأنني أنا الرب أتكلّم، والكلمة التي أتكلّم بها تكون. لا تطول بعد لأنني في أيامكم أيها

البيت المتمرد أقول الكلمة وأجرها يقول السيد الرب. » (حز ١٢: ٢٥)

وقد دُعي الربُّ الإله «الساهر القدوس» وذلك من واقع سهره على كلمته ليُجرها في وقتها كما نطق بها أنبيأؤه: «لأنني أنا ساهر على كلمتي لأجرها. » (إرا: ١٢)

كذلك عمله لا يسهى عليه فهو يحيه بحسب وعده، هذا ما كان يدعو به أنبيأؤه: «يا رب عملك في وسط السنين أخيه. » (حب ٣: ١)

والآن نهيب بالقارىء أن يرفع اعتباره وتقديسه وتكرمه لكلمة الله التي نطقها بضم أنبيائه في القدم. أما التي نطق بها الابن الوحيد فسوف نرى، عندما نأتي إلى المقارنة، كيف أنها هي بحد ذاتها روح وحياء، فهي ليست كلمة الله وحسب؛ بل هي هي الله الكلمة الناطق بروحه. فإن كانت النبوّة قديماً هي كلمة الله المنطوقة، ففي المسيح هي الله الناطق بكلمته. وإن كانت كلمة الله قديماً بموسى والأنبياء، السماء والأرض تزولان وأما هي فلا تزول، فإن كلمة المسيح اللوغس تخلق سماءً جديدة وأرضاً جديدة حيث السماء الأولى وأرضها تكون قد زالتا بالفعل.

الفعل النبوي «المستقبلي» ينطق به الأنبياء في الحال «الماضي» تؤكداً لتكميل قضاء وعد الله المبارك رغماً عن الزمان:

كان هذا شأن بعض النبوات الخاصة بالمسيّا التي جاءت على فم الأنبياء، والقصد الأساسي من هذا أن نفهم ونتيقن ونؤمن ونصلّق ونهتف ونسبح بكلام الله الذي قاله والذي يقوله كل يوم، إنه كائن بذاته كالله الذي ينطقه، فعود الله لا تحتاج إلى الزمن لتحقيقها فهي محققة بالإيمان. اسمع ما يقوله إشعياء النبي عن ميلاد المسيح باعتبار أنه أمر صادر في الأزّل، وما على الزمن إلا أن يحققه صاغراً مُرغماً. فهو لا يرى المسيح المولود أنه حدث زمني بل حقيقة أزلية سُخر الزمان لاستعلانها في الوقت المحدّد لها بالنسبة لاحتمال الإنسان في استعلانها!

وهنا نأسف أشد الأسف على الترجمة البيروتية التي أخفقت أن تستجلي هذه الحقيقة الهامة للغاية فأوردت الفعل في المستقبل مع أنه في الترجمة السبعينية يقع في الماضي هكذا:

+ «لأنه وُلِدَ لنا ولدٌ وُلِدَ لنا ولدٌ وُلِدَ لنا ولدٌ» (حسب السبعينية الإسكندرانية تكمل النبوّة قائله: ) والرئاسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً (ملكاً) رئيس السلام أب الدهر الآتي. » (إش ٩: ٦ حسب النسخة السبعينية الإسكندرانية)

## سابعاً: توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء

بدء قيام النبوة والأنبياء في إسرائيل:

معروف في التقليد اليهودي والكتابي أيضاً أن النبوة في إسرائيل قامت بقيام موسى ودعوته لقيادة الشعب وتوصيله إلى أرض ميعاده. وأول وعد عملي بالنبوة استلمه موسى من فم الله نفسه حينما سأل الله:

+ «فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمي طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأمة هي شعبك. فقال وجهي يسير فأريحك. فقال له: إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يُعلم أنني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا. فتمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله.» (خر ٣٣: ١٣-١٧)

ومن موسى ابتداء عصر أنبياء العهد القديم، وواضح أن بقاء الأنبياء كان رهناً ببقاء الناموس والوصايا.

انتهاء عصر أنبياء العهد القديم بظهور النبي الآخر نظير موسى:

لقد حدد الله لموسى أن تعضيد الله لشعب إسرائيل بالأنبياء، الذين يعملون مشيئة الله وصوته للشعب، سينتهي بظهور نبي آخر مثل موسى يخرج من الشعب يعمل وصايا جديدة من فم الله ويحمل اسم الله، وطبعاً واضح أنها كانت إشارة إلى ظهور ربنا يسوع المسيح:

+ «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه.» (تث ١٨: ١٨ و١٩)

حال شعب إسرائيل الذي انتهت عنده النبوة وتوقف الأنبياء:

معروف في معاملات الله مع الإنسان أن كلمته تقوى وتتعظم بالطاعة لها والالتزام بتوجيهاتها وتوقف وتنتهي عند رفضها:

+ «الرب معكم ما كنتم معه وإن طلبتموه يوجد لكم وإن تركتموه يترككم.» (أى ١٥: ٢)

وواضح أنه ما أن جاء عصر نحميا ومن بعده ملاخي النبي حتى كانت حالة الشعب الروحية قد بلغت أدنى مستوياتها. والأمثلة على ذلك كالآتي:

### ذبائح مشوّهة:

صار الكهنة مستبيحين في واجباتهم من جهة استيفاء شروط الذبائح فحلّلوا تقديم الأعمى والأعرج والسقيم ذبائح ليهوه (مل ١: ٦-١٤) واعتبر الله هذا أنه إهانة واحتقار لاسمه:

+ «الابن يُكرّم أباه والعبد يُكرّم سيده. فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي وإن كنت سيّداً فأين هيبتني، قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحقّقون اسمي ... إن قرّبتم الأعمى ذبيحة أفليس ذلك شراً؟ وإن قرّبتم الأعرج والسقيم أفليس ذلك شراً؟» (مل ١: ٦-٨)

+ «ملعون الماكر الذي يوجد في قطيعه ذكر وينذر ويذبح للسيد عائياً لأنني أنا ملك عظيم، قال رب الجنود، واسمي مهيب بين الأمم.» (مل ١: ١٤)

### نقص التقوى، التلاعب بالشريعة، فساد الكهنوت:

استهان الكهنة بالشريعة وفسروها حسب هواهم وحابوا في فتاويهم فأعشروا الشعب عوض أن يقودوهم للتقوى:

+ «كان عهدي معه (لاوي - الكهنة) للحياة والسلام وأعطيته إياها للتقوى فاتقاني ومن اسمي ارتاع هو. شريعة الحق كانت في فيه وإثم لم يوجد في شفّته. سلك معي في السلام والاستقامة وأرجع كثيرين عن الإثم، لأن شفّتي الكاهن تحفظان معرفة ومن فسه يطلبون الشريعة لأنه رسول رب الجنود. أما أنتم فجدّتم عن الطريق وأعشرتم كثيرين بالشريعة. أفسدتم عهد لاوي قال رب الجنود فانا أيضاً صيرتكم محقّقين ودنيّين عند كل الشعب، كما أنكم لم تحفظوا طريقي بل حايّتم في الشريعة.» (مل ٢: ٥-٩)

### الزنا والطلاق:

انحلّت أخلاق الشعب وحلّل الكهنة الطلاق لكل علة، وزنوا على زوجاتهم فجلّبوها على أنفسهم بغض الله:

+ «فقلتم لماذا؟ من أجل أن الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبّابك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك ... فاحذروا لروحكم ولا يفدر أحد بامرأة شبّابه لأنه يكره الطلاق قال الرب إله إسرائيل.» (مل ٢: ١٤-١٦)

## سرقة العشور:

احتجز الشعب العشور لنفسه، فاعتبر الله ذلك أنهم سرقوا الله وأهملوا التقدمة لله فسلبوا حقوق الله، وذلك جشعاً منهم:

+ «أيسلب الإنسان الله؟ فإنكم سلبتموني. قتلتم يَمَ سلبناك؟ في العشور والتقدمة. قد لَيْسْتُمْ لعناً وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها. هاتوا جميع العشور إلى الخزانة ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا، قال رب الجنود، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع.» (مل ٣: ٨-١٠)

## احتقار السبت:

+ «في تلك الأيام رأيت في يهوذا قوماً يدوسون معاصر في السبت ويأتون بحزم ويحملون حميراً وأيضاً يدخلون اورشليم في يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يُحْمَلُ فأشهدتُ...» (نح ١٣: ١٥)

## إهمال نصيب اللاويين وهروب اللاويين من الخدمة:

+ «وعلمت أن أنصبة اللاويين لم تُعْطَ بل هرب اللاويون والمفتنون عاملو العمل كل واحد إلى حقله.» (نح ١٣: ١٠)

## جحد الإيمان وعدم مخافة الله وإهمال العبادة:

+ «أقوالكم اشتدت عليّ قال الرب. وقلتم ماذا قلنا عليك؟ قلت عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأنا سلكننا بالخزن قدام رب الجنود. والآن نحن مطّوبون المستكبرين وأيضاً فاعلو الشر يُبْتَنُونَ بل جربوا الله ونجوا.» (مل ٣: ١٣-١٥)

وهكذا انحدرت جماعة إسرائيل في ممارسة المحرمات وإغاظة الله بأعمالهم وأقوالهم وباتت الجماعة مهتدة بالانحلال والتفكك وانحطت الأخلاق الفردية والجماعية.

## الأغنياء استعملوا الربا واستعبدوا الفقراء،

## فباعوا حقوقهم ورهنوا أولادهم فأكلتهم الديون:

+ «وكان صراخ الشعب ونسائهم عظيماً على إخوتهم اليهود. وكان مَنْ يقول: بنونا وبناتنا نحن كشيرون. دعنا نأخذ قمحاً فنأكل ونحيا، وكان مَنْ يقول: حقولنا وكرومنا وبيوتنا نحن رهنوها حتى نأخذ قمحاً في الجوع، وكان مَنْ يقول: قد استقرضنا فضة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا... وهنا نحن نُخْضَعُ بنينا وبناتنا عبيداً ويوجد مِنْ بناتنا مُسْتَعْبَدَاتُ

وليس شيء في طاقة يدنا وحقولنا وكرومنا للآخرين.» (نح ٥ : ١-٥)

سلب أجرة الأجير، الإشتغال بالسحر، والفسق، وحلفان الزور:

+ «وأقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومن يصدُّ الغريب ولا يخشاني قال رب الجنود.» (ملاخي ٣ : ٥)

التزواج من الشعوب المحيطة وفقدان الهويّة الإسرائيليّة:

+ «وفي تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يُحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنّتهم وضربت منهم أناساً.» (نح ١٣ : ٢٣-٢٥)

وهكذا انتهت إسرائيل إلى ما تنبأ عليها إشعيا في أيامه:

+ «اسمعي أيتها السموات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. ربّيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلي الشر أولاد مُفسدين. تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدوا إلى وراء. على مَ تُضربون بعد، تزدادون زيفاناً. كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وأحباط وضربة طريّة لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلّين بالزيت.» (إش ١ : ٢-٦)

فلما بلغ الشعب برؤسائه إلى حالة انعدام القدرة على السماع وطاعة الله، وفقدوا مخافة الله واحتقروا وصاياه وضعفت عيونهم وأسماعهم عن التمييز بين الحق والباطل، انعدمت الحاجة إلى الأنبياء وفقدت النسبة لزومها وأهميتها فكفّ الله عن دعوة الأنبياء ليتنبأوا ولم يكن من يلقى ليحمل نير النبوة.

وفي كلام إرميا النبي ما يكشف عن إخفاق الأنبياء بسبب عصيان الشعب لصوت الله:

+ «وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مُبكرًا ومُرسلاً فلم تسمعوا ولم تميلوا أذنكم للسمع.» (إر ٢٥ : ٤)

وهكذا ظل إسرائيل بلا صوت أصيل من الله، من بعد ملاخي وحتى صوت الصارخ في البرية أربعمائة سنة والسماء صامتة.

## شرح الرسالة إلى العبرانيين



## الأصحاح الأول

- ديباجة الرسالة: (١:١-٤)
- أولاً: الاستعلان في القديم بالأنبياء  
والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن (١:١-٢١).
- ثانياً: طبيعة وعمل الابن (١:٣).
- ثالثاً: الانتقال من التقديم إلى الموضوع (١:٤).
- ختام الديباجة:
- الدفاع الأول: تفوق الابن على الملائكة (١:٥ - ٢:١٨).

## ديباجة الرسالة

- ١ : ١ « الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة،  
 ٢ : ١ « كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء  
 الذي به أيضاً عمل العالمين» .  
 ٣ : ١ « الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته،  
 بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي» .  
 ٤ : ١ « صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم» .

### كلمة عامة:

هذه الفقرة الأولى من الأصحاح الأول تحمل لنا موضوعاً كاملاً بحد ذاته، وهو أن الله أكمل الاستعلان في المسيح بعد أن مهّد له باستعلانات كثيرة في العهد القديم. وبالتدقيق في هذه الأربع الآيات نجد أنها ذات تركيب لغوي منسّق ومتصل ومتقابل. فالآيتان الأولى والثانية تختصان بالله، ثم الآيتان الثالثة والرابعة تختصان بالابن.

ثم نجد أنه في الآية الرابعة يفتح المجال للدخول في جسم الرسالة كلها، حيث يبدأ الحوار في كيفية أن الابن أعظم من الملائكة بقدر عظم اسم ابن الله وأفضليته على اسم ملاك (أي مُرسَل). أما إذا أردنا أن نسبق الحوادث ونسأل لماذا المقارنة مع الملائكة هنا بالذات، فالجواب سيأتي في معرض الرسالة، إذ أن المعروف في التقليد اليهودي أن الناموس تُسَلَّم لموسى بيد ملائكة (عب ٢ : ٢ وأع ٥٣ : ٧). والمعنى واضح أن الخلاص الذي أتى به «الابن» هو بالتالي أعلى وأعظم من الناموس الذي أتى به «خادم» على يد ملائكة مُرسَلين أي «خُدّام» .

فإذا بدأنا نفحص موضوع الأربع الآيات الأولى نجد:

- ١ — أن الآية الأولى والثانية تنحصران في المقارنة بين الاستعلان في القديم والاستعلان في الجديد (في هذه الأيام الأخيرة).
- ٢ — والآية الثالثة تنحصر في طبيعة الابن وفي عمله .
- ٣ — والآية الرابعة تنحصر في المقارنة بين الابن والملائكة كمنطلق للحوار بأفضلية المسيح وبالخلاص فوق موسى والناموس، وهو ما سيستغرق موضوع الرسالة برمتها .

## أولاً : الاستعلان في القديم بالأنبياء والاستعلان في هذه الأيام الأخيرة في الابن

[ ٢٠١ : ١ ]

هنا نجد المقارنة قائمة على ثلاثة أركان :

أ — الواسطة التي تم بها الاستعلان وهم «الأنبياء» في مقابل «الابن» .

ب — الزمن، فالاستعلان الأول تم في عصور تأديب الإنسان وتعليمه، وسماه بالزمن القديم؛ والاستعلان الثاني في هذه الأيام الأخيرة بانفتاح عصر آخر.

ج — الاستعلان الأول، وهو جزئي، تم في مراحل قصيرة متعددة، جاءت متتابعة من داخل الزمن، وتم بطرق متعددة بما يتناسب مع الشُعْلَن لهم فكرياً واجتماعياً وزمنياً؛ أما الاستعلان الأخير فهو كلي وكامل ومرة واحدة ليتناسب مع الإنسان ككل، وعلى مدى الزمن كله وكل الظروف. وهذا ما يشرحه القديس يوحنا في إنجيله بقوله: «والكلمة صار جسداً، وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيده من الآب» (يو: ١٤)، «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبِر.» (يو: ١٨)

وفي هذه المقارنة بين الاستعلان الأول والاستعلان الأخير نجد كل كلمة يقابلها كلمة، ذلك إذا استثنينا البادئة الأولى في الآية الأولى التي جاءت في اليونانية غير الترجمة العربية هكذا: «بأنواع وطرق كثيرة قديماً، الله كلَّم الآباء بالأنبياء، في هذه الأيام الأخيرة كلمنا في ابنه». لذلك تصبح المقابلة:

قديماً	←	في هذه الأيام الأخيرة
الله كلَّم الآباء	←	الله كلَّمنا
بالأنبياء	←	في ابنه

بهذه المقابلة الموضحة أعلاه يتضح القصد مباشرة من هاتين الآيتين، وهو أن في المسيح كَمُل الاستعلان الذي بدأه الله قديماً. فالاستعلان الذي جاء مجزئاً على أزمنة ممتدة وبطرق متعددة الأشكال والأنواع وجاء من على بُعد، هو غير واضح وله صفة المرحلية التي تشير إلى الآتي دائماً ولا يحمل صفة الوحدة المتكاملة. هذا الاستعلان انتهى مرة واحدة بدخولنا في عصر الأيام الأخيرة أو

الأخروية، حيث «الابن» كشخص واحد ووحيد، كامل في كل شيء، استُعين مرة واحدة في ذاته الاستعلان الكلي والنهائي.

وهذا ينصبُّ في ظهور الابن متجسداً، لأن التجسد هو الاستعلان الكلي والكامل بعد ذاته الذي به تم كل تعريف الإنسان بسر الله والخلص أو سر علاقة الله بالإنسان، بأعظم وأعمق وأعلى صورة واقعية منظورة وملموسة ومشاهدة. «فالتجسد» هو المقابل الواقعي الحقيقي لكون الاستعلان الأول جاء في القديم «بأنواع وطرق كثيرة».

وهذا يوضح مدى صعوبة الاستعلان في القديم، ولماذا جاء مجزئاً وعلى أوضاع وأوصاف ورموز ذات مواصفات وتعبيرات لا نهاية لها. ذلك لأن هذه كانت تحاول أن تعطي فكرة عن التجسد وذبيحة الصليب في ذلك الزمان، ويا لها من صعوبة بالغة! لأننا ونحن الآن في ملء الاستعلان الكامل والكلي للخلص الذي أكمل، لا زلنا بحسب قول بولس الرسول: «نعلم بعض العلم ونتبأ بعض التنبؤ ولكن متى جاء الكامل فينبئنا ما هو بعض، ... فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة ولكن حينئذ سأعرف كما عُرفت.» (١ كور ١٣: ٩-١٢)

والسؤال الآن: لماذا بعد أن تم الخلاص وأخذنا كامل حرية أولاد الله ونعيش في ملء نعمة الإيمان ولنا سلام مع الله يفوق العقل، لماذا نقول إن هذا بعض العلم وكأننا ننظر في مرآة وكأننا أمام لغز؟

ذلك لأننا نعيش الخلاص الآن ونعيش حرية أولاد الله ونعيش السلام الذي يفوق العقل، نعيش كل هذا ونحن في الجسد. فهذه المواهب والنعم كلها مقصورة على حياة الجسد، غير منظورة في كامل واقعها الروحي، وغير عاملة على مستواها الكلي والمطلق الذي هو مدخر لنا في الحياة الأبدية. فالآن نحن نعيش في شح العربون وليس في ملء العطية!

لهذا نحن نعذر الآباء الذين كانوا قبلنا والذين ذاقوا الاستعلان قديماً في أضعف معناه وصوره، في ذبيحة خروف وتطهير بالدم وكاهن يدخل قدس الأقداس من وراء الحجاب، حاملاً دم خروف يسترضي به الإله المحتجب!!

ولكن الاستعلان الذي تم لنا بواسطة الابن شيء لا يُستهان به، فهو الذي عمل العالمين والذي له ميراث كل القديم والجديد. فكل ما قاله الأنبياء ينصبُّ فيه، بل كل ما في العالم وتمن في

العالم، سواء الأرض أو السماء، الكل ينتهي إليه، به خلق وله أيضاً خلق، والكل كائن بكيانه وقائمٌ محمولٌ بكلمة قدرته. فأي استعلان كامل وكلي صار هذا الاستعلان؟ أما إن كان هناك قصورٌ في شيء — حتى إننا لا نراه ونعرفه مستعلنًا في كلية كيانه الروحي — فالقصور قائم فينا، فنحن محبسون في الجسد.

ولكن الذي لا يُبعدنا عن هؤلاء الذين كانوا قديماً يتطلعون حائرين في استعلان مشيئة الله من وراء صور ورموز غاية في الانحصار في الشكلية المادية والحرف، مع التماهي في الأحكام والعقوبات، هو أنهم ونحن إنما نسمع كلانا لصوت واحد، وإن اختلفت نبراته ولغته، فهو الله الواحد سواء بأبنيائه أو في ابنه على حدّ سواء.

فالذي تكلم في القديم هو الذي تكلم في هذه الأيام الأخيرة. ولكن ببراعة مدهشة، يضع سفر العبرانيين الفارق الهائل بين كلمة الله في القديم وكلمة الله في هذه الأيام هكذا: «فانظروا أن لا تستمعوا من المتكلم، لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض (على جبل سيناء)، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء» (عب ١٢: ٢٥)، بمعنى أن الذي تكلم بالأنبياء — أي موسى — على الجبل واستعفى الشعب من سماع الصوت بل ومن طاعته دلالة على عدم لياقتهم للسمع، هو نفسه الذي يتكلم الآن — في ابنه يسوع المسيح — من السماء. وهذا ينقلنا إلى موضوع الرسالة، بمعنى أن استعلان الله بالأنبياء قديماً صار عبرة لنا بعد وضوح الاستعلان وبلوغ كماله ومنتهاه. لذلك يقول أيضاً مكملاً: «الذي صوته (على الجبل) زعزع الأرض حينئذٍ، وأما الآن فقد وعد قائلاً إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً» (عب ١٢: ٢٦)، بمعنى أن الشعب الذي استعفى من صوت الله وارتدوا عنه، أزعجهم بزلزلة الأرض، أما نحن فإن ارتدادنا عنه سوف يزعزع لنا الأرض والسماء فلا يكون لنا راحة على الأرض ولا رحمة من السماء. نعم حينما تميد الدنيا بالخطيء الذي دخل في خصومة مع الله، حينئذٍ سوف يرى صدق هذا الكلام، فالأرض يحسها وكأنها تميد من تحته والسماء مكفهرة تشيح بوجهها، فلا سلام على الأرض ولا رحمة من السماء.

## الشرح:

[ « كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت فرأيت رؤى الله. »  
[ (حز:١٠) ]

١:١ « الله بقد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة. »

في النص اليوناني لا يأتي ترتيب الكلام هكذا كما هو في الترجمة العربية ولكن يُقرأ هكذا:  
Πολυμερῶς καὶ πολυτρόπως πάλαι ὁ θεὸς λαλήσας τοῖς πατέρας ἐν τοῖς  
προφήταις  
وترجمته الصحيحة حرفياً هكذا: « على أجزاء كثيرة وبطرق عديدة كلم الله قديماً الآباء  
بالأنبياء. »

بهذا التقديم المتعمد، وعلى غير هوى رصانة النحو في أصول تركيب الكلام باللغة اليونانية نفسها، قدّم الكاتب شبه الجملة هذه: « على أجزاء كثيرة وبطرق عديدة »، بقصد منه، لكي يُبرز لذهن القارئ معلومة هي في عُرْفِه خلاصة الرسالة بجملتها، وهي:

إن الاستعلان الذي قدّمه الله قديماً للآباء بالأنبياء كان غير كامل في ذاته ولا في أجزائه، لسبب ضمنى أنه لم يكن ممكناً تقديمه واضحاً، ولهذا تعددت الطرق في التعبير عنه. بل وبنوع من الخلق في إيضاح قيمة ما سيأتي من الكلام قدّم هذه الآية بحالها. فالتقصان الواضح الذي كان يكمن في الاستعلان سابقاً إنما قدّمه ليقدم التكامل في الاستعلان الآتي المزمع أن يعبر عنه الذي تم في المسيح. وقصد الكلام أن الاستعلان القديم قدّمه الله كأساس تحتي ليبنى فوقه الاستعلان الجديد الكامل والنهائي.

لهذا نحن ننعي قصور المترجم إلى اللغة العربية ونسأل كيف فاتته هذه اللفتة الواعية من الرسالة بتقديم ما يجب تقديمه الذي يُحسب أنه قمة الرؤيا وقلب الموضوع؟

[ « وكلمت الأنبياء، وكثرت الرؤى،

ويبد الأنبياء مثلت أمثالا. » (هو:١٢:١٠) ]

« بأنواع وطرق كثيرة »: πολυμερῶς καὶ πολυτρόπως

يُلاحظ أن اليونانية قدّمت بتكرار «الكثرة» πολυ- لتكون صفة الأنواع بمفردها، ثم

«الكثرة» πολυ- عينها لتكون صفة الطرق أيضاً، وهذا إمعاناً في الوصف الدقيق أن الله استخدم فعلاً الكثير من الأنواع والكثير من الطرق.

### «أنواع كثيرة»:

وكلمة «أنواع» هي في اليونانية μέρος المعروفة عند الرهبان «باليرس» أي الجزء. وهي التعبير الصحيح الذي يفيد التجزيء، وليس الأنواع، في الاستعلان. فالاستعلان القديم بواسطة الأنبياء قُدّم على أجزاء كثيرة في مقابل الاستعلان في المسيح الذي قدّمه الله كلاً ومرة واحدة: «الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦). فبالعودة إلى كيف بدأ الاستعلان في العهد القديم بخروف الفصح، ثم عمود السحاب وعمود النور المهادي في طريق التيه، ثم الصخرة التي أخرجت الماء، ثم المن الذي نزل من السماء، ثم حلول الله في خيمة الاجتماع، ثم الحية النحاسية المرفوعة على عصاة، وبعد كل ذلك يأتي المسيح فيقول عنه المعدادان: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩)، ويقول المسيح: «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢ و ٩: ٥)، ثم: «أنا هو الطريق» (يو ١٤: ٦)، ثم: «إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب» (يو ٧: ٣٧)، ثم: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء» (يو ٦: ٥١)، ثم: «أنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، ثم: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢)، وهكذا نرى أن كل ما استعلن مجزئاً في أجزاء جمعه المسيح في ذاته استعلاناً واحداً كاملاً: «أنا هو εγώ εἰμι».

[«وإذا بالرب عابراً وريحاً عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكشّرت الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح. وبعد الريح زلزلة، ولم يكن الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار، ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول: مالك ههنا يا إيليا.» (١ مل ١٩: ١١-١٣)]

«طرق كثيرة (أو متعددة)»: πολυτρόπος = Fashions و manners = باللاتينية:

. Modis

والكلمة اليونانية تميل إلى وصف الحالة التي كان يتم بها الإعلان أو الاستعلان بالنبوات العديدة الأنواع والحالات ثم بالرؤى أو الأحلام أو التشبيه بالرمز أو الكلام وجهاً لوجه مثل حالة موسى أو الكلام المكتوب، إن بأصبع الله ذاته، أو بالوحي المؤثر للتدوين على قرطاس، أو الأوريم

والتميم (عد١٢ : ٨ و ٦). فهذه هي الطرق والحالات التي حاول الاستعلان أن يوضح فيها ما يريد الله أن يعلنه للآباء بالأنبياء. ثم هذه الطرق جميعاً وهذه الحالات العديدة والمحاولات الكثيرة تنجم مرة واحدة لنراها: «والكلمة صار جسداً وحل بيننا (ورأيناه)» (يو١ : ١٤)، «ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا» (يو١ : ٢)، «الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة.» (يو١ : ١)

وهكذا انتهى الاستعلان القديم بمحاولاته العديدة المتنوعة إلى استعلان واحد حيّ منظور ملموس مُشاهد، كامل وكلي ونهائي، في شخص ابن الله الذي يستعلن الله ليس بالكلمة وحسب بل وفي ذاته.

وعلى سبيل المثال لذلك، نقدم محاولة حزقيال النبي في استعلان مجد الله فقال:

«فوق المقبب الذي على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق. ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نارٍ داخله من حوله من منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نارٍ ولها لمعانٌ من حولها ... هذا منظر شبه مجد الرب. ولما رأيته خررت على وجهي وسمعتُ صوت متكلمٍ.» (حز١ : ٢٦-٢٨)

هذا يسميه سفر العبرانيين جزءاً (Fragment) من الاستعلان، أما استعلان مجد الله فقد رُئي بحسب القديس يوحنا في الابن الوحيد: «(ونحن) رأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب» (يو١ : ١٤)، أو كما يسميه سفر العبرانيين نفسه في الآية القادمة: «(الابن) الذي هو بهاء مجده ورسم جوهرة وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته.»

ثم يجيء إشعياء النبي ويحاول أن يستعلن غفران الله وتجديده للإنسان بالكلمة فيقول: «هلم نتحاجج بقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج إن كانت حمرء كالودودي تصير كالصوف (الأبيض)» (إش١ : ١٨). فيرد عليه الاستعلان الكامل عن الغفران والتطهير في سفر العبرانيين عن الابن فيقول: «الذي بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب١ : ٣)

ثم يجيء إرميا النبي ويحاول أن يستعلن قدرة الله المتفوقة فيقول:

«صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه تَسَطُّ السموات.» (إر١٠ : ١٢)



ويرد عليه الاستعلان الكامل في سفر العبرانيين عن الابن: «الذي به أيضاً عمل العالمين ... وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته ... جلس في يمين العظمة في الأعالي» (عب ١ : ٣ و ٢). يسير على الماء وينتهر البحر فيسكت والريح تطيعه، يقيم الميت من القبر بعد أربعة أيام ويُحيي مَنْ يشاء.

وهكذا تعطي جميع النبوات الاستعلان في القديم متعدد الصور والمناظر والتعابير وكأنها تمهد للاستعلان الكلي؛ وهكذا تنتسب إليه كمنظر بعد منظر إنما من خلال ضباب، ضباب المعرفة التي كان عسيراً عليها أن تدرك الحق أو تحذق فيه.

ولكن روح الرسالة بل وحتى روح الآية الأولى منها توضح أن الاستعلان بالكلمة التي تكلم بها الله للآباء بالأنبياء قديماً، يكون مع الاستعلان الذي أكمله الله لنا بالكلمة في الابن، استعلاناً آخر نستشفه الآن لحكمة الله التي وضعت الأساس وبتت عليه. ويكفي لكي ندرك مدى التلاحم الحادث بين ما كلم الله به الآباء بالأنبياء وما كلمنا نحن في ابنه، أن نقرأ الأصحاح الحادي عشر من سفر العبرانيين لتتعرف على الكثرة الماثلة من هؤلاء الآباء العظام القديسين الأوائل، كيف أكملوا الإيمان إلى أقصى حد من حدود رضا الله، وصاروا أعظم مثال لنا — ونحن في ملء نور المسيح — لنحتذي به، إن شئنا أن نعيش بالإيمان!!

فإن كانوا قد صاروا هكذا نماذج عليا لإيمان يُحتذى، فيا له من استعلان في القديم كريم ومبارك وعظيم هكذا، حتى صاروا لنا بإيمانهم ليس نماذج فحسب بل وسحابة شهود تستحثنا على الجهاد للنصرة.

«قديماً»: πάλαι

الكلمة تفيد الماضي المنتهي تماماً. قبل وانتهى القول وخُتم عليه في خزانة الذاكرة وصار ماضياً.

إلا أنه بالرغم من وقوع مفهوم كلمة «هذه الأيام الأخيرة» في مقابل مفهوم كلمة «قديماً»، لكن هذا الفاصل بين الماضي وما بعد الماضي، سواء اعتبر مستقبلاً للماضي أو حاضراً لنا، فهو لا يوجد عند الله المتكلم.

«كلم الله الآباء»:

«هذه هي أطراف طرقة،

وما أخفض الكلام الذي نسمعه منه،

وأما رعد جبروته فمن يفهم.» (أي ٢٦ : ١٤)

الله يتكلم:

بديع حقاً أن نسمع هذا ويملاً وعينا ويحرك مشاعرنا أن الله يتكلم، ويتكلم مع الإنسان المحروم من الغراء، والذي يشقى على وجه هذه الغبراء منذ البدء. فصمت الله بالنسبة للإنسان هو الغضب بعينه، هو عقاب لا يدايه عقاب، هو الغربة الحزينة بل هو صورة قاسية من صور الموت الأدبي. فأن يتهاون الإنسان في حق الله ويقاطعه ولا يتحدث معه شيء؛ ولكن أن يهمل الله الإنسان ويفرض أن يتحدث إليه، فهذه كارثة. إنه شبه حكم بالإعدام يتجدد كل يوم. «وأنا أهملتكم، يقول الرب» (عب ٨: ٩). لذلك فاستهلال الرسالة بأن الله كلم الآباء، فهذا يشيع في قلبنا الدفء ويهسيء وعينا لاستقصاء ما قاله الله، لأنه حتماً يحمل رسالة ودية وصداقة وألفة وحية. لقد صدق أيوب وهو يقول مُثبتاً أن كلام الله في الأول للآباء كان خفيضاً ما يكاد يُسمع، وهو الذي كان بقم الأنبياء، أما الكلام الذي أُرعد به في عمله الذي في المسيح، فمن يسمعه تظنُّ أذناه.

والكلام في الماضي بالنسبة للآباء لم يخرج عن كونه وعداً وما أجمله وأبهاه من وعد، وبعد الوعد يجيء التحقيق وما أسعده: «وإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله.» (رو ٥: ١)

فالكلام هو هو واحد لأن المتكلم هو واحد. فإن كان المصدر للكلمة واحد لا يتغير، فالماضي كالحاضر والمستقبل بالنسبة للكلمة، فالكلام واحد وإن تغيرت الأذن التي تسمعه، والفكر والقلب والروح التي تعيه: «لأنه مَنْ وقف في مجلس الرب ورأى وسمع كلمته؟ مَنْ أصغى لكلمته وسمع ... ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي وردُّوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم.» (إر ٢٣: ١٨ و ٢٢)

فكون الله يتكلم، فهذه هي البشارة بعينها وهي واحدة لا تتغير، هذا أمر مؤكد عند القديس بولس كاتب سفر العبرانيين: «لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا = εὐηγγελισμένοι كما أولئك، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممزجة بالإيمان ... والذين بُشِّروا εὐαγγελισθέντες أولاً لم يدخلوا لسبب العصيان» (عب ٤: ٦ و ٢). وبالنهاية فنحن وإن بُشِّرنا بالجديد، فذلك لا يزيد عن كوننا نكمل ما بدأه، هناك أساس وهنا تكميل وبناء. فإن كانت بشارتهم قد نقصت شيئاً فهذا ليس قصوراً في البشارة، حاشا! ولكن هذا النقص كان عن قصد حتى لا يُكْمَلوا بدوننا. وهذا عجب في اتساع رحمة الله: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد، إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا» (عب ١١: ٣٩ و ٤٠). والأفضل لا يجيء بعد السيء، إنما الفاضل هو الذي ينتهي بالأفضل.

والقدّيس بولس يُزيد من عمق هذا المعنى، معتبراً أن حتى بشارتهم قديماً والخاصة بهم، والتي كانت قائمة بتحذيرات وإنذارات وتوعية، فهذه لم تكن لهم وحدهم بل وُضعت بعناية وقصد ممتد لتكون ذات سلطان، نفس السلطان، علينا نحن أيضاً:

+ « ولا تتذمّروا كما تذمّر أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك. فهذه الأمور جميعها أصابتهم

مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. » (١ كو ١٠: ١١ و ١٠)

+ « لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تُقسّوا قلوبكم كما في الإسخاط

يوم التجربة في القفر، حيث جرّبني أبأؤكم. » (عب ٣: ٧-٩)

+ « فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لتلا يسقط أحدٌ في عبرة العصيان هذه عينها. » (عب ٤: ١١)

يقول بطرس الرسول في هذا: « الذين أُعلنَ لهم أنهم ليس لأنفسهم — بل لنا — كانوا

يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشّروكم في الروح القدس المُرسَل

من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تظّلِعَ عليها. » (١ بط ١: ١٢)

وكما رأينا أن البشارة بالكلمة هي واحدة، البشارة لنا كما البشارة لهم، ولا يزيد الأمر عن

كون هذه تكميلاً لتلك: نحن نكمّلهم، وهم لا يُكمّلون بدوننا؛ كذلك نفس العهد الذي هو

خلاصة كلام الله، هكذا يعتبره سفر العبرانيين أن الجديد يكمل القديم تماماً كما قالها المسيح:

« لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمّل » (مت ٥: ١٧)،

« لأنه يقول لهم لانمأ هوذا أيامٌ تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا

عهداً جديداً. » (عب ٨: ٨)

هنا نتوقف لكي نوضح أن التكميل في الحقيقة لا ينبع من نقصان في العهد بل نقصان في

السمع والتنفيذ، فإن أعطى الله عهداً جديداً ليكمل به خطته فقد أضاف على ما أعطى في القديم

ما يضمن سماعه ويضمن تنفيذه، وهذا واضح من بقية الآية: « لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم

يوم أمسكتُ بيدهم لأخرجهم من أرض مصر — لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول

الرب — لأن هذا هو العهد الذي أعده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل

نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم (وليس على ألواح حجرية حتى لا ينسوها) وأنا أكون

لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب لأن

الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم [في القديم:

”مَنْ أخطأ إليّ أعوه من كتابي“ (خر ٣٢: ٣٣)] ولا أذكر خطاياهم [في القديم: ”أفتقد ذنوب

الآباء في الأبناء في الجليل الثالث والرابع من مُبغضِيَّ « (خر ٢٠: ٥) ] وتعدياتهم في ما بعد. «  
(عب ٨: ٩-١٢)

ولكن الذي يركّز عليه سفر العبرانيين منذ البدء — وهو ما يعيننا بالدرجة الأولى — أن ما كلم الله به الآباء بالأنبياء كان في أهم مكوناته تقديم العناصر الأولية والأساسية عن ابنه بالذات الذي فيه سيكُمّل الاستعلان ويتجلى العهد، وذلك بأن أعطى لابن مواصفاته الكثيرة التي تستقطب الفكر والاهتمام والوعي، تمهيداً لاستعلانه. لذلك نجد السفر ينشغل في الأصحاح الأول بقدر كبير من هذا التركيز:

- + « أنت ابني أنا اليوم ولدتك. » (عب ١: ٥)
- + « أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. » (عب ١: ٥)
- + « متى أدخل البكر إلى العالم، يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله. » (عب ١: ٦)
- + « وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامه قضيب مُلكك. »  
(عب ١: ٨)
- + « أحببت البرّ وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من  
رفقائك. » (عب ١: ٩)

### عن الابن أيضاً:

- + « أنت يا رب في البدء أسست الأرض، والسموات هي عمل يديك، هي تبديد ولكن أنت  
تبقي، وكلها كשוב تبلى، وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفسى. »  
(عب ١: ١٠-١٢)
- + « اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. » (عب ١: ١٣)

ثم يكمل سفر العبرانيين في الأصحاح الثاني:

- + « ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده، وضعته قليلاً عن الملائكة، بمجد  
وكرامة كلّته وأقمته على أعمال يديك. » (عب ٦: ٧)
- + « أخبر باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبحك. » (عب ٢: ١٢)
- + « لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي ... المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً  
ملك ساليم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداية أيام له ولا نهاية  
حياة، بل هو مشبّه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد. » (عب ٧: ١-٣)

+ «عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُردِّ ولكن هيئات لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسرَّ. ثم قلت ها أنذا أجيء — في ذرَج الكتاب مكتوب عني — لأفعل مشيئتكَ يا الله.» (عب ١٠ : ٥-٧)

هذه الأقوال التي جمعها القديس بولس من أسفار العهد القديم لم يسجلها بالنص حسب المكتوب أمامه في النسخ السبعينية أو العبرانية، ولكن كتبها من الذاكرة وسوف نعرض إليها في الشرح ونوقِّع مواضعها في الأسفار.

ولكن الذي نلفت إليه نظر القارئ هو أن ق. بولس جمع لنا قدراً لا بأس به من النبوات التي كلَّم الله الآباء بها قديماً، معطياً أضواءً من على بُعْد زمني سحيق لِيُمهِّد لاستعلان شخص الابن الوحيد في الأيام الأخيرة:

+ «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاً وهو يعلن سيره لعبيده الأنبياء.» (ع ٣ : ٧)

فهذه هي عيِّنة ما تكلم الله به قديماً بالأنبياء، فانظر في قيمة هذه الأقوال بالنسبة لنا الآن وكيف أنها تجعل لاستعلان الابن الآن في هذه الأيام الأخيرة قاعدة نبوية راسخة تُزيد من استعلانه قوة وتأكيداً ورسوخاً. ثم انظر بعد ذلك أيها القارئ السعيد في مدى الارتباط بين ما تكلم الله به بالأنبياء قديماً وما تكلم به في هذه الأيام، الارتباط الذي يستحيل فصله، الذي كان بالنسبة للآباء قديماً نوراً بهياً، رأوه من على بُعْد فأمنوا به وأحبُّوه فكان لهم عزاءً ورجاءً:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيَّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... يتنغون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعدَّ لهم مدينة.» (عب ١١ : ١٣ و١٦)

وأما بالنسبة لنا، فإنه يكفينا ما قاله الرب بنفسه بعد القيامة لتلميذي عمواس: «فقال لهما: أيها الغيبان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء، يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.» (لو ٢٤ : ٢٥-٢٧)

أما كل ما أسسه موسى ورسمه في العبادة، فلخصه سفر العبرانيين: «الذي هو رمز للوقت الحاضر الذي فيه تُقدِّم قربانين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكتمل الذي يُخدم.» (عب ٩ : ٩)

أما كل أعمال الناموس فيلخّصه سفر العبرانيين أيضاً:  
 + «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء ...» (عب ١٠: ١)

«الآباء»: τοῖς πατέραςιν

هنا يقصد بولس الرسول نوعية خاصة من رجال العهد القديم وهم الآباء الذين كلّمهم الله بالأنبياء فسمعوا وقبلوا الكلمة. وكلمة «الآباء» صفة لا تخصهم في أنفسهم، وإلّا كان قد قال: «رجال الله القديسون». ولكن بقوله: «الآباء»، فهنا الصفة تخصنا نحن؛ فهم آباؤنا. لذلك فهم نخبة المختارين بالروح الذين حُسبوا بسبب إيمانهم وصلة الأبوة لنا أنهم أعضاء في الكنيسة التي هي نحن:

+ «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شرباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح.» (١ كو ١٠: ١-٤)

على أن بولس الرسول سواء في سفر العبرانيين أو في الرسالة إلى كورنثوس، ولو أنه أطلق كلمة «الآباء» على كل الشعب الذي عبر البحر أو الذي كلّمه الله سواء بموسى أو الأنبياء، إلّا أنه إن كان قد عاد واستثنى منهم الذين عصوا، إلّا أن كلمة «الآباء» بقيت برنينها الإيجابي، مُعتبراً أنهم آباؤنا الروحيون أعضاء الكنيسة الأولى، كنيسة البرية بخيمتها العتيقة! وقد ذكر منهم سفر العبرانيين الكنيسة (عب ١١). ولو شئت توضيحاً أكثر أيها القارئ العزيز، فالضمير «نحن» في «كلمنا في هذه الأيام» يشمل منا في الواقع المختارين بالدرجة الأولى، لأن الله لا يكلم إلّا الذين يسمعون: «مَنْ لَهُ أذنان للسمع فليسمع» (مت ١١: ١٥). ولكن مَنْ ذَا يستطيع أن يقسّمنا إلى مختارين ومرفوضين؟

«بالأنبياء»: ἐν τοῖς προφήταις

حرف الباء ἐν هنا يماثل في التركيب حرف الجر الذي جاء في الآية الثانية بخصوص المسيح ἐν «في». لذلك، وبحسب الأصول اللغوية، لا يوجد أي فرق بين «كلم بالأنبياء»، و «كلم في ابن». والذين حاولوا التفريق في المعنى خرجوا عن المضمون اللغوي. وفي الحالين ἐν تفيد الوساطة لغوياً، ولكن لاهوتياً هناك فارق هائل لأنه لا يوجد لنا إلّا وسيط واحد: «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح» (١ تي ٢: ٥). على أن الوساطة الوحيدة القائمة بالمسيح الابن بين الله والناس هي وساطة قائمة بالنسبة لله، لا من الأعلى إلى الأقل نحنونا،

- بل قائمة في الله كالمثيل للمثيل . فالابن يمثل الآب دون نقصان بأي حال من الأحوال :
- + « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) ،
- + « أنا في الآب والآب فيَّ » (يو ١٤ : ١٠) ،
- + « الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال » (يو ١٤ : ١٠) ،
- + « كل ما هو لي فهو لك ، وما هو لك فهو لي . » (يو ١٧ : ١٠)

وهذا المستوى من الوساطة بالنسبة لنا ، هو أيضاً على مستوى التساوي ، لأن الابن الوحيد تجسد وصار مشابهاً لإخوته في كل شيء . ولكن الحال في الوساطة بالنسبة للأنبياء ليس كذلك . فالنبي في أحسن أحواله هو بالنسبة لله عبد ، وليس ابناً ، يسمع فيطيع غير مختار ، وإذا لم يُطع يقع تحت العقاب الشديد :

- + « فقال الرب لي لا تقل إنني ولد ، لأنك إلى كل مَنْ أُرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به ... لا تخف من وجوههم ... أما أنت فنطق حقوقك وقم وكلمهم بكل ما أمرك به ولا ترتع من وجوههم لثلا أربعك أمامهم . » (إر ١٧ : ٨ و ١٧)

كذلك فوساطة النبي بالنسبة للناس لا تقوى ، من جهة فضائل النبي مهما كانت ، أن تفيد شيئاً ، ففضائله لا تكاد تخلص إلا نفسه فقط :

- + « وكانت إليّ كلمة الرب قائلة يا ابن آدم إن أخطأت إليّ أرض وخانت خيانة فمددت يدي عليها وكسرت لها قوام الخبز وأرسلت عليها الجوع وقطعت منها الإنسان والحيوان ، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب ، فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم يقول السيد الرب ... إنهم لا يخلصون بنين ولا بنات . هم وحدهم يخلصون والأرض تصير خربة ... أو ... إنهم لا يخلصون ابناً ولا ابنة إنما يخلصون أنفسهم (وحدهم) ببرهم . » (حز ١٤ : ١٢ - ٢٠)

إذاً ، فالنسبي وسيط ليس له أن يغيّر في قضاء الله ، فهو يحمل رسالة لا تمت إليه بصلة ، ولكن المسيح بحد ذاته ، كما سنرى ، هو الرسالة بعينها . فإن كانت رسالة الله في المسيح كلمة الله ، فالمسيح نفسه هو كلمة الله !! فالرسالة بواسطة الابن أي المسيح إن كانت هي الخلاص الذي أرسله الله للإنسان ، فالمسيح نفسه هو المخلص ، ومضمون الرسالة اللاهوتي إن كان هو توصيل بر الله للإنسان ، فالمسيح الابن هو « البار » الذي يبره بتمرير الكثيرون . وإن كان القصد النهائي من رسالة الله للخلاص بتوسط المسيح الابن هو أن يصفح عن خطايا الإنسان فتغفر خطاياها ، فالمسيح الوسيط هو الكفارة بدمه ثم للتكفير وغفران الخطايا . وإن كانت مشيئة الله الأخيرة من رسالة

الفداء بتوسط المسيح أن يتبنى الله الإنسان، فالمسيح وسيط الفداء هو الابن الذي ببنوته نلنا التبني لله!

فانظر أيها القارئ وتمعن، فالوساطة من جهة الاسم واللغة واحدة. فالأنبياء وسطاء بين الله والناس والمسيح وسيط بين الله والناس. أما الأنبياء فنقلوا من الله للآباء كلمة، أما الابن المسيح فنقل لنا من الله ذاته! لذلك حق أن يُقال:

+ «يوجد إله واحد وسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح.» (١ تي ٢: ٥)

أما من هم الأنبياء الذين في ذهن كاتب الرسالة — أي بولس الرسول — فنستشف من واقع استشهاده من خلال المواضع أنهم يشملون الجميع، حاسباً البطارقة الأولين ثم موسى ويشوع وداود وبقية الأنبياء الرسميين، الكتابيين وغير الكتابيين، باعتبار أن كل من كلمه الله فهو نبي، مع كل من حمل كلمة الله للآخرين.

وعلى القارئ إن أراد أن يتعرف على معنى النبوة وهوية الأنبياء وأسمائهم ووظائفهم فعليه أن يرجع إلى الدراسة التمهيدية التي قدمناها عن ذلك من صفحة ٧٦ إلى صفحة ٩٢.

٢:١ «كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء. الذي به أيضاً عمِلَ العالمين.»

«كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء.»  
هنا يقدم بولس الرسول المقابل للآية الأولى: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً».

«كلمنا في ابنه»:

هذا القول في حدوده الضيقة والمباشرة يفيد أنه استعلان نبوي، فهل المسيح وهو ابن يمكن أن يُدعى نبياً؟ نعم، فكل استعلان حقيقي لله سواء في شخصه أو صفاته أو أقواله أو مشيئته هو نبوة، لأنه بحسب تحليل كلمة «نبي» بروفيتيس = προφήτης المكوّنة من البادئة προ- التي تفيد هنا «عن»، وφήμη وتعني «صوت من السماء»<sup>(١)</sup>، والتي تفيد بالنهاية التكلم نيابة عن الله، يكون المسيح هو أحق وأصدق من يُدعى نبياً، لأنه تكلم بالفعل نيابة عن الله.



ولكن لأن المسيح هو ابن الله، يصبح كلامه ليس فقط نيابة عن الله بل شخصه بالأساس. فهو في المنظور التجسدي يتكلم نيابة عن الله، ولكن في واقعه الإلهي يكون هو الله متكلماً، أو كما عبّر عنه القديس يوحنا في إنجيله هو الله الكلمة بقوله: «وكان الكلمة الله.» (يو: ١: ١)

وهنا نأتي إلى أول مقارنة هامة جداً وخطيرة بين استعلان الله متكلماً للآباء بالأنبياء قديماً، وبين استعلان الله متكلماً لنا في ابنه.

ففي استعلان الله متكلماً للآباء بالأنبياء قديماً بواسطة نقل الكلمة فقط، ظلّ الله فيه محتضياً عن الأنبياء أنفسهم ومحتضياً في الكلمة. فكانت كلمة الأنبياء للآباء قديماً تحمل أمراً أو فكراً عن الله ولكنها كانت عاجزة تماماً عن أن تكشف الله في ذاته: «حقاً أنت إلهٌ مُحتجِبٌ يا إله إسرائيل المخلص.» (إش: ٤٥: ١٥)

أما الله متكلماً في ابنه، فهنا استعلانٌ لله في ذاته. فـ «الابن» هو من ذات الله، باعتبار أن الله أب وابن ذات واحدة، فعندما يتكلم الله في ابنه يكون المتكلم هو الله الأب في ابنه كآب وابن معاً. وهذا هو الاستعلان الكلي والكامل لله في ذاته وصفاته الجوهرية. وهذا هو الفارق الهائل بين استعلان الله متكلماً للآباء والأنبياء قديماً واستعلان الله متكلماً لنا هذه الأيام في ابنه.

أما المقارنة الثانية بين استعلان الله بالأنبياء قديماً واستعلانه لذاته متكلماً في ابنه في هذه الأيام فهي منبثقة من كون الأنبياء كانوا بشرأً وأقعين تحت الخطية؛ فمهما انفتحت آذانهم لسماع كلام الله ومهما انفتحت عيونهم لرؤية مناظر يستحضرها الله لهم ليعبثوا عنها للشعب، فإنهم ظلوا لا يرون الله في ذاته قط ولا يسمعونه متكلماً بذاته قط، وهذا كان مأخذ المسيح على اليهود حينما انحصروا في كلمات موسى ورفضوا كلامه هو، بقوله لهم:

+ «وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا (المعمدان النبي)، لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني والآب نفسه الذي أرسلني يشهد (شهد في الأسفار المقدسة) لي. لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتهم هيئته وليست لكم كلمته ثابتة فيكم.» (يو: ٣٦-٣٨)

+ «الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه، أنا أعرفه لأنني منه وهو أرسلني.» (يو: ٢٨ و ٢٩)

أما القديس يوحنا الإنجيلي فقالها بوضوح: «الله لم يرّه أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (أعلن حقائق). «(يو: ١: ١٨)

والله قال لموسى حينما أراد أن يراه في ذاته: «فقال (موسى) أرني مجدك ... وقال (الله) لا تقدر أن ترى وجهي (أقنومي) لأن الإنسان لا يراني ويعيش.» (خر ٣٣: ١٨-٢٠)

وكان أقصى ما يمكن أن يحصل عليه نبي في القديم، حصل عليه موسى، وكان هو: «شبه الرب يعاين.» (عد ١٢: ٨)

وإشعيا النبي لما ظنَّ أنه رأى الله في الرؤيا وهو بهيئة الجالس على كرسي عالٍ قال: «ويل لي إني هلكت ... لأن عيني قد رأنا الملك رب الجنود.» (إش ٦: ٥)

أما المسيح الابن فقال لفيلبس بكل قوة ووضوح حينما أراد هذا أن يرى الآب:  
 + «لو كنتم قد عرفتموني، لعرفتم أبي أيضاً، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه!! فقال له فيلبس: يا سيد أرنا الآب وكفانا. فقال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رأيته فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألسنت تؤمن إني أنا في الآب والآب فيّ؟» (يو ١٤: ٧-١٠)

وواضح من هذا الكلام أنه إن كان الذي يرى المسيح (بالروح والإيمان) يكون قد رأى الآب، فبالأحرى أن المسيح نفسه رأى الآب ورآه في ذاته، لأنه يقول: «أنا في الآب والآب فيّ» (يو ١٤: ١٠). فكلُّ من الآب والابن لهما رؤية واحدة بعضهما لبعض، لأن لهما ذات واحدة منظورة كآب وابن. والذي يعود علينا هنا بقوة وجمال رائع هو أن الذي يرى الابن يكون قد رأى الله الآب في ذاته. إذًا، فاستعلان الله في المسيح الابن، سواء بالكلمة أو الفعل أي العمل، يكون هو استعلان لذات الله.

وهنا يتضح لنا الفارق الهائل إذا قارنا استعلان الله بالنبوة بواسطة الأنبياء بالكلمة، حيث كانت تعبر الكلمة النبوية عن أمر الله ووصيته دون أن تعبر عن «ذاته» أو شخصيته، وبين استعلان الله في المسيح يسوع متكلماً أو فاعلاً، حيث يستعلن المسيح ذات الله متكلماً وفاعلاً. وهذا ما كان يقوله المسيح لليهود مرات ومرات:

+ «فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ... لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء.» (يو ٥: ١٩-٢١)

ويا للفارق الهائل بين النبي الذي يسمع الكلمة من الله ويردها كما هي — فيعلن مشيئة الله من بُعد — وبين المسيح الذي يعمل عمل الآب سواءً بسواء، وكل ما يعمل الآب يعمل الابن كذلك. فهنا المسيح الابن يستعلن ذات الله الآب بأعماله.

والمسيح يعلّق على أعماله التي عملها أنها أعمال الآب بالتالي ولم يعملها أحد غيره قط :  
 + « لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني بلا سبب. » (يو ١٥: ٢٤ و ٢٥)

أما من جهة الكلام فيقول المسيح :  
 + « الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. » (يو ١٤: ٢٥ و ٢٤)  
 + « الكلام الذي أكلمكم به لستُ أتكلّم به من نفسي لكن الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال. صدقوني إنني في الآب والآب فيّ وإلّا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها. » (يو ١٤: ١٠ و ١١)

لذلك اعتبر المسيح أن الذي لا يقبل كلامه يكون قد رفض الله المتكلّم فيه :  
 + « لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم. » (يو ١٥: ٢٢)

لذلك فإن الفارق الهائل بين استعلان الله بالكلمة على فم الأنبياء، وبين استعلانه في المسيح، كالفرق بين أن نعرف شيئاً عن الله وبين أن نراه ونسمعه ونلمسه. وهذه هي معجزة المسيح الفائقة على الطبيعة والفائقة على العقل والتصور. فالمسيح يقول عن كلامه هكذا: « الروح هو الذي يحيي... الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة. » (يو ٦: ٦٣)

ولكي نتحقق أن كلام المسيح هو بالحقيقة «روح وحياة» وأنه كالسبح نفسه لأن المسيح هو «روح محيي... والرب من السماء» (١ كو ١٥: ٤٥ و ٤٧)؛ يقول القديس يوحنا الإنجيلي عن المسيح كالآتي:

+ « الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا. » (١ يو ١: ٢)

هكذا ساوى القديس يوحنا بين المسيح، وكلمة المسيح، والحياة، وكيف أن كلمة الحياة هكذا ظهرت بعد أن كانت عند الآب وتجدت فرآه يوحنا مع بقية التلاميذ وشاهدوه ولمسوه لمس اليد في عشرتهم مع المسيح. بهذا يعطينا القديس يوحنا أروع صورة لاستعلان الله في المسيح يسوع بالكلمة وبذاته. فأين هذا من استعلان الأنبياء لله بالنبوة؟

وقد رأينا أن طريقة استعلان الله بالأنبياء كانت بوسائل وأنواع كثيرة فعلاً كما درسناها (من صفحة ١١٦ إلى صفحة ١١٩)، وعن قصد الله من ذلك، حتى بهذه الطرق والأنواع الكثيرة يمكن أن نجمع معاً صورة مقرّبة للحقيقة من بعيد. كذلك رأينا في الناموس كيف قدم المثالات (جمع) (مثال) كرموز باهتة عن المخلص وعن الخلاص، سواء بخروف فصيح أو رئيس كهنة أو خيمة اجتماع أو ذبائح أو ختان أو سبت أو صخرة تُخرج الماء أو المن من السماء. ثم جاء المسيح الابن ليعلن الحق نفسه إعلاناً، ويُجمعه في ذاته إجماعاً، بكل أصوله وفروعه، وبلا تشبيه ولا تمثيل ولا تقسيم: «أنا هو الطريق والحق والحياة.» (يو٤: ٦)

وهكذا قدّم لنا الله منظوراً في ذاته ومسموعاً بكلماته ومرئياً بأعماله: «الذي رأيته فقد رأى الآب» (يو٤: ٩)، «الذي يقبلني يقبل الذي أرسلني.» (يو١٣: ٢٠).

وقدّم لنا الخلاص والقيامة من الأموات والحياة الأبدية في ذاته، مأكولاً ومشروباً من جسده ومن دمه: «مَنْ يَأْكُلْ جِسْمِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَةٌ وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.» (يو٦: ٥٤)

وقدّم لنا الحرية بمعنى التحرر من العبودية بكل أنواعها والسخره بكل مآسيها، للناس أو الخطية أو الشيطان، لا بوسائل ولا بفروض بل بذاته: «إِنْ حَرَرَكُمُ الْإِبْنُ بِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً» (يو٨: ٣٦)، وذلك بأن وهبنا بُنُوته لله عوض عبوديتنا للخطية والعالم والشيطان.

«كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين»: والترجمة الصحيحة الحرفية حسب اليونانية تكون: «في هذه الأيام الأخيرة كلمنا في ابنه...»، أي أن الآية تبتدىء مباشرة: «في هذه الأيام الأخيرة».

«في هذه الأيام الأخيرة»: ἐπ' ἔσχατου τῶν ἡμερῶν τούτων  
هذا الاصطلاح مأخوذ من لغة العهد القديم كما جاءت أولاً في سفر التكوين: «ودعا يعقوب

بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام. « (تك ٤٩: ١)

— وقالها إرميا النبي، وكان يقصد بها أيام المسيح بوضوح: «لا يرتد غضب الرب حتى يجري ويقيم مقاصد قلبه، في آخر الأيام تفهمون فهماً.» (إر ٢٣: ٢٠)

— وقد جاءت في سفر التثنية بوضوح لتشير إلى أيام المسيا: «عندما ضُيق عليك وأصابتك كل هذه الأمور في آخر الأيام ترجع إلى الرب إلهك وتسمع لقوله. لأن الرب إلهك إلهٌ رحيمٌ لا يتركك ولا يُهلكك ولا ينسى عهد آبائك الذي أقسم لهم عليه.» (تث ٤: ٣٠ و٣١)

— ويذكره إشعياء باعتباره تكميل الخلاص بالمسيا: «ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم.» (إش ٢: ٢)

— ويذكره دانيال النبي باعتباره سيأتي بعد الأيام الأخيرة: «... وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك في الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد.» (د ١٠: ١٤)

ويشرح ذلك العالم وستكوت:

[ ولكي نفهم ونحصر معنى «هذه الأيام الأخيرة»، يلزم أن نعرف أن معلمي اليهود كانوا يميزون بين «الزمن أو الوقت الحاضر» أو «هذا الدهر» أو  $\delta \nu \nu \kappa \alpha \iota \rho \acute{o} \varsigma$ ,  $\delta \alpha \iota \omega \nu \sigma \upsilon \tau \omicron \varsigma$  وبين «الدهر العتيق» أو «ذلك الدهر» أو «الدهر الآتي»

$\delta \mu \acute{\epsilon} \lambda \lambda \omega \nu \alpha \iota \omega \nu$ ,  $\delta \alpha \iota \omega \nu \epsilon \kappa \epsilon \iota \nu \omicron \varsigma$ ,  $\delta \alpha \iota \omega \nu \epsilon \rho \chi \acute{o} \mu \epsilon \nu \omicron \varsigma$

على أنه كان في عُرف اليهود العلماء أن الزمن الحاضر هو زمن العجز والقصور وعدم الكمال والتجارب، وأن الدهر الآتي هو زمن الحكم الكامل لله، ثم يضعون «أيام المسيا» إما تبع هذا الدهر أو الدهر الآتي. وأحياناً كانوا يضعونه بفرده كزمن متميز عن الزمانين الآخرين.

ولكن الأمر الذي ساد على فكر علماء اليهود أنه بين الانتقال من هذا الدهر إلى الدهر الآتي، ستكون فترة زمنية مملوءة بالأحزان والأوجاع كآلام المخاض قبل الولادة الجديدة.

وهذا الوصف نجده وارداً على لسان المسيح في إنجيل القديس متى: «لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن، ولكن هذه كلها مبتدأ

الأوجاع ... ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مت ٧: ١٣—٧)

لذلك فإن الآباء الرسل كانوا يستشعرون بهذه الضيقة الروحية التي كانوا يعبرونها، وكانوا يصفون أيامهم باعتبارها «الأيام الأخيرة»: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع

صوته وقال لهم (في يوم الخميس) ... هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار (٩ صباحاً) بل هذا ما قيل بيوثيل النبي: يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي ...» (أع ٢: ١٤-١٧)

«ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمئة صعبة.» (٢ تي ٣: ١)  
كما عبّر عن ذلك القديس يوحنا الرسول أنها الساعة الأخيرة: «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة...» (١ يو ٢: ١٨)

ويدعوها بطرس الرسول الأزمنة الأخيرة ἐπ' ἐσχάτων τῶν χρόνων (١ بط ٢٠: ١)، كما يدعوها أيضاً: «آخر الأيام ἡμερῶν ἐπ' ἐσχάτων τῶν» (٢ بط ٣: ٣)

كما يسميها يهوذا الرسول: «فإنهم كما قالوا لكم إنه في الزمان الأخير ἐν ἐσχάτῳ χρόνῳ سيكون قوم مستهزون سالكون بحسب شهوات فجورهم.» (يه ١٨)  
ومن هذه التعبيرات المتعددة التي جاءت في أقوال الرسل عن وصف الزمان الأخير، يُفهم فكران واضحان:

**الأول:** هو تعبيرهم حينئذ عن آخر النظام الحالي.  
**والثاني:** عمل مقارنة بين الحاضر الزمني والنظام في المستقبل = (في تلك الأيام) [٢].

أما المعنى المباشر للتعبير الوارد في سفر العبرانيين «هذه الأيام الأخيرة»، فواضح أنه يقصد أيام المسيا = «كلمنا في ابنه»، وهو نفسه بحسب الفهم اليهودي الزمن الوسيط بين القديم، «هذا الدهر»، وبين «الدهر الآتي». أما بحسب الفهم المسيحي، فإن هذه الأيام الأخيرة التي هي بعينها أيام المسيح، فهي ما عبّر عنها بطرس الرسول في سفر الأعمال، إنها أزمئة دخول المسيح إلى السماء، إلى أن تنتهي أزمئة رد كل شيء، أو على وجه الأصح، تكميل كل شيء ويأتي المسيح:

+ «فتوبوا وارجعوا لتُحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج (الدهر الآتي / ملكوت الله / الحياة الأبدية) من وجه الرب، ويُرسِل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمئة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع ٣: ١٩-٢١)

إذا فهي في عرف بطرس الرسول «أزمة التوبة» و«أزمة رد أو تكميل كل شيء»، وهذا في الحقيقة تعبير عملي وصادق وجيد ونافع.

بهذا نفهم أن زمن المسيا ينقسم إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الظهور الأول ويتسم بالتعليم والصلب والقيامة وتكميل عمل الخلاص.

المرحلة الثانية: زمن المناذاة بالإنجيل والتوبة ورد كل شيء.

المرحلة الثالثة: الظهور الثاني للدينونة واستعلان الميراث للقديسين.

ولكن بحسب واقع الحياة الروحية المسيحية، كما عاشها ويعيشها الآباء القديسون المسيحيون، ومن واقع روح الإنجيل والرسول، فالكنيسة تعيش منذ الآن الإسخاتولوجي أو الدهر الآتي أو ملكوت الله أو الحياة الأبدية، إنما ليس بواقع العيان والجسد ولكن بالروح كالعربون. فالمسيح نفسه عبّر جيداً عن ذلك:

+ «هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

+ «ها ملكوت الله داخلكم.» (لو ١٧: ٢١)

+ «مَنْ كَانَ حَيًّا (بالإيمان بالقيامة) وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو ١١: ٢٦)

+ «أنا هو القيامة والحياة.» (يو ١١: ٢٥)

فالذي يتحد بالمسيح، والكنيسة متحدة بالمسيح حقاً في أشخاص قديسيها، فهو يكون في حالة القيامة والحياة لأننا جسده (أف ٥: ٣٠ وكو ١: ٢٤). ويقول بولس الرسول بقوة الواقع الحي الذي يحياه: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٦). فالمسيحي الصادق، الحي بالروح، يحيا الخلود من الآن كعربون ولن يجوز الموت. فالقديس استفانوس رأى منظر الخلود رؤيا العين: «أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع ٧: ٥٥ و٥٦)، بل والقديس يوحنا عاش صورة الآخرة في رؤياه، وعاصرها، حتى اكتمال حوادث الدينونة النهائية وتغيّر العالم، ورأى الأرض الجديدة والسماء الجديدة وعرش الله.

لذلك نعود ونؤكد أننا نعيش الآن سبق تذوق الدهر الآتي، بالرجاء، ونراه بالروح. لذلك يقول بولس الرسول معبراً عن ذلك: «بالرجاء خلّصنا» (رو ٨: ٢٤)، أي الخلاص الأخير الاستعلائي.

لذلك أيضاً، فالكاتب يعتبر أن بولس الرسول في قوله في سفر العبرانيين: «في هذه الأيام الأخيرة ἐσχάτου» (إسخاتو) يقصد بهذه الكلمة «الأخيرة» روحياً هذا المعنى، أي أنها أيام الآخرة، أو أنها أيام الدهر الآتي، أي أن الاسخاتون قد اقتحم الزمان، لأن بظهور الابن يكون قد بدأ عصر الله على الأرض، والكنيسة الآن هي استعلان ملكوت الله على الأرض، وكل الذين عاشوا بالإيمان الحقيقي يتيقنون من هذا. وليس أدلّ على ذلك من قول المسيح: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، بمعنى أننا في المسيح يسوع نحيا مع الله في ملء الآخرة، أي في ملء الحياة الأبدية، متغربين على الأرض، حتى ينتهي هذا الدهر.

وهذا يكون منتهى إيماننا وواقع رجائنا الحي وسبب حرارة قلوبنا وعلّة تشوقنا الذي يتحرّق كل يوم لرؤيا الرب، فنراه ولكن في مرآة الزمن إلى أن يُرفع الزمن فنراه كما هو! ...

«في ابن» ἐν υἱῷ بدون أن التعريف:

الترجمة العربية تصرفت تصرفاً أخرجت به المعنى عما يقصده بولس الرسول في الرسالة، فقالت «في ابنه»، إذ نسبته لله، مع أن الكاتب قصد أن يعمل مقارنة لأن روح المقارنة يغطي المعنى من أوله إلى آخره. والمقارنة التي يقصدها هي بين وسطاء أنبياء هم عبيد، وبين وسيط هو ابن بدون «أن» التعريف. فالمقارنة في طبيعة الوسيط وليس في شخصه، إمعاناً من ق. بولس في إظهار الفارق الهائل الذي يفرق بين طبيعة وقدر وأهمية الوسيط، وبالتالي يكون حتماً أن الاستعلان في القديم كان مناسباً لهؤلاء الوسطاء، فجاء ناقصاً، فماذا كانت تستطيع عين عبد أو أذن له أن ترى من هو الله ثم تعبر عن سماعها ورؤيتها؟ والله لم يره أحد قط؟ من هنا قصد الكاتب بهذه المقارنة في طبيعة الوسيط أن يعلن عن نقصان الاستعلان القديم واكتمال الاستعلان في هذه الأيام الأخيرة بما يتناسب مع طبيعة ابن في إخبارها عن الآب!!

وإسقاط «أن» التعريف لم يكن سهواً، أو عن إقلال في المعنى والوصف، لأن في نفس الآية يقول إن به خلّق العالم «عمل العالمين»، وأنه بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا، جلس عن يمين العظمة في الأعالي كما يحق للابن.

«الذي جعله ὁν ἔθηκεν وارثاً لكل شيء»:

«وارثاً لكل شيء» = باليونانية κληρονόμον πάντων، وتأتي باللاتينية القديمة O.L. واضحة أكثر = Heredum universorum. «جعله» هنا تفيد التعيين في المقاصد الأزلية.

ونحن نقرأ قوة هذه الكلمة في المزامير عن مشيئة الله المعلنّة في الابن هكذا: «هو يدعوني أبي



أنت إلهي وصخرة خلاصي، أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض.» (مز ٨٩: ٢٦ و ٢٧)

كذلك نقرأها في وعد الله لإبراهيم: «وأنا جعلتُك أبا لأُمم كثيرة» (رو ٤: ١٧؛ تك ١٧: ٥)، حيث يوضح الله المستوى الذي سيُستعلن فيه إبراهيم عندما تَرث الأُمم بركة إبراهيم في بذرتِه، أي المسيح.

وكذلك في المزمور: «أعطيتك الأُمم ميراثًا لك وسلطانك إلى أقصى الأرض.» (مز ٢: ٨)

أما قوله عن الابن: «جعلهُ وارثًا لكل شيء»، فهنا استعلان العلاقة التي ستنتهي إليها الخليقة كلها بالنسبة لله، وذلك حينما تؤول كلها للابن، بالإضافة إلى ميراث بنوته في كل ما لله! وهنا نسبه ذهن القارئ أن القيمة العظمى المتحصلة من وراثة الابن لكل شيء لا تعود بالكرامة على الابن، فالابن هو الأساس خالقها جميعاً وهو الكل في الكل، وإنما القيمة العظمى حينما يؤول كل شيء إلى الله في الابن، فيكون هذا عائداً بالحري على هذه الأشياء، إذ تصبح منتمية ليس لذاتها ولا للعالم بل لله في المسيح.

وهكذا ينبغي أن ننتبه أيضاً وبالتالي أن الله عندما يستعلن لنا ذاته في ابنه كاملاً في المسيح، فليس هو الرابع بل نحن، لأن الله لا يتعظم بنا، بل نحن الذين نتعظم به ونربح بمعرفته. والعالم حينما يصير بالنهاية للرب ولمسيحه (رؤ ١١: ١٥)، يكون قد بلغ منتهى القصد من خلقته، إذ يكون قد صار عالماً صالحاً بصلاح الله.

كذلك نوّد أن ينتبه القارئ لعمق معنى وراثة الابن لكل شيء، إذ تشمل في طياتها كل ما سبق وأن استعلنه الأنبياء، فالنبوات تبدأ وتنتهي بالابن، فكل علائق الله بالشعب وكل مَنْ ارتقى وتقدّس وتبرر باستعلان الله من كافة القديسين، فهذا يدخل بالنهاية في ميراث الابن، الأمر الذي أعلنه ق. بولس سابقاً: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين.» (أف ١: ١٧ و ١٨)

كذلك نرى هنا علاقة سرية بين قول داود النبي في المزمور: «أنا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض» (مز ٨٩: ٢٧)، وبين ما يقوله هنا سفر العبرانيين: «وجعله وارثًا لكل شيء». فالبكر الأعلى من ملوك الأرض عند داود، يرث بفهم سفر العبرانيين كل شيء، على مستويين: مستوى البنوة البكر أي الوحيدة لله، ومستوى الملوكية الأعلى من كل ملوكية على الأرض.

وهذا الميراث الفائق «لكل شيء» تعبر عنه بدقة الترجمة اللاتينية للكلمة «كل شيء» universorum مقابل πάντων باليونانية، فهي تعني باللاتينية «بلا حدود وبلا استثناء»، وفي كل مكان وتحت كل الظروف في محيط كل بشر وكل حال وكل أعمال<sup>(٣)</sup>.

وبخصوص «ورثة كل شيء» في المفهوم الخلاصي يعود بنا الفكر إلى سفر التكوين، كيف خلق الله الإنسان - آدم - وأخضع كل شيء تحت قدميه، الذي كان سينتهي إلى وراثة العالم، لو أفلح «الإنسان» فيما أعطي، ولكن لما سقط أخذت منه وأعطيت لـ «ابن الإنسان». وداود النبي يطرح هذا بلغة نبوية سرية، كيف انتقل هذا الميراث من الإنسان إلى ابن الإنسان، من آدم الأول إلى آدم الثاني - أي المسيح المسيح الرب، حيث يلمح داود إلى خلقه العالم بسمانه وأرضه ثم إلى ملكية المسيح التي أعلنها مسبقاً قبل أن يعلنها المسيح عند دخوله أورشليم راجباً على أتان والأطفال تصرخ: «مبارك الآتي باسم الرب، ملك إسرائيل»، والأعداء إذ يحتجون، تسكتهم الأطفال بصراخهم. وأخيراً تهتف بالنبوة للمسيح كيف جعل الله كل شيء تحت قدميه، بعد أن أنقصه قليلاً عن الملائكة بقوله الموت لقيامته المجد: «من أفواه الأطفال والرُضع أسست حمداً بسبب أصدادك لتسكيت عدو ومنتقم. إذ أرى سمواتك عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوَّنتها، فمن هو الإنسان، حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده، وتُنقصه قليلاً عن الملائكة، ومجد وبهاء تُكلله، تُسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه.» (مز: ٨: ٢-٦)

كذلك جميل حقاً أن نتبع هذا «الميراث لكل شيء» من آدم (مز ٨)، إلى إبراهيم، إلى المسيح:

- + «فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله (مفرد أي المسيح) أن يكون وارثاً للعالم، بل ببرِّ الإيمان.» (رو ٤: ١٣)
- + «فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد وورثة.» (غل ٣: ٢٩)

ولكن وإن ظهر هذا التسلسل الميراثي وكأنه في محيط الزمن، ولكن داود النبي يرفعه بالنبوة إلى مستوى مشورة الله في الأزل: «أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك.» (مز: ٨: ٢)

أما المسيح فقد كشف علناً عن هذا الميراث في مثل الكرامين الأردباء، إنما باستعلان غاية في السرية: «أما الكرامون، فلما رأوا "الابن"، قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه.» (مت ٢١: ٣٨)

والرسالة إلى العبرانيين تكاد تكون مختصة بموضوع الوراثة والميراث والتوريث. فكما وجدناها في صدر الرسالة (١: ٤)، يعود ويلمّح كيف سينقل ميراث الابن إلى الذين نالوا الخلاص: «أليس جميعهم (الملائكة) أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (عب ١: ١٤)

ثم يربط الإيمان بالميراث: «لكي لا تكونوا متباطئين، بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد» (عب ٦: ١٢)، ثم يلّمح كيف يضيع الميراث من يد الابن المستهين بالبركة: «لما أراد (عيسو) أن يرث البركة، رُفض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً (لأنه استهان بالبكورية التي هي صاحبة الميراث) مع أنه طلبها بدموع.» (عب ١٢: ١٧)

وموضوع «الميراث السماوي»، أراد الله أن يُشغل به بال الإنسان منذ البدء، فصوّره تصويراً حسناً يجذب فكر الإنسان ويستحوز على مشاعره ويستقطب اهتماماته. وكان أول تصوير مادي له هو في آدم — لو أطاع — لأنه سلّمه الأرض حين خلقه لتكون ميراثاً له: «وباركهم الله (آدم وحواء) وقال لهم أثمروا واكثروا، واملأوا الأرض وأخضعوها وتسَلّطوا...» (تك ١: ٢٧)، وكان فيها كل المشتهى من الأشجار والمخلوقات ثم حدّد الله فكرة الميراث في وضعها المحدد لإبراهيم: «أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها.» (تك ١٥: ٧)

ثم حدّد الله «الميراث» في أرض كنعان: «وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيتكم إياها لترثوها، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً» (٢٠٦: ٢٤). وهكذا أضاف إلى فكرة الميراث الزمني الخيرات المشتهاة، ليحفظ بمفهوم الميراث ومضمونه خطوطاً عميقة وشديدة في نفسية الإنسان، تمهيداً لينطلق بهذا التعلّق والمشتهى النفساني من وضعه الأرضي إلى وضعه السماوي بعدئذ. وهكذا بدأ ميراث كنعان كـ «عهد» تعهّد الله أن يتممه لهم بقوة واستمرارية، فازداد تعلّق الشعب بالميراث، حتى صار جزءاً من كيانه. وهوذا نحميا وقف يتكلّم مع الله ليعدّد مراحمه على شعبه: «وأعطيتهم خبزاً من السماء لجوعهم، وأخرجت لهم ماءً من الصخرة لعطشهم، وقلت لهم أن يدخلوا ويرثوا الأرض التي رفعت يدك (تعهد) أن تعطيتهم إياها» (نح ٩: ١٥). وأكمل

الله بالفعل وعده: «فدخل البنون، وورثوا الأرض، وأخضعت لهم سكان أرض كنعان ... وأخذوا مدناً حصينة ... وورثوا بيوتاً<sup>(٤)</sup> ...» (نح ٩: ٢٤ و٢٥)

ثم ابتدأ الرب يرتفع بمفهوم ميراث الأرض أنه مقابل أعمال الصلاح والبر، وإلا فالطرد من الميراث جاهز: «لأن المباركين فيه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطعون» (مز ٣٧: ٢٢). ثم ارتفع بشروط الميراث لتكون على مثال صفات ابنه: «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١: ٢٩)، هكذا: «طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض.» (مت ٥: ٥)

ثم بدأ الرب يعطي الأرض التي كانت هي موضوع الميراث لمسة روحية باعتبارها «جبلٌ قدس»: «أما المتوكل عليّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسي.» (إش ٥٧: ١٣)

ثم يعطي الأرض والميراث جميعاً صورة سماوية، حيث ساكنوها كلهم أبرار: «وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد يرثون الأرض، عُصن غرسي عمل يدي لأتمجد» (إش ٦٠: ٢١). وهنا يبدأ ينقل الأرض من صورتها القديمة إلى صورة جديدة حيث شعبها كلهم أبرار، وهذا ينبيء بالنقلة الأخيرة من ميراث الأرض إلى ميراث السماء: «والآن أستودعكم، يا إخوتي، الله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين» (أع ٢٠: ٣٢). وسفر العبرانيين يصف هذا الانتقال بأسلوب تصويري غاية في العمق: «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس ... وهتاف بوق ... بل أتيتم إلى جبل صهيون (السمائي) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم مخفل ملائكة، وكنيسة أبكار، مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكتملين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رُش يتكلم أفضل من هابيل.» (عب ١٢: ١٨-٢٤)

والآن، إذا جمعنا الوعد المقدس الذي تم لإبراهيم فيما يخص نسله (بالمفرد sperma)، أي المسيح، في نبوة داود: «أعطيتك الأمم ميراثاً لك» (مز ٢: ٨)، بالإضافة إلى الميراث الروحي الإلهي الذي استعلن لنا في الابن بتجسد الكلمة: «والكلمة صار جسداً ... ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١: ١٤)، ثم بارتفاعه إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين أبيه، يكون الابن قد جعل حقاً: «وارثاً لكل شيء universorum».

والمسيحية تركّز بشدة على أنه بقيامته المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين أبيه، استعلن ميراثه الأبدي وثبتت، وفتح على مصراعيه للذين آمنوا واعتمدوا واتحدوا به، أي

(٤) «في بيت أبي منازل كثيرة.» (يو ١٤: ٢)

الكنيسة. فالكنيسة ورثت بالاين في ملكوت الله: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا المُلْك المُعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم» (مت ٢٥: ٣٤)؛ «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وَرَثَةُ الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٦ و ١٧). والإيمان المسيحي الرسولي بالنسبة لممارسة حقوقنا منذ الآن كَوَرَثَةٍ، يؤكد بطرس الرسول على أساس أن الميراث قد تسجّل لنا في نفس يوم تسجيل ميلادنا الجديد. ونحن نحيا الآن عربونه بالرجاء وبالآلام الحتمية، ولكن ونحن مبتهجون لأن الميراث نفسه محفوظ لنا في عهدة الله، مختم عليه لا يتزعزع؛ فنحن نمتلكه وكأنه في أيدينا: «مباركُ الله أبوربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة، ولَدْنَا ثانية رجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بالإيمان، لخلاص مستعد أن يُعْلَنَ في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزَنُونَ سِيراً بتجارب متنوعة.» (١ بط ١: ٣-٦)

«الذي به أيضاً عَمِلَ العالمين»:

«الذي به οὐδὲν ἔργον»:

«الذي» هنا تكني عن المسيح، وكلمة «به» تعني «فيه وبواسطته through whom». وهنا الكلام كثير، فالمسيح كـ «ابن» حينما يُقال أن بواسطته عمل الله العالمين، فالأمر أعمق من كونه مجرد شخص، بل يتطرق إلى قوة الكلمة λόγος المعبّرة عن فكر الله الفعّال. كذلك يتطرق إلى قوة الحكمة σοφία: «أنا الحكمة ... لما بُنِيَت السموات كنتُ هناك أنا ... لما رسم أسس الأرض كنتُ عنده صانعاً ...» (أم ٨: ١٢ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠)

فهنا الابن كخالق العالم مع الله، كان هو كما قال ق. بولس: «قوة الله، وحكمة الله» (١ كو ١: ٢٤)، وكما قال القديس يوحنا: «كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ١ و ٣). واضح هنا، إذًا، مفهوم كلمة «به» أي «بواسطته»، أنها تحمل من المفهومات الإنجيلية اللاهوتية الشيء الكثير، وهي تعبّر عن أعماق قوة الابن اللانهائية في الحكمة والفهم والمعرفة والتدبير. لأنه معروف ما هو «العالمين» في قوامه المنظور وغير المنظور، الزمني والأبدي، بكل خلائقه من أصغر خليقة إلى أعظم خليقة، من التي تُرى والتي لا تُرى، الجسدية الزمنية والروحانية الأبدية، حيث أن الابن خلقها ليس فقط حسب مشيئة الآب بل وأيضاً تولّى تدبيرها وضبطها: «وفيه يقوم الكل» (كو ١: ١٧)، بمعنى أن دوام واستمرار كيانها هو على عاتق الابن. لذلك وبعد أن خلقها، صارت تتبعه، فإنه

« به وله قد خُلِقَتْ » (راجع كوا: ١٦). لذلك قيل سابقاً أن الابن جعله الله « وارثاً لكل شيء »، أي وارثاً لِمَا خَلَقَ وراثته المسئولية التي حَدَثَ به بعد ذلك (في الآية القادمة) أن يقول إنه « صنع تطهيراً لخطايانا »

وهذا كلاً يعبر عنه سفر العبرانيين بآية مختصرة: « بالإيمان نفهم أن العالمين اثْبَقَتْ بكلمة الله، حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر. » (عب ١١: ٣)

« العالمين » τούς αἰῶνας (\*):

هي جمع كلمة αἰών . وتعني أصلاً حَقبة من الزمن إما معدودة أو غير معدودة . وجمعها معاً يهدف للتعبير عن العالم بضمونه الزمني وبكل ما يشغل هذا الزمن من أحقاب متتالية . وقد عبر سفر الحكمة عن العالم بهذه الكلمة τὸν αἰῶνα (حك ١٣: ٩) . وكذلك القديس بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: « أين مُبْتَاحِث هذا الدهر (العالم) τοῦ αἰῶνος » (١ كو: ٢٠) ، وهي تأتي هنا بالمفرد ولكنها حينما تأتي بالجمع كما في آية سفر العبرانيين والتي تُرجمت إلى « عالمين » ، فالقصد هو: « عالم هذا الدهر ، والدهر الآتي » ، فهما العالمين بالجمع . وهذا ميراث من التقليد العبراني القديم ، وقد استخدمها بولس الرسول ، ولكن ذكرهما على مرحلتين: « ... فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر مرحلتين: ἐν τῷ αἰῶνι τούτῳ فقط ، بل في المستقبل أيضاً ἐν τῷ μέλλοντι » (أف ١: ٢١) . فهذا الدهر والدهر الآتي هما « العالمين » .

وبسبب أن التعبير عن العالم يأتي بجمع الـ «أيون» αἰῶν ، وأن «الإيون» الدهر الحاضر هو زمني ، و «الإيون» الدهر الآتي غير زمني ، لذلك يمكن أن يعبر عن العالم بالتعبير الزمني والتعبير غير الزمني معاً .

لذلك حينما تقول الآية: « الذي عمل العالمين » ، فالقصد المباشر هو الدهر الحاضر بكل مفهومه الزمني وكل ما هو داخل هذا الزمن ، والدهر الآتي بكل خلاته غير الزمنية وغير المنظورة . وقد وضعت الأسفار المسيحية العلاقة بين الله والدهر بالجمع هكذا: « وملك الدهور βασιλεὶ τῶν αἰῶνων الذي لا يفنى ولا يُرى ، الإله الحكيم وحده ، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور » (وصحة الترجمة: "دهور الدهور" ، فهي في صيغة الجمع في الكلمتين:

( ١ تي ١ : ١٧ ) ( τούς αἰῶνας τῶν αἰώνων

والقديس بولس يقصد هنا مقارنة بين الله كملك الدهور وبين أي ملك في الحاضر، حيث يعتبر القديس بولس ملوك هذا الدهر أنهم يبطنون بمعنى «يموتون» في مقابل «ملك الدهور الذي لا يفنى ...» هكذا: «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء (حُكَّام) هذا الدهر الذين يظنون.» (١ كو ٢: ٦)

وحكماء اليهود هم أول من فرّقوا بين العالم الكبير Macrocosm وهو العالم الحاضر، وبين العالم الصغير الميكروكوزم Microcosm وهو الإنسان<sup>(٦)</sup>.

فإن كان الله قد عمل العالمين بواسطة الابن، فهل علاقتنا بالمسيح مُحدثة هكذا من داخل العالم، وكأننا كنا قبل الخلق نَشِيءُ منسِياً؟ القديس بولس الرسول يستشف من فكر المسيح حقيقة كياننا قبل أن نكون هكذا: «مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السموات، في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم...». إذاً، فسَبَقَ اختيار الله لنا تم قبل تأسيس العالم، أي أننا كنا موجودين في فكر الله والمسيح قبل خلقه العالم — كأساس في خطة الخلق — ولكن ليس كل إنسان، بل كل الذين تعيّنوا أن يكونوا قديسين. ويذكر القديس بولس هذا بالتأكيد: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤)

## ثانياً — طبيعة وعمل الابن

٣ : ١ «الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهريه وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بقدر ما صنع بنفسه تطهيراً خطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي».

أراد كاتب الرسالة هنا أن يكمل ما جاء في الآيتين الأولى والثانية من جهة المسيح الابن في علاقته بالله، الذي هو موضوع الرسالة: فأولاً تكلم الله، في ابنه، ثم جعله وارثاً لكل شيء، ثم عمل به العالمين.

والآن ما هي طبيعته الشخصية بالنسبة لله؟ ثم ما هو عمله الذي جاء ليكمّله؟

«الذي وهو بهاء مجده»:

والقدّيس بولس يبشّده هنا بالصفات الطبيعية الأزلية أو اللانهائية في الابن، كما سبق وكتب:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو١: ١٥)

+ «الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل.» (كو١: ١٧)

ويقول في ذلك القدّيس يوحنا:

+ «الله لم يرّه أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر.» (يو١: ١٨)

ويقول المسيح نفسه:

+ «الذي رأيته فقد رأى الآب.» (يو١٤: ٩)

+ «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في

السماء.» (يو٣: ١٣)

«الذي وهو»:

«الذي» δς ، «هو» ὅς

ولكن للأسف «هو» لا تضي بالمعنى الذي يحويه الضمير «ὅς». فهو هنا يعني الكينونة Being على مستوى اسم الله الأزلي: «أنا هو ὁ θεὸς εἰμι ἔγω» (خر٣: ١٤)، حيث تترجم:

«أنا هو الكائن بذاتي»<sup>(٧)</sup>.

(٧) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القدّيس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢١-٢٢٢.



فالضمير « هو » هنا ليس ضميراً في اليونانية بل اسم في صيغة اسم الفاعل « الكائن ». وقصد الكاتب هنا أن يضع الاسم في هذه الصيغة لتؤمن ديمومة كينونة « البهاء »<sup>(٨)</sup> الصادر عن مجد الله أو الخارج منه. فهو ليس ابناً متبنئاً، بل ابناً كائناً مع الآب وفيه، وهذا للتعبير عن ديمومة جوهر الابن الذي نزل به ليعمل عمله الفدائي في صميم العالم والتاريخ.

« الذي وهو بهاء مجده ورسمُ جوهره »:

القديس بولس هنا لا يصف الابن في ذاته بعيداً عن فكرنا كأنه يراه في ذاته. هذا مستحيل! ولكن لأن الابن تجسد وتحدد كيانه بالمنظور والسموع والملموس، فهنا أمكن أن توصف صفاته الإلهية هذه بلغة البشر، فتدخل في مجال التصوير الذهني بالمحدود، حتى يمكن التقاط صورتها بالفكر، فقال إنه « بهاء » أو شعاع منطلق أو منعكس من الله، وإنه « رسم » — كريكاتير — للجوهر غير المرسوم ولا المتصور أصلاً الذي لله.

أما الصفة الإلهية الأولى « بهاء مجده » أو شعاع مجده، فتفيد مباشرة فعل انبعاث النور من النور وهما باتصال كوجدة =  $\phi\omega\varsigma \ \epsilon\kappa \ \phi\omega\tau\acute{o}\varsigma$  « نور من نور »، وعلى التساوي كجوهر  $\delta\mu\omicron\upsilon\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$  فهو، من الوجهة العملية، « نور الله » الذي يضيء قلوبنا بنور الآب.

أما الصفة الإلهية الثانية: « رسمُ جوهره »، حيث كلمة « رسم » في اليونانية تُطلق « كاراتير » لتفيد التحديد العام الخارجي الظاهر للجوهر غير محدود ولا ظاهر إطلاقاً، فتفيد مباشرة صورة الشخص المنظور للشخص غير المنظور: « لتلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله  $\epsilon\iota\kappa\acute{o}\nu \ \tau\omicron\upsilon \ \theta\epsilon\omicron\upsilon$  . » (٢ كور ٤: ٤)

فالمسيح متجسداً وإن كان محدوداً أو ظاهراً أو منظوراً، فهو هكذا بالنسبة لنا فقط وبسبب تجسده فقط: « قال له يسوع: أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رأيته فقد رأي الآب، فكيف تقول أنت أننا آرب؟ أأنت تؤمن أنني أنا في الآب والآب في » (يو ١٤: ١٠ و ٩). واضح هنا بكل جلاء الرؤيا والإيمان أن المسيح يقدم نفسه لنا كصورة حقيقية مُطابقة تمام التطابق مع الله الآب. بل إنه عند قوله أن الآب فيه وأنه في الآب صار التداخل بين الآب والابن تداخلاً غير قابل للانفصال إطلاقاً، لا بالبعد الزمني ولا بالبعد الكياني ولا بالبعد الذاتي ولا بالبعد التخيلي الفكري. لذلك تحتم أن يقال: إن الابن هو الله وإن الآب هو الله، لأنه يستحيل أن

يوجد أحدهما بدون الآخر والاثنان هما الله. غير أن الابن صار ظاهراً بالتجسد والآب باقٍ غير منظور إلاً بالابن وغير مُدرك إلاً بالابن.

والتساوي المطلق (والمطلق هنا ضرورة حتمية لأن الآب والابن واحد) بين المسيح الابن وبين الآب — فالمسيح صورة لجوهر الله غير المنظور — هو الذي دعا اللاهوتيين بالقول بالتساوي في الجوهر  $\delta\mu\omicron\upsilon\sigma\tau\omicron\varsigma$  = هوموأوسوس، التي تترجم بالإنجليزية co-essential أي الجوهر المتحد المتساوي.

كذلك فهذا البهاء المنبعث أو المنعكس من جوهر الله والمتصل به — كما من ينبوع — والملازم والمساوي والكائن بكيان الجوهر، هو الذي حدا باللاهوتيين إلى القول بالابن الوحيد = مونوجينيس  $\mu\omicron\nu\omicron\gamma\epsilon\nu\eta\varsigma$ ، لأنه يحوي كل مجد الآب ولا آخر سواه.

لذلك فمجد الله يأخذ طريقه إلينا بالابن، أي شعاع مجد الآب، ليعبر عنه بأعماله التعبير الكلي والمطلق بقدر ما نؤمن. وجوهر الله غير المحدود قط يأخذ طريقه إلينا بالابن ليعبر عنه بشخصه المحدود والمنظور والملموس التعبير الكلي والمطلق بقدر ما نؤمن.

كذلك فمن الصفة الإلهية الأولى للمسيح، كونه «بهاء مجد الله»، استطاع الإنسان وأعمال المسيح أن يرى مجد الله غير المنظور: «والكلمة صار جسداً ... ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الآب» (يو: ١٤). ومن الصفة الثانية كونه رشم جوهر الله، استطاع الإنسان، بتجسد الابن، أن يدرك الله في رؤية شخص ابنه.

وبالرغم من أن التجسد مكَّننا من أن نرى مجد الله في أعمال المسيح، ومكَّننا من أن ندرك جوهر الله في شخص المسيح أيضاً، إلاً أن المسيح في ذاته — كابن الله — لم يُصِف إليه الزمن شيئاً عندما دخل مجاله، ولا اللحم والدم اللذين اشترك فيهما ليشبه إخوته في كل شيء أُنقَص من ذاته شيئاً. ففسر العبرانيين تمسك بما استعلنه الله سابقاً في شخص ملكي صادق في أسفار العهد القديم عن شخص ابنه حال تجسده قبل تجسده هكذا: «لأن ملكي صادق هذا ملك سالم (أورشليم) كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم ... المترجم أولاً ملك البرثم أيضاً ملك سالم أي ملك السلام: بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة، بل هو مُشَبَّه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب ٧: ١-٣)

فغاية التجسد كانت استعلان ذات الله، في المسيح، في الظاهر المنظور والمسموع، حسبما، وبقدر ما، يستطيع الإنسان أن يرى ويدرك ويؤمن.

لهذا حينما قال بولس الرسول، مُضيفاً على هاتين الصفتين الإلهيتين الصفة الثالثة الفعلية: «الحامل كل الأشياء بكلمة قدرته»، فهو إنما يرجع بالتوثيق والتأكيد والشرح فيما يخص أن «الله جعله وارثاً لكل شيء وبه عمل العالمين».

والآن عودة إلى مفردات الآية:

«الذي وهو بهاء مجده»: ἀπαύγασμα τῆς δόξης

وباللاتينية Splendor gloriae (الفولجانا).

هنا كلمة «بهاء» لا تفي بالمعنى الذي أتت به الآية باليونانية، وهو قريب من المعنى باللاتينية وإن كان ليس مطابقاً تماماً لليونانية. فاليونانية تراه شعاعاً، والفعل من ἀπαύγασμα هو ἀπαυγάω وله معنيان:

الأول: الإشعاع الخارج، وبالإنجليزية تأتي الكلمة radiate = effulgence.

الثاني: الإشعاع المنعكس، وبالإنجليزية تأتي الكلمة reflect = refulgence.

وقد استقر العلماء على أن المعنى الثاني أكثر قبولاً<sup>(١)</sup>، ولكن في عُرفنا أن كلا المعنيين يعطي نفس الحقيقة كون المسيح شعاع مجد مرتبط بالمجد ومتحداً به ونابعاً منه سواء صدوراً أو انعكاساً. أو هو في الحقيقة الاثنان معاً، فهو شعاع صادر ومنعكس، وصدوره طبيعي ذاتي، وانعكاسه استعلاني. فهو شعاع مجد صادر من عمق مجد الله، وهذا الشعاع يعكس هذا المجد لنا، فنراه.

ولكن علينا هنا أن نحذر من خطورة فهم أن الشعاع منعكس من الله في المسيح، لأن هذا المعنى قد يؤدي إلى أن نتصور كون المسيح يُرى منفصلاً عن الله، وهذا شطط. لذلك يلزم فهم الصدور والانعكاس أنهما مجال اتصال، ومجد يعلن عن مجد ونور يعلن عن نور باتحاد مطلق.

وربما انعكاس الشعاع هو الذي يعطي رَسْم الآب الذي للمسيح في إدراكنا حدوده وملائمته: «إن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال»، حيث الإيمان به متعلق بالصورة (الكاركتير)، والأعمال متعلقة ببهاء المجد: «فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه» (يو: ١٠: ٣٨). بمعنى أنه إن كان «رسم جوهر الله»، أي شخص المسيح، ليس كافياً بسبب كونه في صورة مستضعفة لإنسان، فكان عليهم أن يؤمنوا بالأعمال الإعجازية الفائقة التي تستعلن مجد الله «شعاع مجده»: «هذه بداية الآيات (الأعمال) فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده،

فَأَمَّنْ بِهِ تَلَامِيذَهُ. » (يو: ١١)

لذلك كان المسيح يقول باستمرار: أنا لست أعمل من نفسي: «الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل، لأن مهما عمل ذلك فهذا يعمله الابن كذلك» (يو: ١٩)، «الآب الحالُّ فَيُّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ» (يو: ١٤: ١٠). لأنه بحسب الشرح الذي قدمناه، يكون المسيح، الذي هو بشخصه شعاع مجد الله، إذا عمل عملاً فهو لحساب مجد الله. وهذا هو استعلان الله الذي تجسد ابن الله ليتممه بجميع أعماله. لذلك كان المسيح يؤكد: «مجداً من الناس لست أقبل» (يو: ٤١)؛ «مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ (الشعاع) فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظَلَمٌ» (يو: ٧: ١٨)؛ «أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي» (يو: ٨: ٥٠)؛ «أَنَا مَجْدُتُكَ عَلَى الْأَرْضِ، الْعَمَلُ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلُ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» (يو: ١٧: ٤). هنا ارتباط المجد بالعمل واضح.

وليتنبه القارئ، فالمقولة اللاهوتية التي قال بها آباء مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وسجلوها كقانون إيمان أن المسيح هو «نور من نور» Lumen de Lumine، هي الشرح المباشر لقول سفر العبرانيين أنه «شعاع مجده». وفكرة الشعاع لا تنفي بحق المسيح، لأن المسيح شخص، وهو بهاء كليٌّ فقال مساوٍ لكل بهاء الآب! كما أن الشرح الذي يلتجئ إليه اللاهوتيون<sup>(١)</sup> في توضيح الثالوث من جهة كونه ثلاثة أقانيم متحدة بجوهر واحد بأن الآب يُقَيِّمُ بقرص الشمس والابن بالشعاع والروح بالحرارة والثلاثة شمس واحدة هو مأخوذ أيضاً من مقولة سفر العبرانيين أن المسيح هو «شعاع مجده». ولكن هذا المثل محاولة فلسفية يعوزها الحيوية الشخصية للأقانيم.

ولكن القول بأن المسيح «شعاع مجده» لا يعني الشعاع بمفرده، فالعنى الثاني هنا يسند المعنى الأول، فهو «بهاء مجده». لأن المقصود من الكلمة هو استعلان كل مجد الله. فمن شعاع وبهاء المجد نبلغ إلى مصدر المجد ذاته «النور الذي لا يُدْنَى مِنْهُ» (١٦: ٦ تي). فمجد الله المُحْتَجَّبُ صار مُسْتَعْلَناً فِي الْمَسِيحِ.

«بهاء مجده»: (١١) τῆς δόξης αὐτοῦ

المقصود بالمجد، في الواقع، هو طبيعته التي يمكن التعرف عليها باستعلان كل صفاته على قدر

(١٠) أول من قال بهذه المقولة هو لكتانتانتيوس في مؤلفه: Div. Instit. IV.29، وهو فيرميانوس لكثانتانتيوس Firmianus Lactantius (٢٤٠-٣٢٠م) من نيقوميديا. وقد عثِرَ الإمبراطور قسطنطين معلماً لابنه كريسوس Crispus وله مؤلف لا يزال موجوداً واسمه: «العاهد اللاهوتية».

ما يدركها الإنسان. ولقد عبّر الله عن مجده لموسى النبي بأنه «جُودَةٌ»، أي خَيْرِيته، وهو الصلاح المُطلق لله: «فقال (موسى) أرني مجدك. فقال (الله) أجز كل جودتي قدامك ...، ويكون متى اجتاز مجدي، أني أضعك في نُقْرة من الصخرة (أجعلك متحداً بجسد المسيح الصخرة)، وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، وأما وجهي فلا يُرى.» (خر ٣٣: ١٨ و١٩ و٢٢ و٢٣)

ولقد جاء هذا في النسخة السبعينية بأكثر وضوح: «فقال موسى أرني ذاتك الله: سامراً بمجدي أمامك، وسأنادي باسمي: الرب أمامك، وإني أرحم من أرحم وأتراف على من أتراف. وقال الرب: أنت لا تستطيع أن ترى وجهي πρόσωπόν μου (وهذا التعبير يُعرف في اللاهوت بـ "الشخص" أو "الأقنوم")، لأن الإنسان لا يرى وجهي ويعيش.»

ومن مقابلة النسختين، يتضح أن مجد الله هو ذات الله، بمعنى طبيعته، والتي عبّر الله نفسه عنها بأنها هي الرحمة والرأفة على الإنسان، وهذا هو المعبر عنه في النسخة الأولى بـ «جودي».

وإخفاء الله لموسى في نُقْرة من صخرة، يرمز بوضوح إلى عملية إدخالنا في جسد المسيح حتى نقوى على رؤية مجد الله، وبالتالي نوال رحمته ورأفته. وواضح منتهى الوضوح أن ظهور مجد الله يعوض عن رؤية ذات الله. ومجد الله بنوع ما هو جود الله، وصفاته من رحمة ورأفة التي تظهر بأعماله، والتي أظهرها المسيح بأعماله، وأخصها الفداء والمصالحة ونوال التبني التي هي رحمة الله ورأفته. وهكذا، فبالفداء، الذي هو العمل الذي يعبر عن رحمة الله، توصلنا إلى رؤية الله والحياة معه.

وهنا يتضح جداً معنى أن المسيح هو «شعاع مجده»، إذ يُفهم في الحال أنه المعلن عن طبيعة الله أو عن ذات الله أو عن مجد الله أو عن جود الله، وذلك بإعلان رحمة الله ورأفة الله على الإنسان، والتي أظهرها المسيح بأعماله قائلًا بتأكيد أنها «أعمال الله»، أي استعلان مجد الله، أي ذاته، أي طبيعته التي يحملها المسيح!

وكم تغنى الأنبياء القديسون بهذه الحقيقة:

إشعياء: «فِعْمَلْتُ مجد الرب، ويراها كل بشر معاً، لأن فم الرب تكلم.» (٥: ٤٠)

«قومي استنيري، لأنه جاء نورك (المسيح) ومجد الرب أشرق عليك...»

أما عليك فيشرق الرب (الشعاع)، ومجده عليك يُرى.» (٢٠: ٦٠)

«وأجعل في صهيون خلاصاً، وإسرائيل مجددي.» (١٣: ٤٦ السبعينية)

ويأتي العهد الجديد ويؤكد أن المسيح هو هو «مجد الله»:

+ «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أغمى أذهان غير المؤمنين لتلا تضيء لهم إنارة إنجيل

مجد المسيح الذي هو صورة الله.» (٢ كور: ٤)

+ «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق (شعاع مجد الله) في قلوبنا

لإنارة معرفة مجد الله في وجه (بروسوبون) يسوع المسيح.» (٢ كور: ٦)

+ «التعليم الصحيح حسب إنجيل مجد الله (الإنجيل نور، شعاع مجد الله) المبارك الذي

أؤقتت أنا عليه.» (١ تي: ١: ١١ و١٠)

+ «قال لها يسوع: ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله (تتعرف على المسيح شعاع مجده).»

(يو: ١١: ٤٠)

+ «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمة

وحقاً.» (يو: ١٤)

+ «والمدينة (أورشليم السمائية) لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، لأن

مجد الله قد أثارها والخروف سراجها (شعاع مجده).» (رؤ: ٢١: ٢٣)

+ «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا، يسوع المسيح» (١ تي: ٢: ١٣).

المسيح هو مجد الله العظيم ومخلصنا. [راجع شرح الآية في كتاب: «القديس بولس الرسول:

حياته. لاهوته. أعماله»، للمؤلف، ص ١٩١ و١٩٢].

وهنا يأتي استخدام كلمة «مجد الله»، باعتبار أنها: (١) طبيعته أو (٢) ذاته أو (٣) جوده أو

(٤) عمله أو (٥) رحمته ورأفته، أو استعلان عمله على وجه العموم، ليشرح لنا آيات كثيرة كان

المعنى فيها مُخْفَى علينا مثل:

+ «وَدُفِنْنَا مَعَهُ فِي المعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب،

هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة.» (رو: ٦: ٤)

هنا المسيح أقيم بمجد الآب. فإذا عدنا إلى الخمس الصفات عاليه المشتركة في نفس معنى

مجد الآب، تكون القيامة قد تمت بطبيعة الله (التي في المسيح أيضاً)، أو بذات الله (التي المسيح

فيها أيضاً)، أو جود الله (الذي يمثله المسيح ويعبر عنه بعمله)، أو بعمل الله (الذي هو اختصاص

المسيح)، أو رحمته ورأفته (التي جاء المسيح ليعلمها). وهكذا تصير قيامة المسيح معبرة عن كل

صفات الله وطبيعته. وهذا في الواقع إبداع ما بعده إبداع، خاصة وأن قيامة الرب قد صرنا نحن

شركاء فيها. وهكذا يتم قول بطرس الرسول: «إننا وُلدنا ثانية لرجاء حي بقيامه يسوع المسيح من بين الأموات (١ بط ٣: ١)، لأن إقامتنا مع المسيح هي نفسها إقامتنا من موت الخطية، وهي تحمل معنى ميلاد جديد لحياة جديدة لطبيعتنا، بل وتحمل شركة في الطبيعة الإلهية التي أقامت المسيح من الأموات وأقامتنا معه. فإن صرنا شركاء قيامة، صرنا شركاء طبيعة إلهية بالتالي.

+ «متقوِّين بكلِّ قوة بحسب قدرة مجده لكل صبرٍ وطولِ أناةٍ بفرح.» (كو ١: ١١)

هنا قدرة مجده هي بعينها قدرة طبيعة الله التي يحملها باعتباره «شعاع مجده». وعليك يا عزيزي القارئ، أن تتصور حينما يشرق المسيح بمجده أو بنور وجهه من السماء على إنسان مثل بولس الرسول كيف يتقوى بكل قوة. لأن النور الإلهي الذي هو بعينه قوة طبيعة الله المنبعثة منه، حينما يدخل الإنسان ليملاً فكره وقلبه وروحه، ماذا يكون هذا الإنسان وماذا سيصير؟ يصير كارزاً بإنجيل المسيح للعالم كله! لا يهدأ حتى يُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح لله، ويصير مُصالحاً للعالم كله لله!

+ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٦ و١٧)

هنا غنى مجد الآب: هو غنى — أو منتهى قوة — عمل طبيعة الله أو عمل جود الله أو عمل رحمة ورأفة الله الآب، أو هو ما يساوي شعاع مجده الذي هو المسيح بعينه. فالمعنى يكون أن بولس يركع ويسجد لدى الآب لكي يتفضل ويمنحنا بحسب رحمته ورأفته، التي توازي في عملها المسيح نفسه، وتوازي في طبيعتها طبيعة المسيح نفسه، وتوازي في جودها المسيح نفسه؛ نعم، يطلب أن يمنحنا بحسب غنى مجده هذا استحقاق حلول المسيح في قلبنا، الذي هو بعينه شعاع مجد الآب.

بمعنى أن بولس الرسول يتوسل إلى الله الآب أن يمنحنا، بقوة مجده، شعاع مجده ليحل في قلوبنا. فطلبه بولس هنا وإلحاحه وسجوده لدى الله الآب منسجمة أشد الانسجام مع طبيعة الله والمسيح. ومن واقع عمل الله يطلب عمل الله، ومن واقع طبيعة الله يطلب لنا استعلان طبيعة الله في قلوبنا. لذلك، ليس مغالاة من القديس بولس أن يقول مكتملاً: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (كو ٣: ١٩)؛ لأنه إذا حلَّ شعاع مجد الآب، أي المسيح، في قلوبنا، فإنه يستحضر لنا «كل مجد الله»، أي ملء طبيعته. ولكن ما معنى هذا عملياً؟ معناه أننا حينما ندخل بالصلاة في حضرة الله متوسلين و متمسكين ومتحددين بالروح في المسيح، فإن حضرة الله ستحل في قلوبنا حتى الملاء: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحب أبي، وإليه تأتي وعنده نصنع منزلاً.» (يو ١٤: ٢٣)

وبالنهاية، لا يفوتنا أن الرسالة إلى العبرانيين تقارن بين مجد الله الذي كان يظهر في حلوله في الضباب فوق الخيمة أو فوق غطاء التابوت أو في الحديث مع موسى على الجبل بنور، حيث كان النور يسطع على وجه موسى، وبين مجد الله الآن في هذه الأيام الأخيرة حيث يُستعمل لنا استعلاً كاملاً في ابنه، بكل جوده وكل رحمته وكل رأفته وعظمة قدرة قوته، في أعمال لم يعملها أحد غيره قط: «مستيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة...» (أف: ١٨-٢٢).

«**وَرَسْمٌ جَوْهَرِهِ**»: χαρακτήρ της ύποστάσεως αὐτοῦ

وتترجم بالإنجليزية The expression of his essence

رسم: χαρακτήρ (١٢):

وباللاتيني القديم O.L. imago =

واللاتيني (الفولجاتا): = Figura

وبالسريانية تعني: صورة جوهرة Image of His essence

وتعني التعبير عن الملامح العامة للشخص أو للشيء، لتمثيله. وهذا التعبير χαρακτήρ غير موجود في بقية أسفار العهد الجديد، ويقابله تعبير εἰκῶν. غير أن العلامة بروس يرى أن كلمة «كاراكتير» باليونانية هي أكثر تعبيراً من كلمة «إيكون» εἰκῶν لإعطاء طبعة ذهنية عن الحقيقة غير المنظورة (١٣).

وقد جاءت بهذا المعنى في الأسفار تحت كلمة εἰκῶν: «لمن هذه الصورة (وكانت لقيصر)» (مت ٢٢: ٢٠، مر ١٢: ١٦، لو ٢٠: ٢٤). وقد استطاع العلامة والفيلسوف اليهودي فيلو Philo أن يرتفع بمفهوم الكاراكتير (الرسم) إلى المستوى الروحي قائلاً:

[ إن روح الإنسان — وهي جوهرة — الذي فيه هي كاراكتير أو طبعة القوة الإلهية فيه ] (١٤).

هنا يقصد التعبير العام عن ملامح القوة الإلهية في الإنسان. وهكذا أيضاً يقول القديس

12. Westcott, *op. cit.*, pp. 12f; Attridge, *op. cit.*, pp. 43-46.

13. F.F. Bruce, *The Epist. to the Heb.*, p. 6.

14. Westcott, *op. cit.*, pp. 12f; Attridge, *op. cit.*, pp. 43-46.



كلمندس الروماني عن الإنسان بجملته :

[ إنه طبعة impress لصوره الله ] (١٥).

ولكن على العموم، فإن كلمة « كاراكتير » في المفهوم الكتابي العام تفيد إدراك الشيء مباشرة من خلال علامات ذات صلة بالأصل تعطي انطباعاً عنه بقصد إعطاء الملامح التي يمكن أن يلتقطها الوعي الروحي المفتوح، وليس العقل أو الفكر أو الحواس، ليأخذ صورة كاملة عن الله.

علماً بأن اختيار سفر العبرانيين لكلمة « كاراكتير » كان دقيقاً للغاية ليعبر بها عن تمثيل المسيح « الكلمة الأزلي » لطبيعة الله الإلهية غير المنظورة قط.

«رشم جوهره» (١٦) τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ

«المهبوستاسيس» المعروفة بـ «الجوهر»

الكلمة لغوياً مكونة من مقطعين: الأول ὑπο- بمعنى: «تحت» أو «أسفل»؛ والثاني من أصل الكلمة ἵσταμαι (١٧) وتعني «يقف». وقد استخدم هذا اللفظ في الطب عند اليونان بمعنى «الترسيب في القاع». ثم استخدمه الفلاسفة للإفادة عن قاعدة الإنسان أو أصل قوامه (١٨). كما استخدم للتعبير عن قاعدة أي نظرية وأساسها المبنية عليه (١٩). وعُرف عند الفلاسفة أيضاً بالأسانس = essence كحقيقة أساسية (٢٠).

و «المهبوستاسيس» استخدمها الفلاسفة في وصف النفس الإنسانية في عصر أفلاطون بأنها «الجوهر» essence (٢١) = οὐσία هكذا:

οὐσία νοητὴ ἀμετάβλητος τὴν ὑπόστασιν

وترجمتها أن النفس البشرية هي: [ جوهر عاقل مدرك غير متغير في حقيقته الأساسية ]، حيث المهبوستاسيس جاءت هنا كحقيقة أساسية، كما عبّر عنها فيلو الفيلسوف اليهودي في تفسيره لمفهوم العالم هكذا (٢٢)، باعتبار أن العالم يُدرك فقط بالفكر. فالعالم حقيقة مُدركة

15. Ibid.

16. Ibid.

17. Ibid.

18. Ibid.

19. Ibid.

20. Attridge, *op. cit.*, p. 44f, n. 111-118.

21. Ibid.

22. Ibid.

هكذا: ὁ δὲ νοητῆς ὑποστάσεως κόσμος «الهيوستاسيس» هو الحقيقة.

ولكن في العصور المسيحية المتأخرة شرح اللاهوتيون هذه الكلمة في العقيدة المسيحية حيث اعتبروا أن «البهاء» ἀπαύγασμα الإلهي يعود على الطبيعة الإلهية التي يشترك فيها الآب والابن. ولكنهم اعتبروا أن الكاراكثير يختص فقط بالابن كأفانوم قائم بذاته (١٣).

وقد جاءت كلمة «هيوستاسيس» في سفر حزقيال النبي بمعنى «رسم» أو «قاعدة رسم» أو «خطة البناء» أي «البلان» Plan بالإنجليزية، هكذا:

+ «وترسم لهم البيت ومدخله ومخارجه وشكله και τὴν ὑπόστασιν the plan =) (بالإنجليزية).» (حز ٤٣: ١١ السبعينية)

وجاءت في سفر المزامير بمعنى «وقوف» أو «قيام» أو «مقر»:

+ «غرقت في حاة عميقة وليس مقر και οὐκ ἔστιν ὑπόστασις.» (مز ٦٩: ٢) والمعنى المفهوم: «ولا أرضية تحمل».

وجاءت في سفر إرميا على فم الله حسب ترجمة R.S.V. «مجلسي»، أو «مشورتي» حسب ترجمة A.V.، ولكنها تعني في اليونانية «حضرتي» أو «أمامي»، والمعنى واضح، حيث الرب هو المتكلم:

+ «ولو وقفوا في مجلسي (مشورتي في الإنجليزية) = ὑποστάσει لأخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الرديء وعن شر أعمالهم.» (إر ٢٣: ٢٢) وواضح هنا أنها تفيد الوقوف في حضرة الله أو أمامه أو في وجوده الشخصي.

ومن مجمل ما فات من معاني يأتي هذا المعنى في نفس سفر العبرانيين لكلمة «هيوستاسيس» ليفيد التأكيد (الوقوف على أرضية ثابتة)، (الوقوف أمام الله أو في حضرته):  
+ «لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداة الثقة τῆς ὑποστάσεως ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ١٤)

وواضح من معنى «الهيوستاسيس» هنا أنها تفيد «التأكيد» assurance حسب الترجمة الإنجليزية، أو ربما firmness أي الثبات أيضاً.

كذلك جاءت في الرسالة الثانية إلى كورنثوس لتفيد الجسارة:

+ «... ووجدوكم غير مستعدين (بجمع العطايا)، لا نخجل نحن — حتى لا أقول أنتم — (أي نخجلون بالحري)، في جسارة ὑποστάσει الافتخار هذه» (٢ كور ٤: ٤). والمعنى وإن كان مختلفاً، ولكن يُستفاد منه «الثقة» أيضاً.

+ «الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب، بل كأنه في غباوة، في جسارة ὑποστάσει...» (٢ كور ١١: ١٧)

وهي تحيء واضحة جداً في مزمور ٤٧: ٨٩ هكذا: «اذكروا كيف أنا زائل»، وتحيء باليونانية هكذا: μνήσθητι τίς ἡ ὑπόστασις μου

وترجمتها الصحيحة على السبعينية هكذا:

«تذكّر ما هو كياني» أو «تذكّر كياني ما هو».

والترجمة الإنجليزية توضح أكثر: Remember what my being is.

وهذا يذكّرنا بلقب يهوه الذي اتخذهُ المسيح لنفسه «أنا هو» ἐγώ εἰμι، وترجمتها الحرفية الصحيحة: «أنا الكائن بذاتي»، وبالإنجليزية تحيء «I am the being». لذلك، فإن ما جاء في المزمور ٤٧: ٨٩ يفيد أن «الهيوستاسيس» تعني الكيان الذاتي أو «الذات الكائنة». وهنا يستقر بنا المعنى للهيوستاسيس أنه الكيان الذاتي.

وحينما بدأ اللاهوتيون يستخدمون كلمة essence = الجوهر للتدليل على الكيان الإلهي، حدث الآتي:

[ وهنا يلزم للقارئ القبطي الاحتراس في تتبع الشرح القادم لأنه يخالف عقيدتنا، ولكننا سنسرده لتوضيح السبب في الخلاف اللاهوتي الذي احتدم بين الشرق والغرب في أمر «الهيوستاسيس» (٢٤) ]:

يقول العالم الأسقف وستكوت:

[ إذا الإنسان نظر الثالوث الأقدس بمنظار وحدانية الله، فإنه يوجد هيوستاسيس واحد

(٢٤) الرواية والشرح والتحليل العلمي هنا هو للعلامة الأسقف وستكوت (أنظر بالتفصيل مؤهلاته وصفاته وأعماله في كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص ٣٧٣). وهو من أكبر رواد الأبحاث والكتابات الآبائية وتصحيح ترجمة الكتاب المقدس باليونانية وشرح أسفار الكتاب المقدس.

فقط، جوهر إلهي واحد. ومن وجهة نظر رؤية كل أقنوم = شخص (بمفرده) في الثالث الأقدس، فإن كل ما هو للأقنوم من حيث مَنْ هو في ذاته، فإنه الهيبوستاسيس الذي له، ويلزم أن يُعتبر واضحاً. ففي الوضع الأول من حيث وحدة الله (أو اللاهوت)، فإن كلمة «الهيبوستاسيس» استُخدمت مُعادلة للكلمة οὐσία (الجوهر). وفي الحالة الثانية الخاصة بكل أقنوم، فإن الهيبوستاسيس اعتُبرت مساوية لكلمة πρόσωπον أقنوم (وجه) أي شخص.

ولكن الذي حدث أن آباء الكنيسة الشرقية بزعامة الإسكندرية، أخذوا بوجهة النظر الثانية للهيبوستاسيس للثالث الأقدس<sup>(٢٥)</sup>. والذي حصل أن كثيراً من آباء العصور الوسطى والحديثة أخذوا بالتفسير الإسكندري باعتبار أن الهيبوستاسيس هو أقنوم حقيقي].

وينتهي الأسقف وستكوت موضحاً أن هذا الاعتبار لدى الآباء المتأخرين هو غريب عن مفهوم عصر الرسل. لهذا، إذا أخذنا بالمعرفة السائدة عن الهيبوستاسيس، فإنه يحدث عدم انسجام معنا هنا في شرح الهيبوستاسيس (في سفر العبرانيين): فالابن هو صورة التعبير عن «شخص الله». ولكنه هو التعبير عن جوهر essence الله، بمعنى أنه يُحضر «اللاهوت» إلينا مباشرة، كاملاً محمّداً وواضحاً، ولكن على قدر قدرتنا (ووعينا)<sup>(٢٦)</sup>.

ولكي يدرك القارئ العزيز مدى التورط الذي وقع فيه لاهوتيو الغرب بسبب عدم إتقانهم لفهم الهيبوستاسيس مثل الإسكندرانيين، نقرأ في الإنجيل المترجم عن اليونانية إلى الإنجليزية في الطبعة الأولى المعبر عنها = A.V. = Authorized Version والتي أُنجزت سنة ١٦١١ م. عن الهيبوستاسيس في الآية التي نحن بصدددها، حيث تقول:

«وهو رَسْمُ شخصه» Image of his Person ثم عُدلت في النسخة المنقّحة = R.V. Revised Version إلى Express of his substance = «رَسْمُ جوهره».

وقد انتهى اللاهوتيون المحدثون إلى تعريف الهيبوستاسيس هكذا: Personal Substance

(٢٥) ارجع لخطاب البابا ديونيسيوس الإسكندري في خطابه إلى ديونيسيوس بابا روما:

Routh, Rall Sacrae i II,390ff; cited by Westcott, op. cit., p. 13.

25. Westcott, op. cit.

26. Westcott, op. cit., p. 13.

المترجم «الكيان الشخصي». وهو تعبير جيد على كل حال، وإن كنا نترجمه نحن الأقباط باختصار إلى «أقنوم» أو «شخص»، وهذا لا يعطي جيداً الفهم الصحيح بحسب الأمثلة العديدة التي قدمناها، سواء في آيات العهد القديم أو الجديد التي انتهت بنا إلى تحديد المعنى بكل دقة أنه «الكيان الذاتي».

علماً بأن ما يطلق عليه اللاتين «پرسونا persona» = أقنوم، هو عند اليونان وعندنا هيبوستاسيس ὑπόστασις. كذلك فإن ما يطلق عليه اللاتين: طبيعة Substantia، جوهر Essentia؛ هو عند اليونان وعندنا οὐσία (أوسيا) جوهر.

والذي حدث قبل مجمع نيقية، أن الأوسيا οὐσία (الجوهر) كانت تعني أحياناً عند اللاهوتيين خاصة في الغرب ما يخص الشخص persona. وكذلك كانت الهيبوستاسيس ὑπόστασις (الأقنوم) تعني Substance (طبيعة) فيما يخص الله. وهذا ما أحدث بلبلة في الجدل مع الأريوسيين لا يُستهان بها، وكان ذلك في مجمع نيقية<sup>(٢٧)</sup>، ثم اختمرت حتى تفجرت في مجمع خلقيدونية.

ولكن في أيام كتابة سفر العبرانيين، كانت الهيبوستاسيس محدودة المعنى في مفهوم Substantia، أي الطبيعة، ونقصد الجوهر. لذلك لزم التنبيه (لأنه مخالف لمعرفةنا كأقباط، لأن الهيبوستاسيس عندنا هو الأقنوم).

والآن، حينما ننظر إلى كلمتي «شعاع» و «رسم» اللتين تفيدان ما هو للمسيح، ثم إلى كلمتي «مجد» و «جوهر» اللتين تفيدان ما هو لله، نستخلص أن المسيح الابن يمثل القوة الظاهرة والخفية لله؛ ولكن بالنسبة لما يفيدنا ويخصنا وحسب، فاستعلان الله في المسيح كامل أقصى الكمال بقدر ما يحتمل وعينا الروحي أن يبلغه من إدراك الكمال. فالله حقاً مُدْرَكٌ كامل في ذاته، ولكن لا يُدْرَكُ منتهى كماله!

ونظرة عابرة سريعة إلى القديسين الذين اشتغلوا بالحب الإلهي والتهبوا بالروح وأضاعوا نفوسهم وكل حياتهم في حب الله، قضاوا الليالي والأيام تباعاً جرياً وراء ذلك المحبوب، عيونهم إلى السماء لا ترتدُّ، وقلوبهم يقظة لالتقاط استعلاناته التي تأتي بغير ميعاد. فبعد أن استوعبوه بملء قلوبهم وأسماعهم، ورأوه رؤيا العين بالروح، واحتووه، ولم يَغْدُ فيهم مكان لمزيد، وهتفوا في نشوتهم:

هذا ملء الله، هذا هو الملكوت المُعَدَّد، عادوا يصرخون ويتأوّهون: ماران آنا (= تعال أيها الرب)، وكأنهم لم يأخذوا شيئاً، فهذا شأن كمال الله، وهذا شأن قصور الإنسان بالنسبة لله.

«وحامل كل الأشياء»: φέρων τε τὰ πάντα

«اسمعوا لي يا بيت يعقوب، وكل بقية إسرائيل المحملين عليّ من

البطن، المحمولين من الرحم،

وإلى الشيخوخة أنا هو، وإلى الشبية أنا أحلّ. قد فعلتُ، وأنا أرفع وأنا

أحمل وأنجي». [إش ٤٦: ٤٣]

«حامل»: φέρων ، وباللاتينية portans .

هنا كلمة «يحمل» لا تفيد في معناها اليوناني مجرد الفعل السلبي، وهو الحمل فقط؛ بل فيها ديناميكية دافعة. فالابن لا يحمل العالم كما تحمل الخريطة رسم العالم، فهذا يُسمى "الحمل الميت" (\*)؛ بل الابن يحمل العالم حلاً فيه استيعاب همّ الدنيا وغمّها وهمّ الآخرة بأفراحها، وفيه حركة وفيه ثقل واندفاع نحو غاية مُحَكِّمة معدّدة العالم. وهو لا يحمل هموم الدنيا وأفراح الآخرة كما هي؛ بل هو يحمل همّها ليرفعه في الوقت المحدّد، يشارك فيه ويتألّم به، لذلك لا يقوى أن يتركه على كواهل متّقيه: «لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها. ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلّولاً» (إش ٥٣: ٤)؛ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم، بمحبته ورأفته هو فكّهم ورفعهم وحلّمهم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣: ٩)؛ «فلنخرج إذأ إليه خارج المحلة حاملين عاره (الذي حمله من أجلنا)». (عب ١٣: ١٣)

وهو يحمل أفراح الآخرة كمن يفرح بحصيد تعبهِ ومَنْ يجني مكافأة أحزانه، فهو كما يقول إشعياء بالروح على فم الله نفسه إنه يحملها كما تحمل الأم ابنها في بطنها تغذيه من دمها ومن لحمها، ثم تحمله على الكتف، تحمل عجزه وقصوره وأوجاعه وأقداره. وكما لا تشمئز الأم من وسخ ابنها، لا يشمئز مَنْ يحملنا على كتفيه ويحمل معنا الدنيا بأسرها. وهو لا يحملها وحسب؛ بل وليحضرها إلى نفسه وليدخلها إلى راحته: «أنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ» (خر ١٩: ٤)؛ «وفي البرية حيث رأيت كيف حملك الرب إلهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان» (تث ١: ٣١). وجاءت هذه الآية الأخيرة في

(\*) اصطلاح ميكانيكي .

السبعينية: «كيف حملك الرب إهلك كما يُحمل الرضيع nursing، كإنسان يحمل ابنه الرضيع...».

«حامل كل الأشياء»:

«كل الأشياء» τὰ πάντα . «كل شيء به كان»، في مفهومها المنجم كواحد. وكما جاءت في المزمور ٨: ٦: «أخضعت كل شيء تحت قدميه» (الترجمة السبعينية)، وكما جاءت في الرسالة إلى رومية: «لأن منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد آمين.» (رو ١٠: ٣٦)

لذلك، فمن روح الكلمة نفهم أن تعبير «شيء» غير موفّق، لأن الكلمة اليونانية πάντα تحمل مفهوم الإنسان والملائكة والخلاص والقداء والميراث، مع أن «الشيء» لا يجوز إلا على ما هو عديم الروح والفكر. لذلك كنا نودّ أن لا تكون الترجمة «حامل كل الأشياء»؛ بل «حامل الجميع» أو «حامل الكل»، فرمما كان ذلك أقرب إلى المعنى كما جاءت في ترجمة رسالة كولوسي ١: ١٦: «فإنّه فيه خُلِق الكل τὰ πάντα».

«بكلمة قدرته»: τῷ ῥήματι τῆς δυνάμεως αὐτοῦ

بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي يفسّر قوله: «كل الأشياء بكلمة قدرته» هكذا: «فإنّه فيه خُلِق الكل ... الكل به وله قد خُلِق، الذي هو قبل كل شيء (قبل الخليقة) وفيه يقوم الكل (بعد الخلق)» (كو ١: ١٦ و١٧). هنا قوله: «فيه يقوم الكل» يعني أن كل الخليقة تأخذ فيه قوامها وقيامها وحركتها وبدايتها ونهايتها، وفيه تتقدّم وترقى، تتصحّح وتتجدّد، وتتطوّر من حال إلى حال أعلى، حتى تبلغ منتهى قصد خالقها ولمجد الله. وهذا هو المعنى الذي يختفي وراء «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته».

«بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا»: καθαρισμόν τῶν ἁμαρτιῶν ποιησάμενος

«بعد ما صنع»: ποιησάμενος، وباللاتيني القديم factio.

هنا نبلغ المرحلة الثالثة في استعلان الابن:

المرحلة الأولى: جاءت في وصفه «الذي وهو» ὃς ὁν، بمعنى هذا الكائن بذاته:

أ — شعاع مجده، ب — رسم جوهره.

المرحلة الثانية: في وصفه بالنسبة لعمله خارجاً عن ذاته، «الذي به خلق العالمين»،

«الحامل كل الأشياء».

المرحلة الثالثة: نزول إلى عمق عالم الإنسان وحله خطايا الخطاة: «بعد ما صنع تطهيراً خطايانا».

وهذه المرحلة الثالثة يقدّمها سفر العبرانيين هنا كحالة تَمَّت وكملت، فهو يصفها بعد انتهاء فعلها بقوله: «بَعْدَ مَا»، لأنه مشغول في وصف موقع الابن النهائي في جلوسه عن يمين العظمة في الأعالي. فعملية التطهير تجيء في هذه الآية لتؤهل الابن للجلوس عن يمين العظمة، لأن غاية الرسالة بجملتها هي إعلاء شأن الابن فوق كل الأنبياء والملائكة وموسى والكل. لذلك غيّر على عملية التطهير هنا دون أن يصفها، بل ألمح تلميحاً أنها أهّلته ليجلس عن يمين العظمة عن جدارة عمله الذي أعاد له ما سبق أن تنازل عنه من مظاهر مجده ليستطيع أن ينزل إلى وحل العالم ويحمل على نفسه كل خطايا الإنسان، تماماً كرئيس كهنة كلّف نفسه بتقديم ذبيحة خطية عن العالم، فلن يكون قادراً بالفعل على رفع كل خطايا العالم ولمرة واحدة، قدّمها من جسده ثم حمل دمها الذي هو دمه على يديه، ودخل إلى قدس الأقداس ليراعى أمام الجالس على غطاء التابوت (عرش الرحمة)، ثم يجلس معه عن يمينه: «من تَمَّ»، كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب. (عب ٢: ١٧)

هنا يلاحظ أن الله الآب غير ظاهر في هذا «العمل» أو «الصنع»، ولكنه معمول لحسابه وطاعة لمشيئته التي أعلنها بالحب لابنه كتكليف محبة. فالمسيح صنع التطهير بنفسه من لحمه ودمه، ولكنه كان بالنهاية مُصَالِحاً العالم لأبيه، لأن الآب كان «في المسيح مُصَالِحاً العالم لنفسه». (٢ كو ٥: ١٩)

«تطهيراً لخطايانا»: καθαρισμόν τῶν ἁμαρτιῶν

وباللاتينية القديم purification (purgation) peccatorum.

التطهير من الخطايا اصطلاح قانوني ناموسي استُخدم في القديم دون أن تُدرك طبيعة الخطية في مستواها الروحي. لأن كل الخطايا التي كان ينبغي التطهير منها كانت محصورة في خطايا السهو فقط أو النجاسة الجسدية. أما خطايا العمد، فلم يكن لها تطهير قط، لا بالأعمال ولا بالأقوال ولا بالذبائح؛ بل عقوبة الموت حتمية: «مَنْ خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة (أي بدون استئناف)» (عب ١٠: ٢٨). لهذا، يأتي هنا اصطلاح «تطهيراً لخطايانا» وهو الأول من نوعه دون جميع التطهيرات الأخرى، أما وسيلته فلم يكن لها شبيه ولا مثيل ولا معادل قط في جميع تطهيرات الناموس. فهنا دم ابن الله، بروح أزلي، ليس فقط يرفع الخطية كأنه



بمجرد تطهير جسد، بل ويمحو آثارها في الروح والضمير وفي السماء أيضاً — فيرفع عنها الدينونة. وليس ذلك فقط، بل عَوْضُ الخطيئة وعقوبة الموت عنها، يترك الدم أثره على النفس والروح، كختم إلهي، فيقدسهما ليصيرا مؤهلين للاتحاد بالطبيعة الإلهية.

هنا التطهير يشمل التقديس، بل يشمل التبرير، بل يشمل التبرّي لله الآب، بل يشمل الميراث في ميراث الابن في غنى مجد الآب والحياة الأبدية: «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله، لا تضلّوا، لا زناة، ولا عبدة أوثان، ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون، ولا طمّاعون، ولا سكيرون، ولا شتامون، ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (عماد)؛ بل تقدّستم (بالدم)؛ بل تبرّرتم (بالروح) باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كور: ٦: ٩-١١)

ولكن لا يزال في قوله: «صنع تطهيراً لخطايانا» محددًا المجموع، أي خطايانا نحن جميعاً، فيه إشارة إلى التطهير الجماعي الذي كان يقوم به رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة بتقديم الكفارة عن الشعب ككل. هذا تشمله هذه الآية. لذلك، فإن هذه الآية توحى إلينا بما يُفهم أنه فعل ذلك (الجلوس عن يمين العظمة) بعد ما صنع «كنيسة»، لأن المؤمنين المطهّرون من خطاياهم في العهد الجديد هم «الكنيسة»: «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء (المعمودية) بالكلمة.» (أف: ٥: ٢٥ و٢٦)

ويلاحظ أن سفر العبرانيين، إذ يقدم هذه الآية: «بعد ما صنع تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة في الأعالي»، سوف يفرد لها الأصحاحين التاسع والعاشر، ليقارن بين تطهير بدم حيوان وتطهير بدم ابن الله. وكلمة «تطهير» في وضعها المصدرى καθαρಿಸμός التي يستخدمها سفر العبرانيين هنا لم ترد في أسفار العهد الجديد إلا في رسالة بطرس الثانية ١: ٩: «لأن الذي ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر، قد نسي تطهير καθαρಿಸμός خطايا السالفة».

«جلس في يمين العظمة في الأعالي»:

باليونانية: ἐκάθισεν ἐν δεξιᾷ τῆς μεγαλῶσούνης

وباللاتينية: Sedit ad dexteram majestatis.

«جلس»: ἐκάθισεν

عملية الجلوس عن يمين الله لها في ذهن الرسالة إلى العبرانيين نوع من التسلط الذي يبرز نفسه

باستمرار، وذلك بنوع من التمايز المطلق الذي لا يجزئ عليه نبي أو ملاك أو رئيس ملائكة أو مخلوق مهما علّت رتبته. لأن الجلوس عن يمين الله، وبالأكثر عن يمين عظمة الله فيه تشديد وتوعية للإنسان للنظر إلى المساواة مع الله أو التكافؤ أو الوجدانية الذاتية. لأنه لا يتساوى مع الله إلا الله، وأي عدم «تساوٍ بمعناه المطلق» بين الجالس في العظمة والجالس عن يمينه يُحدث انشقاقاً في اللاهوت، وهذا يستحيل تصوّره. لذلك نرى هذا الإصرار بكافة الوجوه: «وأما رأس الكلام، فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات» (عب ٨: ١)، «وأما هذا، فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله» (عب ١٠: ١٢)، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مُستهنياً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله.» (عب ١٢: ٢)

من هذا نفهم أن الجلوس في يمين الله في نظر سفر العبرانيين هو قمة المرافعة التي تأهل لها سفر العبرانيين لإثبات منتهى أفضلية الابن على كل من عداه في أحقية أن يكون هو رئيس الإيمان ومُكمله!!

علماً بأنه في قوله «جلس» في الآية «بعد ما صنع تطهيراً خطايانا جلس في يمين العظمة الأعلّى»، لا يقصد هنا فعل الجلوس في ذاته، ولكن أحقية الجلوس عن جدارة واستحقاق وسلطان بسبب قيامه بهذه العملية العظمى «تطهير خطايا العالم». فعين كاتب السفر مسلّطة هنا على الاستحقاق الذي فاز به من جراء العمل العظيم الذي عمل. فعظمة الفداء هي التي أهّلت لعظمة الجلوس عن يمين الله.

والجلوس في يمين الله شيء مرهوب غير متصوّر ولا معقول. فالمعروف أن كل ملائكة الله وقوف قدامه يغطّون وجوههم من عظمتهم: «نهر نار جرى وخرج من قدامه، ألوف ألوف تخدعه وربوات ربوات وقوف قدامه» (١٠: ٧١)، «قد رأيتُ الرب جالساً على كرسية وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره.» (١ مل ٢٢: ١٩)

ويعطينا داود النبي صورة مبدعة بين ما تمّ بين الآب والابن عند عودة الابن بعد الصليب حاملاً دم كفارة كل الشعوب على يديه، والآب يقّمه إلى كرسية كمن يعيده إلى مقامه ومجده الأول والدائم: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مز ١١٠: ١)

ويزيد سفر العبرانيين توثيقاً لهذا المقام وهذه الكرامة التي تأهل لها الابن، وهي أصلاً له وهو

لها، لولا تغرُّبه على الصليب — فيقول وعلى لسان داود النبي بالوحي الإلهي: «أما عن الابن — فيقول داود — كرسيتك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلكك (مز٦: ٤٦).» (عب ١: ٨)

فإذا جمعنا الآيتين الأخيرتين اللتين لداود معاً، تكون: «قال الرب لربي اجلس على كرسيك عن يميني...». فالعرش الإلهي واحد، وما هو للآب هو للابن، وما للابن هو للآب!!

«في يمين»: ἐν δεξιῇ

نحن لسنا هنا بصدد مكان بل كرامة. ولكن لا مفرَّ من الخضوع لمعنى اللغة. فالموقف تصوير مكاني، هكذا يبدو لعين الإنسان؛ بل ولكي يتفق أيضاً مع فكر الإنسان. وليس هنا فقط بل في كل مقارنة في أي منظر مع الله، فالسيرافيم يقفون للخدمة، وكل جند السماء وقوف ليقبلوا التدبير. أما الابن ففي اليمين جالس. كلها تعبر عن الموضع التقوي للكرامة، وكل ما يعرفه الإنسان عن ذلك هو أن الخدام وقوف يكونون، أما الأسياد (الأرباب) فجلوس دائماً.

والجلوس عن يمين العظمة ظل رمزاً في الرؤيا النبوية إلى أن تحقق في الواقع الإلهي كحقيقة تملأ السماء كلها والأرض أيضاً، وهذا أدركناه من فم الرب بعد أن قام واسترد هذا المقام وتلَّك فوق كل رياسة وسلطان في هذا الدهر والدهر الآتي طُرّاً!! فاسمع من فم المسيح: «دُفِع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض.» (مت ٢٨: ١٨)

وهكذا فإن كلمة «جلوسه» عن يمين الله تفيد مقرَّ ملكيته ومصدر سلطانه الفائق على كل خليقة في السماء وعلى الأرض. وليس هذا يقف عند مجرد التكريم؛ بل ويمتد إلى ما سبق وتكلَّمت الآية الثانية عنه: «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته»، والتي جاءت أيضاً: «وفيه يقوم الكل» (كو ١٧: ١٧). فمن عرش الله يسوس ويدبِّر، وليس ذلك فقط، فهذه الملكية الإلهية وهذا السلطان في التدبير يمتدان إلى الدينونة، وليس إلى الدينونة فقط بل وتوزيع الأنصبة: «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده θρόνου δόξης αὐτοῦ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل» (مت ١٩: ٢٨). وبولس الرسول يعبر عن جلوس المسيح عن يمين الله بتعبير لاهوتي واضح وصريح: «إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» (في ٢: ٦). وكذلك القديس بطرس يوضح معنى يمين الله هكذا: «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلطين وقوات مُخضَّعة له.» (١ بط ٣: ٢٢)

والآن هو جالس حسب القول بانتظار إخضاع كل أعداء الخلاص: «وآخر عدو يبطل هو الموت.» (١ كور ١٥: ٢٦)

«العظمة»: τῆς μεγαλωσύνης ، وباللاتيني Majestatis .  
الصفة الملازمة لله للتعبير عن تفوق جلاله فوق كل مجد دنيوي .

داود النبي يستغيث بهذه العظمة بحد ذاتها، أي بالتفوق الكلي لله من أجل صنع شيء يوقف زحف الموت على بني الإنسان ويردع الموت ويوقف حصيده للأرواح بلا اكتراث هكذا: «ليدخل أمامك أنين الأسير كعظمة ذراعك κατά τὴν μεγαλωσύνην ، استثنى بني الموت» (مز ٧٩: ١١)، «إني باسم الرب أنادي أعطوا عظمة لإهنا θεῷ δότε μεγαλωσύνην .» (تث ٣٢: ٣)

بمعنى ارفعوا أفكاركم وقلوبكم وعيونكم وأصواتكم عالياً جداً لتقابل مع العظمة الحقيقية المستحقة لله . فنحن لا نعطي عظمة من عندنا لله ، بل نعطي الله العظمة التي له ولا نختلسها بصفتنا وبُعدنا عنه بينما هو يستحق التعظيم كل لحظة . والذي يسبح ويمجد الله ويعطيه ما له من العظمة هو كمن يصلي بلا انقطاع . والذي يعرف التسبيح وقد وهب سره الإلهي يقول في هذا: «وبارك داود الرب أمام كل الجماعة . وقال داود: مبارك أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد، لك يا رب العظمة σοὶ κύριε ἡ μεγαλωσύνη والجبروت والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض، لك يا رب المُلك، وقد ارتفعت رأساً على الجميع.» (١ أي ٢٩: ١٠ و١١)

«في الأعالي»: ἐν ὑψηλοῖς

اصطلاح للخروج من ربة الأرض ومستوى فكر الإنسان ووجوده وشقائه . وهو يعبر عن الحياة العليا والوجود الأسمي وكل ما هو فوق طبيعة الإنسان .

وهو، على قدر فكر الإنسان، وجودٌ تصوّري، يُستخدم تحت ضغط الحاجة للوصول إلى التعبير عن اللامحدود واللامنتظر وغير المحوى، حيث يُشبع روح الإنسان في تصوّر الله وهو فوق الجميع ويحوي الكل . هكذا وبهذه الرؤية، يرى سفر العبرانيين المسيح بعد أن أكمل مهمته على أرض الشقاء وفكّ رُبط حبسنا وأطلق أرواحنا إلى الرحب السمائي هكذا:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار.»

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرٍّ ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.» (عب ٧: ٢٦)

وارتفاع المسيح إلى الأعلى من السموات، بقدر ما كان رؤيا واقعية رآها التلاميذ، صار عقيدة ثابتة تشدُّ إيماننا إلى فوق من حيث يأتي عوننا.

+ «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء.» (أع ١: ٩-١١)

والمعجيب والمرح في هذه الآية أنه بعد مشاهدة التلاميذ لارتفاع المسيح بمنظره البديع الأخاذ، أراد الله أن يؤكد لهم أن ما رأوه صحيح، فأثمن على رؤيتهم بقوله: «كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء!» وهكذا دخل الارتفاع إلى أعلى من السموات في الإيمان الرسولي بثبات، وربط قلوبنا به.

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه.» (أف ١: ٢٠-٢٣)

+ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله.» (كو ٣: ١)

+ «الذي هو في يمين الله، إذ قد مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعة له.» (١ بط ٣: ٢٢)

+ «الذي نزل، هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف ٤: ١٠)

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي ننتظر منها أيضاً مخلصاً هو الرب يسوع.» (في ٣: ٢٠)

آمين تعالَ أيها الرب يسوع!

أما بولس الرسول، فكان هو الرسول الوحيد الذي لم يَرَّ قيامة الرب ولا صعوده إلى السماء، لكنه حصل على رؤية فائقة للرب نفسه يظهر له في السماء، وأثناء الظهور، بوجه يلعب أشد من

الشمس، ويتكلم معه باللغة العبرانية ذاتها ويختاره للرسالة، فكان هذا الظهور آخر وأهم شهادة لصعود المسيح إلى السماء وبقائه هناك:

+ « رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي ... سمعت صوتاً يكلمني ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدين، صعبٌ عليك أن ترفس مناخس. فقلت أنا: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، ولكن قُمْ وقِفْ على رجلك، لأنني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهره لك. » (أع ٢٦: ١٣-١٦)

أما القديس إستفانوس فله شهادة حية برؤية عينية لابن الإنسان، بمعنى ابن الله متجسداً قائماً عن يمين الله هكذا:

+ « أما هو فشحص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس. فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله. فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله. » (أع ٧: ٥٦ و ٥٥)

## ثالثاً - آية الانتقال إلى موضوع الرسالة

٤ : ١ «صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما وُثِرَ اسماً أفضلَ مِنْهُم».

بهذه الآية يفتح ق. بولس موضوع الرسالة، وهو قائم على أفضلية التدبير الإلهي بيد الابن عن التدبير الإلهي بيد موسى بتوسط الملائكة. أما مناسبة دخول الملائكة في بدء الحوار في هذه الآية، فهو ملتقط من الارتفاع الذي حصل عليه المسيح بعد أن أكمل التطهير بالفداء، وجلسه في السماء موطن الملائكة، حيث يطرأ السؤال: وما هي درجة المسيح في السماء بالنسبة لمواطنيها الأصليين أي الملائكة؟ ثم من هذا السؤال يبدأ المدخل إلى الحوار الذي نجده يمتد من ١: ٥ إلى ٢: ١٨ دون انقطاع.

## المسيا في التقليد الرباني اليهودي أعظم من الملائكة:

ليس من فراغ يبدأ سفر العبرانيين الحوار مع اليهود المنتصرين الذين يؤذون الرجعة والارتداد إلى اليهودية. فهو يخاطبهم من واقع وحي الربيين في دراستهم لشخصية المسيا، وهي دراسات كان كل الشعب على علم بها. يقول الربيون:

[ «هوذا عبدي يعقل (يتصرف بحكمة)» هذا القول لإشعيا النبي يفيد شخصية مسيا الملك الآتي، وبقوله: «يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً» يفيد أنه سيرتفع فوق إبراهيم، ويرتفع فوق موسى، ويرتفع عالياً فوق الملائكة الخادمين] (٢٨).

كذلك:

[ المسيا هو أعظم من الآباء وأكثر من موسى وأكثر من الملائكة الخدّام. ] (٢٩)

ولكن سفر العبرانيين - من وجهة نظر مسيحية - يتجاوز أفضلية المسيا أي المسيح المتجسد فوق الملائكة، كونهم مجرد رتبة أو وظيفة خدمة، ولكن يقصد توسعهم في نزول الناموس. وهذا نستشفه من أقوال الآيات الأخرى هكذا:

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديت إلى أن يأتي النسل (مفرد أي المسيح) الذي قد

28. Yalkut Sim. 2. fol. 53.3 on Is. LII,13. Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 16.

29. Yalkut chadesh, f. 144,2. Cited by Westcott, *op. cit.*, p. 16.

وُعِدَّ له (أي أعطي الوعد له وهو المسيح) — (هذا الناموس جاء) مرتباً بملائكة في يد وسيط. « (غل ٣: ١٩)

+ «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه.» (أع ٧: ٥٣)  
 + «لأنه إن كانت الكلمة (الناموس) التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعدد ومعصية نال مجازةً عادلة ...» (عب ٢: ٢)

أما تدخل الملائكة في توجيه الشعب وقيادته وربما توصيل مفردات الناموس إليه، فواضح من الآتي:

+ «ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددت، احتترز منه واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه ... ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به ...» (خر ٢٣: ٢٠-٢٢)

والقدیس بولس سیخرج من ذلك أن الناموس نفسه هو دون بشارة الإنجیل بالمسیح.

«صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم»:  
 «أعظم» : κρείττων

هذه الكلمة تُعتبر من خصائص سفر العبرانيين المميزة، وقد وردت ١٣ مرة في الرسالة، وهذا ليس غريباً. فالرسالة تقوم على المقارنة بين كل ما كان في العبادة القديمة، وما صار في العبادة الجديدة. وهي بمعنى الأسمى، إما في الكرامة، أو الاستحقاق، أو المنفعة، ولكن التشديد ليس على طبيعة الصلاح، ولكن على مستوى القوة.

ولكن في دفاع الآباء عن سمو المسيح، أو عظمته الأكثر، لم يأخذوا هذه الكلمة بمعنى القوة أو التأثير، ولكن ركزوا على الطبيعة ونوعيتها. ونجدها في المواضع الآتية من الرسالة:

(٩: ٦) بمعنى «أموراً أفضل» (كلمة «أموراً» زائدة في الترجمة العربية):

«ولكننا قد تيقنا من جهتك أيها الآباء (أموراً) أفضل» τα κρείσσονα

(٧: ٧) بمعنى «الأكبر»:

«وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر» κρείττονος εὐλογεῖται

(١٩: ٧) بمعنى «أفضل»:

«إذ الناموس لم يكتم شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل»

κρείττονος ἐλπίδος



(٢٢:٧) بمعنى «أفضل»:

kreittonos διαθήκης : «على قدر ذلك قد صار يسوع ضمناً لعهد أفضل»:

(٦:٨) مرتان بمعنى «أفضل»:

kreittonos διαθήκης : «خدمة أفضل ... عهد أعظم (أفضل):»

kreittosin επαγγελίας : «... مواعيد أفضل»:

kreittosin θυσίας : ذبائح أفضل (٢٣:٩)

kreissona θαρξιν : «مألاً أفضل، والترجمة غير صحيحة والأصح مِلْكَاً أفضل»:

kreittonos : «وطناً أفضل (كلمة الوطن مضافة):» (١٦:١١)

kreittonos ἀναστάσεως : «قيامه أفضل» (٣٥:١١)

kreittón τι : «شيئاً أفضل» (٤٠:١١)

kreittón λαλοῦντι : «يتكلم أفضل» (٢٤:١٢)

ونحن إن كنا قد اعتنينا هكذا بصبر أن نسجل لهذا السفر المبارك إلحاحه المثير حقاً على استخدام كلمة أفضل — kreittón — في كل أمر، وكل حالة، وكل وضع، وكل عمل، فذلك لكي نبين للقارىء مدى إصرار هذا السفر على أفضلية العهد الجديد على العهد القديم. وذلك إن كان في زمانه، فلكي يقنع اليهود أن لا يرتدوا عن المسيح إلى ما هو أقل وأتفه، أو إن كان في زماننا فالأمر يخصنا الآن بالدرجة الأولى؛ لأن غواية هذه الأيام وهذا العالم وشيطان هذا العصر لا يكف عن أن يغوينا بالخيانة من أجل مال أو جمال أو شهوة ولذة خسية أو وظيفة أفضل، أو راحة نفسية، أو هروب من ضيقة أو تعبير أو فقر.

«صائراً أعظم من الملائكة»: τῶν ἀγγέλων

كهيسة أو طغمة، وليس كأفراد، وليس من جهة طبيعتهم، وإنما من جهة وظيفتهم عند الله. وذلك واضح من قوله: «فإنه للملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه.» (عب ٢: ٥)

وعلو شأنه ودرجته عن طغمة الملائكة لم تأته من أعماله سواء في الخلق أو تقويم العالم المخلوق، أو تطهير الخطايا، ولكن هذا السمو والتعالي والتفوق هو بالدرجة الأولى في كونه «ابناً»، وهذا الاسم لم يُخلع عليه بل هو بحكم ميراث أزي، شأن الابن بالنسبة لله الآب. أما قوله «صار» في الأول، فهذا فعلاً ما تحقق وما صار، بعد أن عرفنا أنه جلس عن يمين العظمة في الأعالي بعد أن أدّى أعمالاً، وهي أعمال لا يأتيها إلا الابن. فالأعمال التي أودعته على العرش في

يمين أبيه هي تحصيل حاصل، كونه الابن الذي كان — دون أن ندري — في حضن الله قبل أن ينزل ونراه.

فالابن الذي كان في حضن الآب منذ الأزل، مغفياً عن عيوننا بسر لم يُعرف به أحد، لما تجسّد ورأيناه، ولما أكمل الطاعة لأبيه، عاد إلى مكانته: «خرجتُ من عند الآب وقد أتيتُ إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب» (يو ١٦: ٢٨). إنما تغيّر وضعه من حضن الآب إلى يمين العرش، ومن الوضع السري غير المدرك ولا مستعلن إلى الوضع المستعلن والمنظور لنا (يراه إستانوس)، وذلك بحسب الجسد الذي حمله عائداً إلى أبيه ممثلاً البشرية بأجمعها.

إذاً، فعلو شأن الابن بقوله: «صائراً» *γενόμενος*، فهذا لأنه صار مُدركاً لنا فقط بعد التجسد. فكلمة «صائراً» لا تفيد تغيّراً أو زيادة أو إضافة للابن، ولكن تفيد استعلان علو شأن الابن الذي كان مغفياً، ثم «صار» مُدركاً لنا بسبب التجسد، كقوله: «تعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤). فهذا التعيين هو لنا وفي وعينا وليس له ولا لشخصه، لأنه الابن الأزلي لله.

أما علو شأن الابن «بالميراث» فلا يفيد حصوله على الميراث كجائزة وهدية لما أتاه من أعمال، وإنما هو الاستعلان الختمي الذي أدركناه لما أدركنا أنه الابن الوحيد. هذه بديهية بنى عليها بولس الرسول بديهية ميراثنا نحن أيضاً معه، عندما أعلن الروح القدس أننا صرنا أبناء الله الحي بالميلاد الجديد قائلاً: «فإن كنا أبناءً فنحن ورثة» (رو ٨: ١٧). وكأنها قضية مسلم بها، فلأننا صرنا أبناء الله الحي، لذلك تحتم أن نصير ورثة مع الابن لله.

«اسماً أفضل منهم»:

باليونانية: *διαφορώτερον παρ' αὐτοῦς*

وباللاتينية: *excellentius ab his* : O.L.

اسم الملائكة هو جيد لذاته ومحترم، ولكن إذا قارنا بين اسم الملائكة واسم الابن في الجودة والحسن والاحترام، فاسم الابن أفضل — لأن كلمة «الأفضل» تعتبر أن الآخر فاضل، أما هذا فهو أفضل — وبولس الرسول يوضح سمو اسم الابن فوق كل اسم هكذا:

+ «وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربُّ لمجد الله الآب.»

(في ٢: ٨-١١)

لذلك وإن كان اسم «الابن» هو بحد ذاته اسم فوق كل اسم، إلا أنه بطاعة الابن المتجسد حتى الموت أخذ عن جدارة، في المنظور والشُعْلن للناس، اسماً أعلى من كل اسم، تماماً كما سمعنا المسيح يصلي: «مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو: ١٧: ٥). فالمجد الذي أخذه بالقيامة من الأموات هو مجد مُستَرَدٌّ، وليس مجداً مُستَجِداً. كذلك الاسم الأعظم والمتعالي فوق كل اسم الذي أعطاه له الآب بعد أن أطاع ومات على الصليب وقبر وقام وصعد إلى الآب ليس اسماً مستجداً ولا مضافاً إليه مجد بل هو اسمه الأعظم المُستَرَدُّ.

وليلاحظ القارئ أن «المجد الذي كان للابن عند ذات الآب» هو ميراث أزي. كذلك وبنفس الوضع، فالاسم الذي ورثه الابن أزي هو مع ميراث مجد البنوة الأزي. فهو وإن كان قد تجسّد وتغرّب على الأرض وصُلب ومات وقام فهو بذات الاسم. لذلك تحتم أن يتمجد الموت به وتتمجد القيامة فيه، فالموت موت الابن والقيامة قيامة الابن، وحتماً يعود به (أي بذات الاسم) إلى السماء، فهو ميراثه الأزي. ولكن الذي كسب والذي أضيف إليه ما هو ليس له، والذي ورث ما لا يتناسب مع حقارة جنسه، هونحن بني البشرية، أي البشرية التي في المسيح التي ارتفعت برفعته وتمجّدت بتمجّده، وجلست في المواضع السماوية العليا بجلوسه. فإن كان «أنا» المسيح الابن قد اكتسب شيئاً فليس المسيح الابن الذي اكتسب بل «نحن في أنا» المسيح (٣٠). «في ذلك الوقت تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم.» (يو: ١٤: ٢٠)

(٣٠) القديس أناسيوس الرسولي يوضّح هذه الفكرة بجلاء في مقاله الأول ضد الأريوسيين، فصل ٤٢ و٤٣ :

## الدفاع الأول تفوق الابن على الملائكة

[ ١٨:٢ - ٥:١ ]

القسم الأول: شهادة الأسفار لرفعة شأن المسيح فوق الملائكة (١:٥-١٤).

القسم الثاني: خطر إهمال استعلان الله لابنه (٢:١-٤).

القسم الثالث: تكميل التدبير الإلهي لمستقبل الإنسان بتأليم الابن (٢:٥-١٨).

إذا فلينتبه القارئ أن تحت هذا العنوان بأقسامه الثلاثة سوف نقدّم معاً الأصحاح الأول والأصحاح الثاني كله.

### القسم الأول: شهادة الأسفار لرفعة شأن الابن فوق الملائكة:

(١:٥-١٤) أي يستغرق بقية الأصحاح الأول كله.

هنا يقدم السفر سبعة شواهد من الأنبياء، وبدراستها يتبين لنا أنه اختارها بدقة متناهية؛ لتؤكد وتشرح ما قدمه في الديباجة آيةً بآية. فإن كان قد قدم آيات الديباجة من عنده، فهو الآن يردّها إلى أصولها الأولى توثيقاً وإثباتاً لما قاله:

أولاً - آية (٦٥ و٦٥): يقدمهما تدعيماً لما قاله عن المسيح «كابن».

ثانياً - آية (٧ و٩٧): يقدمهما تدعيماً لما قاله إنه «وارث لكل شيء».

ثالثاً - آية (١٠ و١٢): يقدمهما تدعيماً لقوله إنه خالق العالم «عمل العالمين».

رابعاً - آية (١٣ و١٤): يقدمهما للمقارنة بين الابن والملائكة في تدبير مهام الحاضر.

فبينما الملائكة منهكة في الإعداد للحظة الخلاص ومنشغلة بالأدوار التي ستؤديها غير عالمة بما سيحدث، انسلّ الابن من ورائها ونزل دونها آخذاً صورة عبد، أي تجسّد استعداداً لأن يرتقي فوقها مرة أخرى ويرتفع إلى أعلى السموات ليسود عليها، وهو لابس جسد إنسان، فتخضع له وتنحني وتقدم السجود والعبادة.

أولاً - آية (٦٥) : تفوق الابن على الملائكة باعتبار بنوته لله :

نجد أن الشواهد التي اختارها لتثبيت قوله بخصوص تفوق «الابن» على الملائكة هي ثلاثة شواهد :

الشاهد الأول : من المزمور الثاني لداود النبي هكذا :

+ «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي . إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي :

أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك ،

اسأني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك .» (مز ٢: ٦-٨)

الشاهد الثاني : وهو من سفر صموئيل الثاني :

وقد اقتبس من ٢ صم ٧: ١٣ و ١٤ ومتكرر في أي ١٧: ١٢ و ١٣ :

+ «هوييني بيتاً لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ،

أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً» .

الشاهد الثالث :

وقد أجهد العلماء في البحث عن الأصل<sup>(٣١)</sup> الذي اقتبس منه هذا الشاهد وانفقوا على الآتي ، وعلينا أن نوضح ذلك .

فالكلام في هذا الشاهد يشبه إلى حد كبير ما جاء في المزمور ٧: ٩٦ : النسخة السبعينية : «اسجدوا لله يا جميع ملائكته» .

ثم وُجد النص الذي اقتبس منه واضحاً تماماً في النسخة الفاتيكانية لسفر التثنية ٤٣: ٣٢ وهي نسخة خاصة للنسخة السبعينية ، وكانت سائدة أيام الرسل .

ولكن يقول العالم ج . بارمبي<sup>(٣٢)</sup> إن النسخة الماسورية لسفر التثنية ٤٣: ٣٢ جاءت هكذا أيضاً : «اسجدوا لله يا جميع ملائكته» ، في ختام تسبحة موسى النبي مشيراً إلى نهاية الأيام حينما أهاب بالأمم أيضاً قائلاً : «تهللوا أيها الأمم مع جميع شعبه» .

ونحن نرى في هذا الكلام صورة تنبؤية عن يوم ميلاد المسيح ، فهذا الكلام يأتي متفقاً مع ما

31. Westcott, *op. cit.*, p. 19-20.

32. J. Barmby, *The Pulpit Comm.*, Vol. 21, p. 12-13.

صار معلوماً لدى الرسل وشاع عند كل الشعب كما جاء في إنجيل القديس لوقا يوم ميلاد الرب هكذا:

+ «فإذا هلاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضواء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك: لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب.

وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مَقْمَطاً مضجماً في مزود.

وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين:

المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.» (لو: ٢: ٩-١٤)

فبتحليل ما تم على فم الملائكة يتضح ما يلي:

أولاً: في لحظة ميلاد المسيح وهو البكر: «فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجمته في المذود» (لو: ٢: ٧)، ظهرت الملائكة وجند السماء للرعاة المتبئين وأعطوهم بشارة الميلاد والعلامة.

ثانياً: إن الملائكة قَدَّموا تسبحة للمسيح، ووضح فيها إعطاء المسيح المجد في الأعالي والسلام على الأرض، وهذه هي العبادة بعينها والتي تُسمى تجاوزاً السجود.

لذلك جاء قول سفر العبرانيين: «متى أدخَلَ البِكْرُ إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله». ووضح هنا أن القصد من السجود هو «التسبحة»، التي هي بعينها العبادة التي قَدَّمها الملائكة يوم ميلاد المسيح باعتباره يوم دخول البِكْرِ إلى العالم.

وكذلك نجد أن الاستشهاد بهاتين الآيتين مترادفتين معاً وهما: «أنت ابني اليوم ولدتك» و«عند دخول البكر إلى العالم...»، يوضِّح ما في ذهن كاتب الرسالة أنه يقصد بالفعل ما قَدَّمته الملائكة من التسبحة يوم ميلاد المسيح في بيت لحم.

ومن قول سفر العبرانيين أن الملائكة تسجد للابن يوم دخوله إلى العالم، حيث التركيز على المفارقة، فإن القصد الأساسي من ذلك هو توضيح تفوق المسيح وتساميه فوق رتبة الملائكة. ففي الوقت الذي يتنازل فيه الابن مُخْلِياً ذاته ومتجسداً في صورة إنسان بهذا الاتضاع، تقف الملائكة تحمده وتسبح له وتعطي المجد لله في الأعالي وتبشِّر الأرض بالسلام. فإعطاء المجد لله في الأعالي لحظة نزول الابن على الأرض معناه تماماً أن هذا العمل التنازلي هو لمجد الله أو هو هو مجد الله!! كما تقول الآية: «إن يسوع المسيح هوربٌ لمجد الله.» (في ٢: ١١)

أما إعطاء الابن صفة «البكر» هنا عوض الابن فهي إشارة إلى أنه صار «بكرًا للإنسان» وليس بكر الله. لأنه المقابل لآدم الأول، والمعنى أنه أول مولود للإنسان في خليقته الجديدة «ابن الإنسان» فهو أبو كل المولودين جديداً لله، أو رأس الخليقة الجديدة أو آدم الثاني، وقد وضعها بولس الرسول هكذا: «بكرًا بين إخوة كثيرين.» (رو١: ٢٩)

إذاً، فالبكورية هي لحساب خليقة البشرية الجديدة. فالبكر أخ أكبر لبقية الإخوة المولودين من الروح القدس. كذلك هو بكر القيامة أي أول من قام من الأموات بالنسبة للذين سيقومون فيه «بكر من الأموات» (كو١: ١٨). فإن كان المسيح يُدعى المولود الأول (البكر) πρωτότοκος فهذا يعني بالدرجة الأولى «ابن الإنسان»، أي آدم الثاني، رأس الخليقة الجديدة فهو بكر بالنسبة للبشر.

أما كونه يُدعى الابن الوحيد μονογενής فهذا معناه أنه وحيد الجنس، أي الابن المنفرد بينوته لله. فوحدانية بنوته هنا هي بالنسبة لله.

ولا يصح الخلط بين الصفتين: فالصفة الأولى «البكر» هي صفة زمنية بشرية نسبية إنما أخذت وضعها المطلق بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت المولود، فهو بكر الإنسان الذي وُلد على الأرض، وفي عمق الزمن، ومن عذراء، وعاش بين بني البشر «كابن الإنسان»، ولكنه بآن واحد هو قائم في السماء عن يمين الآب. وواضح جداً من هذه الآية مفهوم البكر: «أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض» (مز٢٧: ٨٩). فكلمة «أجعله» θήσωμαι تفيد ما بعد التجسد بكل وضوح، إذ هنا يستحيل أن يستقيم فعل «جعل»، الذي يفيد استحداث كرامة وامتياز، إلا إذا كان بحال الجسد القابل للزيادة.

أما الصفة الثانية المونوجانيس: فهي صفة إلهية جوهرية من ذات طبيعة الله ومن طبيعة ذاته، فلا يوجد في الله إلا ابن واحد لآب واحد هما ذات واحدة وهما الله.

فالمسيح يُعتبر — بسبب تجسده — بحسب الكتب «بكر كل خليقة» (كو١: ١٥)، لأنه رأسها وهو بآن واحد «وحيد الآب.» (يو١: ١٤)

٥ : ١ «لأنه يَمنُّ من الملائكة قالَ قَطُّ: أنتَ آبنِي أنا اليومَ وَلَدَتَكَ، وأيضاً أنا أَكُونُ له أباً وهو يكون لي أبناً؟»

«لأنه لمن من الملائكة قال قط؟»:

معروف أن الكتاب يدعو الملائكة بأسماء تكريمية مثل «أبناء الله»: «لأنه مَنْ في السماء يعادل الرب (يهوه = أنا هو = ابن الله) مَنْ يشبه الرب بين أبناء الله؟» (مز ٨٩: ٦)، هكذا يمكن أن يُقال عن طغمة الملائكة المقدسين معاً إنهم «أبناء الله»، ولكن ليس لفرد من الملائكة قط قيل إنه ابن الله خلاف «المسيا».

كذلك قيل عن شعب إسرائيل: «من مصر دعوت ابني» (هو ١١: ١)، أو ما قيل لفرعون: «إسرائيل ابني البكر فقلت لك أطلق ابني ليعبدي» (خر ٤: ٢٢ و ٢٣). ولكن ليس لفرد من الشعب قيل أنت ابني إلا فيما يُقصد به المسيا سواء من جهة داود أو سليمان: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني.» (هو ١١: ١)

أما في كل ما دُعي به المسيا «كابن» في العهد القديم فكان النطق من الله. وكان ذلك دائماً ينمُّ عن الفريدة والتمايز الذي لا يدانيه تمايز، ويمكن ملاحظة ذلك في الإحساس بالتملُّك والفخر في نطق «أنت ابني» وقوله: «أكون له أباً». فهو ليس لقباً مخلوعاً على صاحبه بنوع الهدية، ولكن لقب الابن هنا يجيء للإعزاز والتباهي والاستعلان.

«ابني»: υἱός μου

هنا يجيء اللفظ بنوع من الضغط والتشديد لإظهار وحدانية البنوة وفرادتها. وكما سبق وقلنا وأكَّدنا، فإن البنوة في الله صفة جوهرية على مستوى صفة الأبوة والاثنان متحدان في الجوهر والذات فهما جوهر واحد وذات واحدة. وهنا الذات هي الذات العظمى الكاملة المتكاملة في ذاتها حباً، فالله كامل ومتكامل، حبه منه وفيه. الآب يحب الابن، والابن يحب الآب، مكتفياً بذاته كلياً الاكتفاء. وكل ذات في الوجود تستمد وجودها الذاتي من الله، وتستمد اكتفاءها الذاتي من الله، وبدون الله لا تكتفي أي ذات في الوجود بذاتها، فكل ذات لا تكتمل أبوتها إلا بالاتصال بذات الآب، ولا تكتمل بنوتها إلا بذات الابن. هذا هو قمة ارتقاء الذات البشرية، وهذا نسعته بكل وضوح وبكل توضيح يكاد ينطق: «في تلك الساعة تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). فاكْتفاء الآب والابن معاً هو مصدر اكتفائنا؛ لأننا من الآب نأخذ عن طريق الابن ومن الابن نأخذ عن طريق الروح القدس: «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم.» (يو ١٦: ٢٣)



من هنا فاستعلان سر الآب والابن في الله أصبح هو سر اكتشاف الإنسان وارتقائه .

فلو عُدنا إلى تفكيرنا في سفر العبرانيين، نجد أن عُلو شأن الابن عن الملائكة ليس مجرد امتياز ذاتي يوجّه إليه بولس الرسول نظر العبرانيين، بل إن امتياز الابن وعلو شأنه هو المصدر الوحيد لارتقاء البشرية فوق ذاتها، وسر ارتفاعها وجلوها في السموات . فأبي ملاك يمكن أن يقترب من هذا المجال ؟!

«أنا اليوم» : σήμερον

«أنا اليوم ولدتك» . في الحقيقة وقبل أن نخوض في المعنى القريب والمعنى البعيد لكلمة «اليوم»، فإن هذه الكلمة في موضعها هنا تشكّل نقطة حرجة بلغت ذروتها حينما استدعت هذه الولادة! فهي في الحقيقة قمة اللحظة الحرجة على المستوى الزمني (اليوم)، بل هي أيضاً نقطة نهاية صراع كل الدهور والأزمان في مواجهة الخلود .

بولس الرسول يشرحها في اختصار وإنما بحذق مدهش :

+ «ونحن نبشركم بالموعد (اليوم) الذي صار لأبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا (اليوم) نحن أولادهم إذ أقام يسوع (هنا بلوغ أقصى الصراع الذي حدث بين الإنسان والله، بين الزمن والخلود، بين الموت والحياة، بين الظلمة والنور) كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني : أنت ابني أنا اليوم ولدتك، إنه أقامه من الأموات...» (أع ١٣ : ٣٢-٣٤)،  
+ «عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد .» (رو ٦ : ٩)

أما كشف بولس الرسول بهذا الحذق الفائق عن قول المزمور : «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» أنه هو حقاً يوم قيامة المسيح من بين الأموات، فيؤكد في موضع آخر بما لا يترك مجالاً للشك بقوله في مطلع الرسالة إلى أهل رومية : «وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات» (رو ١ : ٤) . إذأ فهو أمر مقطوع به من جهة الفكر الرسولي المؤيد بالروح القدس أن قول الله مخاطباً المسيا : «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» هو يوم أن قام الرب من الأموات بقوة الروح القدس ومجد الله الآب .

ولكن عودة إلى التقليد الرسولي : فهنا في تقليد بولس الرسول تتمركز الولادة التي يقول بها المزمور بضم الله حول كلمة تعيّن : «وتعيّن ابن الله بقوة...» .

أما بقية التقليد الرسولي الذي ساد أيضاً الكنيسة وامتد إلى آباء الكنيسة أن استعلان بدء هذه «البنة» تمّ:

+ إما قبل التجسد في الأزل، كما قال أوريجانوس وأغسطينوس<sup>(٣٣)</sup>، ولكن مردود على ذلك أن الخطاب أصلاً موجّه لداود، وهنا يستحيل القول بالميلاد في الأزل: «أيها الرجال الإخوة يسوع أن يُقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود أنه مات وذُفِنَ وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذا كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح ...» (أع ٢: ٢٩-٣١)

+ وإما بالتجسد ويتفق في هذا معظم الآباء، ولكن مردود على هذا أيضاً أن المتكلم هو الله والوالد هو الله، فلا احتمال هنا لشركة البشر أي العذراء، لذلك وجب أن يكون مفهوم الولادة متجماً كلياً في الله، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلاّ:

+ إما في العماد حيث الميلاد الجديد هو للبشرية فيه بالروح القدس. وهنا يكون إعداد للميلاد الجديد بالروح القدس: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. وإذا كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب بك سررت.» (لوق ٣: ٢١ و٢٢)

+ أو في القيامة من الأموات بالروح القدس أيضاً حيث ميلاد الإنسان الجديد يتم فيه حقاً وبالكامل: «... وَلَدْنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الْأَمْوَاتِ» (١بط ٣: ١). وبالأقوى جداً يُفهم ذلك من آية بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: «الذي هو البداء بكر (أول مولود) من الأموات لكي يكون متقدماً في كل شيء (رأس كل المولودين بالقيامة من الأموات).» (كو ١: ١٨)

ولكن نحن نرى أنه يصعب جداً تحديد أي اليومين كان هو المقصود في المزمور: «أنا اليوم ولدتك»، هل هو العماد؟ أم هو القيامة من الأموات؟ كما يقول العالمان وستكوت<sup>(٣٤)</sup> وموفات<sup>(٣٥)</sup>، حيث العماد هو بداية الاستعلان للميلاد الجديد: «ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذا كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان

33. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 73.

34. Westcott, *op. cit.*, p. 21.

35. Moffatt, *op. cit.*, p. 9.

صوت من السماء قائلاً: أنت ابني الحبيب بك سررت» (لوقا: ٣: ٢١ و٢٢). وبعد العماد مباشرة، أي بعد إعلان بنوة المسيح لله إعلاناً بلغ السموات كلها، جاء الشيطان ليشتك في هذه البنوة قائلاً: «إن كنت ابن الله» (مت ٤: ٣). والقيامة هي نهاية وقمة الاستعلان للميلاد الجديد للإنسان. لذلك نرى أن قول المزمور: «أنا اليوم ولدتك» هو إشارة لتغطية الزمان، و«اليوم» هنا هو التعبير عن عمق الزمن؛ لأن «اليوم» معروف عند الله أنه كألف سنة أو كهزيع الليل (٣ ساعات): «لأن ألف سنة في عينيكَ مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل» (مز ٩٠: ٤). لذلك فإشارة اليوم في المزمور هي حدوث «استعلان الابن» في عمق الزمن (اليوم) بالروح القدس في المعمودية، واستعلان تعيين الابن في عمق الزمن (اليوم) بالروح القدس بالقيامة من الأموات. وهكذا يكون في المعمودية قد تمَّ استعلان بدء الخليقة الجديدة (الامتلاء من الروح القدس)، وفي القيامة من الأموات اكتمال لياقتها للصعود إلى أعلى السموات. وفي هذه وتلك، فالذي وُلد هي البشرية الجديدة في شخص الابن الأزلي المنزَّه عن الولادة بلاهوته.

علماً بأن التأكيد على بنوة المسيح لله يُعتبر حجر الزاوية في دفاع بولس الرسول لدى العبرانيين في هذا السفر، وأن هذه البنوة التي أعلنت بيقين وتميَّنت جهاراً بقيامة المسيح من الأموات هي حجر المحك للخلاص. فبنوة المسيح لله مربوطة ربطاً مُحكمماً بقيامته من الأموات، وعقيدة البنوة والقيامة اللتين للمسيح هما كل لاهوت الخلاص في المسيحية.

«اليوم ولدتك»: γεγέννηκά σε

من هذا التعبير الوارد في هذا المزمور دخل في العهد الجديد مفهوم الولادة الجديدة بالروح.

فكما رأينا في الشرح عاليه، أن بالمعمودية اعتُبرت بداية استعلان الولادة الجديدة للبشرية في المسيح ابن الله، وذلك بالروح القدس العامل الأساسي في الميلاد من فوق؛ كذلك بالقيامة من الأموات تمَّ استعلان أو تعيين ابن الله، وذلك أيضاً بالروح القدس. فالروح القدس هو العامل الأساسي في الميلاد الجديد للبشرية الذي أكمل — أي الميلاد الجديد — في المسيح يسوع لحسابنا.

وعلى القارئ أن لا يخطيء قط فيفهم أن ميلاد المسيح تم في المعمودية ليكون ابناً لله، ولا حتى في أية لحظة زمنية، فالآية تقول: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك»، فهو ابن الله أولاً وبالدرجة الأولى وبالأساس، ثم تمت فيه ولادة البشرية الجديدة هكذا في الزمن (اليوم). وإلاً لو كانت قد تمت لابن الله ولادة لكان القول، أنا اليوم ولدتك فأنت ابني، ... ولكن العكس هو الذي قيل!! وعن الولادة الجديدة في المسيح يقول بولس الرسول: «وإن كان لكم ربوات من المرشدين في

المسيح لكن ليس آباء كثيرين، لأنني أنا ولدتكُم في المسيح يسوع بالإنجيل.» (١ كور: ١٥) ومعروف أن ولادتنا في المسيح تتم بأن نعتمد لموته ولقيامته في جرن المعمودية.

والولادة تعني في أبسط معانيها حياة جديدة. فإن كان المسيح قد اعتمد ليمنحنا إعداداً للحياة الجديدة، فهو بالأكثر وبالأولى قام من الأموات ليعطينا هذه الحياة الجديدة بمعناها ومبناها وقوتها وطبيعتها. لذلك وبمنتهى البساطة نقول: إن نبوة المزمور القائل بضم الله مخاطباً مسيا الدهور: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، كان يخاطب فيها المسيح حاملاً البشرية التي حمل، لكي يفلسها في الأردن ويعدها للذبح على الصليب؛ ليقوم بها بشرية جديدة مولودة لله محمولة في شخص ابنه الأزلي.

«وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً»:

هنا انتقال من المزامير إلى سفر صموئيل الثاني الأصحاح السابع حيث ينقل ناثن النبي رسالة لداود أيضاً يخبره بما يقوله الله له من جهة بناء البيت الذي اشتهى أن يبنيه لله، ولكن الذي سيبنيه هو سليمان ابنه، وأضاف الله: «هو يبنيني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (٢ صم ٧: ١٣ و١٤)

ويلاحظ مدى الإحكام بل الحكمة الإلهية التي جعلت سفر العبرانيين يضم آية المزامير الموجهة لداود: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، إلى آية صموئيل النبي الموجهة لسليمان: «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً»، ليستخلص منهما استعلان علاقة الابن «المسيا» بالله. ففي الآية الأولى يقرر حقيقة تختص بالمسيا في علاقته بالله في عمق الزمن كعمل يتم له «اليوم»، ثم يردفها بالآية الثانية ليقرر العلاقة الدائمة بين الله والمسيا — الابن حال تجسده — على مستوى الأبدية أي بصورة دائمة خالدة، فالله يظل له أباً أبدياً وهو يبقى له ابناً أبدياً. هنا في الحقيقة روعة التعبير عن لحظة القيامة من الأموات التي تعين — أي تحقق — فيها المسيح ابناً لله وهو حامل البشرية في جسده، ثم كيف امتدت العلاقة بعد ذلك بجلوس الابن عن يمين الآب بجسد بشريته في حالة كينونة دائمة.

على أن السفر هنا لا يبحث أبداً في الواقع اللاهوتي لابن الله قبل التجسد، لأن هذا لا يدخل في موضوع الرسالة ولا يهم العبرانيين الذين يتحدث إليهم. إنما هو يصف المسيح الذي صنع لهم خلاصاً بتجسده وموته وقيامته وجلوسه عن يمين الآب، وهكذا يتحقق مدى سمو رسالة الابن في مدى سمو شخصيته، من واقع ما صار له وفيما أصبح عليه بالنسبة لله في مقابل الملائكة التي

كانت تخدمه على طول المدى سواء في ميلاده أو عماده أو صومه في البرية أو في جثسيماني أو على الصليب أو حتى في القبر!! مستخدماً النبوات التي وردت عن المسيا وكانت محفوظة بل مدروسة لدى كافة الربيين وعلماء اليهود الذين اعتبروا هذه الآيات بالذات آيات مسيانية. وقد وجدت هذه الآيات في مجموعة مخطوطات وادي القمران في قسم خاص بـ «المسيا» بالمغارة رقم ٤ (٣٦).

فإن كانت هذه الآيات تبدو جديدة على أي إنسان أممي يريد أن يؤمن بالمسيح، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لليهود الذين كانوا يعيشون في ترقب لتكميلها، وكانت لهم جزءاً من تراثهم من جهة المواعيد التي كانوا يترجونها بفارغ الصبر.

أما لنا نحن المسيحيين فقد صارت هذه الآيات جزءاً من حياتنا وإيماننا ولاهوتنا، فالآية «أنت ابني أنا اليوم ولدتك» صاغ منها القديس يوحنا أنشودة المجد التي تعنى بها في بدء إنجيله: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو: ١٤: ١)، بل صاغ منها إيمانه وبنوته لله بالتالي: «وأما كل الذين قبلوه (قبلوا المسيح على أنه ابن الله) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا (هم بالتالي) أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو: ١٢: ١). ثم يكشف القديس يوحنا معنى الولادة لله هكذا: «الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو: ١٣: ١٣). أما وسيلتها فيكشفها بولس الرسول: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو: ٨: ١٤). ثم يتسامى القديس يوحنا بالولادة من الله، ويكشف لنا بالتالي سر البنوة والأبوة في الله، السر الغائق على كل إدراك وتصوّر (٣٧) هكذا: «كل من يحب فقد وُلد من الله» (١ يو: ٤: ٧). هذا هو غاية سر اللاهوت. ويعود المسيح ويكشف بدوره عن سره الأزلي مع الآب هكذا: «الآب يحب الابن» (يو: ٣: ٣٥ و ٥: ٢٠)، «إني أحب أبي.» (يو: ١٤: ٣١)

والروح القدس يتحرك مع المحبة ويشهد لمن يشهد لها: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو: ٨: ١٦)

36. Montefiore, H.W., *op. cit.*, p. 45.

(٣٧) أنظر كتاب: «الدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ١١٣ هامش (١)، وص ٢١٦.

٦:١ «وأيضاً متى أدخلَ البِكرَ إلى العالمِ يقولُ: ولتسجدُ له كلُّ ملائكةِ الله».

«وأيضاً متى»:  $\delta\tau\alpha\nu\ \delta\epsilon\ \pi\acute{\alpha}\lambda\iota\nu$

هذه الآية ليست استطراداً لنوع الآيات السالفة، التي كانت تخص العلاقة بين الابن والآب، فهنا ينقل المقارنة إلى علاقة الابن بالملائكة مباشرة. لذلك فكلمة «أيضاً» لا يصح أن تأتي في البداية (٣٨)، بل كان من الواجب أن تتبع دخول البكر إلى العالم هكذا: «ومتى أدخل البكر إلى العالم أيضاً...». وهنا يحدث تغيير جوهري في معنى الآية بجملتها إذ يصير هنا دخول البكر إلى العالم «أيضاً» يعني مجيئه الثاني.

ولكن هنا يختلف الشراح، ونحن لا نميل إلى القول مع العلماء الذين يقولون بأن هذه الآية تختص بالمجيء الثاني (٣٩). لماذا؟ لأن هذا لا يستقيم والمعنى المقصود إذ لا يفيد العبرانيين المزعزين آتسذ في إيمانهم بشيء على الإطلاق. فما القيمة — بالنسبة للعبرانيين — كون الملائكة تستسجد للمسيح في مجيئه الثاني وهم رافضون مجيئه الأول؟ لذلك فقصد السفر المُلمَع والمباشر أن يوضح أهمية وعلو شأن المسيح الذي جاء بالجسد، وبالتالي العمل الذي أكمله من أجل خلاصهم.

«ومتى أدخلَ البكر إلى العالم»:

واضح أن الفاعل هنا هو الله، وهو في حال الفعل الماضي. وفي الآية المشابهة التي اقتبسها السفر من الزمائر أيضاً: «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لي جسداً» (عب ١٠: ٥). هنا نجد أن الابن يدخل بمشيئته الذاتية. ولكن في الأول حيث يتولى الله إدخال الابن إلى العالم، يتضح أن الدخول — أي التجسد — هو عمل إلهي بالدرجة الأولى، بحسب ما تنص عليه بقية الآية: «فلتسجدُ له كل ملائكة الله». لذلك تُحسب هذه الآية ضمن التراث اللاهوتي العالي — في اعتبارنا — لأنها تشير إلى أن فعل التجسد إلهي هو، وتسنده المقولة: «الله ظهر في الجسد.» (١ تي ٣: ١٦)

ويعتقد معظم العلماء أن المصدر الذي نقل عنه — غيباً — سفر العبرانيين هذه الآية هو سفر التشنية أصحاب ٤٣: ٣٢ بالسبعينية. والقطعة أصلاً هي نبوة موسى عن آخر الأيام بالنسبة لشعب إسرائيل، وهو يصف وصفاً مبدعاً دخول الأمم مع شعب إسرائيل (في الإيمان بالمسيح) وحصول الأمم على تهليل وفرح في شركة مع الشعب. وهنا ينطلق موسى بالروح في غُلواء الرؤيا العالية

38. Westcott, *op. cit.*, pp. 22,23.

39. Westcott, *op. cit.*, p. 37; Käsemann (wantering people 98-101); Michel p. 113, Braun, p. 37.

والتنبؤ فيرى ملائكة الله تشترك في فرحة مجيء المسيا وهي تسجد له تعبيراً عن علو مكانته اللاهوتية فوق الملائكة. وسفر العبرانيين مُحققٌ وصادقٌ جداً في استشهاده بهذا النص: «افرحي أيتها السموات معه، ولتسجد له كل ملائكة الله. افرحوا أيها الأمم مع شعبه...». وواضح جداً من هذه النبوة لموسى أنه يصف حالة دخول ابن الله إلى العالم بالتجسد لبدء المصالحة العظمى: الأمم مع الشعب، والسماويون مع الأرضيين، وهكذا تفرح السماء بمن فيها وتفرح الأرض أيضاً معه!!

ونحن نجد أن هذا المنظر تم بالفعل ليلة ميلاد المسيح في بيت لحم، وظهور الملائكة وجند السماء يَسْبَحُونَ (يعبدون) مبشرين وداعين الرعاة (وربما كانوا كتعانيي الأصل أي أمم) أن يفرحوا فرحاً عظيماً: «لأنه وُلد لكم اليوم» مخلص هو المسيح الرب»، ثم تسبحتهم الخالدة: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.» (لو ٢: ١٤)

لم يجد سفر العبرانيين ضرورة أن يصف الميلاد الإعجازي بحد ذاته، ولكن التقط من حوادث ذلك اليوم العظيم موقف الملائكة فقط وهم يفرحون وينشدون ويقدّمون تعبيراً عن علو شأن الابن فوق الملائكة حتى وفي حال اتضاع تجسده، ذلك من أجل العمل الجليل والفائق أي الخلاص الذي استؤمن عليه الابن دون الملائكة أو رؤساء الملائكة: «وُلد لكم اليوم ... مخلص.» (لو ٢: ١١)

هنا عبّر سفر العبرانيين عن الميلاد «بالدخول إلى العالم» توضيحاً لسبق وجوده قبل التجسد، كذلك لإعطاء عملية الميلاد وزنها الإلهي كرسالة هامة حيث ترك فيها الابن موقعه في الأعالي وانحدر داخلاً العالم مُرسلاً من الله:

+ «متى أدخلَ البكر إلى العالم.» (عب ١: ٦)

+ «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً.» (أف ٤: ١٠)

+ «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان (الذي على الأرض) الذي هو في السماء (أيضاً).» (يو ٣: ١٣)

«البكر»: πρωτότοκον

كان من العسير أن يقول: «لما أدخلَ الابن إلى العالم»، لأن في البداية لزم أن يُخلي الابن ذاته ليأخذ هيئة الإنسان ليستطيع الدخول إلى العالم. ففي لحظة دخول الابن إلى العالم دخله في هيئة ابن الإنسان، ولتمييزه عن أي إنسان سُمي بـ «البكر»، أي الإنسان الأول، وذلك من واقع أنه أول الخليقة الجديدة للإنسان، فهو بكر الإنسان بالدرجة الأولى والذي سُمي عن جدارة بآدم الثاني أي رأس الخليقة البشرية الجديدة.

ولكنه يقول هنا: «متى أذخَلَ البِكْرَ إلى العالم»، بمعنى أن الله هو الذي أدخله إلى العالم، أي أن الله هو صاحب تدبير التجسد، الأمر الذي استطاع بولس الرسول — بجرأة الروح والعين المفتوحة — أن يقول: «الله ظهر في الجسد ... تراءى لملائكة» (١ تي ٣: ١٦). بمعنى أن الملائكة صارت بدورها مقلعة على التجسد وتخدمه. فالتجسد عمل إلهي بالدرجة الأولى، كما أدركه بولس الرسول على حقيقته: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو ٢: ٩)

لذلك حينما يقول سفر العبرانيين: «متى أذخَلَ البِكْرَ إلى العالم» فهو يصف الابن الوحيد بمنظار بشري كبكر الإنسان، الأمر الذي عبّر عنه المسيح فيما يخص شخصيته بقوله عن نفسه إنه «ابن الإنسان»!! وماذا تعني ابن الإنسان إلا بكر الإنسان؟ ولكنه عاد ينبّه المعثرين بسبب هيئته البشرية بقوله:

+ «فإن رأيتم ابن الإنسان، صاعداً، حيث كان أولاً (حينئذ تعرفون من أنا).»  
(يو ٦: ٦٢)

+ «ومتى رفعتم ابن الإنسان حينئذ تفهمون أنني أنا هو.» (يو ٨: ٢٨)

«العالم»: οἰκουμένην

الكلمة اليونانية لا تفيد العالم بل المسكونة كلها، والفارق يهنا جداً هنا. فالعالم هو عالم الإنسان بأرضه وسماؤه وشقائه، ولكن المسكونة تفيد الأرض والسماه المأهولة بساكنيهما. فالإيكوميني أي المسكونة هنا تُدخل عنصر الملائكة في المضمون. والحقيقة أن تجسد المسيح اهترت له السماء قبل الأرض، لأن تأثير التجسد وعمله الذي أكمله المسيح على الأرض وأنهاه بالصليب والقبور والقيامة والصعود لم يتوقف تأثيره على الأرض فقط، ولا أهل العالم فقط، بل نسمع بكل وضوح:

+ «لكي يُعرَف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات "بواسطة الكنيسة" بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ١٠ و١١)  
+ «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجنوب باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (الأموات)، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربُّ لمجد الله الأب.» (في ٢: ٩-١١)

ولقد استخدم بولس الرسول كلمة «المسكونة» وليس «العالم» في سفر الأعمال هكذا: «لأنه أقام يوماً هو فيه مزعم أن يدين المسكونة οἰκουμένην بالعدل» (أع ١٧: ٣١). وهنا يلاحظ أنه سيدين الملائكة أيضاً.



إذاً، فالملائكة لها دور أساسي في دخول البكر إلى العالم. فالملائكة القديسون يُسبِّحون ويخدعون ويسجدون، والساقطون يُدانون.

ومعروف أن الملاك يسجد لله ولا يسجد له أحد: «فخررت أمام رجليه لأسجد له فقال لي: انظر لا تفعل، أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع، اسجد لله، فإن شهادة يسوع هي روح النبوة.» (رؤ ١٩: ١٠)

«ولتسجد له كل ملائكة الله»:

القول هنا مأخوذ — بالإضافة إلى الاقتباس من تثنية ٤٣: ٣٢ — من المزمور السابع والتسعين (٩٦ بحسب السبعينية): «اسجدوا لله يا جميع ملائكته». وقد جاءت في الترجمة العربية: «اسجدوا له يا جميع الآلهة»، وهذا هو الأصل فعلاً في النسخة العبرانية، ولكن حكماء اليهود الذين ترجموا التوراة والمزامير إلى اليونانية (الترجمة السبعينية)، كانوا يدركون أصل المعنى المعروف والمدروس عند الرابين وهو أن «آلهة الأمم شياطين»<sup>(١٠)</sup>، أي ملائكة ساقطون، حينئذ عدلوا على أساس المعنى الحقيقي أنهم ملائكة وليسوا آلهة.

والمزمور هنا يدعو «جميع» الملائكة، والقصد من كلمة «جميع» هو إضافة الملائكة الساقطين مع الملائكة القديسين، الأولون يدعوهم مرغمين: «أضع أهدامك موطناً لقدميك» (مز ١١٠: ١)، والآخرون مهللين. ونحن رأينا في سجود المجوس للمسيح، وهو في حجر أمه في بيت لحم صورة فعلية لسجود الأمم الذين كانوا يعبدون الشياطين، اعترافاً منهم، وهم صاغرون، بـ «ملك اليهود»، وذلك نبوة عن دخول الأمم في عبادة الله الحي بالإيمان بالمسيح.

أما الملائكة القديسون، فتراهم يظهرون للرعاة ليلة ميلاد المسيح ليخدعوا بشارة الخلاص الأولى من السماء، ويقدمون تسبحة المجد لله في الأعالي، ويبشرون بالسلام لساكنتي الأرض. وهم لم يفارقوا الرب بعد ذلك، إذ نسمع عن مرافقتهم للمسيح وخدمتهم له في صومته المقدس، وفي جسيماني، وفي القبر، وفي القيامة، وحتى الصعود. لأنه إن كان الملائكة «معينين لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤)، فكم تكون خدمتهم للمخلص نفسه؟

ثانياً : آية (٧-٩) : علو كرامة الابن باعتباره ملكاً مسموحاً من الله :

تقديم :

لوعدنا إلى الآيات السالفة (٦٥ و٦٥) التي اقتبسها هذا السفر من العهد القديم لُثِّبَت بها علو شأن الابن عن الملائكة، لوجدنا أنها اختيرت من مواضع ذات اتجاهات واضحة تفيد أن المسيا الابن المقصود هو ملك رفيع الشأن، وأن له سلطاناً فائق القوة، وأنه باني هيكل الله الدائم إلى الأبد، وأن ملكوته لا يزول (انظر ٢ صم ٧: ١٣). وهذه الأمور لم تتحقق لملك أرضي ظهر في الوجود، ولكنها تحققت بكل عظمتها وثقلها في المسيا المسيح الابن المتجسد، وبالتالي فهي لا تنطبق على ملاك مهما كان.

هكذا يبتدىء السفر هنا أيضاً يضع المقارنة بين ملوكية الابن عالية القدر إزاء وظيفة الملائكة التي للخدمة، أما الابن في ملوكيته فجاء ليؤسس البر الأبدى (٨)، لذلك أعطي مسحة من القدوس فائقة (٩).

مصادر استشهاد السفر في الآيات ٧ و٨ و٩ :

أولاً : المزمور ١٠٣ : ٤ (النسخة السبعينية والنسخة الإسكندرانية).

ثانياً : المزمور ٤٤ : ٧ و٨ مع اختلافات طفيفة عن النسخة السبعينية.

واستخدام هذين المزمورين يعتبر هاماً جداً، لأن المزمور الأول ١٠٣ هو المزمور الخاص بخلق الخليقة، والمزمور الثاني هو مزمور مديح «المملكة الإلهية» في صورة نشيد في زفاف ابن الملك! وكلا المعنيين فائق القيمة من جهة موضوع الاقتباس.

فالتشبيه العام محكم والمناسبة غاية في الإبداع تجعلنا منذهلين من براعة الاختيار. علماً بأن أسفار العهد الجديد برُتِّبَت لا تشير إلى شيء من المزمور ٤٤، مما ينبه ذهننا نحو الرسالة إلى العبرانيين كيف أن الوحي الإلهي أرادها لتكميل صورة الابن لدى كنيسة الدهور، وبالأخص هذه الكنيسة التي نعيشها، التي اهتزت فيها القيم العليا التي للمسيح بسبب كثرة الإثم وبرودة المحبة.

الآيات : بالسبعينية وهي لا تختلف كثيراً عن المترجمة في النسخة البيروتية :

مز ١٠٣ : ١-٤ «باركي يا نفسي الرب. أيها الرب إلهي قد عَظُمْتَ جداً، مجداً

(مز ١٠٤ بالبيروتية) وجلالاً لبست. اللابس النور كالثلج ... المسقَّف علاليه بالمياه.

الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح، الصانع ملائكته رياحاً وخدامه ناراً ملتتهبة ...» .

« فاض قلبي بكلام صالح : متكلم أنا بإنشائي للملك . لساني قلم كاتب ماهر . أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد، ... كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الاستقامة قضيب ملكك .

أحبيب البر وأبغضت الإثم، من أجل هذا مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» .

مز ١٤٤ : ٧

(مز ٤٥ بالبيروتية)

الشرح :

٧ : ١ «وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه أهبب ناراً» .

هنا الأصل في المزمور يعطي انطباعاً عن الملائكة، لا عن تكوينها بل عن خدمتها وعملها، فهي في السرعة وفي عدم رؤيتها لها وفي قوتها كالريح، وفي رهبتها ونقمتها وغلوتها وشدة بأسها كالنار الملتتهبة . أما نية سفر العبرانيين في اختياره لهذه الآية بالذات فهي محاولة ردها إلى قوى الطبيعة العادية، فهي لا تزيد عن كونها كالريح أو كالنار في عملها وأدائها، قاصداً من ذلك أن يضعها في المقارنة أمام الابن، الذي يصوره ملكاً مهيباً جالساً على عرشه ثابتاً إلى الأبد .

فإن كانت الملائكة في عملها كالريح وكنالار، فالريح والنار تتغير وتتحوّل وتزول . فعملها غير دائم ولا ثابت، أما الابن فهو هو الله على عرشه، السماء تزول وكلمته باقية إلى الأبد لا تزول، والأرض تُطوى وتتغير وأحكام الابن تدوم وتبقى . وفي أدب التوراة نرى الملائكة ذات علاقة وطيدة بالريح والنار فنقرأ :

+ «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عُليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق.» (خر ٣ : ١٢ : ٢٥)

والذي يُلَفَت نظرنا هنا أن «الملاك ظهر بلهيب نار»، ولكن الجديد علينا أن النار ليست ناراً للحريق فهي نار الله . هي قوة سرية من قوى القدير المصنوعة لخدمة الخلاص : «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟» (لو ١٢ : ٤٩)

+ «وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهert لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس.» (أع ٢: ٢ و ٧)

هنا واضح اقتران الريح والنار معاً، ولكن الملاحظ أن هذه الريح ليست ريحاً معهودة بمعنى الهواء، ولا النار هي نار بمعنى النار المحرقة: «كما من هبوب ريح عاصف» (أع ٢: ٢)، «كأنها من نار.» (أع ٣: ٢)

هذه هي «ريح الله»، وهذه هي «نار الله»، قوية عاصفة ملتبهة ولكن عملها ليس على مستوى المادة ولا هي مصنوعة من المادة. وهنا نجد الريح الإلهية والنار الإلهية تمهد لحلول الروح القدس فهي تخدم الله وتعدّ لحلوله.

+ «نهر نار جرى، وخرج من قدامه ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه.» (١٠: ٧١د)

هنا الصلة بين نهر النار الإلهية الخارجة من قدام الله وبين ألوف وربوات الملائكة والجنود السماوي الذين يخدمون حضرته، توضح أن هناك علاقة قوية بين عمل النار الإلهية وعمل الملائكة. وهكذا نقرب جداً من فهم قول سفر العبرانيين: «الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار.» صحيح أن المعنى والعلاقة يلفها الغموض، ولكن هذا شأن عمل الروح كما أوضحه المسيح تماماً.

+ «الريح تهبُّ حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح.» (يو ٣: ٨)

إذاً، فعمل الملائكة الذي يمثّل بالريح يخدم ميلاد المؤمنين من الروح القدس.

لذلك سنسمع سفر العبرانيين يقول في الآية ١٤: «أليس جميعهم أرواحاً (رياحاً) خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص؟».

نخرج من هذا بأن الآية (٧) المشار إليها تعطي انطباعاً قوياً أن الملائكة لها صفات تقرب جداً من الريح والنار، ولكنها ليست ريح هواء، ولا نار وقود، بل ريح الله وناره. وهي بهذا وتلك تخدم أعمال الله بل وتخدم خلاص المفديين فهي أقل من الفادي والمخلص.

٨ : ١ « وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب مُلكك. »

إن كلمة الأساس في هذه الآية التي تبرق من وسط الكلام وكأنها شمس ونهاجة توظف العين المتغافلة هي « يا الله »، يسبقها « الابن » !!

هنا بعد أن قدّم الملائكة بصفتها مرسله بخفة الرياح وقوة النار، يلتفت إلى الابن ليخاطبه: « يا الله كرسيك قائم إلى الدهر » !! بمعنى أن الكل يتغيّر ويتحوّل، وأما أنت أيها الابن فعرشك عرش الله باقٍ إلى الأبد. أي ملاك يُساقى بك وأنت الله وهم خدامك، أنت الابن المتجسد استويت على العرش في بين الله وأعطيت مُلك الدهور، قصبة الملك التي بها تحكم هي برك واستقامة عدلك.

ويلزم أن نتذكر هنا دائماً أننا بصدد مزموّر نشيد في زفاف ابن الملك داود — أي سليمان — والتعظيم مزدوج كونه جالساً على عرشه يملك باستقامة، وكونه نُوج عن جدارة برّه ومُسح بمسحة الابتهاج. ولكن الأوصاف كلها رُفعت مرة واحدة من فوق هامة سليمان لتوضع بالنبوة على هامة المسيح، فعوض عرش سليمان صار عرش الله. وهنا لا يمكن أن يغيب عن بالنا مزموّر داود الذي تمسك به المسيح ليحقق به لليهود أنه هورب داود، وإن كان ابنه، هكذا: « وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن من هو؟ قالوا له ابن داود. فقال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أقدامك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟ » (مت ٢٢ : ٤١-٤٥). ففي هذا المزموّر حقائق أساسية هامة للغاية تفيدنا هنا ودائماً، أن المسيح ابن داود حقاً بالجسد وهو ابن الله ورب داود وكل الناس أجمعين، وهو معادل لله في الكرامة: « قال الرب لربي » دون أي تفريق في اللقب، ثم: « اجلس عن يميني »، فهو معادل لله كياناً ووجوداً ومُلكاً وبجداً، وأن عرش الله عرشه، وأنه سيسود في النهاية على كل أعدائه.

إذاً، ففي استشهاد سفر العبرانيين بهذا المزموّر ٤٥ تكميلٌ وتحقّقٌ لمزموّر ١١٠ الذي استشهد به المسيح لنفسه. فإن كان داود سمع من فم الله بالوحي القول: « قال الرب لربي: اجلس عن يميني » كعمل آيت، حتماً آيت، فهنا بالنبوة وبالروح يخاطبه « جالساً » كعمل أكمل، ولكن بالرؤيا ومن بعيد، وأعداؤه تحت قدميه !! يباشر مُلكه باستقامة قلبه. وفي الاثنين أين يمكن أن توضع الملائكة إلا لتسبيح الملك وخدمته؟

وليس سفر العبرانيين فقط الذي قالها صراحة وبقوة ويقين مدروس وموثق أن المسيح هو

الابن، والابن والآب واحد «فهو الله». فبولس الرسول في رسالته إلى رومية يقولها أيضاً صراحة وبقوة:

+ «ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.»  
(رو١٠:٥)

+ وأيضاً: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا، يسوع المسيح.»  
(تي٢:١٣)

+ والقديس يوحنا يبدأ بها إنجيله: «في البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله.» (يو١:١)  
+ «أجاب توما وقال (للمسيح): ربي وإلهي.» (يو٢٠:٢٨)

+ «سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا ببر إلهنا والمخلص يسوع المسيح» (٢بط١:١). (يُلاحظ في اليونانية أنه لا توجد أداة التعريف «أل» لكلمة «مخلص»، لهذا يتحتم أن تكون الترجمة: «ببر إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح»).

١:١ «أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحتك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك».

«أحببت البر وأبغضت الإثم»:

هنا يُلقني الوحي أمامنا برسالة، وما أعظمها رسالة! فهو يلهمنا أن بغضة الإثم لا تأتي من ذاتها ولا تأتي أولاً، بل تأتي محبة البر أولاً وبالأساس. ومحبة البر هي التي تعطينا، لا بغضة الإثم وحسب، بل وتحصننا ضده. وهذا في الحقيقة أساس منهج الأخلاق في المسيحية وكل الفضائل. فإن أحببت القداسة أبغضت النجاسة، وإن أحببت الصدق أبغضت الكذب، بل وإن أحببت الله أبغضت العالم، بل وإن شبت من الله صُمت عن الطعام. وهكذا فالمسيحية لا تؤمن بأن السلبيات لها وجود إلا في غياب الإيجابيات. فإن حضر النور غابت الظلمة، وإن ظهر الحق ولى الغش والخداع. لذلك فمبتدأ طريق النسك المسيحي هو محبة الله. ويقول في ذلك القديس أغسطينوس: «أعطني المحبة واصنع بي ما شئت». وهي على التوازي مع: «أعطني الحياة والقيني في البحر». فالتحصن ضد الخطية هو بالتمسك بالله.

ومن هنا يصير كريماً في أعيننا أن يكون المسيح حبيب البر، من أجل ذلك كان باراً وبيّر الكثيرين. أما بغضة الإثم فلم يُعلَن عنها بالفم، ولكن أُعلِن عنها على الصليب! وكل إنسان إذا أبغض الإثم كَثَّ عنه، أما هذا الملك الفادي الذي ملأ البر حياته فأعلن عن بغضة الإثم بأن

حله في جسده ومات، فأمات الإثم وأسس البر كحياة. فالبر والإثم معاً هما المضادة التي أنشأت معادلة الصليب التي أخرج منها المسيح نصرته القيامة وسيادة الحياة الأبدية. وهل ننسى أن رمز المسيح منذ القديم هو ملكي صادق أي ملك البر!

+ «ويخرج قضيب من جذع يسي، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب. ولذاته تكون في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإتصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفثيه، ويكون البر منطلقاً (حزام) قسنيهِ (وسطه) والأمانة منطلقاً حَقْوِيهِ.» (إش ١١ : ١-٥)

«مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج» :

«مسحك» : εχρισέν σε

هنا نأتي إلى كلمة السر، إذ من خلال الألفاظ والأفعال يبرز اسم المسيح ولقبه. فإن كان الأنبياء والملوك ورؤساء الكهنة يُمسحون بزيت المسحة على يد الأنبياء ليكونوا مسحاء الله، وإن كان زيت المسحة لا يخرج في تركيبه عن زيت الزيتون المطيب بالعقاقير والأفاويج، فإنه هنا هو زيت البهجة أو الابتهاج ελαιον αγαλλιύσεως.

+ «روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأبشّر المساكين أرسلني لأعصب مُبْكَسري القلب لأنادي للمسيبين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسّنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا، لأعزي كل النائحين، لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد ودهن فرح δλειμμα εὐφροσύνης عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح اليائسة، فيُدعون أشجار البر، غرس الرب للتمجيد.» (إش ٦١ : ١-٣)

ويلاحظ هنا أن الذي مسحه هو الرب، فهي مسحة من الغلا، ومن يد العلي، وإن كانت في مظهرها على يد المعداد.

أما متى مُسح المسيح وبأي زيت مُسح، فالمعروف في اللاهوت أنه مُسح على نهر الأردن، والذي مسحه نبي الأنبياء «الأعظم من نبي» يوحنا الصابغ السابق. وكما كان بمجرد مسح الملك أو النبي أو رئيس الكهنة يحل عليه روح الله ويُعلن ملكاً أو نبياً أو رئيس كهنه، فالرب مُسح على

يد المعمدان فحل الروح القدس جهاراً من السماء وبصوت مسموع وأعلن الآب أن: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرت» (مت ٣: ١٧). وهكذا استُعلن المسيح أنه ابن حبة الله، واستُعلنت المسحة أنها مسحة لسرور الله، وهكذا نُصّب المسيح ملكاً ونبياً ورئيس كهنة معاً، فكانت مسحة ولا كل أنواع المسحات، ومسيحاً ولا كل المسحاء، وكان نبياً ولا كل الأنبياء، وملكاً أعلى من كل ملوك الأرض!

وهكذا صحَّ فيه القول: «مسحك الله إلهك أكثر من شركائك»، فكل أنبياء العهد القديم وكل ملوكه الأتقياء ورؤساء كهنته الشرفاء هم شركاؤه حقاً؛ إذ خدموا مجيئه وأعدوا له وأعادوا قلوب الآباء على الأبناء. فكلهم خدموا وظيفتهم، وفوق وظيفتهم لم يخدموا إلا هذا المسيح العجيب، إذ بجمته مسحنا معه ملوكاً وكهنة لله أبيه. فأى نبي وأي ملك وأي رئيس كهنة وأي ملاك يدانيه؟

+ «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختمه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة.» (رؤ ١٠: ٥ و ١٠)

+ «وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١ بط ٢: ٩)

+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من السموات ورئيس ملوك الأرض، الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين. آمين.» (رؤ ١: ٦ و ٥)

هكذا تفجرت مسحة المسيح لتملأ وجه الأرض بهجة وعزاء وسروراً وتحقق رؤيا إشعياء وأكثر.



ثالثاً: آية (١٠-١٢): علو كرامة الابن باعتباره الأزلي خالق الكون ومقارنته بالفانيات:

١٠ : « وأنت يا رب (المسيح) في البدء أسست الأرض، والسماوات هي عمل يديك»،

١١ : « هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبيد»،

١٢ : « وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفتنى! »

تقديم:

في كلمة بسيطة للغاية يريد سفر العبرانيين أن يقول: إن مسيحننا هذا الذي نعبد وإن بدا في هيئة إنسان، فهو هو الابن الذي اضطلع بخلقة الكون بسمائه وأرضه، لذلك وجب علينا أن لا نغرق قط في عمل أية مقارنة بين هذا الإنسان الذي تعالى فوق السماوات وجلس على عرش العلي عن جدارة فهو الابن، وبين أي من المخلوقات طُراً، إن في السماء أو في الأرض أيًا كان:

+ « الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكل، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياضات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق. » (كو: ١٥ و١٦)

وهذا هو المسيح الذي تسجد له كل ملائكة الله، ويعبده كل لسان وأمة، وتنحني له كل ركبة ما في السماوات والأرض: « إذ أقامه (الله) من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه... » (أف: ١: ٢٠-٢٢). وهذا كله ليس ترقية له مما هو الدون إلى الأعلى حاشاً، لأنه: « الذي نزل (أولاً) هو الذي صعد أيضاً. » (أف: ٤: ١٠)

+ « إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلساً أن يكون معادلاً لله، لكنه أخل نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب! لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة مثنى في السماء ومثنى على الأرض ومثنى تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب. » (في: ٢: ٦-١١)

وسفر العبرانيين جمع هذه الآيات الثلاث (١٠ و١١ و١٢) من مزمو ١٠٢: ٢٥-٢٧ التي جاءت هكذا:

+ «من يقدّم أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك .  
هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيّرهن فتتغيّر،  
وأنت هو، وسنوك لن تنتهي!»

هذا المزمور ١٠٢ الذي اختاره سفر العبرانيين لينتخب منه هذه الآيات ١٠ و١١ و١٢ عنوانه:  
«صلاة لمسكين إذا أعياء وسكب شكواه لدى الله» وهو في الحقيقة يطرح أنيه نحو الله، وهو كواحد  
من المسيحيين، ليرث الله ويعود وينجي صهيون جبل قدسه ... ثم ينتقل من انسحاق حاله وذئ  
سؤاله وزوال ماله إلى مديح الرب وتمجيد جلاله ودوام بقائه. وهذا يُحسب أنه أدب صلاة. ولكن  
في صلاته وهو يدعو الرب لكي يتحنن ويأتي ليعبد مجده في صهيون جبل قدسه، أعطى للرسول  
القديسين مدخلاً ليروا في المسيح — لما أتى بالفعل وأعلن مجده ورفع شأن شعبه — أنه هو هو الرب  
الذي دعاه صاحب المزمور وغيره من الذين ترجّوا في القديم وجه الرب «يهوه» ليأتي ويصنع مثل  
هذا الخلاص. وإليك الأمثلة:

+ «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً  
ومسيحاً (مسياً).» (أع ٢: ٣٦)  
بمعنى أن كل ما وعد به الأنبياء في كافة الأسفار أن «يهوه» الرب سوف يأتي ويخلص شعبه،  
قد تمّ في يسوع الذي صلبتموه إذ «جعله» أي استعلنه أنه هو هو الرب وهو المسيا. كذلك فإن كل  
ما جاء على لسان «يهوه الرب» أنه سيخلص وسيغدي إسرائيل، وأنه سيتمجد في الأمم، أو أن  
الشعوب ستخضع ليهوه، فلما أكمل هذا كله يسوع المسيح أدرك التلاميذ والرسول جميعاً أن يسوع  
المسيح هو هو «يهوه الرب» بكل يقين وتأكيد.

+ «فلما سمعوا (الرسول) رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا: أيها السيد أنت هو الإله  
صانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها القائل بضم داود فتناك لماذا ارتجت الأمم  
وتفكر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً "على الرب وعلى  
مسيحه"، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتناك "القدوس يسوع" الذي مسحته، هيرودس  
وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل ...» (أع ٤: ٢٤-٢٧)

واضح هنا أن الرسول لما طبّقوا ما فعل هيرودس وبيلاطس ورؤساء الكهنة بالمسيح وصلبوه على  
ما سبق وقاله الله أنه سيحدث ويتم في الرب ومسيحه، أدركوا أن يسوع هو المسيح وهو الرب بكل  
يقين.

والآن نرى في هذا المزمور ١٠٢ أنه صلاة بالروح بانسحاق قلب لنبي في السبي يطلب من الرب أن يعود ويرحم صهيون أو بالحرف الواحد: «أنت تقوم وترحم صهيون لأنه وقت الرأفة لأنه جاء الميعاد» (مز ١٠٢: ١٣). ويرى هذا الرائي المتنبئ والمصلي أن الرب إذا فعل هذا وقام ويرحم صهيون، فإن كل الأمم سيخشون اسمه وكل ملوك الأرض يخشون مجده: «فتخشى الأمم اسم الرب وكل ملوك الأرض مجدك.» (مز ١٠٢: ١٥)

ثم عاد في صلاته يخاطب الرب نفسه بالآيات ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ باعتباره أنه خالق الكون، وأن الكون يتغير أما هو فبإقي يدوم إلى الأبد.

فما كان من سفر العبرانيين إلا أنه لما طُبِّق هذه الصلاة على واقع يسوع المسيح باعتباره أنه هو الذي تحنن ونجى صهيون وخضعت له الأمم والشعوب، ومجده ملوك الأرض، ثم وجد أنه تم التطابق بالحرف الواحد، أضاف بالتالي وبالضرورة الحتمية بقية الصلاة عن صفات الرب، وذلك لحساب المسيح أي الابن أنه الخالق والدائم إلى الأبد.

الشرح:

١٠:١ «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمَلٌ يَدَيْكَ».

«و»: kai

هنا الواو كحرف عطف تربط الآتي بالسالف ربطاً وثيقاً مع أن الكاتب يدخل في موضوع جديد للابن، لأن ما فات كان بحسب الابن بعد تجسده، أما هنا فيرتفع مرة واحدة ليرى الابن قبل تجسده خالقاً مبدعاً الكون بسمائه وأرضه. وكأنما يأخذنا إلى بداية سفر التكوين: «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك ١: ١). ولكن هنا باعتبار الابن هو الفعل الذي أكمل فكر الله الأب.

«أنت يا رب»: sù kùrie

هنا يتحتم علينا أن نفسر هذه المقولة لأنه يوجد سؤال ملح:

مَنْ الذي يتكلم؟

يقول العالم وستكوت<sup>(٤١)</sup>: إن الروح هنا يتكلم على فم مؤلف المزمور (نبي من السبي)، وفي

الحقيقة الأكثر قدماً وعمقاً أن لا «واو» الإضافة ولا كلمة «الرب» كانت واردة في الأصل العبري بحسب أدب اللاهوت العبري القديم أنه لا ينبغي أن يذكر اسم الله (٤٢). ولكن المترجمين السبعين أشفقوا على اليهود المتغربين الذين جهلوا هذه الأصول اللاهوتية القديمة، ولم يعودوا يقرأون العبرية وصارت اليونانية لغتهم، لذلك أضافوا كلمة «الرب» للإفادة عن المخاطب في ذهن النبي بالروح. أما الواو فهي إضافة من كاتب سفر العبرانيين.

«في البدء»: κατ' ἀρχάς

وفي اللاتيني الفولجاتا = in principio ، وفي اللاتيني القديم = O.L. initiis .

«أسست الأرض والسموات هي عمل يديك»:

يلاحظ هنا أن «في البدء» تحاكي بداية سفر التكوين، كما تتطابق بداية إنجيل يوحنا. ففي «البدء» في سفر التكوين واضح أن الله هو خالق السموات والأرض، وفي «البدء» في إنجيل يوحنا واضح أيضاً أن خالق «كل شيء» السموات والأرض وكل ما فيها هو الكلمة «الله» الابن.

هذا التقابل اللاهوتي البديع لم يفت عن فكر سفر العبرانيين، فهنا ينسب إلى الابن خلق السموات والأرض. هذا كله ليوضح طبعاً ارتفاع شأن الابن فوق الملائكة وكل مخلوق حي! لأن في قوله: «والسموات هي عمل يديك»، ينخرط تحتها بالضرورة كل الملائكة ورؤسائها. ولكن لا ينبغي أن ننسى أنه أوضح في الآية الثانية عمل الله والابن معاً في الحلقة العامة لكل العالمين هكذا: «في ابنه ... الذي به عمل العالمين». هنا حلقة العالم موضحة كإرادة وفعل، كمشيئة وعمل، كفكر وتنفيذ، الآب والابن. فالآب بالابن خلق العالم، والابن خلق العالم بتدبير الآب حسب ما عبّر عنه المسيح تماماً: «كما أوصاني الآب هكذا أفعل» (يو ١٤: ٣١)، «ولست أفعل شيئاً من نفسي» (يو ٧: ٢٨)، ثم: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أفعل» (يو ٥: ١٧)، وأخيراً: «أنا والآب واحد.» (يو ١٠: ٣٠)

لذلك لا يستغرب القارىء أن كل ما قيل في العهد القديم عن أن الله عمله، يأتي العهد الجديد وينسبه إلى الابن، وليس ذلك فقط بل كل أوصاف وألقاب «يهوه» في القديم بل واسمه

الشخصي «أنا هو» تُنسب في العهد الجديد للابن بلا حرج. وهذا ما حدا ببولس الرسول، ذلك الفريسي المتمرس في أسفار العهد القديم وأسراره، أن يقول بكل اختصار وكل قوة الاستعلان أن: «الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦). وما معنى هذا إلا أن كل ما عمل الله ووعد الله أن يعمله في القديم صار يُنسب للابن المتجسد بكل ارتياح وتأكيد.

ثم ينتقل هذا السفر البديع نقلة جدّ مشيرة لذكائها الذي يُبهر الدارس. إذ كأنه يقول لك: وما رأيك في هذه السموات والأرض بأسسها الثابتة القوية التي تبدّل عليها وتغيّر مئات الأجيال وألوفها وهي قائمة كما هي؟

انظر هذه كلها، فالتغيير يعتربها والزوال مآلها حتماً، أما الابن خالقها فيبقى!!

١١ : ١ «هي تبيدُ ولكن أنت تبقى وكلّها كتوب تَبلى».

هنا يعثّب على الأرض والسماء ولكن السماء بالأكثر، فيقول هذه التي تراها وكأنها ثابتة ثبوت الدهر، هي في حقيقتها تحوّل كما يحوّل الدهر، فتلتفت ولا تعدها:

+ «ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد.» (رؤ ٢١: ١)

+ «لأنه كما أن السموات الجديدة والأرض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم (الجديد) واسمكم (الجديد).» (إش ٦٦: ٢٢)

«تبيد»: ἀπολοῦνται من أصل كلمة يحلّ أو يفك.

أنت في الترجمة الإنجليزية بمعنى تهلك perish، ولكن من المقابل الذي جاء لها وهو وأنت «تبقى» يفهم منها معنى الانحلال أو عدم الديمومة بشكلها الحاضر. فالذي يببّد منها هو مظهرها المادي الذي يعطيها طبيعة الفناء أو الزوال أو عدم الديمومة.

ومن الآيات أعلاه (رؤ ٢١: ١، إش ٦٦: ٢٢) يفهم أن الأرض ستتغيّر إلى أرض جديدة، والسماء ستتغيّر إلى سماء جديدة. وهذا يعني في المفهوم الروحي الفائق للطبيعة في المحيط التصوفي الرؤيوي أنه سيحدث لها تحبّل Transfiguration<sup>(٤٣)</sup> («تغيّرت هيئته» — مت ١٧: ٢)، فلا يُرى منها إلا جوهرها الحقيقي أي الحق والحب والبر، وتذهب اللعنة منها، ويذهب منها الموت أيضاً.

اسمع إشعياء النبي وهو يصف هذا التغير العجيب :

+ « ويسمي عبده اسماً آخر، فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نُسيت ولأنها استترت عن عيني، لأنني هأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأنني هأنذا خالق أورشليم بهجةً وشعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. » (إش ٦٥ : ١٥-١٩)

هذه المعاني المشوّقة للأرض الجديدة والسماء الجديدة لم تبقى مغلقة عليها في عالم الخيال، بل حدثت في حياة القديسين أن رأوا بالروح وعاشوا وعاشوا الطوباويين في أرض الطوباويين، وتمتعوا بنسمات هذه الحياة في هذه الأرض التي يسكن فيها البر. وقد أتحفنا كتاب بستان الرهبان بقصة مقارة الكاتب وهو قديس رؤيوي عاش حقبة زمنية لا يُدرك مداها مع هؤلاء الطوباويين وعمل معهم في «الحديقة الكونية» التي بعد أن خرج منها لم يعثر لها على مدقّ يصل إليها، بعد أن عرف الطريق الذي انتهى به إلى الأسقفية.

وهذه التطلعات التي هي أشهى عند القديسين من شهد العمل ليست خيالات رهبان متصوفين، بل هي حقائق عاشها بطرس الرسول وتطلّع إليها بأشواق ماثلة :

+ « فبما أن هذه كلها تنحل *λυομένων* ، أيّ أنا ليس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى منتظرين، وطالبن، سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السموات ملتبهةً والعناصر محترقةً تذوب (صحتها بحسب النص اليوناني هكذا: السموات تشتعل وتنحل *οὐρανοὶ πυρρῶμενοι λυθήσονται* والمناصر تحترق وتذوب *καὶ στοιχεῖα καυσούμενα τήκεται*) ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدةً وأرضاً جديدةً يسكن فيها البر. » (بط ٢ : ١١-١٣)

وهذا الوصف العلمي الذري المبدع للقديس بطرس الذي عالج به كيفية زوال مظهر الكون بالانفجار الذري، ربما بعمل إنسان أو بإرادة خالقه، هذا الوصف العلمي يراه الرؤيويون الصوفيون ذوا الجلاء البصري والافتتاح بالوعي الروحي أنه تجلّ *Transfiguration*، حيث تتلاشى منه الأقنعة الظاهرية التي صُنعت من المادة التي ستذوب وتنحل، لكي يبقى جوهره المنظور بالعين الروحية حيث جماله سيكون أضغافاً مضاعفة.

ولكن نعتقد أن القديس بطرس استعار تعليه العلمي لانحلال الكون من نبوة إشعياء النبي :  
 + « ارفعوا إلى السموات عيونكم وانظروا إلى الأرض من تحت . فإن السموات كالدخان  
 تضمحل والأرض كالثوب تبلى وسكانها كالبعوض يموتون . أما خلاصي فأبدي يكون  
 وبرِّي لا يُنقض . » (إش ٥١ : ٦)

هنا يوضح إشعياء النبي بأية صورة ستضمحل السموات ، مشبهاً ذلك بالدخان الذي هو  
 الحصيصة الأخيرة للحريق .

ولكن الذي يسترعي نظرنا في هذه النبوة هو نهاية الأرض التي تضمحل كما يضمحل الثوب  
 من القدم ، هنا التغير يتضح فيه اضمحلال الشكل والمظهر .

ثم يعود إشعياء ليصف كيفية قيام السماء الجديدة والأرض الجديدة كما يفرس الإنسان بذرة ،  
 ثم يراها وإذا هي تنمو كغرس جديد . تماماً كما يصف بولس الرسول الجسد الجديد للإنسان :  
 + « الذي تزرعه لا يحيا إن لم يموت ، والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة  
 مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي ، ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد . » (١ كو ١٥ :  
 ٣٦-٣٨)

يقول إشعياء النبي - الله يخاطب المسيا :  
 + « قد جعلت أقوالي في فمك وبظلم يدي سترتك ، لغرس السموات وتأسيس الأرض ... »  
 (إش ٥١ : ١٦)

وأخيراً يعطي سفر الرؤيا المنظر الأخير للسماء الجديدة والأرض الجديدة والرب جالس على  
 عرشه ، ولا سماء أحزان ولا أرض شقاء بعد :  
 + « ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم  
 يوجد لهما موضع . » (رؤ ٢٠ : ١١)

«ولكن أنت تبقى» : διαμένεις

هذا التعبير الأخروي عن دوام الرب ، المسيح المتجسد ، هو مأخوذ أولاً من روح العهد القديم  
 بأجمعه ثم صار أساس التقليد اليهودي عن المسيح : « قال هذا مشيراً إلى أية ميثية كان مُزمعاً أن  
 يموت . فأجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى μένει إلى الأبد فكيف تقول  
 أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان . مَنْ هو هذا ابن الإنسان ؟ » (يو ١٢ : ٣٣ و٣٤) . ومعنى

«البقاء» هنا يأتي في المصطلح اللاهوتي عند القديس يوحنا بمعنى الثبوت الدائم، كما يقول بطرس الرسول: «وأما كلمة الرب فثبتت *μένει* إلى الأبد» (١ بط ١: ٢٥). ويطرس الرسول استعارها من إشعياء النبي: «كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه، حقاً الشعب عشب. يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فثبتت إلى الأبد *μένει* *εις* *τὸν αἰῶνα*». (إش ٤٠: ٦-٨)

أما المزمور فهو يرى في الرب غير ما يرى في كل خلأته بما فيها السموات وقرن فيها. فهذه كلها تتغير وتتحوّل، والأرض تفسى وتزول، أما الرب فهو في عُزفه «يبقى»، بمعنى أن ثبوته مُحَقَّقٌ إزاء كل تغيير وزوال!

أما سفر العبرانيين في اقتباسه هذا البقاء بالنسبة للرب فسوف يعبر عنه بعد ذلك أنه «بقاء عمل»، كرئيس كهنة إلى الأبد. حيث عمله الذي أمته في عمق الزمن هو الكفارة عن كل بني الإيمان وحيث عمله الدائم هو الشفاعة حتى التمام:

+ «فمن أجل أنه يبقى *τὸ μένειν αὐτὸν* إلى الأبد، له كهنوت لا يزول، فمن ثمّ يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.» (عب ٧: ٢٤ و ٢٥)

«وكلها كثوب تبلى»:

«تبلى» أي «تقدم وتتهرأ» *παλαιωθήσονται*. هنا تشبيهه، جزؤه الأول غائب وهو يصف الرب: «اللابس النور كالثوب» (مز ١٠٤: ٢). وفي المقابل، فالخلقية وخاصة الأرضية وإن ظهرت لابسة أثواباً من الجمال والإبداع المخلوق، فهي تخلع سريعاً جامها وتطرحه أرضاً في التراب، وحتى قبل أن تخلعه يشيخ عليها ويفقد كل حسنه وجماله. فإن قال الرب واصفاً زنابق الحقل: «ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها» (مت ٢٩: ٦)، ولكن يرد عليه المزمور: «بالغداة كمشب يزول، بالغداة يزهر فيزول» (مز ٩٠: ٥ و ٦)، فتطرح الزنابق والعشب كلاهما غداً في التنور (مت ٦: ٣٠).

بل والأرض بكل مثلها يقول المزمور عنها: «المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الأبد إلى الدهر والأبد. كَسَتُوتها الغمر كثوب» (مز ١٠٤: ٥ و ٦). ولكن كم من نهر جفّ، وكم من مياه انحسرت فجفت الأرض وتعرّت. بل والأرض نفسها تبلى: «والأرض كالثوب تبلى.» (إش ٥١: ٦)



وأيوب يصف حاله بعد أن مسته يد القدير بالتجربة فصرخ: «وأنا كمتسوس يبلى، كثوب أكله العُث.» (أي ١٣: ٢٨).

وهكذا نرى وصف الخليقة بكل صنوفها في الأدب القديم كالثوب الذي يبلى.

وقد استخدم سفر العبرانيين هذا المعنى أي «البلى» من «القديم» و «العتيق» أو «الشيخوخة» في مواضع أخرى منها:

+ «فإذ قال جديداً (عهداً جديداً) «عَتَّق» الأول πεπαλαιωκεν وأما ما عتق παλαιούμενον وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.» (عب ٨: ١٣)

وقد استخدم الرب في إنجيل القديس لوقا هذا المعنى في وصف عدم البلى أو عدم الفناء للكنز الذي يحفظه الإنسان بدموعه وصومه وصلاته ومحبه وخيرته وبذله في السماء هكذا: «يبعوا ما لكم وأعطوا صدقة، اعملوا لكم أكياساً لا تفنى μη παλαιούμενα وكنزاً لا ينفد في السموات...» (لو ١٢: ٣٣)

ولعل أعنف وصف عن بلاء الناس وفنائهم جاء بضم المسيا في نبوة إشعياء وهو يحتاج مع مقاوميه في مستقبل الأيام بقوله: «هوذا السيد الرب يعينني. من هو الذي يحكم عليّ؟ هوذا كلهم كالثوب يبيلون يأكلهم العث» (إش ٥٠: ٩). انظر الآن، عزيزي القارىء، وتفكر أين هيرودس؟ أين بيلاطس؟ أين شيوخ إسرائيل ورؤساء الكهنة الصارخون اصلبه اصلبه وأطلق لنا باراباس؟ كيف طوت السنون ذكرى هؤلاء وأبلى التراب لحمهم وفخرهم وصار اسمهم خزياً للعالمين؟ ثم انظر الآن أيضاً وتفكر في الجالس عن يمين العظمة في السموات يهب العطايا ويضع عن الخطايا ويشفع في المذنبين!

١٢: ١ «وكرداء تطوبها فتتغير ولكن أنت أنت وِسْبُوكَ لَنْ تَقْتَى.»

«كرداء تطوبها»: ὡσεὶ περιβόλαιον ἐλίξεις

هنا المزمور في الأصل يستهين بثبات السماء وثبات الأرض في أعيننا وإحساننا، ويعطيها مثلاً يوضح مدى الاستخفاف بهذا الثبات الراسخ في أعيننا فيصوّرها كراء وهو ما يُلبس من الخارج ويكون ذا مظهر جذّاب لامع كلباس الملوك، ثم تقع تحت يد الزمن واليد العليا التي تنهي مصيرها الشكلي الكاذب فيطوبها الله كما يطوي الإنسان الرداء إذا بلى وتهرأ ليلقيه في الإهمال والنسيان.

وتصوير طبيّ السماء وتغيّرها يصفه إشعيا بوضوح هكذا: «ويبنى كل جند السموات وتلتف السموات كدُجج  $\epsilon\lambda\iota\gamma\eta\sigma\epsilon\tau\alpha\iota\ \delta\ \sigma\upsilon\beta\alpha\upsilon\tau\omicron\varsigma\ \omega\varsigma\ \beta\iota\beta\lambda\iota\omicron\nu$ » (إش ٣٤: ٤). (والدرج في القديم هو الكتاب من ورقة واحدة يطوى على هيئة ملف).

وهنا الطي قد يكون بمعنى الزعزعة أيضاً أي الفناء الأخير، ولكن يفيد هنا التغيير من قدم الزمن. والجيولوجيون يخبروننا أخباراً عجيبة عن شكل الأرض قديماً كيف كانت الهند ملتصقة تماماً بساحل أفريقيا الشرقي، والأمريكتان كانتا ملاصقتين لأوروبا وأفريقيا من غرب، ووسط المحيط الأطلسي كانت هناك قارة عظمى تسمى «أطلنتا»، التهمها المحيط إثر زلزال مرعب أخفاها في باطن المحيط، كذلك مجرات السموات منها ما زال واضحاً منذ آلاف السنين ولا تزال أنوار نجومه تصل إلينا مع أنها احترقت وتركت مكانها، بل ويقولون إنه لا يزال إلى الآن جزر جديدة تظهر من باطن المحيطات ثم يخضر وجهها بالمرزوعات بعد أن كانت في عالم اللاموجود. وهكذا صحّ قول المزمور وقول إشعيا النبي إن العالم كثوب جميل يطويه الرب  $\epsilon\lambda\iota\epsilon\theta\epsilon\iota\varsigma$  فيطوى وكل ما فيه يتغيّر.

وواضح أن فكر سفر العبرانيين هنا يرتبط بمعنى التغيير في مقابل عدم التغيير بالنسبة للرب.

«ولكن أنت وسنوك لن تفتنى»:

كلمة «ولكن» مضافة في الترجمة العربية إذ ليس لها وجود في الأصل اليوناني.

«أنت أنت»:  $\sigma\upsilon\ \delta\ \alpha\upsilon\tau\omicron\varsigma$

يُلاحَظ أن «أنت» غير مكررة في الأصل — وترجمتها الحرفية جميلة جداً وذات قوة ومعنى لاهوتي إذ تُترجم: «وأنت هو» التي هي بدورها مردودة إلى أصلها «أنا هو  $\epsilon\gamma\omega\ \epsilon\iota\mu\iota$ »، وهذا هو اسم يهوه الله في القديم الذي تفسيره «أنا الكائن بذاتي»<sup>(٤٤)</sup>. وهكذا تصبح «أنت أنت» معناها أنت يهوه أنت الله الكائن بذاته. حيث الكينونة الذاتية تعني أنه يستمد وجوده من ذاته لا من زمن ولا من قوة خارجه، وبالتالي وبالضرورة فهو يستحيل أن يتغيّر أو يؤثر فيه الزمن أو أية قوة خارجه عنه. هنا إبداع حقاً. وفي هذا يقول إشعيا:

+ «مَنْ فَعَلَ وَصَنَعَ دَاعِيّاً الْأَجْيَالِ مِنَ الْبَدءِ أَنَا الرَّبُّ الْأَوَّلُ وَمَعَ الْآخِرِينَ أَنَا هُو.»

(إش ٤١: ٤)

+ «أنتم شهودي يقول الرب وعبدي (المسيا) الذي اخترته، لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا  
 أنني أنا هو.» (إش ٤٣: ١٠)  
 + «اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوتُهُ، أنا هو، أنا الأول وأنا الآخرُ ويدي  
 أسست الأرض ويميني نشرت السموات.» (إش ٤٨: ١٢ و١٣)

هذا الثبات الذي يقصده الوحي من جهة الابن ظهر لنا في العهد الجديد بوضوح في المسيح  
 الذي عبّر عنه هونفسه: «أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به» (يو ٨: ٢٥)، بمعنى أن كلمتي لا  
 تتغيّر. ثم: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين» (مت ٢٨: ٢٠)، «السماء والأرض  
 تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥). وهو أيضاً ما عبّر عنه سفر العبرانيين: «يسوع  
 المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.» (عب ١٣: ٨)

ونحن في الحقيقة لا نريد أن نفوت علينا هذه الفرصة لنعبّر عن هذا الثبات العجيب والديمومة  
 السعيدة التي لابن الله ليس في ذاته فحسب بل ومعنا. فإن كان المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى  
 الأبد، وأنه أيضاً وبحسب وعده معنا كل الأيام إلى انقضاء الدهر، فأبي مكسب تكسبه من هذا  
 الثبات وهذه الديمومة؟ أليس أن طبيعة الابن الكائنة بذاتها تكون قد نصحت علينا من ثباتها؟  
 فلماذا نتزعزع في وجه الصعاب ونرتعب من عنف العواصف الهوجاء التي يثيرها علينا العالم  
 ورئيس هذا العالم مع أن يد المسيح ممسكة بنا؟ ثم أليس هو القائل لا يستطيع أحد أن يخطفكم  
 من يدي (يو ١٠: ٢٨)؟ أمّا كيف ندخل مجال هذه الإلهية الفائقة القوة والوصف، فهو اعتبار  
 واحد نظرته أمامك، أيها القارئ العزيز، وهو أن نلقي بكل أنفسنا مرة واحدة بكل إيماننا وكل  
 ثقنتنا وكل عزميتنا على هذه الذراع الممدودة واليد القادرة أن تلتقط من فوق هوة هذا العالم. هذا لو  
 صحَّ إيماننا وطرحنا أنفسنا عليه دون شك أو ارتياب أو حساب للمخاطر!

رابعا: الآيات (١٣ و ١٤): تفوق الابن وعلو كرامته بجلوسه على العرش  
(عن يمين الآب) في جلال الملوكية، تعبيراً عن النصر:

١٣ : «ثم لَمَنْ من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك».

١٤ : «أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص!».

تقديم:

هنا يقتبس سفر العبرانيين من المزمور الشهير ١١٠ الذي صار معتمداً لدى كافة الأسفار في العهد الجديد، كونه أخذ كقضية مسلّمة من فم الرب نفسه، بكل ما فيه من النبوات المسيانية التي تحققت: ميلاده، كهنوته، جلوسه عن يمين الله:

+ «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك. يُرسل الرب قضيب (قصبه الملك) عزك من صهيون، تسلط في وسط أعدائك. شعبك مُتثدّب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طلُّ حداثتك (وصحتها بحسب الترجمة السبعينية: من الرحم قبل الصبح ولدتك: εκ γαστρος πρό εωσφόρου ἐγέννησά σε). أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك يحظّم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم ...» (مز ١١٠ : ١-٦)

هنا ولو أن سفر العبرانيين استشهد فقط في هذا الموضع، أي في الآية ١٣، التي تخص جلوس المسيح عن يمين الآب بالمقابل لها في المزمور ١١٠ : ١، إلا أن بقية المزمور تملأ كل فكر سفر العبرانيين. وسوف نرى أن وظيفة المسيح كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق هي بمثابة العمود الفقري الذي يقوم عليه جسم الرسالة بأكملها.

لذلك اكتفى السفر بالآية الأولى فقط من المزمور ١١٠، للتدليل على سمو الابن فوق الملائكة. إذ بينما الابن يجلس على عرش الله في يمينه، يكون الملائكة يخدمون مقاصد الله عامة ويخدمون الذين تعيّنوا لميراث الخلاص.

١٣:١ «ثم لَمَنْ من الملائكة قَالَ قَطُّ: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك قوطناً  
لقدَمَيْكَ».

«قال ... اجلس»: εἶρηκεν κάθου

لقد سبق أن سجّل السفر في الآية ١: ٥:

«لَمَنْ من الملائكة قال قط أنت ابني تίνι εἶπέν ποτε

وهنا «لَمَنْ من الملائكة قال قط اجلس πρὸς τίνα εἶρηκεν ποτε».

الفعل «قال» واحد في الآيتين ولكن في الآية (٥:١) جاء في الماضي «البيسط» أي المنتهي εἶπεν = قال. ولكن في الآية التي نحن بصدها (١٣:١) جاء الفعل في الماضي «التام» أي غير المنتهي: «قد قال» بما يفيد الاستمرارية، فهو قول لا يزال يشري، لأن جلوس المسيح هو فعل ما زال يسري، وهكذا سيأتي الفعل «جلس» في الآية (٢:١٢) أيضاً في الماضي غير المنتهي:

κεκῶθικεν

واستخدام الأفعال في الماضي غير المنتهي هو إحدى مميزات سفر العبرانيين<sup>(٤٥)</sup> للتأكيد على أعمال الابن الدائمة سواء «جلس» (٢:١٢)، أو «ورث اسماً» (٤:١)، أو «تألم مجرباً» (١٨:٢)، أو «مُجرب في كل شيء (تجرب)» (١٥:٤)، أو «ابناً مكشلاً (قد تكمل)» إلى الأبد. (٢٨:٧)

ويلزم أن نلاحظ أن هذا المزمور ١١٠ كان أكثر النبوات التي اعتمد عليها كُتّاب أسفار العهد الجديد: أعمال ٢: ٣٤-٣٥، ٧: ٥٦-٥٥؛ ورومية ٨: ٣٤؛ وأفسس ١: ٢٠-٢٢؛ وكولوسي ٣: ١؛ وبطرس الأولى ٣: ٢٢؛ وسفر العبرانيين ١: ٣ و١٣، ٨: ١، ١٠: ١٢ و١٣، ١٢: ٢. بل وأدخلته الكنيسة في صميم قانون الإيمان: «وجلس عن يمين أبيه»، وركّز عليها المسيح بنفسه كبرهان على أنه «رب»، وأنه جلس بالفعل عن يمين الله وبالتالي أنه والآب واحد!

والحوار جاء في الثلاثة الأناجيل، وهذا يؤكد الصورة القوية التي انطبعت في أذهان الإنجيليين الثلاثة عن مدى أهمية هذا المزمور لاهوتياً:

إنجيل القديس متى: ٢٢: ٤١-٤٥.

إنجيل القديس مرقس: ١٢: ٣٥-٣٧.

إنجيل القديس لوقا: ٢٠: ٤١-٤٤.

ولكن يمتاز إنجيل القديس متى بأن المسيح حصر المعنى حصراً في أنه ابن الله، بما لا يمكن أن يتطرق إليه التأويل، حتى من أول لحظة في تقديمه هذه النبوة إذ يقول الرب: «سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟». فلما حاولوا أن يراوغوا ويؤوّلوا قالوا: «ابن داود»، فاعترض عليهم المسيح، وبهذا الاعتراض يكون قد حصر المعنى حتماً في كونه أنه «ابن الله»، وأنه «هورب»، إذ يكثّل ويقول: «قال لهم وكيف يدعوه داود بالروح رباً؟؟ قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟». ثم إذا عدنا تَوّاً إلى مبدأ الكلام حيث يسأل المسيح: «ابن من هو؟»، نجد المسيح يلحُّ في رفع قلوبهم إلى أن يحصروا المعنى في كونه «ابن الله»، ثم في بقية الآية حتماً وبالضرورة: «اجلس عن يميني»، وهنا يحق لنا أن نرفع قيمة هذه النبوة المسيّانية إلى أعلى مستوى من التقدير والإعجاب.

ثم يضيف لنا المسيح امتداداً لمعنى وغاية جلوسه عن يمين الله متممناً نبوة دانيال النبي: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان (عن يمين الله)، أتى وجاء إلى قديم الأيام، فقرّبوه قدامه، فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً...» (٧١د: ١٣ و١٤)

وقالها الرب لرؤساء الكهنة لما طالبوه بأن يُعلن لهم عن نفسه جهاراً فقال ملتمحاً لنبوة دانيال: + «وأيضاً أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحب السماء.» (مت ٢٦: ٦٤)

بهذا القول يكون المسيح قد ربط بين جلوسه عن يمين الله وبين مجيئه الثاني المهرّب والممجّد.

وعلى العموم فإن هذا الإعلان من أقوى وأخطر الإعلانات التي أعلنها المسيح عن نفسه وعن مجيئه الثاني، والذي لما سمعه رئيس الكهنة مزق ثوبه (مر ١٤: ٦٢-٦٤).

أما تحقيق هذا الوعد الذي وعده المسيح (من الآن ترون...)، فقد تمّ على يد إستفانوس أول شهيد للمسيح حيث رأى السماء مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله (أع ٧: ٥٦).

وعليّنا أن ندرك أن موضوع كهنوت المسيّا الأبدى وجلوسه كملك على كرسيه، وسلطانه وملكوته الذي لا ينقضي، كان مسرة الأنبياء. فكما كانت رؤية داود المتكررة، هكذا كانت رؤية إشعياء (إش ٩: ٦ و٧) ودانيال، كذلك كانت لذكريا النبي بوضوح وإجماع مضيفاً عليها بناء هيكله السري العجيب: «هكذا قال رب الجنود قائلاً: هوذا الرجل الغصن اسمه، ومن مكانه

ينسب ويبنى هيكل الرب، فهو يبنى هيكل الرب وهو يعمل الجلال ويجلس ويتسلط على كرسية، ويكون كاهناً على كرسية...» (زك ٦: ١٢ و١٣)

وما أعجب قول القديس بطرس وهو يحصر لنا مدة جلوس المسيح عن يمين القوة في السموات ويحدد ميعاد مجيئه هكذا: «فتوبوا وارجعوا لتُحمى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشّر به لكم من قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمته ردّ كل شيء التي تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه.» (أع ٣: ١٩-٢١)

فانظر، أخي الحبيب: لقد حصر بطرس الرسول أزمته بقاء يسوع المسيح جالساً عن يمين الله إلى زمان اكتمال توبة الإنسان وخلصه، وحيث «ردّ كل شيء» هنا تحمل سر عودة إسرائيل أيضاً. فطوبى لمن أكمل توبته وتهياً ليرى وجه الرب بفرح وبشرى. آمين تعال أيها الرب يسوع.

«حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»:

الرب ليس له أعداء، فالعداوة ليست من طرفه وليس لها فيه من سبب: «أبغضوني بلا سبب» (يو ١٥: ٢٥). فالذي قال: «أحبوا أعداءكم» (مت ٥: ٤٤)، قالها بعد أن أعدّ نفسه ذبيحة لكل إنسان على وجه الأرض. وعلى الصليب قتل العداوة!! «بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف ٢: ١٦)، وبالصليب صالح المسيح العالم لله: «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو ١: ٢٠). والشيطان أبو كل عداوة وصانعها، فقد قوته لما ذبح الابن على الصليب، وغفر للذين صلبوه (لو ٢٣: ٣٤)، حتى لا تبقى عداوة منتسبة لصليبه.

والذي يشك في قولنا هذا أن لا أعداء للمسيح قط، فليقرأ ما يقوله المسيح: «أنا لست أدين أحداً» (يو ٨: ١٥). فكيف أن الذي لا يدين أحداً وهو ديان الأحياء والأموات يكون له عدو؟ والذي قال: «لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم» (يو ١٢: ٤٧) كيف يكون له في العالم أعداء؟

يهوداً مُسلمه، والمسيح عالم بما جاء به وما رتب له وما قبض، حينما أتاه في جثسيماني محتفياً وراء قبلة باردة قال له: «يا صاحب (يا صديقي) لماذا جئت؟» (مت ٢٦: ٥٠)

والمعروف في لاهوت الصليب أن المسيح ذبح من أجل أحبائه، وأحباؤه هم كل خطاة الأرض: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٣)، وبصليبه ملأ ملكوت الله أصنافاً من أعتى عتاة الأرض، لصوصاً وقتلة وتمرسين بكل صنوف

قبائح الإنسان. وكهربون، أدخل معه إلى الفردوس، يوم دَخَلَ، لصاً قاتلاً! إذأ، فمن هم أعداء المسيح؟ يقول بولس الرسول إن: «آخر عدو يبطل هو الموت» (١ كور ١٥: ٢٦). هذا أخطرهم. فلقد أربب قلوب عديمي الإيمان في كل عصور الإنسان. أما أول عدو للمسيح الذي يناصبه العداء بلا هوادة، فهو «عدم الإيمان»، وهو يهين اسم الله كل يوم ويعيّر الناس بمسيحهم ويسخر من العلي ومن الجالس عن يمينه. ومن بعد عدم الإيمان يأتي «الكذب» الذي يصوّر للناس عبادات كاذبة يطوّح بها بعيداً عن الحق، فيهان الله في أقدم ما هو له ويقف الباطل يناصب الحق العداء علانية وبلا هوادة. وبعد الكذب تأتي «الغيرة الكاذبة» على الله وعلى مقدساته، فيقتل الناس بعضهم بعضاً باسم الله ومن أجل الله بلا رحمة، وتصوّر لهم أن هذا القتل هو أحلّ الحلال، فيتمادون ويزدادون غيرة، ويا ويل من يهون من غيرتهم.

وبعد الغيرة الكاذبة يأتي «الانحلال الخلقي» وأخته «الإباحية» فيحصد المرتدين عن الغيرة الكاذبة ليصنع منهم دين العصر الجديد حيث يعبدون الجمال والفن والشهوة واللذة وحرية الفكر والخمور والمخدرات والجنس.

هذه هي أعداء المسيح الجالس في يمين الله، بانتظار أن تنهي على نفسها بنفسها لأن: «كل غرس لم يفرسه أبي السماوي يُقْلَع، اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة (الهاوية).» (مت ١٥: ١٣ و١٤)

١٤: ١ «أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص».

«أليس جميعهم»: οὐχὶ πάντες

هنا ينفي وجود شاذة واحدة، بمعنى حصر جميع الملائكة بكل رتبها ودرجاتها وأصحاب السیادات والسلطان منهم، فكلّهم سواء، كونهم مخلوقين على أساس الخدمة. وخارجاً عن الخدمة لا يكون لهم عمل. وهذا الاصطلاح، وهو نفي الاستفهام، ميزة ينفرد بها سفر العبرانيين: «أليس الذين أخطأوا الذين جثتهم سقطت في القفر؟» (عب ٤: ١٧)

«أرواحاً خادمة»: λειτουργικά πνεύματα

وباللاتيني الفولجاتا: administratorii spiritus

هذه هي المرة الوحيدة في أسفار العهد الجديد التي يركّز فيها في كلامه عن الملائكة على صفتهم الطبيعية المخلوقين عليها أساساً. وهذا يفسّر لنا في الحقيقة سراً من أعظم الأسرار الخاصة بالملائكة



والخليقة ككل . فهنا خلقة الملائكة محصورة في عمل محدّد لها . لذلك إذا أُخلتوا بحدود عملهم يكونون قد خرجوا عن حدود خلقتهم ، فوجب العقاب أو الإسقاط المباشر ، وليس من توبة أو صفح ، لأن طبيعة خلقتهم مربوطة ومعددة بالطاعة المطلقة ، كما أنه ليس في طبيعتهم حرية أو قدرة أو مجال للتصحيح .

وذلك ليس كالإنسان الذي خُلِق على طبيعة الخلود وعلى صورة الله في الحرية . فالأمر بالوصية جاءه بعد الخلقة وليس من صميمها ، ولأن طبيعة الإنسان مجبولة على الخلود ، فأبي معطل للخلود يرفعه الله حتماً حتى يكتمل الله عمل خلقتة في الإنسان . ثم لأنه مخلوق على صورة الله في معرفة الخير والشر ، لذلك إذا سقط في الشر فالله يتكامل برفعه — إن أراد الإنسان — من ورطة الشر إلى حياة الخير ليكتمل جمال صورته فيه . ثم لأنه ليس مخلوقاً أصلاً على الوصايا والأوامر إنما هذه جاءت له بعد الخلقة كواسطة للترقي في المعرفة ومحاكاة الله ، لذلك حينما يخفق الإنسان في طاعة وصية الله ، فإنه يؤدّب حتماً لكي يرتفع بالتأديب إلى ما كان ينبغي أن يرتفع إليه بالطاعة .

أما الملائكة فلأنهم مخلوقون بكل رتبهم على أنواع الخدمة التي هي من صميم طبيعتهم ، فإنهم إذا عصوا وخرجوا عن حدود خدمتهم يكونون قد فقدوا الغاية النهائية من خلقتهم . هنا يصبح سقوطهم عبرة وتمهيداً لانتهاى وجودهم : «لأنه إن كان الله لم يُشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وأسّمهم محروسين للقضاء ...» (٢ بط ٢ : ٤) . يلاحظ هنا القول أن الله لم يُشفق عليهم ، وهذا ليس لأن الله عديم الشفقة على الملائكة ، حاشا ، ولكن لأن طبيعتهم ليست مهياة لعمل الشفقة ، لأنها أصلاً ليست مهياة لعمل التوبة ، لذلك فالحكم الساقط عليها من الله هو بمقتضى عدم وجود قدرة على التصحيح في صميم طبيعتها وذلك لأن ليس لها إلاّ عمل معدد . وهذا يوضحه القديس يهوذا هكذا :

+ «والملائكة الذين لم يحفظوا رباستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام.» (يه : ٦)

كل هذا في الحقيقة ينبّه ذهننا إلى أية نعمة خُلقتنا نحن ، إذ أعطينا فرصاً لا تنتهي للرجوع إلى الله وتقديم التوبة حتى لا نُدان مع العالم والملائكة الأشرار .

«مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» :

ἀποστελλόμενα εἰς διακονίαν = مرسلة للخدمة

في الآية السابقة واضح للغاية أن الخدمة بالنسبة للملائكة هي طبيعتهم ، وبالتالي عملهم بصورة

أساسية حيث العمل هو طبيعتهم. ولكنه بقوله هنا: «مرسلة للخدمة»، يصبح نوع العمل الذي تُرسل له هو كاداء وظيفة أو خدمة خاصة. وواضح أيضاً أن قوله السابق «أرواحاً خادمة»: هو خدمتها الأساسية أمام الله.

أما قوله: «مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص»، فهو يقصد الوظائف الخاصة بخدمة المفديين المعيّنين للحياة الأبدية التي يكلفهم بها الله دون أن يفقدوا موقفهم أمام الله على الدوام. فخدمة المفديين جزء لا يتجزأ من خدمة الله.

ويلاحظ هنا استخدام «الإرسال، والخدمة» بالنسبة للملائكة حيث كلمة «الخدمة» تأتي diakoniam. وهنا تدخلنا هذه الآية في جوطسي، وهذا حقيقي، لأن المعروف حسب التقليد الشفاهي الموروث من الآباء أن في «المعمودية» التي هي خدمة المعيّنين للميراث السماوي يعيّن الله ملاكاً حارساً للإنسان يرافق الإنسان مدى الحياة(\*):

ينجيه وقت الضيقة:

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم.» (إش ٦٣: ٩)

+ «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، الملاك الذي خلّصني من كل شر»

يبارك الغلامين ...» (تك ٤٨: ١٦)

ويرشده:

+ «أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، أنصحك عيني عليك.» (مز ٣٢: ٨)

+ «ها أنا مُرسلٌ ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجنيء بك إلى المكان الذي

أعددتَه.» (خر ٢٣: ٢٠)

+ وقصة المغبوط طوبيا والملاك روفائيل معروفة (انظر سفر طوبيا).

ويفسر له ما عسر عليه فهمه من أمور الله ووصاياها:

+ «وقال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذي أكلمك به ... لا تخف يا

دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك، سُمع

كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك.» (دا ١٠: ١١ و١٢)

(\*) يقول القديس مقاريوس الكبير: [ فأجاب (الملاك) وقال لي ... إن الله يعيّن لكل إنسان مسيحي وقت المعمودية، ملاكاً من لئله ليحفظه ويسبّح حوله ... ] (P.G. XXXIV, 221B).

+ «فصالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحمل عليك وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله.» (لوقا: ٣٤ و٣٥)

### وينقذه من المخاطر المحدقة:

+ «ولما كان هيرودس مزمماً أن يقدمه (يقبضه)، كان بطرس في تلك الليلة نائماً بين عسكريين مربوطاً بسلسلتين. وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن. وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت. فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً: «ثم عاجلاً. فسقطت السلسلتان من يديه. وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك. ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه. وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن أنه ينظر رؤيا. فجاز المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت فارقه الملاك. فقال بطرس وهو قد رجع إلى نفسه الآن علمت يقيناً أن الرب أرسل ملاكاً وأنقذني.» (أع: ١٢: ٦-١١)

+ «فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا وأرسل ملاكاً وأخرجنا من مصر.» (عد: ٢٠: ١٦)

### بل وبعد طعاماً للخائر ويصنع كعكة ويحضر ماءً في القفر:

+ «ثم سار إيليا في البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رقعة وطلب الموت لنفسه وقال: قد كفى الآن يا رب خُذ نفسي لأنني لست خيراً من آبائي. واضطجع ونام تحت الرقعة وإذا بملاك قد مسّه وقال: «ثم وكُل. فتطلع وإذا كعكة رُصف (من دقيق قمح) وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال: «ثم وكُل لأن المسافة كبيرة عليك. فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين يوماً وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب.» (١مل: ١٩: ٤-٨)

وغير ذلك فإن العهد القديم وكذلك الجديد مزدحم بأعمال الملائكة في خدمة أولاد الله.

ويختصها داود النبي بحسب خبرته وبالروح: «ملاك الرب حالٌ حول خائفيه وينجيهم.»

(مز: ٣٧: ٧)

وواضح القصد الأساسي من هذه الآية: كيف يضع سفر العبرانيين المقارنة صارخة بين ابن الله الجالس على عرش مجده، وبين الملائكة تحم المقيدين في الأمور الصغيرة.

الأصحاح الثاني  
استمرار الدفاع الأول  
بخصوص تفوق الابن على الملائكة

- القسم الثاني: خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن (٢: ١-٤).  
القسم الثالث: تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه (٢: ٥-١٨).

ما بين الأصحاح الأول والثاني:

القسم الثاني من الدفاع الأول:

خطر إهمال ما تم سابقاً من الإعلانات عن الابن: (٢: ١-٤)

١: ٢ «لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعنا لثلاث نفوته».

٢: ٢ «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلم بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعدد ومعصية نال مجازاة عادلة».

٣: ٢ «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا».

٤: ٢ «شاهدوا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته».

#### كلمة عامة:

هنا يقف السفر وقفة فجائية جادة ينبه القارئ والسامع. إذ بعد أن أوضح علو شأن الابن في طبيعته الإلهية، وفي عمله كخالق العالمين، وكفادٍ بعد أن طهر خطايانا مرة واحدة، وفي جلوسه عن يمين الله، مع إثبات قاطع من النبوات عن كل صفة من هذه الصفات، وذلك بالمقارنة مع الملائكة الذين هم مخلوقون خُداماً بطبيعة تشبه طبيعة الرياح والنار، قابلين للتغيير بل والسقوط؛ يزيد السفر هنا إضافة - سوف يأتي إليها بالتفصيل فيما بعد - أن الناموس قد تبلى بواسطة ملائكة، وبالرغم من أنه تبلى هكذا بواسطة ملائكة إلا أنه صار ذا ثبوت ووقار حتى إن المتعدي على فرائضه كان يتعرض للقصاص والمجازاة بحكم العدل.

ثم يزيد على كل ما قاله عن الابن، أنه هو الرب وأنه صار بدوره وسيطاً للخلاص العظيم الذي يعلو مقداره فوق كل عمل عُمل بالنسبة للإنسان على الأرض، وقد صار إنجيلاً تثبت بيد الذين استلموه والذين سمعوه، ثم قدّم الله نفسه شهادته بصدقه، فأعطى المعجزات والعجائب والآيات والمواهب الخاصة بهذا الخلاص من قِبَل الروح القدس، ثم يعقب على ذلك: فكيف ننجو إن أهملنا مثل هذا الخلاص الذي بهذا القدر؟ ويضع هنا مقارنة من جهة العقوبة أيضاً. لأنه إذا كان التعدي على ناموس موسى الذي استلمه على يد ملائكة له عقاب بحكم العدل، فكيف يكون العقاب إن أهملنا خلاصاً صنعه الرب وشهد له الله الآب وتثبت بمعجزات وآيات ومواهب الروح القدس؟

ولكن ما هو قصد السفر تماماً من هذا الكلام؟

هنا إشارة هامة إلى قدرة الإنسان على النسيان وإهمال دروس وتعاليم الماضي، لذلك يريد أن يعود بذكرياتنا ووعينا إلى مدى الرعب والفرع والشدة التي كان يقع فيها مَنْ يُخطئ ويتعدى الناموس إذ يقولها في موضع آخر: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون راقية» (عب ١٠: ٢٨). علماً بأن خطايا السهو كانت هيئته إذ لها ذبائح للغفران ولكن خطايا العمد كالقتل والزنا وإهانة اسم الله وكسر السبت كانت عقوبتها الموت حتماً وبلا رحمة، فكتاب السفر يريدنا أن نتذكر هذا، بل نعيه جيداً، بل نتأمله ونضعه أمام عيوننا مع عقد المقارنة: إن كانت هذه عقوبة الله بالنسبة لناموس تُسَلَّم بيد ملائكة، فماذا تكون العقوبة بالنسبة لإهمال خلاص أكمله ابن الله بالدم؟

وهو يبدأ الكلام مؤكداً ضرورة أن نفتح عيوننا وأذهاننا لتقبل هذه الأخبار السارة التي هي هي إنجيل خلاصنا، والأ نسمح أن تفوتنا كلمة واحدة منها.

وهو بهذا التنبيه يوقظ وعينا للفهم، ليطمئن، ثم يتبدى يكتمل ما قاله عن علو شأن الابن عن الملائكة.

## الشرح:

١:٢ «لذلك يجب أن ننتبه أكثر إلى ما سمعنا لتلا نفوقه».

«لذلك»: διὰ τοῦτο

أي من أجل هذا، و«هذا» تشير إلى علو شأن الابن عن الملائكة، وبالتالي إلى علو شأن رسالة الخلاص التي تمّ بها تطهير خطايانا على يد الابن فوق الناموس الذي تُسَلَّم بيد ملائكة.

«ننتبه أكثر»: περισσotέρως προσέχειν

وباللاتينية (الفولجاتا): abundantius observare: (Vulg.).

واضح من الترجمة اللاتينية الفولجاتا مستوى كلمة «أكثر»، فقد جعلها بمعنى «الكثرة الغالبة»، وهنا بيت القصيد، إذ يرى السفر أن هنا يتمحور جهده في تركيز ذهن سامعيه لا كرجاء بل بوجوب وتحمُّم. وتحتيم الانتباه بهذا التركيز والتشديد يقع موقع ضرب العصي بالنسبة لصبي يتعلم الدرس. وهي صيغة لم تأت قط في أسفار العهد الجديد. وهذا التحميم منشأه علو شأن الابن الذي يجعل عمله لازم الاتباع والطاعة والانتباه وذلك لخطورة مركزه.

«إلى ما سمعنا»:

يقصد هنا الكلمة المنطوقة بالله عن طريق الابن الكلمة، حيث الأذن التي تسمع ليست اللحم والدم ولكن أذن القلب، أي الوعي الروحي المسيحي، حيث كلمة الله بمثابة حضرة الله.

ويلاحظ هنا أن هذا السفر لم يستخدم لفظ «الإنجيل»، لأنه يبدو أن هذه الكلمة لم تكن قد شاعت بعد لأن كتابة الأناجيل بدأت متأخرة عن الكرازة به. علماً بأن الكلمة العادية التي للبشر تُسمع وتُنسى لأن وراء الأذن اللحمية ذاكرة على مستواها قابلة للنسيان. أما كلمة الله التي صنعت السموات والقادرة أيضاً أن تزلزها، فهي تُسمع بالكيان الروحي ووعي الروح، لذلك فهي تبقى بقاء الروح لا يفنيها الزمن. لذلك لم يقل «ننساه» بل «نفوته». بمعنى أن بقاءه بقاء الله، ولكن نحن الذين نعبر عليه ونفوته، فيفوت علينا الخلاص وبالتالي الحياة الأبدية.

«لثلا نفوته»: παραρωθμεν

وتعني يفلت من كما تفلت المركب من مسارها وتتجاوز الميناء، أو «ينزلق بعيداً عن الحق»، كما وضعها العلامة كلمندس الإسكندري في عظته عن المرأة: «لا تلبس الأزياء المبهرجة لثلا تنزلق بعيداً عن الحق»<sup>(١)</sup>، أو بمعنى أن يُفصر الإنسان بهوم وغوايات العالم ويفقد المسار العام الثابت للكنيسة وهي تسير نحو الملكوت.

وقد جاءت في العهد القديم في موضع مُحكّم يشرح الكلمة بدقة في الأمثال بخصوص التمسك بالحكمة وكلام الله حتى لا تبرح من عينيك:

+ «يا ابني لا تبرح = παραρρηθης هذه (الحكمة) من عينيك، احفظ الرأي والتدبير»  
(أم ٣: ٢١)،

+ كذلك: «يا ابني اصغ إلى كلامي، أيسلْ أذنك إلى أقوالي، لا تبرح  
μη παραρρηθησάτωσαν عن عينيك» (أم ٤: ٢١). (ترجمة سيماخوس اليونانية وليست  
السبعينية الإسكندرانية)<sup>(٢)</sup>.

من هذا يكون المعنى في الآية التي نحن بصدها أن الكلام الذي سمعناه فيما يخص طبيعة المسيح وعمله الفدائي وجلوسه عن يمين الله الذي هو الإنجيل أو البشارة، يلزم أن يكون ثابتاً في القلب ثبوت الهلب للمركب، وهو الوصف الذي أعطاه سفر العبرانيين هكذا:

1. Clem. Alex. Paedag. 3.11.58.

2. Westcott, op. cit., p. 37.

+ « الذي هولنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة ... » (عب ٦: ١٩)

هذه الكلمة « يفوته » ذات أهمية كبيرة في تعاليم الآباء للمؤمنين<sup>(٣)</sup>، وليس أدل على ذلك من قول العلامة أوريجانوس الذي يصوّر لنا خطورة هذه الكلمة في حياتنا اليومية وهمومنا المادية بالنسبة للتعليم الإنجيلي والوجود في حضرة الله هكذا:

[ إن الاحتفال الكبير (يوم الأحد) بالقداس بالنسبة للمؤمنين البسطاء الذين لا يستطيعون أن يحتفظوا بكل يوم عيداً إلهياً، يحتاج عرض مواضيع ذات معاني منيرة للذهن في أيام هكذا مقدسة حتى لا يفوتهم كلياً =  $\tau\alpha \mu\eta \tau\acute{\epsilon}\lambda\omicron\nu\ \pi\alpha\rho\alpha\rho\eta\upsilon\sigma\eta$  الاحتفاظ بالواجبات العبادية المنتظمة بسبب التأثيرات الشعبية ]<sup>(٤)</sup>، لأن المفروض في المؤمنين الحارين بالروح أن يعيدوا كل مساء بالإنجيل إذا اجتمعوا بالصلاة والتسبيح وكلام الوعظ. هنا يشرح لنا أوريجانوس أهمية كلمة « يفوته » التي تفيد الانسلاخ من الواقع المسيحي الحار كانسلاخ الخاتم من الإصبع.<sup>(٥)</sup>

ولكي نتنبه  $\pi\rho\sigma\acute{\epsilon}\chi\epsilon\iota\nu$  لثلاث يفوتنا ما يُقرأ ويُعمل أمامنا في القداس، يمكن للقارئ العزيز أن يعود بذكريته إلى القداس الإلهي ويتذكر الشماس وهو يصرخ من حين إلى آخر بصوت عالي: «بروسخومين، بروسخومين»، وتعني أكثر من «انصتوا» كالترجمة العربية في الخولاجي، إذ تعني انتبهوا وألصقوا عقولكم بالآتي، كذلك تعني أعطوا كل نفوسكم لسمع الآتي، أو امسكوا بالكلام الآتي ... إلخ<sup>(٦)</sup>.

وقد جاءت في سفر الأعمال: «يصغون  $\pi\rho\sigma\acute{\epsilon}\chi\omicron\nu$  بنفس واحدة» (أع ٨: ٦)، «فتفتح الرب قلبها لتصغي  $\pi\rho\sigma\acute{\epsilon}\chi\epsilon\iota\nu$  إلى ما كان يقوله بولس» (أع ١٦: ١٤). كذلك في رسالة بطرس الثانية هكذا: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبتت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها  $\pi\rho\sigma\acute{\epsilon}\chi\omicron\nu\tau\epsilon\varsigma$ ». (٢ بط ١: ١٩)

وقد جاءت في سفر العبرانيين الأصحاح السابع بمعنى يلازم: «لم يلازم  $\pi\rho\sigma\acute{\epsilon}\sigma\chi\eta\kappa\epsilon\nu$  أحد منه المذبح» (عب ٧: ١٣). وقد جاءت في الترجمة الإنجليزية الحرفية: to devote himself to أي يكرس نفسه له.

3. Westcott, *op. cit.*, pp. 36,37.

4. Ibid.

5. Ibid.

6. Liddell and Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon*, Oxford, *sub voce*.



وهكذا جاءت في مواضع مختلفة بمعنى الإصغاء بقلب مفتوح، ويلزم أو يكرس نفسه له!!

والآن وبعد هذا الشرح والتوضيح يمكن للقارئ العزيز أن يراجع نفسه كيف فاتت عليه مناسبات العبادات الكبيرة نفسها التي وضعتها الكنيسة للتعويض عن عدم التواجد في العبادة الحارة كل يوم وكل مساء. من هنا نرى خطورة هذه الرسالة، ليس بالنسبة إلى العبرانيين، بل بالنسبة لحياتنا المسيحية نحن الذين بلغنا من الانسلاخ من واقع العبادة الحقيقية مبلغاً يمكن اعتباره أكثر بكثير من معنى «فاتنا» و«فُتتاه» إلى معنى الإهمال الكلي بل والازدراء:

+ «فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله ... وازدرى بروح النعمة.» (عب ١٠: ٢٩)

٣٥٢:٢ «لأنه إن كانت الكلمة التي تكلمَ بها ملائكةٌ قد صارت ثابتةً وكلُّ تعدُّ ومعضية نالَ مجازاةً عادلةً، فكيف ننجون نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقدارهُ قد ابتدأ الربُّ بالتكلمَ به ثم تثبَّت لنا من الذين سَمِعُوا.»

يلاحظ هنا أنه يستعرض لنا كلمتين لله: كلمة تُسَلِّمَت بواسطة ملائكة وتثبَّت وتَحْتَم الانتباه لها، وكلمة الله التي تكلم بها بواسطة ابنه أو في ابنه وتثبَّت وتَحْتَم الانتباه لها أيضاً وبالأولى. ولكن الفارق هو أن الثبَّت والانتباه للكلمتين صارا في مقارنة من جهة الوسيط. فإذا كان الوسيط أعلى كان الثبَّت أقوى ولزم الانتباه أكثر، وبالتالي صارت عقوبة عدم الانتباه أكثر.

وفي هذا العرض المنطقي البلاغي لم يتعرض الرسول إلى الكلمة ذاتها لأنها كلمة من الله، مع أنها هي أيضاً في مقارنة، لأن كلمة الله بواسطة الملائكة كانت كلمة من الله تحمل فكراً مناسباً لسامعيها. وأما كلمة الله بواسطة ابنه فهي كلمة الله ذاتها وكلمة الله ذاته، وهي تحمل فكراً مناسباً لله ذاته وفعلاً مساوياً لله ذاته، لأن المسيح نفسه استعلن في ذاته أنه هو هو كلمة الله وفعله!!

«الكلمة التي تكلمَ بها ملائكة»:

(وأصلها في اليونانية: الكلمة التي تُكَلِّمُ بها بواسطة ملائكة).

يلاحظ أن الترجمة العربية أخفت الفاعل الحقيقي أي المتكلم الأصلي وهو الله، فظهر من الأسلوب أن الملائكة تكلموا وكأنه من عندهم. لذلك تصرف الترجمة اللاتينية لتوضح هذه الحقيقة أن الملائكة وسيلة فقط أو آلة استخدمها الله لتوصيل الكلام فجاءت كالاتي:

«ملائكة أُمليت الرسالة»، وترجمتها باللغة الإنجليزية هكذا: *message declared by angels* (Vulg.) : *qui per angelos dictus est sermo* وترجمتها في الفولجاتا أنه «ملائكة أُمليت الرسالة»، وترجمتها باللغة الإنجليزية هكذا: *message declared by angels*. كما يُلاحظ أن الآية تقول: «إن كانت الكلمة *λόγος* التي تكلم بها ملائكة»، فذكرت «الكلمة» بدل «الناموس *νόμος*». والرسول يقصد مجمل التوراة باعتبارها كلمة الله بما فيها من أقوال الأنبياء والمزامير أي «استعلان الله» في العهد القديم على مستوى النعمة، وهكذا وضع الرسول مبدأ أن «الناموس» هو استعلان مشيئة الله في القديم، وذلك من وجهة نظر تهييبية أكثر منها قوانين صارمة جامدة في ذاتها (٧).

أما موضوع علاقة الملائكة بالناموس الذي أعطي لموسى، فهو يُذكر أيضاً في بعض الأسفار المقدسة للعهد الجديد الأخرى هكذا:

- + «هذا هو (موسى) الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء ومع آباءنا.» (أع ٧: ٣٨)
- + «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه.» (أع ٧: ٥٣)
- + «فلماذا الناموس؟ — (قد زيد بسبب التعديتات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له) — مُرتباً بملائكة في يد وسيط.» (غل ٣: ١٩)

«صارت ثابتة»: *ἐγένετο βέβαιος*

الأصل اليوناني يعني أكثر من «صارت ثابتة»، فهي تترجم «تحقق ثبوتها»، والفرق بين الترجمتين كبير، فالترجمة العربية «صارت ثابتة» يُفهم منها أن ثبوتها جاء من خارجها، ولكن الأصل اليوناني يعني أنها تحمل إثباتها أو ثبوتها من داخلها. أي أنها هي حققت دعواها، وهذه حقيقة واضحة جداً أن الناموس يحمل قوة تنفيذه مع عقوباته بنفسه، الذي يقابله في العهد الجديد قول الرب: «إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه ... الكلام الذي تكلمتُ به هو يدينه ...» (يو ١٢: ٤٧ و٤٨)

والكلمة «ثابتة» تُحتسب ذات صياغة قانونية، كما يُقال في المحكمة «ثبوت» البراءة و«ثبوت» الاتهام و«ثبوت» الشهادة، وقد استخدمها سفر العبرانيين بهذا المعنى هكذا: «لأن الوصية ثابتة *βεβαία* على الموتى إذ لا قوة لها البتة ما دام الموصي حياً.» (عب ٩: ١٧)

لذلك يأتي معناها في الآية التي نحن بصدها أن: «الكلمة (الناموس) التي تكلم بها ملائكة صارت ثابتة»، على مستوى الالتزام القانوني للذين تسلّموا هذا الناموس وعاشوا تحته، وهكذا صار أي تعدُّ أو عدم طاعة مستوجبا العقوبة قانوناً.

«كل تعدُّ ومعصية»: παρακοή — παράβασις

هما فعلان متخصصان في شئون الخطية. فالفعل الأول التعدي هو في أصله اليوناني يشرح ذاته، إذ يعني παρα = تجاوز، βασις تعني خطوة أو خطوات، فالمعنى الكامل هو الخروج عن الحدود أو المخطط الذي ينبغي السير فيه وعدم تحطّيه. لذلك فالمعنى تعدي كما جاء في العربية يفيد تماماً عملاً أو فعلاً متعدياً، فهو «فعل» ظاهري. أما المعصية فهي أيضاً في أصلها اليوناني تشرح ذاتها وهي من كلمتين παρά = تجاوز، و ἀκοή من فعل «يسمع». والمعنى الكامل «يتعدى السمع» أو «يتجاوز ما يجب سماعه»، وهنا يأتي مباشرة مفهوم «عدم الطاعة» وهي «المعصية» من «عصى الأمر»، فهنا لا تُعتبر كلمة «معصية» أنها تعبر عن حالة فعل ظاهري بل حالة استعداد داخلية. وبهذا يكون قد حصر الخطية في الداخل والخارج، أي أنها عصيان قلبي وضميري داخلي، وتعدُّ فعلي ظاهري، وهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً.

وأوضح شرح لمعنى التعدي جاء عن آدم في الرسالة إلى أهل رومية:

+ «لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم  
παραβάσεως Ἀδάμ.» (روم: ٥: ١٤)

هنا التعدي هو تعدُّ على وصية الله لآدم أن لا يأكل من الشجرة التي حرّمها عليه. كذلك فإن أوضح شرح لمعنى المعصية يأتي هكذا:

+ «لأنه كما بمعصية παρακοῆς الإنسان الواحد (آدم) جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة ὑπακοῆς الواحد (المسيح) سيُجعل الكثيرون أبراراً.» (روم: ٥: ١٩)

وهكذا جاءت المعصية ضد الطاعة، حيث في اليونانية أصل الكلمة واحد وهو السمع، فالمعصية تجاوز أو مخالفة السمع παρα- والطاعة النزول تحت السمع ὑπο-، والسمع ἀκοή .

والحقيقة نحن لسنا في درس لغة يونانية ولا محاضرة في أصول الكلمات، ولكن همناً أيها القارئ العزيز هو أن نشرح أولاً معاني الكلمات التي جاءت في اللغة العربية بدون توضيح، وثانياً — وهو همناً الأكبر — أن نشرح منشأ العصيان كحالة داخلية في القلب تنمو وتكبر حتى تنتهي بالتعدي. فأدم بسبب صورته الجميلة التي تحاكي الله في الخير، نشأ في قلبه شعور أن يصير

كأله في معرفة الشر أيضاً إثر النصيحة المشتومة التي طرحها عليه الشيطان: «يوم تأكلان منه تفتتح أعينكما وتكونان كأله عارقين الخير والشر» (تك ٣: ٥). فاستحسنتم حواء ومعها رجلها ذلك، وهكذا أمالا سمعهما للشيطان فدخلوا في الحال في التخطي أو تجاوز السمح لوصية الله. هذه هي المعصية. فالمعصية سبقت التعدي، وكان أساس المعصية محاولة في معرفة الشر، الأمر الذي هون نفسه بسبب بلاء الإنسان منذ الطفولة المبكرة جداً، فكل ممنوع على الطفل يصبح منتهى مُشتهاه، فيعمل المستحيل ليعرف هذا الممنوع، ويجلب على نفسه الشقاء منذ طفولته بسبب هذا الميل لمعرفة الممنوع. ويظل ينمو فيه هذا الشعور الذي هو بعينه العصيان، أصل كل مصائب الإنسان، فيخرج من مصيبة ليدخل مصيبة أكبر، إلى أن يتفوق ربما من الطفولة أيضاً، لتتربى في داخله فضيلة الطاعة ويكرم السماع للنصيحة ثم الوصية. وهكذا يتهيأ لمواجهة الحقيقة العظمى وهي معرفته لصاحب الوصية الأولى، فيستقي منه معرفة الخير وبغضة الشر، فينصلح حاله ويعود بنعمة المسيح إلى الطاعة المذعنة السعيدة لصوت الله، وحينئذ يأتي المرشد الأعظم للإنسان وهو الروح القدس ليلقته الحكمة ليرتفع بالطاعة إلى حالة بنوة الله تحفظه في بر الله ومشورة الحق وتخصه ضد الشر.

«نال مجازاة عادلة»:

هنا المجازاة العادلة هي الرد القانوني (الناموس) على العصيان والتعدي، والمعنى ينصبُّ ليس على العاصي أو المتعدي كفاعليْن، بل المجازاة هي المقابل للعصيان والتعدي كمصدرين، كما توضحه الآية: «وأما الظالم فيسئال ما ظلم به وليس محاباة» (كو ٣: ٢٥). أي بمقدار الظلم يكون مقدار الجزاء. هذا من جهة الظلم، أما من جهة الخير فيقول: «عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً» (أف ٦: ٨). أي مقدار الخير يكون مقداره من الله ولكن مكياًل الله دائماً أكثر خيراً وأكثر فضلاً، وفي مكان آخر يقول المسيح: «ياخذ مئة ضعف». (مت ١٩: ٢٩)

المجازاة العادلة: ἔνδικον μισθαποδοσίαν

هنا يتجهَّم الناموس في وجه المعصية والتعدي، ويُشهر سيف القضاء الصارم في قوة وإنما بحسب العدل.

وكلمة مجازي μισθαποδοσίαν قليلة الاستخدام في أسفار العهد الجديد وقد وردت في سفر العبرانيين في المواضع الآتية:

+ «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي μισθαποδοτής الذين يطلبونه». (عب ١١: ٦)

+ « فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة *μισθαποδοσίαν* عظيمة. » (عب ١٠: ٣٥)  
 + « حاسباً عار المسيح غِنَى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة  
*μισθαποδοσίαν* » (عب ١١: ٢٦)

وقد استخدم القديس بولس في الرسالة إلى كولوجي كلمة مشابهة لها في معنى المجازاة من  
 وجهة الخير:

+ « عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاءً *ἀνταπόδοσιν* الميراث لأنكم تخدمون الرب  
 المسيح. » (كو ٣: ٢٤)

وهنا في الآية القادمة نحيء من وجهة العقاب المساوي:

+ « داود يقول: لتصر مائدتهم فخاً وقنصاً وعشرة ومجازاة *ἀνταπόδομα* لهم. »  
 (رو ١١: ٩)

وهكذا يتضح أن الكلمة التي أمامنا هي كلمة قضائية تعني المحاسبة الدقيقة، سواء عند  
 الناموس أو عند المسيح، حيث يكون الجزاء من جنس العمل. فالعصيان والتعدي لهما مجازاة من  
 التأديب والعقاب؛ ولكن الطاعة والبذل لهما المجازاة من عطاء الله الذي لا يُحَدُّ. ولكن المجازاة  
 من قِبَلِ الله على العصيان والتعدي يكون على مستوى الدقة المتناهية بالعدل، حتى لا يسع المتعدي  
 حينما يرى المجازاة إلا أن يقول: آمين يا رب أنا مستحق لهذا. أما في المجازاة من جهة الطاعة  
 والبذل، فهنا تتبارى مراحم الله ونعمته لتعطي بالكيل الملبَّد المهزوز في أحضانكم ثلاثين وستين  
 ومائة وكُوى السماء مفتوحة باندفاق الرحمة، حتى يصرخ الآخذ ويقول: كفى كفى.

«عادلة»: *ἐνδίκον*

العدل هنا هو عدل الناموس، فهو عدل موازين — سنٌّ بسنٍّ وعينٌ بعينٍ — أما العدل عند  
 المسيح فهو مأخوذ أصلاً من كلمة «البار» *δίκαιος*: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما  
 أسمع أدين ودينونتي *δικαία* عادلة لأنني لا أطلب مشييتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني»  
 (يوه: ٣٠). ففي الحقيقة وصف دينونة المسيح هنا أنها عادلة «just» لا يمكن أن ترقى إليها  
 عدالة قضاء الناموس، لأن الديان هنا أي المسيح هو «بار»، والبار إذا أدان فهو يدين أي يحكم  
 بحسب برِّه وليس بحسب الإنسان. لذلك فعُدل المسيح الذي سيدين به الأحياء والأموات سيكون  
 من نوع لا يتصوَّره الإنسان ولا يُحَظَر على قلبه، لأن صفة الدينونة عنده ملتحمة بالشفاعة.

هكذا يصفه إشعياء بالنبوة: «فلا يقضي بحسب نظر عينيه (شاهد الناموس) ولا يحكم بحسب

سمع أذنيه (شهادة اثنين أو ثلاثة) بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض» (إش ١١: ٤٥٣). أي أن عدل الناموس والناس هو حسب الظاهر بالسمع والنظر، أما عدل الله فهو حسب سرائر الناس: «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي يسوع المسيح.» (رو ٢: ١٦)

وإليك أيها القارئ العزيز مقارنة بين عدل الإنسان وعدل المسيح وكيف أن حكم الإنسان ضيِّع عليه معرفة الحق بل وأوقعه في التجديف عليه:

+ «أفتسخطون عليّ لأنني شفيتُ إنساناً كله في السبت، لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكموا حكماً عادلاً.» (يو ٧: ٢٣ و٢٤)

+ «مَنْ هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحرى قام أيضاً ... الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو ٨: ٣٤)

لذلك حينما يقول سفر العبرانيين أن: «كل تعدُّ ومعصية نال مجازاة عادلة»، فهو يقصد هنا عدل بنود الناموس وليس عدل المسيح البار. فالناموس له عدله: «إذاً الناموس مقدس، والوصية مقدسة وعادلة، وصالحة.» (رو ٧: ١٢)

وقصارى القول فهذا هو عدل الناموس:

+ «النفس التي تخطيء هي تموت» (خر ١٧: ٢٠).

+ «لأنني لا أبرر المذنب» (خر ٢٢: ٧).

+ «من أخطأ إليّ أعوه من كتابي.» (خر ٣٢: ٣٣)

«فكيف ننجون نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره  
قد ابتداء الرب بالتكلم به ثم تثبت لنا من الذين سمعوا.»

«فكيف ننجون نحن»: ἐκφευξόμεθα

هنا يطرح السفر هذا السؤال، وطرُح الأسئلة ميزة ظاهرة في هذه الرسالة، لأنها تويخية إلى حد كبير. وهو يقطع خط الرجعة على الذين بدأوا يهملون رسالة الإنجيل، بأن وضع لهم أولاً ما يساوي ذلك في الناموس من عقوبة حتمية صارمة وبحسب العدل، فماذا الآن إزاء إهمال المسيح والإنجيل؟ هنا يعلق على الذين أهملوا قائلاً: بأنه لا نجاة. والقطع هنا بأنه لا يوجد فرصة للنجاة ليس هو بسبب الإهمال بحد ذاته، بل بسبب علو شأن مَنْ أهملنا في حقه. لأن الدينونة هنا تكون

بلا مقدمات: «لأنه حينما يقولون سلام وأمان (كذباً وخداعاً) حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للخبثي فلا ينجون οὐ μὴ ἐκφύγωσιν .» (١ تس ٥: ٣)

«إن أهملنا»: ἀμελήσαντες

هذه كلمة لم ترد في أسفار العهد الجديد إلا قليلاً جداً، ولكن لكي ندرك خطورتها وأعماقتها وما تنتهي إليه، اسمع هذه الآية:

+ «هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يشبوا في عهدي، وأنا أهملتهم ἡμέλησα يقول الرب.» (عب ٨: ٩ و ٨)

«إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره»:

هنا التحذير من خطورة الإهمال يأتي لسببين: الأول الخلاص في مقابل الناموس كنوعية عمل الله، وثانياً مقدار ما استلزمه هذا الخلاص من بذل حتى الموت، ومقدار ما سيؤول إليه من حياة أبدية في حضرة الله.

ولكي نُلقِي نظرة على قيمة هذا الخلاص عند الرسل الأوائل نقرأ من رسالة القديس يهوذا: «إذ كنت أصنع كل الجهد — (هنا الترجمة غير موفقة على الإطلاق فقد قلبت المعنى. فالترجمة الصحيحة بحسب النص اليوناني "إذ كنت في غاية اللهفة very eager") — أن أكتب إليكم عن الخلاص σωτηρίας المشترك ...» (يه ٣). لأن الكلمة اليونانية هي σπουδή<sup>(٨)</sup> وتعني بالإنجليزية very eager و earnest أي همة، غيرة؛ أو serious أي هام جداً؛ أو zealous أي بغيرة شديدة. فقولهُ: «يصنع جهداً» ليكتب «أصنع كل الجهد لأكتب»، فهي تعني أن القديس يهوذا كان يجاهد ليكتب وكان الكتابة كانت صعبة أو شاقة. فـ «الجهد» يرجع إلى شخص الكاتب، أما الغيرة والاهتمام والاشتياق الشديد فهذه موجهة إلى المُرسَل إليهم وتعود على أهمية المكتوب وهي البشارة، وشتان الفرق في المعنى!

أما المسيح فقد وصف لنا إهمال الخلاص بهذا التصوير المرعب: «ثبراني ومسنّاتي قد ذُبِحت وكل شيء مُعدُّ تعالوا إلى العرس، ولكنهم تهاونوا ἀμελήσαντες ، ومضوا واحد إلى حقله وآخر إلى تجارته والباقون أمسكوا عبيده وشمّوهم وقتلوهم. فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك

8. Liddell and Scott, *op. cit.*, *sub voce*.

أولئك القتالين وأحرق مدينتهم ثم قال لعبيده: أما العُرس فمُستَعَدَّةٌ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين. « (مت ٢٢ : ٤ - ٨ )

هذا الكلام خطير بالنسبة لنا، فإنهمالنا الخلاص هو هو إهمالنا وازدراؤنا بالداعي إلى الخلاص وبالتالي إلى ما بذله ودفعه من دمه وحياته. فإنهمال الخلاص هو ازدراء بدم ابن الله، هل يمكن؟ هل يُعقل؟ أنظر أيها القارئ، فالرسالة تضيِّق علينا الخناق، والروح يبدو وكأنه يعظ اليهود المزعزعين في إيمانهم بالمسيح، والحقيقة أن السهم مُعبأ ومُهَيأ ليحترق هذه الألفي سنة ليستقر في صدورنا!

ويا ليت المعنى في قوله «خلاصاً هذا مقداره» يتوقف عند مفهوم ما تكلفه الخلاص من سفك دم ابن الله، بل المعنى يتعدى من «هذا مقداره» إلى غاية الخلاص الذي من أجله ذُبح ابن الله ومات على الصليب، فغاية الخلاص هي التبني لله وقبول الحياة الأبدية. فإنهمالنا الخلاص يحمل احتقار التبني لله وامتهان الحياة الأبدية.

إذاً، فإنهمال خلاص بهذا المقدار هو دعوى مرفوعة علينا من سفر العبرانيين للتوجه إلى محكمة الضمير لمواجهة القاضي وتقديم التماس التأجيل لإصلاح الحال، ونكتفي الآن بهذا القدر.

«قد ابتدأ الرب بالتكلم به» :

هنا سيقدم الرسول ثلاثة عوامل ترفع من شأن الإنجيل وسلطانه: الأول شخصية الداعي به، وقناعة دعواه، والشهادة له، من عدة مصادر. ويتبدى بشخصية الداعي بالإنجيل، باعتبار أن أساس الإنجيل قام على الخبر بالكلمة المنطوقة وعلى فم الرب نفسه، قاصداً بذلك أن أساس الإنجيل هو الرب، في مقابل التاموس الذي تكلم به ملائكة وأعدتْ نصوصه موسى. والرب هنا هو المتكلم بنفسه والمعلم بالكلمة.

ويلاحظ من زمن الفعل «التكلم به λαλεῖσθαι» أنه في زمن المضارع المستمر ليفيد أن البشارة بالإنجيل ومن فم المسيح لا تزال كما هي مستمرة، وإن كانت بواسطة مُرسَلين كثيرين. معنى هذا أن الإنجيل الذي نسمعه الآن، إنما نسمعه من فم الرب دون النظر إلى القارئ كان من كان، فالكل سيان طالما الكلمة المسموعة هي صادرة من صاحب الجلالة، لها قوتها ولها جلالها.

وما أروع طقس قراءة الإنجيل في الكنيسة حينما يهتف الشماس بالشعب للتوعية: "قفوا بخوف الله وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس، يارب ارحم"، يقرأه الكاهن حافي القدمين عاري



الرأس (حسب الطقس الأول الأصيل)، فهو واقف في حضرة الله الذي تحفّ به الملائكة، والأرض الواقف عليها أرض مقدسة، والشعاع بيده الشمعة المضيئة مشيراً إلى الملاك عن يمينه والملاك الآخر عن يساره، والشعب كله وقوف وكلهم آذاناً وكلهم عيونٌ، بل وربما كلهم دموعٌ، والكاهن يرتل بصوته الرهيب قول الرب لتلاميذه: «طوبى لعيونكم لأنها تُبصر ولآذانكم لأنها تسمع!»

وهنا يتحتم علينا أن نذكر ألوف وربوات الشباب الأتقياء الذين تكررّسوا في هذه اللحظات المهمة وسلموا حياتهم لله، ومنهم من انطلق بعد القراءة مباشرة ليسلم نفسه لله، وظلّ الإنجيل زأده كل أيام حياته. وهل ننسى أنطونيوس الغني كيف سمع الإنجيل وكيف أطاع الكلمة وكيف خرج ليفتتح عصور النسك، لا في براري مصر وحدها بل وفي كل أصقاع العالم؟

هذا هو سلطان الإنجيل!! بل سلطان المسيح، الذي إن ملّك الآذان، ملّك القلوب ووقع الإنسان صريع حبه لا يقوى على الفكاك.

إنه قول حق، كلُّه صدق، قد ابتدأ الرب بالتكلم به، ولا يزال يتكلم به، ومن كان له أذنان للسمع فليسمع: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء وسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب.» (أف ٢: ٢٠)

«ثم تثبّت لنا من الذين سمعوا»:

الذي تثبّت لنا ليس الإنجيل أو الكلام الذي تكلم به المسيح، بل الخلاص نفسه. فليس إثبات يكون أعظم من حصولنا على الخلاص هذا الذي ابتدأ الرب بالتكلم به. لقد انتقل إلينا الكلام كخبير، ولكن الخبر انتقل فينا إلى فعل خلاص نعيشه في ملء حضور الرب وعلاماته. الذين سمعوا الخبر خلصوا، ولما نقلوا إلينا الخبر، خلصنا، فثبّتت الخبر وثبّتت الخلاص كحق نعيشه ونكرز به.

والقديس لوقا يعرفنا كيف تقبّل العالم الإنجيل كخبير منقول من الذين عاينوا بل خدعوا الكلمة أي المسيح وبالتالي الإنجيل، وخدمة الإنجيل هي قبول الروح وتسلمه. وكلمة المسيح روح وحياء تؤخذ للحياة وتُعطى للحياة: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا» كما سلّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداماً للكلمة. (لو ١: ٢٥)

ثم يزيد القديس يوحنا في رسالته كيف عاينوا الكلمة وشاهدوها ونظروها ولمسوها وهي بعينها

«الحياة الأبدية» التي كانت عند الآب وأظهرت في يسوع المسيح: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسناه أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت (في يسوع المسيح) وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا (في الابن).» (١يو١: ٢٠١)

إذا قول الرسول: «تثبتت لنا من الذين سمعوا» هو الحصيلة النهائية للإنجيل، أي كلمة الرب في وضعها العملي، أي حياة الخلاص ببر المسيح التي يشترك فيها هؤلاء العبرانيون المرسلّة إليهم هذه الرسالة. فإذا لم يكونوا قد تثبتوا في الخلاص، فهذا أمر آخر تماماً، وهو مزعم أن يتكلم عنه في الأصحاح السادس معطياً كلاماً موجعاً لا تظيقه النفس ولا تحتمله الروح، إن كان لا يزال يتبقى روح: «لأن أرضاً شربت المطر (التعليم الإلهي) الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشباً صالحاً للذين فُلّحت من أجلهم تنال بركة (الذين سمعوا وخلصوا وثبتوا) من الله. ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً<sup>(١)</sup> (١) τριβόλος فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق.» (عب٦: ١٥٧)

على أن في قول الرسول هنا: «وتثبتت لنا من الذين سمعوا» هنا لا يُحسب الثبوت في الكلام والخلاص أنه عمل شخصي يمكن أن يبلغه الإنسان بكفائه بل لا يمكن إغفال عامل آخر هو الاعتبار أساساً في تشبیت الخلاص في قلب الإنسان وهو عمل الله الخفي: «والرب يعمل معهم وثبتت الكلام بالآيات التابعة» (مر١٦: ٢٠). بمعنى أن الذي يريد ويشتهي أن يثبت في الخلاص فالرب حتماً يثبتته: «الرب معكم ما كنتم معه، إن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم» (٢أ١٥: ٢)، «من يُقبل إليّ لا أخرجّه خارجاً.» (يو٦: ٣٧)

٤:٢ «شاهدأ الله معهم بآيات وعجائب وقوايت متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته.»

لأن الخلاص هو تدبير الآب، لذلك فمن الأمور المسلّم بها أن الله كان يساند البشارة بقوة إلهية فائقة، وهو لا يزال يساندها من الخارج بآيات وعجائب وعمل قوات، ومن الداخل بمواهب الروح القدس بطرق متعددة ظهرت شخصية، فلكل واحد صارت له شهادته الخاصة بقوة خاصة من الله

(١) الحسك هو نبات القرطم البري، وهو كثير الشوك وزهرته ذات دوائر شوكية، وهو من عائلة Carduus من نوع Cirium (Webster's N. Col. Dict., "Thistle").

حسب إرادة الله في توزيع هذه الآيات والمواهب، فبدأت الشهادة قوية إعجازية وظلت مستمرة وإلى الآن. فالخلاص يسانده الله كما في الخارج من أجل إيمان الآخرين كذلك من الداخل لتثبيت الخلاص في القلوب.

«شاهداً الله معهم»:

باليونانية: συνεπιμαρτυροῦντος

وباللاتينية (الفولجاتا): Contestante .

الشهادة هنا تعني من الله حتمية وتحصيل حاصل، لأن الذين كانوا يشهدون للخلاص كانوا يشهدون للمسيح شخصياً في موته وقيامته، فهم كانوا يشهدون «للحق» = «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو: ١٤: ٦)، «أنا هو القيامة والحياة» (يو: ١١: ٢٥). فكيف أن الله وهو مصدر الحق لا يشهد للحق معهم بإرادة حاضرة مستعدة وقوية ودائمة؟ فطالما يوجد نداء بالخلاص فحتماً سيشهد له الله!! هذا قانون من واقع العمل الإلهي الذي لا يهتز.

لذلك جاءت الترجمة اللاتينية في الفولجاتا بمعنى «يشارك الشهادة Contestante»، بمعنى أن كل شهادة للخلاص يكون الله شريكاً فيها: «لأنكم تُعظون في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.» (مت ١٠: ١٩ و ٢٠)

وجاءت في اليونانية -συν- بمعنى الاتفاق والمشاركة المتحدة. لذلك اعتُبر هذا الاصطلاح أنه تعبير شرعي يفيد التدعيم المطلق الذي يكفله الله شخصياً!! «الذي يسمع منكم يسمع مني.» (لو: ١٠: ١٦)

ولكن لا يزال المعنى يحوي كنزاً ثميناً للقارئ، فهنا التدعيم بالشهادة ينصب أساساً على السامع أكثر مما على المتكلم، على الذي يطلب الخلاص وقد فتح قلبه له أكثر مما على الذي فتح فمه ليتكلم عن الخلاص. وهذا في الواقع غنيمة لنا ينبغي أن نضعها في اعتبارنا جداً. فحينما نكرز، فالله سيؤيد الكرازة، ولكن بالأكثر سيدعمها في قلوب السامعين. فالقول الإلهي هنا: «شاهداً الله معهم» أعظم بكثير مما تحمله الكلمات، ويكفي أن نستخلص منها أن الله يرهن نفسه إزاء صدق دعوى الخلاص في قلب السامع.

إن كلمة «شاهداً الله معهم» هي اصطلاح فني شرعي قانوني. وبذلك يبلغ التأكيد الذي قصده كاتب سفر العبرانيين من أهمية وعلو شأن سماع الإنجيل أقصى درجة في تصورنا.

«بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته»:

هذه الآيات والعجائب والقوات المتنوعة التي عملت بيد الكارزين هي هي إمضاء الله وختمه الظاهري الذي تراه العين وتحقق منه لتقول آمين.

علماً بأن الرب كان لا يرى مُستحَبّاً أن يكون الإيمان قائماً على مشاهدة الآيات ورؤية المعجزات، ولكن نعلم أن المسيح أجراها ليس لكي يؤمنوا بالمسيح بل لكي يؤمنوا بأن الله هو الذي أرسله! «فإن لم تؤمنوا بي فأمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه» (يو: ١٠: ٣٨)، ثم يعود ويقطع خط الرجعة عليهم: «إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي» (يو: ١٠: ٣٧). لذلك حرص المسيح على أن يؤكد ويُطمئن قلوب تلاميذه أنه سيستمر يُجري على أيديهم الآيات والعجائب حتى يؤمن الناس أنهم مُرسلون من الرب: «وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة آمين.» (مر: ١٦: ٢٠)

ولكن كما سبق، وقلنا أن شهادة الله التي آزر بها الكارزين لم تقتصر على الكارزين فقط بل كانت بالأكثر لمؤازرة الذين قبلوا الشهادة وقبلوا الخلاص: «وهذه الآيات تتبع المؤمنين (لاحظ هنا «المؤمنين») يُخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بالسنة الجديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.» (مر: ١٦: ١٧ و١٨)

والملاحظ في ترتيب الآيات ثم العجائب ثم القوات المتنوعة ثم مواهب الروح القدس أنها تتبع خط التأثير والتأكيد من الخارج إلى الداخل في القلب.

فالآية: لها خاصية تحطيم خط التفكير التقليدي المتسيطر على الإنسان، مثل أن الميت لا يقوم، فلما أقام المسيح لعازر من الموت تحطمت خرافة أن الموت ذو سلطان لا يُقهر.

والعجائب: لها خاصية تحطيم سلطان الطبيعة القاهر كالسير على الماء.

والقوات المتنوعة: كتفتيح أعين الأعمى المولود هكذا من بطن أمه لها خاصية تحطيم القضاء والقدر.

ومواهب الروح القدس: للإعلان عن الخليقة الجديدة السماوية التي حصلنا عليها بالخلاص.

بهذه الشهادات تثبت الخلاص أنه من الله، وأنه فوق الموت وفوق الطبيعة وفوق كل قضاء

وقدر، وأنه من السماء من الروح القدس لخلق إنسان جديد.

وهكذا تظل شهادة الروح القدس في قلب الإنسان للخلص الذي عمله المسيح حسب مسرة مشيئة الله أبيه هي المعيار الأقوى والقياس المُعلَى الذي يقيس به الإنسان مقدار علو شأن النعمة التي نحن فيها مقيمون. وكفى أن الشهادة التي يشهد بها الإنسان الجديد للخلص الذي حاز عليه هي من الروح القدس، فإله يشهد فينا لِمَا له!

### القسم الثالث من الدفاع الأول (بخصوص تفوق الابن على الملائكة)

قدمنا في القسم الأول (١ : ٥-١٤) شهادة الأسفار لرفعة شأن المسيح فوق الملائكة. وفي القسم الثاني (٢ : ١-٤) قدمنا خطر إهمال استعمال الله لابنه. وها نحن هنا في القسم الثالث نقدم:

### تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه (٢ : ٥-١٨)

وهو كموضوع واحد ينقسم إلى فكرين:

#### الفكر الأول:

أن السلطان الأول الذي أعطاه الله للإنسان ليخضع كل شيء تحت قدميه وبقَدَهُ، استردّه المسيح له (٢ : ٥-٩).

#### الفكر الثاني:

ولكن لكي يحقق الله للإنسان سلطانه الأول الذي فقده بسبب الخطية، كانت الآلام التي قبلها الابن ثمناً لرفع الخطية، الأمر الذي استلزم التجسد، والذي به صار الابن - إلى حين - أقل من الملائكة ولكنه نُوجع بعدها بسابق مجده (٢ : ١٠-١٨).

## الفكر الأول

في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه

(١:٥-٢)

### مضمون الفكر الأول:

- ٥:٢ « فإنه للملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه » .
- ٦:٢ « ولكن شهد واحد في موضع قائلاً: ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابن الإنسان حتى تفتقده » .
- ٧:٢ « وَصَعْتُهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّمْتَهُ وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالٍ يَدِيكَ » .
- ٨:٢ « أَحْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . لِأَنَّهُ إِذْ أَحْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرِكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ . عَلَى أَنَّا الْآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدَ مُخْضَعاً لَهُ » .
- ٩:٢ « وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلَائِكَةِ، يَسُوعُ، نَرَاهُ مَكْتَلماً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ مِنْ أَجْلِ أَلْمِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ الْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ » .

### تقديم:

يستأنف السفر هنا وصفه للمسيح بعد أن تَوَقَّفَ قَلِيلاً فِي الْأَرْبَعِ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي قَدَّمَ فِيهَا نَصِيحَتَهُ أَنْ نَنْتَبِهَ لِهَذَا الْكَلَامِ لِثَلَاثِ نَفَوْتِهِ، لِأَنَّهُ يَخْتَصُّ بِخِلَاصٍ عَظِيمٍ هَذَا مَقْدَارَهُ حَتَّى لَا نَقَعُ فِي الْعُقُوبَةِ الَّتِي تَنْتَاسِبُ مَعَ خَطْوَةِ إِهْمَالِ هَذَا الْخِلَاصِ .

ثم يعود هنا إلى الابن، بعد أن استعلن علو شأنه بما لا يُقَاسُ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَعْرُضُ هَذَا الْعُلُوَّ فِي الْمَجْدِ الَّذِي لِلْأَبْنِ الْمَسْتَوِيِّ عَلَى الْعَرْشِ مَعَ أَبِيهِ، حَيْثُ نَرَاهُ يَتَبَنَّى قَضِيَّةَ الْإِنْسَانِ، الْإِنْسَانِ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقَامَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ يَدِيهِ وَسُلْطَهُ عَلَى الْجَمِيعِ حَتَّى صَارَ الْكُلَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَلَكِنْ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ فَقَدَ الْإِنْسَانُ هَذَا السُّلْطَانَ وَصَارَ الْكُلَّ غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ، حَتَّى تَبَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ قَضِيَّةَ الْإِنْسَانِ، فَتَجَسَّدَ كَابْنٍ لِلْإِنْسَانِ وَصَارَ بِذَلِكَ أَقْلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنْ لَزِمَ قَلِيلٌ، أَكْمَلَ فِيهِ إِخْضَاعَ كُلِّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِحَسَابِ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ بِقَبُولِهِ حُكْمَ الْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ خَطِيئَةِ الْإِنْسَانِ الَّتِي حَمَلَهَا كَرْتِيسُ كَهَنَةِ، وَذَاقَ الْمَوْتَ فِعْلاً، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِغَضَبِهِ أَوْ نَقْمَتِهِ . الْأَمْرُ الَّذِي نَالَ بِسَبَبِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِكْلِيلَ الْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ كَابْنٍ يَجْلِسُ عَنِ يَمِينِ أَبِيهِ فِي الْمَجْدِ .

## الشرح :

٥ : ٢ « فإنه ملائكة لم يُخضع العالم العتيذ الذي نتكلم عنه ».

ما هو العالم العتيذ الذي تكلم عنه هذا السفر سابقاً ؟

العالم العتيذ : οἰκουμένην τὴν μέλλουσαν

هنا تتعدد وجهات نظر العلماء بخصوص هذا العالم العتيذ . فبالرغم من أن الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) تعبّر عن أرض المستقبل orbem terrae futurum ، إلا أن العالم وستكوت يرفض فكرة عالم المستقبل عموماً أو السموات — ولكنه يكتفي بالنظرة إلى أنها تعبّر عن الدهر الآتي<sup>(١٠)</sup> ، وبالنسبة لله تكون هي ملكوت الله<sup>(١١)</sup> أو ملكوت السموات<sup>(١٢)</sup> أو مضمون نتيجة عمل المسيح الخلاصي<sup>(١٣)</sup>.

أما العالم موفات فيرى أنها تعبّر عن الوضع الجديد للأشياء الذي فيه يتحقق الخلاص<sup>(١٤)</sup> والذي نحن ننعم الآن بإنعاماته .

أما العالم أترديج فيرى أنه يعبر عن حقائق العالم الجديد<sup>(١٥)</sup> ، الدهر الآتي الذي عرفنا منه الآيات والعجائب التي تشهد لرسالة الخلاص التي أكملها الرب ، وعموماً هو عالم الأخرويات .

كذلك فالعالم مونتفيور يرى أنه « العالم الآتي » أو « المدينة العتيذة »<sup>(١٦)</sup> . والعالم دونالد جوتري يرى أنه الحياة ما بعد الحياة الحاضرة<sup>(١٧)</sup> أو النظام الجديد الذي أنشأه المسيح الذي بدأنا نعيشه نحن من الآن باعتباره ملكوت الله ، أو ربما هي نهاية هذا الدهر .

أما العالم بارمبي فيرى أنه هو ما سبق وقال عنه سفر العبرانيين « هذه الأيام الأخيرة » مع الاعتبار بأنها تحمل أيضاً مجيء المسيح الثاني<sup>(١٨)</sup> .

10. Westcott, *op. cit.*, p. 40.

11. Ibid.

12. Ibid.

13. Ibid.

14. ICC by Moffat, p. 21.

15. Attridge, p. 70.

16. Montefiore, p. 55.

17. Guthrie, p. 84.

18. J. Barmby in The Pulpit Commentary, p. 45.

وبهذه الأفكار مجتمعة ربما يكون القارىء قد أخذ صورة عامة عن مقصد السفر في قوله: «العالم العتيد».

وبحسب رأينا، ومن مسار حديث السفر عن كيف أن الله أخضع في البداية العالم الأرضي للإنسان لَمَا خلقه واضعاً كل شيء تحت قدميه كما يقول المزمور بإسهاب:

+ « إذ أرى سمواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كوَّنتها،  
فَمَرُّهُ هو الإنسان حتى تذكره أو ابن آدم حتى تفتقده،  
وَتُنْقِصُهُ قليلاً عن الملائكة ومجد وبهاء تكلُّله،  
تَسَلِّطُهُ على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه،  
الغنم والبقر جميعاً وبهائم البَرِّ أيضاً وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبل المياه ... »  
(مز: ٨: ٣-٨)؛

ففي مقابل هذا العالم الأرضي الذي وصفه بعد ذلك بأنه كثوب يبلى ويتغيَّر، يقع هنا «العالم العتيد» الذي هو ميراث «العتيدين أن يرثوا الخلاص»، والذي سبق وأوضح أن دور الملائكة فيه هو للخدمة فقط وليس السيادة أو التدبير.

فواضح أن العالم العتيد الذي كان يملأ فكر الرسول كاتب سفر العبرانيين هو عالم الخلاص الذي فيه الكل مُخَضَّع لصاحب الخلاص. أما حدود هذا العالم فلا تخضع للزمن ولا للمكان، فلا هو مستقبلي من جهة الزمن ولا هو منسوب للعالم الحاضر في شيء، فلا هو بعده ولا هو ضده؛ بل إن العالم العتيد هو بعينه الحياة الأبدية التي كانت مخفية في الآب وأظهرت بظهور المسيح في ملء الزمن، وحيث دور الملائكة هو الخدمة سواء بالنسبة لله أو بالنسبة للمعيَّنين للحياة الأبدية.

ولكن ما كان يملأ فكر الرسول هو التدرُّج والانتقال من إخضاع ما في العالم عند خلقته تحت سيادة الإنسان، ثم إذ دخلت الخطيئة أنهت على سيادته وسلطانه، ثم بتجسد المسيح وموته وقيامته عاد الإنسان - ومن خلال المسيح الذي اتحد ببشريتنا - واسترد سيادته في المسيح، لا على عالم المخلوقات الأرضية بل وعلى العالمين أجمعين، حتى الملائكة أيضاً وكل من في السموات:

+ « مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل



شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي  
يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٨-٢٣)

واضح هنا أن المسيح، ونحن فيه، قد بلغنا إلى هذا الحد الفائت في السلطان على الأرض  
والسما، لأن إخضاع كل شيء تحت قدميه صار له ونحن فيه، هو الرأس ونحن الجسد الذي له.  
هذه العملية العظمى التي نقلت الإنسان هذه النقلة الفائقة من سيادة مفقودة على الأرض إلى  
سيادة مع المسيح وفيه على كل الأرض والسما في شخص يسوع المسيح، هي التي كانت تملأ ذهن  
الرسول وهو يضع المقارنة بين سيادة المسيح على «العالم العتيد» - ونحن معه - بالنسبة  
للملائكة التي لا يزيد دورها فيه عن مجرد خدمة الخلاص والمخلصين.

+ «أستم تعلمون أننا سندين ملائكة.» (١ كور ٦: ٣)

+ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه.» (رؤ ١: ٦)

+ «وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض.» (رؤ ٥: ١٠)

+ «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ... وملكوا مع المسيح ألف سنة ... هؤلاء  
ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه ألف  
سنة.» (رؤ ٢٠: ٤ و٦)

في كل هذه الآيات لا نرى دوراً للملائكة من جهة التملك أو السيادة أو إخضاع أي شيء  
لسلطانهم. بل على النقيض نسمع أن للإنسان سلطاناً أعلى من بعض الملائكة، وأن المسيح هو  
وحده الذي يملك على الكل «وله على ثوبه وعلى فخذه اسمٌ مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب.»  
(رؤ ١٩: ١٦)

٦:٢ «لكن شَهِدَ واحدٌ في موضعٍ قائلاً: ما هو الإنسان حتى تذكره أو ابنُ الإنسان حتى  
تفتقدَهُ.»

إن عدم ذكر هذا الشاهد مع أنه معروف جداً وأنه لداود النبي في المزمور الثامن، وهو المزمور  
الأساسي الذي اختاره سفر العبرانيين كمرجع لمعظم تحقيقات هذا القسم، يوضح لنا أن كاتب  
السفر إنما هو مشغول بالأسلوب الوعظي أكثر منه بالبحث والتدقيق الكتابي. وهذا يزداد وضوحاً  
عندما نعرف أنه قلماً أورد آية بنصّها، فكان يذكر الآية من الذاكرة دون الرجوع إليها في موضعها،  
على أنه كان يضع في الاعتبار دراية هؤلاء العبرانيين وتمرسهم في معرفة هذه الآيات في مواضعها،

وهو ما يبدو لنا غريباً نوعاً ما وذلك يرجع إلى عدم إتقاننا حفظ كلمة الله، خاصة المزامير، والتي كانوا يتلونونها عن ظهر قلب.

والغريب أيضاً أن كل الربيين لم يعتبروا هذا المزمور أنه يحمل إشارات ماسيانية وإنما هو قطعة تسبيح لله تبدأ بعظم جلاله في خلقته السموات وخلقته للقمر والشمس والنجوم في أفلاكها، ثم يعود ويقارن ذلك بحقارة الإنسان وأنه ليس كفوفاً أن يعتبره أو يذكره. ولكن كاتب سفر العبرانيين يلتقط هذا، ويعوّض أن يكون الإنسان أو ابن الإنسان هكذا متواضعاً بالنسبة لعظمة الله وغير مستحق أن يكون له اعتبار لدى الله، يراه، ومن مستوى النبوة وروحها التي كتب بها داود، أن هذا الإنسان أو بالحري ابن الإنسان هو الرب يسوع، ويعوّض الاتضاع يراه متنازلاً، وبدل الافتقاد الذي افتقد به الله الإنسان كونه سيداً على الأرض التي خلّق، يصبح هذا افتقاداً فيه السيادة على كل الخليفة في الأرض والسماء جميعاً، إذ هو ليس ابن إنسان فحسب بل هو ابن الله الذي تجسّد.

«تذكره، تفتقده»: μμνήσκῃ, ἐπισκέπτῃ

يستكشر داود على الله العظيم خالق السماء والأرض والنجوم والأفلاك في سموها أن يضع الإنسان في فكره ويذكره؛ بل ويزيد على كونه يتذكر الإنسان بأن يفتقده أيضاً، هنا التذكّار فعل فكري والافتقاد عمل شخصي، حيث الافتكار أو التذكّار ارتباط من على بعد، والافتقاد أو العيادة ارتباط على القُرب. ولكن كلا العملين النظري والعمل يغطيان ألفة فريدة من نوعها بين الله العظيم والإنسان المتواضع ويهدفان إلى تقريب الإنسان من العزة الإلهية، كل ذلك من طرف واحد وهو الله. الأمر الذي لم تحظ به خليفة أخرى إن في السماء أو في الأرض طراً. وهنا موضع تعجّب كاتب المزمور ورفعته إلى مستوى تسبيح وشكر يدوم.

أما فيما يخص داود النبي فتسبيحه وشكره لعظمة الله يقوم أساساً على كون الله أخضع تحت قدمي الإنسان الطيور والدواب والأسماك السالكة في مسالك البحار. أما كاتب سفر العبرانيين فرأى ومن واقع الحال أن التسبيح والشكر الحقيقي لله يقوم على أساس تذكّر الله للإنسان حال سقوطه، فلم يتخلّ عنه بل جاء شخصياً ليعود الإنسان أي يفتقده ويطيّب جراحه.

٧:٢ «وضعتُه قليلاً عن الملائكة، بمجدٍ وكرامةٍ كللته وأقمته على أعمالٍ يدبك».

هنا داود يتكلّم بالرؤيا والروح عن الإنسان المخلوق، الذي يبدو في مظهره وجوهه بائساً وشقيماً

في دنياه المخلوقة له. ولكن لا يزال الإلهام يلعب في فكر داود ليرى في الإنسان ما لا يرى، فهو يحمل كياناً سرّياً عالياً وخطيراً، وإن كانت الخطيئة قد لَوّثته، أما صورته التي خلقه الله عليها لتحاكي صورته، وإن كانت قد تمزقت هكذا بالتعدّي والبُعد عن الأصل والمصدر الذي يفتنّذ به ويتشكّل، إلّا أنه، أي الإنسان، لا يزال يحمل عنصر الخلود وظلّ الصورة الإلهية خلف واقعه المر.

ولكن لا تكتفي النبوة بالوقوف على واقع الإنسان في دنياه يشقى فيها وتشقى به، إذ يمتد الروح وتمتد الرؤيا لتري في الإنسان، أو بالحري في ابن الإنسان، الصورة النهائية عبر الأزمنة، الصورة الأخروية حيث تُستعلن طبيعة الإنسان مرة أخرى لا في واقعها الدنيوي المرّبل في واقعها الأخروي الإلهي في دائرة مشيئة الله الذي «اختارنا فيه (المسيح يسوع) قبل تأسيس العالم لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤)

«وضعتة قليلاً عن الملائكة»:

«وضعتة قليلاً» ἡλάττωσας βραχύ وترجمتها الصحيحة «جعلته أقل قليلاً»، وقد تجاوزت الترجمة العربية في حذف أقل حيث الأقل قليلاً لا تفيد الزمن بل الدرجة<sup>(١٩)</sup>. أما القياس الذي قيست عليه درجته فهنا يذكر المزمور الملائكة، ولكن القياس في النص العبري هو «إلوهيم» = «آلهة»<sup>(٢٠)</sup>، بما يُفهم من ذلك أن درجته وُضعت أقل قليلاً من طبيعة لاهوتية. وقد ترجمها جيروم بالكلمة اللاتينية: a deo (= من إله)، وكذلك السريانية<sup>(٢١)</sup>. وهذا المفهوم نراه معروضاً بصورة ما في هذه القصة:

+ «فقالت المرأة: مَنْ أصدك لك؟ فقال: أصدني لي صموئيل (وكان قد مات). فلما رأته المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم وكلمت المرأة شاول (الملك) قائلة: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ فقال لها الملك لا تخافي. فماذا رأيت؟ فقالت المرأة لشاول: رأيت آلهة يصعدون من الأرض، فقال لها: ما هي صورته، فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مُغظى بجبة. فعلم شاول أنه صموئيل فخرَّ على وجهه إلى الأرض وسجد.» (١ صم ٢٨:

١١-١٤)

19. Westcott, *op. cit.*, p. 44; The Pulpit Commentary, vol. 21, *Heb.*, p. 46.

20. *Ibid.*

21. *Ibid.*

ولكن السبعينية خفت من ثقلها وجعلتها «أقل من الملائكة». لذلك فهنا تنصبُ النبوة على المسيح وليس على الإنسان البسيط، حيث أن تجسّد المسيح صيِّره إنساناً في صورة أقل شكلاً من الملائكة وهو في حقيقته الله «الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦). إذأ، فهذا مزمو ماسياني بالدرجة الأولى، وعلى هذا الاعتبار اتخذهُ كاتب السفر للتدليل على سمو المسيح.

وقد كشف كاتب السفر بمنتهى الوضوح في الآية التالية عما يراه بخصوص العلة التي جعلته «أقل من الملائكة قليلاً»، وهي الموت الذي جازه المسيح. على أن سبب الانخفاض في مستوى الدرجة سنراه كيف أصبح هو بعينه سبب الكرامة والمجد اللذين استعلنا له جزءاً وفقاً لاتضاعه وطاعته، وذلك لأخذه دور «الأقل قليلاً» ليرتفع بالمجد والكرامة فوق الملائكة وكل خلق السماء ظُراً. إذأ، فوضّع درجة المسيح أقل قليلاً من الملائكة كان في حقيقة الأمر هو «الدور» الذي قام به المسيح بلبس الجسد وتقديم نفسه ذبيحة خلاص، الأمر الذي لا يجوز لملاك أن يأتيه بل ولا يستطيع.

«بمجد وكرامة كلَّته وأقمته على أعمال يديك»:

داود النسبي لا يزال مشغولاً بالإنسان في واقع حاله كونه مخلوقاً على صورة الله أصلاً، فهو وإن زكَّ وعصى وتعدّى الوصية إلا أنه بقي هو هو في صورة الله. وأما المجد الذي يراه داود مع الكرامة التي للإنسان فهذان متأصلان في النبوات على مستوى الرؤية الأخروية للإنسان، قالها داود وهو يرى ما لا يُرى وقد انطلق بروحه ليرى ما سيكون وما خبأه الله للإنسان يوم يفوز برضاه وينعم ببره بعد نوال الفداء وقبول المصالحة والتبني، اسمعه وهو يصف الله وسط مختاربه من بني البشر:

+ «الله قائم في مجمع الله. في وسط الآلهة يقضي !!!، ... أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم». (مز ٨٢: ١ و٦)

واعلم أيها القارئ العزيز أن الوجي هنا يتكلم بغاية الوضوح والإتقان عن الإنسان وهو لا بس حلة المعمودية وفي يده بطاقة العرس ومدعو للوليمة ... وإلأ فاسمع المسيح نفسه يقرر ذلك ويوثق:

+ «أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم (مز ٨٢) - أنا قلت إنكم آلهة - إن قال آلهة لأؤلئك الذين صارت إليهم كلمة الله (الإنجيل والخلاص) ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدّف لأنني قلت إنني ابن الله». (يو ١٠: ٣٤-٣٦)

وحينئذ، وقد أخذوا هذا الوصف «إنكم آلهة»، يكمل هذه الفكرة مزمو آخر، إذ وهم

«أبناء العلي» أصبح عليهم تقديم المجد والكرامة والعزة والسجود:

+ «قَدِّمُوا لِلربِّ يَا أَبْنَاءَ اللَّهِ، قَدِّمُوا لِلربِّ مَجْدًا وَعِزًّا، قَدِّمُوا لِلربِّ مَجْدَ اسْمِهِ، اسْجُدُوا لِلربِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ.» (مز ٢٩: ٢١)

حيث إكليل المجد والكرامة مقدّم هنا للرب يسوع المسيح، الذي قال له الآب علناً رداً على طلبه «مَجْدَنِي»: «مَجَّدت وأمَجَّد أيضاً» (يو ١٢: ٢٨). وهكذا نال المسيح إكليل المجد والكرامة لحساب الإنسان المُقَدَّى.

ويعوزنا الوقت وتعوزنا القدرة على الخوض في استعلان ما قد صار إليه الإنسان في المسيح يسوع، بعد أن نلنا التبني لله وصرنا بحسب قول بطرس الرسول: «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ١: ٤)، وبحسب بولس الرسول: تمتد عبر النعمة وفعالية الروح القدس إلى أن نصل «إلى قياس قامه ملء المسيح» (أف ٤: ١٣)، هذا الإنسان الجديد العجيب والمتعجب منه «المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤)، و«الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣: ١٠)

فإن كان داود النبي محسوراً في هيئة الإنسان عامة بحسب الواقع المؤلم المسيطر على ذهنه الجسدي، إلا أن روحه كانت تؤاخي الإنسان الجديد الذي يشبه الآلهة عن حق: «الحق الحق أقول لكم مَنْ يُؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها.» (يو ١٤: ١٢)

ويا لتصور فكرنا ويا لمحدودية رؤيتنا فيما سيؤول إليه الإنسان الجديد هناك، هناك عندما نكون حيث المسيح كائن، ونكون معه ونراه كما هو: «فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٤). هذه كانت تعزية بولس الرسول:

+ «الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله، أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية» (رو ٢: ٦-٨)،  
 + «مجد وكرامة وسلام لكل مَنْ يفعل الصلاح...» (رو ٢: ١٠)،  
 + «الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢١)

وهي بعينها رؤية بطرس الرسول من جهة إنسان الإيمان:

+ «لكي تكون ترقية إيمانكم — وهي أتمن من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار — توجد

للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح. « (١ بط ١: ٧)

وهكذا وبوضوح يكون الإنسان في المسيح قد تكلم يوم تكلم المسيح بالمجد والكرامة:

+ « إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح وبمجيشه، بل قد كنا مُعانيين عظمته لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررتُ به. » (١ بط ١: ١٦ و١٧)

+ « ونظرتُ وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الحروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. » (رؤ ٥: ١١ و١٢)

٨:٢ « أخضعت كل شيء تحت قدميه. لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئاً غير خاضع له، على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له. »

هنا مواجهة واضحة بين الإنسان، عندما خلقه الله بطبيعة نبيلة وسامية فوق الطبائع الأخرى حتى أنه لم ينقص في درجته - بحسب المزمور - إلا قليلاً عن الدرجة الإلهية أو تجاوزاً عن الملائكة، وبين العالم والمخلوقات التي فيه، إذ أن الله أخضع كل شيء تحت قدميه ولم يترك شيئاً غير خاضع له. هذا بحسب مشيئة الله وحسب واقع الخلق الأولى.

ولكن يعود سفر العبرانيين وينظر إلى الإنسان في واقعه الحالي، فيجد أنه ليس الكل مُخضعاً له، وذلك بسبب تعديهِ وصية الله وسقوطه عن النعمة التي كانت هي السبب الأساسي في هيئته ورهبته لدى كافة المخلوقات، وسبب استنارة وعيه لإدراك عوائص الأمور، وقوة روحه وسلطانه في مواجهة الطبيعة وإخضاع كل قوانينها بل وفي قدرته على الإبداع. كل ذلك فقدته بفقدان النعمة، فبدل أن كان الكل خاضعاً له صار هو، ويا للحرز والأسى، خاضعاً لكل هذه وبالكاد يفلت من سطوتها.

وهنا يرتفع كاتب السفر إلى أوج الرؤية النبوية، وإنما من حكم الواقع، ويكمل في العهد الجديد بالوحي، الوحي الذي أملى المزمور في العهد القديم مجدداً حتمية حدوث طفرة في طبيعة الإنسان لرفع درجته لإعادة سيادته وسلطانه، ليس على طبائع العالم المخلوق وحسب بل والعالم العتيد أيضاً (٥: ٢). هذه الطفرة لا بد أن تُزال من أمامها الخطية التي أوقعت الإنسان من مجد كرامته بل وطردته من أمام حضرة الله، ويلزم له أن يتخلص من عار عصيانه ومن حكم الموت

الذي أصابه حتى يسترد سابق درجة مجده: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي قد أعطيتني» (يو١٧:٢٢)، ويسترد سابق مجد طبيعته: «الذي سيغيّر شكل جسده تواضعنا ليكون على صورة جسده مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣:٢١)

وهكذا أدخَلنا كاتب السفر في صميم عمل الفداء وآلام الصليب، لابن الإنسان الذي تبيّن قضية الإنسان ليعيده إلى درجته الأولى وأكثر حيث يخضع الكل له، ليس في الدهر الحاضر بل والآتي أيضاً في شخص ربنا يسوع المسيح.

٩:٢ «ولكنّ الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مُكْتَلَباً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كلّ واحد».

هنا الإبداع الحقيقي لهذا الرسول الملهّم، إذ ربط بين المزموّر الذي انحصر فيما للإنسان بصورته العامة وحسب، وتوقف عند «الكل غير مُخضع له»، وبين الإنسان يسوع المسيح في صورته الفدائية التي أكملت ما كان أصلاً للإنسان من سيادة وسلطان ومجد، كمشيئة الله الأولى من خلقته وأكثر، الأمر الذي «تشتهي الملائكة أن تطلع عليه» (١ بط ١: ١٢)، الذي هو سر المسيح الفادي، إذ أعطى للإنسان المجد الذي له بل وسقاه وغذاه من سر طبيعته الإلهية ليكون شريكاً فيها، بل ومنحه صك شركة في ميراث بنوّه لله فصار الإنسان ابناً عوض أن كان عبداً، ووارثاً لله ومُلك السماء عوض أن كان عبد المتسلطين.

ولقد عبّر الرسول على التجسّد دون أن يشير إليه إلّا بقوله: «ولكن الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة» حيث جمع البشرية كلها في شخص يسوع، وفي شخص يسوع جمع كل النقص وسببه الذي أحفظ بالإنسان دون درجة الملائكة. وهكذا أظهر الرسول شخص يسوع المسيح ممثلاً للبشرية كلها في نقصانها من كل الوجوه وتدنيها عن درجة الملائكة، لا كقائد يقود الإنسان ككل، ولا كبطل يدافع عن الإنسان، ولكن — كما سنرى — كرئيس كهنة يحمل في جسده الفدية، ويعالج النقص والتعدي بذبيحة نفسه، ويرفع العار عن الإنسان بصليبه، ويخلص الإنسان من لعنة الموت، ويرفعه مكلّلاً بالمجد إلى السموات بقيامته من الأموات. وهكذا صار بالمسيح يسوع — ويا للعجب العجيب — أن كُتِلَّ الإنسان بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت الذي ذاقه الإنسان الواحد يسوع المسيح، الواحد من أجل الكل، فالكل ذاقوه، وذلك لا كنعمة من الله أو عقاب بعد، بل بالحب الغامر والنعمة لأجل كل واحد.

هكذا استطاع هذا الرسول بعمق الإلهام الذي فيه أن يعبرَ بالبشرية كلها من خلال الرب يسوع المسيح وفيه من درجة نقصانه الأقل قليلاً عن الملائكة، بسبب كثافة الجسد وسقطة الخطية، ذلك إن وضعنا الإنسان الساقط في الحسبان، وبسبب آلام الموت وعار الصليب إن كان يسوع المسيح ابن الإنسان هو الذي في الحسبان، ليتخلص الإنسان من هذه وتلك بالقيامة من الأموات مكللاً بالمجد والكرامة لا فوق الملائكة وحسب بل وفوق العالمين! إذ صار ابن الإنسان، والإنسان فيه، جالساً في السموات عن يمين الله.

وبهذه الآية الواحدة استطاع أن يجمع رسول سفر العبرانيين كل اللاهوت المسيحي في مقولة واحدة، حيث احتوى الخطية والغفران في مفهوم الغداء، كما احتوى الموت والقيامة في مفهوم النعمة والمجد، واحتوى الكنيسة في مفهوم سر احتواء الواحد للكل، واحتوى سر الخلاص كله في مفهوم النعمة الفائضة من الله داخل ذوق الموت وآلامه. ولعلها أول مرة نواجه مثل هذا الزخم اللاهوتي المركّز للغاية الذي فيه يخرج الرسول من الإنسان إلى المسيح، ثم يدخل بالمسيح إلى الإنسان، فنرى الإنسان في المسيح والمسيح في الإنسان وحدة عجيبة، فيها النقص كل النقص والكمال كل الكمال، فيها ألم الموت وفيها إكليل المجد، فيها فقدان السلطان على الأرضيات وفيها كل سلطان مما في السموات وعلى الأرض.

إن الإنسان يكاد يُذهل من هذا الخلط الإبداعي الذي يجمع المتناقضات فإذا هي الانسجام في أكمل وجهاته، يجمع ما للإنسان وما لله، فلا يفنى ما للإنسان أو يحترق ولا ينقص ما لله أو يتدنس، فالكل يدخل الناقص فيصير إلى كمال، والله يغشي الإنسان فيسمو الإنسان فوق نفسه وفوق طبيعته ويصير فيما لله: «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١ كو ١٢: ٢٧)، «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠)، أولاد الله وأهل بيت الله، خاصته المفتداه الوارثة كل ما لله.

«الرؤية والنظر» بين الآية (٨) والآية (٩):

تعليق للعالم وستكوت (٢٢):

الآية (٨): «لسنا نرى الكل بعد مُخضعاً له» = ὁρῶμεν

الآية (٩): «يسوع نراه مكللاً بالمجد» = βλέπομεν



ليس جزافاً أن يعطي الرسول كلمة يونانية خاصة تعبّر عن الرؤية الأولى وأخرى تعبّر عن الرؤية الثانية:

- + ففي «لسنا نرى الكل بعد مخصّماً له»، هنا الرؤية تعني النظر أو المشاهدة بصورة دائمة ومستمرة، فالنقص الذي يعاينه الإنسان واضح ودائم ومستمر.
- + أما في الثانية: «يسوع نراه مكللاً بالمجد» هي تعبير عن هبة الرؤية التي تلمح الحقيقة مرة واحدة لتبقى حقيقة.

هنا لا يسعنا إلا الإعجاب بدقة الكاتب وروعة اللغة اليونانية في التعبير عن الحقائق.

أما الأمثلة التطبيقية فواجبة لكي ندرك عمق الفارق. ففي الرؤية الأولى وهي النظرة الدائمة والمستمرة على الدوام يعطي العالم وستكوت المثل الآتي:

- + «بالإيمان ترك (موسى) مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدد كأنه يرى = ὁρῶν ها لا يرى». (عب ١١: ٢٧)

هنا الرؤية الروحية عملية مستمرة داخل قلبه بصورة عامة.

أما الرؤية الثانية التي تعبّر عن هبة الرؤيا بحد ذاتها في وضع خاص منفرد:

- + «وفي الغد نظر βλέπει يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: هوذا حَمَلُ الله الذي يرفع خطية العالم». (يو ١: ٢٩)

هنا النظرة نظرة كاشفة خاطفة.

وهكذا يُسلّحنا هذا العالم اللغوي بمعرفة دقيقة عن قول الرسالة: «لسنا نرى الكل بعد مُخصّماً له»، أي الرؤية الداخلية المستمرة، نعايشها ونعيشها بواقع مؤلم ينتظر الخلاص.

«لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد»:

واضح هنا غاية الوضوح عملية الفداء العظيم لأجل العالم كله: «كل واحد». كما أنه واضح أيضاً وبغاية الوضوح أن موت المسيح لم يكن غضباً أو عقاباً أو جزاءً يستحقه، بل «بنعمة الله» ذاق الموت. أي لم يكن الموت مصدره توقيع عقوبة من الآب على المسيح عوضاً عن الخطاة كما يفهمها كثيرون، بل كان دافعها الحب والمحبة تعمل بالنعمة. فهو قيل أن يدخل الموت بمسرة مشيئته وحسب مسرة مشيئة الآب بدافع المحبة، محبة الآب للعالم ومحبة الآب للمسيح الابن الذي «بذله لأجلنا أجمعين» (رو ٨: ٣٢)، ثم محبة المسيح للآب ومحبة المسيح لكل الخطاة الذين أولهم أنا

كما يقول القديس بولس! «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)، «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يوه ١٥: ١٣). «فنعمة الله» خطت لموت الابن، «ونعمة الله» رافقت الابن على الصليب، «ونعمة الله» كانت هي قوة القيامة من بين الأموات؛ ولكن «نعمة الله» لم تخفف ألم الموت ولا هي رَفَعَت قسوته ورعبته وعمقه وحتميته حتى التراب.

فللأسف بدا لبعض الشراح، حتى العظام منهم، أن كلمة «ذاق» كلمة مخفية لحقيقة الموت فوصفوها وصفاً أخرج معنى الموت من عمقه وسطوته وشموله حينما قالوا: [ كما أن الطبيب لا يحتاج إلى أن يذوق الطعام الذي يحضره للمريض، ولكن من واقع العناية به يذوقه أولاً بنفسه حتى يقنع المريض ويجعله يثق بالطعام، هكذا ولأن كل الناس كانوا يخافون الموت فلكي يقنعهم حتى يتشجعوا قبالة الموت، ذاقه هو أيضاً بنفسه مع أنه كان في غير حاجة لذلك ].

ولكن الحقيقة أنه ذاق الموت متمعداً الموت ذاته، ومُنْقَضاً عليه كعدو، وهو عدو الإنسان كافة وعمامة وهو الموت ومن له سلطان الموت أي إبليس، فقد نزل الابن خصيصاً من السماء ليصارعه ويصرعه في هذه المعركة المهولة التي وقفت الدهور كلها ترقبها، وترقبها كل الأجيال. ثم هولم يذُقه لنفسه، ولا ليقنعنا أن نذوقه، كما هو ذاقه، بل ذاقه مرة واحدة من أجلنا جميعاً ومن أجل كل واحد ونحن فيه، ففي بشرته كنا كلنا قائمين فذُقنا الموت لمَّا ذاقه، لأنه لمَّا ذاقه كنا فيه. أما موتنا الآن فهو غير موجود، فعلى مَ نتشجع تجاه الموت والموت صريع تحت أقدامه وأقدامنا؟

+ «مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ.» (يوه ١١: ٢٦)

+ «أَيْنَ شَوْكَتِكَ يَا مَوْتَ، أَي غَلْبَتِكَ يَا هَاوِيَةَ.» (١ كو ١٥: ٥٥)

+ «بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية.»

(لحن يُقال في دورة عيد القيامة والخمسين المقدسة).

أما موت الجسد فيشاركنا فيه كل حيوان الأرض فعلى مَ تكون الشجاعة؟ بل وبسبب أنه رفع من الموت (الأبدي) غُصَّته القاتلة ورُعبته كعقوبة أبدية شملت كل كياننا الآدمي، كما رفع منه الآلام النفسية المرعبة التي كانت تواجه الجحيم وصاحب مفاتيح الجحيم، نقول: لأن المسيح رفع من الموت الأبدي كل رعبته صرنا في المعمودية نجوزه فرحين مهللين وكأنه المجد بعينه ومعه إكليل الخلاص: «وعلى رؤوسهم فرح أبدي.» (إش ٥١: ١١)

ويلزمنا هنا أن نحذّر من أن نعتبر الموت الذي مات به المسيح مجرد موت جسدي، يخلو من اللعنة

التي حلت على آدم وبنيه بسبب الخطية، بل إنه «صار لعنة لأجلنا» (غل ٣: ١٣)، وذاق الحرمان عينه الذي كان يعانيه آدم وبنوه: «إلهي إلهي لماذا تركتني.» (مت ٢٧: ٤٦)

«لأجل كل واحد»: ὑπὲρ παντός

هنا هبة الموت التي أعطانا ابن الله أن نجوزها معه في بشرته التي حملتنا فيها كلنا واحداً واحداً هي، بجوار أنها عمل عام، فهي أيضاً عمل يخص كل واحد بمفرده. لذلك حينما نعتمد، فنحن لا نعتمد جماعات جماعات ولكن فرداً فرداً كل واحد في دوره، ليأخذ كل واحد شركته الخاصة في موت المسيح الذي مات به كل واحد فيه. كذلك هذا التفرد عينه الذي ننال في المعمودية بالموت والدفن والقيامة معه كل واحد في دوره هو الذي يعطينا ويهيئنا لنوال كل واحد منا عطية الله كما قسم الله لكل واحد من إيمان، فنصير أعضاء متميزة في جسده، كل عضو بمفرده يعمل على قدر ما وهب من نعمة والكل يعملون معاً مرتفقين أعضاء بعضها ببعض ولبعض. فالكثيسة أخذت أول ما أخذت كيائها، أخذته من المسيح وهو على الصليب وفي القبر ثم بالقيامة، فبشرية المسيح العامة والحاملة كل واحد هي أصل الصورة الحية للكثيسة ونحن نوقّعها عملياً في المعمودية والإفخارستيا فيأخذ كل واحد منا نصيبه في بشرية المسيح كل باسمه.

لذلك فبقول السفر هنا: «لأجل كل واحد» يكون قد شكّل جسد المسيح والكثيسة، منجماً، وكأفراد. فإذا أمعنا النظر في هذه المقولة المشحونة بالمعاني الإلهية، لا يسعنا إلا أن نعترف ونمجّد هذه النعمة الفائقة التي جمعنا في المسيح مائتاً ومقماً، لهذا سبق ووصفها بالنعمة وهذا حق كل الحق: «لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد»، هكذا صار أننا نحن أيضاً وكل واحد فينا ذاق، بذوق بشرية المسيح، نعمة الله في هذا الموت المملوء نعمة.

وهكذا تحوّل نقصان المسيح قليلاً عن الملائكة بسبب الموت الذي ذاقه إلى نعمة لنا فيه، فمن داخل لعنة الموت وعار الصليب بالآمه استعلن مجد القيامة وقوة الخلاص والحرية والتبني والحياة الأبدية والسلطان الكامل في السماء والأرض: «فتقدّم يسوع وكلّمهم قائلاً: دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت ٢٨: ١٨ و١٩)

كذلك من قوله: «لأجل كل واحد» يكون الخلاص فردياً والدخول إلى السماء فردياً، فطريق الحياة الأبدية لا يسع اثنين معاً فهو ضيق للغاية، كذلك الباب:  
+ «لأن كل واحد يُملح بنار وكل ذبيحة تُملح بملح» (مر ٩: ٤٩). هذا ملح التجارب.

+ «ومن ذلك الوقت يُسَّرْ بملكوته الله وكل واحد يغتضب نفسه إليه» (لوقا: ١٦: ١٦). وهذا عمل التوبة:

كذلك يلاحظ القارىء أنه لم يقل «عن كل واحد» بل «لأجل *ὕπερ* كل واحد» (\*). وهذا أمر خطير في مفهوم الفداء، فالمسيح لم يميت عني بل مات لأجلي، لأنه لم يميت وحده بل أنا وأنست مُتتا معه: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)، وموته الغالي جداً هو موتي، ولا أزال مُطالباً أن أمارس موتته كل يوم، وإذا لم أمت مع كل يوم «من أجلك نِمت كل النهار» (روا: ٣٦: ٨). يعتبر موته بلا فائدة وحياتي بلا ثمر.

وفي هذه المقولة أيضاً: «يذوق بتعمة الله الموت لأجل كل واحد» يحتزن لنا الروح علاقة فردية مع المسيح فريدة من نوعها، فهو فداء ذاتي وخلاص شخصي يقدمه المسيح غربونك محبة معك ومعني، لئلا أدركته بولس الرسول اعتبره أعظم نعمة وهديّة من المسيح له شخصياً: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)، نفذت إلى أعماق نفسه فاستعبد نفسه للمسيح وصار يفتخر بهذه العبودية كل حياته، يذكرها أول ما يذكر في كل رسائله: «بولس عبد يسوع المسيح»! (روا: ١: ١؛ في ١: ١؛ تتي ١: ١) كما صار يفتخر بهذا الموت ويرى فيه، لا علاقة مؤدّة وخب وعبودية وحسب، بل وغربون علاقة ثقة ورجاء لا يُحد: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في ٤: ١٣)

ونودُّ أن يشعر القارىء بالفارق الهائل بين أن يحس أن خلاصه هو عمل عام يناله بالسؤال والإيمان والاجتهاد، وبين أن يحس أن خلاصه عمل شخصي مُهدى بالمحبة له من المسيح شخصياً وذاتياً كلفه سفك دمه على ذمته بالاسم، مودع لحسابه هنا ومحفوظ له في السموات لا يتدنس ولا يضمحل، كخاتم عرس منقوش عليه اسمه بالكامل يلبسه هنا كعربون في يده اليمنى وهناك في السيد اليسرى كاتحاد سري إلى الأبد: «لإني أغار عليكم غيرة الله لأنني خلقتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢ كو ١١: ٢)

(\*) لمعرفة الفرق بين «عن كل واحد» و «لأجل كل واحد»، يمكن القارىء الرجوع إلى كتاب: «القديس بولس الرسول، حياته. لاهوت. أعماله»، للمؤلف، ص ٢٨٥-٢٨٩.

## الفكر الثاني

في تدبير الله لمستقبل الإنسان بتأليم ابنه

[ ١٨-١٠:٢ ]

لكي يحقق الله للإنسان سلطانه الأول الذي فقده بسبب الخطية، فكانت الآلام التي كان يجب أن يقبلها الابن ثمناً لرفع الخطية، مما استلزم التجسد الذي أنقص درجة الابن عن الملائكة قليلاً، وبعدها تُوجَّح بسابق إكليل مجده الذي له.

هذا العنوان أعلاه يمكن أن نجعله على خطوات ليتضح أمامنا أكثر، فهو تمَّ على درجات متوالية وذلك من واقع ترتيب الآيات.

الخطوة الأولى: علاقة ابن الله بالأبناء الذين سبق وعيَّنتهم لميراث المجد (٢: ١٠-١٣).

وذلك من واقع أنه هو الابن الوحيد، وهم نالوا التبني فصاروا أبناء الله بالنعمة.

الخطوة الثانية: أن التجسد جمعها معاً: ابن الله الوحيد، وهم كبشر (٢: ١٤-١٦).

الخطوة الثالثة: لماذا التجسد جاء كضرورة حتمية لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا (٢: ١٧ و١٨).

## الخطوة الأولى

علاقة ابن الله بالأبناء الذين سبق فعَيَّنتهم لميراث المجد

(٢: ١٠-١٣)

١٠:٢ «لأنه لاقَ بذلك الذي من أجله الكل وبه الكل، وهو آيت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكتمل رئيس خلاصهم بالآلام».

١١:٢ «لأن المقدس والمقدس جميعهم من واحد (الله)، فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة».

١٢:٢ «قائلاً أخير باسمك إخوتي، وفي وسط الكنيسة أسبحك».

١٣:٢ «وأيضاً أنا أكون متوكلاً عليه. وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله».

في هذه الآيات يُعقَّب السفر على ما سبق قوله بخصوص دخول المسيح الابن في ألم الموت. فكُونُ المسيا يتألم ويُصلب ويموت، فهذه أمور مرعبة بالنسبة للرجل اليهودي، وقد سمعنا أحد التلاميذ، وهو بطرس، يرد بسرعة وحماس وعقيدة على ما قاله المسيح مرة إن ابن الإنسان ينبغي أن يُصلب ويموت، فبادره بطرس: «حاشاك يا رب»!! (مت ١٦: ٢٢). ومرة أخرى يرد الجموع على قول المسيح أنه: «إن ارتفعت عن الأرض أُجذبُ إليَّ الجميع، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمناً أن يموت، فأجابه الجمع: نحن سمعنا من التاموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان» (يو ١٢: ٣٢-٣٤). فالآن وبعد أن ذكر السفر أن المسيح ذاق الموت وعَبَّرَ الآمه، أصبح من المحتم أن يعطي شرحاً وتوضيحاً لماذا يموت المسيا ويتألم مع أن هذا يخالف لكل توقعات اليهود!

١٠: ٢ «لأنه لاقَ بذلك الذي من أجله الكُلُّ وبه الكُلُّ، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد أن يُكَمِّلَ رئيسَ خلاصهم بالآلام».

#### ملاحظة هامة:

من بدء هذه الآية نعتقد أن الرسول بولس يبدأ يصف هنا العلائق التي سبق المسيح وأدركها قبل التجسد وارتضى بها أولاً. والقديس بولس يتدرج في سرد هذه العلائق حتى يأتي إلى نقطة التجسد، تماماً كما صنع القديس يوحنا في بداية إنجيله، حيث وصف الابن قبل التجسد وأحاط بمؤهلاته وأعماله ثم انتهى إلى القول: «والكلمة صار جسداً» (يو ١: ١٤)، هكذا نرى هنا هذا التدرج حيث يتدبىء بتدبير الآب كونه راغباً في إتيان أبناء كثيرين إلى المجد، فرأى أنه يلزم أن يتكامل رئيس خلاصهم بالآلام. أما الابن فلم يستج أن يأتي إلى الأرض ويلبس جسداً كجسد هؤلاء الأبناء المطلوب رفعهم إلى المجد وبالتالي يدعوهم إخوة له، لأنهم سُدْعُونَ للشركة معه في ذات بنوئته وميراثه للآب. كذلك تجددت أمامه معالم الإنجيل أي البشارة باسم الآب بين هؤلاء «الإخوة». ثم كيف أنه سيكون محور العبادة «في وسط الكنيسة»؟ وكيف ستكون كل أعماله وأقواله معتمدة على ما يقوله ويعمله الآب «أكون متوكلاً عليه»؟ وبالنهاية سيخرج الابن ومعه هؤلاء «الأبناء» المدعوون إلى المجد في هيئة كنيسة هو قلبها ورأسها: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢: ١٣). وإلى هنا تنتهي المقدمة، ثم يبدأ الكلام عن التجسد هكذا: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما»!! لذلك لزم التنبيه.

«لأنه لاقَ»: ἔπρεπεν γάρ

حرف «لأن» يرد مباشرة على آخر ما قيل وهو أن «يسوع نراه مكلِّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

ثم يعطي السبب مباشرة: لأن هذا الموت الذي ذاقه المسيح لأجل كل واحد هو أمر يليق بالله. وكلمة «لاقَ» في وضعها الماضي تفيد منتهى المناسبة والواجب والأصول معاً وكلها منسوبة لله، لا كأننا دخلنا في أصول تفكير الله أو معرفة تدييره، ولكن هذا انضح من النتائج التي تنطق بأن ما عمله الله في تأليم ابنه من أجل كل واحد هو عمل لائق جداً بعظمة الله وسعة قلبه ورحمته بل ومناسب غاية المناسبة لأبوته الخانية، لأن ما حصلنا عليه من خلاص ومصالحة وسلام وقداسة وبر وتبني، هذه كلها تشهد لمنتهى فطنة الله وحكمته التي تفوق الحد:

+ «إذ سبق فعَيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب (يسوع) الذي فيه لنا الغداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التي أجزأها لنا بكل حكمة وفطنة.» (أف ١: ٥-٨)

+ «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع، يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه.» (رو ١١: ٣٢ و٣٣)

هكذا حينما بلغنا ما بلغنا من النعمة التي نحن فيها مقيمون، أدركنا مدى لياقة العمل الذي عمله الله في ابنه من جهة آلام الموت ليصل بنا إلى ما وصلنا من مجد وميراث في السماء مُعَدُّ!!

وأما بخصوص جرأة الرسول في قوله عن الله أنه «لاقَ به» — وهي كلمة لا ينطقها إلا ناقد أو حَكَم يحكم على التصرفات — فهي أيضاً تقع في اختصاص الإنسان وحده دون أي ملاك أو مخلوق آخر كون الإنسان مخلوقاً على صورة الله، بل ومُعَادَةٌ خلقته على ذات الصورة في القداسة والحق (أف ٤: ٢٤)، فأصبح هو أقدر مَنْ يحكم على عمل عاد بالمجد والكرامة على ذات صورته، فكيف لا يكون عمل الله هذا لائقاً في عين الإنسان كل اللياقة؟

بل ولنا من الله نفسه شهادة عن لياقة تأليم ابنه، نطق بها الروح على فم إشعياء النبي بقوله: «أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠)، إذأ، فهي ليست لياقة وحسب، بل وعلى مستوى المسرَّة، دخل الابن في محنة آلامه تحت نظر الأب ورضاه!! بل والابن نفسه رأى في محنة آلامه نوعاً من المسرَّة لم يعرفها سابقاً قط، وقعت منه موقع الرضا واللياقة أيضاً: «يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب.» (عب ١٢: ٢)

فالآلام التي يجوزها ابن الله ليست كأي آلام يجوزها بشر، فهي آلام على قاعدة من البر والقداسة والبراءة والطهارة المطلقة؛ ليس فيها جزئ على تفریط ولا تأنيب ضمير على تعبد ولا إحساس بالاستحقاق على سيئة أو ظلم أتاه، بل رؤية نافذة إلى مستقبل البشرية كلها التي بالآلام نالت عتقاً من آلامها، وموته فازت بالحياة الأبدية. وإن كانت آلام المسيح أنشأت مجداً ورفعة له فوق جميع السموات، وملأنا لنا بالتبعية، فكيف لا يكون هذا العمل برؤيته لانقاً بالله الذي بذله عن حب؟

«ذاك الذي من أجله الكل وبه الكل»:

هنا أيضاً عودة على كيف يسمح الله بتأليم ابنه ليدوق الموت من أجل كل واحد. فالرسول هنا ينزّه الله عن أية عشوائية في تصرفه، فهو العلة الأولى والوحيدة لكل ما هو موجود، والموجود موجود له، فمن هذا السلطان المطلق واللانهائي الذي لا ينحرف له رأي، ولا يقصر له قصد، انطلق منه التدبير بتأليم الابن عن لياقة الرأي ولياقة القصد، فجاء عمله بتأليم الابن منسجماً تمام الانسجام سواء من جهة ابنه أو من جهة الذين أرادهم الله لنفسه. فاللياقة عائدة حصناً لله بقدر ما هي عائدة علينا.

وبولس الرسول يوضح في موضع آخر كيف أن "به" ينتهي كل قصد فيما يخص الغاية والنهاية من تأليم ابنه: «أمين هو الله الذي به دُعِيتُمْ إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كو: ١٦).

«وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد»:

يقدم الرسول هنا القاعدة الأساسية التي بُنيت عليها خطة الخلاص بكل مشتملاتها من بذل الابن الوحيد حتى الموت بكل ما أحاطه من إهانات وإذلال وتعذيب وسفك الدماء. فالأساس الذي قامت عليه هذه المسألة العظمى التي لم يشهد لها تاريخ الإنسان مثيلاً، هو أن الله شاء أن «يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد» في شركة مع الله ومع ابن هبته لينعم الإنسان بنعمة الله ويحيا معه حياة البتوة إلى الأبد: «سبق فعيتنا للتبني بيسوع المسيح لنفسه ... لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف: ١ : ٦٥)، فهذه العلة التي بلغت في قلب الله قمة اهتماماته، أي أن «يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد»، هي التي وازنت وتساوت مع بذل الابن الوحيد المحبوب لمهانة الصليب والموت وكل ما لابس من تعذيب.

ونحن نود بكل الطرق الممكنة أن ننبه ذهن القارئ إلى أن خلاصنا تمشن بضمن رهيب،



ولكن - يا لشدة الحزن والأسى! - نحن نريد أن ندخل ذلك في صميم وجداننا، ونحن نعتقد أن هذا التهاون في تقدير فداحة قيمة الثمن المدفوع لخلاصنا راجع إلى مستوى التدمير الذي أحدثته الخطيئة في ميزان وعينا الروحي. والدليل على ذلك أنه كلما تقدّم الإنسان في سيرة التقوى والقداسة ودخل في علاقة عملية مع الله والمسيح، كلما ارتعب من تصوّر الآلام التي جازها المسيح، بمعنى أنه كلما تخلّص الإنسان من تشويش الخطيئة على الوعي الروحي والإحساس النفسي، كلما أدرك فداحة الثمن المدفوع لخلاصنا وبالتالي ازداد الحب لله والمسيح وازداد الإخلاص والتقوى والتعبّد الشديد.

وهكذا يتبيّن مدى ارتفاع قيمة خلاصنا في نظر الله الذي من أجله بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به. إذاً، فإن يأتي الله بأبناء كثيرين إلى المجد، لاقَ به بل ورأى أنه من الحكمة والفضيلة التي تفوق حد تصوّرنا أن يسلم ابنه للآلام التي تُوازن أو تُساوي في مضمونها السري ما يكفي لتكميل خلاصنا. وهكذا بلغ المسيح كمال الآلام لنبلغ نحن بها كمال الاعتناق من الخطيئة وكمال الخلاص!

### «أن يكتمل رئيس خلاصهم بالآلام»:

واضح بعد الذي قلناه أعلاه أنه بقدر عظم ما دمّرت الخطيئة من صورة الله في الإنسان وبقدر خطورة انحداره في مستوى الطهارة والبراءة والقداسة التي خلقه الله عليها فانحطّ إلى ما دون كل المخلوقات الأخرى بعد أن كان سيداً عليها جميعاً، نعم بقدر هذا بقدر ما عظمت وكبرت فداحة الثمن والوسيلة التي يمكن أن يعود بها إلى سابق مجده مضافاً إليها تأمين عدم السقوط والموت مرة أخرى.

بهذا، وبهذا فقط، نفهم هذه الكلمة الأخيرة: «يكتمل» رئيس خلاصهم «بالآلام». وواضح إذاً أن القصد من هذه الآلام هو أن المسيح، الذي ترأس عملية خلاص الإنسان، أوجبت عليه محبته أن يبلغ من الآلام أكملها وأعلاها وأشنعها لتتعادل مع كمال ما بلغه الإنسان من الفجور والتعدي والانحطاط. وقد رضي بذلك رئيس خلاصنا عن طيب خاطر وأعلنها مدوّية بعد عذاب الصليب وهو على عتبة الموت: «قد أكمل» (يو ١٩: ٣٠). وفي هذا المعنى تماماً يقول السفر في الأصحاح الخامس: «وإذ كتمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي». (عب ٥: ٩)

وهكذا إذ «أكمل» رئيس خلاصنا مستكماً كل الآلام اللانقطة بخلاصنا، صرنا نحن

مكتملين فيه وبه: «وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة (آلام) واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله ... لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدّسين.» (عب ١٠: ١٢ و١٤)

هنا نفهم ونسعد أيضاً أنه إذ «أكمل» الله رئيس خلاصنا بالآلام، ارتد علينا كمال آلامه بكمال تقديسنا. فيا لعظم حكمة الله ورحمته العجيبة على بني آدم. فبقدر ما تكمل المسيح بالآلام تكملنا نحن بالقداسة، نعم يا لفداحة الثمن! ولكن يا لسعادة الإنسان بحكمة الله وطاعة المسيح!

إذاً، فكان الرسول على صحة وعلى وعي مكين حينما حذرنا سابقاً: «فكيف ننجون نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره.» (عب ٢: ٣)

ونودُّ هنا أن نعي توزيع الأدوار بين الله الآب والابن في هذه المأساة الفادحة. فالله الآب وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، سلّمهم إلى الابن رئيس خلاصهم، وهذا قادم عبر آلام ذبيحته إلى الآب مطهرين بالدم ومقدّسين: «الله وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام.»

كذلك نودُّ لو نلقت نظر القارئ إلى أن فداحة الآلام التي قبلها المسيح حملها لبشرته، وهكذا حمل في بشرته كمال الآلام وبأن واحد كمال خطية الخطاة. ولكن بسبب قداسه ولاهوته، فاقت الآلام في قيمتها — وهي في جسد الابن الوحيد القدوس — قيمة الخطايا لبني الإنسان مجتمعة في جسده على الخشبة. ومن هنا كانت المقولة اللاهوتية الصادقة أنه: «دان الخطية في الجسد» (رو ٨: ٣)، وموته داس الموت!!

١١: ٢ «لأن المقدّس والمقدّسين جميعهم من واحدٍ فلهذا السبب لا يستحي أن يدعّوهم إخوة.»

مفتاح فهم هذه الآية موجود في الآية السابقة: «الله وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد». هنا الآب قد أفرز له «أبناء» خاصة، وقد أعدّ لهم نصيباً في «المجد» (الخليقة الجديدة)، فواقع هؤلاء المؤمنين هنا هو أنهم أبناء معيّنون للمجد.

ثم الدرجة الثانية في كشف عمق هذه الآية هي في قوله: «المقدّس والمقدّسين»، هنا وضع الرسول بولس المسيح حال سفكه لدمه مع الذين سفك دمه لأجلهم.

وهكذا جمع معاً المقدّس أي المسيح والمقدّسين أي المسيحيين، وهذه ضرورة تحتمها حالة

الذبيحة أي واقع المسيح المصلوب والذين صُلب لأجلهم .

وقوله أن المقدّس والمقدّسين جميعهم من واحد يفيد أن عملية الخلاص ، أي التقديس بشقيها أي المخلص والمخلصين أو المقدّس والمقدّسين ، هي من الله ، حيث المقدّس هو المسيح الابن الوحيد لله المبذول والمقدّسون هم الأبناء الجدد الآتي بهم الله إلى المجد . هنا الجمع بين الابن المتجسد والأبناء المفيدين يُظهر أنهم في العُرف اللاهوتي واحدٌ ، فهم الكنيسة وهذا الواحد ، أي الكنيسة ، هي في العُرف اللاهوتي من الله بل ومتحدة بالله :

+ «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكتملين إلى واحد.» (يو ١٧: ٢٣)

+ «كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو ١٧: ٢١)

والذي ينبغي علينا الالتفات إليه ملياً هو أن الابن الوحيد لأبيه بعد أن ارتضى التجسد وأن يصير بشراً سوياً ، قد ارتضى من واقع تأنسه أن يدعو الذين يؤمنون به ويتحدون إخوةً ؛ بل وارتضى الله ذلك لابنه قبل أن يأتي به إلى التجسد ، أو بالحري لقد جاء به إلى التجسد واضعاً في اعتباره هذا التسبب الجديد للإنسان :

+ «لأن الذين سبق (الله) فعرّفهم ، سبق فعينهم ليكونوا مشابهن صورة ابنه ، ليكون هو

بكرأ بين إخوة كثيرين.» (رو ٨: ٢٩)

«فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة» :

أما «هذا السبب» الذي يقصده الرسول هنا ، فهو أن الله سبق بالفعل وعين الأبناء الذين كان آتياً بهم إلى المجد في ذات المشورة الأزلية التي حددها لتكميل الخلاص بالتجسد والصليب ، فقبل التجسد كانت أسماء المختارين للتبني معروفة لدى الله الآب والابن بالضرورة :

+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لتكون قدسين وبلا لوم قدامه (الله) في المحبة.» (أف ١: ٤)

+ «الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.» (٢ تي ١: ٩)

+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً مُعيّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف ١: ١١)

+ «إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (أف ١: ٥)

+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

لذلك احتسب الذين آمنوا بالمسيح واتحدوا به في شركة موته وقيامته أنهم إخوة له، بالعرف اللاهوتي الكتابي، إذ احتسب المسيح في قيامته أنه «يكرُّ الراقدين» أي الأخ الأول لكل مَنْ يُهَيِّبُوا القيامة السعيدة: «هو البداية يكرُّ من الأموات.» (كو١: ١٨)

«لا يستحي أن يدعوهم إخوة»:

[ «ثم مدَّ يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي، لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت ١٢: ٤٩ و ٥٠). ]

«لا يستحي»: οὐκ ἐπαισχύνεται :

لماذا لا يستحي ابن الله القدوس أن يدعو المخلصين الذين فداهم إخوة له ؟ واضح من لاهوت الخلاص بالإيمان بالمسيح أن «كل الذين قبلوه أعطاهم (الله) سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو١: ١٢). فالمؤمنون بالمسيح الابن نالوا البنوة بسلطان الله، فكيف يستحي المسيح أن يدعوهم إخوة ؟

ثم إن «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله» (رو٨: ١٦)، وقد «أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبأ الأب» (رو٨: ١٥). فإن كنا نصرخ بالروح القدس إلى الله باعتباره أباً لنا كما يدعو المسيح فكيف يستحي أن يدعونا إخوة ؟

فمن واقع روح البنوة الواحد لله الذي يصرخ فينا بالنعمة، وهو فيه بملكه جوهرياً، فنحن إخوة للمسيح لكن يظل المسيح بيننا كالرأس بالنسبة لبقية الأعضاء. ومن واقع الجسد الواحد الذي اشترك فيه معنا في كل شيء، فنحن إخوة للمسيح. ولكن يظل المسيح بيننا كالقدوس بالنسبة للقديسين.

فمن قول المسيح في إنجيل القديس متى (١٢: ٤٩ و ٥٠)، يتضح أن المسيح سبق ورأى نفسه وهو جالس في وسط عائلة روحية على أعلى مستوى من التجلي، وأمهات وإخوة وأخوات حوله، كلهم فيه ذوو قرابة وتَسَبُّ رُوحِي. أخي وأختي وأمي والمسيح بينهم أب وأخ معاً بل وإله، فيكون لهم أقرب من أنفسهم، فكيف يستحي بلحمه وعظامه ؟ كيف يستحي بمن قَدَّسهم وطَهَّرهم وغسلهم بدمه وقرَّبهم إليه كنيسة مقدسة لا عيب فيها ولا دنس. وفي قوله: «مَنْ يصنع مشيئة أبي» رفع مستوى الأسرة المسيحية إلى آفاق العالمين (٢٣).

ومن واقع الآلام التي جازها والموت الذي انحنى تحته إلى التراب، فنحن إخوة، إخوة آلام وموت. ولكن يظل المسيح بيننا هو المحوّل الآلام إلى مجد والموت إلى حياة أبدية: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي وأبيكم.» (يو: ٢٠: ١٧)

هو حقاً لا يستحي بنا أن يدعونا إخوة، ولكن بالرغم من ذلك فنحن نستحي كثيراً أن ندعو أنفسنا له إخوة. فيكفينا ما كان يكفي لبولس أن يحسبه لنفسه أعظم شرف أن يُدعى عبداً ليسوع المسيح. فلقد تأخى المسيح معنا باتضاعه ولكن استعبدنا بحبه.

أما القصد الذي دعا الرسول أن يكشف هذه الأمور الخاصة باتضاع الرب، فهو لكي يتدرج معنا ليصل في النهاية (عب ٢: ١٧ و ١٨) إلى تعريفنا بوظيفة الرب أنه رئيس كهنة، ورئيس الكهنة يُقام دائماً من الشعب لكي يكون على دراية بتجارب المجربين.

١٢: ٢ «فانثلاً أُخبرُ باسمِكَ إخوتي وفي وَسَطِ الكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ.»

الآية منقولة بالنص من المزمور ٢٢: ٢٢: «أخبر باسمِكَ إخوتي، في وسط الجماعة أسبِّحُكَ.» وهو مزمور ماسياني من الدرجة الأولى وقد أدخلته الكنيسة آية آية في احتفال الصلوات، فيه تُقَبُّ اليدين والرجلين واقتسام الثياب.

لا نستطيع أن نأخذ المعنى هنا من موقف منفرد، بل إن هذه الآية هي خلاصة المزمور أو بالحري خلاصة الخلاص الذي أكمله الابن بذبيحة نفسه، وتداعي المعاني هو آت من علي. فنحن هنا أمام «رئيس خلاصنا»، لهذا فإن «الاسم» الكريم الذي يتكلم عنه هنا هو اسم الآب الكلي الكرامة والمجد، «والخبر» هنا ليس حَكِيماً على مستوى الكلام بل هو استعلان ما لم يكن مُستعلنًا قط: «الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو "خبر"» (يو: ١٨: ١٠). إذاً «فالخبر» هنا هو بعينه الإنجيل ككل، والبشارة واستعلان الاسم هما بعينهما استعلان كل ما عند الآب. وهنا صحَّ قول المسيح لتلاميذه: «لا أعود أُسميكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكنني قد سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَاءَ (إخوة)، لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي» (يو: ١٥: ١٥). وآخر مشهد سجلناه للمسيح ابن الله قبل الآلام مباشرة هو مشهد تسبيح المسيح وسط كنيسة الرسل التلاميذ الأخصاء: «وأقول لكم: إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكرامة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي، ثم سَبَّحُوا وخرجوا إلى جبل الزيتون.» (مت ٢٦: ٢٩ و ٣٠)

هذه الآية تشمل ضمن ما تشمل وحدة المخلص والمخلصين، وحدة الكنيسة بقيادة الرأس. ولعل هذه الآية تلقي أضواءها الباهرة على خورس المسبحين في الكنيسة كل يوم وعلى الدوام، والمسيح يقود القلوب، قبل الأصوات، والروح من داخل الألحان، حيث لا يفوت علينا هنا المركز السري للمسيح في خورس التسبيح فهو «في الوسط» لأنهم ليسوا فقط اثنين أو ثلاثة اجتمعوا معاً للتسبيح بل «أكون في وسطهم» (راجع مت ١٨ : ٢٠)، هم أبناء النور، عذارى وبتوليون، وفي قلوبهم مشاعل الزيت يصرخون: «العريس قد أقبل» (مت ٢٥ : ٦)، إنها وليمة كل يوم، باستعداد المجيء الوشيك لوليمة الأبدية.

١٣ : ٢ «وأيضاً أنا أكون متوكلاً عليه، وأيضاً ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله».

هذا اقتباس من سفر إشعياء في النسخة السبعينية (١٧ : ٨، ١٢ : ٢) ولقد ذهب الشراح والمفسرون في هاتين الآيتين كل مذهب.

وفي اعتقادي أن عدم وضوح الرؤية لدى الشراح جاء نتيجة لكونهم حاولوا تحديد الآيتين بمواقف المسيح في حياته على الأرض. في حين أنه من بدء الآية (١٠ : ٢) وسفر العبرانيين يصف خطة الخلاص في وضعها النبوي قبل تحقيق التجسد كما سبق وتبيننا فجاءت الآيات هكذا:

١ — بالنسبة لله، أنه لاق به أن يكمل بالآلام رئيس خلاص الأبناء الذين قصد الآب أن يأتي بهم إلى المجد.

٢ — بالنسبة للابن، وإذ علم أنه سيقوم بتقديس الأبناء الذين قصد الآب أن يأتي بهم إلى المجد ليكونوا أبناءً لله أبيه، فقد وضع في نفسه قبل أن يتجسد أن لا يستحي أن يدعوهم إخوة له، لأنه هو الذي سيقدمهم ويعلمهم أبناءً لأبيه، ولأنهم سيكونون مقدسين وأبناءً لله الحي ويشاركونه البنوة والميراث إذ أصبحوا جميعاً أبناءً لله الواحد.

٣ — رسالة الابن وضحت له قبل التجسد أنها ستكون لاستعلان اسم الله، أي تمجيد الآب كما أكملها تماماً: «أنا أظهرت اسمك للناس.» (يو ١٧ : ٦)

٤ — الابن سيكون له مركز العبادة في الكنيسة: «أنا مجدتك على الأرض.» (يو ١٧ : ٤)

٥ — الابن لن يعمل بمفرده، فرسالته من أولها إلى آخرها هي بتوكيل من الله أبيه فيكون متوكلاً عليه كلية: «ولست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي.» (يو ٨ : ٢٨)

٦ — نهاية رسالة الابن أن يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد ويقدمهم إلى الآب ويكون هو

على رأسهم حيث «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله»، وهكذا ستكون الكنيسة في نهاية المطاف: «كانوا لك وأعطيتهم لي ... ولم يهلك منهم أحد ...» (يو ١٧: ١٢ و٦)

هذا هو المشروع الذي كان مطروحاً أمام الابن قبل التجسد وارتضى به .  
وهنا قرر الابن عملية الإخلاء وبدأ التجسد .

### الخطوة الثانية

أن التجسد جمعهما معاً: ابن الله الوحيد، وهم كبشر

(٢: ١٤-١٦)

١٤: ٢ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم أشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يُبَيِّد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس» .

وهكذا بدأت المشورة العلوية في التنفيذ، وأخذ الابن على عاتقه أن يكتمل ما قصد الآب أن يعمل، وهو أن «يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد»، وذلك بأن يكتمل خلاصهم كرئيس يحمل من أجلهم الآلام الكفيلة بأن تصنع تطهيراً لخطاياهم . وهكذا اتخذ أول عمل يؤهله لعملية الخلاص العظمى وهو أن يشترك في بشريتهم آخذاً ما لهم من دم ولحم .

هذه أول وأهم خطوة في طريق رفع الأبناء الكثيرين اللذين اختارهم الله قبل تأسيس العالم للمجد، وهي بأن يشترك فيما لهم من دم ولحم ليستطيع أن يمنحهم ما له من عمل لاهوته: «وأنتم مملوون فيه» (كو ٢: ١٠) . أي يأخذ منهم الخطية في الجسد ويعطيهم البر بالروح، يأخذ منهم موت الملاك الأبدي ويعطيهم الحياة الأبدية "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبحه ونمجده ونزده علواً" (مرد ثيوطوكية الجمعة)، وهو هو لا يزال ابن الله كما هو .

«فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم»:

«فإذ»: ἐπει οὖν هي المفتاح أو العلة التي على أساسها بدأ الابن يؤدي عمله؛ فهي تأتي بمعنى كما أن، كما أن الأولاد تشاركوا أي أخذوا جميعاً وبلا استثناء طبيعة واحدة جسدية، كذلك دخل الابن هذه الشركة عينها في اللحم والدم ملتحمًا بالأبناء الكثيرين المطلوبين للمجد . وهكذا صار وكأنه واحد منهم: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله». هنا في الحقيقة «ميلاد

الكنيسة»، ظهور شعب الله الجديد في بذرة أي نسل تعين منذ الدهور لإبراهيم.

«فإذ قد تشارك ... اشترك»: *κεκοινωνήκεν — μετέσχεν*

هنا يتضح أمام القارئ مدى دقة وعمق الكلام والتعبيرات اللاهوتية في هذا السفر، الأمر الذي ليس له مثيل، فهنا يعطي السفر للتعبير عن اشتراك الأولاد في اللحم والدم كلمة *κεκοινωνήκεν* التي تفيد تقاسموا معاً في الدم واللحم في زمن الفعل المضارع التام أي المستمر فترة زمنية طويلة، ثم يعطي للمسيح كلمة *μετέσχεν* لتفيد الاشتراك بزمن الفعل الماضي البسيط ليوضح حدوثه في نقطة زمنية معينة أي في ملء الزمن<sup>(٢٤)</sup>.

المعنى العملي اللاهوتي هو أنهم كما دخلوا بالميلاد من الجسد إلى عالم الجسد، هكذا<sup>(٢٥)</sup> قرر الابن أن من ذات الباب يدخل إلى ذات عالم الجسد: «مولوداً من امرأة (عذراء) مولوداً تحت الناموس». «(غل ٤: ٤)

«الدم واللحم»: لأنها في اليونانية: *αἵματος καὶ σαρκός*

هنا ينفرد سفر العبرانيين بذكر الدم قبل اللحم على غير عادة اليهود والمسيحيين على السواء، وواضح لدينا السبب، فهو مشغول بدم المسيح لأنه عنصر الكفارة ورأس مال رئيس الكهنة الذي يستحيل عليه أن يدخل قدس الأقداس أو يتراءى أمام الله على غطاء التابوت إلاً وعلى يديه دم ذبيحة الكفارة. فهي في الحقيقة بادرة ذكية تنبئ عن حضور بديهته، وسبق رؤيا، ودراية بتدرج الكلام ليلتزم القصد، والتنبيه عليه مسبقاً. اسمعه بعد ذلك وهو يقدم الدم أيضاً على الجسد هكذا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرمه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده». «(عب ١٠: ١٩)

والمعنى المباشر للدم واللحم هو الطبيعة البشرية، حيث الأبناء المدعوون للمجد لهم هذه الشركة الواحدة العامة في اللحم والدم، أما اشتراك الابن فيهما أي في الدم واللحم فهي إضافة لأنه أخذها في طبيعته الإلهية ليبقى فيها ومعها إلى الأبد، حيث دخل ملء اللاهوت في ملء الجسد ليصير اللاهوت في الجسد والجسد في اللاهوت ملتحمين دون امتزاج ولا اختلاط ولا افتراق ولا تغيير، الجسد يعمل باللاهوت واللاهوت يعمل بالجسد بانسجام مطلق منقطع النظير. ليساً إنساناً

24. Guthrie, *op. cit.*, p. 92.

25. Bruce, F.F., *op. cit.*, p. 49.



وإلهاً بل «إله متأنس»، لأن الكلمة «صار» جسداً، فالصيرورة هنا تمنع التفرد مهما حاولنا التحايل على تفريدهما كأن نقول: إنسان كامل وإله كامل لأن في هذا تفريداً يقسم الأقسام كما يقسم الطبيعة، ولكن إن أردنا التعبير عن الكمال نقول: إله كامل الناسوت وناسوت كامل في اللاهوت، كما قالها بولس الرسول بحذق لاهوتي متقن لا تشوبه شائبة معبراً عن كمال الاتحاد أعظم تعبير: «فإنه فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢: ٩). هنا استحالة تفريد اللاهوت أو الناسوت بأي حال من الأحوال. فنحن هنا أمام سر الأسرار الذي لا يحيطه علم مهما علا وسما، فهذه معجزة المسيح التي تتصاغر أمامها كل معجزات الدنيا.

: «اشترك هو أيضاً "كذلك" فيهما»:

«كذلك»:

باليونانية = παρακλησιως

وباللاتينية (فولجاتا) = Similiter

هذه الكلمة ذات وزن لاهوتي عالٍ وتعني بالمثل كماً وكيفاً. وقد شدد الآباء (٢٦) اللاهوتيون على هذه الكلمة إذ هي تعبر عن حقيقة كمال تأنس المسيح. لذلك كنا نود أن تأتي الترجمة العربية بدل كلمة «كذلك» تكون «بالمثل» لأنها كلمة حارسة لمستوى اشتراك الابن في الدم واللحم على مستوى الإنسان كماً وكيفاً.

على أي حال، فسفر العبرانيين غير مشغول باللاهوت في دقائقه ولكنه دقيق جداً في التعبيرات عنه. والذي وصل إليه إلى الآن هو أن ابن الله أخذ طبيعة الإنسان كإنسان تماماً لكي يستطيع أن يتعامل بلاهوته مع نقاط الضعف والهوان في جسد الإنسان كما تقول الرسالة إلى أهل رومية: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد.» (رو٨: ٣)

: «لكي يبدي بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس»:

[ما أعظم ما أتاه هذا الموت الصالح.] (٢٧) القديس يوحنا ذهبي الفم

هنا يظهر هدف اشتراك الابن في الدم واللحم أي تمام التجسد، إذ باتخاذ جسد إنسان حسب

26. Westcott, *op. cit.*, p. 53.

27. Chrysost. *On Hebrews*, IV.6.

التدبير يكون قد أخذ الوسيلة المؤدية إلى الموت الذي هو غاية التجسد لابن الله، حتى من داخل الموت يستطيع أن يتعامل مع الموت وتمنُّ له سلطان الموت الذي أذلَّ الإنسان.

أما الموت فهو العقوبة التي حاقت بالإنسان إزاء عصيانه الله وتعديه على الوصية، والموت في حد ذاته كانطفاء الحياة بالجسد معروف في سفر الحكمة أنه ليس من صنع الله: «فإن الله ما صنع موتاً، ولا يطرب بهلاك أحياء» (حك ١: ١٣). ومعروف في التقليد اللاهوتي الليتورجي أن الموت دخل إلى العالم «بحسد إبليس»، «وبحسد المحتال دخل الموت إلى العالم =

φθόνω δὲ διαβόλου θάνατος εἰσῆλθεν εἰς τὸν κόσμον

... ولكن أرواح الأبرار في يد الله» (حك ٢: ٢٤، ٣: ١٠ السبعينية).

أما الإنسان فقد خلقه الله أصلاً على غير فساد: «لأن الله خلق الإنسان على غير البلى وصنعه على مثال صورته» (حك ٢: ٢٣). والليتورجية القبطية تستهلُّ صلاة الصلح في القديس بهاتين الحقيقتين، إعلاناً عن إيمانها وتذكيراً للرب برحمته وشكراً للصلح الذي تمَّ من الله بواسطة المسيح الذي هدم الموت: [ يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد، والموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ... ] [ صلاة الصلح، القديس الباسيلي]. وبولس الرسول يضيف أن الموت هو العدو الأخير للإنسان الذي يبطله المسيح: «آخر عدو يبطل هو الموت» (١ كو ١٥: ٢٦) حيث يبطل تأتي باليونانية καταργεῖται بمعنى ينمحي (abolished) أو يتحطم (destroyed).

ومعروف أن الموت دخل بدخول الخطية، والخطية ملكت على الإنسان فأعطت الموت فرصة أن يملك هو الآخر على الإنسان: «أما شوكة الموت (السامة) فهي الخطية» (١ كو ١٥: ٥٦). فالحياة في معناها اللاهوتي هي الوجود مع الله أو تحت طاعته وعنايته، أما الموت فهو الحرمان من الله أو الوجود دون الله ودون طاعته ورعايته: «اطرحوه في الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٢٢: ١٣)، لأن من لا يحظى بالنور فالظلمة مقره.

ولأن ذبيحة المسيح الكفارية ألغت كل خطايا الإنسان، فهي تكون بنفس اللحظة قد ألغت الموت: «أين شوكتك يا موت، أين غَلَبَتِكَ يا هاوية» (١ كو ١٥: ٥٥)، وبالتالي ألغت مَنْ له سلطان الموت وذلك بالنسبة للإنسان، وبهذا تكون قد أعطت الحياة وأنارت الخلود:

+ «بحسب قوة الله الذي خَلَصَنَا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعْطِيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور

مَخْلَصَنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَسْطَةِ الْإِنْجِيلِ. »

(٢ تي ١ : ٨-١٠)

+ «أما شوكة الموت فهي الخطيئة وقوة الخطيئة هي الناموس، ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.» (١ كو ١٥ : ٥٦ و٥٧)

ومن روائع التعميرات الإنجيلية التي عبّر بها المسيح عن سلطانه القاهر للشيطان مهما بلغت قوته، هذا التعبير الذي قاله لليهود الذين توفّحوا عليه بقولهم أنه ببعلزبول كان يُخرج الشياطين :

+ «إن كنت (أنا) بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله. حينما يحفظ القوي (الشيطان) داره متسلحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غناثمه.» (لو ١١ : ٢٠-٢٢)

فنعم وألف نعم : «شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.» (١ كو ١٥ : ٥٧)

عزيزي القارئ ليست هذه الغلبة وعداً آتياً بل هي سلاح في يدك وفي قلبك : «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماناً. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله» (١ يو ٥ : ٥٤). بهذا الإيمان، بل بهذا السلاح الغالب، واجه الشهداء أعتى حيل الشيطان وقهروه وداسوا سلطانه وارتفعوا إلى أعلى السموات : «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم.» (رؤ ١٢ : ١١)

والذي قهر الموت فهو قهر في الحال سلطان الموت وحطّم مصاريع الجحيم وقادنا في موكب نصرته. لقد سلّم ابن الله يديه ورجليه بكل رضى على خشبة الصليب حتى أكمل نرف دمائه، فلما أتاه صاحب سلطان الموت كانت الموقعة الفاصلة إذ وجده أنه هو رب الحياة لا أحد الخطاة، فبدل أن يقبض على روحه ظفر المسيح به وجرّده من سلاحه أي الخطيئة والموت، فلم يُعذّ سيد الموت بعد : «إذ محّا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدّاً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب. إذ جرّد الرياسات والسلطين أشهرهم جهازاً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو ٢ : ١٤ و١٥). وبهذا ولهذا صار الصليب علامة الظفر على الشيطان، والقيامه فرحة الانتصار على الموت : «لأجل هذا أظهر ابن الله لكلي ينقض أعمال إبليس» (١ يو ٣ : ٨). وإبليس في عرف المسيح هو القتال للناس منذ البدء : «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم بما له لأنه كذاب وأبو الكذاب.» (يو ٨ : ٤٤)

١٥:٢ «وَيُعْتَقَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعِبُودِيَّةِ».

ما هذه القبضة الحديدية التي ملكت عليهم «جميعاً» و «كل حياتهم»، وأية «عبودية» هذه التي وقع تحت برائنها البشر؟

إن هذه الآية تحوي سر جبروت أخطر عناصر الشيطان سيطرة على الإنسان، كل الإنسان، ودون أن ينتبه وفي غفلة منه يصير تحت خيوط شبكة مُحكمة من الإرهاب المنقطع النظير. ألا سمعت أيها القارئ العزيز عن الذين يبيتون والسلاح تحت وسادتهم؟ لماذا هذا الرعب الذي يملك على الحياة هكذا وينتكد على صاحبها فلا يذوق للسلام معنى ولا للاطمئنان طعماً وتصير الحياة كلها رعباً في رعب؟ خوفاً من الموت!!

ألا سمعت عن الذين يعيشون في بيوت محصنة ويركبون سيارات محصنة ويسيرون ومعهم حراسهم ويبيتون والكلاب تنبح طول الليل من حولهم؟ لماذا هذا الرعب الذي حوّل الحياة إلى معركة وهمية وحرب بلا توقف؟ خوفاً من الموت!!

أو الذين يكتنزون المال فوق المال وفوق كل ما تقتضيه أعواز الحياة ويفرقون في اهتمامات لا حصر لها من طلعة النهار إلى ما بعد منتصف الليل للحصول على المزيد من المال. لماذا هذا كله؟ خوفاً من العوز بل خوفاً من الموت!!

أو الذين ينشغلون بصحتهم الليل والنهار، أطباء وأدوية حرصاً على صحتهم خوفاً من الموت!!  
والذين يرتعبون من الأمراض رعبة الموت خوفاً من الموت!!  
والذين يغيرون أشكالهم وأسماءهم وذمهم وأوطانهم خوفاً من الموت!!  
والذين يكذبون ويحلفون زوراً ويسرقون خوفاً من الموت!!  
والذين يجحدون إيمانهم وعقائدهم وإلههم خوفاً من الموت!!

هؤلاء وهؤلاء كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية خوفاً من الموت. عبودية الخوف وعبودية المال وعبودية الجسد وعبودية الكذب والسرقة والتزوير ثم بالنهاية عبودية الشيطان إزاء جحد الله.

«يعتق»:

باليونانية = ἀπαλλάξῃ

و باللاتينية = Liberaret.

هنا العتق أو التحرير أو الخروج من الاستعباد يكشف مدى بؤس الإنسان الواقع تحت الخوف

من الموت، سواء خوفاً من موت حقيقي أو وهمي بسبب انزعاج النفس الكاذب ووقوعها تحت عوامل مرضية قاسية كلها من صنع ضعف البناء النفسي الإيماني والعقائدي وانهايار العلاقة الروحية بالله صخر الدهور. فهؤلاء يكون الموت الحقيقي لهم أهون من الحياة في رغبة الموت الوهمي الذي صنموه لأنفسهم بعدم التصاقهم بمصدر الإيمان والأمان وسلّموا ضعفهم للشيطان ليستبد بهم.

ويضيّق بنا المقام هنا أن نعدد صور الأمراض النفسية والجسدية والعقلية والعصبية التي تنشأ من الخوف من الموت، فهي ربما استوعبت غالبية المطروحين على أسرة المستشفيات العامة والخاصة، أو حبساء بيوتهم لا يرون النور ولا يتمتعون بالحياة ولا هم يُحسبون في عداد الأحياء.

ثم نبه ذهن القارئ أن بولس الرسول يخاطب هنا العبرانيين المتنصرين وهم واقعون في نفس المستنقع وعلى شفا جحد الإيمان بسبب تضييق الخناق عليهم من اليهود الآخرين ومن السنهدريم وأعوان الهيكل، وعدم ظهور بارقة أمل لمعونة سماوية معجزية واضحة لهم ترفع عنهم هذه الرعبة التي يعيشونها وهمأ وخدعاً.

ولهؤلاء ولنا ولكل الأجيال التي استهدفت وتُستهدف كل يوم لمثل هذه المرعبات يكتب بولس الرسول رسالته هذه مؤكداً أن المسيح بموته داس الموت وظفر بمن له سلطان الموت على الصليب. على أن هذا لا يعني أنه أوقف الموت الجسدي، بل أبطل رعبته وجردّه من حقيقته الكاذبة كموت، إذ قام من الموت دائساً الموت، حياً بلاء قوة الحياة الحقيقية ومجدها، لا يسود عليه الموت بعد بل حياة وحياة إلى الأبد. حياة لا يشوبها حزن ولا بكاء ولا تنهد، بل فرح وابتهاج أبدي وعيد وأعياد لا تنتهي: «أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية.» (١ كور ١٥: ٥٥)

هذا هو المسيح قاهر سلطان الموت ودانس رعبته تحت قدميه بقيامته الأبدية ظافراً بسلاطين الظلمة وأعوان الشر. شوكة الموت المسمومة كانت هي الخطيئة التي ضُبط كل إنسان متلبساً بها، سجّلها المشتكي علينا في صك مكتوب بيدنا وإمضائنا، وهذا هو الصك الذي مرّقه المسيح على الصليب فانتهى كل رباط يربطنا بالشيطان وانتهى حكم الموت الأبدي، وعوضاً عنه أخذنا حكماً بالحياة الأبدية:

+ «وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه، مساعماً لكم بجميع الخطايا، إذ محاً الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا وقد رفعه من الوسط (بيننا وبين الشيطان)، مستمرراً إياه بالصليب (مع جسد الخطيئة الذي لنا)، إذ جردّ الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (على ذات الصليب).» (كو ٢: ١٣-١٥)

انظر أيها القارئ وتفهم: نحن الآن أحياء بالحياة التي وهبها لنا المسيح بقيامته لما قمنا معه، فلن يسود علينا الموت أبداً، سنموت بالجسد ولكن نبقى كما نحن الآن أحياء لملء الحياة الأبدية: + «من كان حياً (بالروح الآن بالإيمان والشركة في قيامة الرب) وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو: ١١: ٢٦)

وأيضاً ليتك يا قارئ العزيز تثق بالرب أنك لن تذوق الموت حينما يموت الجسد. ألا يكفيك ما قدّمه المسيح من معجزة لعازر لكي يحقق هذا الوعد وهذا الكلام؟ فبعد أن مات لعازر وأنتن جسده لأربعة أيام في القبر، كان لعازر الحقيقي حياً كما هو في زمرة الأحياء فاستدعاه المسيح ليأخذ جسده من جديد فأخذه وقام.

وها هي الكنيسة تقول وتعيد القول على كل ميت: [ لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال ] (أوشية الرافدين، الخولاجي المقدس). كان الموت مدخلاً للهلاك غير الجحيم، فصار باباً مفتوحاً للحياة الأبدية. من هنا انتهت رغبة الموت وانتهت العبودية بكل أصنافها بتأثير الخوف من الموت. وإن أنسى لا أنسى ما قصّه عليّ طبيب مشهور أن أباه، وكان رجلاً فاضلاً متديناً، سار وراء الموكب الحامل لنعش زوجته الفاضلة، وفي الطريق كان يودّعها بعد كل عدة خطوات بهتاف جهوري: هليلويا!

١٦:٢ «لأنه حقاً ليس يُمِسِّكُ الملائكة بل يُمِسِّكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ.»

«لأنه»: οὐ γάρ

هنا تعقيب مباشر على الآية (١٤) الخاصة بالتجسد: «فإذ قد تشارك الأولاد في الدم واللحم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما». مع ضرورة إسقاط الآية (١٥) حتى يستقيم ويرتبط المعنى. فيكون المعنى أنه اشترك في الدم واللحم لكي يمِسِّكُ نسل إبراهيم وليس الملائكة.

يبقى علينا أن نفسر كلمة «يمسك»، وقد أعيت الشراح والمفسرين قديماً وحديثاً.

«يمسك»: ἐπιλαμβάνεται

لقد تباينت الآراء بين معنى «من يجري وراء آخر "يمسك" به»، كما جاءت في شرح ذهبي الفم، وبين «المسك للمعونة» كما جاءت في شرح وستكوت عن كثير من الآباء القدامى، وبين «المعونة» فقط كما جاءت عند العالم موفات مستنداً على أنها جاءت في (عب: ٨: ٩) بمعنى «أخذ باليد»: «لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت ἐπιλαβομένου بيدهم لأخرجهم من

أرض مصر ...». ولكن بحسب رأينا هذه الكلمة ذات معنى كبير وعميق للغاية ولا يشرحها إلا قول جاء لإشعيا النبي هكذا:

+ «أما أنت يا إسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي الذي أمسكته من أطراف الأرض (أور الكلدانيين)، ومن أقطارها دعوته، وقلت لك أنت عبدي اخترتك ولم أرفضك.» (إش ٤١ : ٩ و٨)

وحسب آية إشعيا النبي يستضيء ذهننا لتدرك المعنى الحقيقي وهو، كما أن الله مسك إبراهيم وهو في أور الكلدانيين، حيث «مسك» تنفيذ الاختيار لبدء عملية الخلاص العظمى وكأنه وضع يده عليه ليلد ابن الموعد إسحق، كذلك فإله هنا يسك بنسل إبراهيم بواسطة التجسد لينفذ تكميل الخلاص. فاستثناء الملائكة وارد في البداية والنهاية في عملية الخلاص، وهذا بدوره يكشف أن دور الملائكة قد انحصر فقط في إعطاء التاموس — وكان قد زيد بسبب التعديلات — وانتهى بانتهاه التاموس، أما الخلاص العتيد فهو بين الله والإنسان مباشرة، كما مع إبراهيم بميلاد إسحق كذلك مع العذراء التي من نسل داود ابن إبراهيم لميلاد المسيح، وهذا توضحه الآية القادمة مباشرة.

### الخطوة الثالثة

لماذا جاء التجسد كضرورة حتمية لتنفيذ الخلاص بتكفير الخطايا

(٢ : ١٧ و١٨)

١٧ : ٢ «من ثم كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب.»

هنا ختام المطاف ويمكن وضع اختصار تسلسل الآيات السالفة هكذا:

[فإذ تشارك الأوالاد في الدم واللحم اشترك هو أيضاً فيهما، لأنه ليس القصد أصلاً أن يسك الملائكة بل نسل إبراهيم، من ثم كان ينبغي أن لا يكون ملاكاً بل أن يشبه إخوته في كل شيء].

أما المعنى فيكون أنه تجسد ليحقق الوعد لإبراهيم أن ينسله (مفرد) Sperma تتبارك الشعوب والأمم، لذلك لزم أن يكون نسله Sperma هذا يشبه بقية النسل — إخوته — في كل شيء. أما بركة الشعوب والأمم فلا تأتي إلا بالتكفير عن خطاياها، لذلك تحتم أن يكون عمله هو عمل رئيس

كهنة أميناً فيما لله ، من وسط الشعب لكي يكون رحيماً عليهم .

وهنا ولأول مرة يُفصِّح السفر عن وظيفة الابن الأساسية بالنسبة لبركة الشعوب والأمم وخلصهم بفران خطاياهم ، وهي وظيفة رئيس كهنة أمين في ما لله .

وهكذا سيبتدى السفر يبرز صفة رئيس الكهنة ثم يعطيه طقس ملكي صادق بحسب المزمور المئة والعاشر الذي عليه تقريباً بنى هذه الرسالة . ولكن قبل الخوض في الرسالة نسبق وننبه ذهن القارئ ليستأمل في هذا الانسجام النبوي العجيب الذي في هذه الرسالة ، والذي يربط بين موقع ملكي صادق كاهن الله العلي الذي عَضَّد إبراهيم بخبز وخر وبين ابن الله المتجسد يسوع المسيح رئيس كهنة الخيرات العتيدة الذي عَضَّدنا بجسده خبزاً ودمه خراً .

« مِنْ تَمَّ » = ὄθεν « كان ينبغي » = ὀφείλεν = يتحتم :

« مِنْ تَمَّ » تعني « لذلك » ، وتوضح نتيجة طبيعية آتية مترتبة على حقيقة سابقة ، وهذه النتيجة واقعة في حيز « المحتم » ، أي عن ضرورة مفروضة . « كان ينبغي » تحتمها الخطة أو تحتمها النتيجة المطلوبة !! أو المشيئة .

« أن يشبه إخوته في كل شيء » :

هنا نكشف عن الخطأ الذي جاء في الترجمة العربية لهذه الآية إذ أخذت بالتقديم الذي جاء في اللغة اليونانية ووضعت الترجمة العربية في البداية وهو أصلاً وبحسب الأصول النحوية واقع في النهاية . وبذلك تصح الترجمة الصحيحة للآية هكذا : « ولكي يكون رئيس كهنة رحيماً وأميناً في ما لله ، مِنْ تَمَّ ( لذلك ) كان ينبغي ( يتحتم ) أن يشبه إخوته في كل شيء ... » . وهنا يتضح وضع « مِنْ تَمَّ » وبالأكثر « يتحتم » ، لأن مجيء « مِنْ تَمَّ » في أول الآية جعلها وكأنها واقعة ومترتبة على آية سابقة ، مع أنها مترتبة على نصف الآية الذي جاء بعدها . كذلك كلمة « يتحتم » ، فإن مجيئها في الأول يُعتبر تجديفاً لأنه يوقع الله تحت الحتمية وهذا مستحيل ، وهنا لزم التصحيح ، في حين أن الذي يتحتم هو تنفيذ مشيئة الله في أن يكون الابن رحيماً ، بمعنى أن مشيئة الابن أن يكون رحيماً حتمت عليه أن يلبس لحماً ودماً !!

وبذلك يصبح معنى « أن يشبه إخوته في كل شيء » سهلاً وواضحاً جداً ، وقد أوضحته أكثر الآية التالية بقولها : « لأنه في ما هو قد تألم مجرباً ( مُشابهاً إخوته في كل شيء ) يقدر أن يعين المجربين » . بل إن السفر يعود ويوضح ذلك في الأصحاح الرابع بقوله : « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية . » ( عب : ٤ : ١٥ )



«في كل شيء» : κατά πάντα

أي «لا أن يشبه إخوته شكلاً أو ظاهرياً، بل في كل شيء»، بمعنى «بالكمال والتمام»، لهذا فإن هذا الاصطلاح هو لاهوتي عقائدي على أعلى ما يمكن من الخطورة وقادر أن يردّ بشدة على بدعة الشبّهيين Docetics والأوطاخيين. فالمسيح بكونه يشبه إخوته في كل شيء قطع خط الرجعة على احتجاج أي شيء يُنقص من تجسد المسيح تجسداً كاملاً ليصير إنساناً له كل ما للإنسان (ما خلا الخطية وحدها التي ذكرها السفر في ٤: ١٥).

لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفّر خطايا الشعب :

[ لأنه لا يوجد أي تدبير آخر غير هذا، لأنه رأنا مطروحين على الأرض هالكين مطغياً علينا بالموت، فأخذته الشفقة علينا وآل على نفسه أن يكفّر عن خطايا الشعب ] ذهبي الفم (العظة ٤ : ٢). (٢٨)

أن يأخذ ابن الله لحماً ودماً لكي يكون شريكاً فيما اشترك فيه إخوته، فهذا هو أحكم وأعظم عمل عمله الله، وهذا هو جوهر التجسد. لأنه باشتراك الابن في لحم الإنسان ودمه، بمعنى ملاء بشرية بأضعف ما فيها، استهدف لكل أحزان الإنسان وأوجاعه إذ صار مرتبطاً بنا ارتباط الماضي والحاضر والمستقبل، ارتباط واقع المرارة التي يذوقها الإنسان، كل الإنسان، تحت نفس المجرّب والمعاند الشرير، وانطوى تحت عَوْر اللحم والدم من جوع وعطش وجهد وتعب وهم وألم وضيق وحزن، وأي حزن؟ «نفسى حزينة جداً حتى الموت» !!! (مت ٢٦ : ٣٨)، «بكى يسوع» !!! (يو ١١ : ٣٥)، «أنا عطشان» !!! (يو ١٩ : ٢٨)، «أنتم تهينونني» !!! (يو ٨ : ٤٩) «يا يهوذا أقبلة تسلّم ابن الإنسان» !!! (لو ٢٢ : ٤٨)

لهذا يقول السفر بكل حكمة وكل وعي : «من ثمّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء» !!! ... «لكي يكون رحيماً» !!! من هنا نشأت أقوى دالة — فيها رحمة وحنان وحب — حدثت بين الإنسان والله ممثلاً في ابنه المتجسد مثلنا.

وبهذه الكفاءة الممتازة التي اكتسبها المسيح من دخوله تحت آلامنا وهمومنا وثقل خطايانا، اعتلى وظيفة الشفاعة الرقيقة العاطفية التي تعين لأن يمارسها لأجلنا أمام أبيه إلى الأبد، هذه التي عبّر عنها في الآية القادمة (١٨) : «يقدر أن يعين المجرّبين»، ثم أيضاً في الأصحاح (٧ : ٢٥) :

«فمن ثمَّ يقدر أن يخلص أيضاً إلى التعماد الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم».

لذلك يقول هذا السفر أيضاً بكلِّ حكمة وفطنة مشجعاً قلوبنا الضعيفة: «... مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فليستقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب ٤: ١٥ و١٦). أما لماذا، فسبق أن قالها: «لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرِّبين»!!! هذا لأنه تجسَّد آخذاً لحماً ودماً مثلنا! تجارب من أهله، من إخوته، من تلاميذه، من أعدائه المتربصين، في البرية، في الهيكل، في وطنه، في جثسيماني. ولكن بالأكثر جداً وفوق كلِّ هذا قد تعيَّن، وهو حامل كلِّ تجاربنا، رئيسَ كهنةٍ لنا آخذاً على عاتقه مغفرة خطايانا وهذه وظيفة رئيس الكهنة وحده أمام الله. أي لم يكفِ أن يتألم مثلنا ويتألم معنا بكلِّ آلامنا، بل زاد عليها أن يتألم من أجلنا، هذا يفوق العقل في ثقل المعاناة واتساع دائرة الآلام بما لا يمكن لأي عقل أن يتصوَّره. بل وفوق أنه يتألم معنا ويتألم من أجلنا، فقد قَبِل دون احتجاج أن يموت ثمناً لخطايانا!

فانظر عزيزي القارئ معنى أن يحمل الله — في ابنه — جسدتنا: لحماً ودماً، فيدخل طواعية في محيط كلِّ تجاربنا وآلامنا وأحزاننا جميعها (ما خلا الخطية لأنه قدوس). ثم يأخذ على نفسه أن يكون رئيس كهنة لنا لدى الله، وأن يتحمَّل، وبوسيلته الخاصة، مغفرة خطايانا بتقديم جسده على الصليب ذبيحة كفارة.

وهكذا بلغ المسيح بالنسبة لنا أعلى مقدرة وكفاءة على الرحمة، وأقصى درجة في الأمانة في تسميم كلِّ ما علينا فيما لله!!

لذلك حق لنا كل الحق أن نتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة مؤكدة ونعمة حاضرة وعوناً في كل حين. ثم أي رجاء يكون لنا وأية راحة قلب وضمير، حينما ندرك أنه تولَّى قضيتنا بنفسه وهو القاضي والمحامي معاً؟

«رحيماً ... أميناً في ما لله حتى يكفِّر خطايا الشعب»:

واضح أن الرحمة، التي بلغت منتهى كفاءتها فيه، هي تخصُّصنا نحن، لأنها حصيلة مشاركة في كلِّ آلامنا وأوجاعنا وضعف طبيعتنا وهوان لحمنا ودمنا بكلِّ غرائزهما مع قداسة وتبُّل طبيعته وقدرته على العفو ومسح الدموع!

أما أمانته فهي أمانة فيما لله، لأنه الابن الوحيد المحبوب الذي أطاع حتى الموت لإرضاء قصد أبيه في مصالحتنا وإرجاعنا إلى قلب الآب، قديسين وبلا لوم في المحبة.

ولكن «أميناً في ما لله» تعني أيضاً وبالضرورة أن كل مطالب عدل الله بحسب الأصول الإلهية المفروضة على رئيس الكهنة ليكفّر عن خطايا الشعب وقد وقّأها تماماً بكل أمانته، فلم يفرط في حق الله علينا، وحق الله هو في تنفيذ كل شروط وواجبات القداسة التي يتطلبها بر الله من الإنسان حتى يستحق الإنسان هذا البر استحقاقاً قانونياً، ودون تفریط في حقوق الله.

ولو أن كل هذا أمر مجهول لدينا تماماً، ولكن يكفي أن يستخرج لنا المسيح استحقاق بر الله ويسلمه لنا محتوماً بدمه ونحن أموات بالذنوب والخطايا لندرك ماذا تم بين المسيح والله!! هذا سر خطير للغاية وفوق طاقة تصوّرنا، إذ كيف نصوّر، ونحن مثقلون بخطايا وشُرور ونجاسات لا تطيق ضمائرنا البشرية احتمالها، أن نتقدّم أمام الله ونتخاطب معه كبنين؟ أين ذهبت نجاساتنا وشُرورنا وكيف منحنا المسيح ضمائر مطهّرة وشجاعة أن نقف أمامه كقديسين وبلا لوم كيف، كيف؟؟

ليس أن المسيح تحمّل في جسده عملية إحراق كل وثائق خطايانا وعارنا، فكانت ذبيحة جسده بالحقيقة الإلهية غير المنظورة «مُحرّقة» كاملة خرجت من نار الله المحمّصة طاهرة نقية بضاء كالنور، لا يمكن أن يعثر فيها الإنسان على أي أثر لخطيته؟

١٨:٢ «لأنه في ما هو قد تألم مُجرباً بقدر أن يُعين المُجربين».

[هذا معناه أنه إذ قد ذهب في اختبار الأمور التي نعانيتها، لم يُدْجهل الآمنا وهو لا يعلمها بصفته إلهاً فقط، ولكن كإنسان قد أدرك التجارب إذ تجرّب بها، فلأنه تألم كثيراً هكذا يعرف كيف يعطف ويتعاطف ... وهو يدرك التجارب ليس بأقل مما نعانيه لأنه هو نفسه عاناها] ذهبي الفم (العظة ٥: ١٨) (٢٩).

هنا استعمال «بشرية» المسيح في أقصى وأعرق معناها وطبيعتها، بل وإعلاناً عن مدى ضرورتها وأهميتها القصوى. نعم لقد صار بشراً ليذوق كل ما يذوقه البشر من الآلام، حتى يكون

كطبيب مازس الألم، فأصبح يعرف كيف يعالج الألم، وكمحام ذاق الظلم، فيعرف كيف يحامي عن المظلوم، وكقائد ذاق الأشر ومذلة الأشر فيعرف كيف يصرُّ على فك المأسورين وكأنه واحد منهم، وكمملك ذاق مذلة العبيد، لكي حينما يجلس على عرشه يرفع العبيد رفقاءه للجلوس معه. هنا المعونة بمفهوم الشفاعة العملية تدخل في أعمق مفهوم لها، فهي ليست معونة من على بُعد، بل معونة من داخل التجربة، لا كمنقذ يد يده من فوق ليرفع غريباً بل كغواص نزل إلى العمق ليرفع الغريق على كتفه، لا كطبيب يشفي مرضاً درسه بل كطبيب أخذ العدوى بإرادته ليمرض بإرادته بذات المرض، ليذوقه، ويذوق آلامه، ثم يستخدم خبرته الفائقة ليشفي المريض، عن شركة في ذات الألم وعن عطف فائق الوصف وكأنه يقول للمريض عن حق: لا تَحْتَفِ! جسمي كجسمك، ونفسي كنفسك، وأملك ألمي، وحزنك حزني، وشفافوك عندي!!

وهكذا تماماً وبالتالي يقول للخطيء: خطيتك أنا أعرفها، لقد قِستُ طولها وعرضها وعمقها وارتفاعها، لقد حملتها معك دون أن تدري فثقلها عليك ثقلها عليّ، ومرارتها في حلقك مرارتها في حلقي، كثرها كثرها عليّ، ودموعك عليها محفوظة في جزر عندي، أنت رازح تحتها مغلوباً، هذا أنا أعلمه، وأنا نزلت تحتك وحملتك على صليبي ورفعتها من على كتفك ووضعتها على كتفي. فثقت وتشجع، فأنا معك بل أنت فيّ، وخطيتك صارت خطيتي، وقد أمتها بموتي وأخيتك معي، وها أنا أقدمك إلى أبي مطهراً وبلا لوم، مغسولاً ومقدساً بدمي، هكذا فليكن لك من اليوم جراءة وقدم إلى الله بإيماني. فلقد وهبتك اليوم شركة في عجة أبي لي وأعطيتك ميراثاً في بنوتي: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»!! (يو ١٧: ٢٦)

فانظر، يا عزيزي القارىء، كيف أهلت بشرية المسيح باللحم والدم أن يكون هكذا زميل آلام وشفيع تجارب ورئيس كهنة معاً، خبيراً بشئون خطايانا بأعمق وأقبح ما فيها، فلا يخفى منها عليه خاف، ولا يقوى شيء منها أن يقف إزاء سلطان كهنوته الإلهي الفائق القوة والفاعلية في التكفير، وهو مسلح في دفاعه بذبيحة الجسد عينه!! وهكذا نجح الآب أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام.

«لأنه في ما هو قد تألم مجرباً»:

توضيح ما بعده توضيح أن التجارب التي عبرها المسيح لم يُعبر عليها بل عَبَّرَهَا من تحت الآلام! ولكن باتساع وشمول مذهل.

ثم انظر إلى هذا السلسل:

«يشبه إخوته في كل شيء»،

«مجرب في كل شيء»،

«يُكْمَل رئيس خلاصهم بالآلام»،

«لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد».

استوعب كل بشرتنا بكل معنى، وفيها ذاق كل تجاربها [ ما خلا فعل الخطية، فهو أولاً: «الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه مَكْرٌ» (١ بط ٢: ٢٣) ]، واختبر تجاربها من داخل آلامها بكل اتساعها، حتى أنه أكمل كل آلام البشرية المزمع أن يتأسس خلاصها بدمه ثم يجلس يتشفع فيها واحدة فواحدة.

ويلزمنا هنا أن نوضح أن التجارب التي تجمعت عليه تجمعت من كل اتجاه ممكن، فأولاً من الشيطان علناً في البرية، وهي تجارب مخادعة في صورة قوة وعظمة ومجد كاذب يمكن أن تغويه فتفوّت عليه أو تعتقه من محنة الصليب الفادحة. ولا يمكن أن نستعين بقوة هذه التجارب على جسد منهوك إزاء مخادع متمرس جبار، تركه إلى حين وبقي مقابله كل حين يثير عليه جميع صنوف التجارب الأخرى: تجارب من الأهل والإخوة، تجارب من التلاميذ المخلصين ليُثبته عن الصليب: «حاشاك يا رب» (مت ١٦: ٢٢)، تجارب من تلميذ يتجسس ويرسل الأخبار أولاً بأول لرؤساء الكهنة ليضيقوا عليه الحصار ويزيدوا من نار التجارب، تجارب من علماء الناموس، وتجارب من رؤساء الكهنة، وتجارب من الشعب الذي أراد أن يحتفظه ويجعله ملكاً، وتجارب نعرفها وتجارب لا نعرفها، وتجارب لا تخاطر لنا على بال احتمالها بصبر وخرج من تحت آلامها خبيراً أعظم في تجارب بني الإنسان، «مختبر الحزن...» (إش ٥٣: ٣)، ومتمرساً في كل صنوف الآلام النفسية والجسدية.

«يقدر أن يعين المجربين»:

الكلام هنا يتجاوز مفهوم الفداء الذي اختص بالخطايا ليرفعها من فوق ظهر الإنسان مرة واحدة إلى الأبد، ولكن الكلام هنا على التجارب والآلام التي يواجهها الإنسان المفدي والمؤمن والتي يزيد من كيلها الشيطان ضعفين لزلزلة إيمانه.

هنا قول الرسول: «يقدر أن يعين» هي قدرة ذات مصدرين، الأول خبرة المسيح الفائقة في قياس تجاربنا بكل عمقها وقساوتها مع شعوره الإنساني الكامل بنفس أحاسيسنا؛ أما المصدر الثاني فهو ما وراء ناسوته من قوة إلهية مستعدة لعمل الأعاجيب في كل زمان ومكان ومع كل إنسان.

ولكن نود لو ننبه ذهن القارئ إلى دقة التعابير اليونانية التي جاءت في الفعلين، الأول عن المسيح: «مُجْرَباً»، والثاني عن الإنسان: «المجربين»، لأن اللغة العربية قصرت عن التفريق.

«مَجْرَبًا، مَجْرَبِينَ»: πειρασθείς, πειραζόμενοι

الفعل الأول: «تألم مَجْرَبًا» جاء في زمن الماضي البسيط بالنسبة للمسيح،

الفعل الثاني: «المَجْرَبِينَ» جاء في زمن المضارع المستمر والمُعَبَّر عن المستقبل أيضاً.

هذه الصورة تحقق مدى استيعاب المسيح لكل التجارب التي يمكن أن يواجهها إنسان ما في الوجود، استوعبها في حياته على الأرض بالكامل وصدق القول: «أكمل رئيس خلاصهم بالآلام».

أما البشرية المفدية والتي رُفعت خطاياها مرة واحدة وإلى الأبد، فقد وُهب لها أن تظل تتألم من أجله بكل الآلام والتجارب، وهذا حُسب لها هبة ونعمة، لأن التألم هنا ليس من أجل خطية بعد لئلا يُهان دم المسيح، بل تألم من أجل المسيح بمعنى الاشتراك في آلامه كعربون للاشتراك في مجده: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجّد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧). إذًا، فهي آلام ذات عائد يفوق كل أبعاد هذا الدهر: «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيق أن يُستعلن فينا» (رو ٨: ١٨). وبالرغم من ذلك، وحتى في هذه الآلام والضيقات الحاضرة والتي لها ثمن يفوق صعوبتها، فالمسيح لا يتركنا نجوزها وحدنا: «لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يرثي المَجْرَبِينَ»، ويعيد الرسول القول مرة أخرى: «لأنه ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية.» (عب ٤: ١٥)

ولكن يهمننا أن نؤكد أن الآلام التي نجوزها مع كل الضيقات بعد أن آمنا بالمسيح واتخذنا به وفئزنا بالخلص، لم تُعدّ علامة هجران أو بُعاد عن الله، بل هي آلام وضيقات لحساب الملكوت كما يخاطب بولس الرسول أهل تسالونيكي مشجعاً: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحملونها، بيّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.» (٢ تس ١: ٤ و٥)

كذلك، فكل أنواع التجارب المصوّبة للمؤمنين بقصد إحياء الخطية الميتة في أعضائهم والتي يتأذى منها الأتقياء ويصرخون، فلنا شفيع ذاق قوة الخطية القاتلة حتى الموت، وعرف جوانبها المؤذية للضمير والقادرة أن تحجب وجه الله، كما ذاق هو على الصليب. لذلك فهو يسمع الأنين والصرخ ويتصدى، فهذا من صميم أعمال الصليب، فالذي دان الخطية في الجسد مرة دافعاً ثمنها من دمه لن يصمّ أذنيه عن الطالبين المعونة. فكل تجربة يجوزها المؤمنون باسمه، هي تجربته. فالذي اشترك في اللحم والدم، اشترك في كل آلام وتجارب اللحم والدم. وهو يقيناً قادر أن يعين المَجْرَبِينَ. ولا يبقى إلا الإيمان ليتحقق الإنسان من صدق الله!

## الدفاع الثاني

تفوق المسيح على موسى ويشوع

وتفوق الراحة التي يقدمها المسيح على راحة العهد القديم

## الأصحاح الثالث والرابع

ملخص ما سبق:

انشغال السفر في الأربع الآيات الأولى من الأصحاح الأول، كان بقصد أن يقدم عناصر الرسالة بأكملها، وهذا ما سميناه ديباجة الرسالة.

**الدفاع الأول:** ثم من الآية الخامسة من الأصحاح الأول مع بقية الأصحاح الأول برؤيته والأصحاح الثاني برؤيته، ينشغل برفع قدر المسيح فوق الملائكة الذين كان يُظنُّ أنهم سلّموا التوراة والناموس لموسى.

**الدفاع الثاني:** ثم ينشغل السفر على مدى الأصحاح الثالث والرابع كله بعمل موازنة بين تدبير الله القديم على يد موسى ويشوع وبين تدبير الله الجديد بيسوع المسيح.

**مقدمة الأصحاح الثالث والرابع:**

انتهى الأصحاح الثاني بالإعلان عن ظهور المسيح في اللحم والدم مُشبهاً إخوته في كل شيء، لكي يقوم بوظيفته بين إخوته كرئيس كهنة يكفّر عن خطايا الشعب معبراً ضمناً عن ذبيحة كفارته.

وإلى هنا توقّف السفر عن الاستطراد في شرح أعمال رئيس الكهنة والدخول في ذبيحة التكفير التي سيخصص لها الأصحاحات من الخامس إلى العاشر (وحتى آية ١٠: ١٨)، والتي هي صُلب اللاهوت المسيحي الخلاصي.

ولكنه ارتأى بالروح أن ينتهي أولاً من رسم موازنة بين خطة التدبير الإلهي التي نفذها الله على

يد موسى ويشوع وكل ما تبهما من عصور في التطبيقات الناموسية، وبين خطة التدبير الإلهي التي نَفَّذها الله بواسطة ابنه يسوع المسيح .

وقد ألمح السفر في الآية الخامسة من الأصحاح الثاني إلى أن هناك في تدبير الله عالمين، عالم سَمَّاه «العالم العتيد» الذي هو محور اهتمام ومضمون ما قصد أن يتكلم عنه في هذه الرسالة بقوله: «فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد الذي نتكلم عنه» (عب ٢: ٥). بمعنى أنه إن كان الملائكة قد اشتركوا كوسطاء في توصيل الناموس لموسى وربما المعاونة في تنفيذه، وهذا هو العالم القديم في عرف الرسالة، ولكن الله لم يُخضع، ولا حتى سَلَّم مهام العالم الجديد العتيد — وهو ملكوت الله — لأَيٍّ من الملائكة، بل كان محفوظاً طبعاً لسيادة ابنه:

+ «الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مُكَلَّلًا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد... ويكتمل رئيس خلاصهم بالآلام... لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يُكفِّر خطايا الشعب (ويفتح ملكوت الله = العالم العتيد).» (عب ٢: ٩ و١٠ و١٧)

وهكذا كان هناك ضرورة في اعتبار السفر لأن تُعقَد مقارنة بين موقع موسى ويشوع من تدبير مملكة يهوه على الأرض التي كان الله «يهوه» فيها ملكاً وحيداً وخصاً لشعبه الخاص، وبين موقع المسيح الابن في المقابل في تدبير ملكوت الله السماوي «العتيد» واستعلانه على الأرض بالنسبة للعالم كله.

وقد قَسَمَ القديس بولس الأصحاحين الثالث والرابع هكذا:

أولاً (١: ٣-٦):

موسى الخادم لبيت الله — خيمة الاجتماع — في تدبير الله القديم مقابل المسيح ابن الله السيد وصاحب البيت، وبيته نحن أي الكنيسة جسده.

ثانياً (٣: ٧-٤: ١٣):

تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم وتذمُّرهم المتواصل وقلة إيمانهم، مما جلب عليهم الغضب والهلاك في البرية وحرمانهم من دخول أرض الراحة كنعان التي لم تكن لهم للراحة أبداً بسبب خطاياهم وعنادهم: «بسطة يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره» (إش ٦٥: ٢)، في مقابل وعد جديد بالراحة العليا الأبدية التي دخلها المسيح، ودعانا إليها لنمتلكها من الآن.



## ختام الأصحاح الرابع (٤: ١٤-١٦):

بعد ذلك، وبعد أن أكمل هذه المقارنة غير المتوازنة بين التدبير الأرضي الجسدي القديم على يد موسى وبين التدبير السماوي الروحي الجديد بواسطة المسيح، وعند الآية (١٤) من الأصحاح الرابع، يعود بدون سابق إنذار ليواصل الكلام الذي أنهاه في نهاية الأصحاح الثاني عن المسيح باعتباره رئيس الكهنة، ليبثدىء يتكلم بالتفصيل عنه كرئيس كهنة، كعقيدة لاهوتية قائمة بذاتها، يطرحها لأول مرة في أسفار العهد الجديد، وتستغرق الآيات ١٤ و١٥ و١٦. وبذلك ينتهي الأصحاح الرابع، ليعود في الأصحاحات من ٥-١٠: ١٨، ويكتمل عقيدة المسيح كرئيس كهنة أعظم بصفتها موضوع الدفاع الثالث، أي تفوق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم.

## الأصحاح الثالث

أولاً: بين موسى خادماً خيمة الاجتماع، والمسيح الابن على بيته، وبيته نحن (الكنيسة)  
(٦:٣-١).

ثانياً: الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله (٣:٧-١٩):  
أ - التذمُّر في البرية (٣:٧-١١).

ب - تطبيق درس التذمُّر في البرية (٣:١٢-١٥).

ج - الدرس المُستفاد من المزموير كله بتدقيق (٣:١٦-١٩).

أولاً:

بين موسى خادم خيمة الاجتماع  
والمسيح الابن صاحب البيت وبيته نحن الكنيسة

[ ٦ : ١ - ٣ ]

يبدأ الكلام بتقديم المسيح بصفته صاحب الدعوة السماوية (العالم العتيد): (٢١: ٣).

ثم يبدأ بالموازنة رافعاً المسيح على أساس اعتبارين:

**الاعتبار الأول:** أن موسى كخادم البيت؛ يمثّل مجرد نظام لهذا البيت، في حين أن المسيح هو باني البيت، أي صانع التدبير بأكمله، وتدبيره نحن أي الكنيسة (٤٣: ٣).

**الاعتبار الثاني:** موسى يعمل على أساس مستقبل زمني، آت كمجرد خادم لمقاصد الله. على أن موسى أخفق إخفاقاً شخصياً كان مسئولاً فيه عن توصيل شعب الله إلى راحته، أي أرض الميعاد، مما اضطر الأمر إلى اختيار يشوع لتكميل العمل.

أما المسيح الابن فهو يحقق خلاصاً وقيم حاضراً (٦٥: ٣)، إذ أن المسيح بعد أن أكمل العمل الخلاصي على الصليب، وقام، ارتفع إلى السموات ودخل الأقداس العليا، وجلس عن يمين الله تعبيراً عن كمال الكمال، بعد أن افتتح الطريق إذ دخل إلى راحته كسابق من أجلنا فوجد فداءً أبدياً وراحة أبدية أيضاً.

ولا يخفى على القارئ أن هنا تورية رقيقة مخبئة وراء الكلام، تصوّر هذه المقارنة من خلف فإبراهيم وخادمه لعازر الدمشقي، ثم ظهور الابن إسحق الوريث، يعطيان صورة خاطفة بديعة لله وموسى الخادم والمسيح الابن الوريث.

وطبعاً إن بدت هذه الصورة بعيدة نوعاً ما عن وعي القارئ، فهي حاضرة ومنظورة عند هؤلاء العبرانيين وهو يخاطبهم بها. إن موسى الذي كان عليه رجاؤهم، ليس هو أكثر من لعازر الدمشقي على مسرح أحداث الحقائق الإلهية، التي كما أبرزت إسحق ليلفي دور لعازر الخادم في ورائة

كاذبة لبيت إبراهيم: «فقال أبرام: أيها السيد الربُّ ماذا تُعطيني وأنا ماضٍ عَقِيماً ومالك (وارث) بيتي هو أليعازر الدمشقي (خادمي)» (تك ١٥: ٢)؛ هكذا أظهرت نعمة الله المسيح الابن ليلغني دور موسى خادم البيت لأن صاحبه حضر: «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه.» (ملاخي ١: ٣)

وليلاحظ القارئ في الآية المذكورة أن إبراهيم يقول عن أليعازر الدمشقي إنه: «مالك بيتي»، أي صاحبه، هكذا ظهر أليعازر قبل أن يظهر الابن الوريث المالك الحقيقي للبيت إسحق، فبمجرد ظهور إسحق انسحب أليعازر إلى مكان الخادم الذي لا يبقى في البيت إلى الأبد!!! هكذا يريد أن يقول السفر للعبرانيين، إن موسى إن كان قد ظهر في أفق حياتكم السابقة كأنه مالك لبيت الله وصاحبه، فهذا لغياب الحقيقة عنكم قبل إيمانكم واستعلان الابن الحقيقي المسيح يسوع كالسيد والرب ليُنهي دور الخادم المؤقت. أما هذا الابن الوريث فهو يبقى، ويبقى صاحباً للبيت إلى الأبد لأنه هو بانيه.

### الشرح:

٢٥١: ٣ «مِنْ نَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقَدِيسُونَ شُرَكَاءَ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَةِ (العالم العتيد) لاحظوا رسولَ اعترافنا ورؤيسَ كهنتِهِ المسيحِ يسوعَ، حالَ كونه أميناً للذي أفاقه كما كان موسى أيضاً في كلِّ بيته.»

«مِنْ نَمَّ»: ὁθεν

وتعني «لذلك» وهذا يجعل ما يأتي من الكلام محمولاً على ما سبق ومرتباً عليه. والذي سبق ويقصده هو أن المسيح أخذ لحمًا ودمًا وقد اشترك فيما لنا، أي طبيعتنا البشرية، ونحن صرنا بذلك إخوة له، ويترتب على ذلك أنه أصبح عالمًا بحاجاتنا وقادرًا على المعونة في كل شيء وتكميل كل أعواننا.

### «أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقَدِيسُونَ»:

واضح أن وصف الرابطة التي تربط المتكلم بالمخاطبين جميعاً بأنها رابطة أخوة، هو نتيجة مباشرة لتجسد المسيح الذي كان تجسده السبب الأول في أن يصيرنا جميعاً إخوة له، وبالتالي فإن مجرد توجيه نظر السامعين أنهم «إخوة» بهذا الوضع المسيحي الجديد يجعل الكلام القادم ذا غاية من نفس الموضوع بل ومبنيًا أيضاً عليه.

أما قوله: «القديسون»، فتشير إلى مستوى الرابطة الأخوية أنها تأسست على عمل التقديس الذي تمّ بسر المسيح الكلّي، سواء معمودية أو اشتراك في الجسد والدم أو موهبة الاتحاد في جسد واحد. ولكن إطلاق كلمة «الإخوة القديسين» على كل السامعين لا يعني أبداً أن كلهم قد صاروا قديسين كأفراد واحداً واحداً. والشاهد على ذلك أن المسيح كان يُطلق على أتباعه كلمة «التلاميذ الاثني عشر»، ويا لعظمة وقداة كلمة تلاميذ المسيح، وبالرغم من ذلك قال مرة وهو يخاطبهم وإصبعه يشير إلى يهوذا: «وأنتم طاهرون ولكن ليس كلكم» (يو ١٣: ١٠). وعلى هذا النمط كان بولس الرسول يدعو أهل كل كنيسة بالقدسين من واقع سر المسيح والكنيسة التي تجتمعهم ولكن كان فيهم مَنْ وقع تحت توبيخه بسبب زناه وتعديبه وتمّ قطعه.

وهكذا علينا أن ننتبه أن «قداستنا»، سواء ما يطلقها علينا الآخرون جزافاً أو ما ينبغي أن تكون عليه حقيقة سيرتنا وحياتنا، هي متوقّفة على شهادة المسيح والروح القدس: «الذي مدّحه ليس من الناس بل من الله» (رو ٢٩: ٢٩)، «وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (١ كو ٤: ٥)، وما يرفضه ضميرنا لا ينبغي أن تقبله أسمعنا.

«شركاء الدعوة السماوية»:

«شركاء»: μέτοχοι

جاءت هنا بمعنى «مشاركين في أمر»، لذلك جاءت باللاتينية participes، وهي تختلف عن الشركة الحقيقية التي فيها ينصهر الأفراد لحساب المسيح، وتجيء باليونانية κοινωνία. فشركة الإخوة القديسين هنا في هذه الآية هي من واقع دعوة المسيح فقط التي يلزمها بعد ذلك الخضوع لها بالقلب والروح لتصبح بعد الدعوة وحدة. فهي شركة في مجرد اختيار أو امتياز عام شكلي، فرباط الشركة غير موجود في الأشخاص ولكن في الدعوة.

وهنا يضطرب قلبنا جداً ونجزع ونرتاع لثلاث تكون أختوتنا وشركتنا وقداستنا المزعومة مجرد شركة في دعوة فقط، ولم تصر بعد شركة وحدة وانصهار قلبي وروحي ونفسي في المسيح بتقديس الروح وطاعة الكلمة؟ «جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ ... إن لم تكونوا مرفوضين» (٢ كو ١٣: ٥). هل يمكن؟ ويا لفداحة الخسارة ويا لضياح العمر باطلاً!!!

الدعوة السماوية: κλήσεως ἐπουρανίου من κλήσις :

يلزمنا هنا الانتباه إلى هذا التعريف الجديد: الدعوة «السماوية»، فهنا يبدأ الرسول ينطلق إلى الوضع السماوي الذي تعيّن لنا بنزول الابن من السماء. اسمعه يُكرّر:

- + «الذين استنبروا (بالمعمودية) مرّة وذاقوا الموهبة السماوية.» (عب ٦: ٤)
- + «وأما السماويات عينها فبذباح أفضل.» (عب ٩: ٢٣)
- + «ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً.» (عب ١١: ١٦)
- + «بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية.» (عب ١٢: ٢٢)

هذا يكشف لنا عمّا كان يملأ قلب وذهن الرسول من الفارق بين موسى والمسيح كالفارق بين الأرضيات والسماويات.

وهنا الدعوة السماوية ليس معناها أننا قبلنا مجرد دعوة جاءتنا من السماء وليس من الأرض أو من أوهامنا، ولكنها تعني سماوية حسب القصد والغاية والنهاية والمكافأة، فهي دعوة تأتي فعلاً من السماء لتُكتمَل في السماء، تأتي من الله لتتحقّق فيه معه، دعوة لها شركة غلباً سماوية، وليست كدعوة موسى التي أتته من فوق جبل مدخّن بالنار وزلزلة وصوت بوق مُخيف، وما أجمل وضعها في موضع آخر في نفس هذا السفر: «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق ... بل قد أتيتم إلى جبل صهيون (الروحي) وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات، وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مُكتمَلين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل» (عب ١٢: ١٨-٢٤). دعوة موسى أتته لتكتمل حياة على الأرض ودخول أرض تفيض لبناً وعسلاً لملء البطن والشهوة. أما دعوة السماء فهي لتكتمل حياة أبدية مع الله، ومع شركة القديسين، لتسبيح وتمجيد يدوم إلى الأبد.

«لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع»:

الترجمة العربية هنا تصرّفت في أمرين:

الأول: هو إعطاء لقب «المسيح» وهو غير موجود في اليونانية وجميع المخطوطات القديمة وذلك لسبب هام.

الثاني: هو نسبة رئيس كهنة لهاء الغائب مما يُظنّ معه أنه منسوب لله مع أنه منسوب لاعترافنا.

وصحة ترجمة الآية حسب النص اليوناني هي: «لاحظوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا».

وهنا التشديد على الاسم البشري للمسيح هو ضرورة هامة لأنه موضوع في مقابل موسى بشرياً في الوضعين.

## «لاحظوا يسوع»:

هنا الانتباه مرَّكز على اسم يسوع أكثر من لقب المسيح لذلك نجد فعل الكينونة المنسوب إليه هو من واقع تجسده وليس في ما قبل تجسده «حال كونه».

ويأتي في الآية التالية بمعنى أن ننتبه إلى أمانته التي أكمل بها عمله، وهي محسوبة الآن أنها ممتدة ودائمة، أي لم تنته مثل الذي صار لموسى.

## «لاحظوا»:

باليونانية κατανοήσατε من الفعل κατανοεῖν وتعني الملاحظة الفكرية أولاً ثم الانتباه الذهني.

هنا الملاحظة مطلوب الاهتمام بها، ليس فقط للفهم عبوراً بالآية، ولكن ملاحظة حياتية تدخل في صميم الإيمان والتصرف والسلوك. وقد جاءت هذه الكلمة عينها بعد ذلك لتفيد هذا المعنى تماماً بقوله: «ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة» (عب ١٠: ٢٤). إذا فالملاحظة ليست فكرية أو ذهنية وحسب وإنما التزام عمل وسلوك<sup>(١)</sup>.

وقد استخدمها المسيح أيضاً كدعوة لملاحظة الغربان والزنابق في الحقل لتعلم منها كيف نتكلم على الله في حياتنا اليومية: «تأملوا κατανοήσατε الغربان، ... تأملوا κατανοήσατε زنابق الحقل ...» (لوقا ١٢: ٢٤ و٢٧؛ مت ٦: ٢٨). هنا أمر التأمل يوضح تماماً معنى الكلمة العملي في تحويل المنظور إلى فعل.

ومعلوم، يا عزيزي القارئ، أن قراءة الإنجيل بهذا التأمل في كل ما علم به المسيح يحول الكلام إلى عمل والتصور إلى حياة. وعلينا أن نتأكد أنه بدون تأمل لا قيمة للمقولة الإنجيلية أو اللاهوتية فالتأمل يرفعنا إلى مستوى كلمة الله، لأن كلمة الله لا تهبط إلى الفكر والقلب ونحن صامتون وملثموا الفكر: «أفغير فالك فأملأه» (مز ٨١: ١٠)، «الذين يُبْكِرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونِي» (أم ٨: ١٧)، «طوبى للإنسان الذي يسمع لي ساهراً كل يوم.» (أم ٨: ٣٤)

## «رسول ورئيس كهنة اعترافنا»:

هنا وظيفتان ليسوع: كونه رسولاً مُرسلاً من الله شأنه شأن موسى، وأيضاً رئيس كهنة شأنه

شأن هارون، وهما ما سيحاول المقارنة معهما. ولكن في المسيح تنجمع الوظيفتان معاً ولكن بصورة سماوية أعلى بلا قياس. كما نلاحظ أن في هاتين الوظيفتين ينجمع عمل الله وعمل الإنسان بما يتناسب تماماً مع سابق الدعوة التي تعين وتخصّص لها المسيح قبل تجسّده، أن يعلن الله للإنسان (عمل رسول) وأن يقدّم الإنسان إلى الله (عمل رئيس كهنة).

كذلك لو تعمّقنا مسار الكلمات ومنابعها، فإننا نجد أنه حتى من بدء هذه الآية، وهاتان الوظيفتان حاضرتان في ذهن الرسول، إذ حينما يقول: أيها «الإخوة القديسون» فهذا اللقب هو من صنع رئيس الكهنة الذي جمع وطهره وقُدّس، وشركاء «الدعوة السماوية» هذه هي التي انفتحت علينا من وظيفة المسيح كونه رسولاً من الله، فإنه بهذا يمكن أن نلّفِ نظرة القارىء لدى الدقة والتتابع في الأفكار من داخل الكلمات والأوصاف والآيات في هذه الرسالة الشديدة التركيز.

«رسول»:

ربما يبدو لأول وهلة أن هذه الوظيفة أقل في الاعتبار والدرجة فيما يتناسب مع المسيح الرب والإله. ولكن الرسالة هنا تنحصر في بشرية المسيح كونه إنساناً مُرسلاً، وهو ما كان يصف به المسيح نفسه دائماً في الإنجيل: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (مت ١٥: ٢٤)، حتى وفي حديث المسيح مع الآب: «وهذه هي الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته.» (يو ١٧: ٣)

+ «ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.» (غل ٤: ٤)

+ «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم.» (يو ١٧: ١٨)

وهنا كاتب الرسالة يقصد أن يضع المسيح «أرسل ابنه» (غل ٤: ٤) في الوظيفة التي يتقابل فيها مع موسى: «هَلَمْ فَأرسلك» (خر ٣: ١٠)، وهذا لا يُقلل من شأن الرب بل كما سنرى يوضّح علو كفاءته في هذا الوضع عينه بمقدار التفوق المطلق الذي فيه جعل من رسوليته استعلاناً لظهور الله في إنسان: «الذي رأيته فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩)، مما جعل كل الرسل الذين أرسلهم الله قبله نُسخاً باهتة تحمّل رسوليته بالنهاية ولا تكتمل شيئاً بذاتها. أما كل الرسل الذين جاءوا وأرسلهم الله بعده فهم رُسله هو، يخدمون رسوليته بالدرجة الأولى:

+ «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم.» (يو ١٧: ١٨)



+ «الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أرسله يقبلني، والذي يقبلني يقبل الذي أرسلني.»  
(يو١٣: ٢٠)

والذي يرفع رسولية «يسوع» فوق كل رسولية أخرى أنه رئيس كهنة في نفس الوقت!! فكل رسول يُرسل من الله للإعلان عن الله، أما يسوع فهو رسول للإعلان والاستعلان معاً بأن واحد، بذاته ثم لتقديم الإنسان إلى الله في ذاته أيضاً كرئيس كهنة.

أما الإرسال فيشير إلى التجسد، أما رئاسة الكهنوت فتشير إلى ذبيحة كفارة الصليب التي دخل بها الأقداس العليا وتراعى أمام الله لأجلنا. فهو رسول الله الذي يمثلنا، ورسولنا الذي يمثلنا أمام الله.

«رسول ورئيس كهنة اعترافنا»:

«لاحظوا» هنا تفيد ملاحظة الفكر والوعي لملاحظة عمل المسيح كرئيس كهنة، وتعني إيجابياً الاتصال القلبي بمطالب وظيفته كرئيس كهنة تعين لنا، فهو رئيس كهنة اعترافنا، وكلمة «اعتراف» هنا (أومولوجيا) *ὁμολογίας* اصطلاح كنسي ليتورجي اختص به سفر العبرانيين بكثرة، وقد استخدمه القديس بولس مرتين: في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (١٣: ٩)، والرسالة الأولى لتيموثاوس (٦: ١٢ و١٣). وتعني هنا «يسوع الذي نعترف به» بمعنى التمسك الإيماني القلبي والعلني معاً بيسوع أنه هو المسيح، المُرسَل ورئيس الكهنة بأن واحد: «لنتمسك بإقرار»<sup>(٢)</sup> (= اعتراف *ὁμολογίαν*) الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ٢٣). هنا الاعتراف سَمَاء «إقراراً»، وهو هنا يشدّد أن يكون اعتراف إيماننا راسخاً، لأن الإيمان هنا يرتبط بالوعد والوعد مرتبط بالله شخصياً. بمعنى أننا كمسيحيين أعطينا دعوة سمائية بوعد قوامها رسول مُرسل من الله هو ابنه، وهو بأن واحد تعين لنا رئيس كهنة منوط برفع قضيتنا أمام الله بتقديم ذبيحة نفسه كفارة. هذا هو مضمون إيماننا وإقرارنا الذي نعترف به بالقلب واللسان في السيرة والمسيرة.

«رئيس كهنة»:

الرسالة إلى العبرانيين تتميز بالدرجة الأولى بإبراز شخصية المسيح كرئيس كهنة. فالرسالة

(٢) الإقرار توضيح بديع لكلمة «أومولوجيا» التي ترجمتها أيضاً «اعتراف»، فهي تعني في اللغة اليونانية ضمن ما تعني كلمة «عقد» contract. هكذا كان الإيمان في حقيقته عقد يتحتم الاعتراف به. وهذا الشرع هو للعالم:

تُقدِّمه أولاً ككاهن *ιερεός* على طقس ملكي صادق، وذلك من واقع قَسَم الله في النبوة التي نطقها داود في المزمور: «أقسَم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤)، وقد سجلها هذا السفر في مواضع عدة في: (٦: ٥ و ١٠، ٢٠: ٦، ١٥: ٧ و ١٧ و ٢١). كما سجَّل له هذا السفر وظيفة «كاهن عظيم» *ιερέα μέγαν* على بيت الله» (٢١: ١٠). كما سجَّل له وظيفة رئيس كهنة رحيم *ἐλεήμων*، وأمين *πιστός* (١٧: ٢)، كذلك رئيس كهنة اعترافنا *ἡμῶν* *ὁμολογίας* *τῆς* (١: ٣)، ورئيس كهنة عظيم *μέγαν* (١٤: ٤)، ورئيس كهنة قادر أن يرثي *δυνάμενον συμπαθῆσαι* (١٥: ٤)، وعلى طقس ملكي صادق (١٠: ٥)، ورئيس كهنة قدوس بلا شر ولا دنس *δοσιος, ἄκακος*. ورئيس كهنة الخيرات العتيدة *ἀμίαντος* (٢٦: ٧)، ورئيس كهنة الخيرات العتيدة *τῶν μελλόντων ἀγαθῶν* (١١: ٩).

ويلاحظ أنه إن قال إنه كاهن فقط فهو كاهن على طقس ملكي صادق، وهو يقصد نفس الصفة التي كانت للملكي صادق وهي أنه ملك السلام وملك البر وكاهن الله العلي !! أما إذا وصفه بأنه رئيس كهنة دخل كسابق لأجلنا فهو المقابل ليشوع، الذي أدخل الشعب إلى أرض الميعاد وقَسَم لهم الميراث (الأرضي) وأكمل لهم الوعد (الأرضي). ولكن رئاسة كهنوت المسيح لا تتبع نظاماً كهنوتياً هو يرأسه، بل هو رئيس خلاص أعطي له كهنوت الكفارة ليتَّممه وحده بفرده وبلا مُعين: «دُسْتُ المعصرة وحدي» (إش ٦٣: ٣). ويلزم جداً أن ننتبه أن كهنوت المسيح، سواء قيل إنه كاهن أو إنه رئيس كهنة، فهذا هو استعلان سرِّي عالي القدر جداً لشخص المسيح المترتب على كونه فِضْحاً وبالتالي مُقدِّم الفصح الأعظم والوحيد. فحينما قال المعبدان عن المسيح: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩)، قالها دون أن يدري أنه هو الذي سيقدِّم بنفسه هذا الحمل عينه بسكين إرادته الطوعية الفرحة يوم خميس العهد، ثم يسلم حَمَلَهُ وحيداً لأيدي ذابحيه يوم الجمعة. فالمسيح رئيس كهنة حتماً لأنه مُقدِّم حَمَلِهِ الوحيد ذبيحة الكفارة. أما اسم التوروية الإلهية الذي التصق به منذ يوم داود أنه على طقس ملكي صادق، فلائنه يعمل أيضاً سر الخبز والخمر الذي عضد بهما «إيمان» تلاميذه وكل من يؤمن به كما عضد ملكي صادق إيمان إبراهيم بخبز وخر، وكأنه أكل بالنبوة سر الفداء.

وكانما ابن الله تجسد ليجد أولاً في جسده الذبيحة اللازمة للكفارة (عب ١٠: ٥)، كما وتجسّد أيضاً ثانياً ليشبه إخوته في كل شيء ويكون مُجرباً مثلهم بلا خطية لكي يؤهل من بشرته مواصفات وموجبات رئيس الكهنة القادر أن يرثي لضعفات إخوته ويتقدّم بذبيحته ليرفع عنهم خطاياهم واللعنة وحكم الموت الأبدي. ففي التجسّد يكمن سرّان: سر الذبيحة التي بلا لوم، وسر

مقدم الذبيحة المجرَّب في كل شيء: الفصح وقائد الخروج، الكفَّارة ومقدم الكفَّارة، القربان ورئيس الكهنة.

وارتباط المسيح بلقب رئيس الكهنة يملأ ذهن وقلب رسول سفر العبرانيين بصورة طاغية ولكن عن صحة ويقين. فاسمع كيف يصوِّره من داخل النبوة على اعتبار أن ابن الله لما دخل إلى العالم دخل حاملاً دعوة الكهنوت وتقديم جسده محرقة عوض ذبائح العهد القديم كلها هكذا: «لذلك عند دخوله إلى العالم (تجسده) يقول: ذبيحة وقرباناً لم تُرَدِّ، ولكن هيأت لي جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرَّ، ثم قلت: هاإنذا أجيء، في ذرَج الكتاب مكتوبٌ عني، لأفعل مشيئتكَ يا الله» (عب ١٠: ٥-٧). بمعنى أن دخول الابن إلى العالم للتجسُّد كان على أساس التعويض عن الذبائح والمُحرقات بجسد المسيح!! ولكن ينبغي اعتبار هذه المقولة: «هيأت لي جسداً» أنها تشمل مفهوم أن المسيح هو نفسه صاحب الجسد: «هيأت جسداً» الذي سأقدمه ذبيحة، بل وهو نفسه - «لي» - أي أنه سيقدِّم جسده ذبيحة كفَّارة أي باعتباره رئيس الكهنة الذي سيقدِّم جسده محرقة حسب مشيئة الله!

٢:٣ «حالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ».

تأخذ هذه الآية قوتها حين نضعها في ضوء وعد الله بمجيء النبي الآخر مثل موسى، الذي سيضع الله اسمه فيه: «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلمُ به باسمي أنا أطلبه.» (تث ١٨: ١٨ و١٩)

لاحظ أن تركيز آية سفر العبرانيين هنا توجه الفكر نحو بشرية المسيح، مثل هذه الآية في سفر التثنوية، باعتباره النبي الثاني بعد موسى ومثله. فالالتجاه هنا هو نحو أمانة المسيح يسوع كإنسان أقامه الله لعمل وظيفته الرئاسية على الشعب وكوسيط بينه وبين الله كما كان موسى.

«لِلَّذِي أَقَامَهُ»: τῷ ποιήσαντι

الكلمة اليونانية هنا تحتل مقننين، معنى يفيد بشريته فقط والمعنى الآخر يفيد وظيفته. ولكن لا يحتمل المعنى فكرة الخلقة على الإطلاق<sup>(٣)</sup>، والآباء عموماً في تفسيرهم لهذه الآية هنا يُرَكِّزون

على بشرية المسيح، مثل القديس أناسيوس<sup>(٤)</sup>.

ولكن يُرجَّح العالم وستكوت أن القصد المباشر هنا هو على وظيفته، والكلمة العربية واضحة وصريحة في ذلك، فالذي أقام موسى أقام المسيح من جهة الوظيفة وليس الحلقة أو التجسُّد. وهذا نجدُهُ واضحاً في سفر الأعمال: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أنَّ الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» (أع ٢: ٣٦)، حيث جاءت كلمة «جعل» هنا باليونانية ἐποίησεν وهي نفس التي تُرجمت «أقامه». وقد أوضحها ذهبي الفم:

[ إنه لا يتكلَّم هنا من جهة جوهره أو لاهوته ولكن فقط فيما يخص امتيازات بشرته ]<sup>(٥)</sup>.

« كما كان موسى أيضاً في كل بيته »:

هنا لا يشاء القديس بولس أن يجعل المُقارنة بين المسيح وموسى على مستوى اللاهوت مباشرة لثلاً — كما يقول ذهبي الفم — يسدُّوا آذانهم، طبعاً بسبب تشككهم في الإيمان بالمسيح. ولكنه ينزل إلى مستوى دعوة المسيح في وضعه البشري بالنسبة لدعوة موسى. فموسى كان أميناً في كل بيت الله، والذي يسترعي انتباهنا هنا كلمة «كل» (ὅλα) فلماذا «كل بيته»؟ هنا المعنى عميق للغاية، فالله دعا مع موسى كهنة ورؤساء كهنة وفيما بعد أنبياء وملوكاً أيضاً، كل هؤلاء كانوا قد أقيموا على بيت الله حيث جاءت كلمة «بيت» هنا بمعنى بيت إسرائيل أي الشعب. وكل واحد من هذه الشخصيات كان منوطاً به خدمة جزء أو ناحية من نواحي خدعة عهد الله مع الشعب. أما موسى فالله أقامه على كل بيته بمعنى المسئول عن كل أوجه الخدمة، واستأنه الله على كل احتياجات الشعب، وفي نفس الوقت كان هو الوحيد الذي يتحدَّث مع الله والله يتحدَّث معه، كوسيط يمثِّل الله للشعب ويمثِّل الشعب لدى الله. والأصل في الآية هو نص في سفر العدد: «فقال: اسمعوا كلامي (يا هارون ومريم)، إن كان منكم نبيٌّ للرب فيالرؤيا أستعلن له، في العلم أكلِّمه، وأما عبدي موسى فكذا بل هو أمينٌ في كل بيتي.» (عدد ١٢: ٦٧)

و «كل» (ὅλα) هنا تُظهر قوتها وعمقها جداً في حال المسيح بعد ذلك، لأن موسى كان مجرد مثال للسماعي الآتي بعده.

والآن ينبغي لنا أن نوضِّح أكثر المنهج الفكري الذي سيسير عليه بولس الرسول هنا فيما يخص

4. Athanas. (a) *De sententia Dionysii*, 11, NPNF, p. 180.

(b) *C. Arian*. ii,7, NPNF, p. 351.

5. Chrysostom, *op. cit.*, p. 390.

العلاقة بين «يسوع» في حال بشريته الذي أقامه الله على بيته، وبين موسى سابقاً. ومرة أخرى نقول: إن المقارنة ليست بين المسيح وموسى، بل بين يسوع وموسى، لأننا سندخل في تخصصات النظام العبادي وعمل المقارنة بين خدمة موسى وخدمة يسوع. لأنه يلزمنا أيضاً أن ننتبه أن الحديث موجّه للعبرانيين اليهود المنتصرين الذين يقع موسى عندهم موقع صاحب التوراة والناموس والمؤمن على بيت الله وحياة وخلص شعبه، فشخصية موسى خُطت في أعماق الشعور واللاشعور عند العبراني المنتصر خطوطاً عميقة من العسير أن يحوها شيء في الوجود إلا مَنْ كان أعلى وأعظم وأهم وأخطر من موسى على مستوى الأمانة في البيت وعلى مستوى كلمة الله!!!

ولكي نوضّح مدى عمق بقاء شخصية موسى مُرافقةً ومُلازمةً مع شخصية المسيح حتى بعد تمام استعلان عمله ولاهوته والخلص الذي أكمل، بل وبعد أن ساد على الناموس نفسه وعلى سبته ووصاياه كما قال المسيح: «قبل للقديس ... وأما أنا فأقول لكم» (مت ٥: ٢١)، «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو ٨: ٥٨)؛ نعم بعد هذا كله نقرأ التلازم الحتمي بالروح بين المسيح وموسى هكذا: «وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الحروف قائلين: عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ ١٥: ٣). وطبعاً يُدهشنا هنا مجيء موسى قبل الحروف، ولكن يلزم أيضاً أن يفتح وعينا لنستذكر كيف أن موسى هو الذي قدّم «الفصح» (الحروف)، فذكر الفصح سواء في «التيب» Type (أي الصورة) أو «الأرثي تيب» archetype (أي الأصل) يأتي مرتبطاً بموسى كما يأتي العهد القديم سابقاً على العهد الجديد ومهدداً له.

بل ونجد المسيح نفسه عند ذكره اسم موسى يعطيه أسبقية، بل ويؤمن على رئاسته على شعبه بل وعلى مسئوليته عنهم حتى في السماء!!! «لا تظنوا أنني أشكركم إلى الأب، يوجد الذي يشكركم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدّقون موسى لكنتم تصدّقونني لأنه هو كُتِبَ عني. فإن كنتم لستم تصدّقون كُتِبَ ذلك (؟) فكيف تصدّقون كلاهما؟» (يو ٥: ٤٥-٤٧). يُلاحظ هنا أن المسيح يتكلّم عن موقف بشريٍّ مواز لموقف موسى وشخصية موسى: [ تصدّقون موسى: تصدّقونني ]، [ كُتِبَ ذلك (التوراة): كلامي (الإنجيل) !! ] .

فالقديس بولس هنا في هذه الرسالة يحاول إقناع اليهود المنتصرين بارتفاع قدر يسوع المسيح على موسى من نفس المستوى الذي استؤمن عليه موسى الذي كان قد ملأ كل وجدانهم وفكرهم وروحهم. كذلك فالقديس بولس لا يلغي موسى ليبرز المسيح، ولكن يضع دعوة يسوع المسيح على نفس مستوى دعوة موسى وعمله واختصاصه، ثم يوضّح كيف امتاز المسيح جداً فوق موسى كما

يتماز الابن كصاحب البيت عن الخادم الذي يخدم فيه .

هذه في الحقيقة هي فلسفة الرسالة إلى العبرانيين التي تأخذ بالألباب، فهي دائماً تضع الناموس وموسى والطقوس والذبايح ورؤساء الكهنة في مستواهم التقليدي الصحيح بكل احترام، ولكن تضع أمامها وعلى التوازي معها الإنجيل والمسيح والروح والصليب والفادي، وبهذا تبتلع الثانية الأولى.

«أميناً ... في كل بيته»:

من جهة أمانة موسى نقرأ في سفر الخروج: «فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب هكذا فعل» (خر ٤٠: ١٦)، وأيضاً في سفر العدد: «أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي» (عد ١٢: ٧). وقد ترجمها الترجوم اليهودي: «أميناً على كل شعبي»<sup>(٦)</sup>، بمعنى أن الشعب هو الجماعة المنتظمة التي يسكن الله في وسطها!! لأن إسرائيل كانت النموذج أو الصورة الابتدائية للشعب المقدس من الإنسانية العالمية. هذا يفهمه القديس بولس جيداً فهو يخاطب تلميذه تيموثاوس قائلاً: «ولكن إن كنت أبطيء فلن تعلم كيف يجب أن تصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.» (١ تي ٣: ١٥)

موسى لم يخرج عن كونه خادماً «أهل بيت الله»؛ ولكن المسيح هو صاحب وميد أهل البيت.

٤٣: ٣ «فإن هذا قد حسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت. لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن باني الكل هو الله».

بمنتهى الاختصار وبمنتهى النعمة يكون الشرح كالآتي: [ إن نسبة الصنعة للصانع هي نسبة موسى للمسيح ]!!<sup>(٧)</sup>، هذا هو شرح الآية (٣: ٣). وموسى باعتباره الذي أعطى الناموس، يُحسب أعظم من أي فرد في إسرائيل، هذا أمر مقطوع به. ولكن المسيح هو الذي أعطى موسى أن يعطي الناموس. هذا أيضاً هو الشرح المباشر للآية (٤: ٣). لأن موسى محسوب أنه هو الذي وقبه الله أن يكون بئاءً حكيماً يضع أساس القانون (الناموس) من كافة نواحيه لبناء الشعب اجتماعياً وأخلاقياً ودينيّاً وسياسياً وحربياً، ولكن الذي بنى موسى على كل هذه المستويات بل وبنى كل

6. Westcott, *op. cit.*, p. 75.

7. Theodoret, cited by Westcott, *op. cit.*, p. 76.

إنسان، هو الله: «خالق الجميع يسوع المسيح.» (أف:٣:١)

هكذا يُرفع الحوار إلى أعلى مستوى منطقي، وهو في نفس الوقت روحي وإلهي، لأن أمانة المسيح على خلاص شعب إسرائيل ومعه كل شعوب العالم، وإن بدت في مظهرها الأولي كأمانة موسى على شعب إسرائيل، ولكن أمانة المسيح فاقت أمانة موسى فوق كل تصوّر. فموسى لم يقُدس حضرة الله أمام كل شعب إسرائيل عندما ضرب الصخرة مستهيناً بالله قائلاً: «أمنّ هذه الصخرة نُخْرِجْ لَكُمْ ماءً؟» (عد٢٠:١٠)؛ وهكذا عُوقب أن لا يدخل أرض الميعاد، أما المسيح فمَجَّد الله بصليبه وموته بعد ما مَجَّده بعمله وتعليمه: «أنا مَجَّدْتُكَ عَلَى الْأَرْضِ» (يو١٧:٤). وهكذا دخل إلى الأقداس العليا كسابق من أجلنا فوجد لنا فداءً أبدياً!!

«مجد وكرامة»:

كما نَلَحَظ هنا تورية ذكية مختبئة، إذ يقول: «فإن هذا (أي المسيح) قد حُسِبَ أهلاً لمجد ... من كرامة أكثر من البيت». هنا المجد استحققه المسيح عن عمل داخلي وهو «مجد» باني البيت، ولكن الكرامة هي لعمل ظاهري وهي كرامة إتقان مبنى البيت، وموسى لم يخرج عن كونه جزءاً من هذا البيت. وهكذا جعل القديس بولس التمايز بين المسيح وموسى كالذي بين مجد ابن الله وكرامة إنسان موهوب.

أما «المجد» فنقترب إليه بخوف ورعدة، وأما «الكرامة» فبالاحترام والتقدير. وبالصريح الواضح فإن موسى كان مكرماً لدى كل الشعب، هذا حسن، لأنه يستحقه كموهوب، أما المسيح فاستحق من الله الآب بصوت مسموع عن عمله الذي عمله: «مَجَّدت وأُمَجَّدت أيضاً»!! (يو١٢:٢٨). لذلك صحَّ أن «تجشوباسم يسوع كل ركة ممن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رَبُّ لمجد الله الآب.» (في٢: ١٠ و١١)

+ «أنت مستحقُّ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وهي بإرادتك كائنةً وَخُلِقْتَ.» (رؤ٤: ١١)

ولا يَخْفَى على القارىء أن القديس بولس هنا يُخاطب هؤلاء العبرانيين المنتصّرين المزعزعين مشجّعاً إياهم إذ صاروا خارج المجمع أي فقدوا الصلة الظاهرة بموسى وبالبيت، هنا القديس بولس يؤسّس إيمانهم على أنهم صاروا بإيمانهم بالمسيح أولاد صاحب البيت، أما البيت القديم فقد نُقِصَ معنوياً قبل أن يُنْقَضَ مادياً وذلك بنطق إلهي، وأما البيت الجديد فهو نحن إنْ تَبَشَّنَا فِي الْإِيمَانِ (٦:٣).

٥:٣ «وموسى كان أميناً في كلِّ بيته كخادم، شهادةً للعتيد أن يُكَلِّمَ بِهِ».

بعد أن أكمل المقارنة بين موسى والمسيح كصاحبيّ تدبير بالنسبة لله المدبّر لهما، وجعل مستوى المسيح البشري في مقابل مستوى موسى كلٌّ منهما مُقام على البيت، وثبت أن أولهما وهو موسى كان مجرد جزء من البيت (أي من الشعب) في حين أن الثاني هو صاحب البيت وبانيه؛ عاد في هذه الآية ليصنع مقارنة بين تدبير هذا وتدبير ذاك، موضحاً أن موسى بكل خدمته الأمانة في كل بيت الله كان مجرد خادم يشهد للآتي، وشاركه في ذلك جميع الأنبياء: «ثم ابتداءً من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لوقا ٢٤: ٢٧)، بل وإن كل خدمة موسى الأمانة في كل بيت الله وكل التاموس المُتَقَن الذي استلمه وسلّمه كان لا يزيد عن ممهد ومعلم للمسيح الآتي بعده:

+ «لأن غاية التاموس هي المسيح.» (رو ١٠: ٤)

+ «كان التاموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرّر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسا بعد تحت مؤدّب.» (غل ٣: ٢٤ و٢٥)

ويُلاحَظ أن موسى يأخذ هنا منتهى كرامته كإنسان أولاً ثم بعدها ينزل ليصير مجرد خادم لئلا يشهد، فهو وإن كان أعظم من أي نبي (عد ١٢: ٧)، إلا أنه بأن واحد مجرد خادم يشهد مثل كل الأنبياء «للعديد» أن يأتي، وقد أتى!

خادم شهادة : θεράπων εἰς μαρτύριον

وباللاتيني القديم Servus .

هنا كلمة «خادم» أتت باليونانية θεράπων وهي لا تعني الخادم المعروف باليونانية δοῦλος فهي ليست «خادم»، ولكن ليست «ابن» υἱός، وليس لها في العربية مقابل إلا من مضمون الكلام حيث كلمة خادم قد تأتي بمفهوم قريب من العبد. وقد تأتي بمفهوم قريب من الموظف أو المؤمن.

أما الفارق بين كلمة «الخادم» لموسى، وبين «الابن» للمسيح فقد وضعها السفس سابقاً هكذا:

خادم في بيت θεράπων ἐν τῷ οἴκῳ ؛ وابن على بيت υἱός ἐπὶ τὸν οἶκον (أ).  
وهكذا من تركيب التعبير يتضح الفرق بين الخادم والسيد.



«شهادة للعتيد أن يُتكلّم به»:

واضح أن التعبير يهدف إلى أن موسى يخدم ما يفوق شخصه وما يفوق زمنه، فهو يعمل لمستقبل يحمل الحق، الذي تأهّل هو لخدمة الشهادة له من بعيد.

ونحن لو عُدنا إلى الوعي الروحي الذي بناه فينا العهد القديم، نذكر في الحال أن نفس الخيمة التي نصبها موسى بكل جمالها وخدماتها كانت تُسمى خيمة الشهادة = σκηνή τοῦ μαρτυρίου (عد ١٢: ٥)، وذلك في معنى مختلفي ولكن بديع حقاً!! فكل أيام وسنين ودهور خيمة الشهادة وبعدها الهيكل لم يكن فيها أكثر من خدمة شهادة للعتيد أن يُتكلّم به!!

وكلمة «العتيد» هنا هي في مضمون «المستقبل»، أي ما يخبّئه المستقبل لمن له الاستعلان والشهادة.

٦:٣ «وأما المسيحُ فكان ابن على بيته، وبيته نحنُ إن تمسكنا بثقة الرجاءِ وافتخاره ثابتةً إلى النهاية».

هنا ابتدأ السفر يستخدم لقب «المسيح» الإلهي لأول مرة، بعد أن ارتفع بالاسم البشري «يسوع» إلى الدرجة التي لا تتحمل بعد أن يُدعى «يسوع» فقط، إذ أوضحه بالنسبة لموسى خادم الشهادة أنه هو صاحب الشهادة، وبالنسبة لخيمة الشهادة بناموسها وطقوسها أنه هو «العتيد» أن يُتكلّم به، وأنها كانت بكل طقوسها وناموسها تُعَدُّ الطريق إليه.

لذلك نعود ونؤكّد خطأ المترجم العربي الذي أضاف لقب المسيح على اسم يسوع في الآية الأولى من الأصحاح الثالث الذي نحن بصدده دون أن يكون لها وجود في الأصل اليوناني.

«وأما (المسيح)»: «Χριστός δέ = مسيا:

واضح من اللقب الذي يقّمه القديس بولس هنا أنه بدون «أن» التعريف في الأصل اليوناني وذلك لحكمة ليست غائبة عنا، فهو هنا يدعو بلقبه النبوي «مسيّا»، ومسيّا لا تأتي أبداً بـ «أن» التعريف عند اليهود في العهد القديم، والذي وضع «أن» التعريف هم المسيحيون الذين حوّلوا اللقب إلى اسم (ممسوح إلى المسوح)، من «مسيا الرب» إلى «المسيح الرب».

«فكأن ابن على بيته»:

أما موسى ويسوع فهما، في الأمانة بالنسبة للدعوة كانا سواءً، كما يرى سفر العبرانيين. ولكن

الأول على مستوى خادم الشهادة في بيت الله إسرائيل؛ وأما الثاني فكان على بيت الله الروحي، شعب الله القديسين أي الكنيسة، وهذا اللقب نقله من فم المسيح نفسه هكذا في مثل الكرامين الأريداء: «فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني.» (مت ٢١: ٣٧)

«وبيته نحن»:

انظر أيها القارئ العزيز، ما أصغر هذه الجملة «وبيته نحن» ولكن بقدر صغرها بقدر ما حوت من حوادث وأحوال وتغييرات يشيب من هولها الولدان، فعل هُداها أحرق الهيكل وأفرغت المدينة من هيبتها ولقبها وسُكَّانها وصارت عاراً على أصحابها، هذا كله لكي يحول الله بيته القديم إسرائيلي في معناه الأول كخيمة شهادة أو خيمة الاجتماع مع الله ثم هيكل الله العظيم في أورشليم، إلى «بيته نحن» أي الكنيسة حيث انتهت عصور وجاءت عصور، ووقف الصليب بدمه يحجز بين الصَّفين.

فموسى كان خادم شهادة في بيت الله الذي كان، أما «المسيح» فكان على بيته الذي صار والذي بناه من جسده في ثلاثة أيام (يو ٢: ١٩-٢١)!! الذي في هذه الأيام الأخيرة كلّمنا فيه!! (عب ١: ٢)، «وبيته» بمعناه الأقصى سرّاً هو جسده، حيث فيه هو رأس البيت ورئيس كهنة، وبيته أيضاً هو عروسه وهو عرسها، ومدينة مقدسة مزينة في السماء. هكذا صار وهكذا هو كائن الآن أن بيته لم يتعدّهم اليهود ولا بنو إسرائيل بل «نحن»، ولكن إن ...!!

«إن»: εἰς

هذا هو الشرط الخطير الذي من أجله كُتبت الرسالة برمتها، والذي لا يزال يقف كالحكم الذي يفرّق بين الواحد والآخر حتى اليوم، بين الذين هم له والذين هم عليه، بين الذين حَسَبوا أنفسهم بالاسم أنهم أهل بيته وهو منهم براء والذين حَسَبْتَهُمْ هو أُمَّلَهُ:

+ «ثُمَّ مَدَّ يده نحو تلاميذه وقال: ها أمي وإخوتي، لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي.» (مت ١٢: ٤٩ و٥٠)

«إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية»:

كان هؤلاء العبرانيون الذين كتب لهم القديس بولس هذه الرسالة غير ثابتين، لهم «الاسم» ولكنهم ينكرون قوته، دعوا أنفسهم إلى هذا الرجاء والافتخار ولم يتمسكوا به أو يفتخروا، وأصبح الآن الخوف كل الخوف أن لا يبقوا تحت الدعوة إلى النهاية، لأن اليد إذا فرطت فيما تمسك به فهو لم يتعدّها.

« تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ » : τὴν παρρησίαν τῆς ἐλπίδος

الثقة *παρρησία*

تعني في اليونانية أكثر من مجرد الثقة، فهي تفيد الجهرية، إما الصوت العالي أو الفعل الواضح، وهي تعني الجرأة. لأن الرجاء المسيحي هو واحد من أشجع الأعمال التي ينشغل بها الإنسان في إحساس بالسمو. وقد عبّر عنه الرسول من جهة نفسه والمؤمنين معه هكذا:

+ « حتى بأمرين عديمي التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا. الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب. حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد. » (عب ٦: ١٨-٢٠)

أما هذان الأمران فهما الوعد والقسم: وعد الله الشخصي لإبراهيم، وقسم الله الذي أقسم به بنفسه لإبراهيم! لأن ما قيل لإبراهيم تسلمناه نحن تسليم يد ليد من الرب يسوع المسيح.

« وافتخاره » : τὸ καύχημα τῆς ἐλπίδος

الافتخار هنا *καύχημα* هو افتخار الرجاء، وهنا يلزمنا أن ندخل أكثر في عمق المعنى. فالكلام هنا لا يرسله القديس بولس جزافاً فكل كلمة لها مقابلها الروحي الإيماني البعيد المدى. فأن يتمسك الإنسان بالرجاء فهذا حسن وجليل ويدل على الثقة والشجاعة، ولكن أن يفتخر به فقد دخل في طور العلانية والاعتداد بما تحصل الإنسان عليه بالرجاء وصار إلى رسوخ وتباؤ: « نفتخر على رجاء مجد الله. » (رو ٥: ٢)

« ثابتة إلى النهاية » :

بمعنى: إلى أن ينتهي بنا الرجاء إلى المنظور. فنهاية الرجاء تحقيق، وثمن الثبوت في رجاء المسيح هو الحصول على المسيح نفسه:

+ « إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما إنني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبتت في محبته. كَلِمَتُكُمْ بِهَذَا لَكِي يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَيُكْمَلُ فَرَحُكُمْ. » (يو ١٥: ١٠ و١١)

+ « اثبتوا فيّ وأنا فيكم. » (يو ١٥: ٤)

وليعلم القارئ أن رسالة العبرانيين هي رسالة رجاء، رجاء بإلحاح وتأکید ووعد:

+ « ولكئنا ننتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية. »

(عب ٦: ١١)

+ « لتتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. » (عب ١٠: ٢٣)

لماذا هذا الإلحاح الشديد على التمسك بالرجاء؟

إن الحقيقة المسيحية التي يتحتم علينا أن نضعها نصب أعيننا هي أن الحياة في المسيح تحتاج إلى هذه المواصفات كلها التي قيلت هنا في موضوع الرجاء: الثقة، الشجاعة، الثبوت، الافتخار، الاستمرار، على مستوى الزيادة دائماً وليس النقصان بأي حال. فالحياة المسيحية بمنتهى الصراحة هي انتماء للحق الذي في المسيح، أينما كان ومهما كان، وطالما في الإنسان نسمة حياة. هذا الانتماء إلى الحق المسيحي هو بحد ذاته اختبار وامتحان بل محنة، يكتنفه الضيق والمضايقة والأتعاب التي تلي الأتعاب. فإذا لم تكن النفس مُمسكة بالرجاء الموضوع أمامنا فإن الإيمان يهتز، فلنكي لا يهتز الإيمان أبداً يتحتم أن يكون رجاؤنا بالمسيح الحاضر والآتي وملكوتنا في الداخل والمُرتَقب حقائق نعيشها بالروح ونتنعم بها تنعماً، بل ونعيش في كل وعد المسيح لنا كأنه قد صار. فالرجاء يُحيي الإيمان ويمتد به عبر أهوال الموت!!!

وليس هيئناً ولا مجرد كلام قول المسيح: «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مر ١٣: ١٣)، فهذه هي قضية اليوم بل قضية كل ساعة في عالمنا الذي صار بحد ذاته محنة إيمان أو امتحاناً متواصلًا!

فإذا أردنا أن نضع الرجاء والتمسك به في الحياة اليومية موضع الاختبار ونضع له الحدود، فعندنا الميزان: «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يَجِبُوا حياتهم حتى الموت، من أجل هذا أفرحي أيتها السموات...» (رؤ ١٢: ١١ و١٢)، ولكن ليس الرجاء عبوسة بل: «فرحين في الرجاء» (رو ١٢: ١٢)، فالرجاء نعمة والنعمة لا تعرف الضيق ولا الحزن ولا تعيش مع الخوف أو الهَم:

+ «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلامٌ مع الله برئنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مُقيّمون ونفتخرُ على رجاء مجد الله.» (رو ٥: ٢١)

+ «لأننا بالرجاء خَلَصْنَا، ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً ... فإننا نتوقَّعه بالصبر.» (رو ٨: ٢٤ و٢٥)

+ «لِيُحَضِرْكُمْ قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن تَبَتُّم على الإيمان مُتأسِّسين وراسخين وغير مُتقلِّبين عن رجاء الإنجيل...» (كو ١: ٢٢ و٢٣)

+ «فألقُوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يُؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.»  
(١ بطا: ١٣)

وَمَنْ هم القديسون؟ إلا هؤلاء الذين صبروا في الضيق حتى النهاية. ولكن لم يكن صبرهم مُرّاً إلا في أعيننا، أما عيونهم فكانت مُثَبَّتة في الذي كانت تفيض منه النعمة فتَلدِّذ نفوسهم وتجعل المرَّ حلواً في أفواههم.

## ثانياً: تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم (شرح مزمور ٩٥)

[ ٣ : ٧ - ٤ : ١٣ ]

تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم الخارج من مصر، وتذمرهم المتواصل وعدم إيمانهم الذي جلب عليهم الغضب والهلاك في البرية، وحرمانهم من دخول أرض كنعان أرض الراحة الأرضية؛ ذلك في مقابل الوعد بالراحة العليا الأبدية التي دخلها المسيح ودعانا إليها لنمتلكها من الآن.

## تقديم:

ينتقل السفر من موسى إلى المسيح على مستوى الموازنة.

ثم الموازنة بين شعب موسى وشعب المسيح.

ليقدم عقوق الشعب الأول تحذيراً وإنذاراً لأولئك العبرانيين المتصربين، حتى يرعوا ويأخذوا عبرة من هلاك الشعب الذي تذمر على نعمة الله وقيادته، فلا يقوا فيما وقع فيه آباؤهم الذين خرجوا من مصر وطرحت جثثهم على وجه الصحراء ولم يبلغوا الوعد بالراحة في أرض كنعان بعد أربعين سنة تيه في البرية إذ لم يدخلوها بل لم يروها؛ وذلك بسبب عدم إيمانهم.

ولكن العجيب في هذه المقارنة المثقنة أن الرسالة مكتوبة في حوالي السنة الأربعين أيضاً لاستعلان الفصح الجديد أي صلب وموت المسيح وقيامته، مما يضعها في ميزان السنين على المقابل لشعب إسرائيل الخارج من مصر بعد الفصح الأول ومسيرته الحزينة التي صبغت الشعب المتذمر لآخر رجل عند نهاية الأربعين سنة قبل دخولهم كنعان. فالموازنة جد خطيرة وحزينة إذا أضفنا إليها صوت الوحي المقدس: «ولا تتذمروا كما تذمروا أيضاً أناس منهم فأهلكهم المهلك. فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (١ كو ١٠: ١٠ و١١)

وينقسم هذا الجزء إلى قسمين:

١ - (٣ : ٧-١٩): يبرز الإيمان كشرط أساسي لنوال وعد الراحة العليا.

٢ - (٤ : ١-١٣): وفيه يعرض نفس الوعد بكل قوته الجديدة على المسيحيين كما عُرض على

شعب إسرائيل قديماً حتى يحقق المسيحيون الوعد بالإيمان.

## ١ - الإيمان شرط أساسي لنوال وعد الله

[ ٣ : ٧ - ١٩ ]

## « صوت ابن الله »

[ « الحق الحق أقول لكم : إنه تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات (بالذنوب والخطايا) صوت ابن الله، والسامعون يحيون. » (يوه: ٥: ٢٥)

يبدأ هذا القسم بالآية: « لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تُقسُوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر» (عب ٣: ٧). فلَمَنْ هذا الصوت؟ وهل نصّت النبوات على مجيء هذا الصوت؟ حينما يقول المزمور (٩٥) هذه الآية فإنه ينص على أنه صوت الله إلى الشعب في البرية. إذأ، فكلمة «صوته» التي يقولها المزمور بالروح وهو يخاطب شعب إسرائيل وهو في أرض كنعان، تُعني أن الصوت الذي سيأتي ويسمعه الشعب هو «صوت الله» مرة أخرى. وهذا جاء بالفعل بحمله «ابن الله» الرب يسوع: «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة وهي "الآن" حين يسمع الأموات (شعب إسرائيل وكذلك الأمم الغارقون في خطاياهم) صوت ابن الله والسامعون يحيون.» (يوه: ٥: ٢٥)

ولكن لما عرض المسيح صوته على أنه صوت ابن الله قسى الشعب قلبه ولم يسمع لصوته فتم إنذار داود النبي في المزمور (٩٥): «إن سمعتم صوته فلا تُقسُوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر». وإليك نموذج من هذه القساوة:

+ « لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي، أنتم من أب هو إبليس... » (يوه: ٤٣ و ٤٤)

+ « فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟ الذي من الله يسمع كلام (صوت) الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله. » (يوه: ٤٦ و ٤٧)

أما بولس الرسول هنا فيكرر في هذه الرسالة تحذير داود النبي لشعب إسرائيل آنذاك ويطبّق ما حدث من هذا الشعب عينه مع المسيح نفسه لما رفضوا أن يسمعوا صوته!!! يطبّقه على جماعة العبرانيين هؤلاء الذين بعد ما سمعوا وآمنوا عادوا يتنكرون للصوت والإيمان وفي قلوبهم نية الارتداد!!

ولكن لا يزال التطبيق سارياً، ولا يزال صوت ق. بولس يستهدفنا نحن أيضاً الذين اعتمدنا وآمنّا، ولكن إيماننا هو الآن في دور تجربة وامتحان ونحن واقعون تحت خطر عظيم: «أنا عارف أعمالك أنك لست بارداً ولا حاراً، ليتك كُنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزعم أن أتقيّاك من فمي، لأنك تقول إنني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان...» (رؤ ١٥: ١٧)

عزيزي القارئ، هل يمكن أن يكون أكثر من هذا كلاماً شديد الصدق والواقعية لينطبق على حالنا اليوم؟

### أ - التذمر في البرية: (٣ : ٧ - ١١).

٨٧٧:٣ «لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الإسحاخ يوم التجربة في القفر».

بولس الرسول هنا ينقل عن النص الوارد في المزمور (٩٥)، ويعلق عليه مُعتبراً أن هذا النطق الذي جاء على فم قائل المزمور هو من الروح القدس.

المزمور (٩٥): «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا، لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده، اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم، كما في مريية<sup>(٩)</sup> مثل يوم مسّة<sup>(١٠)</sup> في البرية، حيث جرّبني آباؤكم، اختبروني، أبصروا أيضاً فعلي، أربعين سنة ممّت ذلك الجبل، وقلت هم شعب ضال قلبهم وهم لم يعرفوا سبلي، فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي!» (مز ٩٥: ٦-١١)(<sup>١١</sup>)

(٩) «قريية»: كلمة عبرانية تعني «خصومة».

(١٠) «مسّة»: كلمة عبرانية أيضاً تعني «تجربة»، كما جاءت في الترجمة السبعينية πειρασμοῦ

(١١) لهذا المزمور شأن كبير في ليتورجية العبادة اليومية لليهود، فهذا المزمور تفتتح خدمة السبت توعية للشعب الذي غاب عن وعيه كل تحذيرات الله منذ البدء.

وأيضاً غليشنا أن هذا المزمور أيضاً هو بداية الخدمة في الطقس الرهباني الغربي القديم ومنه انتقل إلى كتاب صلوات الكنيسة الأنجليكانية:



«لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسؤا قلوبكم»:

«لذلك»: ٥١٥

حرف ربط يربط به ق. بولس ما سبق وقاله من أن المسيح هو ابن على بيته وبيته نحن وذلك عوض موسى الذي كان مجرد خادم فيه، ولكن في حذق روجي إبداعي يعتبر أن قوله هذا لم اليوم هو من الروح القدس تماماً كما قيل في المزمور، ويدعوهم أن تفتح آذانهم الروحية ووعيمهم الجديد الإلهي ليؤمنوا بذلك ومن كل قلوبهم، محذراً أن موقفهم بعد سماع شرحه لم واستعلان حقيقة المسيح كونه قائد خلاصهم ورئيس كهنتهم الذي يقودهم إلى موطنهم السمائي الأعلى، هو على مستوى موقف الشعب الخارج من مصر يطلب وطناً في كنعان بقيادة موسى، الذين لما سمعوا صوت الله من فم موسى لم يطيعوه وقسؤوا قلوبهم ولم يؤمنوا بمقدرة الله على يد موسى أن يوصلهم أرض الراحة، فلم يدخلوها.

هنا انطباق حالة هؤلاء العبرانيين المسيحيين في ضعف إيمانهم واهتزاز ثقتهم بالإيمان المسيحي نتيجة ما يعانونه من أتباب ومحاولتهم قطع الطريق والعودة إلى اليهودية، هو فعلاً مطابق لحال هذا الشعب القديم وإليك قصته:

أولاً: التذمر وتجربة الرب من أجل الماء:

«فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماءً لنشرب. فقال لهم موسى لماذا تخاصمونني، لماذا تجربون الرب. وعطش هناك الشعب إلى الماء وتذمر الشعب على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش. فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجونني. فقال الرب لموسى: مُرّ قدام الشعب وتخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خذها في يدك واذهب. ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة» (والصخرة كانت المسيح «١ كو ١٠: ٤») في حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب. ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل. ودعا اسم الموضع مَسَّة ومريية من أجل مخاصمة بني إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب قائلين أفي وسطنا الرب أم لا. «(خر ١٧: ٢-٨)

ثانياً: صنعوا إلهاً من ذهب (عجلاً) وعبدوه من دون الله:

«فرجع موسى إلى الرب وقال آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب. والآن إن غفرت خطيتهم وإلاً فأمحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى قنّ أخطأ إليّ أمحوه من كتابي. والآن اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك. هوذا ملاكي يسير أمامك ولكن في يوم افتقادي أفتقد فيهم خطيتهم...» (خر ٣٢: ٣١-٣٤)

ثالثاً: التذمر على الرب ومحاولة رجم موسى وهرون من أجل الخوف من شعب أرض كنعان: «وتذمر على موسى وعلى هرون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: ليتنا مُتْنَا في مصر أو ليتنا مُتْنَا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض (كنعان) لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمية. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر. فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر... ولكن قال كل الجماعة أن يُرْجَمَا (موسى وهرون) بالحجارة. ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم... إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لأبائهم، وجميع الذين أهانوني لا يرونها... قل لهم: حيُّ أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذني (ليتنا مُتْنَا في هذه البرية). في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً<sup>(١٢)</sup> الذين تذمروا عليّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي (عهد) لأسكنكم فيها ما عدا كالب بن يفتة ويشوع بن نون.» (عد ١٤: ٢-٥ و ١٠ و ١١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠)

وهكذا نرى أن الخطايا البارزة لشعب البرية الخارج من مصر كانت:

أولاً: نقسي القلب بعدم الثقة في أن الرب في وسطهم.

ثانياً: الارتداد عن الله الحي وعبادة آلهة أخرى.

ثالثاً: إهانة الرب بعدم تصديق وعده.

وإذا لاحظ القارئ يجد أن على هذه الخطايا الثلاث ركّز سفر العبرانيين في توعية هؤلاء المترعزين عن الإيمان: نقسي قلوبهم وعدم الثبوت في الرب، الارتداد عن الله الحي الخطئية المباشرة ضد الله، عدم تصديق وعد الله. هذه الخطايا الثلاث صارت المحاور الأساسية لرسالة العبرانيين وهي بعينها التي نراها نحن، بالسوية، الخطايا الثلاث التي تهدد عبورنا برية هذا العالم لبلوغ وعد الله بالحياة الأبدية في ملكوته السماوي، تحت قيادة رئيس خلاصنا ومكمله يسوع المسيح. وهكذا فإن الآية القائدة لهذه الرسالة بالنسبة للعبرانيين المترعزين في إيمانهم بالمسيح هي نفسها الآية التي يتحتم أن تكون أساس عبادتنا ومسيرتنا بالإيمان كل يوم: «من ثمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب ٣: ١)

أما هنا في هذا الوضع بالذات في الآيات من ٧-١١ وهو مجمل التاريخ الحزين لشعب إسرائيل الخارج من مصر، والمرتل تحت قيادة موسى «وملاك الله» السائر أمامهم، حسب قول الرب (خر ٣٠: ٣٤)، فكما جعله بولس الرسول تحذيراً خطيراً انتهى به إلى وضع نصيحته الهامة جداً لهم، فهي نفسها التي يسوقها الروح القدس لنا نحن أيضاً اليوم: «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي.» (عب ٣: ١٢)

«فلا تُقسُوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر»:

μη σκληρύνετε τὰς καρδίας : «فلا تُقسُوا قلوبكم»

التقسّي في المعنى الأصلي هو التصلب في الفكر والضمير، والكلمة اليونانية مستخدمة في الطب، فمنها السكلوروزيس أي تصلب الشرايين، ولكنها هنا تعني تصلب القلب الإرادي. ومن أخطر مخاطر تصلب الفكر والقلب إزاء نداء الله بالصلاح، هو الوقوع في المقابل تحت التقسّي اللاإرادي، حيث الله هو الذي يُقسّي مَنْ يشاء أن يُقسّي نفسه. والآية عند القديس بولس الرسول مشهورة: «كما لم يستحسنوا أن يُبشّروا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض» (رو ١: ٢٨). فالله قسّى قلب فرعون أكثر مما قسّى فرعون قلب نفسه، وذلك ليظهر فيه نقمته وبالتالي قوته، والإنسان الذي يُقسّي قلبه إزاء أمور الله يُقسّي الله قلبه بالأكثر ليستوفي الله فيه عمله، فمعروف أن فرعون قسّى قلبه ضد طلب الله للإفراج عن شعب إسرائيل: «فلما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج، أغلظ قلبه ولم يسمع لهما كما تكلم الرب» (خر ٨: ١٥). فكان أن الله قسّى قلب فرعون ليظهر فيه قوته: «ولكن شدّد الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما كما كلم الرب موسى.» (خر ٩: ١٢)

ولو عدنا للشعب في البرية الذي جاء عليه التطبيق والإنذار، لوجدنا أن الله وعده مرّة أنه سيسير أمامه وأظهر وجوده بطرق شتى ومعجزات باهرة حيث خدّمتهم السماء بعمود نور بالليل وكأنه مُصباح الله عندما اضطروا للسير ليلاً، وأمدّتهم الشمس بعمود سحاب للظل لتقيهم حرّها نهاراً، بل وأمر الرب السنين أن لا تأكل من ملابسهم ولا الزمن والأرض من نعال أرجلهم، أليس هذا عجباً: «فقد سرّت بكم أربعين سنة في البرية لم تبّل ثيابكم عليكم ونعلك لم تبّل على رجلك»!!! (تث ٢٩: ٥). ولكن لما أرسل الله عليهم العطش ليختبرهم، قاموا على موسى وهارون أخيه ليرجموها ورثبوا لأنفسهم رؤساء يهودون بهم إلى مصر عيوض أن يثبّوا بالذي يُرسل المطر في حينه ويُفجّر الينابيع من باطن الأرض. وهم وإن لم يتدنّروا على لحم وعلى ماء فهل الذي أشبع

خسة آلاف رجل بعد ذلك من خمس خبزات يعجز عن أن يمنَّ عليهم بالخبز بلا أكل، والإرتواء بلا ماء، والذي أمر أن لا تبلى ثيابهم أربعين سنة يقصر عن أن يُبقي الفصح في بطونهم أربعين سنة؟ ولكن هي قساوة القلب وغشاوة العين: «ولكن لم يُعطِكُم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم (هذا قول موسى لهم)» (تث ٢٩: ٤)، وهذا بعينه هو شرح كلمة: «فلا تقسُّوا قلوبكم»، بمعنى: «يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عينك طريقي» (أم ٢٣: ٢٦). والرجاء من القارئ أن يقرأ مزمو (٧٨).

ونحن نوّد أن لا نعبر على هذه المأساة المرّوعة التي عاشها ذلك الشعب الذي تنكّر لقدرة الله على إعمائه، واشتهى في زمن لا تجوز فيه الشهوة، وزنى في زمن لا تليق به إلا الطهارة. بولس الرسول كان شديد الحساسية لمنظر أولئك الرجال وهم يتساقطون على وجه القفر كل يوم، وفي كل يوم كان عويل ومناحة، وهو يُلفت نظرنا أن ما أصابهم هو لنا تحذير: «لكن بأكثرهم لم يُسرَّ الله لأنهم ظرّحوا في القفر، وهذه الأمور حدثت مثلاً لنا حتى لا نكون نحن مُشتبهين شروراً كما اشتهى أولئك ...» (١ كو ١٠: ٥ و٦).

٩:٣ «حيث جرّبني آباؤكم، آختروني وأبصروا أعمالي أربعين سنة».

هنا الترجمة العربية صاغت الآية بتصرف بأن أعطت الفعل «جرّب» مفعولاً به هو ضمير المتكلم وهو الله، ولكن الآية في الأصل اليوناني لا يأتي فيها الله مفعولاً به مباشراً، فالآية باليونانية يمكن ترجمتها حرفياً هكذا: «حيث جرّب آباؤكم واختبروا وأبصروا أعمالي أربعين سنة».

ويقول العالم وستكوت<sup>(١٣)</sup>: إن التجربة والاختبار لا يقعان بحسب النص الأصلي على الله غير المنظور مباشرة، وإنما على أعماله. وهذا بقصد تأكيد عدم إيمانهم الواقع على أعمال الله المنظورة والملموسة، مما يزيد من جرم عدم إيمانهم بالله. إذ أعطوا لأنفسهم أن يراجعوا أعمال الله وينتقصوا منها مما أوقع عليهم سخط الله.

ويقول العالم أترودج: إن الله لا يمكن أن يقع عليه فعل التجربة، بحسب تقليد اللاهوت العبري، فهذا يُعتبر خارجاً عن اللياقة، فالله لا يصح ولا يجوز أن يُنسب إليه شيء من عالم المناقص<sup>(١٤)</sup>.

13. Westcott, *op. cit.*, p. 81.

14. Attridge, *op. cit.*, p. 82.

كذلك يقول العالم جوتري أيضاً.

«أعمالي»: τὰ ἔργα μου

في الأصل العبري للمزمور تحية «عملي» بالمفرد وليس بالجمع وهذا أكثر بلاغة وعمقاً، فكل الأعمال التي عُملت في البرية مع شعب إسرائيل هي عمل واحد، بحسب التقليد والمشيئة، وينتهي بتتميم وعد الله بإدخال شعب إسرائيل أرض كنعان مع كل ما استلزم ذلك من آيات باهرات ومعجزات وأعمال مهيبة وقصاص وتأديب منظور ومسموع.

«أربعين سنة»:

استهوى ق. بولس هنا في هذه الرسالة بالذات تناسق الأرقام. فالرسالة إلى العبرانيين تُكتب، والكاتب والمُرسل إليهم في حوالي السنة الأربعين بعد تأليم المسيح، الفصح الحقيقي، وهم على عتبة تخريب الهيكل وحرقة وطرده اليهود. فالرسول هنا يشدد على الأربعين سنة محاولاً أن يُلفت نظر العبرانيين إلى شدة المناسبة فيما كان عليه وانتهى إليه شعب إسرائيل من عدم الإيمان بعد أربعين سنة من الفصح الأول والخروج من مصر وفيما هم عليه آنذ وما انتهوا إليه (من محاولة تجربة الرب) بعد أربعين سنة من إعلان الخلاص والمعهد الجديد.

١٠:٣ «لذلك مَقَّتْ ذلك الجيل وقلْتُ إنهم دائماً يَصِلُونَ في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سُبُلِي».

«مَقَّتْ»: προσώχθισα

كلمة مَقَّتْ بالعربية تحية في اليونانية غاية في الإحكام للتعبير عن القصد من المعنى، فهي تفيد شدة عدم الرضا، أي «الغضب الشديد». وهنا نقول إنه من الخطر أن ننسب إلى الله انفعالات تخص الإنسان كالغضب، فالله لا يفعل بالغضب ولكن هذا تعبير عن المظهر الذي يتراءى لنا حينما تقع تأديبات الله على الشاردين عن طريقه وطاعته، وهذا لا يتم إلا بمقتضى العدل الذي تسنده الرحمة حتماً، لأنه من المستحيل أن يحتل إنسان ما الوقوع تحت عدل الله الكامل لأن الإنسان مُحاط بماخذ وتعديبات تفوق تصورنا.

«ذلك الجيل»:

هو الجيل الذي خرج من مصر والذي تذمر على الله، وحسب تعبير الله: «حتى متى يُهينني هذا الشعب» (عد ١٤: ١١)، والذين بسببهم ظل شعب إسرائيل يدور حول مدينة «قادش برنيع»

٣٨ سنة (١٥) تائها، حتى فني الجيل كله ولم يتبق إلا أولادهم الذين وُلدوا لهم مع كالب بن يَفْتَةُ ويشوع بن نون خادم موسى الذين سُمِحَ لهم بالدخول إلى أرض كنعان.

أما لماذا لم يقع هذا الجيل كله صريعاً تحت غضب الله ويموت في الحال مثل قورح ودathan، فهذا بسبب تشفع موسى النبي وقبول الله شفاعته بصورة مُبدعة حقاً:

+ «أصغح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. فقال الرب: قد صفحتُ حسب قولك، ولكن حيي أنا فتملاً كل الأرض من مجد الرب أن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجرّوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حَلَفْتُ لآبائهم ...» (عد١٤: ١٩-٢٢)

وعلى القارئ أن يعيد النظر في هذه المقولة ويعيدها ويعيدها حيث موسى يأمر: «اصغح»، والله يطبع: «قد صفحتُ حسب قولك»!!! يا لخلوة صفات الله، يا للطفه، يا لبساطته المتناهية!

«دائماً يضلّون في قلوبهم»: *Aei planōntai tēi kardía*

التأكيد هنا على «الدوام» و«القلب»، فالضلالة استوطنت قلوبهم، حيث القلب هو مركز الشعور والعواطف الذي هو كنز الإنسان الذي منه مخارج الصلاح ومخارج الشرور (انظر أم٤: ٢٣، مت ١٥: ١٩، لو ٦: ٤٥).

فالإنسان في تكوينه العام عند القديس بولس مكوّن من جسد، ونفس — يتبعها العقل — وروح. ولكن هذه العناصر الثلاثة معاً في خلقها الأولى، غير أنها قابلة للانحياز إما للخير وإما للشر بحسب خطية آدم الأولى، التي فتحت وعية لتقبّل إجماعات الخير من الله وإجماعات الشر من الشيطان، ولأنيّ منهما يميل بالقلب يصير كله إما خيراً صالحاً وإما شراً ضالاً. فإذا انحاز قلب الإنسان بوعيه الداخلي إلى الخير صار أول ما صار فيه صالحاً روحه، والروح تؤثر في النفس وتؤثر في الجسد. أما الضمير فهو مرآة صوت الله في قلب الإنسان. فإذا انحاز القلب لهاتف الخير والصلاح، ارتاح الضمير وفرح وتهلّل وشعر بانحياز الإنسان كله لله. أما إذا انحاز القلب لهاتف الشر والضلال، اشتكى الضمير واحتج وتألّم وانقبض تجاه صور الأعمال الباطلة التي تلوث القلب وتنعكس على الضمير، فيحمل همّها ويرزح تحت ملامتها، إلى أن تسعفه أعمال الإيمان وغسل

وتطهير الضمير بروح الله ودم المسيح الذي «يظهر ضمائرهم من أعمال ميتة» (عب ٩: ١٤)، ويعيد إليه راحته وفرحته وشعوره بالانحياز للخير والصلاح في جانب الله والإنجيل.

لذلك نفهم الآن مدى عمق واتساع وصف الله لحال شعب إسرائيل بقوله: «دائماً يضلّون في قلوبهم»، لأنهم أدمنوا التذمّر على أعمال الله وأهانوا صوته في القلب عن إصرار، مما رفع عنهم إمكانية التوبة والرجوع، فصار قلوبهم شريراً وبالتالي نفسهم وجسدهم، واستوطن الضلال في قلوبهم استيطاناً، سدّ آذانهم وأعمى عيونهم عن سماع هاتف الخير والتبصّر في أعمال الله ورحمته من جهة محبته الكثيرة.

وعلى القارئ أن يفرّق بين مجرد العمل الذي ينحرف ناحية الخطأ والخطية عن ضعف وهوان، في غفلة من الضمير مرة ومرتين، يصحبه الندم الشديد وطلب التوبة والاستغفار، وبين قلب تمزّس في الضلال على الدوام!!

لذلك فإن طلب التوبة والاعتراف بالخطية والسعي للخلاص والمغفرة هو علامة حياة ورضى الله. أما إذا تقسّى القلب فإنه يهرب من التوبة ويكره الاعتراف بالخطأ والخطية، ولا يأتي إلى خلاص أو يسعى لمغفرة، وهذه علامة غضب من الله. نجاناً الله!!

«ولكنهم = αὐτοὶ δὲ لم يعرفوا سُبُلِي»:

«ولكنهم» تعني «أقماً هم» في مقابل أعمال الله الحيرة والصالحة معهم، وبالأكثر تحذيراته لهم وتوعيتهم بطرق الله وأفكاره ووصاياها. أي أنهم في مقابل ذلك لم يعرفوا سُبُل الله، ذلك لأن انشغالهم بشورهم وسيرهم وراء ضلال قلوبهم لم يعطهم فرصة التعرف على سُبُل الله المستقيمة لا بالممارسة ولا بالخبرة ولا بالوعي والفهم. وهكذا ابتعدوا عن النور والحق والحياة فكان نصيبهم الظلمة والهلاك.

وهنا يهمننا جداً أن نوعي القارئ أن بداية مفترق الطرق بين التعرف على سُبُل الله وجهالة السير في طريق الخطية والتهيه هو انحياز القلب لهاتف الخير أو انحيازها لتاتف الشر والخطية. فالأذن المفتوحة لسماع صوت الله هي رأس مال الإنسان في اكتناز الحياة الأبدية وكل خيراتها في الحاضر والمستقبل.

لهذا كرر الوحي الإلهي: «مَنْ لَهُ أُذنانَ لِلسمعِ فَليسمعِ ما يَقولُهُ الرَّوحُ» (مت ١٣: ٩، رؤ ٢: ٧). واقتناء الأذن المفتوحة على صوت الله يأتي من شغف الإنسان بمعرفة أمور الله سواء في

القراءة أو سماع الإنجيل، فبقدر ما يشاق الإنسان أن يعرف الله يفتح الله له أذنه ويسكب من روحه في قلبه ويكشف له أسرار حكمته ونعمته:

+ «أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المُعَيَّ بكلمة. يوقظ كل صباح، يوقظ لي أذنًا لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أذنًا وأنا لم أتعاند، إلى الوراء لم أرتد». (إش ٥٠: ٥٤)

وعلينا أخيراً أن نربط بين «عدم معرفتهم سُبل الله» و «دائماً يضلون في قلوبهم».

١١:٣ «حتى أقسمتُ في غضبي لن يدخلوا راحتي».

«أقسمتُ في غضبي»:

إشارة إلى ما تم مع موسى بخصوص نيّة الرب لإبادتهم لولا تشفّع موسى لهم طالباً الصّح عنهم فاستجاب الله ولكنه أقسم هكذا: «حيّ أنا ... جميع الرجال الذين ... لن يروا الأرض» (عد ١٤: ٢١ و٢٢). وهنا تجيء صورة القَسَم غاية في إبداع المعنى، وهو أن هذا الجيل لن يدخل الأرض: هذه تكون حقيقة كحقيقة حياتي!! نعم، إلى هذا الحد تنتهي قضية مَنْ يهين الله.

كما قالها المسيح على المستوى الإيجابي: «إني أنا حيّ فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩)، بمعنى أنكم ستحيون، ستحيون حتماً، هذه حقيقة كحقيقة حياتي!! وإلى هذا الحد يبلغ الوعد للذي أحب المسيح.

«غضبي»:

ليس لله غضب كما نعلمه مثل حال غضبنا، حاشاً، لأن غضبنا سلبى هو. وكل ما هو سلبى لا يصنع صلاحاً قط: «لأن غضب الإنسان لا يصنع برّاً لله» (يع ١: ٢٠). ولكن غضب الله إيجابى هو، وكل ما هو إيجابى عند الله فهو بالنهاية عدل ورحمة، وطوبى لمن يؤذبه الرب. فإن نسقط تحت غضب الله فنحن نُؤذّب: «ولكن إذ قد حُكِم علينا نُؤذّب من الرب، لكي لا نُدان مع العالم» (١ كو ١١: ٣٢). ولكن الخطر أن نسقط بعيداً عن الله. «حتى متى يهينني هذا الشعب؟» (عد ١٤: ١١)

نقدّم هنا شرح هذه الآية (عب ١١: ٣) لذهبي الفم في شرحه للأصحاح الرابع من هذه الرسالة الآية رقم (٩)، يقول:

[ «إذاً بقيت راحة لشعب الله»، فانظر كيف يسترجع الحوار لأنه قال لهؤلاء القوم: «أقسمتُ ... لن يدخلوا راحتي»، وهم لم يدخلوا بالفعل. ولكن بعد ذلك بمدة طويلة (من



زمن هؤلاء الذين كانوا في البرية) حيث كان يتخاطب مع هؤلاء اليهود، يعود ويقول (على فم داود نبي إسرائيل وهم في أرض كنعان نفسها): «لا تقسؤا قلوبكم»، مثل آبائكم، موضحاً بذلك أنه توجد راحة أخرى. لأن الكلام هنا لا يختص بفلسطين بعد، لأنهم كانوا فيها بالفعل. كما أن الكلام ليس بخصوص السبت (اليوم السابع)، لأنه يقيناً لم يكن الكلام مختصاً بأشياء قد سبق وحدثت منذ زمن طويل. إذ، يتبع هذا أن القصد من الراحة شيء آخر. وهذه الراحة تكون بالحق حيث «يهرب الحزن والتنهّد» (إش ٣٥: ١٠)، حيث لا يكون بعد لا اهتمامات ولا عناء ولا مجاهدة ولا خوف يُرعب أو يُزعزع النفس، ولكن محافة الله المملوءة سروراً، كذلك حيث ليس «بعرق وجهك تأكل خبزاً» (تك ٣: ١٩)، ولا «شوكاً وحسكاً تُثبِت لك» (تك ٣: ١٨)، ولا «بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلِك يكون اشتياكُك وهو يسود عليك» (تك ٣: ١٦)، ولكن يكون الكل سلاماً وفرحاً وسروراً وابتهاجاً وصلاحاً ولطفاً. لا غيرة ولا حسد، لا مرض ولا موت، لا للجسد ولا للنفس، حيث لا ظلمة ولا ليل، بل الكل نهار ونور وكل شيء بهيج، حيث يستحيل أن يكون تعب ولا يمكن أن تكون نقمة؛ بل تبقى كل حين في شوق للأمر الصالحة. ... ولكن تظل اللغة قاصرة أضعف من أن تستزيد، فالخبرة بهذه الأمور مفتقرة وكذلك المعرفة التي لا تأتي إلا بالممارسة، وإلا فأخبرني عمّا كان عليه آدم في الفردوس؟ في حين أن الحياة العتيدة التي نتكلّم عنها وهي في السموات أُسمى من تلك التي للأرض. [١٦]

«راحتي»: κατάπαυσίν μου

الراحة: σαββατισμός (٩: ٤).

وبالعبرية: menuhah, monohah = منوحة، والتي أخذنا منها في لغة توديع الأموات في الرب بكلمة «تنجّح» أي دخل إلى راحته الحقيقية أي الراحة الروحية مع الله.

هذه الكلمة شغلت بال الرسالة إلى العبرانيين كثيراً، فإن حولها يدور الأصحابان الثالث والرابع، بل وجعلها بولس الرسول الغاية والنهاية التي يحسب حسابها من الآن.

بهذا نرى أنه توجد ثلاثة أنواع من الراحة:

أولاً: راحة السبت وهي الراحة المؤقتة للجسد من الأعمال، التي تعطي في أسبابها الأولى وأصولها صورة من بعيد جداً عن راحة الله التي دخلها بعد أعمال الخلق، والتي هي بالنسبة لله لا

تمتُّ للجسد ولا للتعب من العمل بصلة، بل هي في مفهومها الفائق والبعيد المدى تشير إلى مرحلة الخليقة التي سندخلها بعد تكميل ما يناسبها من الأعمال جسدياً، لتكون مع الله في راحته الروحية والأبدية التي سبق وأسسها لخليقته المفتداه، فسبتنا الحقيقي هو في السماء.

ثانياً: الراحة الزمنية والجسدية التي أعدها الله للشعب المُتعب التائه في البرية أربعين سنة: «فمتى عبرتم الأردن وسكنتم الأرض التي يَفْسِمُها لكم الرب إلهكم وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حوالبكم وسكنتم آمنين.» (تث ١٢: ١٠)

ويشوع بعد أن أكمل مهمته كما أمره الله اعترف بفضل الله هكذا:

+ «فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها، فأراحهم الرب حوالبهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلّم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار.» (يش ٢١: ٤٣-٤٥)

كما يذكر هذه الراحة كذلك سليمان وقت تَدشِينِ البيت حسبما رأى في ظروفه المواتية ومعونة الله له: «مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به ولم تسقط كلمة واحدة من كلامه الصالح الذي تكلم به على يد موسى عبده.» (١ مل ٨: ٥٦)

ولكن وضع على طول المدى أن هذه الراحة لم تكن كاملة يوماً من الأيام، ولكن كانت مجرد مثل للراحة المنشودة التي ظل ينشدها الآباء والأنبياء طول حياتهم من جهة عشرتهم الروحية الموعودة مع الله، وهذه: «من بعيد نظروها وصدقوها وحيّوها.» (عب ١١: ١٣)

ثالثاً: الراحة الحقيقية العليا التي لا تمتُّ للجسد ولا لأعمال الجسد بصلة، لأنه كما استراح الله من أعماله هكذا معه نستريح! راحة هي للنفس والروح، وهي بعينها الحياة مع الله التي نلناها بالنعمة بموت المسيح وقيامته، نعيشها الآن بالإيمان ونكتملها فوق بلء الروح والكيان. لأنه بعد أن تنتهي عُربتنا — ولابد أن تنتهي — ونقطع كل شوط عنائنا وتعبنا، وبعد أن يقع هذا الجسد الذي أنهكه الجهد، وبعد أن تكون النفس قد تَضَمَّخت بالصلاة (أي تطيّبت بالصلاة)، نغضي إلى الوطن السعيد، ندخل راحتنا العُليا بعد اكتمال كل أعمالنا بالحب والتقوى كما أكمل الله عمله فدخل راحته!!

+ «فلنجتهد = σπουδάσωμεν أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبدة العصيان

هذه عينها.» (عب ٤: ١١)

فلنجتهد تعني كل الشوق، كل التركيز في الجهد لبلوغ هدف ما:

+ «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.»  
(١ بط ١: ١٣)

فلا اعتماد على نعمة الله هو الذي يعطينا كل الشوق وكل التركيز في الجهد نحو الهدف الذي وضعه المسيح لنا ولم نضعه نحن لأنفسنا. فقوة الغلبة التي نغلب بها العالم هي كائنة في الإيمان بالمسيح الذي نحمله بين ضلوعنا. فالقداسة التي بدونها لن يرى أحد الله هي من صنع الروح القدس الذي نقتنيه بالصلاة والدموع والركوع كل يوم. «والحرب هي للرب»، «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). أما صمتنا فهو صلاة! وأما راحتنا الآن فهي في دموع التوبة التي من خلالها نرى وجه الرب.

وسوف نرى على مدى الأصحاحين الثالث والرابع كيف يرفع بولس الرسول قلوب وعيون هؤلاء اليهود إلى هذه الراحة العُليا، محذراً بضم الله في مزموه داود النبي أن لا يخيب أحد منها كما خاب يهود الخروج بتذمرهم وعدم إيمانهم من الدخول إلى راحة كنعان الأَرْضِيَّة، فكان هذا تحذيراً لنا في مثال واقعي نفّذه الله بمنتهى الصرامة ليكون رادعاً لنا.

ب - (٣: ١٢-١٥) تطبيق درس التذمُّر في البرية:

١٢: ٣ «أنظروا أيُّها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلبٌ شريرٌ بعدم إيمانٍ في الارتدادِ عن الله الحي.»

هنا يبني على ما سبق أن قاله المزمور سابقاً في الآية (٧): «لذلك كما يقول الروح القدس، اليوم إن سمعتم صوتَه فلا تقسُّوا قلوبكم...»، ثم يضيف إليه إتجاهه التعليمي المُستَقَى من تجربة الشعب في البرية والمعزة بالمزمور حتى ينبئه العبرانيين هؤلاء الذين أصبح حالهم قريباً من حال هذا الجليل الذي ارتد فعلاً عن الله بعدم الإيمان. وفي قوله: «أيُّها الإخوة» إنما يقرّر حقيقة في فكره أعلنها في الآية (١٤) القادمة في قوله: «لأننا قد صرنا شركاء المسيح...». فالإخوة هنا هم إخوة شركة في إيمان واتحاد بالمسيح الواحد المحسوب أنه شارك إخوته في كل شيء مما للحم والدم، حتى يستطيع أن يُشركهم فيما له من قداسة وميراث في بنوة الله.

«أن لا يكون في أحدكم قلبٌ شريرٌ بعدم إيمانٍ في الارتدادِ عن الله الحي»:

«أن لا يكون في أحدكم» تعني حسب ما جاء في اليونانية: «في أي واحد فيكم».

الصيغة تفيد الخطورة، وكذلك التتميم على الجماعة ككل، لأن أي واحد يشدُّ في الجماعة، وهو محسوب في وسطها فإنه يتسبب في ضرر الجماعة كلها شيئاً فشيئاً. والقديس بولس استخدم سابقاً هذه الصيغة عينها هكذا: «فانظروا أن لا يكون أحد يسيبكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح» (كو٢: ٨)، أما هنا فالفساد يجيء حسب «تقليد اليهود» و«فلسفة الناموسيين». وهذا عبّر عنه بعدم الإيمان بسبب قلب انحاز ناحية الشر، فارتدَّ عن الله وعن الحياة مع الله.

هنا يربط بين الشر، وعدم الإيمان، والارتداد عن الله. وهذه حقيقة خلاصية في المسيح. فالقلب إذا استوطن فيه الشرُّ والضلال، يستحيل أن يستقر فيه الإيمان بالله والمسيح، وعدم الإيمان لن يبقى بلا فاعلية فهو ينتج ارتداداً تدريجياً عن الله.

ونقول إن هذه حقيقة خلاصية في المسيح، لأن المسيح أمات فينا جسد الخطية بموته: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليظل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو٦: ٦)، فالذي يعود فيستعبد جسده للخطية والشر لا يكون قد استفاد من الصليب أي الفداء، بمعنى أنه يكون فاقداً لقوة الإيمان المسيحي. فهنا ارتباط القلب الشرير بعدم الإيمان واضح، ولكن ربما لا يكون ذلك في الظاهر فيسلك الأخ بقلب شرير وسط الإخوة دون أن يُلاحظه أحد وهو في حقيقته لا يسير مع الله بل يُحسب مرتدّاً عن الله الحي، وهنا تكمن بذرة فساد الجماعة. لذلك يهتم القديس بولس قائلاً: «انظروا أيها الإخوة»، أي افحصوا بالقلب والروح أنفسكم والآخريين معكم حتى لا يكون أيُّ واحد في وسطكم قد ارتدَّ دون أن يعلم ودون أن تعلموا أنتم أيضاً. فالكلام والتوبيخ وإعطاء الأمثلة السابقة هي لإيقاظ القلوب المسبية بالشر والتائهة عن خلاصها والمسيح حتى تستيقظ إلى حقيقة حالها.

### وقفة قصيرة

قد يبدو للقارئ أن القديس بولس هنا خرج عن الموضوع الذي يطرحه أمام العبرانيين وهو ارتفاع قدر المسيح عن موسى. ولكن بشيء من التبصّر نرى أنه إذ يعرض أمانة المسيح كرسول ورئيس كهنة اعترافنا وأنه ليس كموسى باعتباره مجرد خادم أمين على بيت الله، بل المسيح أمين كابن على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء فيه والافتخار به ثابتة إلى النهاية، ثم يستطرد من أمانة موسى كخادم البيت وأمانة المسيح كابن على بيته، منتقلًا إلى أمانة الذين كانوا مع موسى في مقابل أمانة الذين هم للمسيح الآن.

أما «أمانة» الذين كانوا مع موسى، سواء أمانتهم لله أو لموسى، فثبت أنها ضاعت في الطريق، وفي وسط تدمراتهم وشهواتهم أهانوا موسى والله، وبسبب عدم أمانتهم لموسى والله لم يدخلوا أرض الراحة وبالتالي راحة الله العتيدة. ومن هنا يلتفت القديس بولس إلى العبرانيين بصفتهم مسيحيين وصاروا محسوبين أنهم مؤمنون بالله والمسيح، فيحذّرهم أن لا يكرّروا خطية آبائهم الخارجين من مصر. لأن الارتداد عن الإيمان هنا هو بالنسبة للمسيح وليس بالنسبة لموسى، لذلك سيحرمهم لا من راحة أرض كنعان بل من راحة الله العليا.

أما تطبيق هذا التحذير بالنسبة لنا نحن الآن فهو أكثر إلحاحاً ولزوماً. فنحن محسوبون أننا في العبور من الأرض إلى السماء في رحلة إيمان تحت اختبار، وحتماً ستنتهي غربتنا ونُستدعى إلى الوطن العتيد. ودليلنا الوحيد الذي نحمله معنا في الارتحال الشاق والمضني جداً عبر العالم هو إيماننا بالمسيح، فهو اللوحة السماوية المرسوم عليها كل مراحل المسير بكل مصاعبه وتجاربه وحروبه وأعدائه الكثيرين الخفيين والظاهرين. فما لم تكن أعيننا مُثَبِّتة على هذه اللوحة السمائية نقرأها ونستقرئها في كل موقف وكل مسيرة، وأصابعنا موضوعة على وصايا الطريق وأصول السير والتوقّف حسب كل إرشادات قائد خلاصنا، فإن إمكانية الوصول إلى المدينة المنيرة تكون شبه مستحيلة. أما إذا فلتت إيمان المسيح من أيدينا وقلوبنا، فستطرح جُثثنا في قبورها بلا رجاء في الراحة العتيدة. فتحذير القديس بولس لهؤلاء العبرانيين المتكلمين على أعمالهم والمزعزعين في إيمانهم هو أشد انطباقاً علينا. فماذا نصنع أيها الإخوة لأنني أرى هذه الرسالة إلى العبرانيين هي رسالتنا بالأولى نحن الذين انتهى بنا القرن العشرين!

١٣:٣ «بل عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم لكي لا يُقسى أحد منكم بغرور الخطية».

«بل»: ἀλλά

هنا تعقيب للرد والتصحيح على قوله السابق: «أن لا يكون في أحدكم قلب شرير»، «بل عظوا أنفسكم». هنا المخاطب كل فرد في الجماعة، الجماعة كلها يخاطبها كوحدة، حتى لا يكون في الجماعة «أحد» بقلب شرير — كما سبق وقال في الآية السالفة — وكما يقول أيضاً في هذه الآية: «لكي لا يُقسى أحد منكم». فالكلام مصوّب للجماعة حتى تنتبه لخلاص كل فرد فيها، ومصوّب لكل فرد حتى لا يتوه في وسط الجماعة وينحرف عن طريق الله فيجلب على نفسه والجماعة خسارة وتأديباً. ونحن لا ننسى خطية عمّان بن كرمي وهو فرد واحد كيف بخطيته

الواحدة تسبَّب في انهزام الشعب كله أمام أعدائه، لأن هذه كانت معاملة الله للشعب إذ جاء الصوت: « في وسطك حرام يا إسرائيل فلا تتمكَّن للثبوت أمام أعدائك حتى تنزعوا الحرام من وسطكم. » (يش ٧: ١٣)

هنا يتحقق أمام أعيننا قيمة الفرد عند الله بالنسبة للجماعة بل وقيمة الجماعة كلها بالنسبة للفرد، فالفرد بخطيته يوقع الجماعة كلها في الحرام: « فلم يتمكن بنو إسرائيل للثبوت أمام أعدائهم. يُديرون قفاهم أمام أعدائهم لأنهم محرومون ولا أعود أكون معكم إن لم تُبِيدوا الحرام من وسطكم » (يش ٧: ١٢). هكذا أصبح بهم الجماعة أتما اهتمام أن لا يكون فرداً واحداً فيها له قلب شريـر بعدم الإيمان في الابتعاد عن الله الحي، لئلا تُضار الجماعة وتدفع ثمن خطية هذا الفرد المندس وسط الجماعة مثل عخان بن كرمي. إذأ فالفرد مسئول عن سلامة الجماعة كلها بحياته هو وسلوكه وطهارته ومخافته لله. والجماعة مسئولة عن كل فرد فيها لئلا يضل فيموت وتُعاقب الجماعة كلها.

لذلك نجد في قول ق. بولس هنا: « عظوا أنفسكم »، هذا المعنى كله: الجماعة والفرد معاً، حيث تتم العظة في ضمير كل فرد وفرد بنفسه وتجري عظة الجماعة على كل فرد فيها. وقد أوضحها ق. بولس أيضاً في موضع آخر في الرسالة هكذا: « غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب. » (عب ١٠: ٢٥)

كذلك ينبغي أن نلتفت أن الأيام التي يجوزونها عصبية والاضطهاد واقع عليهم من جهات عديدة، وإغراء الارتداد شديد بسبب المحاجة والملاحة مع اليهود في الهيكل والمجمع، لذلك فالجماعة مطلوب منها أن تلتزم حول نفسها وأن يشجَّع بعضهم بعضاً ويمزوا بعضهم بعضاً بكلام المسيح ليحل الروح القدس ويكتمل عزاءهم وتشجيعهم. هنا ق. بولس يدعو إلى نهضة روحية لا يكف فيها الوعظ والتوجيه حتى تنكشف القلوب أمام كلمات المسيح، فلا تركزن إلى الهرب والضلـال. كذلك فإن كلمة الرب تفضح الخطية وتسد منافذها المخادعة فتوقف سطوتها على القلوب اللاهية عن خلاصها: « ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح. » (٢ كو ١١: ٣)

« عظوا أنفسكم كل يوم »:

« كل يوم »: καθ' ἑκάστην ἡμέραν

ومعناها « يوماً بعد يوم »، حيث القصد هو الاستمرار. وهذا هو توجيه الله لأولاده منذ البدء

منذ أعطاهم وصية حيث قال لهم: «ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث ٦: ٦-٩). فإن كان هذا كله قد قيل في كلمات التوراة ووصايا العهد القديم، فكم وكما تكون كلمات المسيح؟ لذلك حينما يقول ق. بولس هنا: «كل يوم»، فكل يوم لا يكفيها لأن عمر الإنسان يقصر عن أن يستوفي حقها وعملها ومعناها: «يا رب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨)، «وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فواحدة فلسْتُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة أمين» (يو ٢١: ٢٥). وفي التقليد الكنسي معروف أن «اليوم» في مفهومه اللاهوتي هو «يوم الخلاص» (٢ كو ٦: ٢)، المطروح لنا حتى إلى أن يأتي المسيح: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه» (مز ١١٨: ٢٤)، كما أنه في المفهوم الليتورجي التقليدي هو «يوم الأحد» حين تُقدّم ذبيحة الشكر وتُسبح الكنيسة به في مطلع القداس.

«ما دام الوقت يُدعى اليوم»: αχρὶς οὐ τὸ σήμερον καλεῖται

ومعناها «طالما يُقال اليوم»، أي طالما جاء يوم. والمعنى المقصود هو بطول وعي الإنسان لعمره من حيث الزمن. وفي هذه الآية يربط الوجود الزمني للإنسان بالوعظ. وهذا يذكّرنا بقول القديس بولس أيضاً أن الأيام شريرة: «مفتدين الوقت (بالوعظ) لأن الأيام شريرة» (أف ٥: ١٦). فالزمن لا يفنيه إلا الصلاة والوعظ. وقد يكون أعظم تعبير عن معادلة الزمن الشرير بما هو ضده مما لله، ما قاله الله لشعب إسرائيل عن كيفية التعامل مع وصاياه كما كتبناها أعلاه (تث ٦: ٦-٩)، بمرافقة كلمة الله للإنسان ليس كل يوم وحسب بل كل لحظة، في النوم واليقظة والجلوس والمشي، على قلبك وبين عينيك وعلى يديك وعلى قوائم بيتك وتحكي بها لأولادك!!

واضح هنا الصراع الخفي بين الزمن والإنسان والله، فالإنسان محصور بين الزمن والله، فلكي يخرج عن جاذبية الزمن يلزم أن يلتصق بالله: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢). هكذا وجد الإنسان في المسيح ملجأه الوحيد ضد جاذبية الأرض وجذب الزمن.

«لكي لا يُقسَى أحد منكم بفرور الخطية»:

أما عن تقسية القلب كيف تأتي؟ وكيف تُراد؟ فنرجو الرجوع لشرح آية (٨: ٣).

أما التقسي هنا فهو يعني من الخطية وكأنها فاعل مباشر والإنسان يتقبل التقسي في وضع

سالبي أو بالحرى مسلوب الإرادة، وبولس الرسول سبق أن فسّر ذلك تفسيراً نفسانياً ببلغ العمق حينما قال:

+ «لأنني لستُ أفعل الصالح الذي أريدهُ بل الشر الذي لستُ أريدهُ فإن كنتُ ما لستُ أريدهُ إِيَّاهُ أفعلُ فلستُ بعدُ أفعلهُ أنا بل الخطية الساكنة فيَّ ... لكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو٧: ١٩ و٢٠ و٢٣)

ولكن ليحذر القارئ فإن هذا التحليل لصنع الخطية في الإنسان هو في غياب المسيح ونعمته وفعل دمه. وهكذا تكون الخطية فعلاً — في غياب المسيح الذي أدانها وأبطلها بدم ذبيحته — قادرة أن تهزم إرادة الإنسان وتُقسِّي قلبه وفكره وضميره. وبهذا تكون هذه الآية التي نحن بصددنا والتي بمقتضاها يوغي ق. بولس ويحذّر العبرانيين المؤمنين بالمسيح، أنه في غياب الإيمان الحقيقي العامل بالمسيح تستطيع الخطية أن تأخذ ثوب غرورها وخداعها الذي لبسته في جنة عدن وتعمل في الإنسان كل ما تريد أن تعمل بموته بغواية الحية وحسد الشيطان.

«بغرور الخطية»: ἀπάτη τῆς ἁμαρτίας

غرور: ἀπάτη ويقصد بها الثوب الكاذب، والمخادع، والجذاب بأن واحد الذي تلبسه الخطية لتظهر للإنسان كحقيقة وهي كذب، وصديقة وهي مُخادعة، وجذابة وهي بشعة!!!

+ «فرأت المرأة أن الشجرة جيّدة للأكل (وهي مسمومة)، وأنها بهجة للعيون (وهي خداع)، وأن الشجرة شهية للنظر (وهي قاتلة).» (تك ٣: ٦)

هكذا لبست الخطية أثوابها الثلاثة، ظاهرها جيد وبهج وشهي، ومخبّؤها (١٧) عُري وخوف ولعنة وحرمان وموت!! وق. بولس يفضح هذه الأثواب:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كو ١١: ٣)

ولعل أعظم اختبار يختبره الإنسان في حياته على الأرض ليرى ويحس ويفهم ويتأكد من قسوة خداع الخطية وغشها، هو حينما يتصوّر حاله قبل الخطية ثم بعد الخطية!!!



ثم لعلّ أعظم انتصار يمكن للإنسان أن يحوزه في حياته ويرى نفسه أعظم من منتصر، هو حينما يقول للخطية: لا وألف لا!! إنما مستنداً على المسيح ومُمسكاً بالنعمة!!

والآن، ما هي هذه الخطية التي يوغمي ق. بولس العبرانيين المسيحيين عنها؟ ويصف الغرور المحيط بها والتقسي الذي تُحدثه في القلب والفكر؟ نعم هي ترك المسيح والارتداد عن المسيحية، النظر إلى خلف، هي قضية امرأة لوط وعمود الملح! يا للخسارة الأبديّة!!

هنا نود أن نكشف عن كيف تتحوّل قضية «الإيمان بالمسيح» إلى قضية خطية وأخلاق وسلوك؟ هذا في الحقيقة أمر عجيب ومريب. فالعدو المجرّب لا يأتي للمؤمن بالتجربة في محيط الإيمان لأن العدو ليس ساذجاً بهذا المقدار. وهو أصلاً لا يقوى على الدخول في عناصر الإيمان لأنه يخاف على نفسه لشلا يحترق، ولكنه يأتي للمؤمن عن طريق ظروفه الصعبة ومعاناته من جراء الإيمان بالمسيح، ويهوّل له مقدار ما سيحل به من راحة وحرية، وسعة وامتعة، واحترام ومدح، وأمان وتأمين إن هو جحد إيمانه وعاش حُرّاً من المسيح. وهكذا تنزّل له الخطية بالأثواب الزاهية والمُبهِجة ومن يوم ليوم يزيدها له بهاءً وبهجة حتى يسلب لهُ، وهكذا تتحوّل قضية الإيمان واللاهوت إلى قضية أخلاق وسلوك ونفس وجسد!! بل قضية حزن وندم وموت وهلاك أبدي.

١٤:٣ «لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلى النهاية».

«لأننا قد صرنا شركاء المسيح»:

«لأننا» هنا تُفيد تحميل ما فات بكل ما فيه من توجيه ووعظ على الحقيقة الآتية وهي أننا صرنا شركاء المسيح، مما يعزّز أن لا يكون في أحد قلب شرير وأن يعظ بعضهم بعضاً كل يوم، لأن ما كان يتمناه الآباء ويتظرونه بفارغ الصبر، وهو «مسيحاً»، قد صار إلينا وصرنا نحن شركاءه، بمعنى أننا أصبحنا متحدين به وبالتالي ارتفعت إمكانياتنا وصرنا في ملء حياته. وهذا يتضح أكثر من الترجمة اللاتينية التي تعني أننا صرنا فعلاً شركاء المسيح *participes Christi effecti sumus* (١٨). فكل ما كان يتمناه الأوائل من كل الوعود التي قيلت لهم وسبق وتنبأ بها الأنبياء عن هذه الأيام السعيدة للمسيح صرنا نحياها الآن، ولكن إن كانت مخفية عن عيون البعض فهذا بسبب عدم الإيمان!! كما يقول ق. بولس أيضاً:

+ «إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في المالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى

أذهان غير المؤمنين لثلاثي لثلاثي لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله ... نركز...  
بالمسيح يسوع رباً ... لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا  
لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. « (٢ كو٤ : ٣-٦)

«صرنا شركاء» : μέτοχοι γεγόναμεν

هنا كلمة «صرنا» γεγόναμεν تحرس مفهوم الشركة، فهي ليست معية أو مجرد شركة اجتماع كخيمة الاجتماع التي كانت تجمع الله مع شعبه بل هنا صيرورة، فكما أن «الكلمة صار جسداً» تفيد حدوث اتحاد فعلي بالطبيعة البشرية، كذلك فهنا صرنا شركاء المسيح تعني أننا اتحدنا فعلاً في طبيعة المسيح - وهذا بعكس ما يقول به كثير من الشراح أنها مجرد زمالة (١٩) - وبهذا تكون مقدرتنا ومقدراتنا وما هو مطلوب منا وما هي غايتنا، تصبح كلها على مستوى المسيح الذي اتحدنا به. صحيح أن الرسالة إلى العبرانيين لم تبلغ مفهوم «في المسيح» εν Χριστῷ التي اعتاد ق. بولس أن يتمسك بها، ولكن كلمة «شركاء» ليست أقل منها بأي حال. فقول ق. بولس هنا أننا «صرنا شركاء المسيح» تعادل قول بطرس الرسول: «اللذين بهما (دعانا بالمجد والفضيلة) قد وهب لنا المواعيد العظيمة والثمين لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هارين من الفساد الذي في العالم بالشهوة» (٢ بط١ : ٤). غير أن كلمة «شركاء» استخدم لها سفر العبرانيين بنوع خاص لفظ μέτοχοι الذي لم يرد في بقية الأسفار على هذا المستوى، بينما استخدمت لها باقي أسفار العهد الجديد سواء للقديس بطرس أو القديس بولس لفظ κοινωνοί .

ولكي يتضح معنى هذه الشركة هنا أنها اتحاد فعلي بالمسيح، يعود سفر العبرانيين ويقول: إن الشركة في المسيح بالعمودية تُنشئ شركة في الروح القدس: «لأن الذين استنبروا مرة (بالإيمان والعمودية) وذاقوا الموهبة السماوية (نعمة الخلاص) وصاروا شركاء الروح القدس» (عب٦ : ٤). فكيف يمكن أن تكون الشركة في المسيح والشركة في الروح القدس المتحصلة من الإيمان والعمودية مجرد زمالة مع المسيح ومع الروح القدس؟

«إن تمسكنا ببداة الثقة ثابتة إلى النهاية»:

κατάσχωμεν, ὑποστάσεως : «تمسكنا بالثقة»:

لقد قدّمنا شرحاً لهذا المعنى في شرح الآية (٣) من الأصحاح الأول فالرجاء العودة إليه.

هنا جملة شرطية تجعل ما سبق أن قيل وهو: «أنا قد صرنا شركاء المسيح»، مشروطاً بتمسكنا بالثقة التي أعلنّاها منذ بداية إيماننا بالمسيح. أي أن «شركة المسيح» هي قائمة طالما ثقتنا الأولى حينما آمنّا بقيت ثابتة حتى النهاية. وهنا «حتى النهاية» تفيد نهاية جهادنا على الأرض حيث نحصل على الميراث المعدّ للذين صاروا شركاء المسيح.

وعلينا أن نلاحظ أن ق. بولس يعيد هنا تركيزه على «التمسك بالثقة بالمسيح»، فقد أوردنا في الآية (٦) سابقاً كشرط لبقيتنا في علاقة بالمسيح «كبيت له» بالمفهوم اللاهوتي عند ق. بولس الذي يعني الكنيسة أي جسده: «وبينته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية». ولكن هنا في الآية (١٤) التي نحن بصدها يجعل تمسكنا بالثقة الأولى لبدء إيماننا ثابتة إلى النهاية شرطاً لنسقى «شركاء المسيح». ومن هذا يتضح أن «شركة المسيح» و«بيت المسيح» مفهوم واحد يتضمن علاقة بالمسيح تصل إلى اتحاد دائم يعيىء بالنهاية للدخول إلى راحته العليا وملكوته الأبدي كشركاء في ميراثه، هذا إذا ثبت إيماننا بثقة راسخة وحتى النهاية.

وهنا تلوح لنا حقيقة لاهوتية ذات شأن عظيم في حياتنا وتفكيرنا وسلوكنا وهي أن الله إنما يطرح أمامنا عمله كاملاً مرة واحدة ثابتاً راسخاً رسوخاً يفوق السماء والأرض والزمن — كالفداء — ونظل نحن نتمثله ونتكامل فيه ننمو ونزداد وترسخ فيه يوماً بعد يوم مدى الحياة ... فبقدر ما نثبت فيه يتحقق لنا كماله، فإذا ثبتنا فيه إلى النهاية نحقق لنا بكماله: «متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو:٣:٤)

لذلك كم سمعنا من المسيح تكراراً لدعوته وإلحاحه: «اثبتوا في محبتي» (يو:١٥:١٠)، «اثبتوا فيّ وأنا فيكم» (يو:١٥:٤). وهل يوجد لنا في هذا الدهر مصدر أمان على الطريق وعون في الضيق سوى الالتجاء إليه سريعاً والثبوت فيه مهما بلغ التهديد حتى الموت؟

١٥:٣ «إذ قيلَ اليومَ إن سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلَا تُقْسُوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي الإِسْخَاطِ».

تكرار للآية (٧:٣).

لقد حاول العلماء الربط بين هذه الآية والآيات السابقة دون فائدة فجاءت كل محاولاتهم مبتورة وغير معقولة. والسبب بسيط للغاية، فالقديس بولس بعد التعليق على الآية (٧) حتى الآية (١٤) توقّف وأبتدأ بتعليق آخر على نفس الآية لا يمتُّ للتعليق الأول بصلة. فالتعليق الأول قصّد منه ما جاء في نهايته في الآية (١٢ و١٣ و١٤) وهي عظة وعبرة. أما التعليق الثاني على نفس

الآية فجاء ليشرح سرّ المزمور بتدقيق من الآية (١٦) إلى الآية (١٩) لينتهي من شرح المزمور باكتشاف السر الوحيد لمحنة الشعب الخارج من مصر وهي عدم الإيمان.

### ج - الدرس المُستفاد من المزمور كله بتدقيق: (٣:١٦-١٩)

١٦:٣ «فَمَنْ هُم الَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أُسْخَطُوا؟ أَلَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ بِوَأَسْطَةِ مُوسَى».

هذا هو أول تفسير لِمَا جاء في المزمور (٩٥).

هكذا يوضح أن نفس الأشخاص الذين تعطف الله عليهم وأخرجهم من تحت عبودية السخرة هم الذين أسخطوا، بمعنى أغضبوا الله. إذأ فالأمر بالنسبة لهؤلاء العبرانيين يُنذر بالخطر، فالمسيحيون أخرجوا بالفعل من تحت عبودية الخطية وسخرة الشيطان.

ولكن الأصل اليوناني يختلف في تركيبه عما جاء هنا في الترجمة العربية، والترجمة الصحيحة يلزم أن تكون كالآتي:

+ «هل بعض الذين سمعوا أسخطوا؟ τίνες γὰρ ἀκούσαντες ولكن أليس جميع ἀλλ' οὐ πάντες الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى؟».

هنا يركّز بحسب النص اليوناني على اتجاهين: الاتجاه الأول أن ليس جزءاً من الشعب الذي خرج من مصر هو الذي أسخط الله أي أغضبه بل جميعهم!! أما الاتجاه الثاني فهو أن قيادة موسى هنا موضوعة تحت التعبير لأنه لم يستطع أن يتفادى تذمر الشعب كوسيط بينهم وبين الله. وهكذا يستعد القديس بولس ليرفع من مستوى المسيح كوسيط. لأن الخلاص والإيمان بالمسيح ومغفرة الخطايا هي للجميع أصلاً: «وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢:٢). ولكن إن رُفض الإنجيل فهو مرفوض من المالكين: «ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك» (١٧يو:١٢). ولكن في توسط موسى وقيادته هلك جميع الذين خرجوا من مصر وليس بعضٌ منهم. أما الذين دخلوا أرض الراحة فالمولودون منهم فقط في البرية. فالذين هلكوا إذأ هم جيل كامل بكامله كما يقول الروح على فم كاتب المزمور: «ولا يكونون مثل آبائهم "جيلاً" زائغاً ومارداً، "جيلاً" لم يثبت قلبه ولم تكن روحه أمينة لله» (مز٧٨:٨)، وحق يقال النبي يتكلّم بوحى الله الذي فيه يخاطب «المسيا» القادم لشعب إسرائيل المتمرد: «وقال لي، يا ابن آدم أنا مُرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة، قد تمردت عليّ هُم وآباؤهم عصوا عليّ إلى ذات

هذا اليوم، والبنون القساء الوجوه والصلاب الرقاب أنا مُرسلك إليهم...» (حز ٢: ٤٥٣)

١٧:٣ «وَمَنْ مَقَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا الَّذِينَ جُنَّهْتُمْ سَقَطَتْ فِي الْقَفْرِ».

هذا هو ثاني تفسير للمزمور.

والقصد من ذكر الأربعين سنة بكاملها هو لإظهار تدمرهم وخطيتهم التي لازمتهم من الأول إلى الآخر، والتي قابلها من جهة الله المقت أي عدم الرضى الشديد من الأول للآخر أيضاً. وهكذا تُحسب سنو غضب الله بسني عصيان الإنسان. فانظر كيف يُدخل الإنسان نفسه تحت غضب الله بأعماله، وكيف يلبوث زمانه ويُفسد أيامه بيده، ويحكم على نفسه بالحرمان الدائم والشقاء الأبدي!

أما ارتباط مدة غضب الله بزمان عصيان الإنسان فيذكر سفر العدد هكذا:

+ «فجششكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم (تعب البنين وشقاؤهم في البرية كان بسبب ذنوب آبائهم): «أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء» (خر ٢٠: ٥) حتى تفتنى جششكم في القفر. كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض (اكتشاف أرض كنعان) أربعين يوماً، للسنة يوماً، تحملون ذنوبكم أربعين سنة، فتعرفون ابتعادي.» (عد ١٤: ٣٢-٣٤)

هنا يكشف الوحي عن حجم المستوى الزمني للعقاب، فكل يوم تدمر كان حسابه سنة كاملة شقاء مع حرمان من دخول أرض الراحة، أي لا راحة في القفر ولا راحة في أرض الراحة.

وهذا في الحقيقة أمر رهيب ومُرعب! يجعلنا نسترجع مستوى تفكيرنا في كيفية التعامل مع شخص الله، فهو على مستوى التأديب الشديد جداً الذي لا يمكن أن يكون له مثيل في تعاملتنا مع الناس. فذنب دقيقة أو ساعة تجاه شخص الله، إن بلفظ أو فكر أو عمل، نحمل وزره فوق ظهورنا حتى تنحني أو تنكسر، وقصد الله هو: «فتعرفون ابتعادي»! فمن يطيق خصومة الله؟ فخصومة الله للإنسان كما حملها المسيح أحزنت نفسه حتى الموت وكسرت جسده على الصليب وصرخ منها متأوها: «إلهي إلهي لماذا تركتني!» (مت ٢٧: ٤٦). وبولس الرسول عبّر عنها: «مُخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب ١٠: ٣١). صحيح أن مع المسيح لا خوف من الله بل ثقة وفرح ومحبة ودالة بنوية بل وجراءة وقدمو إلى الآب كل حين، ولكن ماذا يكون بدون المسيح، بدون فادٍ وشفيع؟ فإذا فقدنا عشرة المسيح تتلقأنا شياطين الغرور والكبرياء ثم الخطية بكل صنوفها، وبُعدها

يكون هو البُعد المخيف عن حفظ الله وعنايته، وهكذا تبدأ النعمة وحينئذ يتم القول: «فتعرفون ابتعادي».

والآن يوغّي ق. بولس الشعب العبراني الخارج من عبودية السنهدريم والمجمع وسخرة التمرد لحساب الشيطان ليدخل عهد طاعة المسيح وينال الحرية والتبني. فالآن ماذا يكون مصيرهم لو هم جحدوا فادبهم وشفيهم؟ إنها تكون حتماً رجعة إلى تمرد البرية وعصيان مئة ومربية وإسقاط من أحسن إليهم، وحينئذ يكون ابتعاد الله، وبعده المقت والحمران الأبدي.

«وَمَنْ مَقَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا الَّذِينَ جَثَّمَتْ فِي الْقَفْرِ»:

وصحة ترجمة هذه الآية على النص اليوناني نجيء هكذا:

+ «ومع مَنْ كان الغضب أربعين سنة؟ ألم يكن مع الذين أخطأوا أصحاب الجثث التي سقطت في القفر».

وماذا كانت نتيجة هذه الخطية التي لازمتهم الأربعين سنة؟ يقولها لهم موسى بكل وضوح هكذا: «قد ارتددتم عن الرب فالرب لا يكون معكم.» (عد ١٤: ٤٣)

ولكن كلمة «الذين أخطأوا أربعين سنة» تفيد ليس فقط التذمر وعدم الطاعة بل وتفيد ممارستهم كل صنوف الخطية اللاأخلاقية والسلوكية أيضاً. وهذا ما أراد بولس الرسول أن يُشعر به هؤلاء العبرانيين المسيحيين المتزعزعين عن الإيمان، كيف أن مجرد هذا التردد في الإيمان والتشكك فيه أسقطهم في خطايا أخرى لم يشأ أن يذكرها، ولكنه أحالهم إلى هذا الجيل المتلوي الذي انشغل بالزنا الفاحش بعضهم مع بعض أمام عين الرب حول خيمة الاجتماع، فحلّ عليهم غضب الله: «كما هو مكتوب، جلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب، ولا نزن كما زنى أناس منهم فسقط في يومٍ واحدٍ ثلاثة وعشرون ألفاً» (١ كو ١٠: ٧ و٨). ويؤكد بولس الرسول أن هذه المسألة حلّت بهم لتكون مثلاً لنا وإنذاراً: «فهذه الأمور جميعها أصابهم مثلاً وكُتبت للإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور.» (١ كو ١٠: ١١)

أما ذكر «جثتهم التي سقطت في القفر»، فهو مشهد قصد الوحي المقدس أن يسجله ليكون أمام أعيننا صورة لمدى البؤس الذي لم يفارق هذا الجيل من تشييع جنازة ستمائة ألف رجل (خر ١٢: ٣٧) على مدى أربعين سنة بحساب أربعين جنازة في كل يوم!! عدا الأموات الآخرين.

١٨:٣ «ولَمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا».

الشرح الثالث للمزمور (٩٥) الآية (١١) منه .

وهنا تنتهي الأسئلة الموجهة المستفادة من مزمور (٩٥) التحذيري، حيث تنصب كل الأسئلة السالفة بشروحاتها على هذا السؤال الختامي الذي انتهى بهؤلاء إلى وقوعهم تحت «قَسَمَ مِنْ اللَّهِ» أن لا يدخلوا راحته، مع إعلانه سبب هذا الحرمان أنه «عَدَمُ الطَّاعَةِ» لصوت الله. هذه الخطية التي جعلها بولس الرسول في هذه الرسالة المحك الأساسي لسوء الحال الذي ألمَّ بهم، وهو وشيك أن يجرمهم بالفعل من الراحة العليا .

«أَقْسَمَ»: ὁμοσεν

تكررت كثيراً في هذا السفر، فالملاحظ أن القديس بولس يكتب إلى عبرانيين أصلاً، وكان عندهم أن الله حينما يُقسم فإن الأمر يكون قد بلغ الذروة، إما في هبة ستعطي حتماً كبركة إبراهيم، وإما في حرمان سيقع حتماً ولا محالة. وكلا الإجراءين تمًا بالفعل وصاروا عبرة للأجيال كلها ولكل الدهور!! غير أن على القارئ أن يدرك أن الرب حينما يُقسم يقول: «حيُّ أنا». وقد شرحنا سابقاً أنها تعني صدق ما يقول كصدق أو حقيقة كينونته، فطالما أن الله حيُّ وهو حيُّ منذ الأزل وإلى الأبد، فحينما يقول: «حيُّ أنا» فالأمر مُحَقَّق كحقيقة أزليَّة الله. وهي مُرادفة لقوله: «أنا هو»، التي تعني أنا الكائن بذاتي، وقد قال الله أيضاً: «أَقْسَمْتُ بِذَاتِي» (تك ٢٢: ١٦، إش ٤٥: ٢٣، إر ٢٢: ٥) وتعني نفس الحقيقة، فذات الله هي الكينونة العُظمى والأزلية!

وق. بولس يذكر قَسَمَ الله في مواضع كثيرة لتأكيد أقوال الله ومواعيده:

+ «فإنه لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَكْبَرُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ قَائِلاً إِنِّي لَأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأَكْثَرَنَّكَ تَكْثِيرًا.» (عب ٦: ١٣ و١٤)

+ «فإن الناس يُقسمون بالأعظم، ونهاية كل مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هي القَسَمُ. فلذلك إذ أراد الله أن يُظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد عدم تغيُّر قضاياه، تَوَسَّطَ بِقَسَمِهِ.» (عب ٦: ١٦ و١٧)

+ «لأن أولئك (الكهنة اللاويين) بدون قَسَمٍ قد صاروا كهنةً، وأما هذا (المسيح) فبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ.» (عب ٧: ٢١)

وقصد بولس الرسول سواء من إبراز قَسَمَ الله في غضبه أن لا يدخلوا راحته أو قَسَمَ الله لإبراهيم

بالوعد للبركة الذي هو الميراث الأساسي الذي تعيش على رجائه إسرائيل، هو لكي يَضْمَمَ لهم خطورة فقدان هذا الميراث الموعد بَقَسَمِ ذات الله للذين يَعْرِضُونَ أنفسهم لذلك بعدم طاعتهم لصوت الله: أن لا يُقَسِّمُوا قلوبهم كآبائهم وألا يرتدوا عن الإيمان الذي به وحده وعد الحياة!! «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو ٣: ٣٦). حيث غضب الله هنا هو من واقع خطايا الذي لا يؤمن إذ ليس لها مسيح يرفعها.

لأنه إذا كان هذا الشعب المتمرد على الله، الجليل الذي أهان العلي بعدم طاعته وعدم إيمانه معاً، قد تعذر دخوله جسدياً إلى أرض راحة، فكم بالحري — يقول ق. بولس — تكون الاستحالة لمن هم على هذا المستوى من عدم الطاعة وعدم الإيمان معاً من الدخول إلى راحة الله العليا واكتساب مذكرات الحياة الأبدية؟ والقديس بولس يستعرض الطريق الذي سار فيه هؤلاء القوم فهم لم يستمعوا لصوت الله أولاً، وعدم السماع لصوت الله أدى بهم إلى الانزلاق في خطايا أخلاقية، والخطايا قَسَّتْ قلوبهم فأظهروا عدم الطاعة لله جملة، وعدم الطاعة أفرغ قلوبهم من الإيمان. وبالمثل وفي المقابل فإن الله أهلهم أولاً ثم مَقَّتْهم، ثم قال بموتهم جثثاً جثثاً على وجه الأرض. ثم القَسَمَ الحزين بحرمانهم من راحته. سلوك بسلوك وكان الإنسان يشتري لنفسه بِلَهْوِهِ غضب القدير دون أن يستشعر مدى الكارثة التي ستجلب به في النهاية وسوء المصير!

لذلك أرجوك يا قارئي العزيز أن تبصّر دائماً لمصيرك، فأول خطوة تُنبئ بالنهاية الحزينة، وأول خطوة في هذا المُنزلق المُريع هي عدم الاكتراث لصوت تحذير الله في وصاياه!! ولكن أية خطورة وأية كارثة تكمن وراء الازدراء بتحذيرات الله والانسحاق وراء شهوة الفكر والقلب؟ «جلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب...»، وزنوا... فسقط منهم ٢٣ ألفاً في يوم واحد!

وبعدها تكون عدم الطاعة التي تبلغ أقصى خطورتها السلبية في فقدان الإيمان الذي به وحده الدخول إلى راحة الله. والإيمان لا يحتمل ولا يطبق ولا يتلازم قط مع الأعمال السلبية ولكنه يزدهر في الصلاح.

١٩:٣ «فترى أنهم لم يَقْدِرُوا أن يَدْخُلُوا لعدم الإيمان».

المعنى هنا شديد التحذير، فعدم دخولهم ليس مجرد حقيقة بحد ذاتها بل هنا إشارة إلى الضرورة الخلقية التي حتمت عدم دخولهم. فكلمة «لم يقدرُوا»، أي لم يستطيعوا، تفيد فقدانهم



لمؤهلات الدخول وليس مجرد عقوبة. فالدخول إلى كنعان كان في نظر الله يستلزم شروطاً معينة تتركز في الإيمان به وبكلامه. وهذا المعنى يُبرزه إنجيل القديس يوحنا في حوار اليهود مع المسيح بعد أن ألقى عليهم مثل الراعي الصالح والخراف ومؤهلات الدخول إلى الحظيرة. فالذين يدخلون الحظيرة هم خرافه الخاصة التي يدعوها بأسمائها:

+ «ولكنكم لستم تؤمنون، لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد.» (يو: ١٠: ٢٦-٢٨)

هكذا يكشف لنا هذا السفر المجيد أن «الإيمان» هو المؤهل المطلوب للدخول إلى الراحة سواء بالنسبة لشعب إسرائيل، حيث الدخول المنظور هو أرض الموعد، أو بالنسبة لمن يخاطبهم ق. بولس. وهذا يتسحب علينا بالضرورة حيث الدخول هو إلى الأقداس العليا بالإيمان بدم المسيح! «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (عب ١٠: ١٩). وبدون الإيمان بالدم يستحيل الدخول!!

ولنا ملاحظة للتقابل بين الآية (١٨)، (١٩) في الاصطلاحين:

+ «لَمَنْ أَمَسَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ لَمْ يَطِيعُوا» = ἀπειθήσασιν

+ «لَمْ يَقْدَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ» = ἀπιστίαν

فما علاقة عدم الطاعة بعدم الإيمان؟ أأنهما هنا يقعان في موضع التساوي؟

ولكن الحقيقة أن الطاعة توصل إلى الإيمان، والطاعة أولاً وقبل كل شيء اقتناع بتسليم الفكر والإرادة لله دون فحص أو تحليل أو تجريب، فبمجرد أن يرضى الإنسان ويقبل أن يُسلم فكره وإرادته لله بدون شرط وبدون خوف أو احتراس فإنه يحصل على الإيمان، لأن الإيمان هبة وليس اجتهاداً!! لذلك فالإيمان يحتاج إلى جحد الذات ليتسنى للإنسان أن يلقي بنفسه بشجاعة وراء الله دون حساب بل وربما دون تفكير. إنها مخاطرة، ولكنها أنجح مخاطرة يقوم بها الإنسان في حياته: «مَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدَهَا» (مت ١٦: ٢٥)، «مَنْ أَضَاعَ حَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ يَجِدَهَا» (مت ١٠: ٣٩). من هاتين الآيتين يتبين أن مخاطرة الإيمان هي مخاطرة بالذات وبالحياة باحتمال الخسارة والموت، ولكن الخسارة يتحقق أنها أعظم ربح والموت يتحقق أنه هو الحياة الأبدية.

فالذي يريد أن يؤمن بالمسيح، فلتكن نفسه رخيصة عنده، بل غير محسوبة، بل واحتمال الخسارة حتى الموت وارد، ولكن يستحيل أن يؤول الإيمان بالنهاية إلى خسارة أو موت! بل إلى ربح فوق ربح، وراحة وحياة أعلى من الحياة، ورضى الله.

## الأصحاح الرابع

التقسيم: [ ١٣-١:٤ ] نحن هنا لا زلنا في الجزء الثاني من الدفاع الثاني الذي بدأ من ٧:٣ وينتهي في ١٣:٤، وهو يندرج تحت تقديم نموذج من سلوك الشعب القديم الخارج من مصر وتذمُّرهم وعدم إيمانهم الذي جلب عليهم الحرمان من دخول الراحة في أرض كنعان، ذلك في مقابل الوعد بالراحة العليا التي دخلها الرب يسوع ودعانا إليها لندخلها من الآن كمربون، وتقديم ذلك للوعظ. ولكن هنا ومن أول الأصحاح يبدأ يشرح كيف أنه بقي وعد الله لنا قائماً للدخول في راحته.

ختام الأصحاح الرابع:

[ ١٦-١٤:٤ ] يعود فيه ق. بولس ليواصل الكلام الذي كان قد أنهاه في آخر الأصحاح الثاني عن المسيح كرئيس كهنة، فهو هنا يقدمه بالتفصيل كعقيدة لاهوتية بذاتها يطرحها لأول مرة في أسفار العهد الجديد.

## ٢ - الراحة السماوية باقية لنا

[ ١٣:٤ - ١ ]

وتنقسم هذه الآيات من ١-١٣ إلى قسمين:

- أ - (١٠:٤-١١): الحديث عن راحة هي سماوية موعودة للشعب، لا تزال قائمة لأنها لم تتحقق بعد.
- ب - (١٣:٤-١١): الحديث عمّا يجب أن نعمله للحصول على هذه الراحة بالنسبة للمسيحيين كمسئولية خطيرة نحاسب عليها، فالإنسان ليس حُرّاً في قبولها أو رفضها.

### أ - الوعد بالراحة السماوية لا يزال قائماً لأنه لم يتحقق بعد: (١٠:٤-١١).

وتنقسم إلى:

- ١ - كشف حقيقة أن الراحة الموعودة هي معفوفة أصلاً للمسيحيين (١٠:٤-٢).
- ٢ - ولقد شدّد الله على هذه الراحة في موقفين: الموقف الأول بخصوص راحة السبت (٤:٣-٥).
- ٣ - والموقف الثاني إعادة الوعد بالراحة على لسان النبي في المزمور (٩٥) لنفس الشعب الذي وعده بالراحة بدخوله أرض كنعان، مما يدلّ على أن هذه الراحة لم تتحقّق للشعب بدخوله أرض كنعان (٤: ٧ و ٦).
- ٤ - تكرار الوعد بالراحة مرة ثانية يوضّح أن الراحة الأرضية لا تُحقّق مقصد الله وتدبيره (٤: ٨-١٠). وبهذا يكشف بولس الرسول أن كل تدبير الله من الأول، سواء مع إبراهيم بالبركة أو مع شعب إسرائيل في البرية بالوعد بالراحة، كان منقطعاً ليحقّقه المسيح ويكمله معتبراً إياه وارثاً لكل شيء للبركة والراحة. وبهذا يكون هو المكمل لكل أعواز الإنسان من جهة محبة الله ومقاصده الحميدة.

الشرح:

ق. بولس يحاول أن يثبت أن ما أصاب الشعب الذي نجاه الله من مصر له علاقة وطيدة ومعنى مباشر كمثّلٍ وتحذيرٍ وإنذارٍ للعبرانيين المنتصرين الذين أرسل لهم هذه الرسالة. وفي نفس

الوقت يضع نفسه معهم بقوله أحياناً: «نحن»، مما يتسحب علينا نحن أيضاً وعلى كل المسيحيين لكل الدهور. لأن الشعب الموعود بالراحة لم يدخل راحة الله بل هلك في البرية، وحتى الجيل الثاني المولود لهذا الشعب الخارج من مصر والذين استولوا على كنعان بالفعل اكتشفوا أنهم لم يحققوا وعد الله بالراحة بسبب عقوبتهم. فالأين والصراخ والمعاناة لاحقتهم كل الأيام، وظل الأنبياء يعبون الشعب في كل الأجيال أن الراحة قادمة مع «مسيّاً» الموعود. وهكذا بقيت الراحة محفوظة عُبر كل أجيال اليهود حتى مجيء المسيح، ليعلمنا أنها من نصيب الذين يؤمنون. فإذا تفحصنا حقيقة الجيل اليهودي الذي هلك ولم يحصل على الراحة، نجد أن هلاكهم وعدم حصولهم على الراحة كان بسبب عدم طاعتهم وعدم إيمانهم بالتالي.

وهنا يعود بولس الرسول ويؤكد أن جيل المسيحيين صارت لهم فرصة الإيمان أسهل بطاعة المسيح، وبالتالي صار دخولهم إلى راحة الله الموعودة السماوية مؤكداً. وهذا يسرده بولس الرسول بأكثر وضوح مرة ثانية في الأصحاح الثامن بدءاً من العدد السادس. وهنا لا يعود عُذرٌ لهؤلاء العبرانيين المنتصرين المتذمّرين.

٢١ : ٤ «فَلْتَحَفْ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدِ بِالِدُخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ. لَأَنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أَوْلَتْكَ لَكِنْ لَمْ نَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَيْرِ أَوْلَتْكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ مَمْتَرِجَةً بِالْإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا».

الآية الثانية هنا هي السبب في الآية الأولى.

«فَلْتَحَفْ»: φοβηθῶμεν οὖν

الترجمة العربية أسقطت حرف οὖν الذي يفيد «إذاً». وهكذا ينسب هذه الآية كنتيجة لما فات في قوله سابقاً: إن شعب إسرائيل دُعوا للراحة بعد خروجهم من سُخْرَةِ مصر، ولكنهم خابوا من هذا الوعد بسبب تدمرهم وعدم طاعتهم وفقدان إيمانهم. وهو يستند في هذا التحذير على أمرين هامين خطيرين وهما: «وعدد الله» الذي ما دام قد قيل، فهو سَيُنْفَذُ حتماً، وهو قائم ينتظر مَنْ يُنْفِذُهُ؛ والثاني وهو سبب خيبة شعب إسرائيل وحرمانهم، وهو عدم إيمانهم بسبب تدمرهم وعدم طاعتهم «إذاً فَلْتَحَفْ». وتحريضه اليهود المنتصرين هنا على الخوف يستند على عدم مغافتهم لله فعلاً، لأنه لو كان لديهم مغافة الله لما اضطرق. بولس أن يَحْرُضَهُمْ على الخوف من عقوبته. فالذي يخاف الله لا يخاف من أحد أو شيء سواه.

«أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته»:

الوعد الإلهي طالما خرج من فم الله فحتماً يُنفَّذ. إذاً هو باقٍ كما هو، أي ينتظر قوماً يدخلون هذه الراحة. فعدم دخول شعب إسرائيل لا يلغي وعد الله، بل بالحري يُظهر السبب في عدم الدخول ليكون عبرةً للآتين. وهنا يعتمد ق. بولس على أن: «وعد الله بالدخول إلى راحته»، يحمل بحد ذاته وفي طبيعته دعوةً مُلحّة للإنسان للدخول، إذ أنه قيل من فم الله ليكون ويتحقق. فمجيء ابنه ينادي بملكوت الله والدخول إليه أنشأ في الحال تجديداً للدعوة وتجلياً للوعد، وبالتالي أنشأ واجباً من جديد لكل مَنْ يسمع الدعوة، بل والتزاماً لكل مَنْ سمع للتحرك والقبول والتنفيذ. وهنا ينشأ الخوف الشديد على الذين آمنوا بالمسيح عند سماع الخبر بالدعوة أن يخسروا هذه الدعوة. والخوف الشديد ليس فقط متأثراً من خسارة الدعوة، بل إن ذلك يوقنا أيضاً في نفس العقوبة التي آلت على شعب إسرائيل. فمع الحرمان من الدخول، أضيفت عقوبة الموت تحت المَقْبِ والنقمة، وهذا هو المرعب في الموضوع، لأنه صحيح أن عدم الإيمان هو الذي يحرم من الدخول إلى راحته، ولكن مِمَّ نشأ عدم الإيمان؟ أليس من عدم طاعتهم؟ لأن الإيمان هو بالأساس هبة من الله ونعمة لا ينالها إلا الذي يطيع الله وأوامره ويسير أمامه بخوف، فالذي لا يطيع لا يمكن أن يؤمن أي لا يحصل على هبة الإيمان التي تزكيه للدخول. ومِمَّ ينشأ عدم الطاعة؟ أليس من الانحياز إلى رغبات وشهوات الذات وتنعيم وتلذذ الجسد واختيار البُعد عن الله بمحض الإرادة خضوعاً للشهوة والذات ومُغريات العالم؟ هنا تتحدد دعوة ق. بولس للخوف. فالخوف من الحرمان من الدخول إلى راحة الله أي ملكوته بل ومن العقوبة الملازمة أيضاً، له فعل إيجابي في قلوبنا، إذ هو الذي يشدُّ أزرنا ويستنزف العزيمة لمقاومة الذات، والتعقُّف عن الخضوع لمغريات العالم وشهوات الجسد وراحته التي ستفضي إلى هلاكه وهلاك الذات معاً!!

ولكن لِيُلاحَظ لماذا جاء المسيح ليجدّد الدعوة إلى الدخول إلى راحة الله أي ملكوته؟ ذلك لأن الجيل الأول الذي خرج من مصر وتدمَّر سقط وهلك، والجيل الثاني الذي اتعقد عليه الأمل أن يسمع ويطيع ويسير أمام الله بخوف، فضّل أن يسلك سلوك آبائهم إذ عاندوا الله ورفضوا السير بوصاياه وعبدوا آلهة غريبة وصنعوا مفاصد خُلقيّة لا حصر لها: «طول النهار بسطتُ يدي إلى شعب مُعاند ومُقاوم» (رو ١٠: ٢١)، لهذا جاء المسيح ليعطي فرصة جديدة «للإيمان» لينال به الإنسان الدخول إلى راحة الله. وهنا يتّضح أن طاعة المسيح هي بداية المسيرة وليس نهايتها وأن الإيمان بالمسيح هو مسوّغ الدخول وليس هو الدخول. أما الدخول فيُقاس بمدى الاجتهاد في حفظ هذا الإيمان ثابتاً إلى النهاية. هذا هو الذي يشدد عليه ق. بولس في هذه الرسالة مراراً وتكراراً!!

«يُرى أحد منكم أنه قد خاب منه»:

نظرة شمولية: القديس بولس يطلب خلاص الجميع، ينظر إلى «بيت الله»، «و بيته نحن» ككل: «إن تمسكنا بثقة الرجاء ثابتة إلى النهاية» (٦:٣). ق. بولس لا يود أن يخيب أحد من الدخول إلى هذه الراحة أي إلى الأقداس العليا بدم المسيح.

وهنا يوغمي ق. بولس بصورة ملقطة الذين ينخدعون بمظهرهم أنهم في الصف أو المقدمة وهم في الحقيقة قد انزلقوا بعيداً عن خوف الله وتوطلوا في عدم الإيمان، فهو يقول: إنه يكون أمراً محزناً أن «يُرى أحد»، أي أن يظهر أحد بينهم بعد هذه المدة، إنساناً تاه بعيداً عن الهدف، والكلام هو لنا!!

«خاب»: ὑστερηκέναι

هنا الفعل في حالة المضارع التام أي الدائم، بعكس الصيغة في الترجمة العربية، وهو الوضع المحزن جداً لأنه يكون قد صار الآن وإلى الأبد قد خاب، بمعنى أنه يصير منذ الآن في حالة الخيبة من راحة الله وسيظل هكذا إلى الأبد. وهي أشد خسارة وإيلاماً من الفعل في حالة المضارع فقط وليس الدائم مثلما جاء في الآية: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم ὑστεροῦνται» (في المضارع) مجد الله» (رو٣:٢٣)، وأشد خطورة من حالة الماضي: «لم أنقص شيئاً ὑστέρησα عن فاتقي الرسل» (٢ كو١٢:١١). وهكذا يتضح للقارئ أن هذا الفعل لما جاء في الماضي، أخذ معنى النقص، ولما جاء في المضارع أخذ معنى العوز، ولكن لما جاء في حالة المضارع الدائم في اللغة اليونانية أخذ معنى «خاب» نهائياً. ولكن «نهائياً» لم تأت في اللغة العربية متضمنة الفعل. من هنا يظهر مدى عجز اللغة العربية بسبب عدم وجود حالة تصريف الفعل في المضارع الدائم وعدم التفات المترجم لها، فأفلتت منه تكملة الفعل «خاب» بكلمة «نهائياً».

ويلزمنا هنا أن نوضح للقارئ أن هذه هي نظرية الرسالة في الذين يفقدون الإيمان بالمسيح عن عملي واحتقار للمسيح، فإنهم بحسب هذه الرسالة يكونون قد «خابوا» «نهائياً» من الدعوة الإلهية للدخول إلى الأقداس العليا مع المسيح وبتوسط دمه الثمين. وعلى هذا الفكر جاءت الآية الخطيرة التي حيرت الكثيرين وهي:

+ «لأن الذين استنبروا مرة (المعمودية والإيمان) وذاقوا الموهبة السماوية (الروح القدس) وصاروا شركاء الروح القدس (التقديس بالماء والدم) وذاقوا كلمة الله الصالحة (الإنجيل) وقوات الدهر الآتي (مواهب الروح القدس) وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويُشهرونه.» (عب ٦: ٤-٦)

وعلى هذا الأساس هو الآن يمجدهم وينذرهم أن لا يستهين أحد منهم بالإيمان بالمسيح، الذي هو أعظم هبة منحها الله للإنسان لتكون صك دخول إلى ملكوت الله في الراحة العليا التي ستعوض الإنسان عن كل أتعاب هذا الدهر.

عزيزي القارىء، إن الإيمان بالمسيح هبة ونعمة نلناها مجاناً، وهي تعادل كل أتعاب وضيقات الزمن الحاضر بل توازنه تماماً وتتفوق عليه لتغنيه كليةً هنا في هذا الدهر وأبدياً في الدهر الآتي. الإيمان الآن ملك قلبك وفمك، ولكنه يحتاج إلى شهادة ضمير وفعل يتناسب مع علو شأنه وتفوق قوته وقدرته. فإذا اهتز اهتزت له الحياة كلها الآن، وفُقِدَ الأمل والرجاء في الآتي. وهذه الرسالة تصمّم وتزيد من تصميمها لتوعّي وتحذّر أصحاب الإيمان المهزوز أن الخسارة فادحة ولا مناص منها، فالاهتزاز الآن يمكن مراجعته الآن بحزم وشدة للخروج من الورطة المُحْدِقة بالإنسان، فإذا لم يشابر في الجهاد والتمسك بالإيمان بكل فكره وقلبه وضميره وفمه ودموعه حتى النهاية بثبات، فإنه يكون قد كَتَبَ دينوته بيديه.

«لأننا نحن أيضاً قد بُشِّرنا كما أولئك، لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك،  
إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا».

«لأننا نحن أيضاً»: και γάρ ἔσμεν

وترجمتها بحسب اليوناني: «لأنه حقاً نحن»، وذلك من مستوى الأدب اليوناني.

«بُشِّرنا كما أولئك»:

أي تقبّلنا رسالة الأخبار السارة وهي الوعد بالراحة، ولكنها جاءتنا واستقبلناها كوعد للحياة الأبدية، بمعنى الدخول في الراحة العليا مع الله وهي عين الراحة التي ألمح إليها سفر التكوين أن الله بعد ما خلق العالم في الستة الأيام استراح في السابع. فالسابع هذا هو زمن ما بعد الخلق، وبالنسبة لنا زمن ما بعد حياة الحلقة الأولى الأرضية أي زمن الحياة الروحية في الحلقة الجديدة هنا وفي السماء وإلى الأبد. أما هم فتقبّلوا هذه الأخبار السارة عينها ولكن بالنسبة إلى راحة السبت الأرضي في أرض كنعان. ولكنهم، كما يقول بعد ذلك في الآية (٤: ٦): «والذين بُشِّرنا أولاً لم يدخلوا لسبب العصيان».

«بُشِّرنا»: εὐηγγελισμένοι

وتأتي في الأصل اليوناني في زمن المضارع التام الدائم دلالةً على استمرار الرسالة التي تقبّلناها

ولا تزال قائمة فهي ليست حدثاً مضى، بل حدثاً تمّ ليبقى دائماً قائماً<sup>(١)</sup>! هنا الروعة في اللغة اليونانية.

«لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا»:

هنا النص جاء باليونانية محيراً كافة العلماء فقرأوها على عدة احتمالات، ولكن ما جاء في الترجمة العربية هو أقربها إلى الفهم. والحيرة في كيف تكون كلمة الخبر ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا. والقصد المباشر هو أن الإيمان كان غائباً عند الذين سمعوا الخبر فلم يُفدّم كلمة الخبر، ولكن الأصح هو أن يكون الخبر نفسه ممتزجاً بالإيمان!! فالمعنى المستتر الذي ضاع في الترجمة هو: أن كلمة الخبر أي «الإنجيل» سواء في الماضي أو الحاضر تحمل «قوة» هي قوة الله الكائنة والصانعة البشارة أي الخبر أو الإنجيل. فالإنجيل كما يقول بولس الرسول في موضع آخر هو بحد ذاته «قوة الله للخلاص»، ولكن هذا الإنجيل عينه بقوته الإلهية المنبئة فيه هو فقط للذين عندهم قوة إيمان: «لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن». (رو: ١٦)

والرسول في هذه الرسالة أراد أن يضم قوة الإيمان في الإنجيل، أي كلمة الخبر، مع قوة الإيمان في الذين على استعداد أن يقبلوه فذكرها هكذا: «لكن لم تنفع كلمة الخبر أولئك إذ لم تكن (الكلمة) ممتزجة بالإيمان، في الذين سمعوا». هنا كلمة الخبر فقدت قوتها الإلهية، بسبب غياب قوة الإيمان في قلوب هؤلاء القوم!!

وهذا ينير ذهننا من جهة التعامل مع الإنجيل، فيا عزيزي القارئ عندما تقرأ الإنجيل أو تسمعه فأنت لا تقرأ أو تسمع كلاماً عادياً بل هو كلمة الله الحية والأمر من كل سيف ذي حدين أو كما قالها المسيح: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو: ٦٣: ٦٣)، بمعنى أن كلام الإنجيل فيه قوة الروح وقوة الحياة، وقوة الروح تفعل فعلها في الروح وقوة الحياة تفعل فعلها في الحياة. ولكن هذا يحدث فقط إذا استقبلها الإنسان بقوة الإيمان من جهته!! وكما نقول دائماً، إن وصية الله تحمل قوة تنفيذها إذا دخلت القلب دخولاً صحيحاً بفرح. فالإنسان لا يحمل همّ تنفيذ وصايا الرب يسوع، فالرب يسوع يتكفل بنفسه أن يثبت صحة ونفاذ وصيته فقط لمن يحبها ويلتصق بها ويصتّم على الخضوع لها بكل فكره وقلبه ونفسه وروحه: «إن تُبْتَمَ فِيَّ وَتَبَّتْ كَلَامِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فيكون لكم». (يو: ١٥: ٧)



هذا، يا قارئ العزير، يمكن أن نبلغه إن جددنا العهد مع الله كل صباح: «لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح» (مرا ٢٢ و ٢٣). فكما أن كلمة البشارة المفرحة هي جديدة كل صباح بمعنى أنها تحمل لنا معاني جديدة وإلهامات جديدة ومشروعات صالحة للحياة الأبدية جديدة، هكذا ينبغي أن نقابلها كل صباح، بل وكلما نقرأها قراءة، بالصلاة، بالاعتراف، بالتوبة، بالفرح، بتجديد الوعد والعهد، وباختصار بشوق متجدد من قلب وذهن متجدد: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). فكلمة الله كالعسل وأحلى (مز ١١٩: ١٠٣)، «ووجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر ١٥: ١٦)، «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨). أما وقع كلمة الله على الآذان المفتوحة فلا يمكن وصفه بالكلام، فهي كالمنظر على الأرض العطشانة تحييها حياة وتنعشها إنعاشاً، والرب طوب الآذان التي تتقن السمع لكلمته: «وطوبى لآذانكم لأنها تسمع!» (مت ١٣: ١٦)، بمعنى يا لسعادة الأذن التي نجحت في الاستماع لكلمة الله! لأن مع السمع رؤيا: «وطوبى لعيونكم لأنها تبصر»!! (مت ١٣: ١٦)

وهنا يضع الرسول بولس مقارنة بين من يسمع بإيمان ومن يسمع وليس فيه إيمان. هنا سمع يبلغ الطوبى والمجد؛ وهناك سمع يقع بعيداً عن الله. فالإيمان يمتص الحياة من كلمة الله؛ وعدم الإيمان يصطدم بها ويسقط بعيداً عن هدفها.

قال المسيح إن كلامه حياة (يو ٦: ٦٣)، فإن امتنع الفكر والقلب عن قبول كلمة الحياة فلا مناص من أن يقع بعيداً عن الله الحي. هكذا يرتبط الإيمان والكلمة والحياة والله، ومفتاحها جميعاً الإيمان!

إن سقوط جثث الذين عصوا الله في البرية يوماً بعد يوم يلفهم الحزن والبكاء والوعويل دون أن يحققوا لأنفسهم وعد الله لهم بالدخول إلى الراحة في أرض الموعد، هو أعنف تصوير قادر أن يُرعب كل قلب دُعي للإيمان بالمسيح ونال وعد الخلاص للدخول إلى الراحة العليا في ملكوت الله الأبدي ثم ارتد عن الإيمان ليسقط دون تحقيق الوعد. والسبب: تفضيل العالم وكراماته وإغراءاته والخضوع لشهوة الجسد وملذات الدنيا الوقتية، على نصيب الله في ميراث المجد الأبدي.

٤:١٣ «لأننا نحن المؤمنین ندخلُ الراحةَ كما قالَ حتى أقسمتُ في غضبي لن يدخلوا راحتي، مع كَوْنِ الأعمالِ قد اكتملت منذ تأسيس العالم. لأنه قال في موضع عن السابع هكذا: واستراح اللهُ في اليوم السابع من جميع أعماله».

«لأننا نحن المؤمنین ندخلُ الراحة»:

وصحتها في الأصل اليوناني: «لأننا نحن الذين قد آمنا» في الزمن الماضي البسيط، ويكمل بالمضارع الدائم: «ندخلُ الراحة». وقصد ق. بولس أن يُبرز خبرة الإيمان التي عبرناها كامتحان، فدخلنا في زُمرَةِ المهَيَّئِينَ للدخول في راحته. أما وضعه كلمة «ندخل» في صيغة الحاضر الدائم «الآن نحن ندخل»، فقد أراد أن يوضح بها أن المسيحي ليس يهودياً تائهاً في برية الأربعين عاماً بل يتقدّم على طريق حي حديث دسّنه المسيح بدمه (عب ١٠: ١٩ و ٢٠)، والمسيح فيه قائد مسيرة «دخل كسابق من أجلنا» (عب ٦: ٢٠)، «يقودنا في موكب نصرته» (٢ كو ٢: ١٤). المسيحي يدخل ويخرج كل يوم ويجد مرعى (يو ١٠: ٩)، والراعي ضامن سلامته. نحن نمارس حياة في المسيح هي عربون الراحة العليا، فيها دخول محقق إنما ينقصه التكميل، يتخلله القلق والتوتر، ولكن هو قلق التعجّل لرؤيا وجه الرب أما التوتر فيسبب جذب العالم الشديد. نحن ندخل حقاً ولكن بخطى لا يقيسها الزمن، نحن نسير وسيرتنا تتسجّل في السماء ولكن لا نعثر لها على آثار أقدم تطمئننا. فكلمًا سيرنا، يحو الزمن آثار خطواتنا، وهكذا يزداد القلق بأننا لا ندخل مع أننا داخلون. وفي لحظة وفي خطوة نفيق، وإذا وجه الحبيب وزمرة أرواح مكتملة وملائكة، وتسلّفت، فإذا هي مدينة الله الحي أورشليم السماوية مدينة السلام الأبدي وأفراح الأبدية.

«كما قال حتى أقسمتُ في غضبي لن يدخلوا راحتي»:

القصد من هذه الآية هو تقرير حال واقع وهو «راحتي»، فبولس الرسول يريد أن يقول: إنه لولا أن الله هيأ راحة للإنسان وأكملها وأعدّها لما أقسم أن هؤلاء المتذمرين والخطاة لن يدخلوا راحته. فطالما وُجدت هذه الراحة، فلا بد أن يدخلها الإنسان يوماً ما.

«لأنه قال في موضع عن السابع هكذا:

واستراح اللهُ في اليوم السابع من جميع أعماله»:

قصد ق. بولس من هذه الآية هو إثبات أصل هذه الراحة فيما يخص ما هو بين الله والإنسان ك مخلوق، فهي ليست راحة في أرض كنعان، بل أعلى وأعظم وأقدس بما لا يُقاس!! فكون الله يقول: «واستراح في اليوم السابع من جميع أعماله»، فهذا يعني أن بعد العمل تكون الراحة،

أي أننا بعد أن نكمل كل الأعمال الخاصة بخلقنا الأولى سندخل بعدها إلى الراحة التي أعدها الله لتكون بينه وبين خليقته الجديدة التي خلَقَ وَفَدَى. وأول مَنْ أكمل أعماله بالفعل ودخل إلى راحته مع الله هو الرب يسوع، كما تقول الآية بعد ذلك: «لأن (المسيح) الذي دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله (الصليب) كما الله من أعماله» (عب ٤: ١٠)، «أبي يعمل ... وأنا أعمل.» (يوه: ٥: ١٧)

هنا يكشف لنا ق. بولس الرسول عن سر جدّ خطير، وهو أن في قول الله في سفر التكوين: «فاستراح (الله) في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل» (تك ٢: ٢) — حيث لا يذكر فيه «وكان مساءً وكان صباحاً يوماً واحداً» — هذا بحد ذاته استعمال الأبدية أو الدهر الآتي، الذي ليس فيه أعمال خُلِقة بعد بل هو الراحة والسكون الأعلى من العمل، ولكن كونه محسوباً أنه يوم فهو داخل في واقع الكيان الخلقى الذي يمثله الإنسان. ولكن لأنه السابع بعد «السادس»، و«السادس» هو ختام كل أعمال الخُلِقة، فالسابع إذاً هو ما بعد الزمن الخلقى، ما بعد الأعمال الزمنية الجسدية للإنسان. واليوم السابع يمثله في المسيح «سبت القبر» حيث لم يكن له صباح ولا مساء بالنسبة للرب، وحيث داس الموت، وأنهى على زمن شقاء الإنسان جسدياً. إذاً، فسَبَتُنَا المسيحي هو الموت مع المسيح حيث الراحة المسيحية الحقيقية من الخطية والجسد والموت: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨). ولكن سبت المسيح انتهى بالقيامة والدخول إلى الراحة العليا، وفتح لنا الطريق إلى الأقداس العليا، وأنار لنا الحياة والخلود! وهكذا أصبح السبت في مضمونه الإلهي، ومنذ البدء في التدبير الإلهي، هو رمز الراحة المُعدّة للمؤمنين باسمه.

٥: ٤ «وفي هذا أيضاً لن يدخلوا راحتي.»

هنا إعادة تأكيد أنه بالرغم من حقيقة وجود هذه الراحة ودعوة الله الصريحة إليها، إلا أنه أخفق قوم عن بلوغها، وإخفاقهم هذا لن يُلغى بقاءها ودعوة الله إليها، بل يزجّجها لقوم يؤمنون، وينذر قوماً آخر يخفقون.

هنا تبلغ المسألة ذروتها، فالله أعد الراحة وهَيَّأها، واشتاق لمن يشاركه فيها ليَتَعَمَّ به وبها. ولكن: «طول النهار بَسَطْتُ يدي إلى شعب مُعانَد ومُقاوم» (رو ١٠: ٢١)، «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفعلتُ عدم أمناتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا» (رو ٣: ٣: ٤)، «إذاً بقيت راحة لشعب الله»!!! (عب ٤: ٦)

٧٥٦:٤ «فإذ بَقِيَ أن قوماً يدخلونها، والذين بُشروا أولاً لم يدخلوا لسبب العصيان، يُعَيَّنُ أيضاً يوماً قائلاً في داود "اليوم" - بعد زمان هذا مقداره - كما قيل "اليوم" إن سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فلا تُقْسُوا قُلُوبَكُمْ».

هنا يود ق. بولس أن يورد برهاناً آخر - غير موضوع السبب - على أن راحة كنعان ليست هي الراحة الإلهية المقصودة في قوله «لن يدخلوا راحتي»، حتى وإن كان ظاهرها أرض كنعان. لأن الشعب الذي دخل أرض كنعان وعاش مئات السنين، قام فيه أخيراً داود نبياً وهذا عاد الله ليكرر على لسانه نفس الوعد الذي قاله سابقاً للشعب الذي عصا وهلك ولم يدخل، حتى لا يقسوا قلوبهم فيُحرموا من راحة الله مع أنهم في أرض كنعان نفسها!! إذا فوعد الله قائم كما هو بالراحة التي أخفق أن ينالها الجيل الأول وحتى الجيل الثاني الذي دخل وامتلك الأرض. ذلك لأن وعد الله بالراحة المُضَمَّر في قَسَمِهِ بأن لا يدخل هذا الجيل العاصي راحته، إنما هو وعد براحة سماوية وليست أرضية. لأن الذين دخلوا الأرض البهية وأكلوا عسلها وشربوا لبنها ما ذاقوا راحة الله قط، بل والقديسون منهم والأتقياء لم يحققوا وعد الله بالراحة، كما تقول هذه الرسالة عينها: «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل (من أرض كنعان) لكي لا يُكْتَمَلُوا بدوننا» (عب ١١: ٣٩)، «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيَّوها وأقروا أنهم غرباء ونزلاء على الأرض.» (عب ١١: ١٣)

هكذا يكون قصد بولس الرسول هنا، أن الراحة التي أعلن الله عنها في البرية أنه حجزها عن الجيل المتمرد الخارج من مصر ليست في الحقيقة راحة كنعان ولا هي راحة محدودة بالزمان، بل هي راحة ما بعد الزمان، راحة إسخاتولوجية أي أخروية، راحة ينالها الذين أطاعوا الدعوة وآمنوا وساروا أيام غُرْبَتهم بخوف أمامه، وكأنها هي محجوزة للمسيحيين الذين أكملوا العهد بواسطة المسيح الذي أكمل من أجلهم كل شيء وأخصَّها الطاعة حتى الموت!!

٨:٤ «لأنه لو كان يشوع قد أراحهم لَمَا تكلَّم بعد ذلك (في داود) عن يومٍ آخَرَ».

هنا لعب بالألفاظ، فُتطِقَ كلمة «يشوع» بالعبرية هو تُنطق كلمة «يسوع»، وكأننا أمام مقارنة أخرى كالتي أوردها بين موسى خدام البيت ويسوع ابن على البيت وصاحبه. فهنا مقارنة مع يشوع خدام موسى. فالموازنة هنا تنخفض عن مستوى خدام وابن، إلى خدام الخادم والابن نفسه. يشوع هنا قائد عبورهم الأردن ومقسَّم الأنصبة في الأرض البهية، والمنوط به من قِبَلِ الله إراحة شعب إسرائيل في كنعان.

بولس الرسول هنا ينفي أن يكون يشوع قد أراحهم، ولكنه لم يورد الأسباب ولا الأعمال التي قام بها الشعب وحرمتهم أيضاً من وعد الراحة الأولى، بل أورد قولاً لداود الذي جاء بعد يشوع بمئات السنين، يذكر فيه الله على لسانه: «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الإسخاط» (عب ٣: ١٥)، وكأنه لا يزال «اليوم» الذي وعد الله فيه براحته، كما هو، قائماً والذي أخفق الشعب في الحصول عليه وعلى راحته. وبقي الوعد بالراحة ينتظر جيلاً لانقاً به، جيلاً يكون قد أكمل أعماله التي وضعها له الله ووضعه لها: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠). فبعد أن توزن هذه الأعمال ويكمل القصد منها، يدخل أصحابها ليعبروا من اليوم السادس إلى اليوم السابع، من خلقة عتيقة إلى خلقة جديدة، حيث لا شقاء عمل بل راحة الحب في الله. من هموم خليقة الأيام الستة إلى راحة السابع الأبدي، حيث لا شمس ولا قمر، لا صباح ولا مساء، حيث يهرب الحزن والكآبة والتنهد!

١ : ٤ «إِذَا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لَشَعْبِ اللَّهِ».

هذا هو قصد الحوار كله ونهاية المطاف. ولكن ولشدة الأسف ضاع المعنى الفاخر والجليل بسبب عجز اللغة العربية هنا. فكلمة «الراحة» هنا تأتي باليونانية خلافاً لكل ما سبقها من كلمة «الراحة» التي جاءت κατάπαυσις. فهنا نجد الكاتب، وبمهارة فائقة، ينحت كلمة هي إلهية حقاً لتعبّر عن الراحة السماوية، تلك هي سَبَاتِزْمُوس σαββατισμός أي راحة سبتية، وهي منحوتة من كلمة «السبت» - بضم التصريف اليوناني على الاسم العبري (٢) - ولم يسبق له ولا لغيره أن ذكرها هكذا، ولا هو ذكرها بعد ذلك إلا تأكيداً لها في الآية التالية، فقد حفظها لموضعها هنا ليعبر بها عن حياة الراحة العليا في سبت الله الأبدي بحذافة منقطعة النظير. ولقد عُبر عن هذا السبت الواحد الوحيد في الطقس اليهودي بـ «السبت العظيم»، وذلك عندما يجيء الفصح في يوم السبت وذلك إمعاناً في تقييم السبت. فدون أن يدروا كانوا يتممون الطقس وهم يشيرون إلى ما بعد اليوم السادس للفصح الحقيقي، أي يوم موت الرب، لافتتاح عهد الخلاص الأبدي، الراحة العليا في مُلْكِ الله.

والعجب العجاب أنه كان هو السبت الذي تلى اليوم السادس يوم صلب المخلص: «لأن

يوم ذلك السبت كان عظيماً!! (يو ١٩: ٣١). هذا هو «السبأتموس» في سفر العبرانيين، تعبيراً عن راحة الله الحقيقية التي افتتحها الرب بموته، لِيُدخِلَ إليها كل المعينين للحياة الأبدية مع الله. والكلمة لا تعني مجرد يوم السبت بل حياة السبت (٣).

وبهذا فهي (أي راحة الله الحقيقية) تردُّ على حياة الجهاد والعمل في شقاء هذا الدهر حينما تبلغ منتهى توترها ويسقط الجسد!! هو اليوم المعبّر عن تحقيق استعلان سر الخلق بتكميل سر الفداء!!

«إذاً بقيت راحة لشعب الله»:

والآن وضع الحوار الطويل الذي أضنى فكرنا مع ق. بولس ومع الراحة والسبت. وكأنه يقول لك أيها القارئ العزيز: إن الحياة في سبت الله المعدّ منذ الأزل وقبل خلقة الأيام الستة، براحتها وفخرها ومجدها، هي لك، فهل تقبل؟! كما يقول سفر عزرا الرابع (الأبوكريفا) في تصوير إبداعي:

[ الفردوس فُتِحَ من أجلك، وازدهرت شجرة الحياة، والدهر الآتي قد صار، والشيء الكثير الكثير لك قد تهيأ، مدينة (لها الأساسات) وراحة قد أُعدَّت. ] (٤ عزرا ٨: ٦٢)

ولعلها هي بذاتها متضمنة بإحكام في القول المأثور والمشهور: «أكتب: طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن ... لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم.» (رؤ ١٤: ١٣)

٤ : ١٠ «لأن الذي دخلَ راحته أسراع هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله.»

واحدة هي خلقة المخلوقات الأولى؛ وأخرى الخلقة الثانية للخليقة الجديدة. الأولى من لا شيء لأنها من تراب الأرض؛ والثانية من روحه ومن لحمه وعظامه. تلك أعمال تصاوير وإبداع لصور وأقنعة؛ وهذه رفع الأقنعة وتجلي الحقائق والجواهر. الأولى اضطلع بها الآب بواسطة الابن؛ والثانية اضطلع بها الابن من أجل الآب. بعد الأعمال الأولى توقّف الله عن الفعل الزمني خارج ذاته؛ وبدأ الفعل الذاتي واللازمي.

فكما دخل الله بعد الخلقة الأولى إلى راحته الخاصة الذاتية؛ هكذا الابن بعد فداء الخلقة وأعمال تجديدها بخلقة ثانية من فوق، دخل بها إلى راحته أي مجده الذي له.

السبت الأول كان السبت الزمني شكلاً، المنحصر بين الأيام والأسابيع للكث المظهري عن الحركة وللتوقُّف الانخداعي للزمن؛ والثاني هو السَّبَاتِزْموس σαββατισμός السبت الذاتي الأبدي لله الآب مع الابن مع الخليقة الجديدة المقدية، الذي لا صباح له ولا مساء ولا شمس ولا قمر (رؤيا: ٢١: ٢٣)، بل يحكمه نور الله ويمتد به نحو أعماقه!!

السبت الأول كان قناعاً تجسدياً للراحة؛ والسبت الثاني رفع القناع وتجلت الراحة الحقيقية. السبت الأول كناية عن تكميل وهمي للعمل الذي لا يكمل ولن يكمل إلا بالسبت الثاني؛ أما السبت الثاني فهو الكمال الحقيقي لكل الأعمال حيث تتحتم الراحة لله مع خليقته المفتداة، كغاية ونهاية كل عمل!! التي يصورها المسيح بحسب تصوُّرنا: «فقال له سيده نعمًا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً في القليل (العمل) فأقيمك على الكثير (ميراث المجد) أدخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢١)، حيث يعبرُ المسيح هنا عن «راحة الله» بالفرح حسب تصوُّر الإنسان وخبرته. والفارق بين عمل الله وعمل الإنسان «كما الله من أعماله»، كالفارق بين طبيعة تشقى بالعمل الخَلْقِي وطبيعة تُسعد الخليقة بعملها. فالعمل عند الإنسان شقاء، وراحته هي توقُّف عن الشقاء. أما العمل عند الله فهو سعادة، وراحته هي إسعاد المُسعدِين: «أدخل إلى فرح سيدك»، ويصوِّرها بولس الرسول بالنسبة للإنسان: «والغارس والساقى هما واحد ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبهِ.» (١ كو ٣: ٨)

ب - مسئولية دعوة الدخول إلى راحة الله خطيرة،  
والإنسان ليس حراً في قبولها أو رفضها (٤: ١١-١٣).

مقدمة:

الإنسان مخلوق ليعيش مع الله حياة سعيدة فيها راحة كاملة لكل كيانه، وقد أخذ هذه الحياة الطبيعية لكي ينتقل منها إلى الحياة فوق الطبيعية، ويرتقي فوق المادة، ويتحوّل الجسد المادي إلى جسد روحي لائق بالحياة الأبدية. الإنسان لما فقد الحياة مع الله في الفردوس، خرج ليتلقّن درساً وتدريباً في كيف يحافظ على علاقته مع الله، فإن أتقنه رفعه الله إلى الإمكانيات فوق الطبيعية. فالخلقة بحد ذاتها، دعوة إلى الترقّي وهي تحملها في طياتها، ولكن الله أفرزها وأوضحها وأعلنها بحد ذاته، وبعد السقوط جعل دعوة الدخول إلى راحته مرة أخرى بمثابة عهد بينه وبين الإنسان، وقد كان يجدد هذا العهد مراراً كلما ارتقى الإنسان، إلى أن بلغ عهداً جديداً بواسطة ابنه يقوم على الإيمان بالفداء الذي قدّمه عن الإنسان بدمه. فالثمن الذي بذله الله لدخول الإنسان راحته أخيراً ثمّن فادّخ إلى أقصى حدود التصوّر، إذ رفع الابن كل عوائق الطريق إلى دخوله راحة الله في السماء فلم يعد للإنسان أيّ عذر أو أية حجة لأيّ تعوّل أو إخفاق يمنعه عن دخول راحة الله أي ملكوته الأبدي. فأصبح الإنسان ليس حراً في قبول أو رفض دعوة الدخول بالإيمان بيسوع المسيح ابن الله، لأن ثلاثة عوامل تتحكّم في التزامه بقبول الدعوة والاجتهاد في تكميلها:

العامل الأول:

كائن في صميم طبيعته التي تنزع نحو السماء وتحمل عناصر التفوّق فوق الطبيعة، وتكشفها كثرة المواهب التي تفوق الطبيعة.

العامل الثاني:

فداحة الثمن المدفوع لإعطاء الإنسان لياقة كاملة تؤهله للدخول إلى راحة الله أي ملكوته، دون النظر إلى أي ضعف أو تحلّف أو نقص أو خطية. فإن دم المسيح المسفوك من أجل حياة الإنسان هو مقدّسه ويظّهره ويبرّره وهو كافٍ لكل العالم.

العامل الثالث:

إرسال الله روحه القدوس، ليكون مرشداً ومؤازراً وناصحاً ومعلماً وقائداً في الطريق حتى بلوغ منتهى قصد الله، وذلك من داخل الإنسان ومن خارجه أيضاً.



وهكذا فإن الله من جهته وضع كل الضمانات والإمكانات لدخول كل إنسان إلى راحته العليا، ليكون شريكاً في راحة الله ينعم بها ويشكر: «لأنه هكذا يُقدّم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدي.» (٢ بط ١: ١١)

١١: ٤ «فلنجهتهد أن ندخل تلك الراحة لثلا يسقط أحد في عبّرة العصيان هذه عينها.»

[الإيمان عظيم وقادر أن يمنح الخلاص، وبدون الإيمان فلا يمكن أبداً الخلاص!]

ولكن الإيمان — من نفسه — لا يكفي أن يجلب الخلاص، بل هناك حاجة إلى «سيرة صالحة»<sup>(٤)</sup>. فالإيمان لا يكفي، ينبغي أن تضاف الحياة إلى الإيمان، واجتهادنا يلزم أن يكون كبيراً لأنه بالحقيقة يوجد حاجة إلى مزيد من هذا الاجتهاد أيضاً لكي نرتفع إلى علو السماء!! لأنه إن كان الذين كابدوا مثل هذا الإخفاق والحزن في البرية لم يُحسبوا أهلاً للدخول إلى أرض الموعد ولم يستطيعوا أن يحصلوا عليها لأنهم تذرّوا وزلوا، فكيف نُحسب نحن أهلاً للسماء إن عشنا بالإهمال واللامبالاة؟

إذاً، فنحن في حاجة إلى اجتهاد كثير. [\*] ذهبي الفم

هنا يضع بولس الرسول المسيحيين في مقابل الذين سقطوا في عبّرة العصيان لندرك كيف ننجو، لأنه «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢: ٣)، قد وُضع وأعلن لاقتيادنا إلى راحة الله العليا. أما كيف ننجو من عبّرة العصيان هذه فقد حصرها بولس الرسول في الاجتهاد.

«فلنجهتهد»: σπουδάσωμεν οὖν

الكلمة خصبة المعاني فهي تشمل التعجّل، والاهتمام البالغ والنشاط والغيرة، وهي تخصّ ذوي الوقار والأخلاق والغيرة والعزيمة. نعم لأن الجائزة فاخرة والقدر والهلاك مرعب!!

فالاجتهاد هنا متوتّر أقصى التوتّر، إذ يتضمن الأمل والخوف معاً، الرجاء والحذر، عينٌ إلى الأمام وعينٌ إلى خلف. انجذاب لذيذ إلى ما هو قدام وقرع مريع لما يترصدنا من خلف. فأمامنا راحة الله والله فاتح ذراعيه يستقبل الفائزين في معركة الموت والحياة، ومن خلفنا من استنفر كل

4. 'right conversation'.

5. Chrysostom, *op. cit.*, p. 398.

قدراته ليجذبنا إلى خلف وقد أنشب أظافره في الهواء لعله يطالنا في موضع !! لذلك فالتقدم إلى الأمام يدفعه الفرع من الخلف، وهذا بحد ذاته يزيد من كفاءة الاجتهاد. فعبرة عصيان الذين ابتلوا بهلاك مريع مثل هذا، جزاءً وفاقاً لإهمالهم لصوت الله وتمردهم، مع منظر جثثهم تتساقط على وجه الصحراء على أصوات العويل، هي أخطر من تحذير. ثم أصوات التشجيع الآتية من فوق من الذين فازوا بالنجاة وصاروا كسحابة شهود، تستحثنا للمجاهدة. أولئك يعطوننا «المعنى العملي لعدم الإيمان» مصوراً ومنقداً في هلاك مؤلم وحرمان مقيم، وهؤلاء يعطوننا صورة مُظفرة لمعنى النصر في الاجتهاد والراحة في بيت الله السماوي: «وهم غلبوه بدم الخروف، وبكلمة شهادتهم.» (رؤ ١٢: ١١)

لذلك فكلمة «اجتهدوا» توجه الفكر للتمعن فيما سلف من إخفاق، وفيما يُعد به لنا من راحة. لأننا نتعامل هنا مع الله الذي يعرف خفيات القلوب ويزن مسيرتنا على ميزان الإنجيل. فهل يخفى على الله نيات القلوب؟ أو يغترُّ - كإنسان - باجتهاد كاذب؟

عزيزي القارئ، إن كان حسب قول الرب: «أقول لكم إن كل كلمة بطلاة (٦) يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت ١٢: ٣٦)، فماذا تكون كل السيرة وكل المسيرة إزاء كلمة الله الفاحصة: «وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتم بها.» (١بط ١: ٢٥)

٤ : ١٢ «لأن كلمة الله حيَّةٌ وفعَّالَةٌ وأمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدِّين وخارِقَةٌ إلى مَفْرَقِ النفس والروح والمفاصلِ والمخاخِ ومميِّزَةٌ أفكارَ القلبِ ونيَّاتِهِ.»

وضح هنا أهمية «الاجتهاد»، فالأمر يتعلَّق أولاً بهيبة كلمة الله الذي دعا، وثانياً بخطورة الدعوة لأنها حياتنا !!

وهنا يبدأ بولس الرسول في تسيبها من جهة التعامل مع كلمة الله: وهنا قوام التحذير في التعامل مع الله كونه يدرك أعماق الإنسان وخفيات النفوس والقلوب والضمانات والنيات. فأى إنسان غير مكشوف لدى الله وأي مكان في كياننا يخفى عليه؟ إذاً يستحيل على الإنسان أن يتظاهر بالطاعة وهو يضمّر التشرد، أو يتنكبَّ (يحيد) عن طريق الخضوع ويدَّعي التقوى، أو يسلك في

(٦) أثبت العلم الحديث أن الكلام الذي نتكلم به في الهواء لا يفنى ويمكن استرجاعه من موجات الأثير، وإن لم يستطيعوا

بعد تنفيذ ذلك.

اللامبالاة ويظن أنه بمنأى عن الكارثة، أو يعتاد التذمُّر والشكوى من نصيبه في معاملات الله وينتظر حُسن المجازاة، أو يستنكف قراءة الإنجيل أو حتى سماعه ويعتقد أنه ينجو من يد صاحبه، أو لا يكفُّ عن المطالبة بالحقوق وهو يزدرى بالواجبات، أو يصم أذنيه عن تحذيرات الله ويثق أنه سيعبر دون انكسار.

وهنا يضعنا ق. بولس في مواجهة «كلمة الله» التي يقصد بها كل ما وعد به الله في القديم أو في الجديد بالأنبياء أو في ابنه، مع وصاياه التي قالها ليردِّد الدهر صداها، والتي وإن تزعزعت السماء والأرض فهي ثابتة ثبوت الله، تبقى ولا تزول، تطالب بما أُرسِلت من أجله، تسري وتحمي في وسط السنين لا تكلُّ ولا تعيا ولا ترتد فارغة.

إذاً، عبثاً نطلب الراحة العليا دون موافقة مع «الكلمة» وصداقة، بل حب وألفة واتحاد، وقلب يشتعل بحرارتها، وفكر يهدُّ في مجالها، وضмир يستضيء بنورها، وحفظ وتلاوة، وتأمّل وعشق وافتخار. كان حلول مجد الله وسط شعبه، والشعب جالس في أطراف الجبل يأكل ويشرب في حضرته صورة مبدعة لألفة الله مع الإنسان وتعبيراً عن حب وصداقة، وما كان في القديم مع شخص الله صار لنا الآن مع «كلمته». كان رمز علاقة الله مع شعبه في القديم «خيمة الاجتماع» حيث كان ينزل ويجتمع مع شعبه، أما رمز هذه العلاقة بل واقعها الحي الآن فهو «الكلمة»، الإنجيل!! هكذا «الكلمة» في الإنجيل تجمعنا، وبالله تسعدنا.

فحينما نحيا مع الكلمة ونتذوقها، نعيش مع الله والله معنا، ويتم القول: «إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣)، «أتمشَّى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠)، القديم بجلاله والجديد بأمجاده، «أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو ١٤: ٢٠)

«لأن كلمة الله حية»: ζῶν γὰρ ὁ λόγος

خمس صفات يقدمها القديس بولس لـ «كلمة الله» في هذه الآية:

حية = ζῶν ، فعّالة = ενεργής ، حادّة (ماضية) = τομώτερος ، وخبّارة = κριτικός ، ومميّزة = διϊκνούμενος

كلمة الله حيّة، ليس بمعنى أنها باقية إلى الأبد فقط، ولكن أيضاً لأن لها في نطقها المسموع أو المكتوب قوة الحياة فهي حية وتُحيي: «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥: ٢٤).

فمن جهة الأحياء في وضعهم كأموات بالخطية، فإنهم إن سمعوا كلمة الله واستقرت الكلمة في عمق كيانهم فإنها تقيمهم من موت الخطية إلى الحياة مع الله: «الحق الحق أقول لكم تأتي ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يوه: ٢٥). كذلك وبنفس القوة، فإن كلمة الله إن سمعها الأموات في القبور يقومون: «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة.» (يوه: ٢٨ و ٢٩)

هذه هي كلمة الله وهذه هي إيجابيتها المطلقة تجاه المائتين في ذنوبهم أو المائتين في قبورهم، وبالأكثر جداً الأحياء الذين يعشقون الحياة إذ تكون كلمة الله حياة لهم فوق حياة واستعلاناً لأعماق الله! وبغيرها لا يبقى للحياة معنى!!

ولكن كم نجزع أمام قوة إيجابية الحياة في كلمة الله حينما نواجه فعلها السالبي في الذين يرفضون هذه الكلمة الحية المحيية؟! فهم كمن يطلبون الموت ويتعاهدون مع الهاوية. لأن الذي يرفض الحياة في جوهر قوتها ماذا ينتظر إلا الموت في أبأس أشكاله؟

من هنا جاء للكلمة بعد ذلك التشبيه بصفة السيف بأنها تفرّق، نعم تفرّق بين طالبي الحياة وطالبي الموت، لهؤلاء تعطيم سرّها وجوهرها ولأولئك تحجز عنهم قوتها فلا يكون لهم حياة. وهذه هي كلمة الله ذلك السيف المفرّق: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختار الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩). قوة الحياة التي في «الكلمة» تنجذب بشدّة نحو محبّي الحياة والعاشقين لمُعطيها، تتحسّس فيهم صدقهم وتتناثر بدموعهم، تمنحهم دفنها وتطرح عليهم قوتها: «أفغّر فاك فأملأه» (مز ٨١: ١٠)، «فتحتُ فمي واجتذبتُ لي روحاً.» (مز ١١٩: ١٣١ حسب السبعينية)

إن بين كلمة الله ومحبّي الحياة عهداً، وهما دائماً على ميعاد. وعندما يبلغ العشق مداه تصير كلمة الحياة فيهم هي عينها مصدر الحياة لأنها تمنحهم قوتها. وكلمة الحياة، الحياة فيها ليست كامنة أو مستورة بل مُعلنة، ومعلنة بقوة تأسر القلوب وتبهز العقول وتفتح الوعي وترفع الروح وتجسّد الحياة، وقلّ من انفتح لقوتها واستطاع أن يفلت من أسرها. ولكن نعود لهؤلاء العبرانيين الذين استطاعوا أن يفلتوا من أسرها، أو كادوا، فصاروا في قلق وهمّ مقيم! كيف؟ هي الخطية وهي قسوة القلب!! فالخطية عدوة الحياة، وقسوة القلب عهد مع الموت.

«كلمة الله فعّالة»: ενεργής

الفاعلية بالنسبة للكلمة ليست من أصل كلمة «الفعل» بل من «النشاط»<sup>(٧)</sup>. فإذا وُصفت بها الأرض فإنها تعني أرضاً مشعرة ومُنتجة، وإذا وُصِف بها الجندي تعني أنه لائق للخدمة ومؤثر، ومن هذا نستطيع أن نكوّن معرفة صحيحة لمعنى ενεργής، فهو اتساع مجال نشاط الكلمة وتأثيرها في محيط الإنسان لا من جهة الفكر فحسب حيث تستطيع أن تؤثر فيه وتغيّره: «تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢)، وهذا طبعاً بالكلمة أي الإنجيل؛ ولكن مجال فعالية الكلمة يتدلى ليضمحل الأخلاق والسلوك. «فكلمة الله» قادرة أن تتغلغل طبيعة الإنسان وتكشف له أعماق واتساع سلوكه، وتضع إصبعها على الرديء منه والمخالف بقوة جبارة أشد عنفاً من أي وسيلة أخرى في العالم، حتى يصير الإنسان وكأن حياته الداخلية ومَنَاقِصه مفضوحة أمامه وعريانة فيرتعب منها، وكأنها صارت مفضوحة هكذا للناس، ذلك مهما كان عُتُو الإنسان وقدرته على كتمان مناقصه: «وسمع منه عن الإيمان بالمسيح وبينما كان يتكلّم عن البر والتعقّف والدينونة العتيدة أن تكون ارتعب فيملكس وأجاب: أما الآن فاذهب ومتى حصلتُ على وقت أستدعيك.» (أع ٢٤: ٢٥ و٢٤)

هكذا تصطدم «كلمة الله» بالحواجز الحديدية التي يضعها الإنسان ليتوقع فيها بعيداً جداً عن أعين الناس وملاحظاتهم، فتحطمها الكلمة وتواجه المخازي بوجه معبّس، وإصبع ممدودة أمام العين، وكأنها تقول: أنت هو الرجل، فتهتز أسس النفس وتتداعى أمام الكلمة. كل هذا يحدث لنا وأمام أعيننا، ولا نعرف كيف نفذت «الكلمة» إلى أعماق الأعماق المخفية؟ وأيّ طريق سلّكت؟ وبأية قوة وسلطان زعزعت أسس النفس وفضحت أسرارها أمام الذات.

والأكثر فعالية هو أن الكلمة بالنهاية وبعد أن تفضح الأعماق المخفية، تقود النفس أسيرة لجلالها وسلطانها مستسلمة لها بلا قيود! ماذا صنعت الكلمة بالنفس وبأية قوة قادتها أمامها؟ هذا هو عجب كلمة الله وفعاليتها.

وأغلب ظني أنها تنتشر بسرعة البرق داخل كيان الإنسان كله فكراً ونفساً وضميراً وتحيط به إحاطة لا يقوى على الانفلات منها، فكلمة الله كما يقول كثير من الآباء في شرحهم لهذا الموضوع<sup>(٨)</sup> مشخّصة هي، لها ما للشخص من القدرات والإمكانات ولكن على مستوى ما لله.

7. Liddell and Scott, *op. cit.*, s. v.

8. Eusebius, Athanas., Isidore, Theophylact, Primasius; cited by Westcott, p. 101.

فهي حينما تفعل، تفعل في جميع الاتجاهات، وهكذا تحاصر النفس حتى تقع في يدها راضية مستسلمة.

« كلمة الله أمضى من كل سيف : τωμώτερος ὅπερ

لا يتوقف ق. بولس عند حدة السيف ومضائه في وصف حدة كلمة الله، بل يقول إنها أكثر مضاءً، فهي أهدى من سيف ذي حدين!! ليس عبثاً يبالغ بولس في وصف قدرة الكلمة بهذا الإمعان في المضاء. فالسيف حاد والسيف ذو الحدين أكثر حدةً ومضاً ولكن الكلمة أكثر مضاءً من السيف ذي الحدين، لأن السيف له حدود ونهاية يقف أمامها عاجزاً إن كان الحاجز قاسياً صلباً، أما كلمة الله فلا تقف أمامها قساوة حاجز! فكل القساوات في المواد وأكثرها قساوة هو الماس، فحينما تقاس قساوة القلب بها يُقال: إنه أفسى من الماس!! هذا القلب القاسي إذا اصطدم بكلمة الله انحلت أوصاله. والسؤال الآن: كيف تنفذ الكلمة خلال القساوة وتذيبها ذوباناً؟ كيف يتداعى أمامها القلب دون أن تلمسه، ما هذا؟ إنها الطبيعة الغلابة والجوهر الإلهي الفائق على كل الطباع والجواهر.

« كلمة الله خارقة : δεικνόμενος

كون الكلمة أكثر مضاءً من كل طبيعة كانت، هذا أعطاها خاصية الاختراق لكل ما دق ورق وخفي.

« خارقة إلى مفرق النفس والروح : μερισμοῦ ψυχῆς τε καὶ πνεύματος

هنا ما أخفي سره عن الإنسان حتى الآن، وهو الصلة بين النفس والروح، أين يفرقان وكيف يلتحمان، هذا تغشاه كلمة الله وتقف بينهما، تلقي بنورها على كليهما، تفصلهما للتطهير وتوصلهما بالتقديس، وهذا لا يدركه فكر، فهو فعل فائق للطبيعة لحساب الخلود.

فانظر كيف اقتحمت كلمة الله مجاهل التكوين البشري لتعبر خلال أدق وأرق ما يملك، تفصل وتوصل، تطهر وتقديس، والإنسان مُمثَّل للكلمة لأنه يعلم أنها تُصلح ما فسد، ولكن لا يعلم كيف انصلح وكيف زال ما فسد.

إنها الطبيعة الإلهية المتفوقة للكلمة، تعمل عملها الفائق لترفع الطبيعة البشرية فوق ذاتها تمهيداً لدخولها الراحة العليا. فيا لسعادة من ينصاع لمضائها واختراقها، ويا لشقاء من انصد عنها وصد فعلها، فبات مقهوراً لطبيعته غائصاً في نقائصه.

## «المفاصل والمخاخ»: ἀρμῶν τε καὶ μυελῶν

هنا الترجمة يجب أن تكون «المفاصل مع المخاخ» بسبب حرف τε الذي يترجم «كلاهما»، وقد سقط في العربية فهي على مستوى مَفْرَق «النفس والروح معاً». والمعنى يكون «ومَفْرَق المفاصل والمخاخ معاً»، لأن العظام تنفصل تماماً عند المفاصل فكيف تتصل المخاخ العظمية بعضها ببعض؟ والمعنى العام لا ينحصر في هذه الأحجية، ولكنه يرتفع إلى مفهوم ما ظهر وما خفي في الإنسان، فالعظام تَمُتُّ ما ظهر، والمخاخ داخل العظام تمثل ما خفي. هنا سر الإنسان الذي أنهك علماء الطب والنفس، وهو علاقة الظاهر في سلوك الإنسان بما استُبطِن فيه فاختفى، اختفى عن إدراك الإنسان وعن إدراك الذين يفحصون علل الإنسان وسلوكياته، فما من علّة ظاهرة إلا وتكمن أسبابها في أعماق خفّيات الإنسان، فيما يسميه علم النفس بالعقل الباطن أو اللاشعور، والذي يسميه ق. بولس «الإنسان الخفي». وما من موهبة طبيعية تظهر في الإنسان إلا وتكمن أسبابها بعيداً عن المنظور منه، فيما يقولونه بالجينات المتوارثة من الأجداد. فهذه الخفّيات وهذه الظواهر تجوس خلاها كلمة الله تصحّح وتعّدّل، وتُزِيد وتُنقص، بل وتخلق وتبتر، ليتعدّل سلوك الإنسان وتصحّح أخلاقياته وصفاته ويتجدّد ذهنه بل ويتغيّر شكله: «تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: )، والكلمة هي الوسيلة المثل!!

## «وميزة أفكار القلب ونياته»:

الإنسان لأنه مخلوق عاقل، فهو مكشوف أمام «كلمة الله» أشد الانكشاف. فهنا الكلمة، وهي العنصر الإلهي العقلي، تقف أمام المخلوق العاقل وما يُضمّره عقلياً سواء بفكره أو ضميره، وهذان يقعان في المضمون الأخلاقي ويهيئان على الأخلاق والسلوك. وماذا ننتظر من العنصر العقلي الإلهي إن هو أشرف على العنصر العقلي للإنسان وميوله العاطفية؟ هنا الاختصاص واضح وفاضح بمقدار علو العنصر العقلي الإلهي في الكلمة على العنصر العقلي في الإنسان وهو خاضع للميول الجسدية ومُستهدف لتجارب الشيطان، الذي هو أيضاً عنصر عقلي ساقط ولكن شهد له بالخداع والمكر والغواية.

كلمة الله هنا لها نفاذية السيف في عزل ما هو غير متوافق مع قداسة الله في ما يضمّره القلب وهو القاعدة الأساسية لكل العواطف والمشاعر والميول وما يضمّره الفكر من انحراف عن الحق. كلمة الله هنا في موضع الدّيّان تماماً، كما نص عليها قول المسيح: «مَنْ رذلني ولم يقبل كلامي فله مَنْ يدينه. الكلام الذي تكلمتُ به هو يدينه في اليوم الأخير.» (يو١٢: ٤٨)

هنا كلمة الله تأخذ سلطان الديان الذي يكشف آراء القلوب ويزن نيّات الضمائر، وكلمة

«التمييز» التي استخدمها ق. بولس في هذه الآية: «مميّزة أفكار القلب ونياته» = κριτικός  
 توضّح القدرة الفائقة للكلمة للفصل بين أفكار القلب ونيّاته كقوتها في النفاذ وخرق الحد بين  
 النفس والروح. فكما أن علاقة النفس بالروح جدُّ دقيقة ورقيقة وتكاد تختفي عن التمييز والتفريق  
 وكثيرون أخفقوا في التمييز بينهما، كذلك هنا فأفكار القلب شديدة الصلة بالنيّات لأن الأفكار  
 ενθυμησεων وبيئتها العقل، والنيّات εννοιων وبيئتها الضمير هما معاً على قاعدة واحدة وهي  
 القلب. والفرق بينهما هو كالفرق بين «الخطر» الذي يخطر على القلب «والدافع المحرّك»، وهو  
 فرق يستحيل تحليله أو توضيحه. ولكن الكلمة، كلمة الله وحدها، تفرّق بين هذا وذاك وتبني  
 دينونتها على هذا الفارق، وإذ بنا نصطدم مرة واحدة بهذه الدينونة ترون في قلوبنا بعد أن يفتح  
 الوعي من جراء فعل «الكلمة» الذي ينفذ هكذا إلى الأعماق وينير ما كان مخفياً عن الإدراك،  
 فيكتشف الإنسان نفسه وهو متلبّس بالتعدي، إذ يتضح أن الخطر مجرد الخطر انتقل إلى الدافع  
 المحرّك، فيضبط القلب وهو يبلي نية التنفيذ!! «كل من ينظر إلى امرأة ليستهيها فقد زنى بها في  
 قلبه»؟ (مت ٥: ٢٨) هنا في هذه الآية أوضح مثل لانتقال الخطر الذي مرّ بالفكر مروراً من جراء  
 النظر، إلى الدافع المحرّك الذي أفرزته كلمة الله وحاصرته وأبرزته خارج القلب وألقته في وجه  
 الإنسان كمتعدي!!

الآن يمكننا أن ندرك أهمية وخطورة عمل كلمة الله في توسيع مداركنا ثم في فرز مناقصنا  
 وعبوبنا وتعديّاتنا الخفيّة التي تكون قد تاهت بالفعل من محيط تصوّراتنا. فسمعنا لكلمة الله هو بمثابة  
 مَنْ يُحضرنا أمام الدّيّان لندرك مدى بُعدنا عنه ومستوى تعديّاتنا. فماذا أيها القارئ العزيز، إن  
 صَمَمْنَا آذاننا عن سماع كلمة الله؟ ألا تبيت تعديّاتنا في قلوبنا وتداهنا الدينونة ونحن عنها  
 لاهون؟ هذا هو تنبيه بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين — بل لنا — الذين أهملوا كلمة الله فصارت  
 حالهم إلى ما صارت إليه من خطية ومن زعزعة الإيمان وقلق وارتداد عن الله الحي أو يكاد!

١٣ : ٤ «وليسْتَ خَلِيقَةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قَدَّامَهُ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ غُرْبَانٌ وَمَكشُوفٌ لِعَيْتِي ذَلِكَ الَّذِي  
 مَعَهُ أَفْرُنَا».

ق. بولس يتدرّج في إظهار قدرة الكلمة على التشريح والفحص، من النفس إلى الروح إلى  
 العقل إلى الضمير، ثم يرتفع بعد ذلك ليوضّح أن هذه القدرة عينها هي عاملة وفعّالة في كل الخليقة  
 حتى أعلى مستوياتها، لأن الذي خَلقَ بالكلمة، بالكلمة يفحص دقائق محتويات المخلوق فحماً  
 لكشف وإبراز الأخطاء والعيوب، لأنه خالق وديّان «بالكلمة». وهو بهذا الفحص والتمييز



والتفريق، يصفِّي خليقته من الشوائب لتبقى دائماً قائمة في حدود خَلْقَتها. وليس الإنسان وحسب، بل وكل خليقة، هي من خلال «الكلمة» مكشوفة دائماً ولا يخفى منها شيء عن عينيه، لأن الخليقة قامت بالكلمة ولا تزال بالكلمة قائمة: «وفيه يقوم الكل.» (كو١: ١٧)

وقصد ق. بولس أن يبرز قدرة «الكلمة» في الكشف، وسموها الذي يفوق في ذلك محيط الإنسان ليشمل كل خليقة كانت، هذا لكي نفتتح أننا تحت مَرْمَى بصره ولا يمكن أن نضمّر في أنفسنا شيئاً لا يعرفه ويقيسه ويحكم عليه.

«بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا»:

عريان = γυμνά

ومكشوف = τετραηλισμένα

هذان المصدران «عريان» و«مكشوف» استهدفاً لشرح كثير من أجل الوصول إلى المقصود منهما. ويبدو من كل ما أورده المفسرون أن الأمر هنا تشبيهي بالذبيحة التي تُعرى أولاً من جلدها ثم تُكشف محتوياتها على مستوى الفحص والاختبار.

والقصد البعيد من ذلك أن المسيحي هو في الواقع الليتورجي ذبيحة، كونه يقدم نفسه لله في الخضوع الكلي للفحص والحكم: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مُرضِيّة عند الله، عبادتكم العقلية» (رو١٢: ١). فكما أن الذبيحة تُعرى وتُكشف لتُفحص ثم تُقدّم لله، هكذا نحن في المفهوم الليتورجي الإيماني نحسب أنفسنا ذبائح حقيقية. فسواء رضينا أو لم نَرْضَ، فإن كل شيء فينا يتحتّم أن يتعرى ويُكشف أمام عين الله الديّان الذي له الكلمة الأخيرة، فهي حتماً دينونة، ولكن إما أن تكون إلى جانبنا: «فلا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو٨: ١)، بمعنى أن نجوز الفحص ونعبر، إذ يكون علينا ختم الدم الإلهي؛ وإما للحزن والعار حيث تفرز الكلمة ما يتعارض فينا مع صلاحها. وقصد القديس بولس أن يُنذر هؤلاء العبرانيين، ونحن معهم، أن «كلمة الله» التي هي لنا الآن للتوعية والتعليم والتوبة هي ذاتها التي ستقف أمامها عرايا مكشوفى الأفكار والضمائر: «ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان، أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفىً بالنار (الإيمان القويم) لكي تستغني، وثياباً بيضاً (برّ المسيح) لكي تلبس، فلا يظهر خزي عُريتك.» (رو٣: ١٧ و١٨)

## ختام الأصحاح الرابع

### الانتقال إلى موضوع الدفاع الثالث

#### تقديم لعقيدة المسيح كرئيس كهنة

[ ١٦:٤-١٦ ]

يقدم القديس يوحنا ذهبي الفم الآية (١٤) تقديمًا جيدًا مبينًا ارتباطها بما سبقها إذ يقول ما يفهم منه: إنه بينما موسى كقائد خلاص الشعب القديم تعثر في الله وعوقب بأن لا يدخل أرض الراحة كنعان، بالإضافة إلى أنه اشتكى مرة شعب إسرائيل إلى الله، نجد أن المسيح يقود خلاصنا كرئيس كهنة استطاع أن يدخل السماء ذاتها ليفتح راحة الله العليا، وليترأى أمام الله أبيه لا ليشتكي، بل دخل كسابق من أجلنا، فوجد لنا فداءً أبدياً.

بعد ما علق على قول ق. بولس في الآية (١٣) يقول ذهبي الفم:

[ لأن موسى لم يدخل راحته؛ بينما المسيح دخل بالفعل ... لا لكي يقدم اتهامات ضد الإنسان ... إلا أنهم (اليهود) هم الذين قدموا عليه هو هذه الاتهامات قائلين: هذا الإنسان يتكلم ضد موسى وضد الناموس (أع ٢١: ٢١ و٢٨). ]<sup>(١)</sup>

وفي هذه الآيات افتتح بولس الرسول موضوعه الأساسي في هذه الرسالة، وهو تقديمه يسوع المسيح ابن الله باعتباره رئيس كهنة الله، واستمر في هذا الموضوع حتى الآية (١٨) من الأصحاح العاشر.

وفي اختصار شديد يتركز في هذه الآيات الثلاث ١٤ و١٥ و١٦ عمل المسيح كرئيس كهنة، إنه مصدر صلة لنا بالله فائقة القوة، فهو ضمّن لنا الدخول إلى راحة الله التي وعد بها. وفي الوقت نفسه، فلأنه أخذ ما للإخوة من اللحم والدم (عب ٢: ١٤)، فقد أصبح رئيس كهنة له عواطف كعواطفنا، وبها استطاع أن يرثي لضعفاتنا ويقدمنا إلى الله أبيه هكذا، فنقترب إلى الله الذي هو

9. Chrysostom, *op. cit.*, p. 399.

له كابن (ابن الله) كما هولنا (ابن الإنسان). بمعنى أنه إن كان قد صار ابناً لنا فهو أصلاً ابنُ الله، وهكذا استحدث لنا صلة بالله فائقة القُربى فائقة الصلة فائقة العطف. وطبعاً معروف أصلاً أن وظيفة رئيس الكهنة هي التكفير عن الخطايا، كذلك معروف بالتأكيد أن المسيح كَفَّرَ عن خطايانا: «وأعطاهم قائلًا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسْفِك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٧ و٢٨). لهذا فإن وظيفة رئيس كهنة بالنسبة للمسيح ليست هي تحصيل حاصل بل هي أساساً في صميم لزومية أو حتمية التجسّد. لأنه لَمَّا صمّم الله أن يعفو عن خطايا الإنسان، لزم بحسب سابق تدبير الله أن يكفّر عنها، والذي يُناط به التكفير عن خطايا الإنسان كافة يلزم بحسب التدبير السابق أن يكون «رئيس كهنة من وسط الشعب»، وهكذا تحمّم التجسّد. فالتجسّد تمّ ليتمّ التكفير. وهذا يبرزه بولس الرسول في هذه الرسالة بوضوح شديد مستعيناً بنص النبوة: «لذلك عند دخوله (الابن) إلى العالم (التجسّد) يقول: ذبيحةً وقرباناً لم تُرَدِّ، ولكن هيأت لي جسداً» (عب ١٠: ٥). أي أن الجسد الذي دَبَّرَهُ الله لابنه بالتجسّد هو بديل لكلّ الذبائح والقربان. فالمسيح تجسّد ليكون رئيس كهنة، وهو تعيّن لكي يكون رئيس كهنة ليكفّر عن خطايا الشعب.

١٤ : ٤ «فإذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٍ قد اجتازَ السَّمَوَاتِ يسوعُ ابنُ الله، فلنتمسكْ بالإقرارِ».

«فإذ»: οὐν

هنا تعقيب في عمله، يبنى فكرة جديدة على أفكار سابقة، فما هي؟

أولاً: هو يعقب على ما توقّف عنده في الأصحاح الثاني الآية (١٧) عندما قال: «مِنْ ثَمَّ كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب» (عب ٢: ١٧)، وهذا بدوره كان تعقيباً على قوله: إنه لم يأت من أجل الملائكة بل جاء من أجل تكميل وعد الله لإبراهيم من جهة نسله والأمم أيضاً. لذلك أخذ جسداً مثل إخوته من لحم ودم: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ويُعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (عب ٢: ١٤ و١٥). وهكذا يستطرد هنا في الآية التي نحن بصددنا قائلًا: «فإذ لنا رئيس كهنة ...».

ثانياً: يبرز هنا شخصية رئيس الكهنة العظيم بهذا المقدار لكي يسند قلوب هؤلاء العبرانيين المتزعزعين في إيمانهم بالمسيح، والذين زاغت أبصارهم نحو موسى ورؤساء الكهنة والكفّارة إلى آخره ...

كما يستطرد في شرح وظيفة المسيح وكيفية دخوله السماء وجلسه عن يمين الله، ليؤمن لهم إيمانهم بالمسيح أنهم محفوظون من السقوط الذي داهم آباءهم في البرية، إذ لهم في المسيح شفيع دائم في السموات. وهكذا يبرز المسيح كوسيط يُعتمد عليه قائم دائم في السماء، قادر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله.

«لنا رئيس كهنة عظيم»: ἀρχιερέα μέγαν

ولماذا عظيم μέγαν؟ هذه الصفة لم تُمنح — عادة — لرؤساء كهنة الطقوس اليهودي لأنهم كلهم سواسية ورئيس الكهنة هي رتبة المترئس على الكهنة وحسب. مثل الأساقفة ورئيس الأساقفة، فإذا لا يوجد رؤساء أساقفة بالجمع، لذلك تحتم أن لا يكون هناك رئيس أساقفة عظيم (١٠) (إلا المسيح بكل تأكيد). ولكن المسيح هو عظيم، عظيم بين رؤساء الكهنة بنوع ممتاز لأنه لا يتبع الطقوس الهاروني (أي التدرج الهيرارشي — الرئاسي)، ولم يأخذ هذه الوظيفة من إنسان بل من الله وبقسم منه. ويلزم أن نلاحظ أن صفة «العظيم» تأتي أيضاً للمسيح في هذا السفر خلواً من لقب رئيس كهنة مثل: «راعي الخراف العظيم τὸν μέγαν» (عب ١٣: ٢٠)، فالعظيم صفة خاصة به، كما تأتي بالنسبة للراعي كذلك بالنسبة لرئيس الكهنة.

وهذا السبب يكثله بولس الرسول بقوله: «قد اجتاز السموات». فرؤساء الكهنة كان عليهم أن يجتازوا الحجاب المادي — الستارة التي تحجب قدس الأقداس مكان حلول الله عن القدس مكان تواجد الكهنة. أما المسيح فلم يجتاز حجاباً مادياً، بل السموات وسماء السموات الغلا، ليدخل إلى قدس أقداس السماء حيث عرش الله. والذي أهله إلى هذه العظمة الرئاسية حقاً هي ذبيحته، فهي ليست من الحيوانات بل ذبيحة نفسه «كابن الله»، فعظمته منبثقة من كفاءته، وكفاءته تستندها ذبيحة حبه الفائقة القداسة بجسده الفائق القداسة وبُنوته لله الوحيدة والفريدة التي السموات لها أصلاً وموطناً!!

وحينما نقول: «اجتاز السموات» فليس كما يتشكك علماء هذا العالم أن مكايك الفضاء أيضاً بمن فيها من رواد تجتاز السموات (هكذا). فالقول بأن المسيح اجتاز διεληλυθότα السموات لا يعني أنه اخترقها أو مر فيها وحسب، بل تجاوزها بنجومها وبجراتها إلى ما هو أعلى

(١٠) لا نعثر في الطقوس اللاوي على رئيس كهنة عظيم ولكن يوجد فقط تعبير «أعظم» بالنسبة للكهنة، وليس تعبير «رؤساء الكهنة»، فيقول الطقوس: «الكاهن الأعظم» (لا ٢١: ١٠) كناية عن رئيس الكهنة. ولكن تعبير «رئيس كهنة عظيم» أطلق أخيراً في عهد المكابيين ١ مك ١٣: ٤٢ على شمعون، ليس حسب التقليد.

منها. لذلك نقول إنه دخل السموات وبآن واحد صار أعلى من السموات!! وحينما نقول: صعد إلى السماء، فهنا الأمر لا يتعلق بالفضاء المحيط، بل القصد هو تجاوز المنظور قاطبة والمحدود كلية. وأبسط تدليل على هذا المعنى للمصعود هو قول سفر الأعمال: «وأخذته سحابة عن أعينهم» (أع: ١٠: ٩). وهذا كله محاولة للتعبير عن الدخول في اللا محدود والفاائق السمو: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف: ٤: ١٠)، ويعبر عن ذلك سفر التثنية بـ «سما السموات» (١٠: ١٤). وبخصوص إعطاء السموات بالجمع، فالعلامة كليمنديس الإسكندري يقول إن السموات التي عبرها المسيح عددها سبعة  $\epsilon\pi\tau\alpha$  οὐρανοῦς (\*)، وبولس الرسول أخذ إلى السماء الثالثة فقط (٢ كو: ١٢: ٢).

والمعنى العام أن كل السموات المخلوقة عبرها المسيح ليستقرّ في السماء عينها: «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدي، أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها  $\alpha\upsilon\tau\acute{o}\nu$  τὸν οὐρανόν ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب: ٩: ٢٤). وواضح من هذه التعبيرات كلها أن القصد هو توضيح قدرة وعظمة المسيح و «صفة كلية الحضور» التي استعلنت بقيامته من الأموات. فهو موجود في كل الوجود وفوق كل وجود!! وصحّ فيه القول أنه: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف: ٤: ١٠). فارتفاعة وسموه فوق كل الوجود هو بعينه خاصية قدرته أن يملأ كل الوجود وبالتالي يملأ الإنسان! «ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف: ١: ٢٣). وهنا وبهذه العقيدة المسيحية الأساسية ندرك سر وجوده الكامل والمالء في الإفخارستيا، فهو موجود بملكه في مواد السرّ، وهو بنفسه الذي يعطيه!! ويملأ آكلية. ويلزمنا الانتباه إلى أن الذي اجتاز السموات هو بحسب الآية التي نحن بصدها «يسوع ابن الله»، حيث «يسوع» تشير إلى بشريته وجسده الذي صعد به وجاز السموات واعتلاها جميعاً ليظهر به أمام الله من أجلنا ونحن فيه ممثّلون!!

«يسوع ابن الله»:

هنا يعطي ق. بولس للمسيح الألقاب التي تتطابق مع رئيس كهنة يجتاز السموات، فهو كإنسان اسمه يسوع. ولأنه اجتاز السموات، فهو حتماً ابن الله وبالضرورة. وهكذا نجد في هذه الرسالة تطابق الألقاب المنتقاة مع الوظائف المختارة للمسيح. ولكن إذا انتبهنا إلى بقية الآية حيث يقول: «فلنتمسك بالإقرار» أي الاعتراف بالإيمان بالمسيح، نرى أنه في وصفه المسيح: بـ «يسوع ابن الله» يعطي لنا بنود الاعتراف بالمسيح أنه ابن الله المتجسد أو يسوع المستعلن أنه ابن الله، لأن

(\* ) Clement of Alexandria, *Stromata*, Book IV, xxv, ANF, vol. II, p. 438.

التقليد الإنجيلي يضع دائماً هذه التسمية في موضع الاعتراف: «مَنْ اعترف أن "يسوع هو ابن الله" فإله يثبت فيه وهو في الله.» (١ يوحنا: ٤: ١٥)

«فلنتمسك بالإقرار»:

«فلنتمسك»: κρατῶμεν

هنا المسك κρατέω لغاية الامتلاك — أي لكي نمتلكها — وهي غير المسك فقط κατέχω — لما قد امتلكناه — كما جاءت في ٣: ٦، ١٠: ٢٣: «إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية». لأن القصد من التمسك بالإقرار يعني امتلاك الإيمان وإعلانه، أما «التمسك بثقة الرجاء» فتعني الوقوف عندها بثبات<sup>(١١)</sup>. لذلك فهذه الكلمة التي تفيد «المسك لكي نمتلكك» تفيد الخطورة والخوف من أن تنفلت من أيدينا، وهذا هو وضع هؤلاء العبرانيين المتصرين.

«الإقرار»: ὁμολογία

وهي صيغة الاعتراف التي تلقن للمعمد لينطقها كإقرار منه بالإيمان علناً بالمسيح، وتصير بعد ذلك جزءاً لا يتجزأ من تلاوته اليومية سواء في الصلاة العامة أو الخاصة. ولكن بولس الرسول يقصد بالتمسك بالإقرار هنا الاعتراف العلني به كلما دُعي المؤمن إلى ذلك، حتى يرسخ في وعيه. والخوف هو من الاستحياء به الذي يؤدي إلى إنكاره.

١٥: ٤ «لأن ليس لنا رئيس كهننة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجزّب في كل شيء مثلنا بلا خطية».

هنا يحاول بولس الرسول أن يشد من أزر إيمان هؤلاء العبرانيين وإيماننا أيضاً، وذلك بتنبية ذهننا إلى أن رئيس كهننتنا لأنه ابن الله فهذا يجعله غير بعيد عنا ولا غير عالم بضعفاتنا، سواء خطايانا أو عدم لياقتنا، مما يتعنه عن أن يتنازل إلينا ويرثي لحالتنا. ولكنه إذ أخذ اللحم والدم، أصبح على دراية حقيقية وشعور صادق بما نجوزه نحن البشر من الآلام والضيقات وما يلابسها من خطايا وهفوات. فإن كان كرئيس كهننة قد وضع على نفسه أن يحمل خطايانا، فذلك عن إحساس صادق بما نعانيه. لذلك أصبح علينا ضرورة أن نثق فيه ونتمسك به، وإن إيماننا الواثق به يأتي عن جدارة من جهة أنه يعمل لنا فوق ما نحتاج، ويرفع عنا ما لا نطيق، ويعزي قلوبنا في كل ضيق.

ونقدّم لك أيها القارئ العزيز مثلاً لذلك: فإنك لو ظلمت ظلماً فادحاً، فإن لك في المسيح العون المباشر الأعظم، لأنه ليس من بين البشر قاطبة مَنْ ظُلم بما ظُلم به المسيح، فهو يشاركك في الحزن والقهر عينه، فهذا هو عمله، ولكن لأنه غَلَبَ أصل الظلم ومحرّكه فهو الوحيد الكفيل بأن يردّ الظلم عنك، وإلاً فهو يعدُّ المكافأة لك في ذات المكافأة التي جازاه بها أبوه إذ رفعه وعلاه ومجّده فوق كل مجد لِمَا ظُلم. لذلك إن كثراً نتألّم بأي نوع من أنواع الألم، فهو عنده رصيد من خبرة الآلام ما يؤهله أن يتألّم معك بل يتألّم من أجلك، بل يرفع كل آلامك، بل وقد رفعها على الصليب من أجلك. فما عليك إلا أن تطرح الآلام عليه كخبير لتجد راحة صادقة وحقّيقية: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احمّلوا نيري عليكم ... فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هيّن وحلي خفيف.» (مت ١١ : ٢٨-٣٠)

فهو رئيس كهنة خبير، قادر مُقتدر، مجرّب بكل تجارب الحياة، ويعرف كيف يشترك فيها مع المتأمّكين به، فهذا عمله، بل هذا اختصاصه، بل هذه هي مسرّة قلبه.

«قادر أن يرثي» لضعفاننا:

«يرثي»:

باليونانية: συμπαθεῖσαι، باللاتيني (الفولجانا): Compati.

ومعناها الحرفي أن يشترك بمشاعره، وهي نفس الكلمة التي نقولها بالعربية المفرنجة: «سيمبائي» وقد جاءت على لسان بطرس الرسول هكذا: «وبالنهاية كونوا جميعاً متحدي الرأي بحسّ واحد (سيمبائي) συμπαθεῖς ذوي محبة أخويّة، مُشفقين، لطفاء» (١ بط ٣: ٨). فكلّمة «يرثي» هي أقوى تعبير عن الاشتراك في المشاعر، فهو ليس «حسّاً واحداً» أو اشتراكاً فقط في المشاعر، بل الانحياز إلى المتألّم وتقدير ألمه والاشتراك فيه بكل المشاعر الصادقة، والعمل على تلطيفه، كل ذلك معاً!!! وهذا نراه في الأب وفي الأم وفي الأخ الصدوق والصدوق الوفيّ. ولكن لما يأتي ذلك من المسيح، يكون «الثناء» له قوة تطيب، ومعه دواء، ويسنده اقتدار بالرفع، بل استعداد لتبّيّ الألم عن المتألّم، فهذه صنعة المسيح وقوة الصليب.

فالمسيح كرئيس كهنة عندما يرثي للخاطيء حاله، فهو يستمد رثاءه من دمانه، فقد دفع ثمن خطيتنا فكيف يتركنا نئن تحت جبروتها وسخفها؟ فهو ولو أنه لم يعرف خطية، ولكن له إحساس بالخاطيء بالغ العمق والأصالة؛ كذلك ولو أنه لم يفعل خطية، ولكنه يعرف طولها وعرضها وعمقها، ويعرف شناعة أثرها المدثر والحاجب لوجه الله عن مؤيّيها، كما يعرف بل وقد

ذاق مرارة عقوبتها. ولكن الأعجب من هذا كله أنه وهو القدوس، قادر أن يحملها في جسده، وبهذه القدرة الفريدة يحملها ولا تؤثر فيه، يحاصرها ويدينها ويمحوها عمواً بنار قداسة لاهوته، لذلك فهو على استعداد دائماً أن يحملها معنا. فنحن حينما نعترف بخطيتنا أمامه، في صدق الاعتراف وانسحاق القلب، يرثي لضغفاننا وينبيري كهنوته ليحمل معنا جِملنا لحظة أن نحمل صليبه في قلبنا، فتقع الخطية عن كاهلنا لَمَّا تذوب وتلاشي عن كاهله.

بولس الرسول يهيب بالعبرانيين المنتصرين المزعزين في إيمانهم، ويهيب بنا أيضاً، أن نتق أن لنا رئيس كهنة مجرباً مجرباً مختبراً جاز كل صنوف الآلام، وأخيراً حل كل صنوف خطايانا في جسده على الخشبة، حتى نتقدم إليه بثقة واطمئنان بأن لنا مَنْ يرثي حقاً لضعفنا أيّاً كان ضعفنا.

### «مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية»:

في دائرة الأخلاقيات معروف أن الإنسان يُجرب بسبب الخطية، فالخطية تسبق التجربة: «كل واحد يُجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع ١: ١٤ و١٥). لذلك استدرك ق. بولس سريعاً قوله أنه: «مجرب في كل شيء مثلنا» بقوله «بلا خطية»، وهذا يعني أن الإنسان يُجرب بسبب الخطية التي تعمل في أعضائه أي في داخله، فالتجارب هنا مصدرها الإنسان نفسه ومن داخله؛ أما المسيح فقد تجرب مثلنا ولكن ليس من داخله، ليس بدافع الخطية أو بأثرها، ولكن تجارب المسيح كلها أنته من خارجه!! الإنسان حينما يخطف إلى الله، يخرج من دائرة العناية الإلهية، وحينئذ يقع في مجال المجرب الذي لا يرحم، وهنا تتوالى التجارب فيكون الإنسان نفسه سبباً لها.

أما المسيح فليس هكذا، فهو لم يكن قط سبباً في تجربة أنت عليه. ولكن نعم علم اليقين أن الله أباه هو الذي أدخله التجارب، أي سمح للشيطان أن يقارعه وذلك في قول الإنجيل: «ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجرب من إبليس» (مت ٤: ١). هنا الذي أصعد «يسوع» إلى البرية بالروح ليُجرب من إبليس هو الله أبوه؛ كذلك: «ولوقت أخرجه الروح إلى البرية وكان هناك في البرية أربعين يوماً يُجرب من الشيطان» (مر ١: ١٢ و١٣)، وواضح هنا أن «الروح» وهو «الروح القدس» هو الذي أخرجه إلى البرية ليُجرب من الشيطان؛ كذلك: «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرب من إبليس» (لو ٤: ١ و٢). وهنا أيضاً نرى «يسوع» يُقتاد بالروح ليُجرب من إبليس. واضح من كل هذه الآيات أن دخول المسيح في التجارب كان خطة موضوعة من الله الأب نُفذت بقيادة الروح، وكان الشيطان هو المجرب بسماع من الله ليصير الابن في تجسده مجرباً في كل شيء كالإنسان



العادي، ولكن دون أن تكون الخطية داخلة في أسباب هذه التجارب قط.

ولم تكن تجارب البرية هي وحدها التدريب كله في مواجهة التجارب، ولكن بعد تجارب البرية مباشرة يقول الإنجيل: «ولما أكمل إبليس كل تجربة فإفترقه إلى حين.» (لو: ٤: ١٣)

وواضح من ذلك أنه عاد إليه متزعمًا وقائدًا لليهود المقاومين بل والتلميذ الخائن في تسليمه له، بل والتلاميذ في تخليهم عنه وفي الذين اتهموه وقاوموه وأثاروا عليه الجموع وصادروه في كل ما يقول، والذين عارضوه في أعمال مراحمه على المرضى والمُشمي، وبالأكثر في رؤساء الكهنة والفريسيين الذين أحكموا التهم وقدموه حتى الصليب. كل هذه التجارب تمت تحت سمع وبصر الله أبيه وبرضى منته: «وقد سرَّ الله بأن يسحقه بالحنن» (إش: ٥٣: ١٠). إذًا، فكل تجارب الرب «يسوع» جاءت عليه، وقبَلها هو كجزء من مهمته العظمى، أهلكته بالنهاية للصليب، وهو لم يكن سببًا في أية تجربة واحدة منها، ولكنه قبَلها بحُكم اللحم والدم اللذين اشترك فيهما ليُشبه إخوته في كل شيء، وذلك حتى يتأهل أن يحمل كل ضعفاتهم عن جدارة وخبرة ومشاركة صادقة، ودون أن يُمسك في أي ضعف، بل ليحمل ضعفات وخطايا الكل وهو هو القدوس الكامل في قداسته.

ولكن هنا أيضاً في هذه الآية مقارنة يرمي إليها ق. بولس من بعيد، بين المسيح وبين رؤساء الكهنة الذين بهم ضعف وخطايا: «الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب» (عب: ٧: ٢٧)، «فإذ لنا رئيس كهنة ... بلا خطية ...».

وهذا كله يقدمه بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين المنتصرين المتزعزين في إيمانهم، لكي يستقطب فكرهم وقلوبهم إلى مَنْ هو الوحيد الذي يرثي لضعفاتهم والقادر كرئيس كهنة عظيم أن يكفّر عن خطاياهم.

١٦: ٤ «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمةً ونجد نعمةً عوناً في حينه.»

الآن وقد أرسى القديس بولس أحقيّة الإيمان بالمسيح يسوع فوق كل انحياز آخر لطقس الكهنوت القديم، كونه كان يرفع الخطايا بتقديم ذبائح على يد رؤساء كهنة موسومين (\*) بنفس الضعف والخطايا التي يكفّرون عنها للشعب، موضحاً مدى أهلية المسيح ليكون رئيس كهنة فائق

(\*) موسومين أي حاملين سمات، حيث وسم = ختم.

القدرة والعظمة سواء من جهة تنزهه عن كل ضعف أو خطية وفي نفس الوقت مُجرب مثلنا بكل تجارب وآلام الناس والعالم والشيطان، مما أعطاه الإحساس الكامل بما نعانيه من كل أنواع الآلام والتجارب والخطايا، ثم فوق هذا وذاك هو ابن الله الجالس على عرش النعمة والقوة والقدرة والسلطان؛ بعد كل هذا حقاً للقدوس بولس أن يدفع بنا للتقدم إلى المسيح الذي هو الآن جالس على عرشه السماوي لكي نستمد منه النعمة والرحمة.

«فلنتقدم بثقة»: προσερχώμεθα οὖν μετὰ παρρησίας :

لقد سقط من الترجمة العربية ما يقابل οὖν = «إذاً»، وهي القاعدة التي يرتكز عليها ق. بولس في طلبه أن نتقدم بثقة، لأن «إذاً» هنا هي بمثابة إعادة نظر إلى كل ما فات ليكون سبباً فيما هو آت، أي التقدم إلى عرش النعمة.

«فلنتقدم»: προσερχώμεθα :

لأول مرة تستخدم الرسالة هذا الاصطلاح الذي سيتكرر في ٧: ٢٥، ١٠: ١٠ و ٢٢، ١١: ٦، ١٢: ١٨ و ٢٢ وهو مماثل تماماً لما جاء في الأصحاح ٧: ١٩، ولكن بكلمة أخرى وهي ἐγγιζόμεν : «به نقترب إلى الله». هذه الكلمة ذات استخدام ليتورجي، وقد قيلت في القديم فيما يخص ما يحق للكهنة الأصحاء الذين بلا عيب من جهة التقدم خلف رئيس الكهنة لتقديم خبز الوجوه (خبز الحضرة الإلهية): «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم هارون قائلاً: إذا كان رجل من نسلِكَ (كاهن) في أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم προσελεύσεται ليقرب خبز إله» (لا ٢١: ١٧)، كذلك أيضاً: «قل لهم: في أجيالكم كل إنسان (كاهن) من جميع نسلكم اقترب προσέλθη إلى قدس الأقداس التي يقدها بنو إسرائيل للرب ونجاسته عليه، تُقطع تلك النفس من أمامي أنا الرب. كل إنسان من نسل هارون (كهنة) وهو أبرص أو ذو سيل لا يأكل من الأقداس حتى يطهر.» (لا ٢٢: ٤ و ٣)

وعلى هذا القياس، أصبح لنا ونحن نتبع رئيس كهنتنا الأعظم بعد أن طهرنا من كل عيب وذنس، أن نقترب إلى الأقداس ونأكل من خبز الوجوه الحقيقي، بل ونقترب بثقة لأنه هو الذي يقودنا في موكب نصرته ليُخضِرنا أمام أبيه بلا عيب في المحبة: «الذي أحبنا وقد غسّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى الأبد آمين.» (رؤ ١: ٦)

وهكذا أصبح المسيحيون لهم الحق في التقدم، وبثقة — كما كان لكهنة العهد القديم الذين بلا عيب — إلى عرش النعمة:

+ « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حيّة بيتاً روحياً كهنوتاً مقدّساً لتقديم  
ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح. » (١ بط ٢: ٥)  
+ « وأما أنتم فجنس مختار (المسيحيون)، وكهنوت ملوكي، أمة مقدّسة، شعب اقتناء،  
لكي تجربوا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة (الأوثان) إلى نوره العجيب. »  
(١ بط ٢: ٩)

وفي موضع آخر من هذه الرسالة، يوضّح بولس الرسول أن ما كان مستحيلاً على شعب إسرائيل  
أن يتقدّم إلى الله بتطهيرات الناموس، أصبح لنا الآن في رجاء ابن الله أفضلية التقدّم به إلى الله:  
+ « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئاً،  
ولكن يصير (الآن) إدخال رجاء أفضل (بالمسيح) به فنقترب إلى الله. » (عب ٧: ١٩)  
« بثقة »:

باليونانية: μετὰ παρρησίας

باللاتينية: cum fiducia

وتترجمها اللغة السريانية باصطلاح عجيب: « بعين مفتوحة ».

ويترجمها المترجم لسفر الأعمال بالكلمة « جهاراً »: « أيها الرجال الإخوة، يسوغ أن يُقال لكم  
جهاراً = μετὰ παρρησίας » (أع ٢: ٢٩)، وأيضاً يترجمها المترجم لبولس الرسول في الرسالة إلى  
أفسس « جهاراً »: « ولأجلي لكي يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي لأعلم جهاراً بسرّ الإنجيل »  
(أف ٦: ١٩) كما يترجمها المترجم لإنجيل يوحنا « جهاراً »: « ولكن لم يكن أحد يتكلّم عنه  
جهاراً لسبب الخوف من اليهود. » (يو ٧: ١٣)

لذلك نعتقد أن ترجمة هذه الكلمة في هذه الرسالة بمعنى « ثقة » لا تفي بالغرض الذي في فكر  
بولس الرسول، فهو يودّ أن يتقدّم هؤلاء العبرانيون إلى عرش المسيح، لا بخوف في داخلهم ولا  
بخشية من أحد، بل جهاراً أي علناً « وبعين مفتوحة » أو كما نقول نحن بالتعبير السائر « بعين  
واسعة » أي بثقة وجهاراً معاً.

« إلى عرش النعمة »: τῷ θρόνῳ τῆς χάριτος

طبعاً عرش النعمة وعليه المسيح جالس. وهذا التعبير العزيز والمحبوب يفيد الحضرة الإلهية كلية  
الوجود، فالله قائم دائماً بسلطانه لا يحدّه مكان ولا وجود، لأنه غير محدود وكلي الوجود، فعرشه يملأ  
الوجود، وحضرته نتجّه نحن إليها بقلوبنا وليس بأجسادنا، وعسير على الفكر أن يلاحقها أو

يتصوّرها، فحضرته تملأ القلب وتملأ الفكر وتملأ الكون كله :

+ «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ ...» (مت ٢٨: ١٨)

ولكن يترغّز الاستعلان في كل الكتاب في كون عرش الله والمسيح هو في السماء، وعرش النعمة تعبير عن ماهية الله والمسيح المتعددة الصفات، فله عرش (كرسي) المجد θρόνος δόξης : «فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت ١٩: ٢٨)، كذلك عرش العظمة: «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات.» (عب ٨: ١)

أما قول السفر هنا أن نتقدّم بثقة إلى عرش النعمة، فمعناه أن نلتجئ إلى نعمة المسيح التي يمارسها بسلطانه الإلهي، وكان النعمة جلست على عرش. وهو حينما قال لتلاميذه أن يذهبوا ويكرزوا للعالم بالإنجيل، آزر إرسالته إليهم بسلطان نعمته الفائق، إذ قبل أن يقول لهم «اذهبوا» قال: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ» (مت ٢٨: ١٨). بمعنى أن النعمة التي ستؤازرهم في كرازتهم هي من مصدر سلطان إلهي يملك على السماء والأرض وكل ما فيها خاضع لتوجيه إرادته. لذلك فالنعمة تتبعهم وتقودهم وتمهّد طريق السلام تحت أقدامهم بسلطان ملكي.

«لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه»:

أما الحاجة إلى الرحمة فبسبب ما فات من آثام وهفوات، وأما النعمة فلتفتح أماننا آفاق معرفة المسيح ونحظى بالروح القدس لكي يكون عوناً لنا حين يعزُّ العون.

والرحمة نوالها يتوقف على ثقة التقدّم، فهي تُعطى لمن يمدّ يده بإلحاح ليتناولها؛ وأما النعمة فتوجد للذين يبحثون عنها باجتهاد وثقة أيضاً ويوفّرون لها في قلوبهم مكاناً تستريح فيه. وفي الحقيقة إن مفهوم النعمة كان عند الآباء الرسل على مستوى الاختبار والتدوُّق كل يوم، فالنعمة كانت ترافقهم وتقودهم وتشدّدهم بصورة علنية واقتدار. فكانوا يشعرون أنهم مُعانون بقوة الله الخفية القادرة أن تنتشلهم من كل ضيقة ومأزق. وسفر الأعمال مليء بأعاجيب عمل النعمة، إن في الوعظ أو المحاجاة أو الدفاع أو حتى تحطيم سلاسل وقيود حديد وفتح أبواب سجون مغلقة وآيات ومعجزات بلا عدد. لذلك نجد القديس بطرس يدفعا دفعاً لكي نجرّب ونتدوَّق هذه القوة الإلهية المجانية: «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة» (١ بط ١: ١٣). وبولس الرسول يعترف أن نعمة

الله فيه هي التي تعمل وتنطق كل شيء يعمل ويقله، حتى قال: «بنعمة الله أنا ما أنا ... ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١ كور ١٥: ١٠)

وفي الحقيقة، أيها القارئ العزيز، إن النعمة لا تزال حتى اليوم تعمل في أشخاص بسطاء بصورة علنية وتثبت وجودها لكل ذي عين تبصر وأذن تسمع، فحياة كثير من الأشخاص الذين نعرفهم تقودها النعمة في هدوء وصمت لينيروا وسط جيلهم بضياء الروح القدس الذي يُشعُّ من قلوبهم. ولكن ما مِنْ إنسان يحيا في المسيح إلا وله مع النعمة وقفة وشهادة في وقت الضيق أو العَوَز أو المرض أو عن هذا الدهر التي لا تنتهي. ولكنها تحتاج لقوة إيمان وشجاعة شهادة لتظهر علانية.

## الدفاع الثالث

تفوق كهنوت المسيح على كهنوت العهد القديم

[ ١٨:١٠ - ١:٥ ]

الجزء الأول: كهنوت المسيح من حيث طبيعته الفائقة  
(الأصحاحات الخامس والسادس والسابع)

### الأصحاح الخامس

أولاً - مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني،  
وبالتالي ملكي صادق أيضاً، ومدى انطباقها على المسيح  
إنما بصورة فائقة كرئيس كهنة حقيقي: (١٠-١:٥):

أ - يتحتم أن يكون بشراً كالشعر، متضامناً معهم ليكون رئيس كهنة لبني البشر  
(٣-١:٥).

ب - يلزم أن لا يعين نفسه أي لا يُرغمي نفسه لهذه الرتبة بل يعينه الله (٤:٥).

ولكن في التطبيق على المسيح يأتي الترتيب معكوساً فيقدم (ب) على (أ):  
لتطبيق (ب): (٥:٥٠٦).

لتطبيق (أ): (٥:٧-١٠).

ثانياً - محاولة الكشف عن أسرار المسيح إنما في اختصار خاطف:

من ١١:٥، ويستمر ليشمل كل الأصحاح السادس:

أ - (١١:٥-١٤) وقفة حزيننة لتقريب العبرانيين المنتصرين على بلادتهم إزاء  
منتهى استعداد المسيح لخلاصهم، إذ توضح أنه رئيس كهنة مقتدر، بيده الخلاص  
الأبدي.

ب - الأصحاح السادس.

**مقدمة :**

في الأصحاحين السالفين الثالث والرابع اجتهد بولس الرسول أن يشرح تفوق وتمايز المسيح كصاحب العهد الجديد فوق كل من موسى قائد البرية الذي توفف عن الدخول، ويشوع قائد الدخول وتوزيع أرض الراحة. كما أثبت أن الراحة الموعودة، لم تتحقق في الأرض بشهادة داود النبي وظلت هكذا تنتظر تكميل الوعد ونفاذه.

وبهذا انتقل من موقف القيادة في الدخول والتوزيع إلى موقف رئيس الكهنة الذي كان منوطاً به إراحة الشعب - بتقديمه إلى الله - ليجد راحته فيه.

وهكذا وجد نفسه مضطراً أن يشرح ماهية وظيفة رئيس الكهنة بالنسبة للمسيح هنا في (١٠-١:٥)، ولكنه أرجأ تكميل شرح عمل المسيح كرئيس كهنة إلى القسم الثاني (١١:٥) وحتى نهاية الأصحاح السابع. وفي هذه المساحة كلها أي من ١:٥ إلى الأصحاح السابع حتى نهايته ينقسم الشرح إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول: (١٠-١:٥).**

يقدم ماهية مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني، مُظهراً أن في حالة المسيح تكامل عمل رئيس الكهنة إلى المستوى الفائق، مضيفاً إلى المسيح مواصفات رئاسة كهنوت آخر أعلى من كهنوت هارون، وهو كهنوت ملكي صادق، كما ذكر في قصة اختيار إبراهيم.

**القسم الثاني: (١١:٥ إلى آخر ٦).**

محاولة جادة مثابرة لشرح شروط معرفة أسرار المسيح والاحتفاظ بها.

**القسم الثالث: (الأصحاح السابع بأكمله).**

مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق ومطلق على خلفية ملكي صادق.

أولاً :

مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني وبالتالي ملكي صادق أيضاً،  
ومدى انطباقها على المسيح إنما بصورة فائقة

[ ١٠-١:٥ ]

أ - يتحتم أن يكون بشراً كالبشر  
متضامناً معهم ليكون رئيس كهنة لبني البشر

لماذا يجب أن يكون رئيس الكهنة مأخوذاً من الناس؟

١:٥ «لأن كلَّ رئيسِ كهنةٍ مأخوذٍ من الناس يُقام لأجلِ الناس في ما لله، لكي يقدّم  
قرايينَ وذبائحَ عن الخطايا».

«لأن كل»: πᾶς γάρ

«لأن» هنا ليست تابعة لشيء مضى تعقيباً عليه، ولكنه ابتداءً بها شرحه لفكرة رئيس الكهنة  
بحد ذاته.

و «كل» هنا تعود على كل رؤساء الكهنة في النظام الهاروني، ولكن متضمناً الأساس الذي  
قدّم عليه الشرح وهو ضرورة أن يكون رئيس الكهنة مستوعباً لِمَا يشعر به كل الذين يَكُون لهم  
أمام الله، يثن بأنينهم، وهكذا يرثي لضعفاتهم التي يتوسل من أجلها كما جاء في (١٥: ٤).

«مأخوذاً من الناس»:

علاقة طقسية ولكن في ذات الوقت لاهوتية، أن يكون رئيس الكهنة من البشر لكي يمثل البشر  
أمام الله، وهذا أمر منطقي من الجهة الروحية أيضاً: «قرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من  
بن بني إسرائيل، ليكهن لي» (خر ٢٨: ١). لأنه لا يليق ولا يوافق ولا يجوز أن يكون ملاك  
يكهن للإنسان، بل إنسان مختار من الله يكهن للإنسان أمام الله!

والآن إن كان المطلوب أو المحتم أن يكون رئيس الكهنة من الناس لكي يرثي للضعفاء كما  
جاء في الآية (١٥: ٤)، ولكي يكون قادراً أيضاً أن يترقق بالجهال والضالين كما جاء في الآية  
(٢: ٥)؛ فكفم وكم يكون المسيح، وهو قد جاء كإنسان متخذاً لنفسه اللحم والدم بكل أعوازهما  
واستهداهما للألم والمحن وفي نفس الوقت هو ابن الله، فهو حتماً سيرثي للضعفاء ويترقق بالجهال



والضالين، مضافاً إلى ذلك قدرته الفائقة أن يرفع الضعف عن الضعفاء والجثمل عن المثقلين، وعلى تخلص الضالين وإنارة قلوب الجاهلين بقدرته الفائقة ونوره العجيب!!

«يُقام لأجل الناس في ما لله»:

«يُقام»: καθίσταται

هي الكلمة الرسمية المتعارف عليها في تعيين ذوي السلطان لعمل أو وظيفة هامة. والآن إن كان يتحتم أن يُقام إنسان ما بواسطة هيئة تمثل الجماعة لكي يكون له هيئة السلطان لأجل الناس، فمفهوم الكهنة يحتاج أن تكون هذه الجماعة التي ستقيمها موكلّة من الله لكي تقيم هذا الإنسان ليكون له الهيبة والحق أن يكهن لأجل الناس في ما لله.

ولكن الآن، والمسيح مطلوب منه أن يكهن عن البشرية كلها، ولا يوجد من يمثل البشرية كلها لدى الله إلا الابن، لذلك لزم أن يتجسد الابن نفسه ويصير إنساناً ليكون لأجل الناس فيما لله.

«لكي يقدم قربان وذبائح عن الخطايا»:

«يقدم»: προσφέρη

كلمة طقسية معددة تصف «رفع» القربان أو الذبيحة «أمام» الله، وعن الإنسان. وقد استخدمها بولس الرسول في هذه الرسالة فقط ولم يستخدمها في أي من رسائله الأخرى قط. وقد جاءت الكلمة في هذه الرسالة ١٩ مرة متلاحقة وذلك لتخصيص هذه الرسالة في تحديد وظيفة المسيح كرئيس كهنة منوط به «تقديم» أعظم ذبيحة في العالم التي تستقطب كل الذبائح والقربان.

«قربان وذبائح»: δῶρα τε καὶ θυσίας

القربان δῶρα هي ما يختص بتقدمات مصنوعة من دقيق، وذبائح من الحيوانات. والقصد المباشر هنا هو جمع كل الخطايا معاً التي يقدم عنها التوسل إلى الله. والبدع هنا حقاً أن هذه الآية المحبوبة لغة والمُحكّمة طقساً ولاهوتاً، تجمع ذبيحة المسيح على مستوى الجسد — ذبائح — وعلى مستوى الخبز والخمر — قربان — بأن واحد. لهذا نقول، إنه بإبداع ووعي قدّم ذكر القربان (على مستوى الخبز والخمر) على ذكر الذبائح (على مستوى الجسد المذبوب)، كما تقدّم سر العشاء يوم الخميس على سر الذبيح على الصليب يوم الجمعة، وهما وجهها الإفخارستيا خبزاً، ودماً!! حيث هذا يتقدّم ذلك!

«عن الخطايا»: ὑπὲρ ἁμαρτιῶν

هنا نود أن نبه ذهن القارئ إلى المفارقة الخطيرة بين ما كان يقدمه رئيس الكهنة في الطقس اللاوي الماروني من الذبائح «عن الخطايا»، وما قدمه المسيح بجسده على الصليب «عن الخطايا». الأمر الذي لم ينتبه إليه كثير من الشراح والمفسرين، لمزيد من الأسف والعجب معاً! وهو أن رئيس كهنة اليهود كان يقدم الذبائح الحيوانية عن خطايا السهو فقط، ومرة أخرى نقول عن خطايا السهو فقط<sup>(١)</sup>، لأن خطايا العمد ضد الله أو الناموس لم يكن لها ذبيحة على الإطلاق بل الموت المحتّم وبلا رحمة!!

+ «مَنْ خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة.» (عب ١٠: ٢٨)  
 + «وأما النفس التي تعمل بيد ربيعة (عمداً) من الوطنيين أو من الغرباء فهي تزدري بالرب، فتُقطع تلك النفس من بين شعبها. لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته. قطعاً تُقطع تلك النفس. ذنبها عليها.» (عد ١٥: ٣٠ و٣١)

أما ذبيحة المسيح بتقديم جسده على الصليب فهي تختص بكافة خطايا الإنسان، والعمد بالدرجة الأولى، لذلك ولذلك فقط يقول بولس الرسول: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا ... ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح» (أف ٢: ٥١). فهنا «الأموات بالذنوب» يعني محكوم علينا بالموت المحتّم حيث لا قيمة لأية ذبيحة على الإطلاق بالنسبة لذنوب وخطايا العمد!

هذا الفارق الهائل بين عمل رئيس الكهنة في الطقس الموسوي بواسطة الذبائح، وبين عمل المسيح في اللاهوت المسيحي الإنجيلي بذبيحة نفسه هو فارق خطير، يرفع مستوى تكفير المسيح عن خطايا الإنسان ويجعله شيئاً لا مثيل له على الإطلاق، ولا حتى بالتشبيه في كل العهد القديم بناموسه.

لماذا يكون بشراً من بين البشر؟ لكي يكون:

٢: ٥ «قادراً أن يترقّق بالجّهالِ والصّالينِ إذ هو أيضاً مُحَاظ بالضعف».

«يترقّق»: (μετριοπαθεῖν) μετριοπαθεῖν

بحسب الترجمة الحرفية يكون معنى هذه الكلمة: «مُتَرَن في شعوره» أي «متلطف نحو»، أو

(١) انظر شرح الموضوع بتدقيق في لاويين (٥٤)، وفي كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله»،

بحسب الترجمة السريانية: «مُتَضَعٌ وَمَتَأَلَمٌ مَعَهُ» (٢).

والأصل اللغوي لهذه الكلمة هو: «μετριοπάθεια» وهي ضد «ἀπάθεια» «الآبائية»، أي عدم الإحساس أو عدم الشعور. وفي التصوف تعني فقدان التأثر بالأمور، وهي درجة تُحسب عالية بالنسبة للتخلّي عن العالم واحتقار أباطيله. وبذلك تعني الكلمة «متريوباتيا» التوسط أو الاتزان في المشاعر سواء في الحزن أو الألم أو الغضب.

ومن هنا نأتي إلى المعنى الدقيق والخطير لهذه الكلمة في هذه الآية. ونسأل لماذا كان يتوجب على رئيس الكهنة في الماضي أن يترقّق بالجهّال والضالين؟ وما معنى ذلك؟ وكيف؟ هنا أخذ الشُّرّاح والمفسرون يدورون حول المعنى دون طائل، لأن لبّ الموضوع غائب تماماً عنهم، وهو أن رئيس الكهنة إنما يرفع الذبائح عن خطايا السهو فقط، فمن هو الإنسان الذي سهو ويخطئ؟ هو إما الجاهل بالشرعية تماماً، وإما الضال الذي ضلّ من قلة المعرفة. وهنا يقف رئيس الكهنة موقفاً خطيراً للغاية من خطايا هذه الفئات من الشعب، لأنه إما يحسب خطاياهم أنها ارتكبت عمداً فيحتّم الحكم عليهم بالرجم، وإما يحتسب خطاياهم على مستوى السهو وحينئذ يقدّم الذبيحة وتُغفر خطيتهم!!

ومتى يمكن أن يحتسبها سهواً؟ هو في حالة الترفق أو الرأفة على مستوى أحكام القضاء، وبناءً عليه، فإنه عوض تقديمهم للرجم والموت يقدّم عنهم ذبيحتهم فيغفر لهم، فيحيون.

هنا «الترفق» صفة هامة وخطيرة بالنسبة لرئيس الكهنة وهي أساس عمله الكهنوتي كمقدّم ذبائح للتكفير. وهذه الصفة تنشأ فيه كأحدى المواهب التي ينالها بوضع اليد والدهن بالمسحة إن كان حقاً مدعواً من الله وليس من الناس.

إذاً، فوظيفة رئيس الكهنة تصبح فعالة على مستوى ما يتوجب على هذه الوظيفة من الترفق بالجهّال والضالين، أولاً إذا أخذ رئيس الكهنة من الشعب فيكون كواحد منهم له مشاعرهم وله ضعفاتهم، وثانياً إذا كان مدعواً من الله حتى ينال من الله نعمة الترفق بالجهّال والضالين ويسمع منه.

«هو أيضاً محاط بالضعف»: περίκειται ἀσθένειαν

الترجمة العربية صحيحة.

ويقابلها باللاتينية (فولجانا): circumdatus est infirmitate .

وفي الترجمة السريانية تأتي: «لابس الضعف»<sup>(٣)</sup>.

لذلك نجد الكلمة العكسية تماماً «للمُخاط بالضعف»، تأتي في الأصحاح (١١: ١٠) هكذا: «تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن «تنزع» = περιελεῖν الخطية».

هكذا تصوّر الكلمة الأولى الضعف أو الخطية ضاغطة من الخارج نحو الداخل والكلمة الثانية العكسية خارجة من الداخل إلى الخارج. والقصد هو أن رئيس الكهنة وهو مخاط بالضعف يستطيع أن يقدر تقديراً واقعياً مستوى الخاطيء من خطيته، إن كانت ضاغطة فوق الإرادة فتُحسب على مستوى السهو، أو أنه هو الذي يسمى إليها فيُحسب أنه اقترفها «ببد ربيعة» حسب النص في التوراة (عد ١٥: ٣٠). وهذه أخطر المعايير التي يحسب بها وجوب تقديم الذبيحة من عدمه.

والآن إذا عُدنا إلى الأصحاح (١٥: ٤) نجد أن المسيح كرئيس كهنة «قادر أن يرثي لضعفاتنا»، وهنا في الآية التي نحن بصددنا (٢: ٥): «قادر أن يترفّق بالجهّال والضالين ...». وواضح أن الأولى تختص بعلاقة وتقدير المسيح بأصل وسبب الضعف: «يرثي لضعفاتنا»، أما في الثانية فالعلاقة والتقدير هما بالنسبة لأصحاب الضعف من جهّالٍ وضالين!

أما في الحالة الأولى، فالمسيح كإنسان مجرّب بكل تجارب اللحم والدم بدون خطية، فهنا الضعف محيط به ولكن لم يدخله، يشعر بالخطايا دون أن تقتحمه. وفي الحالة الثانية، فالترفّق بالجهّال والضالين هو الاتزان في الشعور والتلطّف في الحكم من جهتهم لأنه هو الحكمة ذاتها.

في الأولى يشترك في الإحساس دون الفعل، وفي الثانية يحكم بتلطّف دون تعالٍ.

وماذا يثبت أن رئيس الكهنة في القديم كان محاطاً بالضعف؟ وهل هذا الوضع يجوز على المسيح؟

٣: ٥ «ولهذا الضّعف يَلْتَرِمُ أنه كما يقدّم عن الخطايا لأجل الشعب، هكذا أيضاً لأجل نفسه».

واضح هنا أن الذبيحة التي يقدّمها عن نفسه هي بسبب أنه محاط بالضعف وبذلك يكون عرضة أن يسقط في خطايا السهو دون أن ينتبه:

+ «ثم قال موسى لهارون (رئيس الكهنة) تقدّم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيتك وعمرتك وكفّر عن نفسك وعن الشعب واعمل قربان الشعب وكفّر عنهم كما أمر الرب ...» (٧:٩٧)

هنا يمتنع التشابه امتناعاً قاطعاً بين رئيس الكهنة الذي احتُسب ضعفه «خطية»، وبين المسيح الذي هو محاط بالضعف أيضاً ولكن دون أن يتسبب الضعف المحيط به من الخارج في خطية شخصية بأي حال من الأحوال: «مَنْ مِنْكُمْ يُكْتَنِي عَلَى خَطِيئَةٍ.» (يوا:٨:٤٦)

لهذا أصبحت ذبيحة المسيح بتقديم جسده هي ذبيحة خطايا الشعب فقط، التي حملها في جسده دون أن يتأثر بها، تمهيداً لرفعها نهائياً من على كاهل البشر إن هم آمنوا بذبيحة نفسه هذه!! وبقيامته من الموت.

لذلك نسمع في هذه الرسالة أيضاً تكرار قوله: «ذبيحة واحدة»، في حين كان رؤساء الكهنة تحمّ عليهم الكفّارة تقديم ذبيحتين: واحدة عن نفس رئيس الكهنة، والأخرى عن الشعب.

+ «وأما هذا (المسيح) فبعدما قدّم عن الخطايا ذبيحة "واحدة" جلس إلى الأبد عن يمين الله.» (عب:١٠:١٢)

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات، الذي ليس له اضطراب كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثمّ عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه. فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة، وأما كلمة القسّم التي بعد الناموس فتقيم ابناً مكتملاً إلى الأبد.» (عب:٧: ٢٦-٢٨)

ب — يلزم أن لا يعيّن نفسه  
أي لا يزكّي نفسه لهذه الرتبة بل يعيّن الله

٤: ٥ «ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون أيضاً.»

هذه هي الصفة الثانية اللازمة لرئيس الكهنة، حيث الأولى أن يكون إنساناً، والثانية أن يكون مدعو من الله.

والذي يحتم هذه الصفة الثانية كون الإنسان عامة موسوماً بالخطية، فلا يجزئ إنساناً قط أن

يقترَب من الله ليكثر عن خطية غيره وهو عليه خطية. إذا فخطوة التكفير الأولى يلزم أن تأتي بمبادرة من الله بأن يعيّن من يقترَب إليه ليكثر عن خطية الإنسان، لأن بهذا التعيين الإلهي يكون الإنسان قد تخطى أول وأكبر عقبة تعترض الكفارة وهي أهلية الاقتراب من الله.

«لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه»:

«هذه الوظيفة»: τὴν τιμὴν ، وباللاتينية: honorem .

لقد رفعتها اللغة اليونانية من مفهوم «وظيفة» إلى مفهومها السري الحقيقي «كرامة»، وهذا يؤيده ما جاء بعد ذلك مباشرة في الآية: «كذلك المسيح أيضاً لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة» (عب ٥: ٥). إذاً، فهي «وظيفة مجد» تختص بالله لا يعطيها إلاً الله، لأن الذي يُسمح له أن يقترَب إلى الله فهذا بحد ذاته «مجد له»، والإنسان لا يحق له أن يمجّد ذاته بالاقتراب من الله بل يختاره الله لخدمة المجد.

ويُلاحظ أن الآية الأولى في هذا الأصحاح الخامس بدأت بتوضيح هذه العملية الدقيقة والخطيرة، التي إما أن تسير صحيحاً فتصير خدمة رئيس الكهنة خدمة مجد الله حقاً، أو تخرج عن الحدود المرسومة. فالآية الأولى تقول: «كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس...» λαμβανόμενος . وكلمة «مأخوذ» تعني أنه حتى الشرط الأول كونه أن يكون إنساناً، يليق لرئاسة الكهنوت، يلزم أن يكون هذا الشرط قائماً أيضاً على عدم التقدّم الشخصي بل الذي يقّمه الناس، أي يلزم أن يكون رئيس الكهنة منذ أول خطوة «مأخوذاً وليس آخذاً»، مأخوذاً من الناس ومعيناً من الله.

«وكلم الرب موسى قائلاً خُذْ لَأَبِعِ هَارُونَ وَبَنِيهِ ... وَصَبَّ مِنْ دَهْنِ الْمَسْحَةِ عَلَى رَأْسِ هَارُونَ وَمَسَحَهُ لِتَقْدِيسِهِ ...» (لا ٨ : ١ و١٢). هكذا نرى أن وظيفة رئيس الكهنة هي وظيفة مجد لخدمة مجد الله، فهي عطية تُمنح من الله ولا تُغتصب: «وأما أنت (هارون) وبنيك معك فتحتفظون كهنتوتكم مع ما للمذبح وما هو داخل الحجاب وتخدمون خدمة. عطية أُعطيتُ كهنتوتكم، والأجنبي الذي يقترَب يُقتل.» (عد ١٨ : ٧)

«بل المدعو من الله»: ἀλλὰ καλούμενος

«بل المدعو»: هذه الكلمة صار لها شأن كبير في الحياة المسيحية، إذ أصبحت وفقاً على الدعوة المسيحية وذلك على مستوى «بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع...» (عب ١١ : ٨)، فالإنسان المسيحي مسيحيٌّ هو لأنه دُعي فأتباع. والدعوة المسيحية دعوة هي لأن هناك «وعداً» من الله على عهد جديد وهو وعد بميراث الحياة الأبدية:

+ «ولأجل هذا هو (المسيح) وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون ... ينالون وعد الميراث الأبدي.» (عب ٩: ١٥)

«كما هارون أيضاً»:

معروف أن هارون اتفق على أنه سيكون رئيس كهنة، وبالرغم من ذلك لم يتقدم إلى هذه الوظيفة حتى دعاه الله رسمياً. فموسى عين هارون لكي يملأ قسماً من المن ويتقدم إلى الله ويضعه في التابوت للحفظ والشهادة (خر ١٦: ٣٣)، ولكن بقي هارون كما هو لم يتقدم في أي عمل حتى دعاه الله رسمياً هناك في الأصحاح (١: ٢٨): «قرب إليك هارون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي.»

وهكذا وضع الله هارون كنموذج إلهي لما سيكون عليه المسيح، ولكنه كان نموذجاً لرئيس كهنة قُيِّدت دعوته بدعوة الشعب نفسه، — الذي لم يُطع الله، فرفض الشعب، وعُلقت دعوة كهنوت هارون، ليرتفع الكهنوت على قياس دعوة أخرى أعلى على مستوى الطاعة:

+ «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال — إذ الشعب أخذ الناموس عليه — ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يُقال على رتبة هارون» (عب ٧: ١١). لأن الشعب عصي الله ورفض، فلم يُعَد مؤهلاً أن يختار لنفسه رئيس كهنة، وبالتالي لم يُعَد رئيس كهنة على مستوى الشعب يصلح لوراثة الكهنوت وخدمته.

والآن إذ أكمل بولس الرسول الشرطين الأساسيين لقيام رئيس كهنة قانوني وهما:

أ — أن يكون من الناس الذين سيكهن لهم،

ب — أن يكون معيناً من الله بدعوة كما هارون،

يبتدئ بولس الرسول يطبق ذلك على المسيح باعتباره قد استوفى هذين الشرطين في الآيتين الاثنتين بالترتيب. ولكن يُلاحظ أنه قدّم في الشرح بعد ذلك شرح الشرط الثاني، أي أنه مدعو من الله، على الشرط الأول كونه بشراً.

٦٥: ٥ «كذلك المسيح أيضاً لم يُمجَّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له أنت أبني أنا اليوم ولذالك. كما يقول أيضاً في موضع آخر: أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.»

يقصد بهذا أن مواصفات المسيح كرئيس كهنة أعلنت وتثبتت بدعوة الله له لوراثة الكهنوت

علناً بالنبوة على فم داود النبي، الأولى بالولادة في الحالة البشرية (بالقيامة من الأموات)، والثانية بالقسم أنه دُعي وتعيّن ليكون رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق. وهاتان النبوتان هما لداود النبي ووردتا في المزمور الثاني عدد (٧)، والمزمور المائة والعاشر عدد (٤).

أما الدعوة الأولى: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، فقد سبق وأوردها بولس الرسول في الأصحاح الأول الآية الخامسة. وتفيد اختياره وهو ابن الله «أنت ابني»، ليتعيّن من خلال محنة زمنية جازها باقتدار انتهت بالقيامة من الأموات: «أنا اليوم ولدتك»، ليكون ملكاً أبدياً، كما هو وارد من روح المزمور: «أما أنا فقد مسحْتُ مَلِكِي على صهيون جبل قدسي، إني أخبر من جهة قضاء الرب (إصدار إعلان) قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك، أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مُلكاً لك.» (مز ٢: ٦-٨)

أي أنه بعد أن أكمل الابن الطاعة مما تألم به وقبِل الموت على الصليب، وقام من الأموات، استُعلنت بُنُوته الظاهرة جهاراً: «وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو ١: ٤)، ليس أن المسيح صار بالقيامة من الأموات ابناً لله، بل استُعلن وتحدّد في القضاء الإلهي المُعلن أنه ابن الله، كونه وهو إنسانٌ في ملء تجسّده أكمل الطاعة مما تألم به مؤكداً بُنُوته لله عن جدارة، ومُكتملاً بالتالي رسالته كفاً أكمل الكفارة كرئيس كهنة بذبيحة نفسه. ففي القضاء الذي تعيّن به أنه هو ابن الله — يوم القيامة من الأموات، تعيّن بالتالي وبالضرورة من واقع الكفارة التي أكملها بذبيحة نفسه أنه رئيس كهنة الله ودمه على يديه، وقد دخل إلى الأقداس العليا فوجد فداءً أبدياً. ففي هذه الآية الواحدة أعلن أن المسيح (الإنسان المسوح) هو رئيس الكهنة وابنُ الله بأن واحد.

وواضح أن يوم القيامة من الأموات بالنسبة للمسيح كان يوم استعلان مجده: «أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب» (رو ٦: ٤)، مُججداً من الآب فهو كما تقول الآية هنا: «لم يجتد نفسه ليصير رئيس كهنة» بل «وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت (مقدماً) جسده ذبيحة كرئيس كهنة) موت الصليب، لذلك رَفَعَهُ اللهُ وأعطاه اسماً فوق كل اسم ...» (في ٢: ٩و٨). علماً بأن اسم ابن الله، الذي هو أعظم وأعلى من كل اسم، يتضمّن بحسب ما أكمله بطاعته وموته وقيامته كل قيم رئيس الكهنة في أصدق وأحق مضمونه، إن في المجد أو الملكية.

والرجاء من القارئ العودة إلى شرح الآية الخامسة من الأصحاح الأول لأنه في صلب الموضوع



أما الآية الثانية التي وَرَدَ فيها بحسب نصها أن الله أَقَسَمَ: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، فهي تكمّل استعلان نبوة المسيح يوم قيامته من الأموات، أنه ارتفع ليدخل الأقداس العليا بدم نفسه محققاً قَسَمَ الله أنه تعيّن كاهناً إلى الأبد لا على طقس هارون بعد، الذي أكمل نهايته بنهاية الناموس الذي أقامه، بل على طقس كهنوت يبقى إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

«كذلك المسيح أيضاً»:

نعرف من التسلسل السابق في استخدام الأسماء بالنسبة للمسيح، أن بولس الرسول يهتم في هذه الرسالة بإبراز بشرية المسيح، ولكنه هنا يرفعها إلى مستوى «المسيح» أي الممسوح، وهي صفة اتضاع وتمجيد معاً لمن أحنى رأسه لقبول مسحة الله على يد المعمدان. وبالرغم من ذلك يقول بعد ذلك إنه «لم يمجّد نفسه»، أي لم يأخذ هذه الوظيفة المكرّمة «رئيس الكهنة» بنفسه بالرغم من تحديد عمله رسمياً بالمسحة، فهو لا يقول أن يسوع لم يمجّد نفسه حيث يكون هذا طبيعياً، ولكنه يقول إن المسيح لم يمجّد نفسه. هنا الالتزام الدقيق بتوقير واحترام دعوة الله!!

«لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة»:

هذه الجملة تأتي بنوع من الاختصار والشرح معاً للجملة الأساسية: «ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة (الكرامة أو المجد) بنفسه»، مع أن تحديد اسم الرب هنا «بالمسيح» أو الممسوح يفيد أنه استعلن في كمال شخصه لائقاً لرئاسة الكهنوت والملوكية أيضاً، بل وكونه إنساناً بلا خطية واحدة، فكان يحق له كل الحق أن يتقدّم إلى الله بتزكية حياته وسيرته، ولكنه امتنع، إلى أن يقبل الدعوة رسمياً من الله أن يتقدّم إلى الله كاهن الإنسان من أجل الإنسانية الخاطئة. وفي هذا اسمها من فمه حينما يقول:

+ «أجاب يسوع إن كنت أمجّد نفسي فليس مجدي شيئاً، أبي هو الذي يمجّدني الذي

تقولون أنتم إنه إلهكم.» (يو: ٨: ٥٤)

+ «إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا همجّد فثاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم

وأنكرتموه...» (أع: ٣: ١٣)

ولكن لينتبه القارىء، فهذا المجد الذي مجّده به أبوه ليس جديداً على كرامته، ولا هو منحة تُطرح عليه، بل هو هو مجده الذي تحلّى عنه ليصير ابن بشر وليليق أن يكون رئيس كهنة من بين الناس!! فهو حينما أكمل الرسالة وأكمل كل واجبات رئيس الكهنة، كشف عن اتضاعه وأعلن

سابق إخلائه وأوضح مجد لاهوته: «والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم.» (يو١٧: ٥)

«بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتك»:

هذا هو منطوق النبوة على فم داود التي فيها يخاطب الله «المسيح»، بعد أن أكمل الطاعة الواجبة على الابن حال تجسده، بقوله كل ما وُضع عليه من الآلام حتى الموت، وهو بآن واحد يقيمه من الأموات بمجده الذاتي قائلاً له: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»؛ حيث التشديد واضح للغاية في تفرّد «أنا، وأنت» لتحديد العلاقة التي كانت مخفية كل الدهور السالفة وأعلنت يوم قيامته من الأموات في قضاء نطق الله متعيّناً أنه هو ابن الله. وهكذا إذ لم يتقدّم الابن سابقاً قط حال تجسده أن يأخذ هذه الوظيفة بنفسه، منتظراً نُطق الآب، نطقها الآب جهاراً في اليوم المعين والمعهود لتُستعلن فيه بركة الله الموعودة لإبراهيم لكل نسله الذين يؤمنون كما آمن إبراهيم بالذي يقيم من الموت! وهكذا إذ قام المسيح من الأموات وتعيّن ابناً أعطانا بقيامته هذه الهبة العجيبة أن نؤمن نحن بمن أقامه من الأموات فيُحسب لنا إيماننا بقيامته برّاً لنا (رو٤: ٢٢-٢٤)، فننال التبني من خلال إعلان وتعيين بُنوّته في هذا اليوم الخالد.

وهكذا، بهذا اليوم أكمل استعلان ليس فقط أنه ابن الله، بل واستعلان بُنوّتنا نحن أيضاً بالإيمان بمن أقامه من الأموات، والذي يشمل بالضرورة — إذ صرنا أبناءً — استعلان تكميل الكفّارة وغفران الخطايا التي أكملها من أجلنا بقيامته من الأموات. فتعيّن المسيح ابناً لله بالقيامه من الأموات هو بذاته كشف باهر لسبق تعيينه رئيس كهنة الله، تحقّق لنا من واقع تكميله الكفّارة بموته، ثم قيامته، ثم دخوله إلى الأقداس العليا بدم ذبيحته ليجد لنا فداءً أبدياً بكفّارة نفسه!

فلسان حال دخول المسيح إلى الأقداس العليا ودمه عليه، أن اليوم أكملت نبوة داود: «أقسّم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق...» (مز١١٠: ٤). وحيثنذ، وبجدارة الكفّارة التي صنعها المسيح بدمه على الصليب جلس، وجلست البشرية معه وفيه عن يمين العرش، ليملك بل ليشفع في هذه البشرية التي تبناها لنفسه إلى أبد الأبد.

وهنا يكون ق. بولس قد بلغ منتهى قصده من توضيح تحقيق البند الثاني في مواصفات لياقة رئيس الكهنة أنه لم يأخذ هذه الوظيفة بنفسه!!

## عودة إلى شرح البند الأول (أ):

لقد سبب تقديم شرح البند الثاني لشروط صدق تعيين رئيس الكهنة على البند الأول ارتباكاً كبيراً في فهم هذا الجزء من الأصحاح. ولكن بعد توضيح هذا التقديم والتأخير، يسهل على القارئ العزيز أن يمسك بتسلسل الشرح في سهولة.

٦:٥ « كما يقول أيضاً في موضع آخر أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ».

« كما »: καθὼς καὶ

ترجمتها الصحيحة: «على هذا المنوال كذلك». فهنا القول: «أنت كاهن إلى الأبد» هو على مستوى القول السابق أو مكمل له: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، بمعنى أن استعلان بنوة المسيح بالقيامة من الأموات نجد له صدى يكمله في مزمور آخر يقول: أنت كاهن إلى الأبد. باعتبار أن وظيفة مجد الكهنوت هي مُتضمنة داخل مجد الابن. والمعنى الكلي كما يراه العالم وستكوت<sup>(٤)</sup> هو أن الآب مَجْد الابن ليصير رئيس كهنة، بمعنى أن تجيد الآب للابن ليس هو مجرد استنتاج ولكنه تحديد بعمل له مجد.

ولو رجعنا للمزمور (١١٠) الذي استقى منه ق. بولس هذه الآية، نجد أنه يقدم المسيح على ثلاثة أوجه.

+ « قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك، يُرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك، شعبك مُنتدب في يوم قوتك، في زينة مقدسة، من رَحِم الفجر لك ظلُّ حدثتك، أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً، يدين بين الأمم، ملأ جثثاً أرضاً واسعة سحق رؤوسها، من النهر يشرب في الطريق لذلك يرفع الرأس. » (مز ١١٠: ١-٧)

الوجه الأول: يحدده المزمور كملك: الآيات (١-٣).

الوجه الثاني: يقدمه كاهناً: الآية (٤).

الوجه الثالث: كمحارب: الآيات (٥-٧).

وعلى كل حال فإن هذا المزموّر يستخدمه كاتبو الأسفار المقدسة في العهد الجديد ليوضحوا على ضوءه ملامح شخصية المسيح كالآتي:

أولاً: بنوّة المسيح لله وربوبيته ونصرته:

كما جاء في إنجيل متى (٤٢: ٢٢-٤٤) هكذا: «قائلاً ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود، قال لهم: فكيف يدعو داود بالروح «رباً» قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني».

كذلك كما جاء في الرسالة إلى أهل كورنثوس الأولى: «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.» (١ كو ١٥: ٢٥)

وكذلك في الرسالة إلى العبرانيين (١٠: ١٢) وبعدها.

ثانياً: تقديم المسيح المرتفع فوق أعلى السموات والجالس عن يمين الله:

هكذا: «لأن داود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني» (أع ٢: ٣٤)، كذلك سفر العبرانيين (١: ١٣). ومن هنا جاءت كل المواقف والمواضع التي قيل فيها إن المسيح جلس عن يمين الآب أو يمين العظمة في السموات أو يمين القوة كما قالها المسيح نفسه: «وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة...» (مت ٢٦: ٦٤)

«ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله.» (مر ١٦: ١٩)

ثالثاً: توضيح كهنوت المسيح:

كما جاء في هذه الرسالة (٥: ١٠): «مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق». وفي الأصحاح السادس: «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد» (٦: ٢) كذلك: «لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (٧: ١٧)

«على (طقس) رتبة ملكي صادق»: κατὰ τὴν τάξιν

وباللاتينية (فولجاتا): secundum ordinem حيث كلمة «طقس» تعني «نظام أو وضع». ولكن ما هو طقس ملكي صادق الذي شغله المسيح بالتمام؟ هنا يقدم لنا العالم وستكوت(\*) عن أحد الأساقفة العلماء الأفارقة المدعو بريميبيوس

Primasius (أسقف Hadrumatum وهي سوسة الحالية في تونس بعد سنة ٥٥٣ م.) توضيحاً مفضلاً مختصراً عن ملامح طقس ملكي صادق في مقابل الكهنوت اللاوي؛ التي حققها المسيح كرئيس كهنة:

- ١ - ليس بتقديم ذبائح دموية من عجول وماعز، ولكن بتقديم خبز وخر لتتجاوب مع جسد المسيح ودمه، أما الذبائح الدموية فزالت من الوجود، أما هذه التقدمة من الخبز والخمر المحمولة على الجسد والدم فباقية أمامنا وإلى الأبد.
- ٢ - ملكي صادق جمع الملوكية مع كرامة ومجد الكهنوت، وقد مُسِّحَ ولكن ليس بمسحة زيت بل بالروح القدس.
- ٣ - ملكي صادق ظهر مرة واحدة في مجد ومهابة كهنوته، هكذا المسيح قدّم نفسه مرة واحدة على الصليب فوق مسرح الحياة.

يضاف إلى ذلك عدم ورود تسلسل كهنوتي انتهى إليه ملكي صادق، بل كما ظهر ملكي صادق بكهنوت سابق على الكهنوت اللاوي ومنفصلاً عنه ومتفوقاً عليه، إذ أن سبط لاوي الذي كان في صُلب إبراهيم قدّم لكهنوت ملكي صادق واجبات الكرامة من العشور في كل شيء، والعشور تنتهي بحسب الفكر اللاهوتي ليس عند من يستلمها بل إلى الله: «هاتوا جميع العشور... وجربوني بهذا قال رب الجنود» (مل ٣: ١٠)؛ وهكذا وقف كهنوت «لاوي» في صُلب إبراهيم منحنيًا أمام كهنوت ملكي صادق كما إلى الله! كتهليل يوحنا المعمدان وهو في بطن أمه لصوت العذراء.

كذلك كما أن ملكي صادق ظهر غريباً عن إبراهيم، فهو ليس كاهناً يهودياً، ولم يكن على اليهود، ولكنه أعطى البركة لإبراهيم لتستقر على كل الشعوب والأمم عبر المسيح؛ هكذا وضع في الرب أنه استعلن كاهناً ليس على جنس دون جنس بل كاهن البشرية جمعاء التي أخذ جسدها ليكون لها أمام الله أبيه.

وكما كان إبراهيم بالنسبة لعهد الله مع إسرائيل والأمم؛ هكذا كان ملكي صادق بالنسبة لكهنوت الله. أما إبراهيم فذهب أن يكون المسيح من نسله؛ أما ملكي صادق فتكرّم أن يكون المسيح على طقسه. وكما لم يكن بعد ملكي صادق ملكاً أو كاهنً من صُلبه؛ كذلك المسيح، إذ صرنا كلنا بعده ومن صليبه ملوكاً وكهنة!!

« كاهن إلى الأبد » : εἰς τὸν αἰῶνα

المسيح لم يتدرج في الكهنوت، ولم يكن له سابق يأخذ منه ولا لاحق يأخذ عنه، بل استلم الكهنوت « كرئيس »، ليس على أحد، بل من أجل كل أحد، من أجل كل البشرية فيما كانت عليه وفيما آلت إليه وفيما ستكون. « فرناسته » ليست مهنية بل وُلد لها : « لهذا قد ولدتُ أنا، ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق » (يو ١٨ : ٣٧)، ولا هي زمنية فقد كانت قائمة فيه عندما دخل إلى العالم لأنه أخذ الجسد لحسابها ليكتمل مقاصدها الأزلية. لذلك بقي كهنوته فيه كما كان فيه، لم يتغيّر ولن يُحُول ؛ كهنوت يحمل دم ذبيحته عليه إلى أبد الأبد : « ورأيتُ فإذا في وسط العرش ... خروف قائم كأنه مذبح ... » (رؤ ٥ : ٦)

وهولما مارس كهنوته برئاسة ومجد ودخل إلى الأقداس العليا بدمه، صنع ذلك لتكميل الكفارة، لا كأنه فعل زمني أو عمل يستهلكه الزمن، بل فعلٌ أبديّ، فكفارته قائمة فعالة تعلق على الزمن باقية بقاءه هو، فقد ارتأى الابن الأزلي أن يلتحف بدم ذبيحته ليبقى كاهناً ويبقى مخلصاً وفادياً، بقاءً هو بقاءه الأزلي، فهو لن ينفض دمه من عليه ولن يخلع تاج كهنوته، لأنه بهما أقام العهد معنا، وعهده أبديّ هو.

ألم يدخل، بجروحه في يديه ورجليه وجنبه، إلى السماء ليتراءى أمام أبيه كرئيس كهنة أكمل كفارته، وهل الذي يدخل السماء يعود فيتغيّر، أو هو قادر أن يتخلّى عن مجده؟ ألم نقل أن كهنوته وظيفته مجد؟ وألم يقل الكتاب عنه قبل الصليب : « لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد » (يو ٧ : ٣٩)؟ فهل بعد ما تمجّد ينفض عنه المجد؟ اسمع ما يقوله هذا السفر المبارك :

+ « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً. »  
(عب ٩ : ١٢)

+ « فكلم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلني قدّم نفسه لله بلا عيب ... » (عب ٩ : ١٤)  
+ « وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي. »  
(عب ١٣ : ٢٠)

أمّا بالنسبة له، فأعماله أزلية هي، كفارته كانت مرة واحدة من داخل الزمن، ولكنها احتوت الزمن لتدوم دوام الأبد. أمّا لنا، فكفارته تتبّلها من خلال الزمن، وتبقى لنا ما بقينا تحت جريان الأيام وكرّ السنين. أعماله لا تتكرر، فهي بطبيعة الخلود معمولة، فحالما عملت تبقى تعمل إلى أبد الأبد : « أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. » (يو ٥ : ١٧)

كهنوت رجال لاوي كان يلزمه التكرار لأن الموت كان يطويهم كاهناً وراء كاهن ورئيساً بعد رئيس؛ أما كاهننا الأعظم يسوع فلا يمنعه الموت عن البقاء لأن الموت لن يسود عليه، لأنه أمات الموت بموته وقام حياً إلى أبد الأبدين.

٧:٥ «الذي في أيام جسيده (كبش) إذ قَدَّمَ بصراخ شديد ودموع ظليّات وتضرّعات للقادر أن يخلّصه من الموت، وسُمِعَ له من أجل تقواه».

تأتي هذه الآية كصدمة عنيفة بلبت فكر كثير من المفسرين، وبالأكثر بسبب ورودها بعد النداء النبوي من السماء: «أنت ابني أنا اليوم ولدتك»، وبعد القسم المغلّظ من فم الله: أنت الكاهن الأبدي أمامي. ولكن هذا ما قصده كاتب الرسالة واعتنى أن يُبرزه بهذه المفارقة الصارخة المُبكية!! لأن المجد الذي ارتفع إليه الابن والكهنوت الأبدي الذي استوى على عرشه السماوي لم يأت كمنحة أو كما من فراغ، بل قصد ق. بولس قصداً أن يُبرز ويُعين في الإبراز، أنه عن ألم وآلام وعن إهانة ومهانة وفضيحة وعار، وإن لم تأبه بها قلوب رؤساء الكهنة وأتباعهم الذين وقفوا يعاينون مأساة وعنة ابن الله بقلوب الوحوش الكواسر، وهم يمزقون جسده ويدوسون كرامته كإنسان حتى العُري والعار ودفن الجسد بالمسار. فهل تستكثر يا قارئ العزيز أن يصرخ ويزيد وبصراخ شديد ويكي بدموع وأنين مسموع وتأوهات تكسر القلب، ناظراً إلى فوق، أن ينقذه من وعد بإنقاذه من أيدي الظالمين.

وهنا تزوغ نفسه في سكرات الموت، وتداومه سكتة القلب، ليتوقف القلب القدوس عن نبضات الحياة ليستم الفداء!! بل كيف نطيق أو نفهم أن مثل ضربات السياط التسع والثلاثين الموجعة التي مزقت ظهره تنهال عليه وهو صامت أو مبتسم؟ هل يمكن؟ هل يُعقل؟ هل يصدّق؟ إن لم يكن المسيح بجسد خيالي — كما يقول المرابطة — وبيالغون في المرطقة فيقولون إنه حتى على الصليب كان يضحك!! إن كان المسيح إنساناً كامل الأحاسيس والشعور، وقد كان، فكل ضربة كان يقابلها حتماً أنين، وإن تكررت يقابلها بالضرورة تأوه، وإن زادت فلها بكل يقين شديد الصراخ، وإن بلغت العنف — وقد بلغت حتى الموت — تسيل الدموع بلا ضابط. وأي إنسان — وهو كان أنبل إنسان — يأتيه الموت كغادر ولا يطلب منه الخلاص؟ ثم أيّ تقيّ — وهو كان أتقى الأتقياء — يتضرع ولا يُسمع له من أجل تقواه؟

إن هذه الآية البليغة هي أبلغ آية في توقيع أوصاف البشرية على المسيح كتوقيع سيمفونية إلهية رائعة الأنغام والوقفات لكي يُسمع في نهايتها هُتاف المجد!! إن هذه الصرخات هي أصلاً وفي

الحقيقة صرخاتنا<sup>(٦)</sup> التي صرخها من أجلنا، والدموع هي دموعنا وقد كان يبكي من أجلنا، والتوسلات هي توسلاتنا توسلها باسمنا. لأنه ابن الله، فقد صمّم أن يحمل كل أوجاعنا، فتحملها في جسده الذي هو أصلاً جسداً الذي لبسه عليه ليظهره كإنسان خاطيء أمام الله أبيه لينال تعطفاته عن جنسنا، هذا البشري الذي بلغ الذك بين الأجناس!! فنال، وسُمع له فسمع لنا<sup>(٧)</sup>، وصرنا به أتقياء!! وفيه أبناء.

ولكن عجبني على قوم ومفسرين يستكثرون على المسيح الصراخ وهو مذبح على الصليب!! كيف لا يزداد الصراخ على ضرب المسامير في الجسد الغضّ ضربة بضربة، وبصرخة تلو صرخة، وهل قُدّ جسده من حديد؟ حتى الحديد إذا دُقّ فيه فله صدى الدق بما يساوي الدق أو يزيد!! وحين علّق الجسد بمسمار على خشبة وانحلت أوصاله وتقطعت أوتاره ألا يصاحبه الأنين؟ وأي نزيف ينزف والقلب لا يخفق، والدوار لا يلثمه ومعه الأنين المكتوم؟

ألا لأن الإنجيل صمّت وحبّس أنفاسه حتى لا يوقنا في المشهد ذاته فنفقد الصواب، ويداهمنا الدوار وربما الصراخ! فصدّقنا الرواية كأنه صُلب في صمت، وتقطعت شرايينه ونزف دماؤه في سكون، كمن يتفرّج على صاليه من علي؟ هل نحن دوسيتيون<sup>(٨)</sup>!!

ولما جاءنا ق. بولس بهذه الرسالة يكشف طرفاً قليلاً وقليلاً للغاية عما حدث من على بُعد، جزعنا وتمنينا منه الصمت كرامة للألوهية، مع أنه صمّم أن يبلغنا الرسالة أنه تألم بالحق وفعلاً تألم، بكل ملاسبات الألم من مشاعر وتعبيرات أثبتت صدق الألم بل نبّله بل مجده! وحقيقة موته وبالتالي حقيقة ثمن الخلاص الذي دُفع لأجل خلاصنا. فعلينا أن لا نستكثر صراخه ودموعه بل بالحري نقدّسها ونكرّمها: «وبخبره شُفينا ... والرب وضع عليه إثم جميعنا.» (إش ٥٣ : ٦ و٥)

(٦) يقول القديس كيرلس الكبير تعليقاً على هذه الآية:

[ نحن الذين كنا فيه — كما في مبدؤ ثابن جنسنا — نصلي بصراخ شديد ودموع ونطلب أن يُظلل سلطان الموت ] .

P.G. 76, 1392 A

[ لقد بكى بشرياً لكي يجفف دموعك ... وقدم طلبات وتضرعات للآب لكي يجعل أذن الآب صاغية لصلواتك أنت ]

أيضاً . [ P.G. 76, 441 ]

(٧) [ لكي يجعل صلواتنا نحن أيضاً تصير مقبولة لدى الآب، لذلك قد وضع بنفسه بداية جديدة لفعل الصلاة، لكي يستعمل

بذلك أذن الآب لصراخ الطبيعة البشرية. ] القديس كيرلس الكبير P.G. 76, 1392 A

(٨) الدوسيتية هرطقة ظهرت في القرن الأول، وادّعت أن جسد المسيح كان خيالياً ولم يكن حقيقياً .



«الذي في أيام جسده»:

«الذي»: δς

اسم صلة يربط بين ما قيل عن المسيح في الآية (٥) أنه «لم يمجّد نفسه»، وهو الشرط الثاني لصدق وظيفة رئيس الكهنة أنها من الله. وهنا يزيد عليها الشرط الأول أنه إنسان أخذ من بين إخوته حسب الشرط الواجب أتباعه في تعيين رئيس الكهنة.

«في أيام جسده»:

ترجمة حرفية من اليونانية، ترجمتها اللغة السريانية: «كان مذبذباً بالجسد»، وهو الشرط الأساسي ليُحسب بشراً سوياً. والقصد طبعاً هو تحديد حياة المسيح على الأرض حيث الجسد موطن الضعف؛ هكذا صار في وضع مماثل لنا تماماً بحسب طبيعتنا البشرية وهو في زمن الاستعداد لتقبّل دعوة الكهنوت. وذلك في مقارنة، بعد تكميله شروط الدعوة «في أيام جسده»، في مقابل يوم «تعيّن ابن الله بقوة... بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤)، واكتمال استعلان كرتيس كهنة بآن واحد.

وهكذا سنجد أنه في أيام جسده أكمل كل ما للبشر ما يُحسب أنه ضعف البشرية، مع أن «جسده» كان غير قابل للفساد، الأمر الذي اكتشفته البشرية بعد قيامته من الأموات بجسده هو هو وجروحه عليه.

ولنا في قوله «أيام» جسده» مدخل لتتحسس من هذا التعبير أن أيام جسده كانت فترة زمنية محدودة وقليلة تُغاير تماماً من حيث الجوهر ما جاء بعد هذه «الأيام». اسمع ما يقوله القديس متى عن هذا الذي صار له بعد هذه الأيام التي قضاها تحت ثقل الجسد:

+ «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفِعْ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ ... وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.» (مت٢٨: ١٨ و٢٠)

«قَدَّمَ بِصَرَاحٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرَعَاتٍ»:

هناك مَنْ يَقُولُ أَنْ ق. بولس هنا يصف محنة جثسيماني<sup>(١)</sup> وصلاته المطولة المتكررة وسجوده وعرقه المتصبّب كالدم والنفس الحزينة حتى الموت بحسب الأناجيل، ولكن هذا القول مردودٌ عليه، وإلاً كيف سمع الله له «من أجل تقواه» في طلبه أن تجوز عنه الكأس؟

ولكن بحسب هذه الرسالة نجد أن قوله: «في أيام جسده» تمنع تحديد الصراخ والدموع بفترة معينة، فهنا يكون نظر ق. بولس متجهاً مباشرة نحو بشرية المسيح في صراخها الطويل مع أعداء الإنسان الذين صبوا جام غضبهم عليه مجاناً فيما قبل الصليب وعلى الصليب أيضاً.

وإذا رجعنا إلى الأناجيل نجد هذه الآية موزعة على مواقف عدّة، فنحن نسمع أن المسيح صرخ بصوت عظيم أمام قبر لعازر وبكى أيضاً ودمعت عيناه، وفي جثسيماني صلى طويلاً وحزيناً وسجد وسجد كثيراً وكرّر الصلاة والسجود ولا شك أنه تحلّل ذلك صراخ ودموع. كذلك نسمع أنه طلب وطلب أن «تجوز عنه الكأس» بمعنى أن يُنقذ من الموت نفسه وذلك بتعبير الرسالة إلى العبرانيين: «طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت». إذاً فهذه التعبيرات لا تخرج عمّا ورد في جملته عن المسيح أيام جسده في الأناجيل.

ولكن لكي يقف القارئ الموقف الواعي والصريح ويقمّم هذه المحنة التي جازها المسيح كإنسان تجرّب بكل تجارب بني الإنسان ما عدا الخطية وحدها، فعليه أن يقيس البداية والنهاية ويوازن بين ما قبل الصليب وما بعد الصليب، لأنه بقدر ما تألم المسيح تمجّد، وبقدر الهوان الذي عانى ارتفع فوق جميع السموات، وبقدر ما وقع تحت سلطان المحاكم والحكام ذُفِعَ إليه كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض. ولكن ليس هذا كل ما هو على كفتي الميزان، بل بقدر ما تألم تأهل ليُعين المتألمين، وفي الهوان الذي عانى يذكر كل من وقع في الهوان، وبقدر انحناؤه تحت سلطان القساة والبُغاة يُقيم من سقطوا تحت القسوة وتحت بُغي الباغين. ثم ألا ترى أنه من أجلنا صرخ ومن أجلنا بكى بدموع ومن أجلنا قدّم الطلبات والتضرعات المشفوعة بهذا البكاء وهذا الصراخ الشديد؟ هكذا في الأول صرخ وبكى بطلبات وتضرعات كإنسان يجوز التجربة والمحنة، وفي الثانية وقد نال السلطان كرئيس كهنة يقدم من جسده الذي ذاق المذلة والهوان وبه صرخ وبكى، نعم يقدمه — وقد أكمل به كل تجارب بني الإنسان — ذبيحة عن كل الباكين والصارخين، ويسمع طلبات المتوجّعين وينجيهم من محنة ذاقها هو بمرارتها وينقذهم من موت أدرك طوله وعمقه!

أرأيت معي يا قارئ العزيز لماذا تجرّب رئيس كهنتنا هكذا بكل تجارب بني الإنسان؟

«للقادر أن يخلصه من الموت»:

قد ترجمتها اللغة السريانية: «للقادر أن يقيمه من الموت»، وهي تحاول بذلك أن تعطي الترجمة نوعاً من الشرح الخاص. ولكن هذا يُحسب أحد المعاني وليس كلها، فالآية تحتل أن يخلصه من موت الجسد الأمر الذي يتّضح من رواية الإنجيل: «الآن نفسي قد اضطربت، وماذا أقول، أيها

الآب نجني من هذه الساعة ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧). كما يُحتمل في كلام سفر العبرانيين هنا أن يخلَّصه من الموت إلى حياة جديدة.

والذي نعلمه من كلام إنجيل ق. يوحنا في الآية أعلاه أن الله لم يمنحه الخلاص من موت الجسد ولا هو استحسنه، إنما كان ذلك اضطراب النفس البشرية من قَهْر الموت، الذي استطاع هو نفسه بموته راضياً أن يقهر سلطانه إلى الأبد.

ولكن الآية باليونانية فيها: «يخلَّصه من الموت  $\sigma\phi\zeta\epsilon\upsilon\upsilon \epsilon\kappa \theta\alpha\nu\acute{\alpha}\tau\omicron\upsilon$ »، وبذلك تميل أكثر إلى المعنى الذي ترجمت به اللغة السريانية هذه الآية أي يخلَّصه خارج الموت أي بالقيامة وليس يخلَّصه من الموت نفسه بالجسد. وهذا هو الاحتمال الأكثر لياقة في فهم فكر المسيح الذي هو نفسه يقول: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلَّص ما قد هلك» (لو ١٩: ١٠)، أي يخرجهم من عقوبة الموت بعد أن جازوها. وبحسب رأي العلامة أتريدج أنه لو كان القصد أن يخلَّصه من موت الجسد للزم أن يكون الحرف «من» الموت ليس  $\epsilon\kappa$  بل  $\alpha\pi\acute{o}$  (١٠).

وواضح أن سفر العبرانيين هنا متأثر بالمزامير وهذه لغة المزامير في الخلاص من الموت: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليك. لأنك أنقذت نفسي من الموت  $\epsilon\kappa \theta\alpha\nu\acute{\alpha}\tau\omicron\upsilon$  ... أسلك قدام الرب في أرض الأحياء» (مز ١١٦: ٧-٩). ومعروف أن هذا المزمور نبوءة عن قيامة المسيح من الأموات بانتصار، والشكر هنا مقدّم بلسان المسيح أن الله أنقذه من الموت بالقيامة.

هذا يردده هوشع النبي بإحكام، ونقرأه هكذا: «من يد الهاوية أفديهم من الموت  $\epsilon\kappa \theta\alpha\nu\acute{\alpha}\tau\omicron\upsilon$  أخلَّصهم، أين عقوبتك يا موت أين شوكتك يا هاوية» (هو ١٣: ١٤)، وكلمة «عقوبتك» هي عن السبعينية.

ولكن الأكثر إجماعاً بأن طلبه المسيح في سفر العبرانيين لينقذه الله من الموت هي الخلاص من البقاء في الموت، هي أنها نفس طلبه المسيح في الأصحاح ١٧ من إنجيل القديس يوحنا: «ولست أنا بعد في العالم وأما هؤلاء فهم في العالم وأنا آتي إليك» (يو ١٧: ١١). كذلك قوله عن القيامة من الموت: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته، والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يو ١٧: ٥ و٤)، بل وقوله الصريح لتلاميذه: «بعد قليل لا تبصروني ثم بعد قليل أيضاً ترونني (القيامة) لأنني ذاهب إلى الآب.» (يو ١٦: ١٦)

أما في قوله: «وسمع له من أجل تقواه»، فالاستجابة هنا واضحة أنها كانت بالقيامة من الأموات. وهذا يفسر بأبلغ بيان أن طلبته كانت ليخلصه من البقاء في الموت أي ليحييه. لأنه من المستحيل أن يكون الله قد سمع له ونجّاه من موت الجسد، لأنه مات بالفعل، وسفر العبرانيين يقول بأنه مات، وموته هو أساس الشّفَر كله لأنه موت الكفّارة والذي استعمل به أنه رئيس كهنة.

وقوله: «سمع له من أجل تقواه» هو إفادة واضحة أنه، كونه بلا خطية، فإن جسده لم يرّ فساداً بل قام من الأموات. لأن الخطية هي أساس الموت والبقاء فيه، وعدم الخطية هو الذّوس على سلطان الموت والخروج منه بمجد عظيم. لأن «عدم الخطية» هو الوصلة السرية الفائقة الدقة والمعنى بين ما فيه للبشر وما فيه للاهوت. فكونه بشراً، فإنه حتماً يموت؛ وكونه إلهاً، فإنه حتماً لا يموت. ففي هذه التّضادّة الكبرى، وبناءً عليها، مات وقام من الأموات. وهذا هو ما صار إليه حالنا بموته الكفّاري من أجلنا وبننا. فنحن كبشر حتماً نموت، ولأنه عُفرت خطايانا غفراناً مُبيناً بكفارة قادرة مقتدرة بذبيحة المسيح فلا بد أن نقوم قيامة الصلاح للميراث المعدّ.

«وسمع له من أجل تقواه»:

«تقواه»: باليونانية = εὐλαβείας ، وباللاتينية (فولجانا) = reverentia ، وهي تأتي باليونانية بمعنى «مخافة الله».

توجد عند الله صلاة لا بد أن تُستجاب وهذه هي نموذج الصلاة المستجابة، فلو جمعنا مفردات هذه الصلاة العجيبة التي قدّمها الرب يسوع في حياته لوجدناها كالاتي:

طلبات (كثيرة)، وتضرعات (كثيرة)، بصراخ شديد ودموع غزيرة، تسندها تقواه!! فبلغت أسماع الله ورضاه.

ليس من الضروري أن تكون استجابة الله لتضرعاته قد تَمّت في الحال، لأن الله لم يكن أبداً في عَجَلَة من رفع الضيقات عن المسيح، لأن الآب هو الذي رضي بها له: «أما الرب فُسرّ بأن يسحقه بالخرن.» (إش ٥٣: ١٠)

ولكن علينا أن نتبصّر في هذا الأمر لأن طلبات وتضرعات المسيح والرد المباشر عليها بأنها سمعت، هذا الفعل من المسيح وردّ الفعل من الله بلغا معاً النهاية الموضوعية والمرسومة أن يصير رئيس كهنة، مخلصاً وفادياً وحامل دم كفّارته على يديه؛ أليس هذا يوضّح أن صلواتنا وتضرعاتنا التي نقدّمها بصراخ شديد ودموع يسندها جهادنا في التقوى، تُسمع من خلال دم المسيح، وفي استجابتها تتم خطة الله نفسها التي اختطّها الرب يسوع بحياته وكهنوته وكفّارته؟ وكان المسيح قد وضع

النموذج الحي الذي إن طبقناه يضمن لنا بلوغ قصد الله من حياتنا أن يصير « لنا جراءة وقدم » إلى الآب به (أف ٣: ١٢) !!

لأن هنا حقيقة يبرزها لنا هذا السفر العجيب، وهي أنه بالتجسّد وبأخذ المسيح اللحم والدم ليشبه إخوته في كل شيء حدث أمر سري للغاية، وهو أن المسيح تضامن مع البشرية في مصيرها أمام الله!! الذي أسماه ق. بولس في بقية رسائله بالكنيسة التي هي جسده ونحن أعضاؤه وهو الرأس فيها، ثم الكنيسة هي عروس المسيح.

هنا في سفر العبرانيين يقول هذا القول إنما في تعبير خفي نلمحه بل نلمسه في كل آية، أن بالتجسّد دخل ابن الله في حالة تضامن عملي مع البشرية، كل ما يجوزه يجوزه بها ومعها ومن أجلها، تماماً كما خلقت هي أصلاً له وبه ومن أجله: « الكل به وله قد خلّق » (كو ١٦: ١٦) !! فالمسيح التقى مع خليقته - في تضامن فائق - لنقل البشرية مما صارت إليه من العجز إلى ما له من كمال ومجد، وذلك من واقع ارتباطه بها أصلاً أنها به وله ومن أجله خلقت. فالآن إذا نزل هو إلى هوانها، فهذا من شدة تعلّقه بها، بل ومن شدة تعلّقه به وإن لم تدر، لكي يصح ما أصابها ويعيدها إلى رتبته الأولى. وهذا هو سر قول هذا السفر:

+ « لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتها بل مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. » (عب ٤: ١٥)

فتضامن المسيح مع البشرية - بالتجسّد - جعله يحس بكل أحاسيسها وتُسعد أن يَسبر غُور أوجاعها وآلامها، بل ويتمادى في حبها: « أحبني وأسلم نفسه لأجلي » (غل ٢: ٢٠). هذا هو هتاف البشرية كلها.

وفي هذا كله يظهر المسيح كأنه محاط بالضعف، وهكذا لاق به جداً أن يكون رئيس كهنة، ولكن ضعفه لم يكن عن خطية بل حباً في أن يشارك الخطاة ليتأهل أن يكهن عنهم وبهم أمام الله!! وقد اشترك بالصدق في كل من الخطاة لكي يكون خبيراً في تقديم مسألته أمام الله، بل « ليكمّل رئيس خلاصهم بالآلام ». وهكذا تحلّت قامة المسيح بالضعف - إرادياً - فأصبح لائقاً لمجد وظيفته رئيس كهنة فيما بعد:

+ « لأنه وإن كان قد صُلب من ضعف (البشر) لكنه حي بقوة الله (كإله) ... » (٢ كو ٤: ١٣)

ويرد ق. بولس على ضعف المسيح وجهالة الصليب عند اليونان بقوله العجيب: « لأن جهالة

الله (إن جاز هذا القول) أحكم من الناس، وضعف الله (إن جاز هذا القول) أقوى من الناس» (١ كور: ٢٥). والمعنى أن الجهالة في نظر العلماء فيما عمله المسيح باسم الله هو بعينه حكمة الله في المسيح.

وما بدا على المسيح من ضعف (إرادي) باسم الله هو بعينه قوة الله، فالمسيح نفسه هو: «قوة الله وحكمة الله»!! (١ كور: ٢٤)

٨:٥ «مع كونه أبناً، تعلم الطاعة مما تألم به».

هنا استدراك بديع لقوله في الآية السابقة أنه سُمع له من أجل تقواه (أو مخافته لله)، إذ رأى أنه لا يليق بالمسيح كابن أن يسمع له الله من أجل تقواه فقط وهو «الابن»، الذي في وضعه الأزلي هو في كمال الطاعة لأبيه وغير مؤلم قط، لذلك يستدرك ويقول: «مع كونه ابناً».

ثم يستدرك مرة أخرى، أنه بالرغم من كونه «ابن»، إلا أنه وُضع تحت الطاعة ليُتقن عظمتها وكماها مما يتألم به.

والاستدراك الثالث الضمني وبنوع خفي هو أن الابن — «وهو الإله» — ولو أنه صاحب منتهى كمال الطاعة الطبيعية والإلهية للآب أبيه، إلا أنه وبالرغم من ذلك ولكي يكون لانقاً ومهيئاً أن يصير رئيس كهنة، لزم أن «يتعلم الطاعة» على مستوى البشر تلك التي لا يمكن أن يتعلمها بشر إلا بالآلام!!

هنا لا يسعنا إلا أن نقول في هذه الآية إنها تحمل فوق ظهرها نصف اللاهوت المسيحي وأكثر!!

كما أنّ في هذه الآية لفظة أخرى ذات أعماق، فهو يورد هنا صفة «الابن» في قوله: «مع كونه "ابناً"» في كيانه ووضعه الطبيعي الأزلي قبل التجسد كابن لأبيه، وهذا عمق لاهوتي صامت تمتاز به الرسالة إلى العبرانيين. فهذه الآية لا يوازها إلا ما قاله المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر "الابن" (في وضعه الطبيعي الأزلي) أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن أيضاً.» (يوه: ١٩)

وفي هذه الآية يقول ذهبي الفم :

[ لقد تعلم طاعة الله، هنا أيضاً يظهر كيف أن الآلام عظيمة النفع، وإذ قد تكتمل، يقول: إنه صار سبب خلاص للذين يطيعونه. ولكن إن كان الابن تعلم (ربح) الطاعة من آلامه، فسبباً أكثر نكون نحن، ألا ترى كيف يتكلم بطرق كثيرة بخصوص الطاعة حتى يُقنع بها أولئك (العبرانيين)... لأنه من الأمور التي تألم بها تعلم على الدوام أن يطيع الله. وإذ قد «صار مُكتملاً» بالآلام، فهذا هو الكمال. وهكذا تحتم علينا أن نحذو هذا المثال عينه لكي نبلغ الكمال. لأنه لم يخلص هو فقط، ولكنه صار للآخرين مصدر خلاص متكاثر: «وإذ كُتِل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.» (١١)

وهنا نستطيع أن نلمح من كلام ذهبي الفم أنه أراد أن يعبر عن المسيح بلغة سفر العبرانيين أنه إذ صار رئيس كهنة لانقاً بهذه الوظيفة العظمى في وضعها الإلهي والبشري معاً، يستطيع أن يُطبّق فينا ومعنا منهجه العجيب في استخدام الآلام كوسيلة عظيمة المنفعة في إظهار «طاعتنا لله»، بل تكميل قاهمتنا في قامته التي تكتملت بالآلام، التي بها بلغ وهو في أيام جسده وبجسده البشري هذا نفس مستوى الابن الأزلي في كمال طاعته الإلهية للآب قبل التجسد! وبهذا أصبح لنا الكفاءة والدالة والحق معاً — بعد أن أكمل طاعته بالآلام — أن يقدمنا إلى أبيه كأبناء، إن نحن قَبِلْنَا معه وفيه وبه خضوعنا للآلام عينها بطاعة جميلة مذعنة كطاعته للآب حتى الصليب. وهذا اختزله بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية بقوله: «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو١٧: ٨).

ولكن الإضافة التي أضافها هنا في سفر العبرانيين هي أنه بصفته رئيس كهنة وقد أكمل منهج الطاعة لله باحتمال الآلام حتى الموت موت الصليب، صار له القوة والقدرة والكفاءة أن يسلمنا قوة وقدرة وكفاءة هذه الطاعة عينها إن تمسكنا به إلى النهاية. بمعنى أننا الآن لا نواجه الآلام وحدنا أو نحتمل الضيقات والمذلات وحدنا، وإلا فمستحيل علينا أن نصبر أو نغلب؛ بل إن لنا رئيس كهنة نال من الله حق الدخول معنا إلى منتهى عمق الآلام والضيقات والمذلات ليحملها معنا ككتف بكتف، هذه هي أخص خصائص رئيس الكهنة الذي يكهن لنا وبننا فيما لله. هذا هو تكرار هذه الرسالة الذي لا يمل، أن «لنا رئيس كهنة قادر أن يرثي لضعفاتنا»، وكذلك «رئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يكفّر (بجسده) خطايا الشعب، لأنه فيما هو قد تألم مجرباً، يقدر أن يعين المجربين.» (عب ٢: ١٧ و١٨)

هذه القدرة ليست نظرية أو صفة كامنة فيه، بل هذه القدرة نالها بطاعته تحت الآلام حتى الكمال من أجلنا، لكي يعمل بها فينا ليجعلنا قادرين مثله أن نطيع تحت الآلام عينها لنبلغ بها كماله الذي ناله لحسابنا. وبالاختصار الشديد وبحسب روح الرسالة إلى العبرانيين، فنحن لا يمكن أن نتألم إلا بتدبير الله لتكميل طاعتنا له ولبلوغ كمالنا المسيحي الذي يرضيه. فكل ألم نجوزه يتحتم أن يكون جزءاً حياً من طاعتنا، وبهذا يصبح درجة من درجات كمالنا المسيحي الذي من أجله نعيش الآن! كذلك فيستحيل علينا كمؤمنين أن نجوز الآلام بدون تدخل سرّي من المسيح ليرفع من قدراتنا للاحتمال والصبر، فهذا عمله الأساسي كرئيس كهنة لنا وشفيع.

وهذا هو الذي عبّر عنه بطرس الرسول إنما بصورة وعظ وعزاء بقوله: «إن كنتم تتألمون — عاملين الخير — فتصبرون فهذا فضل عند الله، لأنكم لهذا دُعيتُمْ، فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته.» (١بط ٢: ٢٠ و٢١)

وهنا ينبغي أن نذكر القارئ أن الآلام التي كان يعانها هؤلاء العبرانيون والتي تسببت في زعزعة إيمانهم ومحاولتهم الإفلات من نير المسيح للعودة إلى نير الناموس، الآن قد أقتنعهم بولس الرسول أنه بهذه الآلام عينها تكمل طاعتهم لله كالمسيح، وبالمسيح؛ بل ويبلغون الكمال المسيحي الذي يضمن لهم الخلاص الأبدي.

فهل نقتنع ونؤمن أن الآلام التي نجوزها هي اختبار طاعتنا لله؟ والطريق المرسوم لنوال الكمال المسيحي؟

١٠:٥ «وإذ كُتِلَ صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.»

«وإذ كُتِلَ»: και τελειωθείς

هذا الكمال الذي بلغه المسيح تحت قيادة الآب من داخل التجارب والآلام، له وجهان، وجه يختص بالإنسان ووجه يختص بالله. فالكمال من وجهة نظر إنسانية يُرى بوضوح في ذبيحة الصليب التي أكملها المسيح من أجل خلاص الإنسان، فهذا هو منتهى الكمال الذي انتهى إلى الخلاص الذي يرنو إليه الإنسان، وقد بلغه محققاً على الصليب. أما الكمال من الوجه الإلهي من جهة الله فهو ارتفاع المسيح إلى أعلى السموات وجلوسه عن يمين الآب في كمال المجد، الذي يستعلن منتهى نجاح الابن في تكميل المهمة العظمى التي ألقاها الله عليه.



« صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي »:

« صار »: ἔγνετο

كلمة « صار » هنا تعبر عن دخول المسيح في حالة جديدة تماماً ذات فعالية فائقة، فنحن نعرف أن الابن أولاً « صار جسداً » (يو: ١٤: ١). وهكذا حاز الابن على حالة جديدة بشرية أعطته فعالية مقتدرة لتحمل الآلام والطاعة حتى الموت على الصليب.

أما « صار » الثانية فهي نتيجة احتمال الآلام حتى الموت وقد أكمل الطاعة حتى منتهائها، وبذلك حاز الابن على حالة جديدة ذات قدرات عالية جداً لخلاص الإنسان بسبب الآلام والموت الذي جاز به على الصليب، إذ حسب أنه صاحب الكفارة، أي رئيس كهنة له الكفاءة بذبيحة نفسه أن يكفر عن كل خطايا الإنسان، أي أنه صار سبب خلاص أبدي.

هنا كلمة « خلاص أبدي » لها رنين مواز لكلمة « حياة أبدية »، حيث الخلاص الأبدي هنا يرد على الخلاص الزمني والجسدي الذي صنعه موسى للشعب في مصر من سُخرة فرعون.

١٠ : ٥ « مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق ».

هذا التقرير النهائي، أن المسيح صار مدعواً من الله رئيس كهنة، هو حصيلة الآيات السابقة أنه لم يمجّد نفسه ولم يفتصب هذه الوظيفة بنفسه، وأيضاً أنه أكمل الطاعة بما تألم به مجرباً في كل شيء مثلنا بلا خطية. هكذا استحق المسيح أن يدعى من الله رئيس كهنة كما جاء في المزمور: « أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. » (مز: ١١٠: ٤)

أما لماذا على مثال كهنوت ملكي صادق، فواضح من الآية السالفة أنه صار « سبب خلاص أبدي ». فلهذا السبب ارتفع كهنوته إلى مستوى « كهنوت أبدي »، وليس « كهنوت زمني » كما كان هارون، والكهنوت الأبدي ذُكر في النبوة مقتصرأ على ملكي صادق وحده دون غيره لأنه كان مثال الآتي.

هنا قول السفر أن المسيح صار مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق بمعنى « إلى الأبد »، هو قرين ما قيل عن المسيح في بداية رسالة رومية: « تعين ابن الله بقوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات » (رو: ١: ٤). وبهذا تكون القيامة التي قامها المسيح في مجد قد استعلنته بأن واحد أنه الابن الوحيد المتجسد ورئيس كهنة الله لخلاص الإنسان.

ثانياً:

## تمهيد للكشف عن أسرار المسيح

[ ٢٠:٦ - ١١:٥ ]

أ - وقفة للمراجعة والتفريع

بلادة هؤلاء العبرانيين وتفاعسهم عن اللحاق بحركة الروح

( عب ١١:٥ - ١٤ )

يشبه بولس الرسول الحياة الروحية في المسيح يسوع، بالحياة الجسدية الطبيعية من جهة النمو المطرد. فللايمان المسيحي فترة تلمذة قصيرة يبدأ بها الإنسان المسيحي يفتح على وعي حقائق الله الأزلية ومعاملاته الفائقة الحنو والمحبة والتهديب الأبوي، فإذا كان مستجيباً لحركة الروح القدس في الترقى بالمعرفة والفهم، انسلخ بسهولة من فترة التلمذة إلى قامة الرجولة في الإيمان حيث يُستأمن على أسرار النعمة ويعمل بقوتها، وتحل عليه قوة الله حتى إنه لا يتوقف قط عن الترقى في مجالات المعرفة الروحية والمعاملات الفائقة لأبوة الله. ولكن للأسف الشديد إذا تبلد الإنسان المسيحي وتباطأ في قبول التعليم وتخاذل في الاستجابة لنداء الروح ووحى الخير وتأنيب النعمة، واستهان بكلمة الله وتصامم ورجعت كلمة الله عنه فارغة دون إثمار، فإنه يُحسب أنه طفل في الإيمان ولكن طفلٌ عيبٌ الفكر، كسيح الحركة، فات عليه دور النضوج. وكما إذا حاولت الأم إطعام طفلها الرضيع لحماً ودماً فإنه يتقيأه ولا يثبت في معدته، كذلك هؤلاء المعوقون في الإيمان لا يستطيعون الكلام العالي والمعاني الكبيرة، وترتد عنهم النعمة محزونة إذ لا تجد في قلوبهم موضعاً. ومرة أخرى نقول: إن الإيقاع المسيحي رتيبٌ في الحركة الصاعدة، والأذن السليمة الواعية بالروح تتدرب طبيعياً في انسجام مع النعمة في تلقينها مناهج الروح، ولكن إذا عجزت الأذن بسبب ميلها إلى إيقاع الجسد والعالم، فإن سيمفونية الروح تصبح عندها ضوضاء ولغظاً بلا معنى.

وهنا في الأصحاح الخامس من هذه الرسالة نجد بولس الرسول بعد أن وصل في حوارهِ البديع إلى قمة استعلان المسيح كابن ورئيس كهنة قادر على قيادة النفس إلى خلاصها بقدراته العالية التي اكتسبها عن أصالة وجدارة، سواء بالطاعة التي بلغ قمته باحتماله الآلام وبرضا الله في تعيينه رئيس كهنة بقسم، بسبب لياقته التي بلغها بجهدهِ واحتماله وصبره حتى موت الصليب؛

نجده يتوقّف مرة واحدة ليواجه هؤلاء العبرانيين المنتصرين المتذمرين الراغبين في العودة إلى نير التاموس، ليؤاخذهم بشدة فاضحة لتقاعسهم عن معرفة كل هذه الأمور التي شرحها باعتبارهم قبلوا الإيمان المسيحي ونالوا نعمة العماد، ودخلوا رسمياً في شركة الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة. فكان المفروض أن يكونوا أئمةً في هذه المعارف الروحية وشركاء بالحق في مواهب الروح القدس. ولكنه يعيّرهم بقسوة أنهم لم ينسلخوا عن دور الرضاعة وقد تقزّمت قامتهم وصغرت مداركهم وكأنهم معوّقون.

ولكن وقبل أن نخوض في هذه التوجيهات المرّة نقول إن هذه الرسالة هي إلى العبرانيين شكلاً، أما موضوعها الحقيقي فهو نحن، نحن الذين نعيش هذا الجيل الذي بلغت عنده كلمة الإنجيل أقل مستوى بلّغته في كل العصور السالفة. وهنا تبدأ الرسالة تأخذ مستوى التقدّم في معرفة المسيح إنما بتؤدة وصبر يتناسبان مع السامعين والقارئين. ويظل على هذه الوتيرة من التعليم البطيء من ١١:٥ وحتى ٢٠:٦.

### كشف حالة الإخفاق التي يعاني منها هؤلاء العبرانيون المترددون

(١٢ و ١١:٥)

١١:٥ «الذي من جهته الكلام كثيرٌ عندنا وغيرُ التفسيرِ لتَنطِقَ به إذ قد صيرُتم منباطِيئي المسامع».

كان من السهل على بولس الرسول فيما سلف، أن يقدّم التوضيحات الخاصة بالمسيح كابن يفوق قامة موسى وهارون ويشوع معاً. ولكن أن يدخل في سر كهنوت المسيح الفائق الذي على طقس ملكي صادق في مجاهل تشبه وعجبية كهنوته الإلهي غير المدرك، فهنا يتعسر فكر ق. بولس وقلمه معاً بسبب عدم قدرته على النزول بالمستويات الروحية العالية ليناسب فكر هؤلاء العبرانيين الذين انصدّت قلوبهم ومسامعهم عن معرفة النور والحق والحياة في الرب، وهم على شِفا الارتداد عن الله في الإيمان بالمسيح.

هنا يا عزيزي القارىء تكمن أخطر عقبة أمام تقدّم الإنسان المسيحي في الانفتاح على معرفة أسرار الله وبركاته وغناه المدّخر للمؤمنين به. وهذه العقبة هي في هذه الحقيقة المؤلمة: «منباطِيئي المسامع». فكلمة الله تأتي على فم الواعظ والأب الروحي والمعلّم والمرشد والإنجيل أيضاً: حارة، ملتصبة، وعلى تردّد عالي القوة، ولكنها تصطدم بأذن بليدة لا تفرّق بين صوت الله وصوت الإنسان

بين التردد العالي والتردد الميت بغير ذي صدى .

ماذا حدث للأذن؟

واحد من أمرين: إما أن تكون أذناً لم تفتح بعد على صوت الله إذ تكون قد قبلت الإيمان اسماً لا فعلاً وتعيش فيه شكلاً لا روح فيها، وتعبّر عليها الأيام والسنين وهي كما هي أذن لا تعي صوت الله ولا تتأثر به .

وإما أذن قبلت الإيمان ووعّته وفرحت به واستقبلته ووعدت أن تعيش له وبمقتضاه، ولكن مرت السنين وتراخت العزيمة واضمحلت الانفعال الصالح وبردت الروح واقتحمت أمور الدنيا والذات مجال الله واحتلته رويداً رويداً فلم يُعَدِّ لصوت الله مكاناً!

«الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به

إذ قد صرتم متباطئي السامع»:

أولاً يلزم أن نصح الترجمة العربية فالصحيح أن يُقال:

«الذي عندنا من جهته كلام كثير نقوله، وهو عسر التفسير إذ قد صرتم متباطئي السامع» .

«الذي من جهته الكلام كثير عندنا وعسر التفسير لننطق به»:

هنا مقصد الآية هو المسيح في نسبه لكهنوت ملكي صادق، حيث كهنوت ملكي صادق هو أصلاً في زمانه تعبيراً حيّاً واقعيّاً نبويّاً عن كهنوت المسيح .

والسبب المباشر لكون الكلام في هذا الأمر عسيراً ويحتاج إلى أذن رهيبة السمع حاذقة في التقاط المعاني النبوية على بعد، هو الصلة بين كهنوت ملكي صادق غير الدموي وكهنوت المسيح القائم على سفك الدم، مع أن الكهنوت فيهما واحد كون كل منهما هو «كاهن الله العلي»، هذا بالنسبة وهذا بالواقع الحي . لذلك، فتطبيق كهنوت المسيح على كهنوت ملكي صادق يلزمه العبور على سر مآكل الجسد والدم في «الخبز والخمر» وهو ما لم يطرحه بولس الرسول على مسامع هؤلاء العبرانيين بالمرة لأن حالهم لم يكن أفضل من حال التلاميذ المتقاعسين عن الارتقاء إلى مستوى الروح القائلين: «فقال كشيرون من تلاميذه إذ سمعوا، إن هذا الكلام صعب . مَنْ يقدر أن يسمعه؟» (يو: ٦٠). ولكن هذا القصور من جانب هؤلاء العبرانيين لم يمنع ق. بولس أن يثابر ويصابر في شرح ما يمكن شرحه لأنه اعتبر ذلك منذ البدء أنه واجب يؤديه عن إخلاص .

«عسر التفسير» :

باليونانية : δυσερμήνευτος

وباللاتينية (فولجانا) : ininterpretabilis ad dicendum .

ومعنى الترجمة اللاتينية : «صعب على المتكلم أن يشرحه حتى يمكن فهمه» . هنا اللغة العربية مثل اللغة اللاتينية توضح القصد تماماً، حيث الصعوبة ليست عند السامع بل عند المتكلم أو الكاتب، فهو لا يجد ما يمكن أن يكتبه لينزل به إلى مستوى فهم هؤلاء المتقاعسين عن المعرفة والفهم معاً . والقصور هنا لدى السامعين ليس قصوراً طبيعياً، لأن القصور الطبيعي لا يمنع النعمة من عملها في النفس، ولا يحرم صاحبه من عطف الله ومراحه، ولكنه قصور إرادي، وعجز نتيجة بلادة في التحصيل والسعي للمعرفة، وهذا من ألعن الأمور التي تتسبب في نقمة الله وقد كشفه الوحي قديماً على لسان إشعيا النبي :

+ «تعال الآن أكتب هذا عندهم على لوح وارسمه في سفر ليكون لزم من آيت للأبد إلى الدهور . لأنه شعب متمرّد، أولاد كذبة أولاد لم يشاءوا أن يسمعوا شريعة الرب، الذين يقولون للرّائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيماً، كلّمونا بالناعمات، انظروا مخادعات .» (إش ٣٠ : ٨-١٠)

«إذ قد صرتم متباطئي السامع» :

الإنسان السائر على طريق الصحة الروحية في تدرّج نموه على مستوى السنين والتنتقل في التعليم، تزداد أذنه حساسية في التعرف على أسرار الله، بل وتلتقط المعارف بسرعة تتناسب مع الخبرة والدراية على مدى الأيام والليالي في الدراسة والتحصيل والقراءة الواعية وسماع كلمة الوعظ في حينها . ولكن هؤلاء العبرانيين - والكثير منا أيضاً - يزدادون انصداداً عن قبول كلمة الله بازدياد عمرهم، والسنين تخلف لهم الصمّ من جهة ما لله . وإن هم حاولوا الفهم فيما يخص الإنجيل، يصبح ذلك عسيراً عليهم بسبب الصدا الذي علا آذانهم، بل والأصعب جداً أن يحاول المعلم شرح الأسرار العميقة لهم .

هذه الشكوى عينها يعاني منها أصحاب الكلمة العميقة وكاشفوسر الإنجيل في هذه الأيام، فالآذان التي اعتادت سماع الأغنيات واستساغت معاني ما رخص وتدنى من الكلمات، ما لها وسر الله؟ وأين هي من أنين المصلوب؟ بل والعقول التي التصقت بالعلوم التصاقاً وانكبّت على الكتب انكباباً ولم تعط فرصة للكتاب الوحيد، بأي مدخل يدخل إلى أفكارها وقد صيغت الآذان والعقول على العلوم صياغة فلم يتعد لها بعد علوم الدنيا مدخل ولا مخرج؟ هؤلاء هؤلاء صارت

دراسة الإنجيل مشقّة، والتلذذ لحق المسيح بعد فوات العمر ضيقة، فالأذن كلّ سماعها، إن سمعت! والعقل أكثر منها كلاً... «كلمونا بالناعمات.» (إش ٣٠: ١٠)

١٢: ٥ «لأنكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان نحتاجون أن يعلمكم أحد ما هي أركانُ بداءةِ أقوالِ الله وصيرتُم محتاجين إلى اللبّن لا إلى طعام قويّ».

هذه معلومة تقليدية ذات قيمة عالية عند الأولين وعند كلّ حسّ أمين، وتقولها التوراة هكذا: «عند الشّيب حكمة وطول الأيام فهمّ» (أي ١٢: ١٢). فإن رأيت إنساناً دخل به العمر وشاب رأسه ظننتك به معلماً أول ما تظن، فالعمر بخبراته صدى السنين الحاكي، يجمع ألواناً من المعارف وألواناً، فإن كان ذاك الإنسان رجل دين وكنيسة فهو يكون ولا بد صاحب عقيدة وشريعة وكلمة حية.

لذلك، هال بولس الرسول أمر هؤلاء اليهود المتديّنين أصلاً والمتمرّسين في الحكمة والمعرفة، أن يجدهم، وبعد سنين طال مداها وهم في إيمان المسيح عاثشون، يعوزهم هكذا فهم حقائق الإيمان المسيحي القائم على كهنوت المسيح الكفّاري وصلة ذبيحة الصليب الحية بخبز ملكي صادق وخره. باعتبار أن كل ما كُتب وقيل عن كهنوت لاوي والذبايح وكهنوت ملكي صادق وسر خبزه وخره ما هي إلا بداية أركان الإيمان الأول، وُضعت في موضعها الزماني بإحكام، حتى تصلح عندما يمين الوقت لتكون تصويراً دقيقاً وتفسيراً حياً لما قدّمه المسيح على الصليب لخلاصنا.

فماذا إن كانت حقائق الإيمان المسيحي الأساسية عسيرة التفسير وصعبة القبول؟ الأمر هنا محيّر فعلاً أمام الرسول، وهو موقف عانى منه المسيح تماماً في حوار مع نيقوديموس وهو معلّم إسرائيل الفريسي المرموق عضو السندريم الأعلى حينما اضطر المسيح أن يقول له: «أنت معلّم إسرائيل ولست تعلم هذا... إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات» (يو ١٠: ١٢). علماً بأن المسيح كان يتكلّم عن الميلاد الثاني من فوق وقد حسيه أنه أرضيات. فإن مثلنا معرفة الأرضيات باللبّن لمعرفة السماويات تكون طعام البالغين: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمّم عمله» (يو ٤: ٣٤). فالعبرانيون عجزوا حقاً عن ملاحقة أسرار السماء، فحقّ لهم اللبّن طعاماً.

وقد اتفق بعض الآباء الأولين<sup>(١٢)</sup> على أن اللبّن هو ما يخص ناسوت المسيح والطعام البالغ هو

ما يخص لاهوته. ولكن هذا التقسيم خطر، فالمسيح لم يعمل بناسوته عملاً لم يكن اللاهوت فيه موجوداً وعملاً. ونحن لا نقبل تقسيم أعمال المسيح إلى أعمال ناسوتية وأعمال لاهوتية. فالمسيح واحد بلاهوته وناسوته ولم يتقسم قط على ذاته ولا في ذاته أو أعماله.

وحيثما قال المسيح لنيقوديموس بخصوص عدم فهمه لكيفية حدوث الميلاد الثاني من فوق بالماء والروح — أي المعمودية — بأن هذا يخص الأرضيات، فهو يقصد أن المعمودية هي بداية عمل الله وبداية عمل المسيح بأن واحد، وهي تتم على الأرض ولكن تحقيقها الكامل والفعلي لن يُعرف إلا في السماء لأن المولود في المعمودية هو الإنسان الجديد المخلوق حسب الله لميراث الحياة الأبدية، فإن لم تقبلوا الميلاد الثاني بالمعمودية فكيف أتكلّم معكم عن الحياة الأبدية. ولا يغرب عن بالنا أن المعمد في التقليد الكنسي، كان أول ما يُقدّم له بعد المعمودية هو كوب من «اللبن» إفادة أن المعمودية هي الميلاد الجديد للإنسان التي فيها يرضع ثدي السماء ليُسبَّ إنسان الله، وحيث اللبن هو بداية تعليم العقل فيما يخص الله.

لذلك يكون قول بولس الرسول: «صرتم محتاجين إلى اللبن»، يعني بدء التهجّي في المبادئ الأولى للمعمدين، وهذا يحقّقه قوله في بداية الأصحاح السادس هكذا: «لذلك ونحن تاركون كلام بداعة المسيح ... تعليم المعمديات ...» (عب ٦: ٢١)

٥ : ١٣ «لأن كلّ من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البرّ لأنه طفل».

ق. بولس هنا يرفع الحوار إلى نظرية عامة حتى يفضح حال أولئك القوم الذين شاخوا في الجهالة وفاتهم زمن التلمذ لحق المسيح. فقال: إن لكلّ قامة من قامات الإنسان الطبيعية طعاماً خاصاً، فلطفل مثلاً لا يُعطى إلا اللبن لأنه لا يهضم غيره، ويقابل هذا في الروحيات أولئك الذين ليست لهم خبرة أو معرفة لكلام البر فهؤلاء يتناولون من المعارف المسيحية ما يناسب الخارجين من جرن المعمودية وهي أركان بداية الإيمان يلقنونها كلمة كلمة.

هكذا أظهر هؤلاء القوم بسلوكهم وضعف إيمانهم بالمسيح أنهم عديمو الخبرة في كلام البر إذ أنهم لم يقبلوا من المسيح قوة برّه المجاني الذي يرفع الإيمان المسيحي إلى معرفة أعماق الله. وأثبتوا بعجزهم عن إدراك المسيح مخلصاً وفادياً — على مستوى ذبيحته الكفّارية كرئيس كهنة حقيقي قادر أن يخلص إلى التعمام كل الذين يتمسكون به حتى النهاية — أنهم أطفال حقاً في الإيمان.

«كلام البر»: λόγου δικαιοσύνης

يأتي هذا المقطع بدون أداة تعريف «أن» لأن «أن» θ غائبة<sup>(١٣)</sup>. وهذا يفيد أن ق. بولس يقصد ليس «كلام البر» كفعل أو عمل، ولكنه أراد أن يهبط بمعرفتهم إلى ما دون الواقع العملي إلى مجرد المعرفة بأي كلام عن البر بصورة عامة، وهذا في الحقيقة نزول بدرجة هؤلاء العبرانيين إلى الحضيض. ولكن لا نريد أن ندين، فنحن واقعون في مثل هذا الحضيض عينه. فالغالبية العظمى من المسيحيين الآن لا يمارسون بر المسيح ولا حتى يعرفونه!! فالذي أدرك بر المسيح عملياً هو العائش في ملء قوة الإيمان، وقد انتقل من إنسان يتعامل مع الآخرين على مستوى أخلاق العالم والناس إلى إنسان يعيش حياة فائقة على الطبيعة. هذا هو عمل بر المسيح أي لا يخضع لانفعالات الطبيعة البشرية في شهواتها وأخطائها ويعيوبها سواء بالقول أو الفكر أو العمل، ولكنه يكون منقاداً بالنعمة، وبرُّ الله يسند ضعفه وروح الله يشهد فيه ويشهد له.

أما كونهم عديمي الخبرة حتى في مجرد كلام البر ذاته، وليس في عمله فقط، فهذه هي الأمية المسيحية الصارخة والجهالة المؤدية إلى الخسران، التي تصرخ منها الكنيسة في هذه الأيام: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو٤: ٦)

١٤: ٥ «وأما الطعام القوي للبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر».

التشبيه هنا بين الطعام القوي والتدريب الذي دخلت فيه حواس الفكر والقلب والضمير بسبب التعامل مع كلمة الله والانفتاح على بر المسيح. فكما أن الطفل إذا استمر على نموه الطبيعي وصار من البالغين يستطيع أن يأكل الأطعمة القوية التي تميّزها أجهزته الهضمية وتستفيد منها وتنال قوة، كذلك الإنسان المسيحي إذا وازب على التعلّم على كلمة الله وتطبيقها على السلوك والأعمال والأقوال والتفكير، فإنها تتحوّل فيه إلى قوة تميّز في الفكر والقلب والضمير يفرز بها بين ما هو خير وما هو شر، وهكذا يتقوّم السلوك ويتقوى التدبير. ولعلّ أعظم فضيلة يمكن أن يحصل عليها الإنسان الساعي في طريق المسيح للخلاص هو هذا «التمييز» διακρίσιν أو ما يسميه الآباء بـ «الإفراز». وإليك هذه القصة التعليمية من فم القديس أنبا أنطونيوس كما وردت في كتاب «بستان الرهبان»:



[ اجتمع جماعة من الآباء عند الأنبا أنطونيوس وتباحثوا في أي الفضائل أكمل وأقدر على حفظ الراهب من جميع مصائد العدو، فمنهم من قال إن الصيام والسهرة والصلاة يقومان الفكر ويطلقان العقل ويسهلان للإنسان سبيل التقرب إلى الله. ومنهم من قال إنه بالمسكنة والزهد في الأمور الأرضية يمكن للعقل أن يكون هادئاً صافياً خالصاً من هموم العالم فيتيسر له التقرب من الله ... وآخرون قالوا إن فضيلة الرحمة أشرف جميع الفضائل لأن الرب يقول لأصحابها كما وعد: تعالوا إليّ يا مباركي أبي رثوا الملك المُعدّ لكم من قبل كون العالم. فمن بعد انتهائهم من المباحثة والكلام قال الأنبا أنطونيوس: حقاً إن كل هذه الفضائل التي ذكرتها نافعة ويحتاج إليها كل الذين يطلبون الله ويريدون التقرب إليه، إلا أننا قد رأينا كثيرين يهلكون أجسادهم بكثرة الصوم والسهرة والانفراد في البراري والزهد حتى إنهم كانوا يكتفون بحاجة يوم واحد ويتصدقون بكل ما يمتلكون، ومع كل ذلك رأيناهم وقد حادوا عن المسلك القويم وسقطوا وغدّموا جميع تلك الفضائل وصاروا مردولين. وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا الإفراز. إن الإفراز هو الذي يعلم الإنسان كيف يسير في الطريق المستقيم الملوكي وكيف يحيد عن الطريق الوعرة. إن الإفراز يعلم الإنسان كيف لا يسرق من (الضربة) اليمينية بالإمساك الجائر المقدار وكيف لا يسرق أيضاً من (الضربة) الشمالية بالتهاون والاسترخاء. إن الإفراز هو عين النفس وسراجها كما أن العين سراج الجسد. وبخصوص الإفراز حذر الرب قائلاً: «احذر لئلا يكون النور الذي فيك ظلاماً». فبالإفراز يفحص الإنسان سيئاته، وأقواله وأعماله، وبالإفراز أيضاً يفهم الإنسان الأمور ويميّز جيدها من رديشها. وتؤكد ذلك من الكتب المقدسة: فشاوّل لئلا يملك الإفراز اظلمّ عقله، فلم يفتن إلى أهمية ما قاله الله له بلسان صموئيل النبي، فأغضب الله بذلك التصرف الذي به كان يظن أنه يُرضي الله، ونسي أن الطاعة لله أفضل من تقريب الذبائح. والرب يسمي الإفراز رَّبَّاناً ومدبِّراً لسفينة حياتنا. والكتاب يقول: إن الذين ليس لهم مدبر يسقطون مثل الورق من الشجر - وأيضاً يقول الكتاب: إن الإنسان الذي يعمل أموره بغير مشورة ولا إفراز يشبه بمدينة غير محصّنة، وكل من أراد دخولها وأخذ كنوزها لا يجد مانعاً له من ذلك ] .

وهكذا نستطيع أن نفهم من كلام ق. بولس في هذه الآيات الأخيرة أنه يتعرّض إلى أخطر عنصر من عناصر التقويم الروحي والفكري العملي في أسلوبه البسيط للغاية. فالمسألة ليست مسألة لبس وطعام بل مسألة إنجيل مكتوم وإنجيل مُستعلن: «ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في المهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله.» (٢ كور: ٤ : ٥٣)

كما هي أيضاً مسألة معمودية، إما انتهت إلى لبس المسيح ومعها استنارة وارتفاع فوق قامة الإنسان الطبيعي إلى ما هو فوق الطبيعة من واقع شركة مع المسيح في الروح القدس بشهادة الضمير؛ وإما انطفأ نورها وانحبس روحها وبردت حرارتها وعاش الإنسان مُعرى مفضوح الحال أمام ضميره والناس:

+ « هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزعم أن أتقيأك من فمي، لأنك تقول إنني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مُصْفًى بالنار (إيمان اختبار) لكي تستغني (حقاً) وثياباً بيضاً (أعمال طاهرة) لكي تلبس فلا يظهر خزي عُزيتك ... » (رؤ ٣: ١٦-١٨)

أما الفرق بين إنسان عنده موهبة التمييز الروحي وإنسان فاقد لهذه الموهبة، فهو كالفرق بين إنسان يعرف أين يسير وإلى أين ينتهي به المسير، وإنسان يسير ولا يعلم مبدأ المسير أو منتهاه: « وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق. » (يو ١٤: ٤)

الإنسان المسيحي الذي تدربت حواسه الروحية على الإنجيل وقيادة النعمة قد ثبتت وجهه نحو الوطن السمائي وإليه يسير، تقوده المسحة وتعلمه كل شيء (١ يو ٢: ٢٧).

أما الإنسان الذي ضيَّع زمان تلمذته في الإهمال والكسل واللامبالاة وتسويف العمر باطلاً وانشغل سواء في عمله أو ماله أو عياله عن روحه وإنجيله والله، أو غرق في همومه وحزنه وتذمُّره على الحياة وأحزن معه روح الله الساهر على خلاصه، فإليه هذه الرسالة نهديها لعله يجد فيها ما يذكِّره بعهده مع المسيح فيقوم ويتوب ويطلب وجه الله.

## الأصحاح السادس

- ب - التحذير المخيف: وهو تكملة ما سبق أن قاله في نهاية الأصحاح الخامس تمهيداً للكشف عن أسرار المسيح:
- الهلاك المُقدّم نتيجة الارتداد عن الإيمان يجعل التقدّم والنمو في المسيحية ضرورة حتمية.
- ١ - (٦: ١-٣): التقدّم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية وليس مجرد اجتهاد مشكور.
- ٢ - (٦: ٤-٨): مصير المرتدين عن الإيمان، ماذا يكون، واستحالة التجديد للتوبة وإعطاء نماذج من الطبيعة.
- ٣ - (٦: ٩-١٢): عودة إلى التشجيع وإلقاء الرجاء في قلوبهم.
- ٤ - (٦: ١٣-٢٠): صدق مواعيد الله.

## ١ - التقدّم نحو الكمال في المسيحية ضرورة حتمية

وليس مجرد اجتهاد مشكور

[ ١ : ٦ - ٣ ]

- ١ : ٦ : وينقسم التوجيه الذي يقدمه ق. بولس هنا إلى قسمين :  
- قسم إيجابي حتمي وهو الواجب أن يكون (١ : ٦ «أ») (حيث الآية الأولى تُقسّم هي نفسها إلى «أ» في مبتدئها، «ب» في متنهاها).  
- قسم سلبي مرفوض (١ : ٦ «ب»).  
٢ : ٦ : تكملة القسم السلبي الوارد في الآية (١ «ب»).  
٣ : ٦ : وعد من الكاتب (بولس الرسول) لمتابعة شرح هذه الأساسيات بالرغم من، ودون النظر إلى، حالة بعض الرافضين الميثوس منهم.

١ : ٦ «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لتتقدّم إلى الكمال، غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله».

«لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لتتقدّم إلى الكمال» :

يبدأ القديس بولس الأصحاح السادس معبّأ على حالة العبرانيين المتردية في التأخر وعدم النضوج فيما يخص الإيمان المسيحي، بقوله :

«لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لتتقدّم إلى الكمال» .

وفي الواقع كان القارئ ينتظر أن يقول : «وبالرغم من ذلك»، أي بالرغم من حالتكم المستهقرة كأطفال وأنتم تحتاجون إلى اللبن، إلا أنني سأترك بداية تعاليم المسيح وأدخل في التعاليم الأكمل. ولكنه يقول : «لذلك». وهنا تحيّر الشراح والمفسرون، ولكن هذه الكلمة «لذلك» تكشف عن أن تأخر هؤلاء العبرانيين في معرفة المسيح يرجع أصلاً إلى عدم وجود مَنْ يعلمهم عن الأمور الأكمل في المسيح، وهنا يأخذ ق. بولس على عاتقه تعليمهم عن أسرار المسيح الأكثر تقدماً عمّا سمعوه في تعاليم «الكاتشزم» Catechism التي للمبتدئين بعد المعمودية والتي توقّفوا عندها سنين طويلة.

فكلمة «لذلك» δὶό ، توضح تصميم ق. بولس على تقديم التعليم الكامل الذي كان من الواجب أن يعرفوه، بعد المبادئ الأولى التي تلقوها في المعمودية منذ سنين طويلة .

«ونحن تاركون كلام بداعة المسيح»:

«تاركون»: ἀφέντες ، هنا الكلمة تفيد «الترك للتقدم»، فالكلام فيه نبرة الوعظ ومعناه: علينا أن لا نقف عند بداية التعليم بل يلزم أن نمتد نحو الكمال . هذه قضية إيمانية هامة وخطيرة في الحياة المسيحية، إذ من المقطوع به روحياً كقضية مسلم بها أن لا توقّف في الحياة المسيحية، فإما تقدّم مستمر وإلا فتقهقر وموت!! «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو ١٢: ٣٥). والسير إلى الأمام يلزمه ترك ما هو وراء، وهذا هو طريق الكمال كما يُعرّفه بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيليبي: «ليس أنني قد نلتُ أو صرت كاملاً ولكني أسعى ... أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جمالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في ٣: ١٢-١٤)

أيها القارىء العزيز، أن تهمل الصلاة والقراءة والتعليم مدة طويلة، فهذا كفيل بأن يجعلك تنقهقر في كل شيء في المعرفة والتقوى وتعرض لضربات من العدو قد تُفقدك كل ما بتيت. ولكن أن تصلي كل يوم مهما كان وتقرأ وتتعلّم المسيح أكثر فأكثر، فانت تؤمّن تقدّمك نحو الكمال وتؤمن نفسك ضد السقوط: «لأن مراحمه لا تزول، هي جديدة في كل صباح» (مرا ٣: ٢٣)، «والذين يبكّرون إليّ يبكدوني» (أم ٨: ١٧)، «طوبى للإنسان الذي يسمع لي ساهراً كل يوم.» (أم ٨: ٣٤)

«لنتقدّم إلى الكمال»:

«لنتقدّم»: φερώμεθα

المعنى في اليونانية أقوى وأهم بكثير، فالكلمة لا تعني التقدّم بالمجهود والإرادة بل تسليم الذات لمرن يحملها ويسير، وهي تُفهم حرفياً هكذا «محمولين» لأن أصل الكلمة اليونانية هي الفعل φέρω = «يحمل»، وتأتي هنا في هذه الآية في المبني للمجهول بمعنى: «فلنكن محمولين على الدوام». وهذا بدوره هو الذي يؤمّن أن السير كله سيكون حتى إلى بلوغ الكمال، فالذي يحملنا يقودنا، والذي يقودنا يطلب لنا الكمال.

«إلى الكمال»: τελειότητα perfection

والكمال هنا يعتبره الآباء القديسون دائماً، وكما يذكره ذهبي الفم في هذا الموضوع، أنه الكمال العملي أي كمال التقوى في المسيح بحسب العلم الصحيح. فالمعرفة الكاملة للمسيح هي

معرفة صلاح وتقوى وليس معرفة فكر وفلسفة.

«غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميئة والإيمان بالله»:

والمعنى وإن كان معقداً نوعاً ولكنه بديهي وهو أنه لا يريد أن يبدأ معهم مرة ثانية بالأمور الخاصة بالتعليم الأولي الذي أخذوه كأساس التوبة. فهو يريد الآن أن يبنى على هذا الأساس، ومعروف أن التوبة هي كناية عن تجهيز المؤمن للعماد بتقديم توبة كاملة: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح.» (أع: ٢: ٣٨)

«غير واضعين أساس التوبة»: θεμέλιον καταβαλλόμενοι

هنا الكلمة اليونانية هي اصطلاح يُستخدم في البناء: فكلمة «ثيميليون» هي نفس الكلمة المستخدمة في هندسة البناء: «سِلمِي» أي أساس. ووضع الأساس هو حفر وتعميق وإرساء القاعدة. وهنا يذكر مكونات الأساس الذي وُضع من ثلاثة أزواج من العوامل الهامة في البناء النفسي للمعمد الجديد لنوال حياة جديدة وهي:

- ١ - التوبة من الأعمال الميئة ومعها الإيمان بالله ثم،
- ٢ - تعليم المعموديات ومعها وضع الأيدي كما وردت في الآية الثانية (٢: ٦) ثم،
- ٣ - قيامة الأموات ومعها الدينونة الأبدية.

«التوبة من الأعمال الميئة»: μετανοίας από νεκρῶν ἔργων

هنا معنى الأعمال الميئة عميق للغاية، فهي ليست مجرد الأعمال التي تؤدي إلى الموت فقط والتي هي بحد ذاتها أعمال أهل العالم التي ذكرها كتاب تعاليم الرسل باسم طريق الموت (الديداخي ٥١)، ولكن المقصود بها الأعمال التي كان يعملها طالب العماد قبل أن يتعمد، «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا...» (أف: ٢: ١)، فهي أعمال المحكوم عليهم بالموت تحت عقوبة آدم قبل أن يعتمدوا وينتقلوا من الموت إلى الحياة. وقد ذكرها هذا السفر نفسه هكذا: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أربلي قدّم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمائرهم (بالمعمودية) من أعمال ميئة لتخدموا الله الحي.» (عب: ٩: ١٤)

هكذا فإن التوبة من الأعمال الميئة مع الإيمان بالمسيح تؤهل للعماد، الذي هو بدوره بواسطة دم المسيح، الذي يعني الموت والقيامة معاً بأن واحد، يظهر الضمائر من الأعمال الميئة، بمعنى يقُدس الضمائر فلا تعود خاضعة بعد للأعمال السابقة التي لأهل العالم ولا محسوبة عليها، بل خاضعة لله ومحسوبة له.

## «والإيمان بالله»:

الرسالة هنا تجمع بين التوبة عن الأعمال الميتة والإيمان بالله كضرورة حتمية للعماد، حيث الإيمان بالله يعني العودة من ضلالة العالم إلى الله والخضوع له: «شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح» (أع ٢٠: ٢١). هذا وإن كنا نتوقع أن تذكر الرسالة الإيمان بالمسيح أيضاً ولكن كانت صيغ التعليم قبل العماد تشدد على الإيمان بالله قبل الدخول في الإيمان بالمسيح. وقد جاءت على لسان المسيح بالصيغة العامة هذه هكذا: «فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١٥: ١٥). والإيمان بالله هو الخطوة الأولى والأساسية للإيمان بالمسيح: «أنتم تؤمنون بالله فأمنوا بي.» (يو ١٤: ١)

## وقفه قصيرة مع القارئ

ليته يكون واضحاً لدى القارئ أن طالب العماد في العصور الأولى كان عليه تقديم توبة كاملة شاملة عن كل حياته السالفة بكل أنواع الخطايا والتعدّيات والأعمال المشينة التي أصبحت تُشغل الضمير، وبعد أن يستوفي هذه التوبة ويُعلنها للكنيسة يؤهل للمعمودية التي تمنحه قوة روحية ومؤازرة وشركة مع الروح القدس لمواجهة العالم والجهاد فيه.

أما نحن فقد تقبّلنا العماد على صغر أئناء الرضاة، فسقط من الطقس أهم وأخطر جزء فيه وهو التوبة الكاملة والشاملة عن الحياة السابقة. وهكذا صرنا مديونين للمعمودية بهذا الاعتراف! وهكذا أيضاً صارت المعمودية غير قادرة أن تعمل فينا بقوة الروح بانتظار هذه التوبة الكاملة الشاملة أمام الله والكنيسة عن كل الحياة السالفة، بكل ما ارتكبناه من خطايا وتعدّيات، حتى تمنحنا قوتها وفعلها ومؤازرة الروح الساكن فينا الذي أخذناه في طفولتنا، والذي هو كامن فينا بانتظار التوبة التي تؤهلنا للنقلة السريعة من الموت إلى الحياة.

والتوبة المطلوبة منا ليس لها زمن ولا طقس بل هي يقظة جادة لمحاسبة النفس أمام الله والكنيسة لتفريغ كل ما في وعي الإنسان من خطايا وتعدّيات، كل ما يعثر عليه الوعي في ضمير الإنسان، إلى أن يحسّ الإنسان أنه أصبح فعلاً مُهيئاً لأن يبدأ حياة جديدة في المسيح يعيشها في ظل قوة المعمودية وشركة الروح القدس كشهادة للمسيح ولصليبه.

كذلك ليته يكون معروفاً أيضاً أن الإيمان بالمسيح هو المؤهل الأعظم لنوال المعمودية الذي يهب الإنسان قوة وشجاعة وفرحاً للتوبة المطلوبة عن الحياة السالفة، حيث الإيمان بالمسيح ينشئ من

داخل المعمودية شركة مع المسيح واتحاداً:

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

+ «لأنه إن كنا متحدين معه (بالمعمودية) بشبه موته نصير أيضاً (متحدين) بقيامته.» (رو ٥: ٦)

هذا يعني أن علامة فاعلية المعمودية هي الحياة مع المسيح وفي المسيح وليس أقل من ذلك، وإلا فلنراجع الإنسان نفسه في صدق ولائه لمعموديته ودرجة الإيمان بقوتها وفعاليتها وتوبتها. والمحك الخطير وضعه بولس الرسول بكل حسم: «جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ امتحنوا أنفسكم أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين» (٢ كو ١٣: ٥). إذا الإيمان بالمسيح يعني أن المسيح فينا. والمسيح إذا لم يكن فينا، فإيماننا بالمسيح يحتاج إلى مراجعة.

نخرج من هذه الوقفة القصيرة بأمرين يتعلّق عليهما جهادنا ونُصرتنا في الحياة وفي مواجهة العالم والجسد. توبتنا الكاملة والشاملة لتحل فينا قوة المعمودية التي أخذناها ونحن على صغرنا وإيماننا بالمسيح بشهادة الواقع العملي والضمير أن المسيح فينا.

٢: ٦ «تعليم المعموديات ووضع الأيادي، قيادة الأموات والدينونة الأبدية».

واضح أن مجيء المعمودية في صورتها بالجمع في هذه الرسالة تكشف عن وضع المعمودية المسيحية وسط طقوس أخرى كانت تُجرى بشبه المعمودية على المؤمنين الجدد.

والذي وصل إلينا معرفته هو أن طالب العماد كان يجري عليه غسيل الجسد قبل العماد بأسبوع كنوع من الإعداد، والتي نقرأ عنها في هذه الرسالة بصورة مبهمّة في الآية: «لنتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسله أجسادنا بما نقي.» (عب ١٠: ٢٢)

«تعليم المعموديات»:

جاءت باليونانية مقلوّبة التركيب هكذا: «معموديات التعليم» βαπτισμῶν διδασχης أربك العلماء ولم يجدوا لها حلاً<sup>(١)</sup>، وكل ما اقترحوه هو أن يجعلوا وقفة بين التعليم والمعموديات بحيث أن كلمة «التعليم» تسري على بقية مفردات أساس الإيمان من وضع أيادي وقيادة أموات والدينونة الأبدية.



ويرى العالم موفات<sup>(٢)</sup> أن مجيء المعموديات بالجمع ومعها التعليم يفيد التوضيح للمعمدين للفرق بين المعمودية المسيحية وبقية المعموديات في الطقوس اليهودية. كما يلاحظ أيضاً أن وضع الأيادي جاءت بالجمع أيضاً لإيضاح الفرق بين وضع يد المعمودية وغيرها في حالة إعطاء «البركة»، أو في حالة إجراء «التعزيم» Exorcism لإخراج الشياطين، أو في رسامة الكهنة!

ويركز كلُّ من العالم مونتفيور وريموند براون<sup>(٣)</sup> على أن تعليم المعموديات يختص بتوضيح الفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح عند تعميد المؤمن المسيحي. وهذا يُعتبر التفسير الأقل تشعباً والمقبول لنا، وإن كان التشديد على كلمة «المعموديات» بنوع التعدد يُعتبر ضد تعاليم الرسل آنثذ. ويؤكد ذهبي الفم واحدية المعمودية في تعليقه على هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

### «وضع الأيادي»: ἐπιθέσεώς τε χειρῶν

ظن كثير من العلماء أنه يقصد شرح ظروف وضع اليد في استخداماتها المختلفة لرسامة الكهنوت أو للبركة أو غير ذلك، ولكن الحقيقة أنها مربوطة أصلاً بسابقتها وهي المعمودية، حيث وضع اليد هو لخلول الروح القدس وهو المسمى بالثبث، ويقابله في النظام الكنسي الآن الدهن بمسحة الميرون (انظر كتاب: «بولس الرسول حياته ولاهوته وأعماله»، صفحة ٤٠٥ و٤٠٦).

### «قيامه الأموات والدينونة الأبدية»:

ذكر قيامه الأموات هنا بالذات بعد المعمودية ووضع اليد واضح أنه يختص بكمال فعل العماد حيث بعد التغطيس ثلاث مرات باسم الآب والابن والروح القدس، يخرج المعمد من الماء بشبه القيامة من الأموات ليبدأ حياة جديدة هي حياة الإنسان الجديد المولود من الله من الماء والروح: «فدفننا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته.» (رو٤ : ٥٤)

### «والدينونة الأبدية»:

ذكر الدينونة هنا بعد القيامة من الأموات تتجه مباشرة نحو علاقة الحياة الجديدة التي ينالها المعمد في العماد. إذ يأخذ روح القيامة التي يعيش بها بقية زمانه على الأرض ليسلك كإنسان عينه

2. Moffatt, *op. cit.*, p. 75.

3. Raymond Brown, pp. 100,107, Montefiore, pp. 105f.

4. Chrysostom, p. 410.

مشيئة على الدينونة العتيدة التي فيها سيعطي حساباً عن أعماله، كإنسان نال موهبة الحياة الأبدية شاهداً للمسيح بالفكر والقول والعمل.

وهكذا نرى التدرج الذي سار فيه بولس الرسول من جهة التوبة إلى المعمودية إلى حياة القيامة إلى الدينونة، وهي تعليم الأساسيات التي وإن كان قد أهملها هؤلاء العبرانيون المنتصرون فتوقفوا عن النمو نحو قامة الكاملين في الإيمان والأعمال، إلا أن ق. بولس تجاوزها الآن بسبب الضرورة ليشرح لهم الأمور الأعلى فيما يختص بسر كهنوت المسيح، فقد وعد أنه سيعود ليشرحها لهم بالتفصيل فيما بعد، إلا أنه أنهى رسالته هذه دون العودة إليها.

٣: ٦ «وهذا سنفتلّه إن أُذِنَ اللهُ».

وقد ألمح الرسول إلى نيّته في زيارتهم في الأصحاح (١٣): «اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً.» (عب ١٣: ٢٣)  
وقد تسجّلت لنا هذه التعاليم في الكتاب المسمّى بالديداخي أي «تعاليم الرسل الاثني عشر» (٥).

(٥) الديداخي (من مدونات نهاية القرن الأول) ونقرأ فيها شرحاً مفصلاً «للأعمال المبته» في الجزء الأول الذي يشرح طريق الحياة والموت (فصل ١-٦)، ثم وصفاً للمعمودية (فصل ٧)، والرسامات الكنسية (فصل ١٥)، وانتظار الأيام الأخيرة (فصل ١٦).

٢ - مصير المرتدّين عن الإيمان:  
حينما تضيع فرصة التوبة ولا تعود  
وُمحى ختم المعمودية إلى الأبد!  
[ ٨ - ٤ : ٦ ]

٦-٤:٦ «لأن الذين استُنبروا مرّةً، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي (!)، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية وبشهرّونه».

٤:٦ «لأن الذين آسُنبرُوا مرّةً، وذاقوا الموهبة السّماوية، وصاروا شركاء الروح القدس».

«لأن»: γάρ

«لأن» هنا تربط بين الآيات السالفة وهي تعليم الأساسيات بالنسبة للإيمان بالمسيح، والتعوق فيها وعدم استكمالها للتحرك نحو الكمال، فهذا عاقبته السقوط من الإيمان نفسه وبالتالي ضياع فرصة التوبة وبالتالي ضياع ختم المعمودية وعدم إمكانية إعادتها إلى الأبد.

هذا المبدأ اللاهوتي الخطير أكّده المسيح بقوله: «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو ١٢: ٣٥)، وأكّده المعمدان في نداءه بالتوبة لقبول معمديته بقوله: «والآن قد وُضعت الفأس (البلطة) على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرأً جيداً تُقطع وتُلقي في النار.» (لو ٣: ٩)

«الذين استُنبروا مرّةً»:

المبدأ الذي تحويه هذه الآية خطير وخطر أيضاً، لذلك يلزم أن نحيط بظروفه جيداً. ففي هذه الآية يستخدم بولس الرسول كلمات مركزية يضع كل ثقله فيها وهي:

+ «مرّةً»: ἄπαξ = once

+ «لا يمكن» بمعنى استحالة: ἀδύνατον = impossible، وقد وضع كلمة الاستحالة

هذه في أول الآية وبنى عليها كل الأفعال بعد ذلك لخطورة الوضع!

ولكن هنا استحالة التوبة وبالتالي استحالة العماد ثانية لا يمكن فهمها إلا تحت حراسة توفّرها هذه الأفعال الأربعة:

الفعل الأول: استنبروا = φωτισθέντας

الفعل الثاني: ذاقوا الموهبة = γευσαμένους τε τῆς δωρεᾶς

الفعل الثالث: صاروا شركاء = μετόχους γενηθέντας

الفعل الرابع: ذاقوا كلمة الله الصالحة = καὶ καλὸν γευσαμένους θεοῦ ῥῆμα

على أن الثلاثة الأفعال الأخيرة: ذاقوا الموهبة، وصاروا شركاء، وذاقوا كلمة الله الصالحة، تحييء لتخدم حدوث الفعل الأول بصورة تأكيدية كاملة وهو «استناروا»!

فلو علمنا أن «استناروا» هنا، كما اتفق جميع الآباء، تأتي بمعنى المعمودية<sup>(٦)</sup>، يكون المعنى أن الذين اعتمدوا ونالوا كل مفاعيل السر المقدس وتأهلوا لشركة الروح القدس بوضع اليد وذاقوا الجسد والدم الأقدسين، وذاقوا كلمة الله الصالحة أي صاروا مسيحيين بالفعل كما بالسر ...

«مرة»: ἅπαξ = once for all

هذه الكلمة الاصطلاحية تأتي في هذا السفر لتعبّر عن أهمية خاصة جداً لمجرى الحديث ويستخدمها في مواضع غاية في الدقة والحساسية فمثلاً:

في (عب ٧: ٢٧) يقول:

+ «الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يُقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدّم نفسه».

وفي (عب ٩: ٧) يقول:

+ «فرييس الكهنة (يدخل) فقط "مرة" ἅπαξ = once for all في السنة ليس بلا دم يُقدّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب».

وفي (عب ٩: ١٢) يقول:

(٦) من منتصف القرن الثاني واصطلاح «الاستنارة» يُلازم مفهوم المعمودية عملياً، وقد بدأ الشهيد يوستين (في دفاعه الأول ٢: ٦٦، ١: ٦٥) الذي استخدم فعل «استنار» عوض «تعلم مباشرة»، كذلك في الترجمة السريانية للرسالة جاء بدل «استناروا» = «نزلوا المعمودية مباشرة». أما بخصوص موضوع عدم تكرار المعمودية أو الاستنارة فنجد في كلام العلامة أوريجانوس (الحث على الاستشهاد: ٣٠) أن الإنسان لا يمكن أن يعتمد ثانية لأن ذلك يتعارض مع الوصايا الإنجيلية.

+ «وليس بدم تيروس وعجول بل بدم نفسه "دخل مرة واحدة" إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» .

وفي (عب ٢٦: ٢٨) يقول إن المسيح قدّم نفسه كذبيحة مرة:

+ «ولكنه الآن أظهر "مرة"  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  = once for all عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه»،

«هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرة  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  لكي يحمل خطايا كثيرين ...» .

وفي (عب ٩: ٢٧) يقول:

+ «وُضِعَ للناس أن يموتوا "مرة" ثم بعد ذلك الدينونة» .

وفي (عب ١٠: ٢) يقول:

+ «من أجل أن الخادمين (الكهنة) وهم مُطَهَّرُونَ (جسدياً) "مرة"  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا» .

وفي (عب ١٠: ١٠) يقول:

+ «في هذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح "مرة واحدة"» .

وفي (عب ١٢: ٢٦) يقول عن العهد القديم:

+ «فقد وعد قائلاً إني "مرة"  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  أيضاً أرزّل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً» .

وفي (عب ١٢: ٢٧) يقول:

+ «فقلوه "مرة"  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  أيضاً يدلُّ على تغيير الأشياء المتزعزعة كمنسوجة لكي تبقى التي لا تتزعزع» .

وهذه الكلمة «مرة» تقع موقع الأهمية العظمى ليس فقط عند ق. بولس في سفر العبرانيين ولكن نجدها أيضاً عند بطرس الرسول إذ يقول:

+ «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة  $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  من أجل الخطايا ...» (١ بط ٣: ١٨)

كذلك القديس يهوذا يقول — ما صحته عن الأصل اليوناني —:

+ «ولكن  $\delta\epsilon$  الآن أريد أن أذكركم مع أنكم علمتم مرة واحدة ونهائية»

( $\alpha\pi\alpha\tau\epsilon\varsigma$  πάντα = once for all) أن الرب بعد ما خلّص الشعب من أرض مصر أهلك

أيضاً الذين لم يؤمنوا» (يه ٥)،

+ «أن تجتهدوا لأجل الإيمان المسلّم "مرة" للقديسين.» (يه ٣)

هذا، وبنفس القوة في معنى «المرّة الواحدة والنهائية»، والتي يكون وراءها الحساب، أنهم

«استنبروا مرّة»، فكلمة «مرّة» تدخل في صميم خطورة المساس بهذه «المرّة» الواحدة الوحيدة التي سيرحها باختصار شديد بعد ذلك. ولكن استخدامه كلمة «مرّة» هو تمهيد لعلّة توقيع العقوبة المربعة على الذين استهانوا بهذه «المرّة»!!! لأنها مرّة، ومرّة واحدة ووحيدة تأمّ وُصِّلب ومات المسيح!! ومرّة واحدة اعتمدنا هذه المرّة الواحدة التي ماتها المسيح على الصليب، فأصبح الذي يُخلُّ بهذه المرّة الواحدة في المعمودية يُخلُّ بالمرّة الواحدة التي ماتها المسيح!!! فمن أين وكيف يحصل له على موت المسيح ثانية بعد أن يضيّع معموديته التي مات فيها مع المسيح مرّة واحدة؟ ويمتتهى البساطة والوضوح هذا يعني أن الذي يموت مرّة لا يموت مرّة ثانية!!!

«لأن الذين استنبروا مرّة»:

هنا هذا البدء الشرطي — لأن الذين استنبروا مرّة — تفسيره بحسب قواعد اللغة اليونانية إمّا أن يكون هو السبب في الأربعة الأفعال الآتية بعده كأفعال مترتبة عليه، بمعنى أن الذين استنبروا مرّة يكونون بالتالي ذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وذاقوا قوات الدهر الآتي، أو تكون نفس «الاستنارة مرّة» محسوبة مع الأفعال الأربعة كأساس الإيمان بالمسيح وعطيته مجتمعة. ونحن نميل — بعكس شُراح كثيرين — إلى الحل الأول لأن المعمودية هي المفتاح الوحيد للحصول على هذه العطايا كلها، وبدونها تكون المعرفة والعطايا مشوّشة، كما رأيناها في العالم أبُلُس الإسكندري لَمّا جاء يبشّر بالطريق الجديد على أساس معمودية يوحنا فقط، فلمّا سمع به أكبلا وبريسكلا أخذاه وصححا له معرفته وموهبته ثم عمّدها باسم المسيح.

وهنا يكون بداية تفسير هذه الآية وهي مرتبطة مع سابقتها بحسب ترتيب الكلام كما جاء في اللغة اليونانية من تقديم وتأخير هكذا:

+ وهذا (تعليم أساسيات الإيمان بالمسيح) سنفعله إن أذنَ الله، ولكن مستحيل للذين استنبروا مرّة (أي قبلوا المعمودية بعد تعليم أساسيات الإيمان بالمسيح) وذاقوا ... وصاروا شركاء الروح القدس ... وذاقوا كلمة الله ... وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، أن يمكن تجديدهم بتوبة ثانية، بمعنى أنه لا يمكن عمادهم مرّة أخرى على أساس أن التوبة في معناها العملي الإلهي هي المعمودية.

ومعنى كلام القديس بولس باختصار هو: ولنترك الآن كلام تعليم الكاتشزم في أوليات الإيمان بالمسيح الذي سأعود وأشرحه بالتفصيل فيما بعد، ولكن الآن دعونا لنبدأ نشرح الأمور الخاصة بكمال الإيمان، ولكن أرجو أن تفهموا أن الذين تعلموا الأوليات مرّة وتابوا واعتمدوا ونالوا

المواهب، وبعد ذلك يسقطون عن الإيمان ويرتدون عن المسيح، أن تُجدد توبتهم أو عمادهم مرة أخرى فهذا أمر مستحيل، فليس لمثل هؤلاء المرتدين توبة أو عماد. وسأشرح لكم فيما بعد ومن جديد أساسيات المسيح. وإليك كلمات ذهبي الفم في هذه الآية:

[ انظر كيف تبدأ الآية بكلمة «مستحيل»، وتنتهي بكلمة «يشهرونه» أي يفضحون المسيح<sup>(٧)</sup>!! إذًا، فلا رجاء يُنتظر، إذ هو لا يقول إنه ليس حسناً (الذي يسقط أن يتوب ثانية) أو لا يليق، أو هو غير قانوني، بل أيضاً «مستحيل». هذا معناه أنه يُلقى هؤلاء في اليأس إن كانوا قد استناروا مرةً! ]<sup>(٨)</sup>

لأنه «مستحيل»: ἀδύνατον γάρ

يوجد في هذه الرسالة أربعة مستحيالات:

المستحيل الأول في هذه الآية (٤:٦)،

والثاني (١٨:٦): «لا يمكن (وهو مستحيل) أن الله يكذب...»،

والثالث (٤:١٠): «لأنه لا يمكن (مستحيل) أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا»،

والرابع (٦:١١): «ولكن بدون إيمان لا يمكن (يستحيل) إرضاءه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود».

وكلها مستحيالات ترقى إلى مستوى قضاء الله الذي لا يُردُّ. ومجيء «مستحيل» في النص اليوناني في بداية الجملة هو للتأكيد على خطورة الوضع البالغ القطع والمنع!! «سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام.» (يو ١٢: ٣٥)

«استنبروا مرةً»: ἀπαξ φωτισθέντας

وباللاتينية: illuminate

ويذكرها ق. بولس في نفس الرسالة مرة أخرى: «ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما «أثرتم» صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة» (عب ١٠: ٣٢)، حيث يتضح أنها المعمودية في بدء الإيمان بالمسيح. وكلمة «استنبروا» تعبّر عن اللحظة الحاسمة التي فيها يدرك الوعي في الإنسان

(٧) يقصد القديس ذهبي الفم هكذا: ماذا تنتظرون من أمر الذي يفضح المسيح؟ الأمر واضح، وهو مستحيل خلاصه!

(8) Chrysostom, op. cit., p. 410.

(٨) ونحن نعقب على القديس يوحنا ذهبي الفم ونقول: أي بأيسر يصيب هؤلاء الذين استهانوا بالمسيح؟ إنهم لا يعرفون اليأس، لأن الشيطان عن يمينهم يشجعهم ويحسّن لهم الارتداد.

المعمّد حقيقة النور الإلهي في مجده بالاستعلان الداخلي، حيث تصبح عطية يتم من داخلها إدراك أمور الله: «مستنيرة» عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته» (أف ١: ١٨ و١٩)، حيث تحديد ماهية النور وشخصيته: «كان "الكلمة" النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو: ١: ٩)، «أنا نور العالم» (يو: ٩: ٥). أما كيفية إشراق هذا النور داخل القلب فيقول: «لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا (بالمعمودية) لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢ كور: ٤: ٦). ويصفها سفر العبرانيين نفسه بأنها لحظة انفتاح الذهن لمعرفة الحق الإلهي في المسيح، حيث تصبح خيانة هذه المعرفة للحق في المسيح ثمنها الهلاك: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيره نار عتيدة أن تأكل المضادين.» (عب ١٠: ٢٦ و٢٧)

ولقد دخل هذا الاصطلاح «الاستنارة» في التقليد الكنسي بمعنى المعمودية منذ أيام ق. يوستين<sup>(٩)</sup> وكلمنضس الإسكندري، والعجيب — كما قلنا — أن النسخة السريانية للرسالة إلى العبرانيين ترجمت كلمة «الاستنارة» مباشرة إلى «المعمودية» هكذا: + «لأن الذين نزلوا مرة إلى المعمودية...»<sup>(١٠)</sup>.

«مرة»: ἑπανά

وصف الاستنارة أنها «مرة» بمعنى «مرة فقط»، كما تجيء في الإنجليزية: once for all أي «مرة واحدة منتهية»، أي لا تكرر لها. وذلك يعني أنها فعل كامل في ذاته كافٍ تماماً وكلياً في أثره<sup>(١١)</sup>.

«وذاقوا الموهبة السماوية»: τῆς δωρεᾶς τῆς ἐπουρανίου

بعد ذكر الاستنارة العظمى التي نالوها كعطية سماوية فائقة، وهي لا تعطى إلا مرة واحدة، يبدأ هنا بذكر عظامم وبركات وهبات هذه العطية، أي الاستنارة التي تتم بالمعمودية.

هنا فعلان يختصان بالحياة الأخرى:

الأول: الدخول بالمذاقة إلى الحياة نفسها وهو سبق المعرفة العملية للحياة الجديدة في واقع الزمن

9. Justin (*Apol.* 61, 65), Clement of Alexandria, *Paedagogus* 1.6.

10. Westcott, *op. cit.*, p. 148.

11. *Ibid.*



لأن الموهبة السماوية هي عطية فوقانية تختص بالحياة الأبدية.

**والفعل الثاني:** «صاروا شركاء الروح القدس»، أي نالوا قوة وفاعلية الوجود والارتقاء في هذه الحياة الأعلى. لأن الروح القدس هو روح الحياة الجديدة وقوتها وفعلها، والشركة هي الحصول على وحدة العمل تحت قيادة الروح القدس: «لأن كل الذين يتقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤). الفعل الأول شخصي ذاتي يفتح فيه الوعي الروحي على فوق، والفعل الثاني حصول على قوة ومؤازرة من الخارج لترتقي النفس أكثر فأكثر.

الفعل الأول عطية المسيح التي حصل عليها لنا بالموت أولاً ثم بالقيامة من الأموات: «أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية δωρεάν الله ومَن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب، لطلبيت أنتِ منه (معمودية) فأعطاكِ ماءً حياً (ماء الحياة الجديدة أي المعمودية)» (يو٤: ١٠). «فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية δωρεά بالنعمة (المعمودية) التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين» (رو٥: ١٥)، حيث يركّز بولس الرسول هنا على العطية العامة والشاملة التي يمكن أن ينضوي تحتها سر الإفخارستيا<sup>(١٢)</sup> وغيره من العطايا الخاصة.

وحينما يقول: «سماوية»<sup>(١٣)</sup> فهو لا يقصد أنها نازلة من السماء أو لها طبيعة السماء، بل أن هذه العطية تختص بالحياة في السماء وتتحقق عملياً فوق ولا تختص بالأرضيات.

أما قوله: «ذاق» فهو يعني تحقّق عملياً وعلى مستوى الحقيقة الروحية واستمتع بالفعل الجمالي. فكلمة «التذوّق» تختص بالإحساس الجمالي عامة، وهي تعني هنا الجمال الروحي. ولكن التذوّق يعبر عن سبق الحصول الجزئي والمؤقت والممكن أن يُفقد لأن اكتمال الامتلاك لا يختص بالحياة هنا على الإطلاق: «إن كنتم قد ذُقتُم أن الرب صالح.» (١بط ٢: ٣)

**«وصاروا شركاء الروح القدس»:**

هذا حقٌّ كل مَنْ يعتمد، والضرورة هنا ارتقاء، والارتقاء هنا هو إلى حالة ما فوق الطبيعة فيها يصير الإنسان محسوباً أنه يُقتاد بالروح ويتدبّر: «أما يسوع فرجع من الأردن (بعد العماد) ممثلاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح في البرية.» (لو٤: ١)

(١٢) يلاحظ أن نفس هذا التعبير «الوهبة السماوية» وارد في صلاة القديس بمعنى الإفخارستيا: [ لكي نتناول بغير وقوع في دينونة من موهبتك غير المانحة السماوية ]، حيث تأتي «الوهبة السماوية» في اللغة القبطية بنفس اللفظ اليوناني δωρεά ἐπουράνιον (صلاة الصلح في القديس الباسيلي).

فالشركة مع الروح القدس تعطي الإنسان صلاحية الارتقاء الى حياة ما فوق الطبيعة إن هو خضع لقيادته، كما تعطيه انفتاحاً على استعلان أسرار الله: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١ كو ٢: ١٠)

ولكن لا يزال الذين بلغوا الشركة مع الروح القدس مهتدين بإحزان الروح القدس بل وإطفائه: «ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتتمتم ليوم الفداء» (أف ٤: ٣٠)، «لا تطفنوا الروح» (١ تس ٥: ١٩). وماذا بعد الإحزان والإطفاء لروح الله القدوس إلاً المهجر بل ومداهمة الروح الشرير: «وذهب روح الرب من عند شاول وَبَغَتْهُ رُوحٌ رديءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ.» (١ صم ١٦: ١٤)

لذلك فهناك فرق بين الشركة في الروح القدس كموهبة وعطية للمعمدين، كحق من حقوق الخلقة الجديدة يبتدىء بها الإنسان المسيرة في الحياة، وبين حلول الروح القدس للملء لأن هذا يُحسب امتلاءً بالروح: «حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال ... (علماً بأنه معتمد بالروح القدس)» (أع ٤: ٨). ومرة أخرى امتلأ بطرس هكذا بعد الصلاة الجماعية للتلاميذ: «وامتلأ الجميع من الروح القدس» (أع ٥: ٣١). وبولس الرسول كان يحض المعمدين على الامتلاء بالروح: «امتثلوا بالروح» (أف ٥: ١٨). وهذا غير قابل للخلخلة لأنه يصير بعد اكمال المسيرة في النور والبر والتقوى واختبار كثير وعن بلا عدد ثم تركية.

٥: ٦ «ذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي.»

التدرج هنا لا يزال إلى أعمق وإلى امتداد، فالذي استنار (أي تعمد) وأشرق وجه المسيح في قلبه، يدخل في اختبار عملي للحياة العليا بالروح فيذوق مواهب الحياة ما فوق الطبيعة، وينال شركة الروح القدس للمسيرة في جثة الحياة، كمن قام مع المسيح ليُمارس القيامة في واقع الزمن حيث يبدأ حتماً الصدام والصراع بين القديم والجديد. وبعد هذين الفعلين الفائتين يذكر بولس الرسول هنا كلام الله الذي يبدأ الوعي أن يفتح عليه، فيذوق الإنسان صلاح أقوال الله، ومنها يطلع على القوات الخاصة بالحياة الأبدية بالنسبة للقوات الخاصة بهذا الدهر.

«ذاقوا كلمة الله الصالحة»: καλὸν θεοῦ ῥῆμα

«الصالحة» هنا تُترجمها الفولجاتا اللاتيني «Bonum»، ويترجمها ترتليان<sup>(١٤)</sup> Dulce أي

كلام «حلو». ولكن ق. بولس لا يقصد هنا كل الإنجيل ولكن مذاقة كلمات الكاتشيزم التي يتلقتها المعمد في البداية وتظل عالقة في قلبه: «الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك أي كلمة الإيمان التي نركز بها.» (رو ١٠: ٨)

وفي الحقيقة إن كلام الله مُبهج لكل أذن وكل قلب، ولكن جمال وحلاوة الكلمة وصلاحها لا يتوقف على السماع ولكن على الطاعة والتنفيذ والخضوع وتسليم الحياة. والمسبح قِيم العلاقة الحقيقية بين حلاوة الكلام الإلهي ومدى الانفعال له أنه في نسبة مطردة، فالخلاوة الشديدة تثير انفعالاتاً شديداً. ولكن للأسف عاد وقِيم فعالية الكلمة على المدى الطويل مع خصوبة تربة القلب أو تجرّها: «وهؤلاء كذلك هم الذين زرعوا على الأماكن المحجرة الذين حينما يسمعون الكلمة يقبلونها للوقت بفرح ولكن ليس لهم أصل في ذواتهم بل هم إلى حين. فبعد ذلك إذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فللوقت يعثرون» (مر ٤: ١٦ و١٧). وما أشد الشبه بين أولئك الذين ليس لهم أصل وبين المُرسلة إليهم هذه الرسالة!! وهي مُرسلة لهؤلاء العبرانيين المزعزين. فما أكثر الذين يتذوّقون صلاح كلمة الله ويتبارون في حفظها والوعظ بها، ولكن ما أكثر تعرّضهم فيها وقت الضيق. فالفرحة إلى حين والعثرة تترصدنا كل حين.

### «قوات الدهر الآتي»:

تأتي كلمة «قوات الدهر الآتي» بدون «أل» التعريف، لذلك تأتي باهتة لا لون لها. وهذا تصوير مُبدع للذين يدخلون في معرفة الحياة الآتية من خلال الاستنارة ومواهبها، كحق مكتسب لكل معمّد نطق بالإيمان وآمن بالموت والقيامة، حينما تُستعلن أمور الحياة الجديدة وسهولتها وجمالها الفائق ومعونات الله وقوة دفع الروح القدس، وقدرة الإنسان على مواجهة صعاب الحياة في البداية بمعونة نعمة الروح القدس فيذوق الإنسان القوة الإلهية الفعّالة في الحياة الجديدة لمؤازرة الداخلين فيها كعينة صادقة لعمل الروح القدس في مجال الخليقة الجديدة.

وكون «قوات الدهر الآتي» تأتي هنا بدون «أل» التعريف كمستقبل مجهول يجعلها على مستوى منخفض للغاية عن واقعها الكامل، فهي مجرد خبرة مبدئية تتوازي مع بدء خبرة الدخول في الإيمان، ولكنها خبرة غير محققة بالفعل بل مجرد مذاقة أو عينة إما تُزيد المؤمن اندفاعاً للشهادة للمسيح، أو تقف شاهدة عليه حينما ينسحب من هذه الحياة برضاه:

+ «كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تبتّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرّح لهم إني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فاعلي الإثم.» (مت ٧: ٢٢ و٢٣)

واضح هنا أن هؤلاء الذين تنبأوا وأخرجوا شياطين باسم المسيح، وبالاسم العظيم صنعوا قوات، أنهم بالفعل ذاقوا المواهب العليا السماوية وذاقوا صلاح كلمة الله، بل ومارسوا قوات الدهر الآتي، أي بلغوا إلى منتهى العطايا المسيحية، كما يقول سفر العبرانيين هنا بكل الوضوح والتأكيد. ولكنهم، وبالرغم من هذا كله، أخرجهم المسيح من أمامه يوم الدينونة ونعتهم بفاعلي الإثم. إذًا، فميزان المسيحية ليس بالتنبؤ يُقاس، ولا بقوة إخراج الشياطين ولا بعمل المعجزات. كذلك واضح أمامنا من المثل الذي قاله المسيح، أن لمثل هؤلاء لم يُعَدَّ رجاء في توبة ولا في معمودية ولا في تجديد حياة، فالحكم جاء قاطعاً نهائياً «لا أعرفكم». أما السبب المباشر الذي أدين بسببه هؤلاء الناس المرفوضون فقد حدّده المسيح بقوله: «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل "إرادة أبي" الذي في السموات» (مت ٧: ٢١). أما السبب المباشر في استحالة التجديد في النموذج الذي أورده سفر العبرانيين، فقد وصفه دون أن يوضّح ماهيته، إذ قال إنه «سقوط». لذلك إن شئنا أن نحدّد ماهية هذا السقوط فتطبيقه على المثل الذي قاله الرب يكون هو السقوط عما «أراده الله لهم»، وإرادة الله المطلقة للجميع هي خلاصهم لأن الله «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبَلون» (١ تي ٢: ٤). فالذي يرفض خلاصه هو يرفض إرادة الله وبالتالي يكون سقط بعيداً عن الله.

ولكن يلزم أن ننتبه جداً، أن في القول الذي قاله الرب بخصوص القوم الذين تنبأوا وأخرجوا شياطين وصنعوا قوات باسم المسيح وأخيراً رفضهم الرب ونعتهم بأنهم في الحقيقة فاعلو إثم، يتضح لنا أنه من العسير جداً على أي إنسان، كان من كان، أن يقطع بالقول على إنسان ما أنه في الإيمان أو خارج الإيمان. فهؤلاء الذين رفضهم الرب كانوا بحسب المظاهر والأعمال متمسكين باسم المسيح، فباسمه يتنبأون وباسمه يُخرجون الشياطين وباسمه يعملون قوات، وأخيراً ظهر أنهم أعداء للمسيح ولاسمه!! هنا قول ق. بولس هو القَصْدُ: «يعلم الرب الذين هم له» (٢ تي ١٩: ٢)

وأخيراً من الأمور الملاحظة جداً في مجموعة الهبات هذه التي بعد أن نالها أصحابها سقطوا، أنه لا توجد فيها موهبة المحبة لأنها «لا تسقط أبداً» (١ كو ١٣: ٨)، وبدونها تسقط كل المواهب الأخرى ولا تساوي إلا «نحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ». (١ كو ١٣: ١)

٦:٦ «وسقطوا، لا يُمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلون لأنفسهم أبَنَ الله ثانيةً  
وُشْهِروَنَهُ».

«وسقطوا»:

باليونانية: καὶ παραπεσόντας

وباللاتينية (الفلجاتا): et prolapsi sunt، وترجمها ترتليان cum exciderint.

وهكذا تفقد المواهب والنعمة قيمتها مرةً واحدة بهذا السقوط الحزين. وهكذا سقط الذين اعتمدوا مرةً واحدة وإلى الأبد. يحكي عن هؤلاء القديس يوحنا الإنجيلي في رسالته هكذا: «متاً خرجوا لكنهم لم يكونوا متاً، لأنهم لو كانوا متاً لبقوا معنا لكن لُيْظْهروا أنهم ليسوا جميعهم متاً.» (١٩:٢٠)

والعجيب، كما يقول العلامة وستكوت، أن فعل «سقطوا» كما جاء باليونانية في هذه الرسالة لا يوجد إطلاقاً في كل أسفار العهد الجديد، ولكن الاسم منه يحيى بكثرة وهو «التعدي» = παράπτωμα.

والمعنى التثني للفعل «سقطوا» παραπεσόντας يعني التعدي على حدود الطريق السوي الحقيقي أي «الأليثيا»، تماماً كما تعني الخطية وفعالها «يُخطيء» ἀμαρτάνω أن الإنسان ضل الهدف أو أخطأ العلامة في التصويب! ولكن عندنا بحث يقول أن هذا الفعل παραπίπτω قائم بذاته ويعني مباشرة الارتداد (١٥).

هنا فعل «سقط» يأتي في هذه الرسالة موازياً تماماً لقول المسيح بخصوص: «أمتاً مَنْ جَدَّفَ على الروح القدس فلا يُغفر له» (لوقا ١٢: ١٠). فهذا هو السقوط عن الله بعينه. كذلك يأتي مساوياً لقول ق. يوحنا الإنجيلي: «توجد خطية للموت، ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب.» (١٦: ٥)

«لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة»:

«لا يمكن»: ἀδύνατον

تأتي في النص اليوناني في بداية الآية (٤) وتتسحب على كل الآيات بعدها. وهنا استحالة

تجديدهم تأتي بصورة صارمة، كأن الأمر مقطوع به .

ولكن يُلاحظ أن اسم الفعل «تجديدهم» غير مبني للمجهول حتى يمكن أن يحتمل أن يكون الفاعل مستتراً ويكون هو الله، بل هو فعل مبني للمعلوم حيث الفاعل يكون المسئولين عن التجديد في الكنيسة أي المسئولين عن العماد. فهنا الاستحالة منحصرة في قدرة البشر<sup>(١٦)</sup>، فهي ليست مطلقة، بل الإمكانية الإلهية تظل يُعمل لها حساب: «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» (لو ١٨: ٢٧)، «هل يستحيل على الرب شيء» (تك ١٨: ١٤)، «لأن ليس شيء غير ممكن لدى الله» (لو ١: ٣٧)، حيث لا يكون العلاج هو التجديد، بل بمثابة الإقامة من الموت لأنها «خطية للموت»، وليس في مقدور الإنسان حتى الصلاة من أجل غفرانها لأنها محسوبة أنها في حقيقتها حالة صلب للمسيح مجدداً. فالذي يجحد المسيح ويدوس الإيمان به هو مساوٍ لَمَنْ صَلَبَهُ. ولا يمكن أن يطلب الإنسان غفراناً لَمَنْ صَلَبَ المسيح أو يصلبه، فالذي يمكن أن يُغفر له هو الوحيد الذي قال: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لو ٢٣: ٣٤). وهنا يتضح خطأ الكنيسة الفادح إن هي أقدمت على غفران خطية الذين صلبوا المسيح وتُبرىء اليهود من تهمة الصلب وهي ثابتة عليهم في الإنجيل ومن فم المسيح. لهذا يظل غفران خطية مَنْ جَدَّفَ على المسيح واستهان به وداس على الإيمان المسيحي، وهو الأمر المساوي لصلب المسيح، لا يدخل إطلاقاً في دائرة إمكانيات الإنسان كان مَنْ كان.

أما العودة إلى قول المسيح إن «كل مَنْ قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له وأما مَنْ جَدَّفَ على الروح القدس فلا يُغفر له» (لو ١٢: ١٠)، ويزيدها القديس مرقس في إنجيله بقوله: «إلى الأبد» (مر ٣: ٢٩)، فواضح أنه لم يُقَلَّ جَدَّفَ على المسيح بل «قال كلمة على ابن الإنسان»، فهنا حالة تختص بوضع لم يُستعلن فيه المسيح بعد أنه «المسيح» أو أنه «ابن الله»، بل قال إنه «ابن الإنسان» فقط. فالعشرة بكلمة — وليس بتجديف — محصورة في بشريته فهي حتماً مغفورة، ولكن إن صار تجديفاً وطال لاهوته، فالإهانة تكون قد طالت الله تماماً كالإهانة إن طالت الروح القدس، فلا يُغفر له إلى الأبد: «الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو ٣: ٣٦)

لقد حاول كثير من الآباء والشُرَّاح التقليل من صرامة هذا القطع بالأمر، فمثلاً ذهب القم يقول إن الاستحالة هنا واقعة على العماد فقط وليس التوبة:

[ أن يتجددوا يعني أن يصيروا في حياة جديدة، ولكي يصير الإنسان جديداً هذا يكون بعمل المعمودية فقط كالقول: «يجدد شبابك مثل النسر» (مز ١٠٣: ٥). وأما عمل التوبة فهو للذين صاروا في حياة جديدة (بالمعمودية) عندما يخطئون ويرتدئون إلى (الإنسان) العتيق لكي تحلصهم وتشددهم. ولكن إعادتهم إلى سابق بهائهم فمستحيل لأن الأمر كله متعلق بالنعمة] (١٧).

ومن قول ذهبي الفم نعود ونذكر أن الأمر كله مرفوع لله، والإنسان في هذه الورطة ليس له رجاء إلا في الله.

أما شرح هذه الآية على مدى التاريخ الكنسي، فقد عاصرت في بداية الأمر الاتجاه التعسفي الحرفي القاطع (بشبه الناموس القديم)، وكان ذلك على يد العلامة ترتليان الذي قال بعدم قبول توبة الذين يخطئون بعد المعمودية وحتمية قطعهم من المجتمع الكنسي. وكان ترتليان واضعاً في فكره نوعاً واحداً من الخطية وهو الزنا. وهذا مما يجعل نظرية ترتليان لا تنطبق على آية سفر العبرانيين هذه التي لا تخرج في مضمونها عن الارتداد عن الإيمان بالمسيح بإرادة وتصميم ووعي. ولكن تشييع لفكر ترتليان كثير من الآباء ورجال الكنيسة وكان هذا يؤذن بالخطر على مستقبل الكنيسة. وحتى في العصر الحديث وقف العلامة بوركيت (١٨) ينادي بفكرة ترتليان وضرورة الأخذ بها.

كما ظهر نوع جديد من التساهل والميوعة في تفسير هذه الآية في محاولة لتبسيطها إلى الحد الذي أضاع مضمونها الخطير الذي يركّز على أن الارتداد بحد ذاته هو عمل موجه ضد المسيح والله رأساً. وقد أخذ بفكرة التباس في فهم هذه الآية كثرة من المحدثين وترغمهم ك. س. وست (١٩) باعتبار أن كلمة «سقطوا» إنما تشير إلى مجرد «فكرة نظرية لم تحدث»، وأنها غير قابلة للحدوث الآن إذ لا يوجد هياكل وثنية وتقديم ذبائح للأوثان. ولكن واضح هزال هذا الفكر وعدم قدرته على الارتفاع لمستوى الرسالة إلى العبرانيين وإلى مدى خطورة هذه التحذيرات، ليس لمؤمني القرون الأولى بل وكارثة هذه الأيام بصورة أخطر وأكثر إلحاحاً، فإنكار المسيح الآن هو على المستوى العلني.

والإنسان يتعجب لكل هذه المحاولات مع أن نفس الرسالة إلى العبرانيين في مواضع أخرى

17. Chrysostom, *op. cit.*, p. 410.

18. Bruce, p. 123, citing F.C.Burkitt.

19. Bruce, pp. 122f.

تصمّم على هذا المعنى بالذات، اسمع قوله :

+ « لثلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعميسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته. فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لمّا أراد أن يرث البركة رُفض، إذ لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع. » (عب ١٢ : ١٦ و١٧)

وأخيراً نضع أمام القارئ علةً قسوة هذه الآية التي تبدو مفرطة للغاية، وهي ليست كذلك بل هي تحصيل حاصل، وحكم يضعه المرتد على نفسه ولا يضعه عليه أحد. فأمامنا بطرس الرسول وقد أنكر المسيح عن وعي ثلاث مرّات، أي بتأكيد، والرب غفر له وشدّده ليشدّد غيره، وأمامنا أيضاً يهوذا الذي أنكر المسيح أيضاً وبتأكيد وقبض الثمن ثم ذهب وشقّق نفسه. واضح أن الأول وهو بطرس الرسول سقط بتفريط اللسان وقد خاتته الإرادة، ولكن كان على حب للمسيح شديداً، وكان على إيمان وإعجاب أشدّ، فاعتبره الرب أنه لم يسقط بعيداً عنه بل سقط بين يديه فحمّله وحملته المحبة فلم يسقط أبداً.

أما الثاني وهو يهوذا، فسقط بالإرادة والنية والقول والفكر والتدبير معاً وخان وباع بيعاً مُبيناً وقبض. فهذا كان سقوطه بعيداً عن المسيح، وسقوطه كان لا يسنده ساند، لا حب ولا أمانة ولا ثقة. لهذا دعاه المخلص «ابن الهلاك»، مع أنه تعمّد واستنار وذاق كل كلام المسيح وصلاحه وشارك في قبول القوات السماوية ومارسها وأخرج الشياطين وعلمّ وسار في موكب المعلم والمعلمين، وتلقّى البركات، وسرق الصندوق.

« للتوبة » : μετανοίαν

التوبة هنا تعني عملياً تغييراً كلياً وشاملاً للفكر عن كل أخطاء وجهالات الماضي، على أساس إدراك منفتح لحقيقة طبيعة المسيح وقوة قيامته في إعطاء حياة جديدة للإنسان. بهذا المفهوم العملي الدقيق للتوبة، يصبح من المستحيل تكرارها !! كما يقول العلامة أوريجانوس تماماً، فلجلالها يمتنع تكرارها.

وسيכולوجياً يتعثر الفكر البسيط في قبول إمكانية تكرار التوبة الشاملة بسبب ارتباط الفكر العادي التقليدي بين المؤمنين بأن التوبة هي الكفّ عن سلبات الماضي فقط. ولكن هذا صحيح فيما يخص التوبة اليومية والإنسان في حضن المسيح والنعمة. ولكن سفر العبرانيين هنا يواجه جماعة ليسوا في حضن المسيح، وهم على وشك الارتداد إلى اليهودية وإنكار الإيمان والمسيح والنور والحياة الجديدة برمتها !! لذلك هو يركّز على التوبة الشاملة التي تسبق المعمودية وتؤهل لنوال الإنسان



الجديد بالمعمودية، والتي يُعتبر الشق السالبي فيها هو الأضعف، أي الاعتراف بأخطاء وجهالات الماضي. ولكن الشق الإيجابي هو المقصود وهو الخطير الذي يتعدّر تكراره وهو الاعتراف بالإيمان بالمسيح والانفتاح المباشر على طبيعة المسيح وإدراك واعٍ قريح لقوة موته وقيامته ونوال فعاليتها في تجديد الحياة واتئمان الله للإنسان على موهبة وعطية الروح القدس. فهذه تكرارها شبه مستحيل لدى مَنْ ينكر المسيح. فالإنسان الذي مات بالخطية يمكن أن يتقبّل الحياة الأبدية مرّة واحدة. ولكن إن سقط عن الحياة الأبدية وارتد عن المسيح ماذا يبقى له إلا حياة الموت؟

« إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية وُشّهرونه »:

هنا يقدم بولس الرسول أوضح وأدقّ شرح لماذا يستحيل تجديدهم للتوبة!

فهو بهذه الآية يشرح حال ضميرهم وحال واقعتهم وتفكيرهم وسلوكهم، إذ هم قد بلغوا من العداوة والصدود المريع لشخص المسيح ما جعلهم بسلوكهم هذا يُحسّبون أنهم يصلبون بالفعل ابن الله هلاك أنفسهم وقبول الدينونة المريعة.

هنا أتينا صادر من المسيح نحوهم على غرار «شاول شاول لماذا تضطهدي» (أع ٩: ٤). ولكن ق. بولس عوفي منه لأنه كما يقول: « لكنني رُحمت لأنني فعلت بجهل في عدم إيمان» (١ تي ١: ١٣)، لأنه ما كان قد تعمّد ولا عرف المسيح بعد، ثم كان في غير التاموس والدفاع عن الإيمان بيهوه عندما كان يطارد المسيحيين ويقتلهم ويجدّف على الاسم الكريم. ولكن هؤلاء، كما يقول ق. بولس، ما عذرهم؟ وقد تعمّدوا وعرفوا وذاقوا وصاروا شركاء الروح القدس، ثم إذ يرتدّون، لا عن غير التاموس ولا أمانة ليهوه، بل هرباً من ضيق وميلاً لتأمين المعيشة والجسد وغروراً بمباهج ومناظر لعبادة نافلة.

يُلاحَظ أن فعل «سقطوا» يأتي في الماضي البسيط، ولكن «يصلبون» في المضارع الدائم، فسقوطهم عن المسيح مرّة واحدة أنشأ فيهم وهم حالة صلب للمسيح دائمة. وهنا المتألّم هو المسيح: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت». (مز ٣٧: ٢١ بحسب النسخة القبطية)

٧: ٦ «لأن أرضاً قد شربّت المطر الآتي عليها مِراراً كثيرةً وأنتجت عُشباً صالحاً للذين فليحت من أجلهم تناك بركة من الله».

التشبيه هنا إبداعي. فعطايا الله في الناس كما هي في الطبيعة يُطلب لها عائد. فإن أعطت ما يوازي عطايا الله نالت مزيداً من بركة ومزيداً من عطاء وأيضاً لزيد من عائد! «فكل مَنْ أعطي

كثيراً يُطلب منه كثيرٌ» (لو١٢: ٤٨)، وأمثلة الله كلها في التوراة والإنجيل تقوم على العطية ومعها الشمر. وحساب الحقل يعلنه البيدر. ومن يعيش حقاً بالإنجيل، فمن الإنجيل يأكل حقاً ويعيش إلى الأبد.

٨: ٦ «ولكن إن أحرَّجتِ شوكتاً وحَسَكاً فهي مرفوضةٌ وقريبةٌ من اللعنة التي نهايتها للحريق».

هنا انكسر قانون «لكل عمل ثمر، ولكل عطية بركة». لقد تدخَّل عنصر الفساد، فخطية آدم حوَّلتَه من الجنة إلى أرض لعنة ومن الأكل من كل شجرة هنيئة وجنيئة إلى شوك لا يؤكل وحَسَكٍ لا يُغني عن جوع. ولكن الآية هنا تتكلَّم عن طبيعة الأرض، فهي لم تستجِب لمطر الله وندى السماء ولا لفلاحة الإنسان:

+ «فانتظرت أن تصنع عبأً فأنجبت شوكتاً» (إش ٥: ٢ السبعينية)،

+ «فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي، أنزع سياجه فيصير للزعي، أهدم جدرانَه فيصير للذؤوس، وأجعلُه خراباً لا يقضب ولا يُنقَب فيقطع شوك وحسك. وأوصي الغيم أن لا يُمطر عليه مطراً. إنَّ حَزَمَ رب الجنود هويت إسرائيل، وغرسَ لذته رجالاً يهوداً، فانتظر حقاً فإذا سفك دم وعدلاً فإذا صراخ.» (إش ٥: ٥-٧)

### «مرفوضة وقريبة من اللعنة»:

يستند على هذا النص القديس ذهبي الفم<sup>(٢٠)</sup> ليؤكد وجهة نظره أن أمر الأرض كأمر الذين سقطوا: هم رُفضوا ولكن لم يبلغوا بعد إلى اللعنة. فإن هم أحرقوا شوكتهم أي خطيتهم فيحسبوا يُقبلون. ولكن تعليقنا على هذا الشرح هو أن الأمر لا يختص بخطايا وعيوب أخلاقية وسلوكية تحتاج إلى التوبة ولكن يتعلَّق بإنكار الإيمان بالمسيح وبرفضه شخصياً والارتداد إلى اليهودية، ما يستحيل معه أن يكون له توبة ولا تجديد. وهذا ما عبَّر عنه السفر بعد ذلك أنهم داسوا ابن الله وازدروا بدم العهد الذي به تقدَّسوا. لقد ضفروا بشوكهم إكليل عار على رأس المسيح، وفضحوه بارتدادهم، وما فتوا يصلبونه برفضهم أن يكون ابن الله والمخلص، معتبرين أن صلبه كان عن حق كما رآه صالبيه آنذاك. فأين مكان التوبة وأين موضع التجديد؟

أما قوله: «قريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق»، فالكلام مرفوع إلى الاسخاتولوجية، أي أن

اللجنة تنتظرهم هناك في الآخرة والتي نهايتها النار الأبدية: «لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩) «تأكل المضادين.» (عب ١٠: ٢٨)

نقول إن عودة الذين ينكرون المسيح الذي فداهم إلى حظيرة المسيح ممكنة في حالة واحدة فقط، أن يكون إنكارهم كإنكار بطرس إنكاراً كاذباً بالفم وليس بالقلب أو الفعل. أما من يدافع عن يهوذا الذي خان وقبض، فهو يُسيء إلى قلب المسيح وجنبه!!!

### ٣ - عودة إلى التشجيع واللقاء الرجاء في قلوبهم

[ ٦ : ٩ - ١٢ ]

واضح إذ أن ق. بولس لم يتهمهم نهائياً بالنكوص والمروق من الإيمان والرذلة، ولكنه كان يحذّر ويصف ماذا يكون الارتداد وما معناه وما نهايته حتى يقطع خط الرجعة على الذين مالوا بفكرهم للخروج عن الإيمان. لذلك أصبح من الضروري أن يسرع ويسندهم بكلمة تشجيع حتى لا تخور نفوسهم وإن كانت قد خارت: «أسندني فأخلص!!» (مز ١١٩: ١١٧)

وهنا تنقسم الكلمة إلى قسمين: قسم جعله أمراً يكاد يكون متيقناً عنده، وقسم يراه أمراً يرجوه لهم. ما هو متيقن عنده جاء في (٦ : ٩ و ١٠) وما يرجوه جاء في (٦ : ١١ و ١٢).

القسم المختص باليقين:

٩:٦ «ولكننا قد تيقنا من جهنم أيها الأحياء أموراً أفضل ومختصة بالخلاص وإن كنا نتكلم هكذا».

«ولكننا قد تيقنا»: πεπεισμεθα

يبتدىء الكلام هنا بكلمة تحمل معنى العودة السريعة عن سوء الظن، والانتقال من الشك إلى اليقين: «ولكننا قد تيقنا»، نافيةً بذلك أن يكونوا هم المقصودين بالمروق عن الإيمان والارتداد. ولكن ق. بولس في الحقيقة كان قد أكمل درسه القاسي وجرح مشاعرهم أشد الجراح، فقد نعتهم بالمتكاسلين، المتباطئي المسامع، والأطفال الذين لا يليق بهم إلا الرضاعة، والذين أبطأوا في نفع تعليم المبتدئين ولا يريدون أن يتزحزحوا ناحية الكمال. ثم فوق هذا كله كشف عن نيّة بعضهم المسيئة نحو الهرب نهائياً من الكنيسة وجحد الإيمان بالمسيح، وهؤلاء شرّح بمبضعه الذي يعرف أين

مكامن السرطان، وعمق الجرح حتى استأصل النيّة المُثبِتة وعرّى وفضح، وها هو قد عاد يلمّ الجرح ويلطف المريض المُدنيّف على الموت، ويستفيقه بكلام التشجيع وكأنه لم يجرح ولم يذبح!

وها هو يعتبر جراحه الدامية وكأنها مجرد كلام: «وإن كُنّا نتكلّم هكذا»، أما الورم الذي استأصله فهو عملية: «أمر أفضل ومختصة بالخلاص» وقد آلت إليها جراحه، وكطبيب يثق بمبضعه، يقول بالفعل إنهم «قد صاروا إلى أفضل»، وإن كانت كلماته التي كانت كالزيت وهي نِصال قد أهاجت نفوسهم وكأنهم أعداء، فهذا هو بعد أن أكمل تأمينهم من ارتدادهم بالفعل إلى معسكر الأعداء يدعوهم أحبّاء!

إنه حقاً رسول يحسن العمل بالمشروط ويجيد الكلام والملاطفة. ويا لسعد الكنيسة بمثل هؤلاء الجرحّاحين اللطفاء.

١٠:٦ «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو آسبه إذ قد خدّمتم القديسين وتخدّمونهم».

نكتشف هنا لماذا بقي هؤلاء القوم محفوظين من الردة بالرغم من إلحاح الظروف وميل النيّة على ذلك، فسّر المحبة يتلألأ هنا ليضفي على ضعفهم قوة وعلى قلقهم صبراً وعلى آلامهم احتمالاً ... فهم قوم عمّالون بالمحبة على مستوى فوق الجهد بلغ حدّ التعب، وكان هدفهم إرضاء الضمير من نحو الله عساه ينظر إلى مدّتهم في تلك الأيام ويريح أفكارهم وقلوبهم الحائرة بين الصّفين، فاليهود يضغطون ويلوحون بالعقوبة التي تُدخل الرُعب في قلوبهم، والمسيحيون يستميلونهم بالحب والمعونة والتشجيع.

لكن الدعوة المسيحية الأولى التي اندفقت في أحشائهم لا تزال تدفعهم إلى الأمام على كل حال. فقد كشف ق. بولس عن نوع أعمالهم ونوع حبههم ونوع صبرهم وإيمانهم وخدمتهم لزملائهم المسيحيين الذي بلغ الذروة عندما اقتبلوا الإيمان ونالوا ختم الحياة وصاروا مسيحيين بل قديسين. اسمعه وهو يذكّرهم بهذه الأيام السعيدة:

+ «ولكن تذكّروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أنرتم (اعتمدتم) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة، من جهة مشهورين بتعبيرات (الصليب) وضيقات (الطرد من المجمع والميكل) ومن جهة صائرين شركاء (مسيحي الأمم) الذين تُصرّف فيهم هكذا.

لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً وقبلتم سلب أموالكم بفرح (حرمانهم من مخصّصاتهم

وأرضهم وتجارتهم كيهود) عالمين في أنفسكم أن لكم مالا أفضل في السموات وباقيًا. «  
(عب ١٠ : ٣٢-٣٤)

من هذه القلادة الثمينة المزيّنة بفضوص الماس واللآلئ التي يعلّقها ق. بولس على صدر أولئك المزعزين في إيمانهم، يتضح لنا فداحة الآلام والضيقات والتعبيرات والتهديدات التي انصبت عليهم من اليهود لصّدّهم عن المسيح - التي أفقدتهم هذا السلوك العالي في المسيحية - وهي التي من أجلها تُقيّم هذه الرسالة التشجيعية المعزّية. فلولا علو شأن هؤلاء اليهود المتنصرين ونصاعة تاريخهم المضيء بالإيمان والنعمة والقوة، ما تجسّم ق. بولس أن يكتب هذه الرسالة التي سكب فيها أقصى ما يملك من النعمة لتحذيرهم من معيّة الارتداد، وتوعيتهم لمدى الخسارة الفادحة التي ستحيق بهم وبالكنيسة إن هم فقدوا الصبر.

ومن هنا يعود بولس الرسول وكأنه يخاطب نفسه أكثر مما يخاطبهم عندما يوازن بين أعمالهم وحبهم وصبرهم والجهد الذي أظهره في بداية حياتهم المسيحية تحت وطأة عنف الاضطهاد، وبين إمكانية سقوطهم، ثم هلاكهم؟ هل ممكن؟ وهنا يقرر ما شعر به وكأنه صوت من الله يطمئن فيقول: «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه...». فالله هو الذي خاطب إسرائيل أيضاً في الماضي، وهم الذين أهانوه وجربّوه في البرية، بقوله بعدئذ لأحفادهم: «اذهب ونادِ في أذني أورشليم قائلاً هكذا قال الرب: قد ذكرت لكِ غيرة صباك، محبة خطبتكِ، ذهابكِ وراثي في البرية.» (إر ٢ : ٢)

صديقي القارئ، انتبه وانظر كيف أن «أعمال المحبة» حينما تكون من كل القلب وكل الجهد تحفظ الإنسان في ساعة التجربة وتنجّيه من يوم السوء وتنشله من حالة اليأس وتحفظه من أن يخون عهد الله تحت وطأة الضيق مهما بلغ!!

القسم المختص بما يرجوه بولس الرسول:

١١ : ٦ «ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية.»

كانت الآية التشجيعية السالفة (١٠ : ٦) هي آية «المحبة»، فوضعا ق. بولس في قمة ثالث الإيمان والرجاء والمحبة. أما هذه الآية ففكرسها ق. بولس «للرجاء»، والرجاء يُطلب بشدة

ويتخطى درجته الثانية عندما يتزعزع الإيمان!! والرجاء هنا يجيء في الاتجاهين، رجاء عند ق. بولس ليكون عندهم رجاء! وق. بولس لا يستمد لهم هذا الرجاء ويدفعهم إلى التعلق به — من فراغ — فمحبتهم التي أظهروها من نحو اسم الله والتي جعلتهم يخدمون الكنيسة من حولهم بكل ما يملكون هي التي يستمد من بذرتها السماوية قوة لهم ليتعلقوا بالرجاء ثم الإيمان.

«ولكننا نشتهي»: ἐπιθυμοῦμεν δέ :

إن هذه الكلمة المملوءة رغبة وشوقاً وطلباً وإلحاحاً وعاطفة، تعطينا صورة جديدة للغاية عن مستويات كثيرة:

أولاً: مستوى حب ق. بولس وإيمانه بهذه الرسالة وأهميتها العظمى.

ثانياً: مستوى أهمية هؤلاء القوم المزعزين عند ق. بولس.

ثالثاً: مستوى الخطورة المحيقة التي أحاطت بهم فكادوا أن يفقدوا الرجاء لولا ذخيرته التي لا تفنى عند المحبين.

رابعاً: رجاء ق. بولس هو الذي صاغ هذه الكلمة، فشهوة القديسين دائماً أن يترجوا خلاصاً للمستضعفين.

«أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه»:

شهوة ق. بولس أن اجتهادهم الأول الذي رافق دخولهم الإيمان بالمسيح، يظل على مستواه الأول لأن هذا هو وعد الخلاص والمخلص: «ها أنا معكم كل الأيام» (مت ٢٨: ٢٠). فالاجتهاد الذي لازم الإيمان في مبدئه ليس عطية وقتية ولا غير عابرة، بل هو بعينه طبيعة الإنسان الجديد وهو غير الروح القدس التي اضطرمت بها النفس عندما انفتحت على المسيح وأخذت منه وشابته.

قد يتشكّل الجهاد بأعمال متعددة ولكن يظل الاجتهاد الحار علامة لجدة الحياة التي يجيها المؤمنون. والفتور والتراخي ليس توقفاً على الطريق بل رجعة إلى الوراء تُندّر بما أُندرت به حالة أولئك العبرانيين الحزينة المحيرة. حينما تبرد المحبة يتعطل الاجتهاد، وإذا توقّف الاجتهاد لا يستيقظ منه الإنسان إلا ويرى نفسه قد تقهقر فراسخ وأميالاً. لا توجد حياة فاترة في المسيح، لأن المسيح لا يطبقها إذ يتقياً صاحبها لأنه يدّعي الحياة وهو ميت ويشير من حوله الصخب كعمّال وهو متواين. والمسيح في سفر الرؤيا يقول هذا ويقول إنه مستعد أن يجعلك غنياً بالأعمال وبالحياة وبالطهارة وبالمعرفة، ولكن عليك أن تكفّ أولاً عن الرياء الذي تعيشه والكذب على الناس:

«لأنك تقول إني غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان.» (رؤ١٨:٣)

بولس الرسول يخاطب هؤلاء القوم أن يعودوا إلى سيرتهم الأولى في الاجتهاد، أي يعترفوا بفقرتهم وتوانيتهم أمام الله ليهبهم حرارة الروح للإمساك بالحياة الأبدية من جديد.

«ليقين الرجاء إلى النهاية»:

إن توانيتهم وإهمالهم في التلمذ على سبيل الخلاص باجتهاد وتوقفهم عند مراحل التعليم الأولية للمبتدئين ضيَّع منهم حرارة الإيمان وغيره الخلاص والتهاب الرجاء، إذ لا يمكن أن يلتهب الرجاء في قلب الإنسان المسيحي إلا وهو في حالة الصلاة وغيره الخلاص ومحببة المسيح والقديسين وشهوة الإنجيل. فأفة الرجاء هو التواني والكسل وعدم التلمذ للإنجيل والإهمال في السعي وراء الروح القدس واقتناء إرشاداته وتوعيته وتوجيهاته، هذا يطرح الإنسان بعيداً عن محبته الأولى ومجد الروح القدس وأفراحه، وهذا يؤلم المسيح كقول سفر الرؤيا: «وقد احتملت ولك صبرٌ وتعبت من أجل اسمي ولم تكيلّ. لكن عندي عليك أنك تركت محبتك الأولى، فاذا ذكر من أين سقطت وتُتّب واعمل الأعمال الأولى وإلّا فإنني آتيك عن قريب وأزحج منارتك من مكانها إن لم تتب.» (رؤ٢:٣-٥)

«يقين الرجاء»:

الرجاء في المسيح يختص بتكميل وعده، ووعد المسيح لا حد له ولا نهاية في الحاضر والمستقبل. وكون المسيح يعد، فهذا بحد ذاته داخل في مجال اليقين بمعنى حتمية النفاذ، ولا يلزم للإنسان المسيحي أن ينتظر تكميم وعد المسيح في الزمن الآتي، فوعد المسيح حاضر دائماً ونافذ كل يوم حتى إلى ملء معرفة الله والحياة الأبدية، وإنما كمبرون نتذوقه الآن ونتعرّف عليه ونمتلئ فرحاً وعزاً وسروراً. فوعد المسيح هو رجاؤنا ورجاؤنا في المسيح هو فرحنا غارسه الآن قبل أن يكون. هل تريد أن تشعر بيقين الرجاء في المسيح؟ أدخل إلى مخدع الصلاة بعزم القلب لطلب وجه الحبيب واصبر ودم في الصلاة، لا تحسب الزمن وارتفع فوق الضجر واحتمل صلب الرجلين والظهر وادخل إليه من مدخله السري أي اللجاجة لأنها مفتاح الاستجابة، وحينئذ تعرف مَنْ هو الرب وما هو فرح الروح، حينئذ تعرف ما هو يقين الرجاء في المسيح. يقين الرجاء في المسيح هو فرح الحياة الأبدية، هو مسرة الترائي أمام الآب بدالة البنين في شخص الابن الوحيد، هو التمتع بصفح الآب الكلي والتنتعم في برّه المجاني الذي يسرّ الفاجر، من أجل دم ابنه.

ولمّا أكمل ق. بولس نصيب المحبة وانكشف سر الرجاء جاء إلى الإيمان .

١٢:٦ « لكي لا تكونوا متباطئين بل متمثلين بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد ».

وحتماً إذا انفتح باب الاجتهاد في قلوبهم، في يقين الرجاء بالمواعيد — فأين تكون البطالة والإهمال في أمور الإيمان والخلاص؟ هكذا يشاقق ق. بولس ويتوسل من أجلهم أن تنفتح أعينهم على جسامة خدمة الخلاص ومجده المعدّ لكي يكتفوا عن توانيهم ويقوموا من رقادهم، وق. بولس يذكّرهم بأبائهم العظام الذين بإيمانهم وصبرهم ورثوا المواعيد التي رأوها من بعيد وصدّقوها وحيّوها وماتوا على الرجاء، وها رجاءهم يُستعلن باستعلان المسيح ويتحقق ويفوزوا بالمواعيد التي قبلت من أجلهم.

وكان ق. بولس يعزي قلوبهم بالنصيب المعدّ، أما الآباء الأوائل فنالوه بالإيمان عن غير رؤيا إذ لم يروا المسيح، وأما المسيحيون فنالوه بإيمان الرؤيا إذ صدّقوا الذين رأوا، فتحوّل إيمان الأوّلين إلى رجاء لنا. فنحن بالرجاء خلصنا، فإن تمسّكنا برجائنا في المسيح نكون على مستوى الذين بالإيمان نالوا المواعيد. ولكن شيئاً واحداً يتهدّد رجاءنا هو أن تثقل آذاننا عن سماع صوت الله وتتقسّى قلوبنا بتسويق العمر باطلاً، أو بهموم وغرور الغنى، وحينئذ تتباطأ مسيرتنا لكي في النهاية نتوقف. فإن لزم الاجتهاد كضرورة حتمية لبلوغ الكمال المسيحي فحتماً يكون معه الصبر وطول الأناة: « لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. » (عب ١٠: ٣٦)

أما الفرق بين طول الأناة والصبر فيشرحها العالم وستكوت كالآتي:

[ فالصبر *ὑπομονή* يستلزم وجود ضيق وضغط خارجي يتمثل في التجارب التي على المسيحي أن يحتملها، أما طول الأناة *μακροθυμία* فيختص بضغط الرغبات والنزعات التي تضغط على الإنسان من داخله لتشكّل له تجربة خطيرة لو هوترسّع ونفّس عنها بأقوال أو أعمال خاطئة. ] (٢١)

والله طويل الأناة على الخطاة بمعنى أنه لو نفّذ ما يستحقه الخاطيء كرد فعل لخطيته ما عاش خاطيء واحد أمامه. ويأتي هذا المعنى في الرسالة إلى أهل رومية: « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله



وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة» (رو ٢: ٤). فهو قد أظهر طول أناته إذ حجز غضبه وبذل ابنه للموت من أجلهم. لذلك فطول الأناة هي صفة الله يمنحها بالروح القدس للذين أحبوه: «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام "طول أناة" لطف صلاح» (غل ٥: ٢٢)، وذلك حتى يتأني الإنسان في صبره وجهاده في الصلاة كالزراع الذي يتأني على زرعه حتى يأتي زمان حصاده.

«يرثون المواعيد»:

أما المواعيد «بالجمع» فهي كل ما وعد الله به الآباء قديماً وقد تحققت جميعها في شخص يسوع المسيح ربنا مع كل المواعيد التي وعد بها المسيح تلاميذه وأحباءه «والذين يؤمنون بي بكلامهم» (يو ١٧: ٢٠). أما من جهة الميراث فهو سبق وخلصنا، وسبق وفداننا، وبجهه تبتاننا، وجعلنا معه وارثين للآب.

## ٤ - صدق مواعيد الله

[ ٢٠ : ١٣ - ٦ ]

[ كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة ].

(رفع البخور - أوشية الراقدين).

لقد ركّز ق. بولس تعزيتته على أساس النعم والبركات وحياة الأبد التي ذكرها الله والمسيح في مواعيده، فما هو مدى مصداقية هذه المواعيد وبماذا نضمن صدقها؟ هذه قضية خطيرة للغاية لأن على أساسها يرسو الإيمان ويتثبت لنا الرجاء، ويحلو لنا الجهاد وتهون المصاعب والأهوال وتلدُّ لنا الآلام.

وهكذا يبدأ ق. بولس فيقدّم ما يثبت وما يضمن أن هذه المواعيد التي أعطها الله لنا صادقة. وهو يبتدىء من إبراهيم، فأول وعد بالحياة والبركة كان لإبراهيم. ولكي يُدخل الله الثقة المطلقة لصدق ميعاده أقسم له بذاته! وهكذا أعطى الله أعلى ضمان ليجعل ميعاده لإبراهيم على مستوى الصدق المطلق، إذ جعل صدق مواعيده قائماً على صدقه هو أمام ذاته، وهذا أمر عظيم للغاية. وهنا يستشف ق. بولس وثيقتين ضامنتين للوعد كل منهما أقوى من الأخرى. فكون الله بنفسه «يَعِدُّ» إبراهيم بالحياة والبركة فهذا - الوعد - وحده أمر فائق الثبوت والمصداقية، فكلمة الله بحد ذاتها هي جوهر الصدق وضمانه. أما الوثيقة الثانية وهي مثلها في الثبوت والمصداقية، كونه يزيد على الوعد بأن يقسم بذاته. وهكذا اعتبر ق. بولس أن «بأمرين عديمي التغير - الوعد والقسَم - لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية» (عب ٦: ١٨). وهذا باب جديد للجزاء يفتحه بولس الرسول أمامنا ليجعل إيماننا وطيداً، وثقتنا بالدعوة التي دُعينا إليها في المسيح ثابتة بثبوت الله في قلوبنا، ورجاءنا في المسيح حياً يزداد ويمتد، وحبنا له لا يُحدُّ.

١٤ و ١٣ : ٦ «فإِنَّه لَمَّا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يَقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ، قَائِلاً: إِنِّي لَأُبَارِكُنَّكَ بِرُكَّةٍ وَأَكْثَرُنَّكَ تَكْثِيراً».

كان ق. بولس في هذه النقلة غاية في الحكمة وطول النظر، إذ بإعطائه إبراهيم أبا الآباء بدايةً لتأكيد على الوعد، أول وأعظم وعد ناله الإنسان، يكون قد تحطّط الناموس إلى ما قبله ليوضح لسامعيه أن الناموس جاء كوضع زائد أو مالى للفراغ الزمني بين الوعد وتحقيق الوعد، وبعبارة

أكثر حكمة، فإن الناموس جاء خارج الوعد وليس في صميمه؛ جاء كمرحلة في الطريق بين الوعد وتحقيقه.

وإبراهيم في التوراة يمثل أمرين غاية في الأصالة والكمال: الأول رجاء صادق وحرّ وقوي يعتمد على وعد صادق موثوق بقَسَم، والثاني صبر هو أعظم صبر وطول أناة فريد لا يُجَارَى في الثقة بالله والوعد بكل أمانة وإيمان حتى تحقّق له الوعد في ابنه إسحق وتحقّق لنا في ابنه المسيح.

«وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ»، ثم، «أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ»:

الله هنا أراد أن يعطي وعده أقصى كرامة، وعلواً وحقاً وتحقيقاً؛ فبعد أن وعد، ثبّته بقسم إذ أقسم بنفسه لكي يكون صدق الوعد مساوياً لصدق الواعد. وهذا سمو لو أطال الفكر في النظر إليه لتاه واحترار وانداهش؛ فهو لم يقسم بسمائه التي تزول ولا بأرضه الزائلة أصلاً؛ بل بنفسه هو الحي القيوم الباقي الخالد الأبدى. لماذا هذا التحقيق البالغ في الأصالة والقوة والعمق؟ أليس لكي نؤمن؟ نعم، فآمن إبراهيم، إبراهيم آمن بالله أولاً، وبالوعد حتماً، فكان إيمانه في سموه صدى لسمو الله في وعده وفي قَسَمه، لذلك حُسب له برّاً وهو تحصيل حاصل لأن إيمان إبراهيم كان بالفعل من القوة على مستوى برّ الله لَمَّا آمَن!!

انظر أيها القارئ السعيد وافرح كيف استدرج الله الإنسان بكرمه وسخائه وتماديه في الإقناع حتى أسره وطواه تحت برّه!! ثم انظر أيها القارئ اللبيب وافهم لماذا أعطى الله لإبراهيم قَسَمًا، بعد أن أعطاه وعداً، أليس لأن تحقيق الوعد سبق وقُدّرت له سنينٌ طويلة؟ وهكذا جاء القَسَم ليستنفر في إبراهيم موهبة الصبر إلى أقصى حدوده فصبر حتى نال!! لذلك حقّ هو لو حسبنا أن طول أناة إبراهيم كان تكريماً للقَسَم فحسب صبره أنه صدى كريم لقَسَم الله، فاستحق أن يأخذ ما جاء بالقَسَم نصّاً وحرفاً: «لأُباركك بركة ولأكثرنك تكثيراً». أما ذكر البركة والكثرة الأولى فهو نظير تصديق الوعد الذي وعد، وأما توكيد البركة والكثرة مرة أخرى فبسبب صبره الذي أكرم به القَسَم الذي أقسم!!

ولكن أعجب ما في هذا الوعد وفي هذا القَسَم أنه جاء دون شرط قط يُطلب من إبراهيم. فكان شرطه الوحيد كان أن يصبر إبراهيم لكي ينال كل محتواه.

وهكذا نأتي إلى مقصد بولس الرسول الدقيق والمضيء في إعطائه لهؤلاء العبرانيين إبراهيم مثلاً للصبر، حتى نال به المواعيد، لكي يزكّي لهم الصبر!! هذا كلام مُلْهِم وقصد من الروح بديع،

وهو يشير دهشتنا بل إعجابنا وإيماننا نحن أيضاً أن يكون الصبر وحده هو شرط نوال المواعيد؟ بل الموازي والمكافئ لقسَم الله عزَّ وجلَّ؟

انظر أيها القارئ قيمة الصبر في مشوار إيماننا الطويل تحت ضيق الأيام وصروف الزمان؟ إنه العملة الوحيدة التي نقتني بها كمال المواعيد!

١٥:٦ «وهكذا إذ تأتَّى نال الموعدة».

كان بين الوعد لإبراهيم وميلاد إسحق الذي به أخذ المواعيد نحو ٢٥ سنة. وخمسة وعشرون سنة في عمر إنسان كان قد بلغ المائة سنة هو زمان مديد ومديد فوق الصبر البشري إن لم تكن قوة القَسَم قد سرت في روحه وفي قلبه. لذلك يجيء طول الأناة أو التأني عند إبراهيم ليكون نموذج الأناة التي يمكن حقاً أن توازي المواعيد سواء في إسحق الجسد أو المسيح الروح. ولعلنا ورثنا في المسيح — وعن إبراهيم — هذا الصبر وهذه الأناة عينها التي بدونها لن يتزكَّى لنا إيمان. فالصبر بحسب بولس الرسول تزكية والتزكية رجاء لا يُخزى (رو٥ : ٥٤)!! وهكذا صار الصبر في المسيح هو المحقَّق للرجاء، فكل ما نرجوه نناله بالصبر، والصبر بيئنة الإيمان وشهادته المُثَلَّى!

هذه المواعيد هي لنا، وهذا التأكيد المثنى هو من أجلنا،

لكل الأجيال الآتية: (١٦:٦-١٨).

بحسب بولس الرسول ونص الوعد الإلهي لإبراهيم فنحن ورثة إبراهيم على أساس المساواة في برِّ الإيمان. هو آمن بمن يقيم الحياة من الموت ونحن نؤمن بمن أقام المسيح من الأموات. هو أخذ الوعد لنسله من الجسد ولنسله من الأمم على السواء كل من بلغ إبراهيم بالإيمان، والوعد هو لأزمنة الدهور كلها وهو لا يزال يتحقَّق لكل من آمن على رجاء إبراهيم ليصير ابناً لإبراهيم في المسيح ولو لم يَرَه إبراهيم! «أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو٨: ٥٦). فتهليل إبراهيم بلغ في المسيح إلى يومنا هذا، ويومنا نحن بلغ تهليل إبراهيم، فصار تهليلنا بالمسيح هو حياتنا وصرنا ليس فقط ورثة لعهد الله لإبراهيم، بل وورثة لمن هو صاحب عطية الميراث والوارث الوحيد لله أبيه.

فإيمان إبراهيم بالله يوم حُسب له برّاً يُعَبِّد أول الطريق المؤدي إلى قلب الله، وعلى الطريق استعلن لنا مَنْ هو الطريق الحقيقي والحق والحياة وبلغنا بالمسيح والروح قلب الله.

فوعده الله لإبراهيم لا يزال كما هو، والقسم أيضاً يجدهه المسيح لنا بكهنوته في حياتنا ولا يزال يُكتمل إلى أبد الدهور.

١٦:٦ «فإن الناس يُقسِمون بالأعظم، ونهاية كلِّ مشاجرة عندهم لأجل التثبيت هي القَسَمُ».

أراد ق. بولس أن يقرب إلى ذهن هؤلاء العبرانيين المتنصرين معنى القَسَمِ وحقيقة علو شأنه. فأعطى هذه الصورة المتداولة عند الناس حينما يلجأون إلى أعظم ما عندهم يُقسِمون به ليُعزِّزوا القول والصدق.

وهنا يشرح ق. بولس قيمة القَسَمِ في وجهه السليبي والإيجابي. فبمجرد صدور القَسَمِ يتوقف النزاع وتهدأ المشاجرة احتراماً للأعظم الذي أُقسِمَ به ليكون بذاته قائماً حكماً وشاهداً عدلاً. وهذا هو الوجه السالبي البديع، والأبدع منه وجهه الإيجابي حينما يتثبت الأمر المقسوم بصدده ويرتفع هذا التثبُّت إلى يقين بسبب حضرة من أُقسِمَ باسمه. وبهذا يضع القسم حداً لكل نزاع يقوم بين الناس كما ينكر على أي من الطرفين النكوص إذ يكون كمن نقض عهد هذا الأعظم وشجب كرامته.

١٧:٦ «فلذلك إذ أراد الله أن يُظهرَ أكثرَ كثيراً لورثته الموعدِ عدمَ تغيُّرِ فضائه توطُّطَ بقَسَمٍ».

هنا يختلق بولس الرسول قضية مرفوعة بين أناس آخر الدهور وإله إبراهيم، وملخص هذه القضية أن الله أحب الناس وهي حقيقة قائمة وثابتة في عمق الله وطبيعته، فاختر واحداً هو أعلاهم قامته في الإيمان — إبراهيم — وجعل إيمانه مقياساً عاماً لكل الناس يقيس عليه الله من يقربهم إليه من إبراهيم إلى منتهى الدهور، وأضمر الله أن يُدخله تجربة على قدر إيمانه العالي، ثم وعده، وهو ضامن نجاحه، أنه سيعطيه عطية هي الحياة عينها بكل زخها من بركات أرضية وسماوية، وزاد عليها أن أقسم له بنفسه حتى يتمسك بهذا القَسَمِ على الله أن يفي بوعدته وبقَسَمه. وسلم الله لإبراهيم الوعد محققاً جزئياً وأعطاه وثيقة وعده وقَسَمه ليسلمها إلى نسله من اليهود والأمم جميعاً لتكميل تحقيقها لكل مَنْ كان على مستوى الوعد والقَسَمِ من إيمان بالله كإيمانه، وهكذا صار بيدنا — بحق إيماننا بالمسيح الذي هو على مستوى إيمان إبراهيم — أن نطالب الله — بقضية — على أساس وثيقة وعده وقَسَمه التي ورثناها من إبراهيم المحققة في المسيح أن يوفي بوعدته وقَسَمه فيما لنا

نحن ورثة إبراهيم في المسيح وأصحاب الوعد والقسم — على أساس استحالة تغيير قضاء الله المدموغ بقسمه .

والملاحظ أن القسم الذي أقسم الله بنفسه لإبراهيم — أن يباركه وتبارك في نسله كل الأمم — وصار لنسله، هو على التوازي مع القسم الذي أقسم الله للمسيح أنه هو الكاهن إلى الأبد على طقس ملكي صادق، وصار هذا القسم متوارثاً أيضاً لكل من قبل المسيح وآمن به مخلصاً وفادياً ورباً ومسيحاً .

فبالقسم الأول صار لنا حق في المسيح الذي فيه كمل الوعد لإبراهيم .  
وبالقسم الثاني صار لنا حق في التقدم إلى الله بالمسيح لأنه صار كاهناً لنا أمام الله، وكما أن القسم الأول تحقق في القسم الثاني باعتبار المسيح نسل إبراهيم، كذلك أصبح بإيماننا بالمسيح نفس حق إبراهيم في بر الله بإيمانه .

١٨:٦ «حتى بأمرني عديمي التغيير، لا يمكن أن الله يكذب فيهما، تكون لنا تعزية قوية، نحن الذين التجأنا لئلمسك بالرجاء الموضوع أمامنا» .

«تعزية قوية» (٢٢): ισχυράν παράκλησιν

بهاتين الكلمتين يبدأ الجزء الثاني من الآية باللغة اليونانية حسب النص «تعزية قوية تكون لنا» . وفي كلمة: παράκλησιν يكمن مركز الآية الذي يحرك كل المعنى . فبحسب اليونانية يأتي معناها «تشجيع على الاحتمال»، ولكن الترجمة العربية ترجمتها «تعزية»، وبذلك انتحت الناحية السلبية لمعنى الباراكليسيس، بمعنى مجرد العزاء الداخلي . ولكن بحسب مجرى الآية ومعنى الكلمات، ينظر إليها علماء اللغة أمثال وستكوت بأنها كلمة إيجابية أي فعالة، فهي تعني «الاحتمال والتشجيع على تحمل الصعاب التي من الخارج»، وليس مجرد التعزية الناشئة من الداخل، فالأمر يتعلق بمثابرة وشجاعة إزاء وضع خارجي محاط بالصعاب . وهي نفس الكلمة بهذا المعنى التي جاءت في الأصحاح (٢٢: ١٣) هكذا:

«وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ (أو كلمة التشجيع) = παρακλήσεως...» . لذلك يلزم أن تكون الترجمة: «حتى بأمرين عديمي التغيير، لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا شجاعة احتمال قوية، نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا» .

«شجاعة احتمال "قوية"»: ἰσχυράν

ومعناها في اللغة اليونانية ليس مجرد «قوية»، ولكن تخص من يمتلك قوة احتمال «عظيمة»، كما جاءت في سفر الرؤيا (٢: ١٨): «وصرخ بشدة بصوت عظيم ἰσχυρῆ φωνῆ...».

نخلص من هذا بالمعنى أن هذين الأمرين عديمي التغير وهما «الوعد» و«القسم» قَصْدَهما الله قصداً من أجلنا، لكي يكون لنا بهما الشجاعة المطلقة أو يكون لهما علينا التأثير المشجع الشديد. وبولس الرسول هنا ينبّه ذهننا كما ينبّه ذهن هؤلاء العبرانيين المترددين، أن القسم الذي أضافه الله إلى الوعد لإبراهيم قصد منه أن يكون لنا بهذا الوعد المسنود بهذا القسم «شجاعة عظيمة»، حتى نحتمل كل الظروف الصعبة والبالغة الشدة أيضاً. وكان الله أقسم لنا بنفسه أن وراء أتعابنا هذه وضيق الأيام وعداً أكيداً مؤكداً بالحياة والبركة. وهنا وبعد هذا التشجيع المطلق، يمكن أن يأتي معنى العزاء.

«بأمرين عديمي التغير»: πραγμάτων ἀμεταθέτων

هنا كلمة «أمرين» جاءت باليونانية بالكلمة المعروفة «براجما»، وهي تعني «واقع» أو «عمل» التي يأتي منها المنهج الفلسفي المعروف بالبراجماتزم الذي تدين به السياسة الأمريكية، وهو مبدأ النفعية أو الواقعية أو الواقعية النفعية. لذلك يُستحسن ترجمتها هنا بكلمة «واقع»، فتكون الترجمة: «حتى بواقعين عديمي التغير»، لأن وعد الله صار واقعاً مؤكداً مشجعاً يستحيل أن يتغير أو يتبدل.

«يستحيل أن الله يكذب فيهما»:

قضية مسلمٌ بها لا تحتاج إلى تأكيد أو تفسير. فوعد الله نافذ حتى ولو تزعزعت أسس السموات وتزلزلت الأرض وزالت، فكلمة الله باقية إلى الأبد يمكن أن تلد عالماً جديداً وإنساناً جديداً، هذا يزيد من تأكيد بقاء وعد الله المسنود بالقسم قائماً أمام الإنسان ليتشبّه به بمنتهى الثقة والشجاعة إزاء أسمى ما يقدمه العالم.

«نحن الذين التجأنا»: καταφυγόντες

معناها الحرفي بحسب النص اليوناني: «هربنا للنجاة»<sup>(٢٣)</sup>. اختصرها المترجم العربي بحسب المعنى غير عابىء بالأصل اللغوي الذي يفيد عملية الهروب من بحر الفساد في مركب العالم

إلى مرفأ الله الأمين المدعّم بالوعد والقسم .

وكلمة καταφυγόντες جاءت واضحة بمعنى الهروب في سفر الأعمال (٦: ١٤): «شعرا به فهربا κατέφυγον...» .

«لنتمسك»: κρατῆσαι

وتعني في اللغة اليونانية: «يضع يده على الشيء الذي حصل عليه ويتشبّث به» (٢٤)، كغريق يتشبّث بقارب النجاة، وقد سبق شرحها في الآية (١٤: ٤): «لنتمسك بالإقرار» .

وقصّد ق. بولس في التركيز على هذه الكلمة بالذات بالنسبة لهؤلاء العبرانيين المزعزعين، أن لا تفلت من أيديهم أعظم نعمة أنعم بها الله على الإنسان بواسطة المسيح، وهي الرجاء في حياة أبدية مع الله. اسمع الروح وهو يهتف بملاك كنيسة ساردس: «أنا عارف أعمالك أن لك اسماً أنك حي وأنت ميت. كُن ساهراً وشدّد ما بقي...» (رؤ ٣: ٢١)

«بالرجاء الموضوع أمامنا»:

ليس هو رجاءً موضوعاً في السماء نتطلّع إليه من على بُعد؛ بل قد ألقاه الله في طريقنا وفي قلوبنا، في متناول أيدينا، كقارب نجاة في محيط رؤيانا للمرفأ الأمين داخل دائرة إيماننا، إن أحسنّا نمسك به، ويكون لنا ونكون له فيصبح الرجاء خلاصاً فعلاً: «بالرجاء خلصنا» (رو ٨: ٢٤). ولكن الرجاء بدون الإيمان خيال وأوهام، ولكن بالإيمان يصبح حقيقة ويصبح قريباً، بل ويصبح حقاً من حقوقنا، فالرجاء إكليل الإيمان، هو قلادة من نور يلبسها الذين ركضوا في طريق الإيمان في عتمة ليل العالم الطويل وبلغوا نهاية الشوط. كل فعل إيمان ينشئ رد فعل رجاء يسكن في القلب. كل فعل إيمان هو في حقيقته مسك بالرجاء وتشبّث به. كل أفعال الإيمان هي صلْب العالم لنا ونحن للعالم، كلها بذل، وكلها مخصّبة بدم الذات المذبوحة لحساب ما نرجوه، وما نرجوه «هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو ١: ٢٧)، «في الحياة هي المسيح (رجاء)، والموت هو ربح.» (في ١: ٢١)

٦: ١٩ و ٢٠:

أما الوعد المبارك الذي وعد الله به إبراهيم وثبّته بالقسم، فقد تحقّق بصعود المسيح ابن الإنسان — رجاء الوعد — إلى السموات العُلا ودخوله إلى الأقداس وترائيه أمام الله من أجلنا. لذلك أصبح



رجاء الوعد محققاً لنا في شخص يسوع المسيح، الجالس عن يمين عرش الله في السماء يكهن لنا ومن أجلنا إلى أبد الأبدين.

١٩:٦ «الذي هو لنا كمرساةٍ للنفسِ مؤتمنةٍ وثابتةٍ تدخلُ إلى ما داخلَ الحجابِ».

التشبيه هنا بليغ فهو يمثل المسيحي بإنسان في مركب آيل للغرق في بحر العالم، والمركب مصيره أن يغرق ويختفي في مجاهل الزمن، أما المسيحي فله بجوار مركب العالم قارب نجاة سماوي اسمه الرجاء الحي توجهه قوى أبدية، شرعه مكتوب عليه وعد الله، ودقته يضبطها قسم الله ببلوغ الغاية حتماً، وله هلب أو مرساة روحية ملقاة فيما وراء حجاب العالم، تدخل في بحر الخلود تجذب قارب النجاة نحو الله بثبات كمربوط برُبط لا ترتخي في عرش الله والمسيح. لأن داخل الحجاب ليس إلا قدس الأقداس وعرش الله الحقيقي حيث المسيح رجاء المجد المعد، غاية الوعد.

«الذي هو لنا كمرساة للنفس»: ἀγκυραν

ظهر تعبير «المرساة» أو «الهرب» في العهد الجديد فقط وفي بكور المسيحية مرادفاً وملازماً لرمز السمكة. فأصبحت السمكة مع الهرب تعبر عن المسيحية وعن الرجاء، وصار الرجاء اسماً محبوباً مَسَّاعاً ينم عن روح المسيحية وحياتها. فاسم «هلبيس» للمرأة = رجاء، واسم «هلبيدوس» = رجاء للرجل، أصبح مألوفاً في كل أسرة. أما رسم «الهرب» أو «المرساة» فصار يُنقش على القبور مع رسم السمكة ليعبراً عن رجاء المسيحي في الأبدية التي صارت موطنه. وقد أسهب العلامة كلمندس الإسكندري في وصف الهرب وكيف كان يُنقش على خواتم الأصابع (٢٥).

«مؤتمنة وثابتة»:

هاتان الصفتان تأتيان في اليونانية إما لوصف المرساة أو الرجاء، ولكن معظم الآباء وبالأخص ذهبي الفم يضمهما إلى المرساة، التي يضعونها في وضعها الروحي مقابل مرساة المركب في الوضع المادي. هذه تدخل إلى أعماق البحر إلى أسفل؛ وتلك تصعد إلى فوق لتخترق السماء وتدخل إلى ما داخل الحجاب الذي يفصل العالم عن الله. هذه تعطي الأمان للجسد والثقة التي لا تتزعزع بسبب ثبات المركب المشدود إلى حديد الهرب اللصق بقاع البحر؛ وتلك تعطي أماناً وثباتاً للنفس التي

تكون قد اتصلت وارتبطت بالمسيح. وأخيراً فالمرساة بالروح هي الرجاء في المسيح الذي انعقد عليه الوعد.

ولكن يرى العالم اللغوي وستكوت أن هذه الصفات مجتمعة سواء «المؤتمنة» أو «الثابتة» أو «تدخل إلى ما داخل الحجاب»، إنما تختص بالرجاء وليس بالمرساة. فالرجاء هو وحده الآمن والمؤمن وهو الثابت وهو وحده الذي يدخل إلى الله (٢٦).

«تدخل إلى ما داخل الحجاب»:

واضح أن الرجاء وحده هو الذي يدخل بنا إلى ما داخل الحجاب أي الله والمسيح. وقد أوضح ذلك بولس الرسول في موضع آخر بجلاء تام: «إذ الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقرب إلى الله.» (عب ٧: ١٩)

ونقطة التشابه التي تربط معنى الرجاء بمعنى المرساة، أن كلياً منهما يختص بغير المنظور. فالمرساة حينما تُلقي في مياه البحر، تخترق الأعماق غير المنظورة لتستقر على أساس غير منظور، كذلك الرجاء فهو يخترق أعماق السموات غير المنظورة ليستقر على أساس الإيمان القويم، وهو الرب يسوع المسيح في هيئته غير المنظورة بالعيان.

٢٠: ٦ «حيث دخل يسوع كسابقه لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد».

ودخول المسيح إلى السموات ليس كأنه دخول إلى ما ليس له، بل إن السموات هي التي منها أتى ونزل وهي موطن عرشه كما سبق وقال في بداية الرسالة: «أما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» (عب ١: ٨). ولكن دخوله كابن الإنسان حاملاً البشرية في كيانه الإلهي لم يكن لذاته بل لنا، فقد دخل كسابق لأجل الذين فداهم بدمه ليدخلهم معه إلى أبيه: «أنا أمضي لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ حتي حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤: ٣ و٢). فدخله كان لتكميل عمل الفداء بتقديم دم ذبيحته الكفارية لدى الآب لأجلنا ὑπὲρ ἡμῶν، هذا الذي كان لا يرقى إلى عمله إلا رئيس الكهنة في الماضي وعن خطايا الجسد. أما ما أضافه المسيح فهو كفارة دائمة أبدية عن كل خطايا وتعدييات الإنسان لقبول

تطهير شامل روحي للروح والنفس والجسد بفعل دم ذبيحته الإلهي ونوال مصالحة دائمة من لدن الأب السماوي، لقبول هبة التبني لله مع الابن الوحيد. فصار عمله الكفّاري على مستوى رئيس كهنة دائم وإلى الأبد، على شبه طقس ملكي صادق.

ولكن عمل المسيح الكهنوتي بالنسبة لتقريبنا إلى الله أبيه يفوق بما لا يُقاس عمل رئيس الكهنة في الماضي الذي كان يفوز، بالجهد، بصَفْح مؤقت، ومن على بُعد حيث لا يجرؤ أحد قط أن يتبعه إلى داخل الحجاب؛ أما المسيح فبصَفْح أبدي يؤهلنا للدخول الفعلي معه بكل جرأة وقدم إلى الله أبيه لنتنال التقديس أمامه بلا لوم في محبة ابنه. فدخول الابن الوحيد حاملاً بشرتنا إلى قدس أقداس السموات أنشأ لنا دخولاً جريئاً من خلفه وفيه، وكأننا بإيماننا ورجائنا ممسكون به ندخل إلى حيث دخل، فدخوله كان كباكورة مقدسة تجرُّ وراءها حصاداً وثيراً معها وفيها. الأمر الذي عبّر عنه بولس الرسول مرّة أخرى بكل بيان: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كَرَّسَ لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله، لتتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان ... لتتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب ١٠ : ١٩-٢٣)

«دخل يسوع كسابق لأجلنا»:

«كسابق»: πρόδρομος

هذه الكلمة «برودروموس» في اليونانية تفيد أصلاً «مُتَلَمِّحاً» الجيش التي تسبق وتكشف المواقع المتقدمة ليدخلها الجيش بأمان، فهي اصطلاح حربي ذو هبة ووقار ويدل على الجرأة والإقدام والثوق.

أما كلمة «دخل» εἰσῆλθεν فهي تفيد بصفة خاصة جداً الانتقال من وضع ظاهري منظور إلى وضع داخلي غير منظور، ولا تفيد أنه دخل ليكون رئيس كهنة على طقس ملكي صادق، بل إن دخوله هو تعبير عن انتقال من شفاعنة وكفّارة منظورة بشبه رؤساء كهنة الماضي إلى شفاعنة وكفّارة غير منظورة، وبالتالي من رئاسة كهنوت منظورة في الزمان، مألها إلى الزوال بزوال الزمان إلى رئاسة كهنوت دائمة خالدة فوق الزمان لا تزول بزوال الزمان بل تبقى إلى الأبد. لذلك قيل إنها صارت على طقس ملكي صادق. فعبور المسيح من الزمان إلى الأبد بقيامته حاملاً ذبيحة نفسه الكفّارية الحيّة ودمه الإلهي عليه ليتراعى بها أمام أبيه، هو الذي جعله بالدرجة الأولى رئيس كهنة أبدياً على طقس ملكي صادق، يكهن من أجلنا بصفة دائمة أبدية أمام الله أبيه، ويقدم — بصفة متواصلة — شفاعنته التي تؤمّن حياة الكنيسة في غربتها على الأرض، وتؤكد اكتمالها المزمع

وبلوغها المجد حتماً. فطالما المسيح قائم في السماء يطلُّ بوجهه علينا، كما رآه ق. بولس وقت الظهيرة، فهو يجرس كنيسة ويرعاها من فوق ككاهنها الأعظم، فذهابنا إليه أكيد ونصيبنا في السموات محفوظ.

«رئيس كهنة إلى الأبد»:

ولكن كيف يكون المسيح رئيس كهنة، بينما عمل الكهنوت — أصلاً — زمنيُّ هو، ولأعواز الزمان ونقصانه ومفاسده يعمل؟ هنا النقلة العظمى في وظيفة رئيس الكهنة وعمله، لأنه كهنوت لا يكْمُل عمله إلا في الدهر الآتي حيث الأبدية السعيدة. أما كيف ذلك وعلى أي طقس يكون، هذا يوضحه الأصحاح السابع.

## الأصحاح السابع

ثالثاً: مواصفات المسيح كرئيس كهنة فائق على خلفية ملكي صادق (٧:١-٢٨):

- ١ - ملكي صادق الكاهن والملك (٧:١-٣).
- ٢ - مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي (٧:٤-١٠).
- ٣ - عدم كمال الكهنوت اللاوي (الماروني) (٧:١١-١٤).
- ٤ - تفوق الكهنوت الجديد (٧:١٥-١٩).
- ٥ - امتياز كهنوت المسيح يؤكد قسَم إلهي (٧:٢٠-٢٢).
- ٦ - دوام كهنوت المسيح هو السرّ الفائق لفاعليته في تكميل الخلاص (٧:٢٣-٢٥).
- ٧ - صفات المسيح أضفت على الكهنوت تفوقاً لا نهاية له (٧:٢٦-٢٨).

تقديم :

محاولة بولس الرسول لإلقاء الضوء على كهنوت المسيح «المطلق»  
أي الفائت على الزمن بإعطاء التشبيه من ملكي صادق:

لو يلاحظ القارىء يجد أن آخر كلمات الأصحاح السادس تقدّم التمهيد لعرض الشرح الذي  
يستغرق الأصحاح السابع كله بكل تفصيلاته . وهو يقوم على شقين :  
الأول : أن كهنوت المسيح يقوم على طقس ملكي صادق .  
الثاني : أنه وعلى أساس هذا الطقس ، فإن كهنوت المسيح هو قائم إلى الأبد لا يتغيّر ولا  
يزول .

والقديس بولس برجوعه إلى العهد القديم ليشرح كهنوت المسيح ، يقصد بالأساس أن يبرهن  
من الكتاب المقدس أنه يوجد من البدء في تعاليم الله نظام كهنوتي لخدمة الله أقدم وأرفع من نظام  
كهنوت ناموس موسى الهاروني ، وأن هذا النموذج التاريخي القديم تحقق بالفعل تحقيقاً كاملاً في  
المسيح «ابناً مكملاً إلى الأبد .» (عب ٧: ٢٨)

## ١ - ملكي صادق الكاهن والملك

[ ٧ : ١ - ٣ ]

في هذه الشلاط الآيات يعرض بولس الرسول ثلاث حقائق تختص بملكي صادق : وصفه  
الكهنوتي الملكي ، ثم وصف تقابله مع إبراهيم ، ثم وصف تقديم إبراهيم العشور له ، وذلك في الآية  
الأولى والجزء الأول من الآية الثانية .

ثم يعود ويصف عظمة مؤهلاته من مجرد تفسير لقبه «ملك البر» ، «ملك السلام» . ثم يتعمق  
وراء هذه الشخصية السرية المهيبة ، ليستشف من وراء صمت رواية الكتاب المقدس عن ذكر  
ميلاده أو نسبه ما يمكن تطبيقه على المسيح بعد ذلك بحذق ومهارة مدهشة كونه بلا أيام وبلا  
نسب ، وكأنه فائق على الزمن وعن البشر جملة !! وذلك من بقية الآية الثانية والآية الثالثة .

١:٧ «لأن ملكي صادق هذا ملك ساليَم كاهن الله العليّ الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كثرة الملوك وباركته».

«لأن»: οὗτος γάρ

الترجمة الصحيحة هنا تكون «لأن هذا (أي ملكي صادق)». وهي بادئة تشرح نهاية ما جاء في الأصحاح السادس عن كون المسيح جاء على رتبة ملكي صادق، فهو هنا يستطرد شرحاً من هو ملكي صادق هذا الذي جاء المسيح على رتبته، ثم يبقى على هذه الرتبة إلى الأبد؟ وهذا يفهمه القارئ مباشرة حينما نصل الآيات معاً هكذا:

+ «حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد، لأن ملكي صادق هذا ملك ساليَم كاهن الله العليّ ... الذي قَسَمَ له إبراهيم عُشراً من كل شيء، المُترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليَم أي ملك السلام، بلا أب، بلا أم، بلا نسب. لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مشبّه بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد.» (عب ٦: ٢٠، ١: ٧-٣)

وهكذا يتضح جداً أن مَثَلَ ملكي صادق الذي اختاره بولس الرسول قد وُقِيَ بالفعل كل صفات وخصائص كهنوت المسيح وشخصه برأً وسلاماً على مستوى الملوكية: مولده فوق الزمن، وحياته ملء الأزل وإلى الأبد، وكهنوته لا يتبع هارون، ويبقى إلى الأبد. إنها روعة التمثيل الإعجازي الفريد من نوعه ومثاله.

### وقفّة قصيرة

## عظمة ومهابة ملكي صادق في التاريخ المقدّس

لقد كشفت لنا هذه الرسالة الثمينة أي سفر العبرانيين مدى عظمة ومهابة شخصية ملكي صادق في التاريخ المقدّس، وأن ظهورها في صدر أول أسفار موسى الخمسة أو بالحري أول أسفار التاريخ الإلهي المسجّل في وعي الإنسان وتراثه هو مُلفت للنظر بشكل خاص.

وعلى القارئ أن يدرك أن شخصية ملكي صادق كانت أول شخصية احتلت مجال الاستعلان المُدرّك والمحسوس عن علاقة الإنسان بالله، أو ربما الأفضل أن نقول علاقة الله بالإنسان قبل بدء تسجيل التاريخ المقدّس نفسه.

فإن كان إبراهيم وهو المحسوب أنه أب الآباء جميعاً قد استعلن لنا بَرَّ الله بإيمانه، فملكي صادق استعلن لنا «بركة» الله التي بارك بها إبراهيم قبل أن يحسب له الله إيمانه بَرّاً. كما حمل في اسمه صادق<sup>(١)</sup> «Sedeq» صفة البر. لذلك فإن ظهور ملكي صادق لإبراهيم وإعطاءه «البركة»، يُحسب في التاريخ المقدّس أخطر وأهم نقطة حرجة في تاريخ الإنسان، سواء حسبناه بحساب التاريخ المدني أو بحساب التاريخ الإلهي المقدّس، إذ يُعتبر ملكي صادق هو الشخصية السريّة المهيبة التي ظهرت من وراء أفق التاريخ الإنساني، حاملاً بركة الله الخاصة، لينقلها من عصر ما قبل إبراهيم المغطى بالخفاء الشديد إلى عصر إبراهيم الحامل لبدء استعلانات الله المسجّلة في وعي الإنسان. فملكي صادق كان يحمل سرّ الماضي المذخّر فيه بركة الله، على أعلى مستوى من النضوج الإنساني في علاقته بالله، إذ كان ملكي صادق هذا ملكاً وكاهناً معاً، ملكاً يملك بالبرأي بالأمانة والحق معاً على كل مُقدّرات الإنسان في هذا الزمان السحيق، ويملك بكهنته كل مذخّرات الله من نحو الإنسان. ومن اسمه نفهم أنه لكونه باراً، اختاره الله ليكون كاهناً، فكهنته عن جدارة سيرته. على أن السلام دائماً يتبع البرّ: «وثمر البر يُزرع في السلام.» (يع ٣: ١٨)

وظهور ملكي صادق كان بمثابة تسليم وتسلّم، القديم للجديد، فكان تسليمياً على مرأى من التاريخ، وتحت يد الله الذي شاء في هذه الشخصية الفريدة أن يسلم بركات القديم إلى أول من انتمنه على سرّ تعامله مع أجيال الوعد الجديد.

أما مَنْ هؤلاء الذين كان يحكم ملكاً عليهم بالبر ويكفّن لهم أمام الله؟ فقد أمسك التاريخ والوحي معاً عن ذكر أي شيء من ذلك. ولكن يقيناً أنه كان هناك ملك، وله أيضاً رسالة مقدّسة من لدن الله ككاهن يكفّن؛ وحتماً كان هناك شعب أو قبيلة أرضت الله بأعمالها وأحبّها الله ووهبها برّه وسلامه، ولم يدر التاريخ عنها شيئاً. إلاّ أنه تُركت لنا آثارها الجغرافية وحسب والتي عُرفت فيما بعد باسم «سالم».

«سالم»:

وهي المذكورة في إنجيل ق. يوحنا: «وكان يوحنا أيضاً يعمّد في عين نون بقرب سالم لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون.» (يو ٣: ٢٣)

وقد جاء تحديدها الجغرافي بناءً على اقتناع الغالبية العظمى من العلماء وعلى رأسهم يوسفوس

(١) «صديق» كلمة عبرية أصلاً Sedeq وتعني «البار».



العلامة اليهودي والمؤرخ المعروف (Joseph. Antiq. I,10,2) وأغلب آباء الكنيسة القدامى. ويقدم العالم الألماني الإنجيلي الكبير ماير H.A.W. Meyer في كتابه شرح الرسالة إلى العبرانيين (الكتاب التاسع صفحة ٥٥٧) مجموعة من أكبر العلماء جاءت أبحاثهم مؤيدة لذلك. و«سالم» تقع على بعد ٨ أميال رومانية من جنوب سكيثوبوليس Scythopolis. ويقرر هذا أيضاً القديس إبيرونيموس<sup>(٢)</sup> المعروف بجيروم ويقول: إن المكان كان لا يزال قائماً ومعروفاً في أيامه ويحوي خرائب قصر ملكي صادق.

ويؤكّد العالمان الألمانيان بليك Bleek وألفورد Alford<sup>(٣)</sup> أن سالم هذه هي المذكورة في سفر يهوديت في (٤: ٤) (السبعينية) كذلك هي المذكورة في المزمور (٧٦: ٢): «كانت في سالم مظلمته ومسكنه في صهيون». ومن هذا يتضح أن سالم هذه كانت تحوي مكاناً مقدساً لله وكان يتراءى فيه، وإلا ما كان يقول «مظلمته»، لأنها تعني مكان حضور للبركة. ويلاحظ في هذه الآية أن سالم ذكرت قبل صهيون فهي أكثر قيمة وقدماً.

أما رواية ظهور هذا الملك الكاهن الفريد، فقد حصرها التاريخ والوحي في ومضة ظهوره وحسب التي لم تكشف عمّا قبلها ولا عمّا بعدها، فقد عنى الوحي أن يُلقى بها في مجاهل الوعي والتاريخ، فلم يتبقّ منها دروس يُستفاد منها سوى لحظة التسليم والتسليم المهيب، حيث يستهل التاريخ الجديد الذي ابتدأ بإبراهيم بعملية نقل البركة إلى يد الإنسان لحقبة كل ما بعد إبراهيم. وفي ومضة باهرة، ملكيّة العظمة كهنوتية الجلال، ظهر ذلك القديم المجيد ثم اختفى تاركاً لنا أجد مذخراته، أي «بركة الله» التي حلّت فوق هامة إبراهيم ليتوارثها النسل المبارك إلى أبد الدهر، ومن وراء القديم وأمام الجديد يظهر الله المحب للإنسان يوزع بركاته لمستحقّيها. فظالما وُجد الإنسان وأينما وُجد، فالبركة تتبعه ليبقى الإنسان شاهداً أبداً لبرّ الله.

أما سفر العبرانيين الذي نحن بصدده فلم يشف غليلنا بأي محاولة للكشف عن ماهية شخصية ملكي صادق وتاريخه، بل اكتفى فقط من كل رواية ملكي صادق، بما سجّله الوحي على فم داود، من جهة طقس كهنوته وحسب، في المزمور بقوله عن المسيا الآتي: «أقسّم الرب ولن يندم، أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» (مز ١١٠: ٤). على أن هذا السفر المبارك قدّم لنا دراسة غاية في الروعة والعمق لا عن حياة ملكي صادق أو تاريخه، ولكن عن معنى طقسه الكهنوتي

2. Jerome, *Ad Evagrium*, Ep. 126.

3. Lünemann G., *Comment. on Epist. to the Hebr.*, p. 550.

والباقى إلى الأبد الذي أبرزه الوحي المقدّس في مزموّر داود، فكانت أثنى وديعة استلمها الإنسان من فم الوحي عن هذه الشخصية الفريدة لهذا الماضي الزاخر الفاخر ولأيامه المباركة.

أما خطورة هذا الإعلان الاستعلاني عن طقس كهنوت ملكي صادق أنه يبقى إلى الأبد كما نصّ عليه الوحي في المزمور، فكانت اقتحاماً مقصوداً ومباشراً للكهنوت اللاوي لكي يلقي عليه نوعاً من الظل بإلقاء نور الوحي الاستعلاني على كهنوت أقدم منه وأبقى وأجلّ وأرقى، توجّه الوحي في المزمور بقسّم من الله، شيء يغيب تماماً عن كهنوت لاوي الذي كان يحجزه الموت عن البقاء.

ولقد التقط سفر العبرانيين هذه اللمحة الفريدة من الوحي بمقتضى المزمور، وظلّ يغني لها ويتغنى. فأخذ بجرأة مستمدة من الوحي في المزمور يفرّق ويُمايز بين هذا الكهنوت الملوكي والإلهي معاً وبين الكهنوت اللاوي الذي يستمد أهليته من ذبائح يستتر بدنها، ليكون له حق الدخول إلى قدس أقداس الأرضيات. كما استخلص سفر العبرانيين من سكوت الوحي في رواية ملكي صادق عن ذكر أبويه ونسبه ومبتدأ وجوده ونهاية حياته الكهنوتية، صورة سرّية يلفّها اللغز عن شخصية تعالت على الزمن وتآخت مع اللانهائية، جاءت شديدة التطبيق على ابن الله، دون أن يُخرجها عن واقعها الإنساني.

وهكذا يضعنا سفر العبرانيين في مواجهة صورة جديدة لعصر الآباء الأول، لا يتبدى من إبراهيم بل من ملكي صادق، في الواقع وعين الأمر، الذي يظهر كوسيط فائق القدر، أعطي أن يتقبّل العشور - عن شخص الله - ويوزّع البركات.

على أنه يجب على القارىء أن يدرك تماماً أن بولس الرسول في إعطائه ملكي صادق كمثّل واقعي عن كهنوت المسيح اللانهائي والأبدي، لم ينزل قط في تصويره لملكي صادق إلى مستوى الرمز. فملكلي صادق، عند سفر العبرانيين، شخصية تاريخية حيّة وواقعية دخلت التاريخ المقدّس لترفع التاريخ المدني إلى مستوى ما لله، لتعطي من الواقع الحي للإنسان مثلاً شديداً للصدق لما يمكن أن يبلغه الإنسان فوق مستوى الزمان، حينما يصير الإنسان في شركة حيّة وصادقة مع الله. فكأن ملكي صادق « كاهناً لله العلي »، يعني أنه كان في شركة السر الكهنوتي بخدم الله ويتراءى أمامه ويكتمل أعماله. وقصة ملكي صادق وظهوره على مسرح التاريخ المقدّس في ومضة سريعة، اختفى بعدها، هي إحدى الوقفات القليلة العميقة والغنية بالمعاني في حياة الإنسان التي تجمع بين الواقع الإنساني والمطلق الإلهي ببساطة لا تقبل الشرح أو التفسير.

لذلك، وعن قصد وعن وعي يقول سفر العبرانيين إنه كان في حياته مشبهاً بابن الله. وما عاد

يفرّق بين ملكي صادق والمسيح في ذلك إلاّ النسب والقياسات، التي بقدر ما تهبط عند ملكي صادق لتُناسب المخلوق حينما يتمجّد ويتكَمَّل من قِبَل الله ليؤدّي رسالة خُلق لها، بقدر ما تَعلو حتى أعلى السموات عند ابن الله لتُناسب الخالق حينما يُخلّي ذاته ويتضع بحسب الله ليؤدّي رسالة تنازل حتى مستوى المخلوق ليكْمَلها. ولكن يظلّ تَعانق اللامحدود بالمحدود عند ملكي صادق يُشكّل أعظم صورة سَجَلها التاريخ المقدّس تصلح لتكون توطئة لجميء ابن الإنسان.

وليس ذلك فقط، بل نحن نجد في شخصية ملكي صادق التي تحقّق فيها عنصر الملوكية مع عنصر الكهنوت — وكلاهما ينتميان إلى الله وليس من صنع بشر أو تقليد إنسان — نوعاً من الرؤية النبوية فيما سيؤول إليه حال الإنسان حينما تتكامل فيه بركة الله التي عرّفها بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية أنها «برُّ الله»، والتي أفصح عنها سفر الرؤيا بقوله إنه — أي المسيح — جعلنا «لإلهنا ملوكاً وكهنة» (رؤه: ١٠). هذه هي صورة ملكي صادق بعينها وقد حققها لنا المسيح، وكأنما صار ملكي صادق شخصاً نبوياً ليس فقط يشير إلى المسيح، بل ويتنبأ أيضاً بما سيؤول إليه حال الإنسان حينما يبلغ غاية القصد في المسيح يسوع. وكأنّ القَسَم الذي أقسمه الله وأبرزه الوحي في المزمور وإن كان ينصبُّ في جوهره على المسيح، فهو يتسحب علينا، إذ صرنا ومن خلال هذا القَسَم ملوكاً نملك مع المسيح وكهنة نترأى أمام وجه الله بدم المسيح الذي نضح علينا من صليبه وشربناه في سر جسده والكأس.

ولكن الأمر الملفت للنظر جداً وخاصة لدى المعنيين بدقائق شرح الإنجيل، هو سكوت سفر العبرانيين عن أي ذكر للخبز والخمر اللذين عضدّ بهما ملكي صادق لإبراهيم وهو راجع من حربه وكسره لكندرتلّومر (تك: ١٤: ١٨). ولكن يبدو أن بولس الرسول لم يتعرّض في رسالته هذه لمفهوم الذبيحة التي تشير إليها تقدمة الخبز والخمر بالنسبة لمفهوم كهنوت ملكي صادق، ولكنه عني «بالبركة» التي ينتهي عندها مفهوم كلِّ من الذبيحة والكهنوت. لذلك اكتفى بذكر البركة في وظيفة كهنوت ملكي صادق دون الخبز والخمر.

أما نظرة الآباء منذ أيام العلامة كليمنديس الإسكندري والقديس كبريانوس ومن جاء بعدهم، فقد رأوا أن الخبز والخمر اللذين قدّمهما ملكي صادق لإبراهيم كانا مواد الذبيحة التي رفعها ملكي صادق. ويأتي جيروم<sup>(٤)</sup> فيقرّر بوضوح أنها قدّمت من أجل إبراهيم. وعلى ضوء هذا الشرح الجريء وخاصة للقديس جيروم، نرى أن سكوت القديس بولس عن ذكر الخبز والخمر لم يكن إغفالاً لهما، بل إمعاناً في إثبات أن البركة التي بارك بها إبراهيم هي بعينها بركة هذه الذبيحة

بخبزها وخرها، وإن كان قد صمّت عن ذلك .

ومعلوم أن الذي يبارك إنما يبارك عن علاقة شركة مع الله، وإن تكلم فهو يتكلم كمن يمثل الله. وهذا ما عني القديس بولس في هذا الموضع أن يضعه أمام هؤلاء العبرانيين وأمام أعيننا، لكي نرى في ملكي صادق أصدق من يعطي نموذجاً لصفات المسيح وعمله !!

أما عن شخصية ملكي صادق فقد ذهب الآباء في ذلك كل مذهب، فمن قال أنه يمثل الروح القدس، ويرد على هذا الرأي القديس جيروم<sup>(٥)</sup>. ومن قائل أنه كان ملاكاً، مثل أوريجانوس وديديموس. وأما القديسون هيبوليتس وإيرينيئوس، والمؤرخ يوسابيوس القيصري ويوسابيوس من إمسا وأبوليناريوس فقد اعتبروه أميراً من أمراء كنعان، والبعض قال إنه سام ابن نوح. وينسب القديس إبيفانيوس<sup>(٦)</sup> هذا الرأي الأخير إلى السامريين. وقد انتحى بعض الآباء القديسين ناحية فكرة أنه حالة من حالات ظهورات المسيح قبل التجسد، والبعض منهم قال بل هو تجسد فعلاً فيما قبل التجسد، وقال غيرهم إن الروح القدس ظهر في هيئة ملكي صادق، وقد نسب البعض هذا الرأي الأخير للقديس أغسطينوس نفسه<sup>(٧)</sup>، ولكن يبدو أن ذلك عن كتابات منسوبة له وغير أصيلة. ولكن في رأينا أن هذا كله تخرّيج يعوزه الأصالة الإنجيلية والإلهام. بل والأدهى من ذلك، أن البعض اتخذوه شفيعاً وقالوا بأنه أعلى رتبة من المسيح، فهو وسيط أعلى في كهنوته من المسيح كون المسيح جاء على رتبته. وهكذا يصبح التأويل في الشرح باباً للهرطقة إذا لم يتمسك الشارح بالنص.

فإذا التزمنا النص نقول، إن ملكي صادق الذي يصفه الكتاب بكاهن الله العلي هو شخصية حقيقية ومقدّسة، وقد نال هذه الرتبة من الله كهرون أيضاً، حتى تصير ملوكيته من تحت تدبير نعمة الله لشعب مجهول لدينا أو قبيلة أحبّها الرب وأحبّه وعبّدته، فباركها؛ وقد قام كهنوته على أساس تقديس الخبز والخمر لا باعتباره ذبيحة بل باعتباره خبز الحياة وخرها، على قياس ما قاله المسيح عن نفسه أنه هو الخبز النازل من السماء. فإن كان المسيح قد قدّم نفسه ذبيحة من أجل حياة العالم، فهو في الحقيقة قدّم الخبز النازل من السماء، أي نفسه، ذبيحة، فهذا خبز نازل من السماء، أي ذاته، وهذا خبز مذبوح صاعد إلى السماء أي ذاته أيضاً. الأول كان مادة للذبيحة؛ والثاني صار هو بذاته الذبيحة. أما ملكي صادق فقد عبّد إبراهيم بخبز وخر كانا يصلحان للذبيحة ولكن لم

5. Jerome, Ep. 73, *Ad Evag.*, 1.

6. Epiph., *Haer.*, LV, 6, p. 471.

7. Aug. iii. App. § CIX; Migne P.L. 35, 2329.

يكونوا ذبيحة، لأن ملكي صادق كان إنساناً باركه الله وحسب، ولكن لم يكن خبزاً نازلاً من السماء، فكهنوته قام على البركة التي يوصلها من الله للناس، ولكن لم يكن هو بذاته صالحاً أن يكون ذبيحة يَقبلُ الناس بالله.

وكل ما نستطيع أن نقوله إن شخصية ملكي صادق اجتمع فيها الكهنوت والملوكية وبركة الله، وهذا يُحسب في تدرُّج علاقات الإنسان بالله أنه القمَّة في الخُطوة لدى الله. أما في تكامل الشخصية بالنسبة للإنسان، فهذا يُحسب غاية التكامل. فالذي يملك على الناس من قِبَلِ الله، يكون هو الأقدر والأجدر، والذي يَكْتَهَن لهم لدى الله فهو الأقرب والأقدس. أما الذي أعطى من الله أن يبارك على الناس، فهو المؤمن على مواهب الله ويتحتم أن يكون قد نالها بالكيل المهزوز قبل أن يكيلها للناس بالقياس. ولكن يظل ملكي صادق في عُرفنا إنساناً عُتاراً فحسب. أما من جهة مولده وزمانه وحياته ومماته وأحسابه وأنسابه، فقد أخفيت عمداً من قِبَلِ الوحي، ليكون الأقرب في التشبيه بابن الله. وهيهات أن يكون المشبَّه أو الشبيه معادلاً ولا مطابقاً للذي هو الأصل، فالفرق بينهما يظل هو الفرق بين الخالق والمخلوق والمطلق والمحدود.

فإن كان ملكي صادق قد استؤمن على بركة الله ليعطيها لمن أعطاه الله، فالمسيح ابن الله جاء ليجرِّر الفاجر ويرفع الخنطة إلى مستوى أولاد الله، كلٌّ مَنْ به آمن وبه اعتمد واتحد. فإن كان ملكي صادق حُسب خادم البركة، فالمسيح هو رب المجد. وإن كان ملكي صادق عضد إبراهيم بخبز وخمر لِيَتَقَوَّى من ضعف وتدوم فيه عطية الحياة التي نالها من الله لأجل نسل، فالمسيح وهبنا في الخبز والخمر سر جسده ودمه، سر ذاته، لنحيا من بعد موت ونرث معه ميراث الخلود والمجد. فخبز ملكي صادق وخمره ينحصران في بركات الأرض والزمان؛ أما خبز المسيح وخمره فهما بعينهما الحياة الأبدية لمجد ما بعد الزمان والمكان، فهما ترياق عدم الموت وأكسير الحياة والخلود.

وإن كان قد قيل في ملكي صادق إنه يبقى إلى الأبد: «هو مشبَّه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد» (عب ٧: ٣)، فهذا من جهة كهنوته، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة (رو ١١: ٢٩)، ولا يرجع فيهما ولا يلغيهما. فكهنوت ملكي صادق قِبَلَهُ من يد الله رأساً، وليس كهارون الذي قِبَلَهُ من يد موسى، وما يقبله الإنسان من يد الإنسان تنتزعه يد الموت من الإنسان، وأما الذي بيد الله فيبقى في يد الله إلى الأبد لا يقوى عليه الموت ولا يلاحقه الزمان. فكهنوت ملكي صادق أعطى له ليكون نموذجاً لعطايا الله التي لا تُغيَّر ما على الأرض ولا تتغيَّر. وها نحن نقرأ عن الأربعة والعشرين قسيساً الجالسين على كراسيهم يباركون الحي إلى أبد الأبد. ولكن إن بقي ملكي صادق كاهناً إلى الأبد، فليس كبقاء المسيح وكهنوته. فالأربعة والعشرون قسيساً —

ولعل ملكي صادق واحد منهم — ما فتوا يخلعون تيجانهم من على رؤوسهم ويطرحونها أمام العرش والمسيح عليه جالس، يسجدون له ويسبحون ويمجدون. فكهنوت ملكي صادق وإن بقي إلى الأبد فهو بقي لكي يخدم كهنوت المسيح إلى الأبد. فإن قيل في المزموه بالنبوة عن المسيح أن كهنوته على طقس ملكي صادق، فالعنى كل المعنى ينصب على أنه أعلى من كهنوت هارون وأبقى. والقصد الخفي من الوحي هو إلقاء كهنوت لاوي في الظل ليحل محله كاهن النور والحق والحياة الأبدية الذي لا يمنعه الموت عن البقاء. فإن كان كهنوت المسيح هو على طقس كهنوت ملكي صادق، بحسب النبوة، قبل أن يظهر المسيح ويمسحه الله بدهن الروح القدس ويتقلد الخدمة يوم تطلق جسده بدم كهنوته، فهو حينما بدأ بدأ من السماء ككاهن من فوق عرش، حين استلم كهنوته أنه ينطوي تحته كل تاج وتسجد له كل ركبة مما في السماء وما على الأرض، ويهتف كل فم أن يسوع المسيح هورب لمجد الله الأب، وكاهن الخليفة التي تسبح بحمده.

بقية الآية الأولى من الأصحاح السابع :

١:٧ «لأن ملكي صادق هذا ملك ساليمة كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركته».

«ملك ساليمة»:

لم يعتنق ق. بولس بذكر موضع ساليمة بقدر ما استخرج منها صفة للملكي صادق أنه ملك السلام، وإن كان القديس جيروم يؤكد، عن رؤية، أن ساليمة كانت مدينة بالقرب من سكيثوبوليس حيث كان يوجد بقايا قصر منيف عُرف بقصر ملكي صادق. ولكن لا يهمننا من هذه الرواية الفرعية لجيروم سوى خروجنا بانطباع واضح أنه كان بالفعل ملكاً وكان بالتالي إنساناً يحيا ويؤزق.

«كاهن الله العلي»:  $\text{ιερεὺς τοῦ θεοῦ τοῦ ὑψίστου}$

المقصود هنا تحديد هوية الله، لتلا يُظن أنه كاهنٌ وثني لإله وثني. فالله بوصفه «العلي» يكون هو يهوه. وصفة «العلي»  $\text{ὑψίστου}$  وهي بالعبرية  $\text{elyon}$  عليون وترجم بالإنجليزية «Most high» تفيد الأعلى فوق كل عالٍ. ونسمعها دائماً من أفواه الشياطين حينما تنطق في الأشخاص الذين يعملون لحسابها:

+ «جارية بها روح عرافة ... صرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون

لكم بطريق الخلاص.» (أع ١٦: ١٦ و١٧)

+ كذلك: «... إنسان به روح نجس ... فلما رأى يسوع ... صرخ بصوت عظيم وقال ما لي ولك يا يسوع ابن الله العليّ.» (مر ٥: ٦٢ و٧)

وكانت هذه الصفة أي «العليّ» معظّمة جداً في أفواه الملائكة:

+ «هذا يكون عظيماً (الملاك للعدراء بخصوص ميلاد المسيح) وابن العليّ يُدعى.» (لو: ٣٢)

+ «فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العليّ تظلك ...» (لو: ٣٥)

وقد نطقها الشهيد إستفانوس بروح النعمة في عظة استشهاده:

+ «لكن العليّ لا يسكن في هياكل ...» (أع: ٧: ٤٨).

أما إبراهيم فقد أقسم بها قسماً لِيُنهي به مسألة أخذه شيئاً من الأسلاب التي استلبها بذراعه:

+ «رفعتُ يدي إلى الرب الإله العليّ مالك السماء والأرض.» (تك ١٤: ٢٢)

وواضح أن هذا القَسَم كان مفهوماً عند ملك عمورة وبقية الحاضرين، لأن شخص الله العليّ كان معروفاً ومهاباً لدى الكنعانيين والفينيقيين والأموريين، وحتى عبادة التوحيد كانت لله العليّ وكانت تتداخل كثيراً مع عبادة البَعل في الدول المحيطة بفلسطين.

«كشرة الملوك»:

وقد جاءت في أصل الرواية في (تك ١٤) أنه «كَدَّرَ تَعَوْمِر»، وهو ملك العيلاميين. وكان قد تعاهد على هذه الغزوة مع ثلاثة حكام آخرين كلهم من منطقة بين النهرين (العراق حالياً) وحاربوا خمسة ملوك من مناطق عبر الأردن ومنطقة النقب أي كل دائرة الأردن الحصبية، وقد تحقّق العلماء الأثريون من زمن هذه الغزوة أنها كانت في منتصف العصر البرونزي<sup>(٨)</sup>.

«وباركه»: και εὐλογήσας

بهذه الكلمة الواحدة رُفِع الستار عن علو شأن ملكي صادق عن إبراهيم. فالأصغر يُبارك من الأكبر بلا نزاع. وهكذا كان ردُّ الفعل في وعي إبراهيم ومشاعره الاحترامية للملكي صادق باعتباره وهو يمد يده ويبارك على رأسه أنه يمثّل الله في هذا الموقف الخطير من حياته، أن أعطاه عُشراً من كل شيء من الأسلاب التي سَلَب، الأمر الذي لا يقَدِّم إلا لله. ليس تكريماً فقط للملكي صادق الذي باركه، بل واعترافاً بفضل الله الذي نصره على الأعداء المعتدين.

## وقفه قصيرة البركة في العهد القديم

البركة في مفهومها الروحي البسيط هي التأثير الروحي للإنسان على الإنسان، وتحمل ضمناً ارتفاع المستوى الروحي لبعض الأشخاص فوق مستوى الآخرين.

ولكن في المفهوم العام للكتاب المقدس، توضّح البركة العلاقة الخفية بين الله وبعض الأشخاص والتي بها ينالون قوة روحية لتسليمها للآخرين برضا الله. أما أصل الكلمة في اللغة العبرية التي كُتبت بها الأسفار المقدسة الأولى فهي تحتل شقين:

الأول هو «بارك» وفي اليونانية εὐλογεῖν وفي العربية «بارك» أو «بارك»، وواضح أنها في كلتا اللغتين العبرية والعربية تقوم على مفهوم الخضوع أو الإحناء أمام الذي يبارك بمعنى يَبْرُكُ بركبتيه على الأرض - أي يسجد - (ومنها كلمة "يَبْرُكُ" الجمل). وهذا للتوقير الشديد للوضع الروحي الذي تسري فيه البركة من الله عبر الشخص الذي يبارك.

أما الشق الثاني فهو واضح من الكلمة اليونانية التي تعني «يقول قولاً حسناً» وهي من مقطعين: εὖ = حسن، λόγος = قول أو كلمة. وبذلك يكون أصل الكلمة «بارك» يحمل معنى الخضوع في حضرة الله لنوال إرادة حسنة من الله من نحو الإنسان المنحني إلى الأرض، وهي تكشف ضمناً عن مستقبل الإنسان، وهذا يتّضح من بركة نوح لأولاده. والبركة يقابلها اللعنة على المستوى والمعنى العكسي تماماً للبركة.

وفي مضمون بركة نوح لسام ابنه، يظهر بوضوح أن سام ستكون بركته في تجيد الرب: «مُبَارَكُ الرب إله سام» (تك ٩: ٢٦). كذلك ففي نُظُق بركة الله على الشخص، يكون موقف الذي يُبَارَكُ وكأنه يستعلن إرادة الله من نحو الذي يباركُه، حيث تظهر حقيقة وصدق هذا العمل الروحي الشَّرِي في مستقبل الأيام بصورة قوية ودقيقة للغاية تشهد لصدق البركة وقائلها وأمانة الله في تنفيذ مشيئته.

وفي بركة الله لإبراهيم وإسحق ويعقوب ما يؤكد قوة نفاذ الكلمة الإلهية المنطوقة بحيث لا تحتاج من الإنسان إلى أي إثبات. فالبركة تُنْبِت نفسها كلما امتدت الأيام، بل وقد تأتي بركة الله بعكس إرادة الإنسان. وإذا حاول الإنسان تعديلها، استحال عليه ذلك، واضطر اضطراراً للخضوع



لإرادة الله، كما حدث في إسحق حينما بارك يعقوب بالرغم من أنه أراد ونطق بالبركة لعيسو الأمر الذي لمَّا انتبه إليه وأدركه لم يملك إلا أن يؤكِّده (تك ٢٧: ٣٣).

والعجيب في شأن هذا الوضع أن يعقوب نفسه مارسه بإرادته في وُلَدَيْ يوسُف، أفرام ومَتَّى، وأسقط كرامة البكورية خضوعاً لإرادة الله التي أدركها مُسَبِّقاً ونَفَّذَهَا (تك ٤٨: ١٤).

ومتدَّ إرادة الله في توجيه البركة وتعيدها حتى وإن لم يَعْها الإنسان الذي يبارك، كما حدث في بركة يعقوب للأسباط الاثني عشر التي تخللها الوعد بالنعمة جنباً إلى جنب مع الوعد بالبركة (تك ٤٩: ٢٨)، كل ذلك ويعقوب لا يدري ما يقوله. وهكذا دخلت البركة في صميم استعلان مشيئة الله في مستقبل الأيام والسنين. وبذلك تدخل البركة في صميم تدبير الخليقة التي يدبُّرها القدير حسب مسرَّة مشيئته مهما حاول الإنسان إمساك زمام المقادير بيديه أو إثبات وجوده، فالكلمة العليا والنهائية هي لمشيئة الله الذي يبارك والذي يحجز البركة. الأمر الذي يخلق حقيقة طاغية وهي ضرورة وحتمية الخضوع لمشيئة الله والإيمان بحكمته في تدبير حياة الإنسان ومستقبله. وأعظم دليل على ذلك هو محاولة أعداء شعب إسرائيل وبينما هو مرتحل، أن يلعنوه، فاستأجروا نبياً له قدرة الرؤيا وقدرة استثنائية للتحكُّم في الأمور الزمنية لكي يلعن شعب إسرائيل، فما كان إلا أنه خضع التزاماً لتوجيه الله مع وعيد وتحذير إن هو خالف ما ينطقه الله في فمه، فما كان منه إلا أن بارك إسرائيل مرَّة تلو مرَّة رغماً عن إرادة الأعداء (عد ٢٢: ٣٨، ٢٦: ٢٣، ١٣: ٢٤).

### دخول البركة في الطقس الليتورجي أي الخدمة العبادية لله:

كانت البركة الموهوبة للأبَاء والأنبياء القديسين استثناءً لم يَدُم كثيراً. ولكن استعلان بركة الله من نحو الإنسان كان لا بد أن يستمر ويدوم بطول الزمان حسب مسرَّة مشيئة الله. لذلك فقد دخل، في الترتيبات المخصَّصة للعبادة سواء اليومية أو الموسمية، صوت الله المنادي بالبركة لشعبه وأتقيائه، بضم خُدَّامه أو رؤسائه أو ملوكه الذين تعيَّنوا من الله لكي يقودوا أو يرشدوا شعبه، الأمر الذي نجده واضحاً في هذه المواضع: (٢ صم ٦: ١٨، ١ مل ٨: ٥٥، ١ أي ١٦: ٢، ١ صم ٢: ٢٠، ٢ أي ٣٠: ٢٧).

وهكذا دخلت البركات في طقس العبادة، لتكون هي أهم مقاطع الخدمة العامة والخاصة للشعب والمحتاجين. ونجد الروح ينطق بالبركة حالما يحل على هؤلاء الكهنة كما كان في أمر هارون. فحالما تقبَّل هارون الكهنوت، نال قدرة النطق بالبركة: «ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم» (لا ٢٢: ٩٦)، فلما شاركه موسى نفسه في هذا الموقف من نحو مباركة الشعب.

استجاب الله في الحال، فحلَّ مجد الرب واستُعِين لكل الشعب (٢٣: ٩٦).

أما أهمية طقس البركة في العبادة الأولى لليهود فنجدها واضحة في «المِشْتَاه»، حيث تبتدىء بذكر وشرح البراخوت Berachoth، وحيث تظهر الثماني عشرة بركة المسماة بـ «الثماني عشرة» لتأخذ أولويتها على ما عداها من الصلوات في الخدمة اليومية.

ولكن تُعْتَبَر البركة التي ينطقها خاصة هارون الكاهن، وبنوه من بعده، أهم وأوضح صورة للبركة. وهي كالآتي:

«يباركك الرب ويحرسك،

يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك،

يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً.» (عدد ٢٤-٢٦ وانظر مز ٤: ٦، ٦٧: ١)

ثم يُضَاف إليها: «فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركهم.» (عدد ٢٧: ٦)

لذلك تُعْتَبَر هذه البركة هي شركة حقيقية للشعب مع الله باعتباره أنه قد جعل نفسه معروفاً لهم. لذلك فكل بركة تكون في حقيقتها «في اسم الرب»، كما جاءت في (١ أي ١٦: ٢، ٢٣: ١٣)، وفي (مز ١٢٩: ٨، ابن سيراخ ٤٥: ١٥).

هكذا نتحقّق أن البركة الحقيقية إنما تقع في دائرة إرادة الله وعلى مرأى من حضرته.

والمُباركة محيطها يتسع ليبارك الإنسان الله ويبارك الله الإنسان، ولكن هذه غير تلك. كما يبارك الإنسان الإنسان، ويبارك الله الأشياء كما أيضاً يباركها الإنسان.

+ فحينما يبارك الإنسان الله، فهو يقَدِّم بتوقير فائق تعبُّده لصفات الله أو مشيئته أو أفكاره أو أعماله التي يعتبرها أساس حياته وجوده وعزائه وفرحه وعبادته. انظر (تث ٨: ١٠، ١ مل ١٠: ٩، نح ٩: ٥، مز ٣٤: ١، ١٠٣: ١، ١٣٤: ١).

+ فإذا بارك الله الإنسان، فهو إنما يعلن له عن مسرّة مشيئته من نحوه لكي يثَقِّم في ظلها ويقتني هذه المشيئة، انظر (تث ١: ٢٨، ٩: ١، ١٢: ٢، ١٦: ١٧، ١١: ٢٥، عدد ٦: ٢٤).

+ فإذا بارك إنسان إنساناً، فهو إنما يتكلّم بضم الله كتمثّل له، ومعلناً عن رسالة الله المقدسة من جهته على شكل صلاة تقوية، كما جاء في (تث ٢٧: ٤، ٤٧: ٧، ٤٩: ٢٨، لا ٩: ٢٣، عدد ٦: ٢٣، تث ١٠: ٨).

+ وإذا بارك الله شيئاً ما من أمور الإنسان، فهو إنما يعلن بواسطته عملاً له، كما في (تك ١: ٢٢، ٣: ٢، خر ٢٣: ٢٥، مز ٦٥: ١٠، ١٥: ١٣٢، أم ٣٣: ٣).

+ وإذا بارك الإنسان شيئاً ما من أمور الإنسان، فهو إنما يعلن عن عمل الله وقدرته، مثل (١ صم ٩: ١٣)، وهو المثل الوحيد في العهد القديم. فالله هو الذي نباركه من أجل هذا الشيء فيتبارك الشيء.

فمعروف في تعليم اليشتاه أن الذي يبارك ثمار الأشجار يقول: [ مبارك أنت أيها الرب إلهنا، الذي خلق أثمار الأشجار ]. وعلى الخبز يقول: [ مبارك أنت أيها الرب إلهنا الذي أخرج الخبز من الأرض ].

وإذا دققنا في تسلسل نطق البركة ومقاصدها، نجدها عبرت على مدى السنين من صياغة العبادة المباشرة لله إلى نوع من التوسل ثم إلى الشكر. وهذه كلها تقع في محيط الإعلان عن طبيعة الله في معاملاته مع الإنسان. وقد تبلورت هذه المفهومات في الثماني عشرة بركة (البراحوت) التي توارثها السنهدريم اليهودي من الآباء الأول بعباراتها التقوية العظيمة التعبير من نحو الله.

والبركات الثماني عشرة ولو أنها جازت مع الزمن نوعاً من التنقيح والزيادات الطفيفة، وبالفحص وُجدت البركات الموروثة لدى يهود الأسبان مختلفة قليلاً عن التي للألمان، ولكن منذ أيام الرسل تكاد تكون محافظة على شكلها وألفاظها العامة. ومعروف أن الثلاث البركات الأولى والثلاث الأخيرة هي من قبل أيام المسيح، وقد دخلت في صميم استخدام المسيح والرسل.

ونحن نقدم هنا عن العلامة وستكوت ترجمة حرفية للبركات الثماني عشرة حتى نرى مدى تأثير الكنيسة بها:

عن الطقس الأسباني = السيفارديم Sephardim

— البركات الثماني عشرة في الخدمة اليهودية بالسنهدريم —

البركة الأولى:

مبارك أنت أيها الرب إلهنا وإله آبائنا: إله إبراهيم، إله إسحق، إله يعقوب (خر ٣: ١٥)، الإله العظيم المقتدر والمخوف (تث ١٠: ١٧)، الإله العلي (تك ١٤: ١٨) المعطي خيرات نعيم، المالك الكون، والحافظ للأعمال الصالحة التي للآباء، هو الذي يأتي بالفادي إلى

أولاد أولادهم من أجل اسمه في المحبة.  
أيها الملك المعين، والمخلص، والديرع. مبارك أنت أيها الرب دُرُغ إبراهيم.

#### البركة الثانية:

أنت القوي إلى الأبد، أيها الرب. المحيي الموتى والكثير الخلاص، الساند للأحياء  
بصلاحك، والمحيي الموتى في مراحمك الكثيرة، مُقيم الساقطين، وشافي المرضى، ومحرّر  
المأسورين، والمكتمل حقه نحو الذين رقدوا تحت التراب.  
مَنْ مثلك أيها الرب صاحب الأعمال المقتدرة؟ ومن نُشِبْهك أيها الملك الذي يُحدر إلى  
الموت، والمؤتي الحياة، والعامل لخلاص الجيل الآتي؟  
نعم أمين أنت الذي تقيم الموتى إلى حياة.  
مبارك أنت يا رب الذي تقيم الموتى إلى حياة.

#### البركة الثالثة:

قدوس أنت، واسمك قدوس، والقديسون يمدحونك كل يوم. سلامه!  
مبارك أنت أيها الرب الإله القدوس.

#### البركة الرابعة:

أنت بنعمتك تعطي الإنسان معرفة، وتعلّم الإنسان المتحدر إلى الموت علماً. فاعطنا بنعمتك  
معرفة وفهماً وحكمة.  
مبارك أنت أيها الرب الذي بمقتضى نعمتك تعطي فهماً وعلماً.

#### البركة الخامسة:

رُدُّنا مرّةً أخرى يا أبانا إلى ناموسك، وقربنا أيها الملك إلى خدمتك ورُدُّنا بتوبة كاملة إلى  
حضرتك.  
مبارك أنت أيها الرب الذي مسرّته في التوبة.

#### البركة السادسة:

اغفر لنا يا أبانا لأننا أخطأنا. اعفِ عَنَّا يا ملكنا، لأننا تعدينا، لأنك أنت أيها الإله صالح  
ومستعد للمغفرة.  
مبارك أنت أيها الرب العظيم في نعمتك حتى تغفر بسخاء (إش ٥٥: ٧).

## البركة السابعة:

انظر إلينا في محنتنا، نتوسل إليك، واطلع على قضيتنا واسرع إلى فدائنا فدية كاملة من أجل اسمك لأنك أنت يا الله فادٍ قوي (إرو: ٥٠: ٣٤).  
مبارك أنت أيها الرب فادي إسرائيل.

## البركة الثامنة:

اشفينا يا رب فثقتي، خلصنا يا رب فنخلص (إرو: ١٧: ١٤)، لأنك أنت تسبحتنا. نعم اشفِ وعافِ كل أسقامنا وكل آلامنا وجراحنا، لأنك أنت يا الله شافٍ وعطوف وأمين.  
مبارك أنت يا رب، الشافي أمراض شعبه إسرائيل.

## البركة التاسعة:

أبونا أنت فباركنا في كل أعمال أدينا، وبارك السنة بندي نعمتك بركة ونجاحاً، ولتكن حتى نهايتها حياة وسلاماً عميماً مثل بركات السنين الصالحة، لأنك أنت صالح يا الله وتعمل الصالحات وتبارك السنين.  
مبارك أنت أيها الرب الذي تبارك السنين (صيفتان لهذه البركة واحدة للصيف وأخرى للشتاء).

## البركة العاشرة:

بوقوا بالبوق الكبير لتحريرنا، وارتفعوا علماً ليجتمع كل الأسرى، واجمعنا معاً سريعاً من أركان الأرض الأربعة نحو أرضنا (تث ٣٠: ٤، إش ٢٧: ١٣).  
مبارك أنت يا رب الذي تجمع مطرودي شعبك إسرائيل.

## البركة الحادية عشر:

يا قاضينا أعيدنا كما في البداية، واجمع مُشيرينا كما في الأيام الأولى (إش ١: ٢٦)، وابدع عنا الحزن والتنهّد، واملك علينا سريعاً أنت يا رب وحدك في الرحمة والبر والعدل.  
مبارك أنت يا رب الملك الذي يحب البر والعدل (مز ٣٣: ٥).

## البركة الثانية عشر:

أما الخونة (اليهود الذين تنصروا وصاروا مسيحيين) فبُدِّد رجاءهم، أما المراهقة والمتكبرون فأفنيهم في لحظة. وأما أعداؤك والذين يبغضونك فاقطعهم سريعاً. والأشرار فاقلمهم وحطمهم إرباً ولاشيهم. أحنِ ظهورهم سريعاً في أيامنا هذه.

مبارك أنت يا رب الذي يحظم الأعداء تحطيماً، ويُحني المتكبرين إلى الأرض.

### البركة الثالثة عشر:

أما على الأبرار والأتقياء وعلى بقية شعبك بيت إسرائيل وبقية المتبقين من بيت الكتبة، وعلى الداخلين (من الأمم) من الأتقياء، وعلينا نحن، فلنكن رحمتك، نتوسل إليك أيها الرب إلهنا ابدأ واعطِ جزءاً صالحاً لكل الذين يثقون في اسمك بالصدق، واجعل نصيبنا معهم. لا تُخزنا إلى الأبد لأننا نثق فيك وعلى عظمة رحمتك نبقي وندوم في الحق. مبارك أنت أيها الرب لأنك باقي وأمين للأبرار.

### البركة الرابعة عشر:

أ - اسكن وسط أورشليم مدينتك، كما قلت، وأقم في وسطها عرش داود سريعاً، وابنيها بناءً أديماً سريعاً في أيامنا. مبارك أنت أيها الرب الذي يبني أورشليم.

ب - اجعل غصن داود عبدك يخرج سريعاً، واجعل بيته يرتفع في خلاصك، لأننا ننتظر خلاصك كل يوم. مبارك أنت أيها الرب الذي يُخرج قرن خلاصه.

### البركة الخامسة عشر:

اسمع صوتنا أيها الرب إلهنا أبونا الرحيم. اصنع رحمة وعطفاً لنا، واقبل صلواتنا في رحمتك وبنعمتك. لأنك أنت الله السامع الصلوات والتوسلات. ولا تصرفنا بعيداً فارغين من أمام حضرتك يا ملكنا. كن رحيماً علينا واستجب لنا واسمع صلواتنا لأنك سامع صلاة كل فم. مبارك أنت أيها الرب السامع الصلاة.

### البركة السادسة عشر:

اطلع أيها الرب إلهنا على شعبك إسرائيل واصغ لصلواتهم، وأعد خدمة «مقدسات» بيتك. ليشك تتقبل سريعاً بنعمتك محركات تقدمات إسرائيل وصلواتهم في المحبة. وليت خدمة إسرائيل تدخل إلى مسرّتك على الدوام. وليتك في كثرة رحمتك تنظر برفق علينا وتكون رحيماً بنا. وليت عيوننا تنظر حينما تعود وترحم صهيون. مبارك أنت أيها الرب الذي يُعيد مصباح الله (الشاكيناه = حضرة الله) إلى صهيون.

## البركة السابعة عشر:

نحن نعتزف أمامك أنت هو الرب إلهنا وإله آبائنا إلى أبد الأبد. صخرتنا وصخرة حياتنا ودرع خلاصنا. أنت «هو». من جيل إلى جيل نشكرك ونعلن تسييحك. مبارك أنت أيها الرب، صالح هو اسمك، ولك ينبغي تقديم الشكر.

## البركة الثامنة عشر:

امنحنا سلاماً وصلاًحاً وبركة وحياة ونعمة ورحمة وبراً وتعطفاً، وعلى كل إسرائيل شعبك، وباركنا، أنت أبونا كلنا، معاً في نور وجهك (عد٦: ٢٥). لأنك في نور وجهك أعطيتنا أيها الرب إلهنا الناموس والحياة والمحبة والرحمة والبر والعطف والبركة والسلام. مبارك أنت أيها الرب الذي يبارك شعبه بسلام.

وواضح من هذا السرد الدقيق لصلوات البركات في الخدمة اليومية لليهود التي يرقى كثيرٌ منها إلى ما قبل زمن المسيح بعدة مئات من السنين، أنها كلها تقوم على استعلان صفات الله واحدة تلو واحدة بشكل صلاة هي بحد ذاتها إعلان لصفة سبق أن استعلنها الله في نفسه.

ويضيق بنا المقام هنا — ونحن بصدد البركة في العهد القديم — أن ندخل في شرح البركة في العهد الجديد. ونحن نحيل القارئ إلى كتاب «الإفخارستيا والقداس»، فقد أعطينا فيه صورة لها ربما تفني بالغرض.

٢:٧ «الذي قَسَمَ له إبراهيمُ عُشراً من كلِّ شيءٍ. المترجمٌ أولاً قَلِكَ البرَّثم أيضاً قَلِكَ ساليَمَ أي قَلِكَ السَّلام».

«الذي قَسَمَ له إبراهيمُ عُشراً من كلِّ شيءٍ»:

واضح من تقديم إبراهيم العشور — من غنائم كسرة العدو — ملكي صادق أنها إشارة شديدة إلى مركز ملكي صادق كمثلِّ لله، لأن العشور هي نصيب الرب: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني، بهذا قال رب الجنود.» (مل٣: ١٠)

وهذا يكشف لنا أن كهنوت ملكي صادق الذي يقف في التوصيف وليس الجوهر على مستوى كهنوت المسيح هو مستمدٌ من الله وليس من إنسان، خاصة أنه لم يسبق ملكي صادق كاهن آخر استلم منه ولا ذُكر كاهن بعده سلَّمه، مما يوحي أنه كهنوت فريد فائق على مستوى الطقوس البشري. وفي موضع تالٍ يشرح السفر مقدار علو كهنوت ملكي صادق فوق كهنوت هارون ولاوي

الذي تأسس أصلاً ليرفع إسرائيل إلى مستوى التخصص لله. فلاوي هو السبط الذي صار من نصيب الله يأخذ العشور لحساب الله وليس يتبع الشعب في ذلك، ليمثل الشعب لدى الله ويمثل الله لدى الشعب. هذا اللاوي وهو في أحشاء إبراهيم اشترك مع إبراهيم في تقديم العشور للملكي صادق. وهذا سنرجع إليه بالتفصيل في الآيات القادمة.

«المترجم أولاً ملك البرثم أيضاً ملك سالييم أي ملك السلام»:

هذا التخريج الذي توصل إليه بولس الرسول هنا من جهة الصفات الشخصية ثم التطبيقية للملكي صادق استخرجه من نفس الاسم «ملكي صادق، ملك سالييم»، فأولاً ملكي صادق تعني أو مترجم «ملك الصدق»، و«الصدق» في العبرانية هو «البر»، كما سبق وقلنا صفحة ٤٤١. لذلك فقد استخرج ق. بولس من الاسم أنه «ملك البر». وثانياً العبارة التي جاءت في النص تحت كلمة «أيضاً»، فاستخرج من وظيفته «ملك سالييم» أنه ملك السلام. مع أن سالييم هي بحد ذاتها مدينة «أورشليم» أو «يوروساليم» أو «أورسالييم» (أي مدينة السلام). لذلك جمع ق. بولس الاسم مع الوظيفة وقال إنه ملك البر وأيضاً ملك السلام. ولا يخفى على القارئ أن هاتين الصفتين هما بالدرجة الأولى من صفات المسيح «ملك البر، وملك السلام». ويستحيل أن يشترك معه فيهما آخر، مما يجعل خلع هذه الصفات على شخص إنسان بشري محض هو ملكي صادق لا يمكن إلا أن يكون مجرد تشبيه من على بُعد، الأمر الذي استدركه ق. بولس بعد ذلك بقوله «مُشَبَّه» بابن الله؛ مجرد تشبيه وليس نسبة جوهرية، وهذا يجعل انتخاب ملكي صادق من العهد القديم ليعطي صورة شديدة الشبه وصادقة في واقعها وليست رمزاً، أمراً إبداعياً من الدرجة الأولى.

٣:٧ «بلا أب بلا أم بلا نَسَبٍ، لا بداية أيام له ولا نهاية حياة بل هو مُشَبَّهٌ بابن الله، هذا يبقى كاهناً إلى الأبد».

أوصاف ملكي صادق التي التجأ إليها بولس الرسول واستخرج منها المقابل الجوهري والأبدي للمسيح، كان منها الإيجابي وهي ملك البر وملك السلام؛ وهنا في هذه الآية يأتي إلى الأوصاف السلبية أي التي لم يذكر عنها الوحي في العهد القديم شيئاً، إذ أمسك الوحي عن ذكر متى وأين وكيف كان مولده ومَن هي أمه ومن أي شعب أو قبيلة، كذلك من جهة أبيه، وبالتالي صمت الوحي عن نَسَبه. ويلاحظ أن النص اليوناني لا يقول «بلا نسب» كما جاءت في الترجمة العربية، بل «بلا سجل أنساب». فالكلمة الأصلية ليست ἀγένητος = بلا نسب، بل



ἀγενεαλόγητος وترجمتها بلا سجل أنساب<sup>(١)</sup>، مما حدا بالقديس بولس أن يتخذ من هذا حجةً أنه كان بلا أم وبلا أب وبلا نسب ἀπάτωρ, ἀμήτωρ, ἀγενεαλόγητος وباللاتيني sine patre, sine matre, sine genealogia = (Vulg.) الأمر الذي لم يكن له مثيلٌ في كل بني البشر إلا المسيح لو نُظر إلى ناسوته لاهوتية (فحتى ناسوته هو بلا نهاية حياة). لذلك قال ق. بولس إنه بذلك كان مشبهاً «بابن الله»، ولم يقل بالمسيح يسوع حال تجسده بل «بابن الله» حسب طبيعته الإلهية الذي كان حقاً بلا بداية أيام ولا نهاية حياة، فهي بنوة فائقة على النسل والنسب والأب والأم.

كذلك أمسك الوحي عن ذكركم متى ظهر ملكي صادق إلى الوجود والحياة؟ ولماذا؟ ولن كان يكهن؟ ومتى انتهت حياته؟ وبذلك كعمل التشبيه بابن الله ولو من على بُعد من جهة أزليته وأبديته. وواضح أن بولس الرسول لم يقصد أن ملكي صادق كان بالفعل والواقع كذلك، ولكن رأى أن ما قدّمه الوحي عنه هو يشير بالفعل إلى ذلك لو أخذ الأمر بحسب النص التاريخي حرفياً.

كذلك لأن الوحي لم يذكر كيف ومتى انتهى كهنوته ولا لمن سلّمه فانقطع عنه، لم يؤخذ منه بموته ولا هو أعطاه لأحد في حياته فانتهى تاريخياً، لذلك أخذ ق. بولس هذا تكأة ليقول: «هذا يبقى كاهناً إلى الأبد». فهو يرى في وصف الوحي هكذا ما يطابق حال كهنوت المسيح الذي احتل كرسي العرش السماوي ليبقى إلى الأبد بعد أن دخل كرئيس كهنة بذبيحة كفارته (التي كان لا يقدّمها إلا رئيس الكهنة في القديم) إلى قدس أقداس السموات ليتراءى أمام الله، ويبقى ودمه عليه يشفع في الخطاة إلى أبد الأبد.

وليس عضواً اتخذ القديس بولس هذا المعنى واستخرجه من سرد قصة ملكي صادق، بل هو بوعي لاهوتي نبوي رأى في كل ما قاله الوحي عن ملكي صادق إن كان إيجابياً من جهة كونه ملك البر والسلام أو سلبياً بصمته وسكوته عن مولده ومماته، رأى أن هذا قصده الوحي قصداً ليكون «نبوة» عن الآتي، يفهمها كل من له وعي النبوة وتفسيرها.

ولقد جاءت ترجمة هذه الآية بالسريانية في البشيتا Peshitta لتوضح هذه الحقيقة إذ تقول ما معناه: «الذي أبوه وأمه غير مكتوبين في الأنساب»، بمعنى أن هذا هو واقع الوحي، وليُستخرج ما يُستخرج.

وقد يلذ للكاتب أن يقول: إن الذي عمل بوصية المسيح: «إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لوقا: ١٤: ٢٧)، فالذي يصنع هذا يُقال عنه حقاً في المفهوم المسيحي العالي أنه أصبح بلا أب بلا أم وبلا نسب. ولكن يبقى أن يُقال إن إنساناً ما يكون بلا بداية أيام وبلا نهاية حياة وكهنوته يبقى إلى الأبد، حتى مجرد القول، فهو يحتم المرجعة في أمر ملكي صادق فإن الغموض النبوي يحيط به إلى الدرجة التي تحير العقول! أهونبي من عالم المجهول؟ أو بشر احتفظ به الله فوق الزمان من وراء الزمان حتى لا يكون الله بلا شاهد، بار كهذا وقديس؟ ولقد تدخّلت معجزات الله الفائقة حتماً لتحضره إلى بداية عصر إبراهيم عصر الوعود، بالموعود الآتي ليختم على زمان شقاء الإنسان؟ على كل حال وفي كل الأحوال فملكلي صادق شبيهه بابن الله!! وحسب!!

## ٢ - مقدار عظم كهنوت ملكي صادق فوق الكهنوت اللاوي

[ ١٠ - ٤ : ٧ ]

٤:٧ «ثم آنظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيمُ رئيسُ الآباءِ عُشراً أيضاً من رأسِ الغنائمِ».

«ثم انظروا»: θεωρεῖτε δέ

وصحة ترجمتها تكون: «والآن انظروا». فالآية ليست مكتملة لما سبق حتى تستخدم «ثم» δέ بل هي تعقيب للفت نظر هام جداً. ذلك بعد أن سرد وصفاً للملكي صادق، جعله شبيهاً بابن الله، ويعود ويعقب قائلاً: «والآن انظروا» أي «والآتي هو أكثر وأخطر». وليلاحظ القارئ أن الفعل جاء بصيغة الأمر لأهميته ليعطي فرصة للسامع أن يتأمل ويدرس ويستخلص العبر.

«ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء»:

وهنا يريد أن يقدم شيئين عظيمين جداً، ولكن هناك شيئاً أعظم من شيء. فإبراهيم هو رئيس الآباء أي أعظم الآباء جميعاً لشعب إسرائيل، ولكن بالرغم من ذلك نجده يعمل عملاً يُظهر فيه ويُعلن به أنه يوجد شخص أعظم منه جداً!! فالعشور التي أعطاه إبراهيم - من الغنائم - للملكي صادق جعلت ملكي صادق أعظم من إبراهيم لأن الذي يعطي العشور هو أقل بما لا يقاس من الذي يتقبل العشور!! وهذا الموقف وثقه وأمنه ووافق عليه وشرحه كون ملكي صادق بدوره بارك إبراهيم!! في المقابل.

«عُشراً أيضاً من رأس الغنائم»:

هنا مجرد تقديم العشور هو بحد ذاته رد فعل انفعالي لإحساس إبراهيم بعظم شأن شخصية ملكي صادق، هذا من جهة أولى، ومن الجهة الثانية إعطاء العشور كان اقتناعاً من إبراهيم أن ملكي صادق جاء بحق الله من الغنائم. فهنا إعطاء العشور للملكي صادق يحمل معنى تقديم عبادة لله على يد كاهن الله العلي. لذلك نجد بولس الرسول يفتح الآية بقوله: «ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم»، فهو ليس مجرد عشور مادية بل عبادة روحية على مستوى توقير الله في صيغة عمل مادي هو تقديم العشور.

وكلمة «الغنائم» ἀκροθιῶν جاءت ترجمتها في العربية «رأس الغنائم»، وجاءت في

السريانية «العشور والبكور»، وجاءت في اللاتينية القديمة de primitiuis، وجاء بدلاً منها في الآية الثانية (٢:٧) هكذا: «عُشراً من كل شيء». وقد اختارها إبراهيم، بحسب معنى الكلمة اليونانية ἀκροθίνιον، من «أفضل غنائه». كل هذا إمعاناً في إظهار مقدار توكير إبراهيم لشخصية ملكي صادق.

٥:٧ «وأما الذين هم من بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت فلهم وصية أن يُعشروا الشعب - بمقتضى الناموس - أي إخوانهم مع أنهم قد خرجوا من صلب إبراهيم».

القصد من هذه الآية هو رفع قيمة آخذ العشور. إذ يقول إنه بالرغم من أن بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت بوضع اليد من كهنة سابقين، قد نص الناموس أن يأخذوا العشور من الشعب مع أنهم والشعب الذين يأخذون منه العشور هم جميعاً أولاد إبراهيم، إلا أنه لكونهم قد تخصصوا لخدمة المقدسات باسم الله صار لهم هذا الامتياز على بقية الشعب أن يمثّلوا الله بأخذهم العشور على اسمه.

وبهذه الحقيقة عينها يتقدّم ق. بولس في الشرح ليثبت أن كهنة بني لاوي قدّموا العشور للملكي صادق إذ أنهم يُحسبون وكأنهم في صلب إبراهيم لثما قدّم إبراهيم العشور للملكي صادق ليخرج من ذلك بأن ملكي صادق أرفع قدرأ من كهنوت بني لاوي، لأنه كهنوت مأخوذ بيد الناس ويمنعه الموت من دوام البقاء.

٦:٧ «ولكن الذي ليس له نسب منهم (ملكلي صادق) قد عُشّر إبراهيم وبارك الذي له المواعيد».

هنا توضيح قوي أن كهنوت ملكي صادق ليس موروثاً من الناس، ولا علاقة له بالناموس، وله القدرة على أن يكون أعلى من المواعيد التي نالها إبراهيم من الله، لأن من هذا الكهنوت أخذ إبراهيم بركة مع أنه صاحب المواعيد. فهو كهنوت يأخذ صفاته من صفات حامله: كهنوت يتساوى في الكرامة والمجد والسلطان مع ملك البر وملك السلام والقدرة على البقاء إلى الأبد. في حين أن الكهنوت اللاوي يتساوى مع الناموس والناموس زمني، ويتساوى مع صفات حامله وهم اللاويون بنو الموت الذين وقعوا مراراً تحت السخرة والأسر ولللعنة من الله.

«قد عُشِّر ... وبارك»: εὐλόγηκεν — δεδεκάτωκεν

يأتي هذان الفعلان في زمن المضارع التام في اللغة اليونانية الذي يفيد بقاء وديمومة الفعل بكل معناه في الحاضر<sup>(١)</sup>. وواضح منهما أن ملكي صادق تقَبَّل العُشور وقَدِّم بركة، وهذان الفعلان بحد ذاتهما يوضحان التفوقَ العالمي من جهة مستوى الشخصية في علاقتها بالله، خاصة وأن ملكي صادق مارسهما مع إبراهيم الشخصية المحسوبة أنها أعلى رأس في كل تاريخ بني إسرائيل بل والمحسوب أنه أبو كل المؤمنين. فكل ما أُضيف لإبراهيم من صفات ترفعه فوق كل التاريخ القديم تصير هي بحد ذاتها سبباً لارتفاع شخصية ملكي صادق أكثر فأكثر.

٧:٧ «وبدونِ كلِّ مشاجرةٍ الأصغرُ يُبارِكُ من الأكبرِ».

هنا يضع بولس الرسول منطق القياس بالنسبة للذي يبارك والذي يُبارِكُ عليه ليضع تفوقَ ملكي صادق كحقيقة منطقية لا تحتاج إلى نقاش؛ معتبراً أن الذي يبارك إنما يبارك من فوق فهو بذلك الأعلى والأكثر اعتباراً. علماً بأننا سبق وأوضحنا أن البركة تحمل في صميم معناها أن الذي يتقبَّل عليه أن «يرك» أمام معطيها، أي يسجد بانحناء.

٨:٧ «وهنا أُناسٌ هائِتونٌ يأخذونَ عُشراً، وأما هناك فالمشهودُ له بأنه حيٌّ».

ويعود بولس الرسول ويضيف شهادة الوحي أن ملكي صادق هذا يُعرف أنه «بلا بداية أيام ولا نهاية حياة» بمعنى أنه «حيٌّ»، كما استقرأها هنا في هذه الآية، والتي نفهم نحن منها أنه يريد أن يضع العكس لما قاله عن كهنة بني لاوي أنهم هائتونون!! أي أن ملكي صادق يتخطى الموت بطريقة ما. فاللاويون يمنعهم الموت عن الدوام وهذا يبقى لأنه يجيا، هؤلاء يستلم الواحد منهم ما يتركه الآخر بموته وهذا واحد لا استلم ما له ولا سلّمه لآخر.

«يأخذون عُشراً»: δεκάτας

الترجمة العربية هنا جانبت الدقة، فالكلمة اليونانية جاءت بالجمع δεκάτας، وهذا إمعاناً في إظهار تكرار العُشور، للتدليل على عدم بقاء معطيها ولا بقاء آخذها. وذلك في مقابل «العُشْر الواحد» الذي ذُكِرَ عن إبراهيم أنه أعطاه لملكلي صادق في الآية (٧: ٢ و ٤) δεκάτην عُشراً واحداً. وهذا يعبرُ تعبيراً مُبدعاً عن تسامي العُشْر في وضع ملكلي صادق على الكثرة العددية للعُشور،

إذ يعبر عن فعل خضوع واحد يقابله فعل بركة واحد أيضاً، وكأن ملكي صادق لم يكن في حاجة إلى مادة العُشر التي أخذها من إبراهيم، لأن العُشر في مفهومه الروحي هو خضوع لله وتكريم، الأمر الذي قابله فعل البركة على المستوى الروحي الذي تجلّى في مجيء المسيح من نسل إبراهيم.

كذلك فإن العُشور في تعددها وتكرارها وكثرتها عند كهنوت اللاويين منسوبة لعلّة الموت الذي يمنع أخذها عن البقاء والدوام. أما العُشر الواحد غير المتكرر في كهنوت ملكي صادق فهو منسوب لدوام الحياة وعدم تدخل الموت الذي يُحتم بالتكرار. وهنا واحدة العُشر مرتبطة بواحدة الحياة ودوامها عند ملكي صادق الذي يرفع معنى العُشر ومضمونه إلى مستوى الروح.

وهكذا نخرج مبدأ هام وخطير في أمر الأعمال وعلاقتها بواقع الحال. فاللاويون يكرّرون فعل أخذ العُشور لعلّة الموت الذي يمنعهم من دوام الحياة ودوام الفعل الواحد أو العمل الواحد، وهكذا التزموا بالتعدّد والتكرار؛ بينما في ملكي صادق فالعمل لم يُعد في حاجة إلى تكرار بل هو قائم دائم بسبب دوام فعل الحياة. ونستخلص من ذلك أن ما يعمله الإنسان ينشئ من واقعه ويطابقه، فالقابل للموت يعمل عملاً قابلاً للتوقّف والحي الدائم يعمل عملاً غير قابل للتوقّف. وهذا الأمر نجده واضحاً في حال الإنسان لَمَّا يتجدّد بالإيمان والقيامة، فعمله الذي كان يعمل في موته بالذنوب والخطايا وكان يمنعه الموت عن البقاء يصبح مدعوماً بالحياة حياً لا يموت: «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح.» (يو ٦: ٣)

١٠ و ٩: ٧ «حتى أقول كلمة إن لاوي أيضاً الآخذ الأعشائر قد عُشّر بإبراهيم، لأنه كان يُعدُّ في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق».

«حتى أقول كلمة»: και ως επος ειπειν

وترجمتها بحسب الأدب اليوناني تفيد؛ «حتى أن الواحد يقول» أو «ونقولها باختصار في كلمة واحدة» (١١) أو «بمعنى». وبولس الرسول يقصد من هذا الاصطلاح أنه ولو أن المعنى غريب إلا أنه يرى شخصياً، لا كأنه المعنى الحرفي، ولكن في مضمونه العام يعني كذا وكذا ... لأن لاوي لم يكن قد ظهر للوجود أثناء حياة إبراهيم، ولكن تجاوزاً نقول إنه كان في صلب أبيه. وطبعاً ليس لاوي بحد ذاته، ولكن كمثل عن كهنوت كل شعب إسرائيل بحسب التاموس. وحتى إبراهيم كان في ذلك الوقت، حينما استقبله ملكي صادق، بدون نسل ولا حتى وُعد بنسل، ولكن كان يحمل في جسده بذرة النسل التي منها خرج كل شعب إسرائيل.

## ٣ - عدم كمال الكهنوت اللاوي

[ ١٤ - ١١ : ٧ ]

١١ : ٧ «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمالاً، إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بُعْدُ إلى أن يقومَ كاهنٌ آخرُ على رتبة ملكي صادق ولا يُقال على رتبة هارون؟».

بعد أن أوضح بولس الرسول علو شأن كهنوت ملكي صادق، باعتباره كهنوتاً مطلقاً من قيد الزمن، حرراً من كل نسب يسبقه أو غاية ينتهي عندها، يعود الآن من الناحية الأخرى ليوضح أن الكهنوت اللاوي (وصحتها خدمة الكهنوت اللاوي وليس مجرد الكهنوت كما جاء في الترجمة العربية) غير كفو أن يكمل الغرض الذي من أجله يعبد المؤمن جاهداً الليل والنهار، وهو التقرب الحقيقي من الله وبلوغ الكمال من جهة الضمير والواقع العملي، وذلك في مقابل كهنوت المسيح، وبقوله خدمة الكهنوت فهو يشير إلى ممارسات الكهنوت اللاوي على الذبائح الحيوانية.

والقدیس بولس هنا یرکز علی الآتی :

( أ ) لولا أن الكهنوت اللاوي هو وقتي وعتيد أن يتغير، ما كان الله قد وَعَدَ بكهنوت آخر جديد على طقس آخر غير طقس هارون.

( ب ) والأمر الذي بلبل فكر علماء اليهود والربيين عامة هو أن ملكي صادق، وهو كاهن، لا يمتُّ إلى الناموس بشيء، ولا إلى كهنوت هارون بشيء، مما يُظهِرُه الوحي أنه أعلى وأقدس من إبراهيم المحسوب أنه قمة الآباء والذي دُعي «خليل الله» والذي من نسله جاء لاوي الحامل لكهنوت شعب إسرائيل.

( ج ) بل والأمر الذي أطاح بعقول كل مُفسري اليهود للوحي القديم، هو أن ملكي صادق أعطى البركة لإبراهيم أولاً قبل أن يعطي البركة لله هكذا: «مبارك أبرام ... ومبارك هو الله العلي ...» (تك ١٤ : ١٩)، مما يوحي بأن ملكي صادق يحمل كهنوتاً في تناخ مع الله، أي كهنوتاً إلهياً (كاهن الله العلي) وليس ككهنوت لاوي الذي يقع في موضع العبد.

( د ) وإن كان مفسرو اليهود قد تحاشوا أن ينسوا الآية التي جاءت في الزمور (١١٠ : ٤) إلى شخص المسيح ولكن واضح أنها مخاطبة مباشرة لمسيح داود، باعتباره القادر فعلاً في الوقت المعين أن يؤسس بكهنوته الأبدي علاقة كاملة وأبدية مع الله.

(هـ) «كاهن آخر»: ἕτερον ἱερέα (١٢)

الترجمة العربية هنا غير دقيقة وأضعفت المعنى جداً. فهو ليس «آخر» لأن «آخر» باليونانية هي ἄλλος، بل تترجم مختلف. والفارق بين المعنيين شديد، لأن «كاهن آخر» يفيد أنه على نفس المستوى الذي لهارون، أما «كاهن مختلف» فهو يفيد المعنى الذي يقصده الوحي وهو كاهن آخر على طقس آخر مختلف تماماً. فهنا قول بولس الرسول أنه كاهن مختلف عن كهنوت لاوي يفيد التغيير الحقيقي للناموس الذي عليه قام كهنوت لاوي وهذا هو النص المناسب لروح الآية.

(و) لم يخلُ العهد القديم من التلميح الصريح إلى قيام كاهن جديد لعصر جديد هو عصر «تكميل كل شيء» كما جاء في حزقيال (أصحاح ٤٠ إلى ٤٨)، موضحاً رداء ما بلغه كهنوت لاوي الذي أفسد طريقه، حيث سيسود الكاهن الجديد على كل مُقَدَّرات الشعب حتى الملك. وهو تصريح نبوي بأن القادم كاهنٌ ومَلِكٌ بالفعل.

(ز) واضح من كل هذا أن كهنوت لاوي الذي لم يكتمل القصد الذي من أجله قام في ظل الناموس الذي أسسه، هو بالفعل دون كهنوت ملكي صادق الذي قام ليسود إلى الأبد في الوقت المعين بقيام مَنْ يستطيع أن يكتمل شروطه، وأهمها أن يكتمل ويبقى إلى الأبد!!

والآن يلزم أن نزيد كلام بولس الرسول توضيحاً من جهة قوله: «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال»، حيث تحبب كلمة «الكمال» باليونانية τελείωσις والتي تعني بلوغ منتهى القصد، حيث يتكتمل الإنسان في وضعه أمام الله. الأمر الذي يعني بفهومنا المسيحي الآن نوال غفران الخطايا والحصول على عربون المجد الآتي، الذي هو في الحقيقة الأساس الذي وُضِعَ من أجله الناموس نفسه بل وتأسس الكهنوت اللاوي عليه.

والواضح لدينا من التاريخ وواقع علاقة شعب إسرائيل بالله أن الناموس نفسه لم يكن قادراً بذبائح حيوانية أن يغفر خطايا الشعب أو يمنحهم بر الله، وبالرغم من ذلك وفوق ذلك أيضاً فإن الكهنة كانوا قد كسروا الناموس وتعدَّوه، ونالتهم الملامة بكل المقاييس والمكاييل من فم الله بواسطة الأنبياء. والصلة بين الناموس والكهنوت صلة لازمة ومتلازمة إن سقط الواحد سقط الآخر، وإن تغَيَّرَ الواحد لزم أن يتغَيَّرَ الآخر. لذلك يتخذ ق. بولس من قول الوحي في الزمور مخاطباً المسيِّئاً



القادم: « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (مز ١١٠: ٤) برهاناً أكيداً على نيّة الله في إقامة كهنوت آخر قادر أن يخلّص إلى التمام ويبقى إلى الأبد، مما يدل على عدم نفع كهنوت لاوي أن يكتمل أو يبقى إلى الأبد، فهو إنما كان يمهد للكمال وكان لزمّن ينتهي حتماً بظهور الآخر الذي يكتمل.

ولأن الكهنوت كان هو المحور الأساسي الذي يدور حوله ناموس موسى بكل تشريعاته، لزم أن يتغيّر هذا أيضاً. فلو كان كهنوت لاوي بحسب الناموس قادراً أن يبلغ بالإنسان إلى الكمال، فلماذا أقسم الله أن يأتي بكهنوت آخر من هو قادر أن يكتمل ويبقى إلى الأبد؟

والآن يبقى السؤال الذي يتبادر إلى ذهن اليهودي، إن كان الأمر كذلك فلماذا لا يأتي كهنوت أفضل على طقس هارون ويبقى الناموس كما هو؟

«ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر (مختلف) على رتبة ملكي صادق ولا يُقال على رتبة هارون»؟

هنا يرثق ق. بولس على أن قَسَمَ الله بقيام كاهن آخر على رتبة ملكي صادق يعني مباشرة تغيير الكهنوت وتغيير السبب بأجمعه، بسبب كونه أسقط سبط هارون أي لاوي جملةً وتفصيلاً.

١٢:٧-١٤ «لأنه إن تغيّر الكهنوت فبالضرورة يصير تغيّر للناموس أيضاً.

لأن الذي يُقال عنه هذا (المسيح الآتي، المسيح) كان شريكاً (الترجمة غير دقيقة وصحتها "قد اشترك") في سبب آخر لم يلازم أحد منه المذبح (سبط يهوذا).

فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت».

١٢:٧ «لأنه إن تغيّر الكهنوت فبالضرورة يصير تغيّر للناموس أيضاً».

أولاً يستدعي ق. بولس يهدم الفرض الذي يقول إنه يمكن أن يقوم كهنوت أفضل على نفس طقس هارون، فهذا مستحيل لأن أي كهنوت يقوم على نفس الناموس بتقديم ذبائح حيوانية كانت قد وُضعت أصلاً لظاهرة الجسد فقط وظهر عجزها في غفران الخطايا الخاصة بالضمير والتعدي الإرادي على نواميس الله وتشريعاته، فإن هذا الكهنوت سيفشل بكل تأكيد لأنه وُضع على أساس

جسدي فقط وليس على أساس روحي.

لذلك يتحتم أن يتغيّر الناموس مع تغيير الكهنوت جنباً إلى جنب حتماً وبالضرورة، لكي يستطيع أن يظهر الضمير بغفران الخطايا ويكون له القوة على إعطاء حياة أبدية.

فإن كان كهنوت هارون القائم أصلاً بحسب الناموس على ذبائح حيوانية يستحيل عليه أن يبلغ بالإنسان إلى الكمال، والكمال هنا يُقصد به الحياة الروحية والضمير الطاهر بتقديس ليس فقط الجسد بل الروح أيضاً، تحتم أن يتغيّر الناموس الذي يشرع له أي لزم أن يكون الناموس ناموساً لتقديس الروح قادراً أن يرفع الإنسان إلى حالة البر أمام الله لنوال الخلاص والحياة الأبدية، الأمر المعبر عنه هنا «بالكمال».

١٣:٧ «لأن الذي يُقال عنه هذا كان شريكاً في سبط آخر، لم يُلازم أحدٌ منه المذبح».

يلزم هنا أن نشير إلى أن هذه الآية تحيي مرتبطة بالآية (١١:٧)، باعتبار أن الآية (١٢:٧) آية اعتراضية التزم ق. بولس فيها بشرح احتمال يفرضه الفكر على السامع اليهودي، فلما انتهى منه استطرده ليكمل ما قاله في الآية (١١:٧) بخصوص الكاهن الذي قيل — عنه وله — القَسَم: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق»، وهو بالطبع المسيح ربنا له المجد.

«كان شريكاً في سبط آخر»: μετέσχηκεν

الترجمة العربية هنا غير دقيقة، فالمسيح لا يُقال عنه كان شريكاً في سبط آخر وكأنه في الماضي وانتهى، بل هو بالفعل قد اشترك في سبط آخر *has partaken*، وهذا يفيد ضمناً تدخّل إرادة المسيح لنوع وشكل التجسّد. فلا يُقال أبداً أنه كان قد وُلد من سبط آخر، ولكنه أراد وصمّ أن يولد من السبط الذي أعده وأراده. وهو نفس الفعل والمعنى الذي جاء في الآية: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدّم اشترك μετέσχηκεن هو أيضاً كذلك فيهما...» (عب ٢:١٤)

«سبط آخر»: φυλῆς ἑτέρας

هذا هو السبط الذي أعده الله واختاره ليخرج منه المسيح، فهنا كلمة آخر وتصحيحها «مختلف» أراد ق. بولس أن يبرزها ليكشف عن جلال هذا السبط الملوكي دون جميع الأسباط، الذي تشرف بكهنوت على طقس ملكي صادق في مقابل سبط لاوي الكهنوتي فقط. صحيح أنهما سيبتان من صلب واحد وهو إبراهيم، ولكن على سبط يهوذا وقع القَسَم الإلهي أن يكون منه الكهنوت، والملك الحامل لبرّ الله ومُعطيه، ملك وإله إسرائيل إلى الأبد.

ويلاحظ أن الذي نبّه القديس بولس إلى الارتفاع برؤية الأسباط، هو ذكّره سبط لاوي. لأن المسيح تحاشى بالفعل الخروج من هذا السبط الكهنوتي، ليتحاشى التعامل مع الناموس الذي جاء ليكتمل نقائصه، فتحتم أن يرتفع فوقه، فاختر سبط يهوذا السبط الملكي لكي يصيغ كهنوته بالملكية الإلهية كما جاء الوعد بلسان الملاك عندما بشر العذراء: «وها أنتِ ستحبلين وتلدن ابناً وتُسَمّينه يسوع، هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون ملكه نهاية» (لو: ٣١-٣٣). علماً بأن بين داود والمسيح ألف سنة!!

كما لا بد أن ينتبه القارئ إلى أن مجيء المسيح من سبط يهوذا ينسجم تمام الانسجام مع قول السفر أنه «بلا نسب»، لأن القصد من عدم ذكر النسب هنا هو أصلاً تحاشي لسبط لاوي جملة، لأنه لا يُقام كاهن منه إلا إذا أثبت نسبته للاوي الأب الأول. فبقول المزمور أنه يكون على طقس ملكي صادق وبالتالي أنه بلا نسب يكون قد أسقط طقس كهنوت لاوي وبيبطه معاً.

١٤:٧ «فإنه واضح أن ربنا قد ظلّ من سبط يهوذا الذي لم يتكلّم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت».

«قد ظلّ»: ἀνατέταλκεν

هذا الفعل تأملي بديع، فقد قيل في مواضع كثيرة عن طلوع الشمس أو بزوغ النجم (عد٤:٢٤، ١٧، إش٦٠:١)، أو انبشاق الغصن من الأرض (تك١٩:٢٥، إش٦١:١١). ولكن الصيغة اليونانية تحمل فوق ذلك لمسة من لمسات الإبداع الفني اللغوي، فكلمة ἀνατολή تأتي بمعنى الشروق، كما جاءت في تسبحة زكريا الكاهن أبي يوحنا المعمدان «... افتقدنا المُشْرِقِ ἀνατολή من العلاء...» (لو: ٧٨). وسيان إن رأيناه مشرقاً كنور يرتفع من وراء حجب الأرض والزمان، أو غصناً منبثقاً من الأرض نحو السماء، فهذا تعبير روحي عن التسامي بالظلمة إلى النور وبالمادة إلى الروح.

وحينما يقول بولس الرسول إن ربنا قد ظلّ من سبط يهوذا الذي لم يتكلّم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت، فهو يُسقط ضمناً خدمة المذبح الأرضي بدم حيوانات تموت، لكي ينأى بكهنوت المسيح عن خدمة الزمنيات والأرضيات. كما تقول الرسالة: إنه دخل بدم نفسه إلى الأقداس العليا في السموات فأوجد لنا فداءً أبدياً.

أما موسى فلم يجهل ولا تجاهل قدر المسيح الذي رآه من وراء الأزمان السحيقة نبياً يسكن اسم يهوه فيه ويتكلم الله به، والذي يعصاه يُطالب!! صحيح أنه لم يَرَهُ كاهناً، ولكنه رآه مثله: «نبياً (آخر مثلي)» (تث ١٨: ١٥)، قادراً أن يقيم كهنة ويؤسس ناموساً، هو كلمة الله بعينها.

#### ٤ - تفوق الكهنوت الجديد

[ ١٩ - ١٥ : ٧ ]

١٥:٧ «وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شِبهِ ملكي صادق بقوم كاهن آخر».

هنا تمقيب على الآية السالفة التي افتتحها بقوله: «إنه واضح». وهذا الوضع ركزه على أن موسى، وهو يمثل الناموس، لم يذكر شيئاً قط عن سبط يهوذا من جهة الكهنوت.

وهنا في هذه الآية يستطرد بقوله: «بل ويكون أكثر وضوحاً إذا انتبهنا إلى الوعد بل والقسم من جهة قيام كاهن آخر غير لاوي بالمرّة». فالوضوح الأول أن الناموس الذي يمثله موسى لم يتكلم عن سبط يهوذا من جهة قيام كهنة منه. ثم يزداد الأمر وضوحاً عندما يعود الوحي المقدس، وهو له السلطة القانونية والمقدسة، عندما يذكر كهنة آخر غير لاوي وكاهناً آخر غير سبط لاوي بل على طقس ملكي صادق. فإذا جمعنا الاثنين معاً، ظهر الوضع الذي يقصده بولس الرسول، أن الناموس لم يذكر أنه يكون هناك كاهن في سبط يهوذا، ثم تأكيداً لذلك يجيء الوحي المقدس ويؤكد قيام كهنوت آخر وكاهن آخر ليس على طقس لاوي. وهذان يُضافان معاً لحساب شدة التأكيد على أن كهنوت المسيح ألعى كهنوت لاوي، وأن شروق المسيح من سبط يهوذا ألعى عمل سبط لاوي مع الناموس كله كمثلث عن الله، ليحتل المسيح الوساطة الوحيدة والفريدة والدائمة بين الإنسان والله ككاهن إلى الأبد. أما بخصوص تحقيق هذا الكهنوت عملياً من فم المسيح في مقابل كهنوت لاوي وناموسه، فنسمع في إنجيل ق. يوحنا الرب نفسه يقول: «فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لثلاثا يُنقض ناموس موسى، أفتسخطون عليّ لأنني شفيت إنساناً كُلّه في السبت» (يو ٧: ٢٣). أي أن الناموس وكاهنه ينتهيان عند ختان الجسد، أما أنا وكهنوتي فلشفاء الإنسان كلياً.

وباختصار يريد بولس الرسول أن يقول إنه بطلوع أو شروق المسيح من سبط آخر غير سبط لاوي الذي يمثله الناموس بكل دقائقه ويمثل الله لدى الشعب والشعب لدى الله، يكون المسيح قد

غيرَ الناموس، غيرَه بنفسه فصار هو الناموس الجديد؛ وكذلك فإنه بقيام المسيح كاهناً على طقس آخر غير طقس هارون أو لاوي ليكون المثلّ والوسيط والخادم لمقدّسات الله يكون قد غيرَ الكهنوت كليّةً إلى كهنوته الملوكي والدائم إلى الأبد.

١٦:٧ «قد صارَ لَيْسَ بحسبِ ناموسِ وصيّةِ جسدِيّةٍ بل بحسبِ قوّةِ حياةٍ لا نزولٍ».

للتوضيح يلزم إضافة كلمة «كاهناً»، «قد صار كاهناً»، أي أن المسيح وهو على طقس ملكي صادق، ليس كاهناً لاوياً بحسب ناموس موسى الذي يقوم على وصايا جسدية سواء من جهة تطهيرات أو حتى تقديم ذبائح لا يقوى دمه إلا على احتساب طهارة جسدية فقط، ولكنه كاهن يقول الوحي عنه صراحة في المزمور إنه «كاهن إلى الأبد» (مز ١١٠: ٤)، بمعنى أن حياته لا يعترضها زوال أو فناء أو انحلال؛ الأمر الذي تحقّق بقوة إلهية فائقة فيما يخص المسيح في القبر، فالجسد بقي دون فساد أو انحلال أو أي علامة فناء، وقد ثبت هذا ثبوتاً قاطعاً مانعاً بقيامته من الأموات حياً كما هو وجروحه عليه هي هي، حاملة سمات الموت وحاملة بآن واحد الغلبة على الموت. فمن جهة الموت مات، ومن جهة الحياة بقي حياً بقوة الله.

١٧:٧ «لأنه يشهدُ أنك كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةِ ملكي صادقٍ».

الترجمة الصحيحة تأتي حرفياً كالآتي: «لأنه يُشهد عنه»، والفعل هنا مبني للمجهول، والشاهد هو الوحي على لسان داود النبي في المزمور (١١٠: ٤): «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق». وهذه الآية تأتي لشرح حقيقة الآية السابقة لقوله إنه كاهن «حسب قوّة حياة لا نزول». فقوله إن له حياة لا نزول، يؤكّده ويشرحه الوحي بقوله: «أنت كاهن إلى الأبد...».

١٨:٧ و١٩ «فإنه يصيرُ إبطالاً الوصيّةِ السابقةِ من أجلِ ضعفها وعدمِ نفعها.

إذ الناموسُ لم يكتملُ شيئاً، ولكن يصيرُ إدخالُ رجاءٍ أفضلَ به تقتربُ إلى الله».

الترجمة العربية لهذه الآية سقيمة أفقدتها المعنى، والأصح أن يُقال:

+ «فإنه "من جهةٍ" (Μέγ) يصيرُ إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكتمل شيئاً.

"ومن جهةٍ أخرى" (δὲ) يصيرُ إدخال رجاء أفضل به تقتربُ إلى الله».

وهكذا ينتهي بولس الرسول في تعرّضه للناموس ووصاياه تعرّضاً مباشراً وسافراً، قائلاً بحتمية إبطاله. وهو حينما يقول بإبطال الوصية السابقة، يقولها عامة، قاصداً النموذج الكلي الذي قام عليه الناموس ووصاياه، خاصة الكهنوت باعتباره ناموساً أرضياً في مواجهة الرجاء الحي المنطلق نحو السماء، وحيث يخدم الكهنوت اللاوي على مستوى دم الحيوانات الذي لا يرقى إلى الضمير، وحيث من الجهة الأخرى يقف الإنجيل في مواجهة الناموس، وذبيحة المسيح ودمه الإلهي في مقابل خدمة الكهنوت اللاوي بكل مشتملاتها القائمة على عجول وتيوس. وهكذا ثبت ضعف الوصية السابقة وعدم نفعها.

ووقوف الناموس عاجزاً عن أن يمدّ يد المساندة للخاطيء الذي يطلب الرحمة وير الله بإزاء الضمير الصارخ الشاكي المجروح، يجعل توقّف الناموس تحصيل حاصل بظهور الإنجيل القائم على الغفران الكلي للخطية وعزاء الخاطيء وفرح الانتقال من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح، الذي هو كمال سعي الإنسان في تقريبه إلى الله.

فكل ما أخفق فيه الناموس وكل ما عجز عنه الكهنوت اللاوي من نحو الإنسان الخاطيء، كتمّله الإنجيل، وسما به دم ذبيحة المسيح إلى أعلى السموات، إلى صميم قلب الله. فتأسيس الرجاء الحي للاقترب إلى الله في مقابل عدم نفع الناموس وضعف الكهنوت الذي كان يخدم الأرضيات، أوضح بصورة باهرة لماذا أقسم الله لداود أن المسيّا الآتي كاهن وإلى الأبد على طقس ملكي صادق، وليس على طقس هارون.

أما لنا نحن المسيحيين من الأمم، فعلينا أن ندرك أن هذا القسّم بهذا الرجاء الحي، بكهنوت يبقى إلى الأبد، الذي جاء المسيح له، فقد صار من نصيبنا:

- + «والأربعة والعشرون شيخاً أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات (شورية) من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين وهم يترغون ترنيمه جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر (سفر الدينونة) وتفتح ختمه، لأنك دُبِحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة ...» (رؤ: ٥: ٨-١٠)
- + «ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً ورأيت نفوس الذين قُتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله ... فعاشوا ومَلِكُوا مع المسيح ... هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم بل سيكونون كهنةً لله والمسيح وسيملكون معه ...» (رؤ: ٢٠: ٤-٦)

وواضح من هذا الشطّق النبوي للملاك أن كهنوت القديسين والشهداء ومَلِكُهُمْ في مُلك

المسيح هو أبديّ وعلى طقس الذي أبدع طقس ملكي صادق!

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيّين كحجارة حيّة بيتاً روحياً كهنوتاً مقدّساً لتقديم ذبائح روحية

مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١ بط ٢: ٥)

+ «وأما أنتم فجنسٌ مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، أمةٌ مقدّسةٌ، شعبٌ اقتناء، لكي تجربوا بفضل

الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١ بط ٢: ٩)

+ «وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ ١: ٦)

هذا هو الكمال الذي بالإنجيل الذي بلغنا به قمّة الشركة مع المسيح والله.

+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً

بالحجاب أي جسده وكاهن عظيم على بيت الله ...» (عب ١٠: ١٩-٢١)

## ٥ - امتياز كهنوت المسيح يؤكّده قسّم إلهي

[ ٧ : ٢٠ - ٢٢ ]

٢٢-٢٠:٧ «وعلى قدر ما إنه ليس بدون قسّم،

لأن أولئك بدون قسّم قد صاروا كهنةً، وأما هذا فبقسّم من القائل له أقسّم

الربّ ولن يندم أنت كاهنٌ إلى الأبد على رتبة ملكي صادق،

على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل.»

«و»: kai

حرف بداية لآية جديدة يبدأ بها بولس الرسول نقلة جديدة في حوار البديع.

هنا بولس الرسول يستخرج من النص النبوي للمزمور أحد إثباتاته المهمّة لصفة الكهنوت

الجديد الذي تأسس عليه العهد الجديد. فهو يعود إلى هذا الكهنوت الذي تعيّن قبل الدهور ليكون

روح ومحور العبادة الكاملة لبلوغ شركة الإنسان مع الله إلى درجة الكمال، كونه يركّز على القسّم

الذي أقسّم به الله ليثبت به كلامه ووعده: «فلذلك إذ أراد الله أن يُظهر أكثر كثيراً ... عدم تغيّر

قضائه، توسّط بقسّم.» (عب ٦: ١٧)

فالقديس بولس يريد أن يتخذ من علو شأن القسّم الذي أقسّم به الله، إذ أقسّم بذاته وليس

عليه أعلى من ذاته، وذلك ليزيد إلى العهد الجديد الذي نواه وحدده بهذا القسّم أن الله إنما يضع

هذا العهد على المستوى الزمني المطلق: «إلى الأبد»، بمعنى أنه آخر مراحل تدرُّجه مع الإنسان في الإمساك بيده ليُحضره أمامه بلا لوم، في محبة ابنه الوحيد الذي جعله ذبيحة كفارة دائمة أبدية يشفع في الإنسان حتى يبلغ مقاصد الله العلي. بولس الرسول يريد أن يقول إن هذا العهد الجديد إنما افتُتح بقتسَم الله على أساس كهنوت المسيح الأبدي، ليعطي الإنسان أعلى وأقوى رجاء لبلوغ الكمال.

والله حينما أعلن عن نيَّته وغرضه بهذا القسَم العالي القدر في كهنوت يكفِّر عن خطايا الإنسان حتى إلى أعماق الضمير وحتى إلى الأبد، فهو ضمناً وحتماً يعلن عن تجاوزه لضعف الإنسان الذي اصطدم بناموسٍ ظهر ضعفه وعدم نفعه. وهو بهذا القسَم، كأنه أفسَم أنه لن يحسب للإنسان ضعفاً، ولن يعترض هذا الضعف قصده المبارك في تبليغ رسالة الكمال إلى الذين يشملهم كهنوت المسيح. وبذلك أصبح هذا القسَم هو دعامة العهد الجديد للإعلان المؤكَّد عن رضا الله وصفحه عن خطايا الإنسان، التي يشملها كهنوت المسيح الكفَّاري الأبدي: «لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا.» (مت ٢٦: ٢٨)

فالكهنوت الأبدي بالقسَم العالي، متأسس حتماً وبالضرورة على آلام الصليب وصبغة الدم!!

وإذا تمعَّنَّا في هذه الآيات الثلاث، نجد أن الثقل العام متركِّز على شخصية المسيح. كما أن القسَم غير القابل للعودة أو الرجوع، يجعل من كهنوت المسيح ضامناً لعهد جديد هو أفضل بكل المقاييس.



## ٦ - دوام كهنوت المسيح هو السر الفائق لفاعليته في تكميل الخلاص

[ ٧ : ٢٣ - ٢٥ ]

٢٥-٢٣:٧ «وأولئك قد صاروا كهنةً كثيرين من أجلٍ منيهم بالموت عن البقاء،

وأما هذا فمن أجلٍ أنه يتقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول،

فمن ثمَّ يقدرُ أن يُخلَّصَ أيضاً إلى التمام الذين يتقدّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كلِّ حينٍ لبشّعةٍ فيهم».

هنا يدخل بولس الرسول في أعماق سر الكهنوت بحد ذاته، فيرى أن موت كهنة هارون الواحد تلو الآخر يوضّح النقص الحادث في الكهنوت الذي يثلونه، والنقص واقع على أشخاصهم، وهذا صحيح بصورة مطلقة. فلو كان كهنوت هارون الذي سلّمه للأجيال من بعده قادراً على إعطاء الإنسان الحياة، لما كان الكهنة الذين يعملونه يموتون، فموتهم حجةٌ ضدّهم تثبت أن كهنوتهم غير فعّال ولا هو قادر على إعطاء الحياة التي يريدّها الله للإنسان والتي من أجلها تأسس هذا الكهنوت. إذاً، وبصورة قاطعة، فإنهم لم يكونوا يثلون الكهنوت الحقيقي، ولا هم يخدمونه، ولكنهم كانوا يهدّون بخدمتهم الطريق إلى مجيء الكاهن الحقيقي القادر أن يعطي الحياة الأبدية. لذلك فالقسّم الذي أعطاه الله فيما يخص كهنوت المسيح الآتي أنه كهنوت يبقى إلى الأبد، هو بحد ذاته إعلان واستعلان معاً لشخصية المسيح الحي إلى الأبد والذي لن يمنعه موت عن بقاء بل يبقى حياً إلى أبد الأبد، وبالتالي يعطي الحياة الأبدية بلا مانع، ولا حتى الموت يكون عقبة في منحه الحياة الأبدية للإنسان الذي كان قد وقع تحت عقوبة الموت:

+ «أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد!!!» (يو: ١١٦: ٢٥ و٢٦)

والآن عودة إلى اليهود أنفسهم حينما وقفوا قبالة الصليب يعيرون المصلوب، ومن فهم نحن لا ندينهم ولكن نعيّرهم هم على عماهم وعدم تطبيق ما يقولون على أنفسهم، قالوا له:

+ «والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين: خلّص آخرين، خلّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله... إن كنت أنت ملك اليهود فخلّص نفسك.» (لو: ٢٣: ٣٥ و٣٧)

وبعد أن أدرك الرؤساء واليهود جميعاً أن الذي صلبوه قد قام - أي خلّص نفسه فعلاً - وليس وحده بل خلّص ملايين من اليهود أنفسهم ومن الأمم، وقد ظهر وتسجّل واستعلن أنه ملك الملوك،

وصليبه يُرْصَع تيجان أعظم ملوك الأرض وأعظم كاتدرائيات العالم، أي استعلن كهنوته الحي الدائم وملكوته الفائق الدائم كذلك؛ بعد هذا، ماذا فعلوا؟ ثم ماذا فعل كهنوتهم؟ إزاء كهنوت المسيح؟ أليس لا يزال يطويه الموت ليحرمه من إعطاء الحياة؟

الآن الأمر لا يحتاج إلى شرح أو بيان، فإن حياة المسيح الأبدية وقدرته على إعطاء الحياة الأبدية وذبيحته الحية الدائمة قد خُلِّصت وتَخَلَّصت وستَخَلَّص إلى التمام كل إنسان وكل الناس الذين يتقدّمون به إلى الله كاهناً من أجلهم، يكفّر عن خطاياهم بدم ذبيحته الخالدة، ويشفع في كل ذنوبهم بألامه وجروحه، ويبرّر كل فجورهم بقداسه.

«كهنوت لا يزول»: ἀπαράβατον ἔχει τὴν ἱερωσύνην

لم يتفق العلماء وكثير من الآباء الأول على كلمة «لا يزول» كما جاءت في اليونانية، والترجمة العربية هنا لا تفي بمعناها. فهي تعني عند كثرة من العلماء والآباء كهنوتاً غير قابل للانتزاع، لذلك فهو يبقى إلى الأبد. بمعنى أن الموت لا يقوى أن ينتزعه من شخص المسيح كما كان ينتزعه من كهنوت اللاويين.

فهو كهنوتٌ مَلَكَ صاحبه مُلكاً أبدياً مطلقاً. على أن كلمة ἱερωσύνη لا تعني «كهنوت» فقط بل ممارسة وظيفة الكهنوت. لذلك جاءت الآية التالية مبنية على هذا الواقع والمعنى.

«فمن تَمَّ بقدر أن يَخَلِّصَ أيضاً إلى التمام»:

هنا الخلاص إلى التمام يعني «يَخَلِّص كل حين وكل ما للإنسان جسداً ونفساً وروحاً ويَخَلِّص إلى أقصى ما يريده الله من أجل حياة الإنسان». فكلمة «التمام» هنا تملأ الزمان وتتسحب على كل ما للإنسان، ثم ترتفع لتوفي غاية الله العظمى من خلقه الإنسان ومحبته، وهذا لكل من التجأ إلى المسيح ككاهن فداء لخلاص أبدي أرادته الله كاملاً. علماً بأن يَخَلِّص σωζει تأتي في المضارع الدائم تأكيداً لدوام الخلاص في كل لحظة من كل ضيقة أو تجربة بحوار الخلاص الثابت الكلي الذي صنعه على الصليب لكل مَنْ يؤمن.

«الذين يتقدّمون به إلى الله»:

واضح هنا أن المسيح ككاهن لا يعمل من ذاته، بل إن عمله يظل يتطلب من الإنسان عملاً بالمقابل، كاستجابة لِمَا صنعه المسيح وما يصنعه من خلاص في صورته العامة أو كنجدة في أوانها. فعطية الخلاص تحتاج إلى سؤال وإلى إلحاح وجرأة في التقدّم إلى الله بواسطته، فلا الله ولا المسيح يَخَلِّص من لا يريد أن يخلص! فالخلاص يحتاج بشدة إلى إرادة، والإرادة إلى تقدّم وجرأة، علماً بأن

الطريق إلى الله صار مفتوحاً للإنسان، كل إنسان، ولأخطى الخطاة، لأن كهنوت المسيح افتتح الطريق بضمن غالٍ من أجل كل إنسان دون أي تفریق: «فاذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس (اللترائي أمام وجه الله) بدم يسوع، طريقاً كَرَّمَهُ لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لتتقدّم بقلب صادق في يقين الإيمان ... لتتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠ : ١٩-٢٢). وقد أعلن يسوع ذلك: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي.» (يو ١٤ : ٦)

«الذين يتقدّمون به»: τούς προσερχομένους

هنا المقصود أساساً في التقدّم هو الإيمان، فالإيمان بما فعله الله بالمسيح من أجل خلاصنا أصبح هو القوة الوحيدة التي نرتكز عليها في الدخول أو التقدّم أو الوقوف أمام الله بالصلاة. فهنا الإيمان والصلاة هما العكازان اللذان يتوكأ عليهما أي إنسان لمقابلة الله باسم يسوع المسيح ومن أجله، لنوال ما صنعه الله بالمسيح من أجلنا.

وحرف «به» δι' αὐτοῦ هنا هو المفتاح سواء للدخول إلى الله أو للتراثي أمامه ونوال سؤال وطلبه الخلاص والنجاة، ليس كالكهنة الوسطاء الكثيرين الذين يموتون، بل هو الوسيط أو الشفيع الوحيد بين الله والإنسان، لأنه حيٌّ إلى الأبد ولأنه هو «الله والإنسان» بأن واحد!! لقد أكمل اتحاد ما في الإنسان بما هو الله، لذلك فهو القادر أن يقدم كل إنسان إلى أبيه إذا تقدّم به إلى الله.

ففي المسيح، قد صار الله قريباً من الإنسان، بل هو في لقاء كلي ومواجهة سافرة ودائمة!! وفي المسيح صار للإنسان مكان مؤسس باسم كل إنسان، يُحضر الإنسان حضوراً واثقاً ومؤكداً أمام الله، بلا لوم في المحبة بل وفي القداسة.

وليس ذلك فقط بل:

«إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم»:

أما من أجل الخطية فقد سبق للرسالة أن سجّلت للمسيح: «من ثمّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى يكفّر خطايا الشعب.» (عب ٢ : ١٧)

وأما من جهة إحساسه بضعفنا، وانعطافه نحونا، ورحمته لنا، ونعمته علينا، وكونه عوناً لنا في الضيق ووجد شديداً، فقد تسجّل أيضاً هكذا: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي

لضعفاننا بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية، فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه. « (عب ١٥: ١٦) »

أما هنا في هذه الآية (٧: ٢٥)، فهو يتكلَّم عن عمل جديد وعظيم للغاية لا يصنعه إلاَّ رئيس كهنة له دالة عظمى لدى الله، اكتسبها بدمه هو وليس بدم ثور أو معزى: «إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم».

وبولس الرسول له في ذلك قول يعبرُّ به كأحلى نغم على قيثارة إيمانه:

+ «مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو ٨: ٣٤)

هذا هو بدء الإيمان لأول كنيسة: المسيح مات وقام وتوجَّ بالمجد وجلس عن يمين الله يشفع فينا.

إستفانوس أول شهيد لأول كنيسة رأى ذلك رؤيا العين ونال من يديه تاج البر! بل وسمعنا ذلك من فمه الأقدس وهو يخاطب بطرس ليُعزِّي خاطره فيما سيؤول إليه حاله من نكران وتجديف: «ولكنني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك.» (لو ٢٢: ٣٢)

ثم ألا يكفي الكنيسة كلها وإلى مدى الدهر، وبالأقل أو بالأكثر يكفيك أنت يا قارئي العزيز، أن يكون الرب الجالس عن يمين العظمة الآن يطلب من أجلك كما كان يطلب وهو على الأرض من أجل بطرس؟ والذي يريد المزيد عمَّا يمكن أن يشفع به المسيح من كلمات يمكن أن تغيِّر من وجه السماء والأرض جميعاً، فليسمع صوت المسيح وهو يخاطب الآب عن أشد أمنياته وأعلى وأغلى طلباته، فليقرأ إنجيل القديس يوحنا الأصحاح السابع عشر، وليقف كثيراً عند قوله: «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم» (يو ١٧: ٢٠). أو بلغة سفر العبرانيين: «الذين يتقدَّمون به إلى الله».

وهو حينما يشفع لا يتوسَّل، ولا يتذلَّل، ولا يصرخ، ولا يطلب مما ليس له، بل لا يطلب أكثر مما هو في سلطانه، بل يشفع من تحت تاج البُنوة المذبوحة بالحلب للآب والإنسان معاً ومن تحت مجد الكهنوت الذي حازه بذبيحة نفسه، كملك الملوك ورب الأرباب وكاهن عظيم أو الأعظم على بيت الله. يطلب ويداه ليستا ممدودتين للترجي، بل مصوَّبة إلى جنبه المفتوح الذي صار هو باب

السماء عينه جسد صار هو الطريق الموصل لقلب الله، يسأل لِيَسْمَعُ مَنْ يَسْمَعُ له كل حين (أي الآب) (يو: ١١: ٤٢)، ويستجيب قبل أن يُسأل. يسأل لأنه حي بقوة حياة لا تزول وحياته صارت لنا صلاة: «فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم» (مز: ١٠٧: ٨). لأن الابن ذُبح من أجلنا وصار لنا كاهناً، وهو حيٌ وواحد مع الآب في كل شيء. وأخيراً يذكر بولس الرسول الشفاعة الدائمة ليوثق بها الخلاص الكامل والدائم. والجميل حقاً أن يكون المسيح هو شفيعنا في السماء، والروح القدس شفيعنا على الأرض يشفع ويصلي بنا بأنابت لا يُنطق بها. يا لهذا الخلاص الذي انفتحت كل أبوابه علينا في السماء وعلى الأرض!

## ٧ - صفات المسيح أُضْفَتْ على كهنوته تفوقاً لا نهاية له

[ ٢٨ : ٢٦ - ٢٨ ]

يليق بنا رئيس كهنة كهذا الابن القدوس،

الذي قدّم نفسه وصار أعلى من السموات!

(أ) ٢٦ : ٧ : صفات المسيح .

(ب) ٢٧ : ٧ : عمله كرئيس كهنة .

(ج) ٢٨ : ٧ : مقارنة بين المسيح - كرئيس كهنة - وبين رئيس كهنة الناموس .

(أ) صفات المسيح :

٢٦ : ٧ «لأنه كان يليقُ بنا رئيسُ كهنةٍ مثلُ هذا قُدُوسٌ بلا سُرٍّ ولا دَنَسٍ قد انفصلَ عن الخطايا وصار أعلى من السموات».

ظل بولس الرسول يتكلم عن كهنوت المسيح من جهة أنه على طقس ملكي صادق .

وهنا ينتقل من أن كهنوت المسيح كان على طقس ملكي صادق إلى أن كهنوت المسيح هو أيضاً أعظم وأقوى من كهنوت ملكي صادق، ولكنه يبدأ أولاً بأن المسيح حقق في حياته وعمله أنه بالفعل رئيس كهنة :

«لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا» :

ولكن تضعها الترجمة اللاتينية (الفولجاتا) بالعكس هكذا: «مثل هذا لاق به أن يكون رئيس كهنة لنا». وفي هذا التعبير إشارة ضمنية واضحة - على أساس ما سبق ودُكر عنه - أن له قوة

حياة لا تزول، أي أن قدرته مطلقة وأبدية، وكان لسان حال أي إنسان يقول هذا: إن المسيح جدير حقاً بأن يكون لنا رئيس كهنة فهو قادر حقاً أن يوفِّي كل مطالبنا.

«قدوس بلا شر ولا دنس»:

واضح من الآية (١٠: ٢) أن المسيح «تكمَّل بالآلام»، وأن كماله ورتابه لضعفنا لم يستدع أن يكون خاطئاً مثلنا: «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية» (عب ٤: ١٥). ولكن يكفي لكي يكون شديد العطف على الخطاة والمجرِّين، أن يعرف وينوق الآلام والتجارب إلى أقصى حدودها، ثم يتدخَّل ويرفعها لأنه جازها وانتصر عليها انتصاراً ساحقاً أبدياً. ويتحمَّ أن تنتبه جداً أن الذي يخور في التجربة ويسقط فيها إنما يخور ويسقط دون أن يبلغ أقصى حدودها، أما الذي دخلها وذاقها حتى أعماقها وانتصر عليها كالمسيح، يكون قد عرف وذاق وجرَّب أقصى حدود الآلام والتجارب!! هذا هو رئيس كهنتنا الجديد، والعجيب حقاً. وهذا المضمون يمكن أن نقرأه تماماً إذا تعمَّقنا تعبير ق. بولس الذي ابتدأ به هذه الآية الفريدة بقوله في النص اليوناني هكذا: τοιοῦτος γὰρ ἡμῖν καὶ ἔπρεπεν وترجمتها الصحيحة: «لأنه كان يليق بنا حقاً (أو فعلاً) ...». وللأسف سقطت من المترجم العربي، فكلمة «καὶ» هنا توكيدية تشديداً على مدى لياقة المسيح لرئاسة كهنوت يكهن لنا ليسد أعوازنا التي صارت بلا حدود.

وق. بولس حينما يقول «بنا»، فهو لا يقصد الإنسان عامة ولكن المسيحيين بالذات الذين عرفوا وذاقوا واختبروا قوة وشمول ومجد كهنوت المسيح الذي غطَّى بالفعل ويغطي بالحق كل نقائصنا وأعوازنا وأمراضنا وطموحاتنا.

«قدوس»: ὁσιος

وتأتي في اللاتينية Justus والفولجاتا Sanctus ويقابلها في العبرية حاسيد häsid وهو المؤمن على وصايا الناموس. هذه الصفة الفريدة في قوتها وشمولها نفتخر نحن المسيحيين بها أيما افتخار، فنحن بها وعليها سُئنا، فنحن جميعنا كل من آمن بالمسيح القدوس صرنا قديسين!! بالتبعية وليس بالطبيعة، فكل مسيحي هو قديس إن كان حقاً قد آمن بالمسيح القدوس.

وإذ نأتي هنا على قمة أوصاف طبيعة المسيح كرئيس كهنة، نجدتها تضي على كهنوته صفة اللياقة الفريدة والعظيمة لتكميل وظيفة رئيس الكهنة فيما يخص ضعف الناس. فالذي بلغ من القداسة ما يوازي الله، فهو في صميم طبيعته البشرية يكون أكفاً من يتقلد وظيفة رئيس كهنة. فهو

وإن كان حقاً إنساناً لكنه قد صار أعلى من الإنسان بقُدوسيته التي لم يَرْتَقِ إليها مخلوق.

والأوصاف الخمسة التي تُقدمها هذه الآية لم تُنظَّم عفويةً، بل بدقة يدهل لها العقل. فهو «قدوس» بشخصه دون النظر إلى أي شيء، ولكنه «بلا شر» بالنسبة للناس عامة، «وبلا دنس» بالنسبة لاتصاله الوثيق بالعالم الشرير، ثم خرج بمجمل حياته كلها «منفصلاً عن الخطاة» في المحيط الأرضي الذي عاش فيه، أما بالنسبة للعالم غير المنظور فقد «ارتفع أعلى من السموات».

ولكن يظل هناك في اللغة اليونانية فرق<sup>(١٣)</sup> بين قدوس  $\delta\sigma\iota\omicron\varsigma$  و قدوس  $\delta\gamma\iota\omicron\varsigma$ . فالكلمة الأولى هوسيسوس تفيد الصفة الأخلاقية، أما الكلمة الثانية هاجيوس فتفيد التمييز النسبي أو السمو الفائق. الأولى تُستخدم في الكتاب المقدس باللغة اليونانية للأشخاص بصفة عامة أو غالبية، أما الثانية فتجوز على الأشخاص والأشياء. فالشيء المقدس هو الذي يختص بالله لتمييزه عن الأشياء الأخرى التي ليست لله. ولكن استخدام الكلمة لوصف الله يكون فقط  $\delta\gamma\iota\omicron\varsigma$  لأنها تفيد معنى الهوسيسوس  $\delta\sigma\iota\omicron\varsigma$  بالصورة المطلقة المميزة، أي أنه قدوس متميز عن كل القديسين، وذلك بالنسبة للإنسان أو حتى أي مخلوق. فإذا استخدمت  $\delta\gamma\iota\omicron\varsigma$  للناس فهي تفيد مباشرة مشحنتهم وتخصصهم لخدمة الله فقط. وإذا استخدمت كلمة  $\delta\sigma\iota\omicron\varsigma$  للناس فهي تفيد سلوكهم وأخلاقهم المستمدة من الله، أي شركتهم مع الله، وخاصة في حبهم له. وعلى هذا الأساس تُكتشف حقيقة غاية في الدقة وغاية في عمق التفريق في المعنى والمبنى، لأن في العهد القديم تأتي كلمة «قديس» و«قديسين» =  $o\iota\ \delta\sigma\iota\omicron\iota$ ؛ أما القديس والقديسين في العهد الجديد فتأتي  $o\iota\ \delta\gamma\iota\omicron\iota$  (أطهار)، لأن العلاقة في العهد القديم بين الإنسان والله كانت علاقة خارجية بناموس يهتم بالخارج، ولكن كان يجب أن تحمل في مضمونها أخلاقيات مناسبة لهذه العلاقة الخارجية على كل حال.

أما في العهد الجديد فالعلاقة بين المؤمن والمسيح علاقة داخلية تحمل مضمون الالتزام في القداسة (الطهارة).

أما المقابل العكسي لكلمة هاجيوس  $\delta\gamma\iota\omicron\varsigma$  فهو الدنس  $\beta\acute{\epsilon}\beta\eta\lambda\omicron\varsigma$ ، والمقابل العام لكلمة هوسيسوس  $\delta\sigma\iota\omicron\varsigma$  فهو النجس، وذلك باعتبار أن طبيعة الله هي القياس إنما على مستوى جسد المسيح أي التجسد، أي في الإطار الذي يمكن إدراكه للإنسان.

وعلى هذا الأساس فالقداسة بمفهوم *δσιος* إنما يعبر عنها ويغطي معناها العملي كلمة «البار» *δικαιος* ، ويوضح هذا التكامل العملي والنظري بين هوسيوس وذيكاويوس أي القديس (الطاهر) والبار هذه الآية: «أنتم شهود والله كيف بطهارة (قداسة) *δσιως* وبر *δικαιως* وبلا لوم كنا بينكم ...» (١ تس ٢: ١٠)، كذلك الآية: «بل مُضيفاً للغرباء محباً للخير متعتلاً باراً *δικαιον* ورعاً (طاهراً أو قديساً) = *δσιον* ضابطاً لنفسه» (تي ١: ٨). كذلك: «... مُنقذين من أيدي أعدائنا نعيده بقداسة *εν δσιότητι* (لاحظ أن زكريا الكاهن يتكلم بلغة العهد القديم) وبر *δικαιοσύνη* قدامه جميع أيام حياتنا ...» (لو ١: ٧٤ و٧٥)

«بلا شر»: *ἄκακος*

وتأتي باللاتينية *innocens*.

معروف أن الذي بلا شر في المفهوم المسيحي يعني ضمناً أن له حبة مسيحية: «المحبة لا تفكر في الشر *τὸ κακόν*» (١ كو ١٣: ٥ حسب الأصل اليوناني).

«ولا دنس»: *ἀμίαντος*

وتأتي باللاتينية *immaculatus* ، والفولجاتا *(undefiled) impolustus*.

وهي الصفة الإيجابية المختارة والمكرّمة التي أعطيت للأم الطاهرة العذراء القديسة مريم *ἁγιωθεῖν*: «لميرات لا يفسى ولا يتدنس *ἀμίαντον* ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم.» (١ بط ١: ٤)

وإذا كانت القداسة تخص ما هو داخل الإنسان، فالدنس يخص الخارج = الجسد. وكان يُشترط على الكاهن في القديم أن لا يتدنس، بمعنى أن لا يلمس ميتاً أو ينجس عليه<sup>(١٤)</sup>.

«انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات»:

ليس انفصال التعالي والقطعية أو التمييز، كما كان في شروط كهنوت رئيس الكهنة في القديم، إذ كان يتحتم عليه ذلك. فالمسيح جاء من أجل الخطاة وعاش مع الخطاة والعشارين وقبّل الزواني والخطاة بل وأحبّ الخطاة وأكل في بيوتهم؛ ولكن «انفصل عن الخطاة»، بمعنى أنه لم يكن قط خاطئاً ولا كان في فمه غش، فطبيعته الروحية والنفسية والجسدية كانت أعلى من الخطاة. لهذا، فكما أكمل تبرير الخطاة ومصالحتهم مع الآب بموته، ارتفع أعلى من السموات ليجلس على ما له وما يناسبه في عرش الله.



## (ب) عمل المسيح كرئيس كهنة :

٢٧:٧ «الذي ليس له اضطرازٌ كلَّ يومٍ مثلُ رؤساءِ الكهنةِ أن يقدِّمَ ذبائحَ أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعبِ، لأنه فَعَلَ هذا مرَّةً واحدةً إذ قدَّمَ نفسه».

هنا اصطدم الشُّرَّاحُ جميعاً بمقبة لم يستطيعوا أن يتخطوها، وهي قوله تقديم رئيس الكهنة للذبائح «كل يوم» عن نفسه وعن الشعب. والعالمُ الوحيد الذي أعطى لها حلاً يكاد يكون صحيحاً هو العالمُ وستكوت، بينما حاول معظم الشُّرَّاحِ شرح النص بطريقة ما لكي يخرجوا من هذا المأزق.

ذلك لأن رئيس الكهنة في التاموس يقدِّم ذبائح خطية عن نفسه وعن شعبه «مرَّةً واحدةً كل سنة» في يوم الكفَّارة، وليس «كل يوم»، كما تقول الآية. يقول العالم وستكوت إن المقصود من النص ليس هم رؤساء كهنة اللاويين، ولكن الالتباس حصل من عمل المقارنة بين المسيح رئيس الكهنة الأبدي للمهد الجديد الذي هو كل يوم وإلى الأبد يُحسب أن ذبيحته مقدَّمة، وليس كرئيس كهنة اليهود الذي كان يقدِّم الذبيحة مرَّةً واحدة في السنة عن نفسه وعن الشعب. وهنا يكون قصد بولس الرسول اعتبار كهنوت المسيح أقدر وأعلى، إذ قدَّم نفسه مرَّةً واحدة فصارت ذبيحته دائمة وأبدية لكل يوم ولكل الزمن، وليس له اضطراز مثل رئيس كهنة العهد القديم الذي كان يقدِّمها مرَّةً كل سنة، وعن نفسه أولاً ثم عن الشعب. فعظمة وقوَّة ذبيحة المسيح هي في كونها قدِّمت مرَّةً واحدة فصارت فعلها سائداً كل يوم وإلى الأبد دون حاجة إلى تكرار.

وفي هذه الآية ينفي ضمناً أن يكون للمسيح حاجة أن يقدِّم ذبيحة خطية عن نفسه مثل رؤساء الكهنة، لأنه لم تكن له خطية البتَّة ولم يكن في فمه غش. وهذا بحد ذاته يجعل ذبيحته متفوقة للغاية، بمعنى أن موته كان فدائياً كلياً، وفعل الفداء في ذبيحته يزيه بره وقداسته، بل والفداء ذاته يتضمَّن إعطاء هذا البر وهذه القداسة لأنه مات ليبرِّر ويقدِّس.

أما في الكفَّارة التي كان يجريها رؤساء الكهنة عن أنفسهم كرجال خطاة فكانت خطاياهم تمنع منعاً باتاً أن تكون كفَّارتهم قادرة أن تمنح الذين تجري من أجلهم أي بر أو أيَّ تقديس، فلا رئيس الكهنة يملك هذا البر أو هذه القداسة ولا الذبيحة التي كُفِّر بها تُحسب أبداً على هذا المستوى.

بل كان يُطلب من رئيس الكهنة أن يطهِّر جسده وحسب، كما كان يُطلب أن تكون ذبيحة

الكفارة مفسولة بالماء بلا عيب في جسمها. لهذا لم تكن كفارة رئيس الكهنة قديماً تطهّر إلاً لطهارة الجسد فقط بالنسبة للذي يكفّر عنه.

أما المسيح فكان قدوساً بذاته جسداً ونفساً وروحاً، كمقدّم للذبيحة، وكانت ذبيحته بأن واحد هي نفسه، قدوسة في كل شيء، لذلك فالمسيح بذبيحة نفسه يعطي ذاته وجسده:

+ «مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي.» (يو: ٦: ٥٧)

+ «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.» (يو: ٦: ٥٤)

+ «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبِتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (يو: ٦: ٥٦)

وفوق هذا وذاك وفوق كل مقارنة بين كفارة ذبائح حيوانات العهد القديم وذبيحة المسيح الإلهية، يلزم أن يعرف القارئ حقيقةً فاتت للأسف الشديد على كثير من شارحي الأناجيل والذين تعرّضوا للغفران والكفارة ومقارنة القديم بالجديد، وهي أن كفارة العهد القديم وكل ذبائحه بكل أنواعها كانت من أجل خطايا السهو فقط، أما خطايا العمد فكان حكمها واحداً وهو الموت بلا رحمة: «مَنْ خَالَفَ (عَمْدًا) نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بَدُونِ رَافَةٍ» (عب ١٠: ٢٨)، حيث «بدون رافة» تعني: لا تخفيف للحكم ولا حتى إجراء الموت بأي إحساس بالرحمة أو بأي شعور بالرافة، فموت الخاطيء كان يُعتبر تمجيداً لإله إسرائيل.

والعجب العجيب أنهم قتلوا المسيح بلا رحمة وتشقوا منه على الصليب وهو يتلوى وينزف حتى الموت!! لأنه كان في نظرهم الفاقد للنظر رجلاً خاطئاً، وفي ناموسهم الذي فقد اسمه وجوهه ومعناه، كان مخالفاً للناموس! فكانت خطيتهم الكبرى التي لم تمحها كفارتهم اليومية والسنوية ولن تمحو!! هكذا قضى حكماء إسرائيل على القدوس البار، وقتلوه بمقتضى ناموسهم، ففقدوا هم، وفقد ناموسهم بالتالي معهم في أعين كل العالم كل اعتبار!

(ج) مقارنة بين المسيح - كرئيس كهنة - وبين رئيس كهنة الناموس :

٢٨:٧ «فإنَّ النَامُوسَ يُقِيمُ أَثَامًا بِهِمْ ضَعُفَ رُؤَسَاءِ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَامُوسِ فَتُقِيمُ أَبْنَاءَ مَكْمَلًا إِلَى الْأَبَدِ.»

هنا مقارنة مبدعة متعددة الاتجاهات بين:

- ١ - **الناموس الذي أقام رؤساء كهنة كثيرين؛**  
في مقابل كلمة القَسَم التي أقام بها الله الكاهن الموعد الأبدي. كما جاءت في المزمور.
- ٢ - **رؤساء كهنة بهم ضعف منهم الموت عن البقاء ومنعتهم خطاياهم عن أن تكون كفارتهم ذات فاعلية؛**  
في مقابل ابن الله الذي تكمل بالآلام فلاقَ به أن يكون رئيس خلاص إلى الأبد.
- ٣ - **كثرة أناس؛** في مقابل الابن الوحيد. الذي يشمل ضمناً الموت، في مقابل الحياة الأبدية.
- ٤ - **ضعف أناس؛**  
في مقابل الابن المكمل أو صاحب الكمال.

« كلمة القَسَم التي بعد الناموس »:

مهم جداً أن يضع بولس الرسول هذه المقابلة أيضاً، أن الناموس أقام رؤساء كهنة بهم ضعف، وبسبب ضعفهم وعدم قدرة الناموس على رفع هذا الضعف عنهم أو عن الذين يكهنون لهم، كان ينبغي بل ويتحتم أن يظهر بعد الناموس نطق سماوي آخر لقيام ابن مكمل يكهّن أمام الله عن الإنسان إلى الأبد. وذلك لأن كلمة القَسَم جاءت على لسان داود النبي (مز ١١٠: ٤) الذي جاء بعد الناموس بحوالي خمسمائة سنة، ولهذا يرتفع القَسَم فوق الناموس، ويرتفع كاهن القَسَم فوق كاهن الناموس.

« فتقيم ابناً مكتملاً إلى الأبد »:

هنا « الابن » هو الوصف المتميّز لرئيس الكهنة الجديد، وهذه أول إضافة لشخص الابن أن يتبوأ وظيفة رئيس الكهنة. فرئيس كهنتنا ليس هو فقط « ابناً » بل هو ابنٌ ويبقى رئيس كهنة إلى الأبد. فهنا بقاؤه إلى الأبد، فوق أنه صفة أساسية للابن، إلا أن هذه الصفة صارت تلازم وظيفته الجديدة أي رئيس كهنة. وعلينا إذاً أن نجعل الصفتين الآن أي الابن ورئيس الكهنة لنرى أن بقاءه إلى الأبد أمرٌ ثابت ثبوت البتوة ذاتها، فهو لن يتخلّى عن رئاسة الكهنوت طالما هو ابن، وهو كذلك إلى أبد الأبد.

لهذا استدعى المنطق والواقع معاً أن ينسحب الكهنوت الزمني الجسدي اللاوي وإلى الأبد! لأنه كان يستحيل على هذا الكهنوت أن يدوم إلى الأبد، لا في أشخاص حامله لأن الضعف والهوان والموت يمنعهم، ولا في ذبائحهم لأنها ميتة بطبعها ولا تمتُّ إلى الحياة الأبدية بصلة.

## وقفه قصيرة

## تفوق كهنوت المسيح فوق كهنوت لاوي باختصار

ولكي يكون القارىء فكرة مجملة عن نقاط المفارقة الصارخة بين كهنوت المسيح الأعظم فوق كهنوت هارون، نذكر أولاً كيف أن بولس الرسول أوضح كل الأوصاف والامتيازات التي جعلت كهنوت المسيح يبلغ حتى الكمال الأعلى. مثل التعاطف الفائق مع الخطاة (١٧:٢، ١٥:٤، ٨:٥، ٢٦:٧).

كذلك التعيين الإلهي الخاص: (٥:٥).

كذلك:

- (أ) شكل التعيين الذي ضمن للعهد الجديد على يديه الأفضلية الإلهية (٧: ٢١ و٢٢) بالقسم الإلهي.
- (ب) مصدر القوة الفعالة لكهنوته: قوة حياة لا تزول (١٦:٧)، وليس بقانون ناموسي جسدي.
- (ج) لا محدودية لصلاحية كهنوته: حي كل حين، يخلص إلى التمام، يبقى إلى الأبد (٧: ٢٣-٢٥).
- (د) طبيعة كهنوت المسيح قائمة على كلمة القسم بذات الله، كوظيفة ثابتة وأبدية لابن الله، وليس على الضعف البشري.
- (هـ) موضع الخدمة التي يباشر منها كهنوته: جالس عن يمين العرش خادماً للأقداس الحقيقية في السموات لا الأرض (٨: ٢، ٩: ١١).
- (و) الاعتماد في أداء ونفاذ الأداء على دم نفسه، أي دم ابن الله وليس دم تيوس وعجول (٩: ١٢).
- (ز) مدة خدمته وصلاحيتها هي «مرة واحدة» التي تظل صالحة وفعالة: «إذ قدم نفسه.» (٧: ٢٧)
- (ح) مادة ذبيحته: «هيات لي جسداً» (١٠: ٥)، «دم المسيح الذي بروج أزلي ...» (٩: ١٤).

## الجزء الثاني من الدفاع الثالث كهنوت المسيح من حيث عمله الفائق

من الأصحاح الثامن حتى العاشر، الآية (١٨):

يتتبع بولس الرسول كيفية اكتمال عمل كهنوت المسيح:

أولاً: في الأصحاح الثامن: يكشف عن المنظر الجديد بصورة عامة، موضحاً الشروط التي يتطلبها كهنوت المسيح الأعظم.

ثانياً: في الأصحاح التاسع: خدمة الكهنوت في العهد القديم ومثيلها في العهد الجديد؛ كقارة الناموس، وكقارة المسيح.

ثالثاً: في الأصحاح العاشر: (١٨-١) الذبائح القديمة، والذبيحة الواحدة العظمى الجديدة وأثرها الخالد الدائم إلى الأبد.

وبذلك يكون المنهج القديم بناموسه وذبائحه ووصاياه وذكرياته وتمزياته قد فقد قيمته لدى المسيحيين كلية.

## أولاً: الأصحاح الثامن

الكشف عن منظر المسيح كرئيس كهنة سماوي وما تضمنه من الشروط للقيام بالخدمة (٨: ١٣-١).

قبل أن يخوض بولس الرسول في دقائق خدمة المسيح كرئيس كهنة، يعطي فكرة عامة عن: أ - الهيكل الجديد في السماء، وقد سماه «بالمسكن» وهو التعبير القديم عن سُكْنَى الله مع الإنسان (٨: ١-٦).

ب - العهد الجديد (٨: ٧-١٣).

## أ - الهيكل الجديد

[ ٨ : ١ - ٦ ]

١ - (٢٠١:٨): رئيس الكهنة الجديد ينتقل عمله من الأرض إلى السماء ليباشر خدمته الإلهية الفائقة بسر الروح.

٢ - (٤٣:٨): هذا العمل الروحي كان يستحيل أصلاً تكميله على الأرض، طالما كان هناك نظام أرضي للخدمة.

٣ - (٦٥:٨): ولكن لأن النظام الأرضي كان في طبيعته مثالاً أو ظللاً للأصل الذي سيقوم به المسيح، تحتم أن يظهر هذا يكون اختفاء ذلك.

١ - (٢٠١:٨):

١:٨ «وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات».

أول شيء ينبئ عليه بولس الرسول هنا هو أن مكان خدمة المسيح كرئيس كهنة عظيم ليس هو على الأرض بل في السموات، فقد تَمَّ الذبيحة على الأرض من أجل كل الذين على الأرض لتكون على مرأى وسمَّع الإنسان. ولكن خدمته ليس لها مجال على الأرض لأنها ليست قائمة على أمور أرضية أو من أجل أمور أرضية، بل هي تختص بخلاصنا الأبدي وحياتنا الأبدية. صحيح أن عمل المسيح يختص بكل حياتنا وأفكارنا وشهواتنا وآمالنا بل وخطايانا التي نمارسها على الأرض، ولكن علاجها ليس على أساس جسدي بل ينطلق من الأساس الروحي من السماء.

فالمسيح قدَّم جسده ذبيحة من أجل الإنسان، من أجل كل أخطاء وعيوب وخطايا وتعدّيات الإنسان، ففي جسده حمل كل نقائصنا هذه، وقدّمه ذبيحة، متقبلاً فيه عقوبة الموت من أجلنا، ثم قام بجسده وبنّا، وارتفع إلى أعلى السموات ليقدم ذبيحة كفارة خطايانا للآب. فصار مركز عمل الكفارة والخلاص في السماء وليس على الأرض.

وفي جلوسه عن يمين العظمة، أثبت أنه الابن حقاً، لأن مركز الابن هو عن يمين الآب. حتماً.

وإذ يقول «جلس» فهو يعني الجسد المذبح الميت والمقام. وجلس على عرش، فهو ملك، وملكوته صار على الأرض وفي السماء، هذا الذي أسسه بموته على الصليب ثم بقيامته وصعوده فوق أعلى السموات. جلس، ودم كفارته عليه لا يجف قط، حاملاً جسد بشرتنا ودمه عليه. وإذ يقول إنه «في السموات» فيكون قد انتقل من الأرض حيث قدّم كفارته وهي جسده، ودخل إلى السموات بجداره، رئيس كهنة حاملاً ذبيحة الكفارة العظمى من أجل كل إنسان لكل الدهور، فالدم الذي على جسده هو دم الكفارة الفائقة القداسة، لأنه دم القدس الابن الوحيد، وهو الذي أهله للدخول كرئيس كهنة إلى الله في الأقداس العليا، ليرأى أمام الله من أجلنا.

«وأما رأس الكلام»:

هنا يستطرد كلامه الذي فات، عن المسيح، معتبراً أن الذي سيقوله هنا جديداً هو أهم، وهو خلاصة ما قيل فيما يخص المسيح كرئيس كهنة أعظم، والذي سيركّز عليه في الآيات القادمة، خاصة وأنه قدّم ذبيحة واحدة وانتقل بها إلى السماء، مركز عملها الجديد. وهو بعمله من السماء يكون قد كشف عن عظمة كفارته ودوامها وقوتها. وإن كنا قد خرمنا من عمله المباشر على الأرض، فذلك إلى حين، لأن تعوّقه في الهيكل السماوي لا يدوم، بل سيأتي حتماً ويستعلن الخلاص الكلّي بصورة باهرة:

+ «وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطناً لقدميه.» (عب ١٠: ١٢ و١٣)

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات، التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في ٣: ٢٠)

«رئيس كهنة مثل هذا»:

«مثل هذا»: يركّز عليها بولس الرسول ليوضح عظم شأن رئيس الكهنة الجديد، لأنه سيقول حالاً إنه جلس عن يمين عرش العظمة في السموات. ف رؤية بولس الرسول لرئيس كهنة يجلس عن يمين عرش العظمة في السماء، يتقدّم لها بقوله: «رئيس كهنة مثل هذا»، بمعنى: انظروا فهذا هو رئيس كهنة قد ملّك حقاً، وكرامته وملكوته فائقا الحدّ، يشملان السماء والأرض. لا كرؤساء كهنة اللاويين ولا حتى كملكبي صادق الذي استعلن لنا كهنوته على الأرض فقط.

«قد جلس في يمين عرش العظمة»:

بولس الرسول لا يزال متأثراً بصورة المزمور: «قال الربّ لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطناً لقدميك.» (مز ١١٠: ١)

وبولس الرسول، بعد أن وثق كل ملابسات وأسباب ومعنى جلوس المسيح عن يمين الآب، يقول هنا بتأكيد مكرراً ما سبق أن قاله في مطلع الرسالة، كحقيقة لاهوتية: «بعد ما صنع بنفسه تظهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب ١: ٣)

«جلس»: ἐκάθισεν

صحتها بحسب النص اليوناني تأتي بمعنى «أخذ كرسية» أي بدأ يجلس بإرادته. لأن «يجلس» في الصيغة الاستمرارية هي καθήται = «يبقى جالساً»، وبذلك تعني ἐκάθισεν أنه أخذ وضعه كجالس بإرادته.

وهذا الوضع الذاتى الملكى الذى فيه يأخذ المسيح كرسية وملوكيته بإرادته، يشرح لنا فى الحقيقة ما جاء فى سفر الرؤيا عن ملكية المسيح التى أقامت وأجلست ملوكاً: «مَنْ يَغْلِبْ فَسَأَعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِيَ فِي عَرْشِي، كَمَا غَلِبْتُ أَنَا أَيْضاً وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ.» (رؤ ٣: ٢١)

فكون المسيح يقيم كهنة وملوكاً لأبيه، فهذا يثبت بالقطع أنه إله وملك. فليس دم وجسد بقادرين أن يضعوا على رأسه تاجاً ثم يضعان تيجاناً على رؤوس الآخرين ليصيروا ملوكاً لله إلى أبد الأبدين، ولكن هو الله الذى أعطاه أن يكون ملكاً ويقيم ملوكاً له ويدوم ملكه وملكتهم معه إلى الأبد. لذلك دُعي بحق «ملك الملوك» (رؤ ١٩: ١٦)، «رأسه ذهب إبريز» (نش ٥: ١١)، «وَضَعْتُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجاً مِنْ إِبْرِيْز.» (مز ٢١: ٣)

«فى يمين عرش العظمة»: ἐν δεξιᾷ τοῦ θρόνου τῆς μεγαλωσύνης

وهو نفس الوصف الذى أعطاه فى الأصحاح الأول: «فى يمين العظمة» (عب ١: ٣)، ولقد حاول الآباء جهدهم تحاشي إعطاء صورة مادية للآب، وكأنه على هيئة بشر، فى تفسيرهم لقوله عن «يمين عرش العظمة».

والمقصود هنا أمران، الأول أن الابن أخذ موضعه الثابت والكامل مع الآب فى ملء عظمته، حيث اليمين عامة تشير إلى التساوي والخُطوى الكاملة. والثانى أن الابن دخل إلى الأقداس العليا بجسده، حيث الجلوس بحد ذاته يفيد الوضع البشرى للمسيح كما يفيد كمال التساوي فى العظمة والكرامة مع الآب. ولنا عند القديس الشهيد استفانوس شهادة عيان: «فَشَحَّصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مَمْتَلِءٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللَّهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ.» (أع ٧: ٥٥)



٢:٨ «خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصَّبه الربُّ لا إنساناً».

«خادماً للأقداس»: τῶν ἁγίων λειτουργός

المفارقة هنا شديدة بين «جلس» و «خدم». ولكن هنا ترتفع الخدمة في مفهومها الملكي والإلهي، فالمسيح كملك على عرشه مع الآب، إن خدم فهو يخدم ملكوته، وملكوته هو الحب والقداسة والغفران والمصالحة. والقدوس حينما يخدم فهو يخدم القداسة، ينضح بدمه على مفديه ويقدمهم إلى أبيه قديسين وبلا لوم في المحبة.

«خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي»: τῶν ἁγίων λειτουργός καὶ τῆς σκηνῆς

كلمة «الأقداس» جاءت إضافية لتفيد نفس معنى «المسكن الحقيقي». على أن هذه الإضافة تبدو ضرورية حقاً للتعبير عن الوجود في حضرة الله القدوس، فالمسكن في السماء لم يُعد يخلو من الله قط كالمسكن الأرضي الذي كان صورة من على بُعد، ومثالاً مهزوزاً للغاية لمجد حضرة الله في الأعالي، حيث يتراءى القديسون أمامه «وفي أفواههم لم يوجد غش لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (رؤ ١٤: ٥)، «ثم بعد هذا نظرتُ وإذا قد انفتح هيكل خيمة τῆς σκηνῆς الشهادة في السماء». (رؤ ١٥: ٥)

ولقد أعطيت لنا أن نتكلَّم بهذه الاصطلاحات التي وُضعت مبدئياً لوصف المسكن والخيمة الأرضية وذلك على أساس صادق أنها كانت مثالاً بصورة وشبهاً للحقيقة. فإن تساوت الأسماء بين أماكن الخدمة على الأرض والتي في السماء، إلا أن الحقيقة التي تفرَّق وتفصل بين الاثنين هائلة كالفرق بين الحقيقة والشبه أو الواقع الإلهي والرمز الإنساني.

على أن خيمة السماء أو المسكن الحقيقي الذي يخدم فيه المسيح هو تعبير محدود لواقع إلهي غير محدود، حيث حضرة الله التي تملأ الوجود غير المنظور. والمسيح بخدمته يعني أنه يعلن حقيقة الله للإنسان، ويقرب الإنسان إلى الله، وبذبيحة كفارة نفسه كرئيس كهنة يخدم الحب والمصالحة والتبني ورضا الله، ويمتج برّه بدمه!! أعمال لا تحُدّها حدود ولا يحصرها وجود.

هذه الخيمة أو المسكن السمائي تحوي الحقائق التي كانت تمر عليها الطقوس الأرضية كرموز. ولكن الذي يهمننا منها الآن هو الرب يسوع المسيح الذي يتراءى في القدس السمائي «ككاهن ذبيحة»، وذبيحته هي جسده، ودمه عليه يتقطر: «حروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ ٥: ٦). وعلى جسد ذبيحته يحمل خطايا كل العالم كرئيس كهنة فوق العادة.

فهنا قول الآية: «خادماً الأقداس والمسكن الحقيقي» لا يأتي من تصوّر أو فراغ؛ فالمسيح الذي صعد إلى السماء بجسده المذبوح وجروحه عليه التي أراها علناً للتلاميذ ولماً بالأصبع لتوما، أوضح بكل قوة وتعبير استعلاني أنه رئيس كهنة بكل حق وحقيقة، وذبيحته المذبوحة على الصليب ذبيحة حقّة بكل حق ويقين. ومن هنا صار دخوله إلى السماء هو دخول واقعي لهيكل سمائي وأقداس ومسكن جديد هائل لا يُحْد ولا يُقاس، لأن الله فيه ويملاؤه. فإن كانت الأيدي البشرية هي التي نصبت خيمة الشهادة على أرض سيناء، فالذي نصب المسكن السمائي حيث يجتمع الله بمفديه المصالحين من كل أنحاء الأرض، هو «الرب» يسوع المسيح، لأن الهيكل السمائي هو نحن: «وأما المسيح فكابن على بيته. وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (عب ٣: ٦). فالمسيح بتجسده عيّن نوع المسكن الذي سيكون؛ وبذبيحة نفسه على الصليب، عيّن مادة اليشحة والتقدّيس؛ وبموته، نقض الخيمة الأرضية بأعمدها وسُجفها؛ وبقيامته، أصددها إلى السموات جديدة ممتدة بامتداد لاهوته، فأحبها الله ووضعها في يمينه لتشارك معه في المجد والعظمة.

ويلاحظ القارئ المدقّق أن الخيمة الأرضية كانت تسمى المسكن المقدس أو الأقداس، ولكن لم يُعرف ولم يُقال عنها قط أنها ἀληθινή أي حقيقية. هنا امتياز كل العبادة الجديدة، فكل ما فيها حقيقي.

لذلك نسمع هنا أن المسيح هو خادم الأقداس والمسكن الحقيقي، أما رئيس كهنة العهد القديم فكان خادم الأقداس التي كانت ظل الأشياء العتيدة، ولم تكن حقيقية بجوهرها.

ولكن الذي يتطلب منا مزيداً من التعمق والتأمل والاستعلان معاً هو أن الخيمة الأرضية صُنعت على مثال الحقيقة الكائنة في السماء. والسؤال الآن: كيف هذا، والمسيح لم يكن قد استعلن بعد ولا دُبج ولا مات ولا قام ولا صنع جسده ومؤمّنيه هذا الهيكل السمائي العجيب؟

ولكن لن نتعب كثيراً للوصول إلى كل الحقيقة. ففي قول الوحي ما يكفي: «يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» (رو ٤: ١٧)، لأن الوجود الحقيقي يسبق الوجود الشبه، و«الأرشي تايب» ἀρχέτυπος Archetype (أي الأصل) قائم قبل أن يقوم «التايب» τύπος Type (أي المشال). وهكذا فالرب كان قائماً في البدء: «في البدء كان الكلمة» (يو ١: ١)، قبل أن يكون هارون أو حتى ملكي صادق.

وقد شرحها بولس الرسول في آية قادمة: «وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات

العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة ...»  
(عب ٩: ١١)

## ٢ - (٨: ٤٣):

٣: ٨ «لأن كلَّ رئيس كهنة يُقام لكي يقدِّم قربانٍ وذبائح. فمن ثمَّ يلزمُ أن يكونَ لهذا أيضاً شيءٌ يقدِّمه.»

هنا في هذه الآية يتعرَّض بولس الرسول لكلمة «خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي»، أي وظيفة المسيح الكهنوتية في السماء في المسكن الحقيقي. فيقول إن رؤساء الكهنة في طقس كهنوت لاوي كانوا يُقامون على أساس تقديم قربانٍ وذبائح (حيوانية) بالطبع، الأمر الذي سيرحبه بعد ذلك في الآية (٩: ١٢). فهذه القربان والذبائح يدخل رئيس الكهنة بدمها إلى الأقداس الأرضية ليكمل الكفارة.

والآن إذ قد عرفنا وتيقنا أن المسيح الرب تعيَّن بالفعل ومنذ الأزل أن يكون رئيس كهنة على طقس ملكي صادق، كما أعلن الوحي في الزمور على لسان داود النبي، وأيضاً إذ نقول إنه «الآن» يخدم الأقداس والمسكن الحقيقي في السماء، فمن ثمَّ أو بالضرورة يتحتَّم أن يكون له شيء يقدِّمه عن الشعب الذي له أمام الرب.

٤: ٨ «فإنه لو كانَ على الأرض لما كانَ كاهناً إذ يوجدُ الكهنة الذين يقدِّمون قربانٍ حسبَ الناموس.»

انظر وافهم أيها القارئ العزيز لأن هذه الآية أصبحت لغزاً عند العلماء والمفسرين، وكلُّ مفسِّر حسب فكره. ولكن الحقيقة هنا واضحة لا تُبس فيها. فمعروف أن المسيح يأتي من سبط يهوذا. وحسب الناموس وكل الطقوس المشروعة والمنفذة في ذلك الوقت — أي وقت كتابة هذه الرسالة — أي في القرن الأول المسيحي، لم يكن لسبط يهوذا علاقة بالكهنة. إذأ، لو فرضنا أن المسيح يخدم الآن الأقداس الأرضية لامتنع ذلك بالقانون وحسب الناموس وكل الطقوس، ولم يكن لذلك أيضاً من دأج لأن الكهنة موجودون ويخدمون الكفارة حسب الأصول والناموس بمقتضى الزمن والجسد. وهذا معناه أمران أساسيان: الأول أن المسيح يتحتَّم أن يخدم المسكن والأقداس العليا إن كان رئيس كهنة بالفعل، وهو كذلك بقسَم من الله. والثاني أن لا تكون تقدمته

حيوانات ميتة بل ذبيحة مقدّسة بقُدُس مُقدّمها وبقُدس السماء والهيكل الذي تُقدّم فيه .

فلو فرضنا أن المسيح وهو رئيس كهنة على طقس ملكي صادق خدم على الأرض بذبيحته المقدّسة السماوية هذه، يتحتمّ أن يخدم ذلك إلى الأبد، لأن هذه هي طبيعة ذبيحته وهذا طقسه، وتحتّم بالتالي أن يبقى الإنسان على الأرض إلى الأبد بمقتضى فعل ذبيحة المسيح هذه حيّاً ومقدّساً، وهذا لا تجيزه طبيعة الإنسان، لذلك تحتّم أن تتغير طبيعة الإنسان لتتوافق مع أبدية المسيح وذبيحته. ولهذا لزم أن يخلع الإنسان طبيعته الأرضية ويأخذ الجديدة السماوية، ليستمتع بالمسيح وذبيحته، ويفرح فرح الله ويدوم فرحه .

٣ - (٨: ٦٥):

٥: ٨ «الذين يخدمون شبه السّمويات وظلّها كما أوحى إلى موسى وهو مُزْمِعٌ أن يصنع المسكنَ. لأنه قالَ آنظُرْ أن تصنعَ كلَّ شيءٍ حسبَ المِثَالِ الذي أظهرَ لك في الجبلِ» .

لو تتبعنا مراحل انتقال الشرح والتوضيح الذي سار عليه بولس الرسول، فإننا نجد أن الأصحاح الثامن جاء تعقيباً وشرحاً لآية أوردها في الأصحاح السابع تقول: «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة (الأرض) وصار أعلى من السموات» (عب ٧: ٢٦). من هنا ابتداءً يفحص هذه المعلومة الهامة مبتدئاً بالقول: «أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات (وصار) خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان.» (عب ٨: ٢٥)

وهنا ابتداءً ق. بولس يستعرض فكراً جديداً إذ يقول إن المسيح ليس فقط هو رئيس الكهنة المثالي، ولكنه أيضاً يمارس خدمة رئاسة كهنوته المبارك ليس على الأرض ولكن في الهيكل المثالي في السموات.

وهكذا كما استطاع بولس الرسول مبتدئاً بالكهنوت اللاوي وملكي صادق أن يرى في المسيح رئيس الكهنة المثالي الذي يخدم الأقداس العليا في السموات، هكذا ابتداءً أيضاً يرى نفس هذه الأقداس العليا في السموات مبتدئاً من الأقداس التي على الأرض.

لأنه كما أن الكهنوت اللاوي من هارون ولاوي والأجيال من بعده لا يعطي إلا صورة باهنة

وبجرّد مثال لكهنوت دائم وأبدي وروحي وفي السموات، قائماً في شخص الرب يسوع؛ هكذا الأقداس الأرضية والمسكن حيث الله مع الناس، وكل ما يشمله على الأرض، هو أيضاً لا يعطي أبداً إلا صورة باهتة لحقيقة وجود الله مع شعبه المفدي في السموات، في أقداس فائقة الوصف ومسكن لا يبلغه العقل حيث يملأه الله ملء كل ملء.

هذه هي الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الله لا إنسان!!

وكما أثبت بولس الرسول صدق استعلانه عن المسيح كرئيس كهنة قائم ودائم إلى الأبد، بالقَسَم الذي أقسم الله به في الرؤيا التي رآها داود عن الآتي، ليحلّ في ملوكيته من بعده، أن يكون كاهناً على طقس ملكي صادق إلى الأبد، هكذا التجأ بولس الرسول إلى ما قاله الله لموسى وهو مزعم أن يكتمل صنْع خيمة الاجتماع بعد أن أخذ أوصافها ومقاساتها: «لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل.» (عب ٨: ٥)

لقد التقط بولس الرسول هذا القول من فم الله ليستعلن ما وراءه. فالمثال τύπος الذي أظهره الله لموسى، وهو لم يكن إلا نموذجاً محدوداً ومصغراً للغاية بل وناقصاً نقصاً شديداً، وهذا شأن كل τύπος الشبه بالنسبة إلى أصله وهو الأرشى تيبوس ἀρχέτυπος؛ فالذي رآه موسى هو المثال المادي مصوراً في ذهنه حسب الرؤيا. أما الأرشى تيبوس فهو الذي استوحى الله منه هذا التصغير والتجسيد الذي وضعه في ذهن موسى. وقد بدا لبعض الشُّراح أن موسى رأى الأصل، أي السموات عينها، وهذا مُحال المحال لأن المسكن السماوي أو الأقداس العليا التي يجتمع فيها الله مع الناس حيث يخدم الوساطة الرب يسوع كرئيس كهنة بذبيحة نفسه — هي «الأليشيا» = الحق — ولم تكن قد تم تصويرها. فالمسيح لم يكن قد تجسّد ولا تعيّن رئيس كهنة لتقديم كَفَّارة لأجل العالم بدمه، الأمر الذي أكمل على الصليب. نعم كانت في ذهن الله قائمة — شأن كل «أليشيا» — أمّا لدى موسى فلم تكن إلا على صورة نبوة كمثال أو كرمز، كلغز في مرآة. ولكنه أجاد الرؤيا وأجاد التصوير والصنع، فصنع خيمة الشهادة. وما أعظم ما صنع حقاً، لأن الذي صنعه حلّ الله فيه بالفعل وقدّس شعبه بحلوله. فالمثال أي خيمة الشهادة لم تكن خيالاً، بل فيها حقيقة ولكن حقيقة تصلح للأرض والأرضيين ولا تصلح للسماء والبقاء والخلود.

أما الحيوانات التي كانت تُقدّم فيها بالآلاف، وهي تصرخ إذ تُذبح، فكانت تعبّر في صراخها الصامت الذي يرتفع متألماً ثم يخبو وسرعان ما يزول، عن أنين الآلام الذي قدّمه شفيع البشرية الذي ارتفع حتى أعلى السموات وُسّمع أنينه وتسجّل لحساب كل الخطاة ليمسح دموعهم ويرفع عن

كاهلهم الحزن والكآبة والتشهد. وتبقى ذبيحة ناطقة حيّة حياة الله تشفع في المذنبين إلى أبد الآبدين. لقد كان تصويراً رائعاً حقاً في ظلال، ولكن لم يكن يليق إلا للترابيين، أما في السموات فبخدمة أفضل ولحياة أفضل تتجلى فيها حقائق الله كلها بلا تشبيه أو مثال.

٦:٨ «ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيظل أيضاً لعهد أعظم قد تثبتت على مواعيد أفضل».

والمعنى هو: والحادث الآن، أو ما هو حاصل وواقع، أن عهداً أفضل قد تثبتت بواسطة المسيح هوفيه وسيظل أفضل، بخدمة أفضل، لأنه تثبتت على مواعيد أفضل.

وواضح أن الأفضليات كلها من خدمة أفضل ووساطة أفضل، إنما هي نتيجة حتمية للعهد الأعظم. فالأمر الذي يركّز عليه بولس الرسول هنا هو «العهد الجديد» الذي سيستطرد في وصفه عن إرميا النبي.

«ولكنه الآن»:  $\nu\upsilon\upsilon\iota \delta\epsilon$

في ترتيب الكلام وبحسب منطق الكلام، نجده يذكر في هذه الآية وفي الأول «ولكن الآن»  $\nu\upsilon\upsilon\iota \delta\epsilon =$  أي فيما يخص المسيح وهو في السماء الآن، في مقابل ما جاء في الآية الرابعة (٤:٨): «فإنه لو كان»  $\epsilon\iota \mu\epsilon\nu \gamma\alpha\rho \eta\nu$  ، فيما يخص المسيح لو كان على الأرض. أي لو كان المسيح على الأرض لما كان كاهناً؛ أمّا الآن، وقد حصل على خدمة أفضل من تقديم ذبائح أرضية، فهو وسيظل أفضل لعهد أعظم.

«خدمة أفضل»:  $\delta\iota\alpha\phi\omega\rho\omega\tau\epsilon\rho\alpha\varsigma$

لذلك في قوله: «حصل على خدمة أفضل»  $\delta\iota\alpha\phi\omega\rho\omega\tau\epsilon\rho\alpha\varsigma$  فهي تُقابل وتردّ على ما جاء في الآية (٤:٨) في جلته وهو: «فإنه لو كان على الأرض لما كان كاهناً».

وبذلك يتّجه بولس الرسول على ما سبق وقاله إنه صار «خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصّبه الرب لا إنسان». (عب ٨:٢)

ويلزم أن نفهم أن كلمة «أفضل» هنا لا تضع العهدين أو النظامين على مستوى واحد يتفاضل فيه الواحد على الآخر، ولكن على أساس أن العهد الجديد هو «أعظم» بخدماته، وهو عهد آخر تماماً: «فأين الافتخار؟ قد انتفى. بأي ناموس. أبناموس الأعمال؟ كلا. بل بناموس

الإيمان» (رو ٣: ٢٧)، «ولكن إسرائيل وهو يسمى في أثر ناموس البر (الذاتي) لم يدرك ناموس البر (الحقيقي).» (رو ٩: ٣١)

والرسالة تعود وتصف الناموس الجديد في الآية (١٠: ٨): «لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً». وهنا يبدأ قول بولس الرسول يظهر في أول الآية: «ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل»، يظهر بوضوح لأن مفردات العهد الجديد لا يمكن مقارنتها بالقديم وأهمها وأكثرها خطورة هو ما قاله ق. بولس بعد ذلك عن إرميا النبي بضم الله: «لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد» (عب ٨: ١٢)؛ الأمر الذي وقف أمامه الناموس القديم بأجمعه والكهنوت اللاوي بكل أدواته وذبائحه عاجزاً يائساً: «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد» (رو ٨: ٣)، «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كلُّ مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به (ولم يثبت فيه أحد).» (غل ٣: ١٠) إذأ، الناموس لم يرفع اللعنة الأولى بل تَبَّتْهَا.

«وسيط أيضاً لعهدٍ أعظم»:

موسى كان وسيطاً بين الله وإسرائيل في إعطاء الناموس «فلمماذا الناموس؟» قد زيد بسبب التعديت — إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له مُرتباً بملائكة في يد وسيط» (غل ٣: ١٩). ولكن المسيح وهو رئيس كهنة هو الوسيط للعهد الجديد، جامعاً في وساطته كل ما لموسى وهارون معاً.

وهذا قد نوّه عنه سابقاً: «من ثمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع.» (عب ٣: ١)

وعلى القارئ في هذا المجال أن يوازن بين وساطة موسى من داخل الناموس كخادم الناموس لإسرائيل، وبين وساطة المسيح وقد تجسّد فصار حقاً وبالفعل وسيطاً بين الله والخليقة كلها.

وإذا نظرنا إلى الناموس الجديد الأعظم، نجد أن عظمته هي بقدر ما وعد به. فمواعيده ليست فقط أنها تغطي حاجة الإنسان في تغرّبه على الأرض من جهة ضميره المرعق بالخطايا والعقوبات، بل هي ترافق الإنسان وتسنده وترفعه حتى أعلى السموات، لينال بالمسيح ما لا تستطيع أن تحقّقه الملائكة من منال:

+ «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.» (أف ٢: ٦)

## ب - العهد الجديد

[ ٨ : ٧ - ١٣ ]

٧ : ٨ « فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما ظَلِبَ موضعٌ لثاني ».

بمعنى أنه لو كان الناموس والكهنوت اللاوي قد أكمل القصد الذي من أجله وُضع، لما صارت الحاجة إلى غيره. وهذا يشمل بالضرورة ناحيتين: الأولى، قصور الناموس عن أن يغطي عجز الشعب، وعجز الشعب عن أن يكمل مقاصد الناموس وأهدافه الحقيقية. لأن ليس الناموس وحده المعلوم بل هم أيضاً: «لأنه يقول لهم لائماً» (٨:٨). فاللوم الذي وقع عليهم إذا لم يكن الناموس نفسه متسبباً فيه أيضاً بنصيبه في العجز، لكان التغيير يقع على الشعب وحده. ولكن الآن وقد ثبت عجز هذا وذاك، فتحتم أن يُطلب ناموس آخر يستطيع أن يغطي عجز الشعب ويتلافى النقص الذي تسبب في عدم نفعه.

«لَمَّا ظَلِبَ موضع لثاني»:

هنا شرح مبدع لكلمة «موضع»، فالمراد بالموضع ليس المكان ولا المكانة ولكن هو «القلب»، قلب الشعب الذي لم يلتقط شيئاً من الناموس الأول، ولا الناموس ترك عليه أي أثر. هذا ما رآه الله واهتم به. فأقصى ما يريده الله من الإنسان هو قلبه: «يا ابني أعطني قلبك، ولتلاحظ عينك طريقي.» (أم ٢٣: ٢٦)

لهذا نقرأ أن الله صمّم ناموساً آخر تكون لكلماته القدرة أن تُنقش على القلب وليس الحجر كالناموس الأول: «أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم...» (٨: ١٠). الأول نُقش على الحجر وُضع في تابوت، أما الثاني فنُقش على القلب وُضع في الأذهان. لهذا يهتف الكاهن في القداس: [ ارفعوا قلوبكم. فيرد الشعب: هي عند الرب ] .

٨ : ٨ «لأنه يقول لهم لائماً هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً».

«لائماً»: μεμφομένοις

هذه الكلمة جاءت هنا توضّح مثلتها في الآية السابقة: «لو كان ذلك الأول بلا عيب»، أو



بلا لوم ἀμεμπτos . وضح هنا أن الرب يلوم الشعب، كما سبق الوحي واعتبر أن الناموس نفسه كان ملوماً. فالعجز والقصور قد اشترك فيه القانون ومنفذه. والكلام الصادر من الله هنا في النبوة واقع على أصحاب الناموس الأول أولئك.

«هوذا»: ἰδοὺ

ترجمتها الأصح هي «انظروا»، لتعني ارفعوا أعينكم وقلوبكم، كدعوة من الله لهؤلاء العائشين بالعيب تحت ناموس لم يستطع أن يرفعهم فوق هذا العيب، حتى يمتدوا بأفكارهم وآمالهم لانتظار تغيير عظيم وهائل يتم في وقته وزمانه حتى يكونوا معه على ميعاد ويثير فيهم حاسة الترقب والانتظار برجاء الآتي:

+ «وامتلاً زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً: مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه. كما تكلم بضم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر ... ليصنع رحمة مع آبائنا وبذكر عهده المقدس. القسّم الذي حلف لإبراهيم أينا ...» (لو ١: ٦٧-٧٣)

+ «وكانت نبية حنة ... فهي في تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم.» (لو ٢: ٣٦-٣٨)

نعم، مثل هذه القلوب الحساسة والنفوس الواعية الرائية تكلم الرب وتكلم فما خابت كلماته، بل أصابت وعي هؤلاء الصائمين الساهرين العابدين المنتظرين خلاصاً وهم يثنون تحت ثقل الخطايا ...، إلى أن وُلد المسيح بين أيديهم (سمعان الشيخ) وأمام أعينهم (حنة النبوة)، فعرفوه في العهد مخلصاً وفادياً، «عيني قد أبصرتا خلاصك.» (لو ٢: ٣٠)

«هوذا أيام تأتي»:

بولس الرسول هنا يتتبع إرميا النبي في قمة تجليبه وهو ينطق بالوحي عن الأيام الآتية، ولكنه كان وقتها في قاع حنة إسرائيل. وإرميا النبي عندما نظر تلك الأيام الأخيرة الآتية، رآها مدموغة بأمر التجارب والدينونة، حيث في ختامها يتأسس العهد الإلهي المقدس بعظمته.

وعندما نطق إرميا بنبوته هذه، كان بعض الشعب المنقسم (يهوذا) يتهيأ للوقوع في السبي القادم وبعضه كان واقعاً في السبي (إسرائيل). ولكن إرميا كان يرى الشعب قادماً معاً من السبي ليتهيأ لقبول العهد الجديد حيث تتحد المملكة ويزول الانقسام.

ويلاحظ أن بولس الرسول هنا في هذه الرسالة، لم ينسب الكلام لإرميا، بل طرحه كما هو

باعتباره كلام يهوه مباشرة. فالضمائر الشخصية تدفع الكلام بشخص الله نفسه بصورة جلييلة: «أنا»، «وأكتمل»، «وعملت»، «أمسكت بيدهم»، «عهدي»، «وأنا أهملتهم»، «أغفد»، «أجعل»، «وأكتبها»، «وأنا أكون لهم إلهاً»، «تكونون لي شعباً». وهي بنفس صيغة الرؤيا التي رآها إشعيا (أصحاح ٤٣) وحزقيال (١٦: ٦٠-٦٢).

«أكتمل مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا»:

هذه أولى سمات العهد الجديد المتسعة والعظيمة، المسألة والموحدة، فالعهد سيكون إيذاناً بالمصالحة، إسرائيل مع يهوذا، تمهيداً لخروج الأسد من السبط الملكي المعتد، ودخول الأمم لإعلان ملوكية المسيح على كل ملوك الأرض: «قال لها يسوع يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب». (يو: ٤١)

«عهداً جديداً»: διαθήκην καινήν

توجد كلمتان للتعبير عن الجديد καινός, νέος<sup>(١)</sup>. أمّا الأولى «نئوس» فهي تعبير عن ما هو حديث الوجود في كيانه الذاتي، بحيث إنه لم يكن موجوداً إلاً حالياً؛ لكن الثانية «كينوس» تفيد ما هو جديد في نوعيته بالنسبة لما سبقه، باعتباره جديداً في عمله وتأثيره: «ولا يجعلون خراً جديدة = νέον (أي حديثه الوجود) في زقاق عتيقة ... بل يجعلون خراً جديدة νέον في زقاق جديدة = καινούς (أي نوعها جديد)». (مت ٩: ١٧)

وقد استخدمها بولس الرسول ليفيد بها تجديد الإنسان هكذا:

+ «إذ خلعتكم الإنسان العتيق ... ولبستم الجديد νέον (أي حديث الوجود) الذي يتجدد ἀνακαινούμενον (أي يتجدد في نوعيته) للمعرفة حسب صورة خالقه». (كو ٣: ١٠)

+ «... وتلبسوا الإنسان الجديد καινόν المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق». (أف ٤: ٢٤)

وواضح من هذا التحليل اللغوي أن كلمة الجديد καινός في العهد الجديد تعني تماماً: «تجديد الخلقة»، كما جاءت بوضوح وبلاغة قوية في تعبير سفر الرؤيا: «وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شيء جديداً καινά ...» (رؤ ٢١: ٥) ولم تأت هذه الكلمة عفوية بل كانت مدروسة وذات اعتبار لكل من يستخدمها مثل: «إذاً،

إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة (καὶνὴ κτίσις ... ) (٢ كور: ٥: ١٧)

٩: ٨ «لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيديهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم، يقول الرب».

وهكذا ابتداء الرب يشرح صفات ذلك العهد العظيم بعد أن وصف اتساعه ليشمل يهوذا وإسرائيل معاً في الآية السابقة مبتدئاً بما هو غير موجود في العهد القديم. فهو ليس على نظام أو عينة العهد الذي صنعه لهم عند خروجهم من أرض مصر. إذًا، فالعهد الجديد ليس عهداً ثانياً آخر ولكنه بالأساس مختلف كل الاختلاف.

«الذي عملته مع آبائهم»:

الرب يتكلم هنا عن اتساع قلبه وطول أناته، فقد سبق أن عمل لهم شيئاً ليعبر به عن حبه لهم وسماه «عهداً». وطبعاً هو يلتزم به مهما كانوا هم غير أمناء عليه، وهذا القول يطابق في مشاعره ومبناه القول الذي سبق في الآية السالفة: «أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً» (عب ٨: ٨). فهناك كان عهد محبة خاصة لهم؛ وهنا عهد محبة خاصة وعمامة وكلية بآن واحد.

فالرب هو الذي اصطنع هذه الاصطلاحات، ليعبر بها وبدقة عمّا يشعر به ويضمّره من جهة الإنسان، وواضح من قول الرب: «يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر» مدى لطفه وإشفاقه وعنايته الأبوية لشعب أذل وسخر وأهين وهو يحمل اسمه العظيم. فالعهد الأول عهد محبة، عهد خلاص من محنة عبودية الجسد؛ أما الثاني فهو أعلى وأسمى وأعظم لأنه عهد خلاص من محنة عبودية القلب والفكر والروح تحت الخطية وظلم إبليس. فإن كان الأول عهد محبة خاصة لهم على مستوى حياتهم وسلامتهم الجسدية، فالثاني عهد حب متدفق على العالم كله للارتقاء بالإنسان إلى خليفة أخرى روحانية، يكون موطنها لا أرض كنعان الضيقة، بل السماء بطولها وعرضها وامتدادها حتى الأبد. هناك حيث ينتهي المكان والزمان في الله: «الملاك الذي رأيته واقفاً على البحر وعلى الأرض رفع يده إلى السماء وأقسم بالحلي إلى أبد الأبدين... أن لا يكون زمان بعد». (رؤ ١٠: ٥ و٦)

«لأخرجهم من أرض مصر»:

لقد ارتبط زمن العهد بالقصد في إنشاء شعب خاص، والخروج هنا حتمي فهو عزز الحاص عن العام، الذي هو بيده الطاهر والتجسس والمقدس والدنس. فالخاص لله — شعباً كان أو إنساناً أو عملاً أو شيئاً — هو قدس لله، فهو مقدس؛ والذي ليس خاصاً لله فهو التجسس والدنس، كقانون

عام في المفهوم العبراني.

والخروج من مصر كان هو بمثابة الدخول في العهد. فالذين عادوا بقلوبهم وفكرهم إلى مصر، خرجوا من العهد وحُرموا من أن يدخلوا راحة الله، ذلك بكل الخزم، وبالقسَم! فبقدر ما كان خروجهم عجبياً، كانت عودتهم بالقلب والنيّة كارثةً وحُثّاً ولعنةً. وهكذا صارت قاعدة لا إخلال بها أن كلّ مَنْ ذاق عجائب الله وعاشها، إن هو ارتدّ، لا تكون له توبة ولا عودة.

وقد صار مطلب الله دائماً هو الخروج من وسط العالم والاعتزال عن شروره: «أخرجوا من وسطهم واعتزلوا، يقول الرب، ... فأقبلكم» (٢ كو٦: ١٧). هكذا: «أخرج إبراهيم وهو لا يعلم إلى أين يذهب» (عب ١١: ٨)، فدخل في عهد الله ووعده، ونال البركة ونالت كل الأمم فيه. وهكذا خرج أنطونيوس العجيب من العالم حيناً قبل أن يُخرجوه كأبيه الميت عُثوّ، فخرجت وراءه أجيال من رهبان وراهبات ونالوا الشهادة دون سفك دم، والذين ارتدّوا لا تُسرّبهم نفسي (عب ١٠: ٣٨). «(هؤلاء) ليسوا من العالم كما أنني أنا لست من العالم.» (يو ١٧: ١٤)

وعلى هذا النمط اختيرت الكنيسة من العالم، ودخلت كمروس العهد والوعد، ووزّقت للمصلوب، فضُلبت معه للعالم، وصُلّبت هي العالم لنفسها، فكان خروجها موتاً حقيقياً لحياة أبدية، وخروجاً أعظم خروج:

+ «وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من أشور، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر.» (إش ١١: ١٦)

+ وأيضاً: «وأنا الرب إلهك من أرض مصر حتى أسكنك الخيام كأيام التّؤميس.» (هو ١٢: ٩)

+ وأيضاً: «وأنا الرب إلهك من أرض مصر. وإلهاً سواي لست تعرف ولا مخلصٌ غيري.» (هو ١٣: ٤)

«لأنهم لم يثبتوا في عهدي»:

الكلام في ذلك كثير، والشهادة ضدّهم من كل نبي، ويكفينا كل ما قاله إرميا ضدّهم.

«وأنا أهملتهم يقول الرب»:

الفاعل «أهملتهم» جاء في الأصل العبري في صيغة الفعل «بَعَلَ» فيكون المعنى: «مع أنني كنتُ لهم ربّاً» أو «مع أنني كنتُ عريساً لهم». ولكن في الترجمة السريانية وفي اللغة العربية القديمة جداً جاء تفسير الفعل «بَعَلَ» بمعنى «وأنا أهملتهم» أو «وأنا لم أُسرّبهم» أو «وأنا ملّت نفسي منهم». وهذا يقرره العلماء مثل وستكوت<sup>(٢)</sup> أنه الأقرب إلى مجرى النص ومعناه.

ولو نحن عدنا إلى واقع إسرائيل من بعد نبوة إرميا هذه، فإننا نستطلع بالفعل أن الرب أهمل إسرائيل إهمالاً بيئناً بانناً، زاد وطال فانقطع الرجاء في أي إصلاح أو تغيير، حتى تم الموعد وأجلت إسرائيل عن مكانتها الخاصة ونُحيت عن أن تكون المتميِّزة بناموس خاص: «نخيف هو الوقوع في يدي الله الحي.» (عب ١٠: ٣١)

وهنا يأخذ قانون الوحي الإلهي مجراه الذي جاء على فم النبي.

اسمع:

+ «الربُّ معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يُوجد لكم، وإن تركتموه يترككم.»  
(٢ أي ١٥: ٢)

وهذا هو في الحقيقة روح العهد سواء كان قديماً على يدي موسى أو حديثاً حياً على دم المسيح، والعهد الذي يعمله الله مع الإنسان هو دائماً غير متكافئ من كافة الوجوه وفي كل البنود. لأن على كل حال وبالرغم من كل عجز وقصور، فالله دائماً هو الذي يعطي والإنسان هو الآخذ دائماً! فحتى لو أعطى الإنسان شيئاً مما له، فهو أصلاً ودائماً ليس له، بل هو لله ومنه، سواء صحة أو وقتاً أو مالاً أو عيالاً أو حقولاً أو بيوتاً فهذه كلها منه، فإذا أعطيت لله كُلاً أو جزءاً فهي منه وله: «من يدك أعطيتناك» (١ أي ٢٩: ١٤)، «الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مُباركاً.» (١ أي ٢١)

وبحسب ما سمعنا من فم المسيح، فهو لا يكافئ العطية بالعطية، بل لا يتنازل حتى يضاعفها لنا مائة مرة!! (مر ١٠: ٣٠)

إذاً، أصبح إهمال حق الله عندنا معناه لا محالة ضياع ما لنا، كل ما لنا، أرضاً ومالاً وعيالاً! إذاً فإهمال الله، إن لشعب إسرائيل أو لأبيّ منّا، معناه أننا أهملنا حقه بل أهملنا وده، وقطعنا الصلاة بل قطعنا الصلات، بل أكلنا الحقوق وقدمنا العقوق وخُتّمنا العهد.

كان الرب في القديم يؤدّب بضرب العصا، بالجوع والوبأ والسبي وحرق الديار. ولكن في المسيح يسوع، وفي عهد الحب والبر والمجد والتجديد، يعاقب المسيح بالروح. فقد يترك تملك الأموال بل البنوك، تملك رضا الناس بل ورضا الملوك، يجري العبيد في خدمتك، بل يلحس الأسياد التراب من تحت رجلك، تقول فيكون، والكل يقول نعم، وتغضب فتهتز عتبات الشركات والبنوك من غضبك؛ ولكن حينما ينتهي مُلكُ العالم لا تجد لك في مُلكِ الروح شيئاً، تنظر وراءك فلا تجد في كل ما ملكت مسرة؛ بل ندماً وحزناً وحسرة. إذاً، وإن كان سهلاً في أعيننا الآن أن نهمل

حق المسيح وروحه وتباعد وليس من يؤثنا، ونتجاهل وليس من يراجعنا، ونزدرى بالوَدِّ والمحبة وبصوت الدم المسفوك لأجلنا، فنحن إنما نكتب بأيدينا ونختم بأعمالنا فسخ عهدٍ كثراً فيه الراجح!

١٠:٨ «لأن هذا هو العهد الذي أعهدُهُ مع بيت إسرائيلَ بقَدِّ تلك الأيام، يقولُ الربُّ، أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا».

هنا يبدأ يعطي الصفات الإيجابية للعهد الجديد الموعود، الذي سبق فسّمَاه في الآية (٦:٨): «العهد الأعظم لمواعيد أفضل». ويختص في هذه الآية بروحانية هذا العهد.

كان ناموس موسى في القديم يرسو على مبادئ وقواعد تختص بالسلوك الجسدي الخارجي للإنسان، ولكنه هنا يوضّح أن العهد الجديد يدخل إلى الوعي القلبي والروحي للإنسان ليستقر في أعماق قلبه ويملأ فكره وتصوّره وحياته الداخلية.

كان الناموس القديم مكتوباً على ألواح حجرية، أما هذا الجديد الروحي فيُكتب على القلوب بحفر الروح ليكوّن شخصية الإنسان تجاه الله ويشحنه بشحنة الإيمان: «ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة مثلاً، مكتوبة لا بحجر بل بروح الله الحي لا في ألواح حجرية بل في ألواح قلب لحمية». (٢ كو ٣:٣)

وهكذا بهذا العهد الجديد يستبدى استعلان الله في ذاته وفي صفاته وفي حبه ورحمته وبرّه الشخصي للإنسان، وهذا هو روح العهد الجديد وجوهرة وسماته وعظمته التي لا تُحد.

«العهد الذي أعهدهُ مع بيت إسرائيل»:

الرب يظهر كصانع العهد وبانيه، يصنعه الآب الخاني الذي يعرف كيف يجمع أولاده في حضنه. فلما عجز إسرائيل عن أن يدرك مقاصد الرب من الناموس الأول، صمّم الله هنا أن يستعلن ليس مقاصده وحسب بل وذاته أيضاً. فجعل مفردات عهده الجديد هي مفردات ذاته وصفاته وحبه وبذله وكماله، حتى إذا انطبعت صورته البهية على قلب الإنسان وفكره، أعادت إليه صورته الأولى وجددت خلقته وصورته بشبه الله حقاً في القداسة والحق. وأهلته حياة البُنوة مع الابن الوحيد. فهو ليس عهد تهذيب وتعليم كالعهد الأول، بل عهد حب ومصالحة وقرّبي. عهد شركة في حياة بل في مجد. عهد تبني ومسرة وفرح واستعلان حتى إلى أعماق قلب الله:

+ « أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله، إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً ... وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات، يقول الرب القادر على كل شيء. » (٢ كو٦ : ١٦-١٨)

كان العهد الأول عهد قوانين وبنود، مَنْ يفعلها يجي بها، وَمَنْ لا يفعلها يموت تحت لعنتها. أما هذا العهد الجديد، فلم يصنعه بالكلمات ولا على بنود ووصايا تُعمل، أو لا تُعمل بل صنعه بدمه المسفوك، مَنْ يشربه يجي إلى الأبد ولا يموت، وَمَنْ لا يشربه لا يرى الحياة وعليه الموت يسود.

«أعهد» : διαθήσομαι

إن استخدام نفس الاسم «عهد» لاستخراج الفعل «يعهد» منه، هو محاولة لغوية بديعة للانحصار في معنى العهد أثناء صنعه، وكأن الرب يصنع العهد من نفسه من ذاته، من دمه: «وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين» (مر١٤ : ٢٤). هكذا صنعه من دمه، أسسه على جروحه !!

«بعد تلك الأيام» :

يقصد ما سبق أن نوّه عنه في الآية (٨) : «هوذا أيام تأتي يقول الرب»، والتي يقصد بها «الأيام الأخيرة» إنما في زمن إسرائيل - التي نوّه عليها في الآية الثانية من الأصحاح الأول بقوله : «كَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ فِي ابْنِهِ». أما هنا في قوله «بعد تلك الأيام»، فهو يقصد بعد أن تكمل أيام الآلام والصليب وتُستعلن النصر بقيامه الرب من الأموات ويتجلى العهد الجديد وهو يتقطر دماً من جروح الرب الحية والمضيئة.

«أجعل نواميسي في أذهانهم» : διδούς

إن وضع هذا الجزء من الآية لغوياً في اليونانية يفيد معنى بديعاً، وكأنه يقول إني سأصنع معهم عهداً «جاعلاً نواميسي في أذهانهم»، مما يفيد أن هنا عملية مبالغه مقصودة بين كيفية إعطاء الناموس الذي أعطيتهم سابقاً مكتوباً بحروف وكيفية إعطائهم الناموس الجديد «جاعلاً إياه في أذهانهم»، حتى أضمن أن لا ينسوه أو لا يتناسوه، فلا يحتاجون إلى ناموسيين كذبة ولا كتبة منافقين، ولا أن يتعالى أحد بعلمه ويعلمهم، أو يتدخّل بيني وبينهم وبين روعي وروحهم وفكري وفكرهم. يعرفونني ويفهمونني كما أريدُ لهم أن يعرفوا، وأن يفهموا الكبير كالصغير، لأنني أنا أضع بنفسني أقوالي في أذهانهم، وعلى قدر الذهن يكون الاستعلان والفهم. وهنا واضح غاية الوضوح تدخّل روح الله القدوس في عملية إعطاء العهد الجديد وتعليمه وتفهيمة وتخزينه في خزانة

قلوب أتقيائه. لا في لحظة إعطائه، كنا موسي الذي كُتِب في ساعة أو بعض الساعة ثم دفنوه في «تابوت» العهد، فنسوه وتناسوه حتى أنسي ذكره. ولكن الروح القدس سيظل يقرأه على أذهان أمثائه وأتقيائه كل ساعة وكل لحظة يوقظهم به من نوم الغفلة، ويصرخ في أذهانهم لحظة التجربة. يهتف بهم في يوم الحرب وساعة المحنة ويضيء عليهم في ليل الآلام مهما طال. يمنحهم نور المعرفة، ويحكّمهم في فهم مقاصد العلي، يشرح لهم أقواله ويفسّر لهم أعماق معاني كلماته. يهدي عقولهم إلى الحق ويبث في أفكارهم أسرارهم، ويجعل ألفاظه حلوة في أفواههم، ومسرّة لأسماعهم. يجذبه في عقولهم كل صباح ويسهر عليهم معلماً كل مساء!

«نواميسي»:

لم يقل «ناموسي» بل «نواميسي»، ليفرّق بين المحدود الزمني الضيق، والواسع الروحي المتسع المتناهي في اتساعه. فبخروجه من المفرد المنغلق على نفسه في ناموس موسى إلى الجمع الجامع كل ما في السموات والأرض، يوضّح مدى ما دخل به الرب الإله مع شعبه الجديد في عهده الجديد الذي لن يقصر عن أن يكتمل الإنسان بكل الكمال المسيحي الذي يُرضيه أمامه، والذي لن يني ولن يفتأ حتى يبلغ بالإنسان إلى كل ملء الله. فإن تجرأ أحد وقال «في غباوة» (٢ كو ١١: ١٧)، أنه «بحسب البر الذي في الناموس بلا لوم» (في ٣: ٦)، ففي العهد الجديد من ذا يقيس نواميس ذلك الذي جمع في نفسه كل ما في السموات وعلى الأرض، الذي بعد أن أكمل تطهير خطايا كل الأرض بدمه، صعد إلى أعلى السموات ليملاً الكل بملته الذي يملأ الكل في الكل؛ حتى أصبحت نواميسه التي كان لا يجزؤ فكر بشر أن يقترب إليها، تملأ أفكار البسطاء حتى الأطفال «وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال أحدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرّة أمامك.» (لو ١٠: ٢١)

«وأكتبها على قلوبهم»: ἐπι καρδίας αὐτῶν ἐπιγράψω

جاءت في اليونانية في المستقبل «سأكتبها» وذلك ليزيد المعنى تأكيداً.

رأينا في قوله: «أجعل نواميسي في أذهانهم» كيف يكشف الرب عن صلته وتسلّطه في عهده الجديد على فكر الإنسان، الفكر الواعي، المتحرّك والمتنقّل من ميدان إلى ميدان، باتساع كل مُدرّكات الإنسان، الذي هو إن لم يُقتاد القيادة الحكيمة ولم يُضبط بالانضباط القادر القوّم، صار كقارب تتقاذفه أمواج محيط العالم الذي لا يقرّ له قرار. ولكن شكرياً لله الذي صار قائماً قوّمياً على أفكارنا يطرح نواميسه عليها فتصير نواميسه أفكارنا: «أما نحن فلنا فكر المسيح»!! (١ كو ٢: ١٦)



ثم قوله: «أكتُبُها على قلوبهم»، فهذا يمكّن بالجانب الآخر والأشد تسلطاً على حركات الإنسان ومصيره وهو القلب مركز الشعور والأحاسيس والعواطف، بل والمسيطر على الأخلاق والصفات والسلوك.

هنا يزيد الرب من فعالية عهده الجديد في تكوين الإنسان، فإن كان الله «يوجد» في الفكر حتى يطبع الفكر بفكره عن صناعة وتعليم وترغيب، فهذا ليس فقط «يوجد»، بل وأيضاً «يكتب»، يكتب بإصبعه الإلهي الخلاق لينقش على القلب، لا كلماته بل حبه ولطفه وإيناسه ومشاعره الرقيقة جداً، كطبعة القلب على القلب وحديث القلب للقلب، هكذا كتب وهكذا عبّر وأحبّ وحدث، فأسر القلوب أسراً واستبَدَّ بمشاعرنا استبداداً، فأنتانا العالم والذات والأهل والصُّحْبَى، وما بقي إلا اسمه المعبود ووجهه ذو الجلال.

«وأكون لهم إلهاً»:

صحيح أن هذا هو القصد أصلاً ودائماً من العهد، القديم كالجديد (انظر تك ١٧: ٧)، أن يكون الرب وحده إلهاً. فهذا تحتم على شعب الناموس الأول أن ينفصل عن شعوب الأرض. فلكي يكون الرب إلهاً، فهذا معناه أن يكون الشعب شعبه خاصة. فالشعب لكي يكون شعب الله يتحتم أن يتقدّس له، أي يتخصّص لكي يصير الله له إلهاً خاصاً. وقد كان أن انفصل إسرائيل عن كل شعوب الأرض، ولكنه صنع ذلك اسماً وشكلاً فقط، وأكمل شكل انفصاله بعلامة «ختانة» في جسده وافتخر بها وتفاخر. ولكنه ما انفصل عن الشعوب عملاً وأخلاقاً وسلوكاً، فعبد آلهتها، وصنع نجاساتها، وتخلّق بأخلاقها، وسلك سلوكاً أردأ من سلوكها. فما نفعه الناموس شيئاً، ولا صار الله له إلهاً حانياً بل مؤنباً وموبخاً ومهدّداً: «طول النهار بسطت يديّ إلى شعب معاند ومُقاوم» (رو ١٠: ٢١)، حتى عافت نفسه قباحتهم وزناهم وعبّر عن منتهى غضبه بقوله على لسان النبي: «أين كتاب طلاق أمكم.» (إش ٥٠: ١)

أما أن يكون الله إلهاً خاصاً لشعب أو إنسان، سواء في القديم أو الجديد، فسيئان، أي أن يعبد حقا عبادة الحب الصادق من كل القلب والفكر والقدرة، فهذا معناه أن الله يُظهر قوته فيه، يحيطه من الداخل ومن الخارج بعنايته ورعايته. من الداخل يُشعُّ روحه بأسرار روحه، يملأ فكره قداسة وقلبه فهماً وحكمة، يُشعل فيه حرارة حبه، فينأى عن كل حب سواه ويمنحه نعمة التمييز، فيختار كل ما هو جيد ومجيد، ويحيد عن الشر والشرير فينجح في كل ما يسعى إليه ويبلغ أقصى مناه، فيرضى الله عن كل ما يأتيه. أما من الخارج: فعينه تكون عليه، يُخضع أعداءه تحت رجله، ينتهره له الطبيعة فيصونه من كل ضرر، السماء تؤاخيهِ والأرض تثمر له وتستجيب، الماء يحمله والهواء يطير

به، البعيد يصير قريباً والقريب يصادقه ويتذلل له، نهاره يصير نهارين، وليله ينجلي عن صبح بهيج، والزمن كله يصير طوعه وملك يديه. في كل طريقٍ تتبعه النعمة، وكل عمل يزيدك حكمة. يتكلم بأسرار الله، فتسمع له الآذان وتخضع له القلوب، يصير نوراً بين الناس ويضيء على أفكار البائسين.

وهكذا حينما يصبح الله إلهاً لشعب أو إنسان، فهو به يُستعلن وفيه يتمجد، وعلى هذا يتأسس العهد بين الله والناس. الله يعهده والإنسان يتعهد به وينعم.

«وهم يكونون لي شعباً»:

قالها لهم على فم موسى (خر ١٩: ٥) وتمثاها عليهم بفم كل نبي، تعهد أن يجعلهم فوق كل شعوب الأرض. إن هم سمعوا له وأطاعوه وساروا في الطرق التي أسسها لهم وتبعوه. فما سمعوا، وما أطاعوا، وما تبعوا، بل سدوا آذانهم وغلظوا رقابهم وارتدوا عنه، وأعطوه القفا دون الوجه. أغاظوه بأعمالهم وبعبادتهم الأوثان والشياطين، ونجسوا اسمه بزناهم فيما بينهم وبين النجسين. اتبعوا السحرة والأنبياء الكذبة والمضلين، فما صار اسم الله يليق عليهم ولا هم يليقون به، فباعهم كما باعوه، نقضوا عهده فنقضه عليهم، وها هوذا يضعه جديداً، ويطلب له شعباً جديداً.

شعب الله:

ومن هو شعب الله، إلا الذي كرس له الحياة، لا كأنه يمين على الله بحياته، بل هو يعطيه ما هو له، والله لا يأخذها منه ولا يُنقصها عليه، بل يقدها له ويزيدها غنى وثراءً، ويملاها فرحاً ونعيمياً وسروراً. شعب الله يحب الله، وهو لا يمين على الله بحبه، ولكنه إنما يرد على الحب بالحب، «لأنه هو أحبنا أولاً.» (١ يو ٤: ١٩)

أحبنا فحخلصنا، وأحبنا ففدانا، وأحبنا فنجسنا بجنسه وتبانا. فإن أحببناه كبنين، فلأنه هو غمرنا بحب أبوته فكيف لا نحبه؟ شعب الله يقده ذاته الله، وهو في ذلك لا يمين على الله بحفظه نفسه من دنس العالم، ولكنه إنما يوصلها به — أي بالله — ويفتحها عليه ويقربها إليه، ليسكب عليها من روحه القدوس، فيقدها له بالحق ويحفظها ويصونها من كل شر وندس، حتى يتمجد الله فيها ويُسعلن بقداسته وبره.

شعب الله مسراته وأفراحه وتسلياته كلها بالروح وليس بالجسد ولا للجسد، حتى ولو كانت بالجسد، لأن خارجاً عن مسرة الله وفرح الروح لا يطلب لنفسه مسرة، لئلا يستخدمها الجسد لإهانة روح الله، وإذ يعود يطلب الله لا يجده، وإن ناداه لا يسمعه، وإن توصل يسد أذنيه، لأنه يكون قد

كسر العهد .

شعب الله موضوع في العالم ليشهد لله ضد العالم ، فهو موضوع للحرب ولكنه لا يحارب بذاته ولذاته ، ولكن باسم إلهه . ولا يطلب منه الله إلا أن لا يهادن ولا يماليء ولا يرهب ، يقف عند الحق ولا يرتد ، يصمت والرب يحارب عنه . شعب الله لا يخاف الشدة ولا يضيق بالاضطهاد ، يُسرُّ بالجوع ويفرح بالعري ، لا يهاب الخطر ولا يخشى السيف ، فهذه كلها هي أدوات الشيطان التي أعطي لنا أن ندوسها فنتسلق عليها لنبلغ النصره الأخيرة ومعها المجد ، وفيها يتراءى لنا الله وهو يحملنا على ذراعيه كأعظم من منتصرين .

شعب الله الذي انفصل عن العالم الشرير بأجماده وملاهيه يكون قد تقدّس له ، فلا يعود يفصله عن قلب الله شيء لا موت ولا تهديد بالموت ، لا حياة بأباطيلها ولا بأجمادها ، لا ملائكة أشرار ، ولا رؤساء ملائكة أشرار لا قوات ظلمة ولا أعمال من قوات الظلمة ، لا أمور حاضرة مخيفة ولا أمور مستقبلية مرعبة ، لا علو كاذب ولا تعذيب حتى العمق ، حتى ولا مخلوق على الأرض بقادر أن يفصل شعب الله عن الله الذي أحب . هذا بمقتضى بنود عهد الله الجديد ، والله أمين في كل ما وعد ، وبقيت الأمانة دثناً في عتق الإنسان الذي أراد أن يكون شعبه لينعم بعهده .

١١ : ٨ « ولا يعلمون كلُّ واحدٍ قريته وكلُّ واحدٍ أخاهُ قائلاً : "أعرف الربَّ" ، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم » .

هنا الصفة الإيجابية الثانية والتي تتبع الأولى وتتعلّق بها ، هي أن يدخل الشعب في معرفة الله معرفة الصاحب للصاحب ، معرفة انكشاف واستعلان يَهَيئها الله من لَدُنْه كنعمة وكعطيّة أو هديّة مجانية كنوع من الامتياز ، يتناسب مع الله حينما يكون خاصاً لشعبه ومع شعبٍ حين يكون خاصاً لإلهه . فهي معرفة ذات بُعد سرّي ، يكمن في علاقته الخصوصية التي يربطهما بها العهد . فهو عهد انكشاف واستعلانٍ لأعماق ما في قلب الله من نحو إنسان كان أضناه البُعد وأشقاه الابتعاد واستعبده الظالم . مع أنه كان هو المحبوب الأثيل لقلب الله ، لولا أنه استهان بحبّه وكسر المودّة بتعديه على الوصية . والآن هوذا الله يطلبه وقد سعى إليه مصمّماً أن يفتح كل مكنونات قلبه له ويُعرفه أسرار حبه ، فلا يعود الجهل يضلُّه ولا الجاهل يغويه . لا ناموسي يستعبده بعلمه ولا كاتب يتعالى عليه بفهمه ، فهذا هو الناموس قد سجّله على ثنايا وعيه واستودعه أعماق ذهنه ، والكتب نقشها على صفحات قلبه مشروحة بالروح حتى قبل أن يقرأها . فلا وسيط يعلم ولا عالم يتوسّط . لقد صار الله للإنسان كالهواء الذي يتنفسه والنور الذي يملأ عينيه بل وكالحبز يأكله أكلاً وبالسر

يشره شرباً :

- + « مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. » (يو: ٦: ٥٧)
- + « أَنَا هُوَ نُورِ الْعَالَمِ. » (يو: ٨: ١٢)
- + « وَلَمَّا قَالَ هَذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. » (يو: ٢٠: ٢٢)
- + « أَفَيْزُ فَانْكَ فَاْمَلْهُ. » (مز: ٨١: ١٠)
- + « وَأَنَا اجْتَذِبْتُ لِي رُوحاً. » (مز: ١١٩: ١٣١ حسب السبعينية)
- + « وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مَتَعَلِّمِينَ مِنْ اللَّهِ. فَكُلُّ مَنْ سَمِعَ مِنَ الْآبِ وَتَعَلَّمَ يُقْبَلُ إِلَيَّ. » (يو: ٦: ٤٥)
- + « مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجاً. » (يو: ٦: ٣٧)
- + « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ. » (١ يو: ٢: ٢٠)
- + « فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ وَلَا حَاجَةٌ بِكُمْ إِلَى أَنْ يَعْلَمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تَعْلَمُكُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ حَقٌّ وَليست كذِباً. كَمَا عَلَّمْتُمْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ. » (١ يو: ٢: ٢٧)

« وَلَا يَعْلَمُونَ كُلَّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ وَكُلَّ وَاحِدٍ أَخَاهُ: » τὸν ἀδελφόν — τὸν πολίτην

« قَرِيبَهُ » هُنَا تُتْرَجَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَصْحَحِ « ابْنِ وَطْنِهِ أَوْ بَلَدِهِ ». وَهَكَذَا يَبْدَأُ مِنَ الْأَعْمِ إِلَى الْأَخْصَصِ، مِنْ ابْنِ الْوَطْنِ إِلَى الْأَخِ. وَالْمُرَادُ هُوَ الشَّمُولِيَّةُ. وَالْقَصْدُ الْعَمِيقُ مَبْدَعٌ حَقّاً وَهُوَ أَنْ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ لَنْ تَكُونَ وَقَفّاً عَلَى وَطْنٍ وَلَا حَتَّى عَلَى الْقُرْبَى، فَهِيَ تَعْمُّ الشُّعُوبَ قَاطِبَةً وَلَا تُحْجِزُ لِلْأَخْصَاءِ وَالْأَقْرَبَاءِ وَالْأَسْبَاطِ.

أَمَّا السُّؤَالُ الَّذِي يُلْحِقُ عَلَى الْفِكْرِ هُنَا: كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ فَالْإِجَابَةُ وَإِنْ جَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً فِي قَوْلِهِ: « لِأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ », فَهِيَ لَا تَزَالُ تَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنْ إِبْضَاحِ. وَالْحَقِيقَةُ الَّتِي يَتَحْتَمُّ عَلَيْنَا هُنَا إِظْهَارُهَا أَمَامَ الْقَارِئِ، هِيَ أَنَّ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ يُمْكِنُ تَلْخِيصُهُ مِنْ جِهَةِ مَنَهْجِهِ الْعِلْمِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ وَالتَّثْقِيفِيِّ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْاسْتِعْلَانُ. فَاللَّهُ يُعْلِنُ ذَاتَهُ، وَالْإِنْسَانُ يَسْتَعْلِنُهُ، بِقَدْرِ طَاقَةِ وَعِيهِ وَطَاقَةِ حُبِّهِ وَطَاقَةِ اسْتِيْقَافِهِ وَمَدَى شَهْوَةِ نَفْسِهِ فِي مَعْرِفَةِ أَعْمَاقِ قَلْبِ اللَّهِ. فَاللَّهُ اسْتَعْلَنَ نَفْسَهُ لِلْإِنْسَانِ اسْتِعْلَاناً كَامِلاً مَكْمَلاً، شَامِلاً مَطْلَقاً، أَبَدِيّاً، بِتَجَسُّدِ ابْنِهِ، وَمَا مَعْنَى أَنَّ الْلاهُوتَ اتَّحَدَ بِالنَّاسُوتِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُوَ الْاسْتِعْلَانُ الْكُلِّيُّ وَالْمَطْلُوقُ الشَّامِلُ! فَمَاذَا بَقِيَ فِي اللَّهِ وَعِنْدَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ اتَّحَدَ الْلاهُوتُ بِالْإِنْسَانِ؟ فِي شَخْصِ يَسُوعَ؟ وَصَارَ ابْنُ اللَّهِ ابْنَ الْإِنْسَانِ؟

- + «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر.» (يو: ١٨: ١٨)
- + «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو: ٣: ١٣)
- + «لأنني أغلنْتُكُمْ بكل ما سمعته من أبي.» (يو: ١٥: ١٥)

لقد صار الرب يسوع المسيح بتجسده استعلاناً كلياً لله الآب، فكلُّ مَنْ آمَنَ بالمسيح واعتمد وقَبِلَ الروح القدس فقد صار في عمق الشركة مع المسيح والآب، وصار المسيح فيه استعلاناً لكل ما للآب وعند الآب، وبالروح القدس يبلغ الاستعلان في الإنسان حتى أعماق الله (١ كو: ٢: ١٠).

فمَنْ ذا الذي يؤمن بالمسيح ويحبُّه ويعيش بالروح في شركة محبته ثم لا يستعلن الله في كل ما له؟

فالعهد الجديد ليس عهد تعليم نواميس وقوانين، بل هو عهد استعلان الآب والابن والروح القدس، أو هو استعلان الله في ذاته وجوهره وصفاته. الطفل الصغير ينطق بالثالوث في ثقة وثبات، ربما أثبت من عالم في اللاهوت، يناجي الآب ويقَدِّس اسمه ويدعو المسيح ويرسم صليبه، ويصلي بالروح القدس، وتُسمع صلواته. وهل تكون معرفة الله أقوى وأعظم من معرفته في ذاته وجوهره وصفاته والحديث معه فيسمع ويستجيب؟ المسيح نفسه أعلن ذلك: «وفي تلك الساعة تهلّل يسوع بالروح وقال: أحمدك أيها الآب ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك» (لو: ١٠: ٢١). وصار هذا عهدك الجديد مع الإنسان ...

١٢: ٨ «لأنني أكونُ صَفُوحاً عن آثامهم ولا أذكرُ خطاياهم وتعدّياتهم في ما بعدُ».

الصفة الثالثة والإيجابية للعهد الجديد وتتركّز في سرّ فعاليتها، وهي أنه متأسس على الصفح عن آثام الإنسان من ناحية الله وحده، وليس قائماً على ما يعمله الإنسان.

فهو مبني على عمل النعمة وليس على جهد الإنسان وجهاده: «لأن الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فييسوع المسيح صاراً.» (يو: ١٧: ١٧)

وبهذا يكون العهد الجديد قد أمّن الإنسان ضد العجز والقصور الذي أضناه.

ولكن ليس معنى هذا أن يَأْتُم الإنسان ما يَأْتُم الله يصفح، ويخطيء الإنسان ما شاء ويتعدى والله لا يتذكّر، بل يصفح لمن يطلب الصفح. والذي يطلب الصفح يطلبه عن تعهد بتوبة وعلى أساس العهد، لأن وراء الطلب قلباً يصرخ وضميراً يؤنب ودماً كريماً يسمع ويمسح!!

لا لأن الله يرانا نُخطيء ونتبجح ونتعدى وكأنه لا يرى ولا يذكر، أو كأنه نسي عدله أو تنازل عن قُدوسيته، حاشا، بل هو لا يتذكّر الخطايا إلا لمن اعترف وطرحها أمامه، وتعديات من استصرخه أن ينساها، فينساها، لأن صراخ دم ابنه يتعدى كل صراخ.

وباختصار فإن من احتسنى بالدم غُفِرَ له وعاش، ومن ازدري بالدم مات وهو في خطاياها.

«لأني أكون صفوحاً»: «ὅτι ἴλεως ἔσομαι»

في النص اليوناني تعجب «لأني أكون رحيماً». وهنا تأتي كلمة «رحيم» كما في مواضع كثيرة مثل (١ مل ٨: ٣٤، عد ١٤: ٢٠، إر ١: ٧) بمعنى «غفور». وبهذا نفهم ضمناً أن رحمة الله تشمل الغفران، والله يغفر الخطايا لأنه رحيم.

«عن آثامهم»: «ταῖς ἀδικίαις»

هنا وقفة ذكية، على القارئ أن ينتبه لها. فالوعد هنا يرمي إلى بعيد جداً، فهو يلغي ضمناً كل ما كان لطقوس ذبائح الإثم والخطية المتعددة. فما عجزت عنه كل الطقوس والذبائح، أعطاه الله بكلمة، سَدَّتْهَا ذبيحة ابنه كنعمة ورحمة حقيقية وتعطفات جزيلة تتناسب مع عجز الإنسان وضعفه وهوان طبيعته. نعم ما أرحمك يا رب، وما أرحم مواعيدك، وما أعظم عهدك الجديد هذا.

«ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد»:

لا ينبغي أن ننسى أبداً أن هذا هو أحد الشروط الجوهرية للعهد الجديد المكتوبة بالروح القدس، بيد الله، على صفحات كتابه المقدس، ممضأة ومختومة ومحفوظة في خزانة الزمن ووعي الإنسان، والتي طُبِّقَتْ حرفياً بل ودُمِغَتْ بدم ابن الله الوحيد، الذي استوفى كل ديون خطايانا يوم حَمَلَهَا على جسده الممزق على الصليب ونطق بها، وكانت آخر كلمة له هي التصديق على محضر القضية «قد أكمل» ومات! ... بل بالحري قام، ليعلن بدء تبرير العهد الجديد بدمه مسفوكاً ومشروباً. لقد عفا الخطية لا من وعي الإنسان وضميره وحسب، بل بالأحرى من فكر الله: «لا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد!».

أن يذكر الله خطية الإنسان، فهذا معناه دينونة الموت المحتم، ولكن «لا دينونة الآن على الذين

هم في المسيح يسوع» (رو١:٨)، السالكين حسب دم العهد وليس ناموس الجسد، تغتسل ضمائرهم بروح أزلي ويتقدمون أمام الله بلا لوم. لم يتعد الله يذكر خطاياهم بل يذكر صلواتهم: «... وهو تقى وخائف الله مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلي إلى الله في كل حين. فرأى ظاهراً في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله داخلاً إليه وقائلاً له يا كرنيليوس. فلما شخص إليه ودخله الخوف قال ماذا يا سيد. فقال له. صلواتك وصدقاتك صعدت تذكراً أمام الله.» (أع١٠: ٢-٤)

يا قارئ العزيز، انتبه أن الشروط والبنود التي وضعها الله كأساس للعهد الجديد تمس في الصميم ذاكرة الله فلم تعد قابلة أن تحمل صور ومناظر خطايانا وتعدياتنا، لقد انتزع الله لوحها الحساس من قلبه وعوضاً عنها يسمع ويسجل صلواتنا. والشرط المقابل من جانبنا أن نكون قد اغتسلنا بدم العهد وببضنا ثيابنا في دم الخروف وانطلقت صلواتنا تحمل ذبيحة حبنا: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويظفرنا من كل إثم.» (١يو١: ٩و٨)

ليس رغباً عن قداسة الله تُمحي خطايانا أولاً يذكرها الله متجاوزاً عدله، حاشا، ولكن عدل الله وقضائه قد استوفى حقوقه بموت ابنه على الصليب، فنحن لا نُبرأ مجاناً بل بشمن باهظ مدفوع سابقاً وهو رهن لكل من يتمسك به.

وعليتنا أن نذكر جيداً ما صنعه المسيح مع المرأة الخاطئة التي أمسكت في ذات الفعل، كيف افتضح الناموس لا المرأة، حينما لم يجد الناموس من يُنفذ حكمه عليها بالرجم لأنه لم يوجد في إسرائيل من كان بلا خطية فسقط حق الناموس في تنفيذ حكم الموت، وانبرى المسيح بقداسته وبره وظهره ليرفع عنها دينونة الموت التي نص عليها الناموس، فبكلمة غفر لها وأطلقها حرة لأنه كان هو أولاً بلا خطية وثانياً كان يسند كلمته دم صليبه الذي اعتبر أنه هو قضاء حكم الموت الذي سيجوزه من أجلها. فهو في الحقيقة برأها وأدان نفسه بل وحمل كل دينونة كل إنسان يقع بين يديه كهذه التي وقعت.

١٣:٨ «فإذ قال جيداً عتق الأول. وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضحلال.»

هنا يضيف بولس الرسول مزيداً من النقد لم يذكره إرميا النبي بضم الله فيما يخص العهد القديم، ولكنه عن صحة وتأکید. فإن قال الوحي إن الله سيقم مع إسرائيل عهداً جديداً، فهذا

يعني حتماً أن الأول حُبس في مفهوم القَدَم، ولأن العهد الأول كان يختص بالزمن والجسديات، فكل ما هو زمني إن قَدِمَ يكون قد شاخ والشيخوخة تعني الاضمحلال. وفي هذا الوصف يكون العهد الجديد قد أخذ تفوقاً جديداً على العهد القديم كونه جديداً بمفهوم اللازمي، فهو أبدي، وما هو أبدي لا يشيخ ولا يتغير، فهو عهد ثابت ثبوت الله الذي أعطاه وأمضاه.

من هذا نفهم أن العهد الجديد هو عهد الكمال والتكميل غير قابل للتغيير وإنما ممتدٌ نحو الكمال.

لذلك نسمع هذه الكلمة في الآية (٨: ٨): «يقول الرب: حين أُكْتَل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً»، حيث الكامل يحل محل الناقص ويلغي نقصانه. ولهذا وبكل عظمة قال المسيح كلمته الأخيرة على الصليب: «قد أكمل وأحنى رأسه وأسلم الروح» (يو ١٩: ٣٠). إذ تمَّ بموت المسيح على الصليب تكميل العهد الجديد بسفك دم ابن الله كَفَّارة أبدية لأجل كل الخطاة الذين يؤمنون، وبالتالي افتتاح عهد المصالحة مع الله والتبني وميراث الحياة الأبدية.



## ثانياً: الأصحاح التاسع

### الخدمة القديمة والخدمة الجديدة كفارة المسيح في مقابل كفارة الناموس

- أ — (١٠:٩-١٠): ذكُر أجزاء الخيمة القديمة في أسلوب احترامي ووقار مقصود مع محتوياتها والامتيازات المحدودة لخدمة الكهنوت القديم.
- ١ — الخيمة، أجزاؤها، محتوياتها: (١-٥)
  - ٢ — خدمة الكهنوت داخل الخيمة: (٦ و٧)
  - ٣ — القصد من محدودية الخدمة الضيقة: (٨-١٠)
- ب — (١١:٩-٢٨): يضع في مقابل ذلك كفارة المسيح، كرئيس كهنة أعظم، المؤسسة على العهد الجديد، والتي سوف يستعلن المزيد من مجدها.

أ - ذِكرُ أجزاء الخيمة القديمة ومحتوياتها (\*)  
والامتيازات المحددة لخدمة الكهنوت القديم

[ ١٠ - ١ : ٩ ]

وهذا القسم من الأصحاح ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - الخيمة وأجزاؤها ومحتوياتها: (١-٥).

٢ - خدمة الكهنوت داخل الخيمة: (٦ و٧).

٣ - القصد من محدودية الخدمة الضيقة: (٨-١٠).

١ - الخيمة وأجزاؤها ومحتوياتها (١-٥):

لكي يدخل بولس الرسول في شرح خدمة كهنوت المسيح كرئيس كهنة أعظم، عاد إلى الوراء ليكشف خدمة اللاويين مبتدئاً من خيمة الاجتماع، مُلقياً عليها نظرة تقوية بحسب ما عيّنه الناموس. وواضح أنه تحاشى ذكر الهيكل كبناء انتهى إليه مكان العبادة بحكم الانتقال من حياة البدو الرُحّل في سيناء إلى حياة المدينة أورشليم ومتطلبات ذلك.

وبالرغم من أن بولس الرسول ابتداءً بكشف نقائص العهد القديم في الخدمة، إلا أنه توقّف لحظة لكي يلقي نظرة على جلال العبادة القديمة من وجهة نظر قديمة كروية المثيل للمثيل، وذلك قبل أن يعقد المقارنة الصارخة بين جلال الظلال على الأرض، وبين جلال مجد الحقيقة في السماء، وعظمة المسيح الجالس على يمين عرش الله في السموات، وما أسّسه من عبادة مجيدة.

وحينما قصد بولس الرسول أن يتوقّف كثيراً عند كنوز الماضي المقدّسة في وقتها، فذلك لكي يلقي نظرة إشفاق حزينة من وجهة نظر مسيحية على تراث قديم، بقصد أن يرتفع بالقارىء أو السامع من ناموس كان له جلاله وجماله إلى ما يفوقه آلاف المرات، ليدرك ما في العهد الجديد من أعماق حقيقية.

١:٩ «ثم العهد الأوّل كان له أيضاً قرائنٌ خدّمة، والقدّس العالمي».

هنا يدخل بولس الرسول في الموضوع ليصف ما في العهد الأول، لا كناقذ ولا كناقض، وإنما

(\*) انظر النوحات مقابل صفحة ٥٢٠ وما بعدها.

من وجهة نظر واقعية يراها كما كان يراها اليهودي في أوانها باعتبارها من تدبير الله آنثوذ.

ولكننا، ومن ثنايا الكلمات، نلمح أنه إنما يضع هذا كمقدمة لِمَا سينتقل إليه من الوضع في القديم إلى الوضع في الجديد، وذلك من قوله «أيضاً»، بمعنى أنه إن كان العهد الجديد قد تأسس الآن بنظامه الهائل وعلى أسسه الأبديّة المتفوقة، إلا أنه كان «أيضاً» هناك في العهد الأول ما يشابه هذا. وبولس الرسول يفاجيء القارىء في الآية (١١) لِيُظْهِرَ المسيح مرة واحدة باعتبارها النموذج الأوحد والأعظم لكل هذه التدبيرات والخدمات في واقعها الإلهي الآن، هكذا: «وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن (الخيمة) الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أي الذي ليس من هذه الخليقة ...».

هنا تتضح المقارنة أنها مدروسة ومقصودة، فهي تجمع بين المسكن والخدمة في القديم وبين مثيله في الجديد، حيث يطير بالجديد، ويحلّق فوق الخليقة كلها، ويبثّ الكمال الأبدي والخيرات العتيدة التي لا تُحد.

«القدس العالمي»: ἅγιον κοσμικόν

هذا تعبير مُبدع عن مكان الخدمة أي خيمة الاجتماع، حيث هي مقدّسة أو قدس لأن الله كان يحلّ فيها. ولكن إعطائها صفة العالمي يفيد مباشرة محيط أو دائرة خدمة موسى وهارون، أي العالم، لتفريقها عن الأصل الذي يمثله وهو القدس السمائي.

وكونه يذكر القدس بالمفرد، فهو مجرد تحديد لعمله وليس تحديداً لشكله أو تركيبه، كما أن وصفه «بالعالمي» يمتد إلى نفس الخدمة القائمة فيه بل والخدام القائمين عليه، وهذا يقابل ما جاء عن المسيح في الآية (٢٤): «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد (عالمي) أشباه الحقيقة (مادية) بل إلى السماء عينها ...». كذلك تأتي في مقابل ما جاء في أصحاب (٨: ٢٥١) عن المسيح رئيس الكهنة: «هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي الذي نَصَبَهُ الرب لا إنسان».

وبولس الرسول هنا يكاد يَصوّر واقع خدمة موسى وهارون بأكملها أنها ليس فقط أرضية، في مقابل خدمة المسيح السمائية، ولكنها أيضاً خدمة تختص بالعالم الزائل، فكانت بالضرورة تحت حكم التغيّر والزوال.

ولم يخف كبار العلماء والربيين، ومنهم يوسيفوس المؤرخ الشهير وفيلو العلامة اليهودي

المتصوِّف المرموق، من التصريح بوضوح بأن خدمة الهيكل إنما هي محصورة في المظاهر العالمية<sup>(١)</sup> *της κοσμικῆς θρησκείας κατάρχοντες* «إنهم يحتفلون بالعبادة العالمية».

٢ : ٩ «لأنه نُصِبَ المسكنُ،: "الأول" الذي يُقال له القدس الذي كان فيه المنازةُ والمائدةُ وخبزُ التَّقْدِيةِ».

هنا يلزم وضع فاصلة توقُّف بعد كلمة «المسكن» ثم نقطتين، لأن كلمة «الأول» تعود على أحد جزئي المسكن.

فالمسكن أي خيمة الاجتماع يشمل مسكنين أي خيمتين: الأول يُقال له القدس وهو هنا يبدأ شرحه. وبعد ذلك في الآية القادمة (٣) المسكن الثاني الذي يُقال له قدس الأقداس.

وحتى يكونَ القارىء فكرة مبسطة وصحيحة عن محتويات المسكن الأول المدعو القدس نوضِّح له الآتي:

في البداية كانت خيمة الاجتماع ذات حوش أمامي هو أول ما يواجه الداخل إلى المسكن الأول، وبين المسكن الأول والثاني المدعو قدس الأقداس كانت الستارة الكثيفة، التي تسمى الحجاب لأنها تحجب مسكن الله أي قدس الأقداس عن المسكن الأول المدعو القدس.

وكان موقع القدس، أي المسكن الأول، في الناحية الغربية التي ينتهي عندها الحوش، ثم بعد القدس أيضاً من الجهة الغربية يقع قدس الأقداس.

### محتويات القدس (المسكن الأول):

المنازة: أهم قطعة فيه هي المنازة، وكان موقعها في الناحية الجنوبية أي القبليّة من المسكن الأول. وكانت مصنوعة من الذهب الخالص ولها ثلاثة أفرع تخرج من العمود الأوسط في ناحية، وفي الناحية المقابلة لها أيضاً ثلاثة أفرع. وبذلك يكون لها سبعة أعمدة أي أفرع، وكل فرع ينتهي بما يشبه الزهرة، وفي وسطها يوضع الفتيل الغارق في الزيت. فحينما تشتعل الأفرع السبعة، كانت المنازة ذات سبع شعلات حسب الرسم (خر ٢٥ : ٣١-٤٠، ٣٧ : ١٧-٢٤). علماً بأن هذا الشكل المبسّط قد تعقّد على ممر الدهور ولكن ظلّت السبع الشُعَب أساسية.



المائدة: وعليها خبز الوجوه. وتقع في الاتجاه الشمالي للمسكن الأول، وكانت تُصنع من خشب الأوكاسيا أي السنط البلدي، وتُصمَّعُ بصفائح من الذهب الخالص. وكان عليها أطباق وملاعق وكؤوس وقصع كلها من الذهب (خر ٢٥: ٢٣-٣٠، ٣٧: ١٠-١٦).

ويوضع عليها رَصَّة من اثنتي عشرة من خبز الوجوه كل يوم سبت، الذي كان يسمى بالعبرية لِحْمُ هَبَّانِيم: *Lehem hapanim*. والرَصَّة التي تُرْفَعُ من على المائدة بعد وضع الخبز الجديد يأكلها الكهنة فقط في القدس. وعمرُّ على الإنسان غير الكاهن أن يأكل منها لأنها قُدُس (لا ٢٤: ٩، مر ٢: ٢٥ و٢٦).

مذبح البخور: ولم يذكره بولس الرسول هنا، وقد اختلفت الأسباب والتفسيرات، حيث يُقدَّم البخور تعبيراً عن شكر الخليقة كلها<sup>(٢)</sup>.

٣: ٩ «ووراءَ الحجابِ الثانيِ المُسَكَّنِ الذي يُقالُ له قُدُسُ الأقداسِ».

هنا قدس الأقداس، المسكن الثاني. ويقع في الطرف الغربي للقدس أي المسكن الأول. ويغطيه حجاب أي ستارة كثيفة من التيل المنسوج، البعض يقول إنها من طبقتين متتاليتين — أي مِجْجُور — بينهما مسافة قليلة، والبعض يقول من طبقة واحدة. وهذه تعتبر الحجاب الثاني، لأن الحجاب الأول يفصل الحوش عن المسكن الأول (خر ٢٦: ٣١-٣٣، ٣٦: ٣٥ و٣٦).

وبعد الحجاب الثاني يبدو قدس الأقداس مربع الشكل. وقوله «قدس الأقداس» يفيد المكان الأكثر قداسة جداً.

٤: ٩ «فيه مِبْخَرَةٌ من ذَهَبٍ، وتابوتُ العهدِ مُغشًى من كلِّ جهةٍ بالذَّهَبِ، الذي فيه قِسْطٌ من ذهبٍ فيه التَّمَنُّ وعَصَا هَارُونَ التي أفرَّختْ ولَوَّحَا العَهْدِ».

هنا ذُكِرَ مبخرة من ذهب، حَيَّرَ المفسرين، لأنه معروف أن مذبح البخور يكون في القدس أي في المسكن الأول.

فبعضهم يقول إنها مجرد مبخرة أي «شورية» كان يستخدمها هارون يوم الكفارة ووُضِعَتْ

تذكراً لذلك في قدس الأقداس بعد ذلك، كأنها من مذخرات الماضي مثل التابوت رِعاء هارون، والبعض يقول لا بل مذبج البخور بعينه؛ وهذا يخالف ما جاء في التوراة<sup>(٣)</sup>.

ويقول العلامة فيلسو، ويُعتمد عليه كثيراً في ذلك، أن مذبج البخور كان موضعه بين المنارة ومائدة خبز الوجوه داخل القدس<sup>(٤)</sup>.

أما تابوت العهد فيُعتبر أنه أهم محتويات قدس الأقداس، سواء في خيمة الاجتماع الأولى أو حتى في هيكل سليمان فيما بعد. ولكن للأسف لم يُسمع عنه شيء بعد سنة ٥٨٧ ق.م. عندما حطّم الكلدانيون الهيكل. أما بعد السبي فلم يكن في قدس الأقداس أية محتويات بل كان فارغاً. وهذا ما حققه بومبي عندما اقتحم الهيكل بدافع رغبته في اكتشاف ما بداخله، فلم يجد شيئاً، وذلك سنة ٦٣ ق.م.

ويقرر يوسيفوس المؤرخ أنهم وضعوا عوض التابوت قطعة حجر ودعوا اسمها «حجر الأساس»<sup>(٥)</sup>.

أما التابوت في زمانه فكان مصنوعاً من خشب السنط ومصقلاً بالذهب، وكان يسمى «تابوت العهد» أو «تابوت الشهادة» (خر ٢٥: ٢٢ إلخ). لأن العهد كان محفوراً على اللوحين من الحجر اللذين كانا بداخل التابوت (خر ٢٥: ١٦ و ٢١)، كما وضعهما موسى في حوريب. كما كان في داخل قدس الأقداس في ذلك العهد عصا هارون التي أزهرت وأثمرت لوزاً، كعلامة من الله ضد الذين تذرروا على هارون أنه مختار من الله ليحمل رئاسة الكهنوت لبني إسرائيل. كذلك وعاء المن وبه ملء عُجِيرٍ من المن (عُشْر قفة). ويُقال أن العصا ووعاء المن وُضِعَا في التابوت أيضاً. كما يذكرها بولس باعتبارهما ضمن التابوت.

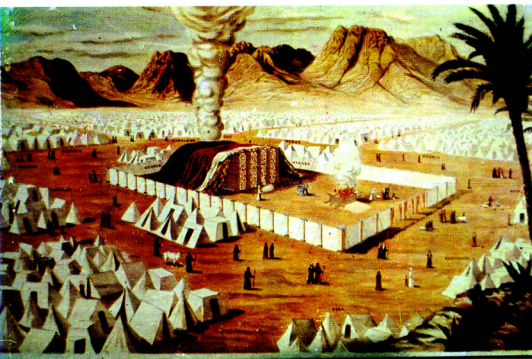
٥ : ٩ «وفوقه كاروبا المجد مُظَلَّلِينَ الغطاء، أشياء ليس لنا الآن أن نتكلّم عنها بالتفصيل».

وفوق تابوت العهد كان يوجد تمثالان للكاروبيم، والكاروبيم هو الذي نطقه الآن الشاروبيم. وهذه الكلمة هي بالجمع لذلك فالمتنى منها «كاروبان». ويصفهما بولس الرسول

3. Bruce, *op. cit.*, pp. 184f.

4. Josephus, *Antiquities*, III, 147.

5. Idem, *Wars*, i, 152f; *Antiquities*, XIV, 71f.

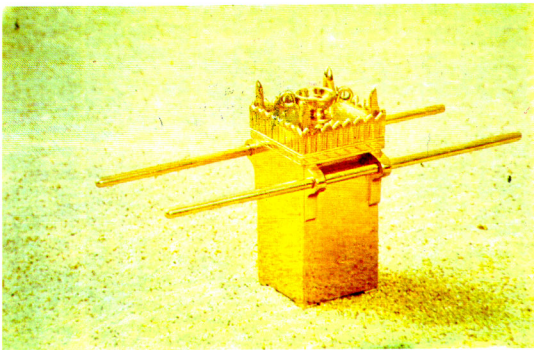


خيمة الاجتماع وحولها الشعب



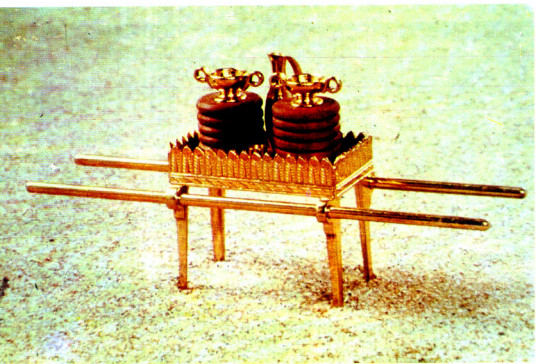
المنارة الذهبية





٧٣٥٤

مذبح البخور



مائدة خبز الوجوه

هنا أنهما كاروبا المجد وليس كاروبين ممجدين. وذلك بقصد تحديد وظيفتهما وهي أنهما يخدمان مجد الله، أي يستعلنان مجد الله. والمعروف بحسب التوراة أن الرب كان يُظهر مجده فيما بينهما (خر ٢٥: ٢٢، عد ٧: ٨٩)، ويوصف الرب دائماً أنه الجالس فوق الشاروبيم (١ صم ٤: ٤).

والمجد في العبرية يعني باختصار «مكان حضرة الرب» = «شاكيناه» shekhinah، وتعني حضرة الرب المضيئة الساكن وسط شعبه بالمجد: «الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد...» (رو ٤: ٩)

ويبدو أن الشاروبيم بصورته وأجنحته كان يمثل العاصفة التي يترأى الرب فوقها. ولكن يُعتقد أنه يمثل قوات الخليفة بسبب تعدد صور وجوهه.

وبحسب فيلو الفيلسوف والعلامة المتصوّف اليهودي<sup>(٦)</sup>، فإن الكاروبين يمثلان قوة الله المزدوجة: الملك في ذاته، والخالق للكون.

والكاروبان يعبران - والله في وسطهما - عن الله الراكب على السموات: «ركب على الشاروبيم وطار، طار على أجنحة الرياح<sup>(٧)</sup> (أجنحة الشاروبيم)». (مز ١٨: ١٠، تث ٢٦: ٣٣)

ويصف النبي حزقيال الكاروبين بأنهما يحملان المركبة الحاملة لعرش الله غير المربوطة بالهيكل الأرضي، ولكنها حرة تطير وتتحرك أينما يشاء (ابن سيراح ٤٩: ٨).

أما لماذا لم يُحسب من ضمن الصور والتماثيل المحرّم صنعها في التوراة، فيُقال لأنهما ليس لهما مثل في السماء ولا على الأرض ولا تحت الأرض (خر ٢٠: ٤، تث ٥: ٨) وهذا مخرج ذكي.

### غطاء التابوت:

باليونانية ἱλαστήριον، وبالعبرية kapporeth. والكلمة العبرية تعني أكثر من غطاء، فهي أي «كابوريت» مأخوذة من الفعل «كَبَرَّ» = kipper وتعني: «يكفر». وواضح من الطقوس أيضاً أن له علاقة كبيرة بطقس يوم الكفارة (لا ٢: ١٦ الخ)، حين ينضح رئيس الكهنة على الغطاء وأمامه في حضرة الرب من دم ذبيحة

6. Philo, *Life of Moses* ii, 99 (Questions and Answers on Exod. no. 62).

(٧) «الصانع ملائكة رياحاً.» (عب ١: ٧)

الكفارة، فيكفّر عن خطاياهم وخطايا الشعب. لذلك فالغطاء محسوب أنه موضع الشفاعة. ويراه بولس الرسول من واقع شرحه السابق في الآية (١٦: ٤) أنه المقابل «لعرش النعمة» في السماء: «فلنتقدّم بثقة (بسبب دم المسيح الذي علينا) إلى عرش النعمة (المقابل لغطاء التابوت) لكي ننال رحمة ἔλεος ونجد نعمة عوناً في حينه».

ويلاحظ أن «الغطاء» الذي له مكانة خاصة في العبادة وخاصة يوم الكفارة، في وضعه وهو يغطّي التابوت، له معنى عميق للغاية، فهو يتوسّط بين ألواح العهد المكتوب وهي الوصايا، وبين الله الواقف بين الكارولين، وكأنه يشهد على الشعب ويدين، كما يتقبّل الدم للغفران. وكلمة «الغطاء» توحى وكأنها تغطية على خطايا.

كما يلاحظ في قول بولس الرسول أن هذه أشياء ليس لنا الآن أن نتكلّم عنها بالتفصيل، أنه يعني أن لها بالفعل شرحاً وتوضيحاً وتأويلاً كان معروفاً لديه، ولكنه أمسك عن شرحه لعدم أهميتها بالنسبة لما هو يفحصه للوصول إلى المسيح الذي به يكملّ الشرح والتوضيح.

ويلاحظ أيضاً أن بولس الرسول اكتفى هنا بالمسكنين فقط، الأول القدس والثاني قدس الأقداس، دون الالتفات كثيراً إلى محتوياتهما، لأن القصد هو التركيز على قدس الأقداس لخدمة رئيس الكهنة التي منها سينطلق ليوضّح خدمة المسيح التي غطّت خدمة الكهنة في القدس كل يوم وخدمة رئيس الكهنة في قدس الأقداس كل سنة.

## ٢ - خدمة الكهنوت داخل الخيمة (٧: ٩ و١٠):

٦: ٩ «ثمّ إذ صارت هذه مهَيَّأَةً هكذا يدخلُ الكهنةُ إلى المَسْكَنِ الأوَّلِ كلِّ حينٍ صانعينَ الخدمَةَ».

يبدأ شرح الخدمة هنا بالمسكن الأول أي القدس، حيث يدخل الكهنة ليؤدّوا خدماتهم بصورة دورية ودائمة يومياً صباحاً ومساءً: يُصلحون المنارة، يضعون الزيت، يُشذّبون أشرطتها التي تحترق وتتفسّخ من الزيت ليّزيد نورها ولمعانها (خر ٢٧: ٢٠)، يحرقون البخور على مذبح البخور (خر ٣٠: ٧) الذي كان يعني أنهم يقدّمون صلاة الشكر والتسبيح باسم الخليفة كلها لله.

ونحن نتذكّر أنه يوم جاءت القرعة على زكريا أبي يوحنا المعمدان ليدخل القدس ويختر البخور (لوا: ١: ٩)، كيف تعمّوق داخل المسكن الأول لأن الملاك ظهر له على يمين مذبح البخور وأخبره

ببشارة ميلاد يوحنا. وطبعاً كانت الستارة مُشدلة والشعب في الخارج يتعجب من تعوق الكاهن زكريا أكثر من المعتاد. ولما خرج خارجاً صامتاً دون أن يكتمل كلام التسييح والشكر والصلاة كالمعتاد، علموا أنه رأى رؤيا. وهذه كانت آخر تجليات الله داخل الهيكل القديم.

كذلك كان الكهنة يدخلون يوم السبت ومعهم الاثنا عشر رغيفاً من الخبز الجديد الساخن يضعونه على مائدة خبز الوجوه، ويرفعون الخبز القديم، ولا يخرجون حتى يأكلوه (لا ٢٤٤: ٥ الخ).

على أنه كان محظوراً على الشعب أن يدخل القدس أو يؤدي أي عمل فيه، إذ كان ذلك قاصراً على الكهنة فقط، الذين كانوا يُعتبرون وسطاء بين الشعب والله. وكان هذا يحسبه بولس الرسول حظراً مفروضاً من الروح القدس على قدس الأقداس أي على رؤية الله، لأن مجرد وجود القدس الأول بالحجاب أمامه هو تعبير عن استحالة التقدم إلى الله مباشرة لا للشعب ولا حتى للكهنة!!

بل وبنظرة أكثر شمولية، يكون وجود الخيمة كلها بأحجبتها وحواجزها هو تعبير عن حرمان الإنسان من الترائي أمام الله مباشرة. بل وربما كان وجودها هذا يحرك مشاعر قلب الإنسان بثقل خطاياها التي حرمته من الوجود في حضرة الله (إش ٥٩: ٢)، كما يسمع عن أبيه آدم أو قديسيه الأوائل كإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى الذين كانوا يدخلون إلى الله ويتراءون أمامه ويسمعون صوته ويتقبلون إرشاداته وإحساناته وتعزياته، أدناً لقم، دون خيمة أو حجاب.

٧:٩ «وأما إلى الثاني، فرئيس الكهنة فقط مرةً في السنة، ليس بلا دم يُقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب».

هنا رمز حقيقي لحضرة الله المخفية عن الإنسان فيما قبل المسيح.

هنا صراخ إشعياء النبي حينما برّح به الهيام لرؤية الله وعجيبته: «حقاً أنت إلهٌ مُحْتَجَّبٌ يا إله إسرائيل المخلص؛ ليتك تشقُّ السموات وتنزل!!» (إش ٤٥: ١٥، ١: ٦٤)

كذلك في سفر المزامير: «يا رب طأطأ سمواتك وانزل والمس الجبال فتدخن؛ يا راعي إسرائيل اصغ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكارويم أشرق، قدام أفرام وبنيامين ومنسى، أيقظ جبروتك وهلم لخلاصنا. يا الله أرجعنا وأيزر بوجهك فنخلص.» (مز ١٤٤: ٥، ١: ٨٠-٣)

كان رئيس الكهنة يدخل مرةً كل سنة وذلك في يوم الكفارة، اليوم العاشر من الشهر السابع

«تشري»، الذي يقع في الاعتدال الخريفي، وفي الحقيقة وحسب النص القديم مرتين (لا ١٦٦):  
 (١٥ و ١٢) وبحسب الطقس التقليدي المتأخر (المِشْتَاه «يومًا» joma -- 701, 6,4) يدخل أربع  
 مرات. وعلى أي حال، ومهما كان عدد المرات، فالواضح جداً أن هناك محدودية شديدة وشحاً  
 كثيراً في السماح للدخول لواحد فقط عن ملايين الشعب، وحتى هذا لا يُسمح له بالدخول إلا  
 بالحصول على حياة آخرة، أي الذبائح التي تُذبح ويدخل بدمها حيث النفس في الدم  
 (لا ١٧: ١١).

هذا كله إشارة قوية بليغة حراء ناصعة الحمرة، فالحياة المقصودة أصلاً هي حياة ابن الله، والدم  
 دم الابن الوحيد، الواحد الوحيد الذي هو وحده الوسيط المعين منذ الأزل بين الله والإنسان حاملاً  
 الاثنين في نفسه !!

وحيثما ينضح الكاهن بالدم على غطاء التابوت = كرسي الرحمة، داخل الحجاب، يُحتسب أنه  
 قدّم الذبيحة كلها (لا ١٥: ٥). في المرّة الأولى يقدم دم ذبيحة نفسه (لا ١٦: ١١ و ١٤)، وفي الثانية  
 دم ذبيحة جهالات الشعب (لا ١٦: ١٥).

«جهالات الشعب»: τοῦ λαοῦ ἀγνοημάτων

جهالات الشعب وليس خطاياها الإرادية، فإن دم حيوانات لا يغفر خطايا العمد بل الجهالات،  
 وهي أخطاء عدم المعرفة بأصول التعامل مع الناموس. أما أخطاء المعرفة والإرادة فليس لها ذبيحة  
 ولا غفران ولا أية شفاعة، بل الموت المحتّم، مهما كان: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين  
 أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة» (عب ١٠: ٢٨، راجع تث ١٩: ١٥). و«بدون رافة» أي بدون  
 تخفيف عقوبة أو إعادة نظر أو حتى استعمال الرحمة في طريقة الموت !!

٣ - القصد من محدودية الخدمة الضيقة (٩: ٨ - ١٠):

٨: ٩ «مُعَلِّناً الرُّوحَ الْقُدُسَ بهذا أن طريقَ الأقداس لم يُظْهَرْ بَعْدُ قَا دَامَ الْمَسْكَنُ الْأَوَّلُ  
 له إقامة».

بولس الرسول هنا لا يتكلّم من نفسه ولا من تأملاته، بل يلتجئ مباشرة إلى الوحي الإلهي  
 الذي أملى هذه الأوصاف على موسى من جهة المسكن الأول، بمعنى خيمة الاجتماع كلها في  
 طقس موسى. فنفس زوج الوحي، وهو الروح القدس بطبيعة الحال، يعبر بذلك أن هناك عوائق  
 قائمة ستدوم بين الإنسان والحضرة الإلهية المكشوفة، طالما خيمة الاجتماع هذه قائمة؛ بل ويلتجئ

بولس الرسول أيضاً إلى نفس تعديلات وتدقيقات الطقس، كيف أن واحداً فقط عن كل الشعب ومرّة واحدة في السنة، وبشرط سَفْكِ دم سابق، يُصْرَح له بالدخول أمام الله إلى لحظات، ويخرج بعدها مباشرة. فإن هذا الطقس ذاته ينطق بأن هناك صعوبات جمة في الاقتراب من الله.

ومن هذا كله يستبين لبولس الرسول أن الروح القدس الذي أوصى بهذا التدبير كله — أي خيمة الاجتماع بكل طقوسها — إنما يعلن صراحة بأنه طالما أن هذا المسكن قائم فيسظل طريق الأقداس العليا — حيث الله قائم بالحق — مغلقاً على الإنسان شكلاً وموضوعاً. أو بمعنى آخر أن خيمة الاجتماع بكل طقوسها وناموسها ستظل قائمة إلى أن يأتي المسيح ويستعلن الله في أقداسه العليا، وحينئذ يتحتم أن تنتهي الخدمة الأرضية بانتهاء زمانها. لأنه طالما أن الظل موجود، فالحقيقة تكون غائبة، فإذا استعلن الحق والنور غابت الظلال. أما قيمة الظل فهي هامة لأنه يعلن عن حق محتجب، يتحتم ترفُّبه، بل يستلزم طلبه، كما كان يفعل الأنبياء القديسون بالروح.

٩ : ٩ «الذي هو رمزٌ للوقتِ الحاضرِ الذي فيه تُقدَّمُ قربانٌ وذبائحٌ لا يمكنُ من جهةِ الضميرِ أن تكمَّلَ الذي يخدمُ».

وما هو هذا الذي يُحتسب في نظر بولس الرسول أنه رمز للوقت الحاضر؟ وما هو هذا الوقت الحاضر؟ ليس الرمز جزءاً من الطقس أو الناموس أو الخيمة، بل كل الكهنوت اللاوي بكل ما يتعلّق به من طقوس وخيمة وذبائح وفرائض هو «الرمز». هذا «الرمز» يوافق ويتمشى مع «الوقت الحاضر» الذي يصفه بولس الرسول بأنه الوقت الذي فيه تُقدَّمُ قربانٌ وذبائح حيوانية لا يمكن من جهة الضمير أن تكمّل الذي يخدم. «فالوقت الحاضر» يلزم أن نفرِّقه عن زمن المسيح الذي كان قد تحقّق بالفعل أيام ق. بولس وكتابة هذه الرسالة.

وفي عرف ق. بولس، فإن هذا الطقس اللاوي بناموسه وفرائضه سيستمر في الوقت الحاضر ولو شكلاً وفي وضعه المحدود إلى أن يكمل زمن تغيير كل شيء وُستعلن كمال البشارة بالإنجيل.

ولكن الذي يلزم التأكيد عليه أن هذا النظام اللاوي بأجمعه ليس رمزاً لزمن اكتمال البشارة بالإنجيل أو المسيح المُستعلن في موته وقيامته وصعوده إلى السماء. لأن النظام اللاوي بطقسه وناموسه محسوب أنه صورة (τύπος) وليس رمزاً، إنه تمهيد، وليس خيالاً أو تصوّراً.

ويلزم أن نفرِّق بين الرمز παραβολή الذي هو تصوّرٌ ذهني خيالي فكري، وبين التيب τύπος الذي هو واقع ملموس يشير إلى الأصل وإلى الكمال الذي يمثله.

فالطقس اللاوي الذي يؤمن بالذبائح الحيوانية وحسب، مجرد الطقس فقط بكل مضمونه الشكلي الحرفي، هو الرمز للوقت الحاضر.

ولكن الطقس اللاوي، بمضمونه وإلهاماته وجلاله، هو تمهيد وصورة واقعية تشير إلى الكمال المسيحي الذي تهدف إليه والتي أخذت عنه تشبيهاها، وهي موضوعاً أصلاً لتشير إليه وتنتهي عنده.

ولهذا يلزم جداً أن نفهم أن «الرمز» هو وضع نظري لا يمكن أن يكتمل شيئاً. كما نقول إن رجال البحرية يضعون رمزاً على صدورهم وهو «الهللب». فهل كل مَنْ وضع الهلب صار من البحرية أو بحاراً؟

في المقابل يكون أن كل مَنْ يأخذ طابع τύπος أيه في المهنة، كان يتعلم التجارة، فهو سيكون نجاراً يوماً ما. فالطابع يشير إلى واقع مستقبلي حقيقي كامل، ولكن الرمز لا يفيد شيئاً بالمرّة إلا الكبرياء الكاذب.

والآن يقصر بولس الرسول وضع «الرمز» بالنسبة لطقس لاوي على اليهود الذين يعيشون «الوقت الحاضر» في أيامه، إذ يقول إنهم أخذوه رمزاً وليس كأنه سيوصل إلى حقيقة يوماً ما، فأصبح تقديمهم الحيوانات كذبائح وقرابين عديم الفاعلية في ضمائرهم، وبالتالي يستحيل أن يكتملهم أو يؤثر فيهم، مع أن هذا الطقس اللاوي بكهنته وفرائضه موضوعاً أصلاً لا ليصبح مجرد رمز بل لكي يمهّد إلى بلوغ الكمال في المسيح.. وأعظم برهان على أنهم أخذوا الناموس والوصايا والكهنوت بفرائضه على أنه مجرد رمز، أنهم رفضوا المسيح لما جاء، مع أنه هو الحقيقة التي يتحتم أن ينتهي إليها الناموس والكهنوت بكل طقوسه. فالمسيح لا يمكن أن يساوي رمزاً، وهذا حق!! ولكن يصفه جزئياً، كأن نقول إن المسيح نور.

فلو كانوا قد عاشوا في الناموس ومارسوا الكهنوت على أنه الصورة الممهّدة للأصل أي الحقيقة السماوية، أي أنه τύπος للأرشييتيوس ἀρχέτυπος، وكانوا صادقين في تعاملهم مع الناموس والكهنوت بفرائضه، لكانوا قد استقبلوا المسيح بحرارة باعتباره الكمال الذي ينشدونه، كسمعان الشيخ أو حنة النبيّة. وهذا ما صنعه الرسل في أورشليم وكثير من الرؤساء والفريسيين والكتبة وحتى الكهنة الذين قبلوا المسيح وآمنوا به: «فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء...» (يو: ١٥: ٤٥)، فكان ردُّ المسيح عموماً كالآتي: «هوذا إسرائيليٌّ حقاً لا عُشٌّ فيه.» (يو: ١٥: ٤٧)



«لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم»:

كلمة «الضمير» *συνειδησις* استخدمها ق. بولس كثيراً، ربما لأول مرة في العهد الجديد، وكانت معروفة في أيامه. فقد اعتبر فيلو اليهودي الفيلسوف المتصوف بأنها القوة النفسية التي تفحص وتحكم في السلوك، وهي مقامة داخل النفس بمثابة القاضي. وأصبحت تُستخدم الآن على مدى واسع باعتبارها الحكم الشخصي غير المتحيز في الأمور المتعلقة بالإنسان.

ولو نظرنا إلى الطقوس الكهنوتية في العهد القديم الخاصة بيوم الكفارة وارتباط الغفران بذبح الذبائح، فإننا نجد أن هذا الطقس كان يقوم على درجتين أو عمليتين أساسيتين: الأول الاعتراف بالخطية للكاهن وعلى رأس الحيوان، وهو ما يشمل في مضمونه الرغبة في التوبة؛ ثم ذبح الذبائح والدخول بدمها إلى قدس الأقداس أي إلى حضرة الله. فإذا فصلنا هذين العمليتين، يكون القسم الثاني منها بلا أية قيمة. وهذا ما حدا بكثير من الأنبياء وخاصة داود أن يستنكر ذبح الذبائح وحدها كوسيلة لاسترضاء الله. كما فشل رجال القُمران الرهبان المتعبدون المتطهرون أن يكتفوا بالتوبة فقط والاعتراف كوسيلة للاقتراب من الله دون ذبائح هيكلية. كل هذا يوضح لنا عظمة هذا الطقس في وضعه بذرة الخلاص القادم، بالمسيح، القائم على الاعتراف بالخطية والتوبة وعلى أساس الفداء الذي أكمله المسيح بدمه.

فالآن إذا عدنا لليهود في أيامهم وهم مبتعدون عن الله بقلوبهم، نجد أنهم كانوا يعتبرون الكفارة والكهنوت وطقوسه ويهتمون به من ناحية تقديم الذبائح فقط، مما حدا ببولس الرسول أن يعتبرهم أنهم أخذوا الكهنوت بطقوسه وذبائحه على أنه مجرد رجز، وهذا بحد ذاته يستحيل أن يكتمل الذي قدمه، لأن ضميره غائب إذ لا توبة ولا اعتراف ولا تقرب إلى الله بحسب الفريضة والوصية. والأخطر من ذلك جداً أنهم كانوا قد اكتفوا بهذا الوضع الرمزي كحياة رسمية للعبادة، مما جرفهم بعيداً جداً عن واقع الناموس والكهنوت والذبائح التي كانت في الأصل تهدف بقوة إلى الإشارة نحو الآتي، نحو المسيح الذي سيكمل الكهنوت بحياته الأبدية والذبيحة بنفسه القدوس وجسده الأقدس.

وكان المأمول بالتالي، لو كان وعي بني إسرائيل قد تدرج بحسب قصد الله وتعليم الأنبياء للانفتاح نحو الحق، أن يستقبلوا المسيح من جهة الكهنوت كارتقاء من لاوي إلى ملكي صادق، من سبط لاوي الأقل إلى سبط يهوذا الملكي والأعظم، من هارون إلى مسيّا النبي المثل لموسى حسب الوعد، من كاهن أرضي إلى كاهن سمائي يبقى إلى الأبد، من كاهن يموت إلى كاهن لا يموت ويبقى ملكاً على كرسيه إلى الأبد حسب جميع النبوات! ثم أن يتقبلوا الذبيحة على الصليب

كانتقال رائع من دم حيوانات تموت وتنتن إلى دم إلهي حي لابن الله، من روح ترابي في دم الحيوانات إلى روح أزي في دم ابن الله قادر أن يُطَهِّرَ الضمير والروح وكل الكيان البشري.

١٠ : ٩ «وهي قائمةٌ بأطعمةٍ وأشربةٍ وغَسَلاتٍ مختلفةٍ وفرائضٍ جسديةٍ فقط موضوعيةٍ إلى وقتِ الإصلاحِ».

لم يكن هذا عيباً في الناموس أن يتبدى مع الإنسان، كما يتبدى الأب والأم في تعليم الطفل كيف يعتني بجسده أكلاً وشرباً ونظافةً ومواعيدَ ليقظته ونومه ولعبه مع تحذيرات جسدية من المخالفة بالضرب بالعصا، إذ هكذا بدأ الناموس. وربما لا يعرف الصبي متى تنتهي التعليمات والتحذيرات والضربات بالعصا، ولكن الأب يعلم ذلك تماماً. فإن استعذب الطفل اللعب واستغرق في أعمال الطفولة، ونأى عن التدرُّج في تقبُّل التعليمات لنقلة جديدة، بقي طفلاً وعَجَزَ عن أن يبلغ قامة الرجال.

هكذا وقف إسرائيل بعد ألفي سنة من التعليم عاجزاً عن أن يرتفع إلى القامة الروحية، وبقي مستغرقاً في تهذيبات طفولة سيناء وضبوة فلسطين، محبوساً في طقوسه التي وُضِعَتْ إلى أن يبلغ زمن الإصلاح. فلما بلغ زمن الإصلاح والصلاح عجز عن أن ينسلخ مما للطفولة من عجز ونقص معيب، فهل غسل الجسد يغسل الخطية؟ أم ذبح المَعزَى يرفع ثقل الضمير؟ أم ختانة الجسد تنقي القلب وتقدِّس الروح؟

+ «لأنك لا تُسرَّبُ بذبيحةٍ وإلا فكنتُ أقدِّمها، بحرقه لا تَرْضَى. ذبائح الله هي روح منكسرة.» (مز ٥١ : ١٦ و١٧)

+ «بذبيحة وتقدمة لم تُسرَّ، أذنيّ فتحت، مُحرقه وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذٍ قلتُ هأنذا جنُّ، بدرج الكتاب مكتوب عني، أن أفعل مشيتك يا إلهي سُرتُ...» (مز ٤٠ : ٦-٨)

+ «لا على ذبائحك أو بؤخك، فإن محرقاتك هي دائماً قدامي ... هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيسوس؟ ادَّبَحْ لله هدأً واؤفِ العلي نذكرك، واذعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجِّدني.» (مز ٥٠ : ٨ و١٣ و١٤)

+ «لماذا لي كثرة ذبائحكم، يقول الرب، اتَّخَمْتُ من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيسوس ما أُسرُّ. حينما تأتون لتظهروا أمامي، مَنْ طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا ذوري؟ لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهة لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل، لست أطيع الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم

بَغَضَتْهَا نَفْسِي، صَارَتْ عَلَيَّ يُقْلًا، مَلَلْتُ حَمَلَهَا. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتَرُ عَيْنِي عَنْكُمْ وَإِنْ كَثُرْتُمْ الصَّلَاةَ لَا أَسْمَعُ. أَيْدِيَكُمْ مَلَاةٌ دَمًا. اغْتَسَلُوا، تَنَقَّؤْا، اعْزَلُوا شَرَّ أَعْمَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنِي، كَفُّوا عَنِ فِعْلِ الشَّرِّ، تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ، أَطْلَبُوا الْحَقَّ، انصَفُوا الْمَظْلُومَ، اقضُوا لِلْيَتِيمِ، حَامُوا عَنِ الْأَرْمَلَةِ. « (إش ١١ : ١٧-١٧) »

+ «... ضَمُّوا مَحْرَقَاتِكُمْ إِلَى ذَبَائِحِكُمْ وَكُلُّوا لَحْمًا، لِأَنِّي لَمْ أَكَلَمْ آبَاءَكُمْ وَلَا أُوصِيْتَهُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ مَحْرَقَةٍ وَذَبِيحَةٍ. بَلْ إِنَّمَا أُوصِيْتَهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ قَائِلًا اسْمَعُوا صَوْتِي فَأَكُونَ لَكُمْ لِهَأُ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا...» (إر ٢١ : ٢٣)

+ «إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مَحْرَقَاتٍ.» (هو ٦ : ٦)

### «وقت الإصلاح» : καιροῦ διορθώσεως

لأول مرة في كل كتابات العهد الجديد تأتي كلمة «إصلاح» διορθώσεως (أ) وكانت تُستخدم لدى الآباء اليونان المتأخرين بمعنى إصلاح reformation من جهة قوانين الدولة ومؤسساتها، وكانت تُستخدم في العهد القديم بمعنى إصلاح الطرق (إر ٧ : ٣٥). وهي تتعلق بالفكر أكثر من العمل بمعنى جعل الفكر مستقيماً وثابتاً. وقد جاء معناها في سفر الأعمال (أع ٢١ : ٢٤) إنما بشكل لغوي آخر ἀποκαταστάσεως لتفيد معنى رد كل شيء أو إصلاح أو استعادة الأصل أو الفاقد. والكلمة الأخرى المرادفة لها تماماً هي ما جاءت في مت ١٩ : ٢٨ بمعنى التجديد παλιγγενεσία. وهذان المرادفان يُخَصَّنَ زَمَنَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ الثَّانِي.

ولكن لأن «وقت الإصلاح» كما جاء هنا بدون تعريف «بأل» τοῦ، يكون غير محدد المعالم ولا يفيد أكثر من التغيير المرتقب. وهذا نحسّه ونفهمه ونستعلنه بوضوح من الناموس نفسه، فهو فعلاً موضوع لزمان وليس للأبد، وإنه واضح الشكل في قبول التغيير. وهذا أعلنه المسيح بقوة ووضوح باهر في قوله: «قد سمعتم أنه قيل للقديما ... وأما أنا فأقول لكم ...» (مت ٥ : ٢١ و٢٧)، وأعطى وصايا جديدة تماماً قوية وروحانية للغاية، فضح فيها الوصايا الأولى وقصورها ومحدوديتها الزمنية والتصاقها بالجسد والمستوى الضعيف للإنسان، مثل: «... قيل للقديما لا تقتل ... وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بِاطِّلاَ يُكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ ... وقيل للقديما لا تزني وأما أنا فأقول لكم إن كل مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَسْتَهْيِهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (مت ٥ : ٢٧ و٢٧). وهكذا.

وبنظرة ثاقبة نرى عدم نفع تلك الوصايا والفرائض الجسدية، إذ ما معنى وما لزومية غسل الجسد مرات ومرات، وغسل كل شيء، في علاقة الإنسان بالله والضمير؟ وما قيمة تحديد أكل هذا وعدم أكل ذلك في علاقة الإنسان الروحية بالله؟ فكل هذه الوصايا لم تكن تخرج عن كونها تتعلق بصحة الإنسان وليس بعلاقة روحه بالله. إذأ يصبح السؤال ملحقاً: وماذا بعد هذه الوصايا الجسدية، كيف يتطهر القلب والضمير؟ وكيف ومن ذا القادر أن يصلح الخصومة القائمة بين الجسد والروح، الإنسان والله، الخطيئة والقداسة، القصور البشري والكمال الإلهي، الموت والحياة، شقاء الإنسان والسعادة الأبدية؟؟

فإن بقي الإنسان تحت الوصايا الجسدية والتطهيرات والأعمال المظهرية التي يعملها بالجسد وكأنها تُرضي الله أو هي العبادة الصحيحة، فإنه يعيش في ذهنية عبادة مظهرية بعيدة كل البعد عن واقع الله والحياة الأبدية وحاجة روح الإنسان المتعطش للحق الإلهي.

## ب - كَفَّارَةُ الْمَسِيحِ كَرْتِيسِ كَهَنَةِ أَعْظَمِ، الْمَوْسَسَةُ عَلَى الْعَهْدِ الْجَدِيدِ

[ ٢٨ - ١١ : ٩ ]

١١:٩ «وَأَمَّا الْمَسِيحُ وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخِيَرَاتِ الْعَنِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْمَلِ غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدِ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلْقَةِ».

«وَأَمَّا الْمَسِيحُ»: Χριστός δέ :

هذا هو المقابل. فدخل رئيس الكهنة اللاوي مراراً كثيرة متكرراً للأقداس الأرضية بدم ذبائح حيوانية، يقابله دخول المسيح مرة واحدة إلى الأقداس الحقيقية في السموات، إلى الحضرة الحقيقية الكليّة لله، بدم نفسه، حيث حصل على غفران دائم وأبدي وليس لسنة واحدة تتجدد. لهذا كان من الطبيعي أن يمتد هذا الأثر الدائم إلى مضمون وغاية النظام كله من خيرات أرضية إلى خيرات عتيده محققة، أي تم الحصول عليها ولم تعد نبوات أو أحلاماً أو تمنيات.

«المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة»:

«قد جاء»: παραγενόμενος تأتي باللغة اليونانية ليس بمعنى المجيء العادي بحسب ترتيب سابق والتي تكتب γένόμενος (= قد جاء أو قد صار)، ولكن بمعنى أنه جعل ظهوره "يُحَسِّسُ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنْ عَالَمٍ آخَرَ لِيَتَمَّ جَانِباً مِنْ مَهَامِهِ الْعَظْمَى عَلَى الْأَرْضِ" (٩). وقد استُخدمت هذه الكلمة بالذات في توضيح كيفية مجيء يوحنا المعمدان: «وفي تلك الأيام جاء παραγίνεται يوحنا المعمدان يركز في برية اليهودية» (مت ٣: ١). واضح هنا أن «مجيء» يوحنا المعمدان كان غير مترقب، ولم يكن عن ترتيب سابق أو يوجد من سبقه، كما أنه جاء في زمان ومكان محدد وظهر ظهوراً للعيان. وهذا هو القصد من تركيب هذه الكلمة الخاصة παραγενόμενος.

كذلك تأتي بمعنى "المجيء" الذي لا يُنتظر مضمونه أو سببه بسهولة: «أَتظنون أني جئت παραγενόμενη لأعطي سلاماً على الأرض.» (لوقا ١٢: ٥١)

«رئيس كهنة للخيرات العتيدة»: μελλόντων αγαθῶν

يُلاحظ أن كلمة «العتيدة» هنا تأتي في بعض المخطوطات γενομένων (أي التي صارت أو جاءت) وهي نفس كلمة «جاء» παραγενόμενος بدون παρα. فهي خيرات عتيدة جاءت وصارت بحجته. فكلمة «العتيدة» تعني «المنتظرة وقد جاءت». وهي بعينها عهد السعادة التي نحن فيها مقيمون!! والجملة هنا تفيد مدى سمو رئاسة كهنوت المسيح، فهي رئاسة غير متوارثة ظهرت دون ترُقُب، ظهرت ومعها خيراتنا الأبدية وإسعاد البشرية، حاضرة حضور الرب ذاته، فهي خيراتنا النابعة منه والمتأتية بظهوره وعمله وصلاحه! فرئاسة كهنوت المسيح يتضمن عملها واهتماماتها بركات أبدية وسعادة لا تعود تُطلب بل هي كائنة فيه ومعه، ولا يعود يتمناها أحد فهي يملك من يُقِيل إليه ويؤمن به.

عندما أكمل رئيس الكهنة الأعظم الرب يسوع المسيح مهمة رئاسة كهنوته التي «جاء» ليكملها على الأرض وفي السماء، أي تقديم ذبيحة الكفارة العظمى بسفك دمه على الصليب، وموته وصعوده بجسده وجروحه عليه ودمه فيه، ودخوله إلى حضرة الله في الأقداس العليا وترائيته بنا وهو مذبوح أمام أبيه، عندئذ اكتملت كل الشروط الموضوعية منذ أن أخطأ آدم في الفردوس وتوارثت كل الأجيال من بعده طبيعة الخطية ومعها الموت واللعنة. لقد حمل الرب يسوع خطايا الإنسان كل الإنسان، واحتمل اللعنة على الصليب ومات فكُملت العقوبة بالكامل، أكملتها البشرية بجدارة في شخص ابنه يسوع المسيح المتجسد من لحمنا ودمنا. وقام الرب بجسده وقد أُلغى الخطية منه وأمات الموت بموته فأحيا الإنسان فيه جديداً وأحضره أمام أبيه بلا لوم.

إذاً، فقد تحققت كل الخيرات العتيدة فيه كرئيس كهنة مؤتمن على كل خيرات الله الأبدية. إذاً، فليس الناموس وحده الذي تركناه وراء ظهورنا، بل أيضاً العالم نفسه صُلب لي وأنا له: «لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة (ذات الخيرات العتيدة).» (عب ١٣: ١٤)

فحينما نقول إن «الخيرات العتيدة» قد تحققت لنا في شخص يسوع المسيح الذي جلبها لنا بكفارته كرئيس كهنة للخيرات العتيدة، فهذا معناه أننا قد ورثناها بالفعل وهي في سجل نصيبنا المحفوظ لنا في السموات لا يتدنس ولا يضمحل. فنحن إذ حققنا نصيبنا في المسيح على المستوى السماوي، لا نعود نتمناه ولا نعود نحلم به، بل نعيشه من الآن لأننا أبناء، وبالتالي فنحن ورثة، ورثة مع المسيح لله.

١٢ و ١١ : ٩ «... فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي الذي ليس من هذه الخليقة.

وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه ...».

«فبالمسكن الأعظم والأكمل»:

والآن ها هو يتحقق جلال الكاهن الأعظم «رئيس كهنة للخيرات العتيدة».

فالخيرات العتيدة أن تكون، قد جاءت وتحققت، وتشير إليها وتؤكدها أوصاف خدمته. إذأ خدمته ليست على الأرض كهارون وكهنته اللاويين، وأول أمجادها هو نوع المسكن الذي يخدم فيه: «فبالمسكن الأعظم والأكمل» *μεϊζονος και τελειοτερας σκηνης*.

هنا يتحتم على الفكر أن يذكر ما قاله الرب لموسى عندما أعطاه أن يصنع المسكن الأول أي الأرضي، فقد كان على شبه *τύπος* المثال السماوي، الأعظم والأكمل، النموذجي، الذي ليس من هذه الخليقة.

والآن دخل المسيح كرئيس كهنة للخيرات العتيدة إلى هذا المسكن الأكمل والأعظم السماوي الذي ليس من هذه الخليقة ولا هو من صنع يد.

وواضح أنه هو الأكمل بالنسبة للأنقص الذي أنشئ على الأرض بيد الإنسان، والأعظم لأنه ليس من هذه الخليقة. ولكن ما هو هذا الميكل الأعظم والأكمل؟ لقد اتفق جميع الآباء القديسين الأوائل بلا استثناء أنه هو جسده!! ولكن أليس في هذا القول تجن على «التجسد» أنه ليس من هذه الخليقة؟ وهذا يحد ذاته جحد لبشريته وصدق تجسده! هذا الأمر شغل بال الآباء والمفسرين ربما دون الوصول إلى الحل الصحيح!

هنا يتحتم علينا الحذر أشد الحذر فالتفسير شاق.

نبدأ أولاً لنسأل، ماذا كانت وظيفة خيمة الاجتماع، وهي المسكن الأول على الأرض، والتي كانت الشبه والظل للأصل والحق؟ ألم تكن ليجتمع الله مع شعبه؟ فهي مكان حضرة الله بين الناس. ثم ما هو الاسم الذي تحدّد للمسيح منذ الأزل؟ أليس عمانوئيل؟ ثم إن كان الأمر كذلك، فبالضرورة لابد أن تكون هذه الخيمة والرب حاضر وحالاً فيها هي الواسطة الوحيدة وقتها للوصول إلى الله؟ إذأ، فحتماً يكون الأصل والمثال السماوي الأول الذي عُملت خيمة الاجتماع على مثاله هو بالأولى والأكثر تأكيداً هذه الخيمة أو المسكن السماوي - وهو الأصل والحق

والأرشي تايب — أي مكان اجتماع الله مع الإنسان وواسطة الوصول إليه، بمعنى أنها هي بعينها حضرة الله وبنفس الوقت تقدّم طريقاً للوصول إليه. إذأ، يتحتمّ أن تكون روحية حقيقية أبدية كما سبق أن وصفها في الأصحاح ٢: ٨: «للاقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان». وهذا يفرض علينا بالأساس أن نلغي كل التحديدات المكانية والزمانية إطلاقاً، فلا تكون هي في السماء الأولى ولا الثالثة ولا حتى في أعلى السموات، ولكنها يتحتمّ أن تكون أعلى من السموات، لا مكاناً بل قدراً وسمواً وجلالاً.

إذأ، يلزم أن نبحث عن المثل الذي يحقّق حضرة حقيقية لله وطريقاً إليه وأن يكون أبدياً، خيمة ليست من صنع ولا تصوّر إنسان ولا حتى في أقصى حدود الخليقة، ولكن يتحتمّ أن يتلاقى فيها الله مع الإنسان. أي لا بد أنها تتنازل في مجدها لتسع الإنسان في تواضعه بالضرورة.

والآن عودة إلى المسيح لتسمع منه الحقيقة قوية وناصعة.

فمن جهة جسده والهيكل السماوي الذي نبحت عنه الذي يكون هو البديل للهيكل الأرضي ويكون مصنوعاً بغير يد يقول الرب حينما سأله:

+ «آية آية تريننا حتى تفعل هذا؟ (تطهير الهيكل) أجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمهُ. فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمهُ؟ وأقاً هو فكان يقول عن هيكل جسده.» (يو: ٢١-١٨)

+ «نحن سمعناه يقول إنني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيادي.» (مر: ١٤: ٥٨)

أما الإشكال الذي ألمحنا إليه من نحو كيف أن التجسّد نحسبه ليس من هذه الخليقة إن اعتبرنا أن الجسد هو الهيكل الجديد غير المصنوع بيديّ أبديّ؛ فنرى أن الحلّ قائم جاهز. فالجسد الذي أخذه ابن الله هو حقاً من هذه الخليقة، غير أن الجسد ليس مجرد جسد بل إن اللاهوت متحد به اتحاداً كاملاً شاملاً بغير انفصال ولا تغيير. ثم إن الجسد ظلّ من هذه الخليقة حتى الصليب والقبر، ولكن بالقيامة صار الجسد خليفة جديدة، بل وصار قابلاً أن يتحد بالإنسان ليحوّله إلى خليفة جديدة أيضاً. بهذا أصبح جسد المسيح بالقيامة من الأموات وفيه اللاهوت كاملاً مستعلنأ حاضراً حضوراً ثابتاً أبدياً، وهو بأن واحد جسد محسوب خليفة جديدة، أصبح هو بعينه الحضرة الإلهية كاملة مُستعلنّة، وفي نفس الوقت يجمع كل من يؤمن به، كل إنسان يعتمد ويتحد فيه ليتحوّل إلى نفس الخليقة الجديدة وذلك إلى مالانهاية. فأتسع جسد المسيح لقبول الإنسان الجديد الذي صار هو



أيضاً خليقة جديدة هو مطلق بإطلاق اللاهوت الذي له . فأصبح جسد المسيح هو الحضرة الإلهية التي يجتمع فيها الله والإنسان معاً اجتماعاً ثابتاً دائماً أبدياً : «الذي تفسيره الله معنا.» (مت ١: ٢٣)

من هذا نرى أن جسد المسيح المُقام قد تحققت فيه كل مؤهلات المسكن الجديد السماوي الأعظم والأكمل، غير المصنوع بيد، لأنه قام بإرادته وحده بمجده ومجد أبيه، وهو ليس من هذه الخليقة (القديمة) في شيء، فصار هو رأس الكنيسة، والكنيسة فيه هي جسده ونحن أعضاؤه.

ولكن يعترض الآباء في شرحهم على أن تكون الأقداس العليا هي جسده أي الكنيسة، إشكال آخر تركوه دون حل. وهو كيف أن المسيح وهو رئيس كهنة أعظم للخيرات العتيدة يدخل إلى الأقداس السماوية، وهو نفسه المسكن الحقيقي أي الأقداس السماوية عينها؟

هنا أيضاً يلزمنا أن ندرك أن الهيكل السمائي أي الأقداس العليا تشمل بالأساس الحضرة الأبوية، هذا محسوب أنه جوهر المفهوم الفدائي وأساس قبول الكفارة. فالمسيح لم يدخل إلى نفسه بل دخل إلى الآب حاملاً ذبيحة نفسه. بمعنى أن الهيكل السماوي يشمل الآب بكل ضرورة وبقين، وهذا نسعه واضحاً من سفر الرؤيا:

+ «ثم بعد هذا نظرتُ وإذا قد انفتح هيكل خيمة الشهادة في السماء...» ،

«وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها» ،

«وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا "مسكن الله" مع الناس، وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم...» ،

«ولم أر فيها هيكلًا لأن الرب الله القادر على كل شيء "هو والخروف هيكلها".» (رؤ ١٥: ٥؛ ٢١: ٢؛ ٢٢ و ٢٣)

١٢: ٩ «وليسَ بدمِ تيويس وعجولٍ، بل بدمِ نفسه، دخل مرةً واحدةً إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.» .

لقد أدركنا في الآية السابقة كيف صار لنا بالمسيح مسكنٌ أعظم وأكمل في السموات، ليختفي المسكن الأرضي الذي يُقام باليد ويُطوى بالزمن. وهنا يحكي القديس بولس عن كيف صار لنا بالمسيح ذبيحة أعظم وأكمل صعد بها، فإذا هي ليست من هذه الخليقة؛ لتختفي ذبائح الحيوانات،

ودخل بدم ذبيحته مرّة واحدة إلى الأقداس العليا لتنتهي مئاة الذبائح لمئاة السنين، فوجد لنا فداءً أديباً عوض تطهيرات جسدية زائلة لا تقوى على إراحة الضمير.

والنتيجة أن انشقّ الحجاب الفاصل بين الله في قدس الأقداس وبين القدس، إذ صار كل الداخلين إلى الله كهنة بل وملوكاً معه. فلا مسكن مقفل، ولا حواجز تفصل، ولا أحجبة تحجب، ولا لاويون يخدمون، ولا ذبائح تُذبح، بل مسيح واحد هو الذبيحة الواحدة، وهو رئيس الكهنة الأعظم، والكل له كهنة وفيه بيت واحد في السموات هو بيتنا، بل هو هو نحن (عب ٣: ٦) إن ثبتنا في الإيمان غير مترعزين، وأب واحد يمسخ الدموع، والموت لا يكون بعد!! (رؤ ٢١: ٤):

- + «وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلى اثنين من فوق (من عند الله) إلى أسفل (حتى إلى الإنسان).» (مت ٢٧: ٥١)
- + «وأنا أنتم فجنسٌ مختارٌ وكهنوتٌ ملوكيُّ أمةٌ مقدّسةٌ شعبٌ اقتناءً، لكي تجربوا بفضل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» (١ بط ٢: ٩)
- + «الذين قبلاً لم تكونوا شعباً (أميين) وأما الآن فإنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين وأما الآن فمرحومون.» (١ بط ٢: ١٠)
- + «كونوا أنتم أيضاً مبنيين (بالروح القدس) كحجارة حيّة (ليبت الله في السموات)، بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح.» (١ بط ٢: ٥)
- + «الذي أحبنا وقد غسّلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبية له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين آمين.» (رؤ ١: ٦ و٥)
- + «(إذ) قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي نصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية (جسد المسيح).» (٢ بط ١: ٤)
- + «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (في الهيكل السماوي)، الذي فيه كل البناء (الهيكل) مركّباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.» (أف ٢: ١٨-٢٢)
- + «وأما المسيح فكابن على بيته، وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣: ٦)

+ « وسمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً، هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم، وسيسمح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش، ها أنا أصنع كل شيء جديداً. » (رؤيا ٢١: ٣-٥)

« بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس »:  $\delta\iota\alpha$  (through)  $\delta\epsilon\ \tau\omicron\upsilon\ \iota\delta\iota\omicron\upsilon\ \alpha\iota\mu\alpha\tau\omicron\varsigma$  هنا أخفقت الترجمة العربية أن تُبرز معنى  $\delta\iota\alpha$  أي « بواسطة (through) دمه » (١٠)، ففهمت على أنه دخل بدمه. ولكن المعنى المقصود، وهو قائم على معلومة لاهوتية كبيرة، هو أن دمه أهله للدخول، تماماً في مقابل الطقس الماروني أن دم الذبيحة — سواء كان دم العجل عن خطايا نفسه أو دم المعزى عن جهالات الشعب — هو الذي أعطاه حق الدخول إلى قدس الأقداس ليرتأى أمام الله، وإلاً استحال عليه الدخول.

بل ويمتد هذا المفهوم ليتصل بخلاصنا أشد اتصال، وهو أننا بهذا الدم عينه دم كفارة المسيح بذبيحة نفسه نتأهل للدخول إلى الأقداس السماوية، فنجد الفداء الذي أكمله المسيح بهذا الدم جاهزاً بإسمنا لتكميل الخلاص وإعطاء الحياة الأبدية حسب نص الآية: « فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً، حياً، بالحجاب أي جسده. » (عب ١٠: ١٩)

وهنا يتحتم أن نعرف أن الكفارة التي بدأها المسيح على الصليب، أكملها في السموات بدخوله إلى الله في الأقداس السماوية، ليرتأى أمامه ودمه عليه، فنال الصفح كل الصفح عن خطايا كل إنسان يؤمن بهذا الدم عينه، دم كفارة المسيح الذي سفكه من أجل كل واحد وواحدة.

وهذا الدم عينه وهو مسكوب، ولا يزال في نظر أبيه، احتسبه الآب نفسه أغلى وأعز ثمن دفعه ليقتني به كنيسة: « احترزوا إذاً لأنفسكم وجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه. » (أع ٢٠: ٢٨)

لهذا صعد المسيح في الحال وبصورة عُلمت لنا إعلماً رسمياً من فمه في حديثه لمريم، وهي أول من رآه حال قيامته وفي لحظتها، لذلك لم يسمح لمريم أن تلمسه أو تُعَوِّق صعوده: « قال لها يسوع

لا تلمسيني لأنني لم أصعد - بعد - إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو: ٢٠: ١٧)

وهذا الصعود واضح غاية الوضوح أنه صعود يختلف تماماً عن الصعود<sup>(١١)</sup> الذي أكمله المسيح في رواية لوقا البشير في سفر الأعمال: «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم.» (أع: ١: ٩)

صحيح أنه كان يتحتم أن يصعد المسيح بجسده الممزق الميت الحي المقام ودمه فيه ليدخل البشرية التي صُلبت وماتت فيه ومعه، وعليها دمه المقدس، لكي ينال لها مكانة المصالحة والود لدى الله أبيه، وهذه واجبات الكفارة. ولكن لم يكن الآب لينتظر قدومه، بل قد صعد دمه حال ما انسكب على الجسد والأرض فنال الرضا كل الرضا والمصالحة كل المصالحة: [ فاشتّمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة ] (صلاة يقولها الكاهن سراً في رفع البخور - وتُقال كلحن في أسبوع الآلام وفي تسبحة الأحد). وفي الحال عندما أسلم الروح انشق الحجاب إلى اثنين من فوق إلى أسفل، ليعلن إعلاناً أن الله قَبِلَ الذبيحة وفتح أبوابه ليدخل إليه الإنسان بلا مانع بعد.

«دخل مرة واحدة»: εἰσῆλθεν ἐφάπαξ

كان هذا الدخول هو قِمة عمل الخلاص الذي بدأ على الصليب. فقله هنا: «مرة واحدة» ليس فقط ينفي التكرار الذي لازم رؤساء الكهنة اللاويين، بل ويأخذ معنى الكمال والتكامل الكلي في ذات العمل الواحد. فهو يمتد في فعله بأثر رجعي ليشمل من آدم ويمتد بفعله ليشمل آخر الدهور. لهذا احتسب المسيح أنه صاحب «الخلاص الأبدي»: «وإذ كُتِل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.» (عب: ٥: ٩)

وهو في هذه المرة الواحدة التي دخل فوجد فداءً أبدياً لم يخرج، بل تُوج ملكاً أبدياً على كل الدهور. وتُمت نبوة داود النبي حتى النهاية: «أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.» (مز: ١١٠: ٤)

«فوجد فداءً أبدياً»: αἰώνιαν λύτρωσιν εὐράμενος

قد يتيهأ لأول وهلة بحسب الترجمة العربية، أن الفعل «فوجد» هو مترتب على الدخول، أي أنه دخل، ولما دخل وجد فداءً. ولكن الحقيقة أن الفعل «وجد» في الأصل اليوناني لا يأتي

كنتيجة للفعل «دخل»، بل هو بذاته مترتب على عمل الفداء الذي تم سابقاً على الصليب بسفك الدم. لأن الفداء متوقّف على سفك الدم والموت الذي ماته المسيح، وأما الدخول فقد تم بعد ذلك. ولكن من حيث الاستعلان المجيد والمعلن على العالمين، فإن الفداء أخذ جلاله في الصعود كما أخذ صفّه الأزلي بجلوس الفادي عن يمين العظمة في السموات. لذلك عسير على الفكر أن يتخار ما هو أسبق في الفداء وما هو أكثر استعلاناً.

فالفداء وإن تم تاريخياً على مراحل، ربما من قبل الصليب، فالآلام نفسها تدخل في صميم معنى الفداء وعمله وأثره، ولكن الفداء في الإيمان المسيحي وفي اللاهوت عامة هو حقيقة واحدة كاملة، كاملة حتى في كل مراحلها:

+ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء  $\delta\iota\ \tau\eta\varsigma\ \alpha\pi\omicron\lambda\upsilon\tau\rho\omega\sigma\epsilon\omega\varsigma$  الذي يبسوع المسيح الذي قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه...» (رو ٣: ٢٤ و٢٥)

وهنا في قوله: «قدّمه الله كفّارة»، يفيد إفادة مباشرة أن ذبيحة المسيح هي ذبيحة سماوية مرصودة في المقاصد الأزلية، لم يقدمها المسيح كرئيس كهنة من تلقاء ذاته بل بالتدبير الأبوي، اشترك فيها الآب كما اشترك فيها الابن:

+ «الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء...» (رو ٨: ٣٢)

والآن نفهم لماذا لمّا دخل وجد فداءً أبدياً، لا كأنه مفاجأة بل كزّشم الآب موقعاً عليه. كذلك نفهم لماذا جلس عن يمين الله، لا كأنه مكافأة، بل لأنه كتمّل المشورة الأبوية أيّما كمال، التي بعد أن أكملها عاد إلى مجده الذي له.

لذلك صحّ أن يُقال إن الله فدانا بابنه، فالله هو الكل: «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه ببسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أي إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم...» (٢ كور ٥: ١٧-١٩)

## دم المسيح

[ ١٣ : ٩ - ٢٢ ]

## الحقائق المرصودة في الرسالة عن دم المسيح

بعد ما قدّم بولس الرسول ملخصاً عن عمل المسيح كرئيس كهنة في الآيتين السالفتين (١٢ و ١١)، بدأ يركّز على دم المسيح كالآتي:

١ - دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين، له قوة تطهير الضمير في مقابل تطهير الجسد (١٤ و ١٣ : ٩).

٢ - دم المسيح أساس العهد الجديد في مقابل دم ذبائح الحيوانات التي تأسس عليها العهد القديم (٩ : ١٥ - ٢٢).

١ - دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين: (١٤ و ١٣ : ٩).

١٤ و ١٣ : ٩ «لأنه إن كان دم ثيرانٍ وثيَّوبين ورمادٍ عجَلَةٍ مرشوشٍ على المُنجِّسينِ يقدِّسُ إلى طهارة الجسد،

فكم بالحريّ يكون دم المسيح، الذي بروحٍ أزلّيٍّ قدّم نفسه لله بلا عيب، يُطهِّرُ ضمائرَكم من أعمالٍ ميّنةٍ لتخدموا الله الحيّ».

يلاحظ القارئ أن المقارنة التي يضعها بولس الرسول هنا تقوم على أمرين:

الأول: مقارنة بين الأثر الظاهري بالنسبة للجسد فيما يخص دم الحيوانات، وهو ما يجعل العبادة تأخذ منهجها الظاهري بالتالي، وبين الأثر الداخلي الذي يخص عمل دم المسيح، وهنا تأخذ العبادة منهجها الداخلي بالتالي.

الثاني: مقارنة بين دم الحيوان الخالي من أية فعالية روحية،

ودم المسيح الذي هو بروحٍ أزلّيٍّ له فعالية مسحٍ وإلغاء أثر الأعمال الميتة التي تجلب الموت.

وبنفس الآية (١٣) يستخدم بولس الرسول ثلاثة أنواع من ذبائح اللاويين:

- ذبيحتان ليوم الكفارة وهما:

التيوس: ذبيحة جهالات الشعب؛ والمعجول: ذبيحة خطايا رئيس الكهنة نفسه (١٦٧).

— ثم ذبيحة البقرة الحمراء (سفر العدد ١٩)، تُذبح ويُرش دمها سبع مرات ناحية القدس ثم يُحرق جسمها ودمها، ويُعزج الرماد بالماء ويُرش على جسد المنجس.

وصنف الذبائح الأولى يختص بنجاسات الأعمال اليومية.

وصنف الذبائح الثانية يختص بنجاسة الذين يمسون ميتاً.

وهنا يلزمنا أن نفرّق بين:

فعل الدم في التقديس على مستوى الجسد بالنسبة للدم في النوع الأول للذبائح، وهذا يختص بالسلوك الأخلاقي،

وبين فعل رماد العجلة المرشوش على المنجسين الذي يطهر الجسد وحسب، وهذا يختص بوضعه الظاهري في الإنسان.

والأساس الفكري الذي تقوم عليه هذه الآية هو أن العهد القديم الذي وضع هذه الفرائض يقصد منها أن يحضر اليهودي الذي تحت الناموس إلى العبادة الهيكلية ليتراءى أمام الله طاهر الجسد والسلوك، ليتأهل لشركة الكنيسة أمام الله في العبادة، ولكن ذلك كله على أساس الوضع الخارجي للإنسان.

١٤:٩ «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلني قدّم نفسه لله بلا عيب، يُطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي».

من روح هذه الآية وبمنظرة فاحصة لمضمونها، نستطيع أن نلمح فيها الأسس التي تركبت عليها هذه الآية:

قدّم نفسه: هنا إبراز فعل إرادي حرّ، هو أساس الذبيحة الحقيقية.

نفسه: هنا كشف عن نوع الذبيحة أنها عاقلة مُدركة واعية لما يُجرى عليها.

بلا عيب: واضح هنا كتمثيل للفعل الإرادي الحر والوعي الكامل لفعل الذبح الذي يجريه في ذاته أنه أيضاً على أعلى مستوى من القوة الإرادية المتحكّمة في نفسه ليكون بلا عيب، قدوساً كما هو، وبالتالي يؤدي أعمال الكفارة عن جدارة وارتياح ورضا الأب.

«فكم بالحري يكون دم المسيح»:

هنا توقفت الآية عن التطبيق، فكان من المأمول أن يستمر بولس الرسول ويقول، فكم بالحري يكون دم المسيح في مغفرة الخطايا وفي التطهير من فعل الموت ذاته، لتأهيل الإنسان بالحياة الأبدية في قداسة ليحيا مع الله إلى الأبد!

ويلزم هنا أن نلاحظ أن قوة دم الذبائح الحيوانية تُستمد من موتها عَوَضَ الخاطئ حتى لا يموت.

أما دم المسيح فقوة الحياة الأزلية التي فيه هي التي تُحيي من الموت وتؤسس الضمير الروحي الجديد، ضميراً بلا خطية. والسؤال: هل حقاً تأسس فيك أيها القارئ العزيز هذا الضمير بحق دم المسيح المسفوك من أجلك؟

«الذي بروح أزلني قدّم نفسه لله بلا عيب»:

جميل جداً أن يوضّح لنا هنا بولس الرسول كيف قدّم المسيح نفسه لله بالروح، بالنية قبل أن يُسفك دمه. فهذا يوضّح أول فعل رسمي لرئيس الكهنة الأعظم أن قدّم ذبيحته برضا على الصليب بمنتهى إرادته الحرّة.

والأبدع أن يكشف لنا أيضاً عن القوة الهائلة التي سندته في هذه العملية، إذ يقول إن ذلك كان «بروح أزلني». والروح الأزلني هو الله! «الله روح» (يوه: ٤: ٢٤).

هنا لاهوت المسيح يضطلع بدوره المشترك مع الجسد، فيقف المسيح كرئيس كهنة أعظم وذبيحة بآن واحد!

هذا هو الحي بل رب الحياة، وهذا هو الميت الحي الذي مات والحياة لم تُفارق، فمات ليُحيي العالمين. وموته أمات الموت وأسس الحياة الأبدية والخلود للإنسان.

كان هذا أروع صور الموت! الموت الذي قوّض قوة الموت وهدم أركانه، هذا هو الموت الفريد الذي لم يمثله موت قط، هذا موت الفداء. الموت الذي وازن خطايا كل العالم فأسقطها من ميزان عدل الله. والموت الذي واجه عقوبة الموت للإنسان فحوّلها إلى حياة أبدية. لأنه مات وفيه «قوة حياة لا تزول» غلب بها الموت وكسر شوكلته. فهو الذي قال عنه بولس الرسول: «صار آدم الأخير (المسيح) روحاً مُحيياً.» (١ كو٥: ٤٥)



فإن كان المسيح «بروح أزلِي قَدَّم نفسه لله» ليكون ذبيحة فداء، فهي ذبيحة روحية حتماً حتى وإن كانت بالجسد، فهي ممتدة امتداد الله فيه، وفداؤه هو فداء أبدي، لا حدود لفعله ولا نهاية لعمله. وهي ذبيحة ليست فقط مقبولة أمام الله — لأنها ذبيحة روحية، بل إذ حُسبت على مستوى ميزان عدله الروحي فهي قادرة بوزنها الروحي العالي أن تعادل بر الله وتستقطبه لحساب الإنسان!!

«يَطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدَمُوا اللَّهَ الْحَيَّ»:

ليتنبه القارىء، فالفداء لا ينتهي عند تطهير الضمير بل عند خدمة الله الحي بضمير طاهر!!

والمعنى واضح وهو الدخول في حياة جديدة مع الله. فالفداء هو إعادة الإنسان لخدمة وعبادة الله الحي خدمة طاهرة وضمير نقي يخلو من الأعمال التي تستوجب الموت، حيث لا تطلب أعمالاً بالجسد بعد بل ذبائح روحية بتسييح وشكر يدوم:

+ «ولا تكون لعنة ما فيما بعد، وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه.»  
(رؤ ٢٢: ٣)

+ «كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي وتنتظروا ابنه من السماء...»  
(١ تس ١: ٩ و١٠)

٢ - دم المسيح أساس العهد الجديد: (٩: ١٥-٢٢).

١٥: ٩ «ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون، إذ صار موت لفداء التعديبات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي».

«ولأجل هذا»: kai diá tou to

بمعنى «ولأجل هذا السبب!»، وما هو هذا السبب؟

هنا تعقيب مباشر على نهاية الآية السابقة التي تقول في الآخر إن دم المسيح يطهر الضمير — أي النفس — فتتأهل لخدمة الله. فلهذا في الحقيقة أصبح المسيح وسيط العهد الجديد. وهذا منطقي جداً وصحيح للغاية، فإن كان المسيح استطاع بدم كفارته أن يطهر نفس الإنسان ويؤهله لخدمة جديدة لله، روحية وكاملة وبلا عيب، فقد أصبح بالضرورة هو الوسيط الجديد للعهد الجديد الذي يشبته ويؤكدّه ويوثقه.

فهو دم المسيح بروحه الأزلي، فدم المسيح أو حياة المسيح التي أصبحت أساس الحياة الجديدة

للإنسان هي الكفاية وهي ضمان هذا العهد:

+ «ولكن لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله — ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد — لا الحرف (الناموس) بل الروح (روح المسيح) لأن الحرف (الناموس) يقتل ولكن الروح يحيي.» (٢ كور ٣: ٤-٦)

هذا هو المسيح الذي بدمه، بل بحياته التي في دمه، صار وسيطاً لعهد جديد لخدمة الله بالروح وليس بالجسد أو الحرف أو الناموس:

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد — مرتباً بملائكة — بسبب التعدييات، إلى أن يأتي النسل (المسيح) الذي وُعد له في يد وسيط.» (غل ٣: ١٩) (١٢)

+ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح.» (١ تي ٢: ٥)

«إذ صار موتٌ لفداء التعدييات في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي»:

في آية سالفة (غل ٣: ١٩) يقول بولس الرسول إن الناموس زيد بسبب التعدييات، ولكن هذا الناموس تعامل مع التعدييات بالعقاب والتأديب فقط، ولم يستطع أن يعالج هذه التعدييات أو يرفعها، وبالتالي أخفق أن يتقدم بالإنسان نحو الكمال المنشود لخدمة الله بالروح. ولهذا يادر الله بعمل جديد كفيلاً بأن يرفع التعدييات ويبلغ بالإنسان إلى الكمال الذي يرضيه لخدمة روحية تؤدي إلى حياة أبدية: «لأنني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد» (عب ٨: ١٢). هذا هو روح وأساس ومنطوق العهد الجديد الذي صورّه الله في قلبه ووضع أمامه جاهزاً للتنفيذ حينما يأتي الميعاد، وما الميعاد قد أتى وأخذ الابن الوحيد عهداً للتنفيذ، وكان تنفيذاً عجبياً إذ نَفَّذه في نفسه ودفع كل الثمن ليكون الله صادقاً فيما وعد، فصار العهد الجديد بدم الابن الوحيد المحبوب لخلاص الإنسان وحياته مع الله في شركة الروح إلى الأبد: «هذا هو العهد الجديد بدمي.» (١ كور ١١: ٢٥)

هذا لأن خطية الإنسان، بتعديياته على وصايا الله التي هي بدورها التعبير الملموس للحق الإلهي وإرادة الله، ليست أمراً هيئناً. كان عمل الناموس في العهد الأول تجاهها هو إظهارها وتوبيخها ومحاصرتها ووضعها أمام الإنسان باعتبارها العلة الأساسية التي حجبت وجه الله عن الإنسان

(١٢) يلاحظ القارئ في الآية السابقة تصحيحاً لترتيب الكلمات، لأن الترجمة العربية أساءت إلى المعنى بوضعها: «مرتباً بيد ملائكة»، في غير موضعها.

(إش ٥٩: ٢) وحرمته من شركة روحية معه. ومن وسائل توضيحها ومعاصرتها تقديم الذبائح التي كان يقدمها الكهنة عن الشعب بلا هوادة عن كل أنواع الخطايا. ولكن لم تكن الذبائح الحيوانية قادرة أن تفعل أي شيء في ضمير الخاطيء أو نفسه وروحه وأخلاقه، فبقي كما هو غارقاً في تعدياته وجهالاته وموته في دينونة.

فلما جاء المسيح، وقدم ذبيحته ذات الفعالية الكاملة لضمير الإنسان ونفسه وروحه، بل والتي أمده بقوة حياة جديدة بفكر وأخلاق وسلوك جديد، ورفعت عنه عقوبة كل تعدياته الأولى، تأهل بذلك لخدمة الله بالروح، وكان هذا هو العهد الجديد مع الله الذي وعد به، والذي طالما حلم به الإنسان.

«ينالون وعد الميراث الأبدي»:

أما الناموس فلما وُضع، وضع الله له ما يناسبه من جزاء أرضي، فوعدهم بميراث الأرض، وكان هذا ظلاً للحقيقة الميراث الروحي المعد للإنسان في السموات، وكان للاستهلاك الزمني. لهذا فعند تأسيس العهد الجديد، استعلن الميراث الحقيقي السماوي والأبدي.

الآيات من ١٦-٢٣:

٢٣-١٦:٩ «لأنه حيث توجد وصية يلزم بيان موت الموصي.

لأن الوصية ثابتة على الموتى إذ لا قوة لها البتة ما دام الموصي حياً.

فإن ثم الأول أيضاً لم يُكرس بلا دم.

لأن موسى بعث ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس،

أخذ دم العجول والثيوس مع ماء وصوفاً قزماً وزوفاً،

ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب.

قائلاً هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به.

والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رثها كذلك بالدم.

وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل

مغفرة.

فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التي في السموات تُطهر بهذه؛ وأما السماوات

عندها فذبائح أفضل من هذه».

نظراً لصعوبة الترجمة التي واجهت العلماء - حتى منذ العصور الأولى وكذلك جميع الآباء

القديسين المفسرين — فقد صُغِبَ إعطاء المعنى المطابق للآيات كلمة كلمة.

وقد قرأ (الكاتب) لعلماء كثيرين فوجد أن ليس هناك وجهة نظر مشتركة وثابتة. وبناءً عليه نُعطي تفسيراً مختصراً قد يوفي بالمعنى.

فلنعتبر أولاً الكلمات التي يقوم عليها تفسير هذه الآيات وهي: «موت لفداء» (١٥:٩)، «توجد وصية» (١٦:٩)، «موت المُوصِي» (١٦:٩)، «الميراث الأبدي» (١٥:٩)، «الدم».

فالقضية التي يطرحها بولس الرسول تكاد تكون قضية قانونية.

فهو يرى أن الخاطيء تحت الناموس، كان يقتني تحت يده وصية يرث بها أرض كنعان؛ ولكنه إذا لم يكفّر عن خطيته، لا يرث الأرض، إذ لا يكون من ضمن شعب الله، ولا كعضو في عبادة يهوه. وهكذا فُرضت الذبائح.

فالخاطيء تحت الناموس عليه أن يذبح الحيوانات ويتطهر خارجياً لكي يتأهل للميراث، أي الأرض، وللعبادة مع الجماعة.

هنا ذبح الحيوانات هو نوع من فداء النفس، والذبح موت، فهنا لزم الموت للحيوان لفداء الجسد الذي للخاطيء تحت الناموس.

ولكي تتطهر الخيمة وأدواتها وحتى كتاب التوراة، لزم أيضاً رشها بدم الحيوانات، لأن رش الدم صار نوعاً من التكفير أي غفران الخطايا. وهذا بدوره صار هو بعينه التقديس أي التطهير ليصير الشيء مخصّصاً لله.

وبولس الرسول يقول، إن كانت أمثلة الأشياء التي في السموات — أي الخيمة والعبادة على الأرض — تُطهر بهذه — لزم بالضرورة أن السماويات عينها، أي الحقائق الإلهية، تُطهر، ولكن بذبائح أفضل، والمعنى المقصود هو:

إن الخاطيء في العهد الجديد لكي يرث الميراث الحقيقي السماوي، أي ميراث الله، عبادةً وشركةً وحياةً — بحسب وصية العهد الجديد، لزم أن يكفّر عن خطايا، ليتقدّس بالروح — أي يتخصّص لله، ويرث ميراث الروح.

فإن كان خاطيء العهد القديم وجد في العجبل والمعزى كفارة وقتية لطهارة الجسد لدخول خدمة الهيكل ونوال ميراث الأرض، ولذلك لزم موت المكفر أي الحيوان؛ فإن خاطيء العهد الجديد تحتم أن تكون الكفارة عنه من أصل سماوي لتطهير النفس والروح والضمير، لدخول السماء عينها ونوال الميراث السماوي.

ولأنه كان يلزم بالضرورة موت المكفر أو الفادي؛ والمكفر هنا أو الفادي هو صاحب العهد الجديد - والعهد الجديد هنا يُعتبر أنه وصية مبرمة بين الله والإنسان - وقد وصى بميراثه السماوي؛ لذلك فبموت المكفر وهو نفسه صاحب الوصية، استُعلنت الوصية في الحال وأصبحت واجبة التنفيذ على الذين مات الفادي من أجلهم. ولكنه بعدما مات قام أيضاً، فصارت حياته ضماناً لعهد الذي عهد وتوثيقاً لتنفيذ الوصية كما وعد:

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صُوحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته.» (رو٥: ١٠)

+ «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا (الآن) أولاد الله. فإن كنا أولاداً، فإننا ورثة أيضاً، ورثة لله، ووارثون مع المسيح.» (رو٨: ١٦ و١٧)

وفي قوله: «وأما السماويات عينها فبذبايح أفضل»، يكون أماننا المجال قد اتسع جداً لأن نقول إن ما في السماويات عينها هم المؤمنون أنفسهم بيت الله، وهم أدواته بإنجيلهم المقدس، والكل قد صار «بدم المسيح» مقدساً وظاهراً، و صليب المسيح يتلأأ فوق هامات الرؤوس وفوق كل شيء. وبدون دم المسيح لا يكون شيء ظاهراً قط. و «الدم» أصبح هو التعبير الفعلي عن التقديس - أي التخصُّص لله، والخلاص في العهد الجديد. فكلمة «الدم» تحمل كل مفهوم الفداء والخلاص والتقديس.

٢٤: ٩ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا».

«لأن»:

«لأن» هنا حرف علة للوصل، فسبب الكلام هنا هو ما قيل في الآية السابقة، أن السماويات عينها وجب أن تتقدَّس بذبايح أفضل!

وهنا تقديس السماء عينها أمر خطير، فمعناه إعداد السماء لتكون موضع تلاقٍ خيمة حقيقية

تجمع الله مع الناس لبدء خدمة التقديس والتسبيح اللائق بالله. هنا الأمر يحتاج إلى استعلان الله أولاً في ذاته، وبدء عمل المسيح كوسيط فائق القدرة ليؤهل الإنسان أن يظهر أمام الله ويراه الله. والأمر هنا يبلغ آخر حدود الاستحقاقات البشرية التي يمنحها المسيح مع ذاته ومن ذبيحته وروحه وبنوته وطاعته ووجهه للآب! وبولس الرسول ينبّه ذهننا أن الأمر ليس مسكناً أرضياً بعد، يتقدّس برشّ دم ذبائح أو مجرد إصعاد بخور، فتقديس السموات أمر مهيب يفوق طاقة عقل الإنسان.

«بل إلى السماء عينها»: ἀλλ' εἰς αὐτὸν τὸν οὐρανόν

أو السماء ذاتها، هنا «السماء» أتت بالمفرد لا لأنه يقصد المفرد بل لكي يحدّد الهوية الذاتية كسماء محددة في الفكر وليس في الوجود. لأنه من المعتاد أن تُكتَب بالجمع «السماويات». لكنه قصد بالسماء ذاتها الحق الخالص والمطلق البعيد والمنزّه عن الأرضيات والزمنيات والمحدوديات، التي يُرمز إليها - سهيلاً للفكر - بقدّس أقداس الله، أي الحق الخالص الذي يعبر عن حضرة الله.

«لِيُظْهِرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لِأَجْلِنَا»:

هنا استعار بولس الرسول هذا المنظر من رئيس الكهنة في الناموس، وهو داخل قدس الأقداس المظلم والمُعتم، بقصد أن يتراءى أمام الله (لا ١٦: ١٢ إلخ)، حيث يراه الله ولا يرى هو الله!!

«أمام وجه الله»: τῷ προσώπῳ

القصد هنا هو الظهور العلني للرؤية الشخصية المباشرة والمطلقة لله، وليس كما أعطي موسى أن يرى الله (خر ٣٣: ١٨ إلخ).

وكون المسيح يُظْهِر = ἐμφανισθῆναι (في المبني للمتوسط) تعني في اللغة اليونانية «يُظْهِر» كشخص واضح في دائرة رؤية الله. هنا واضح للغاية أن المسيح يظهر هنا في بشريته ظهوراً واضحاً مكشوفاً لله الآب، لأنه من جهة لاهوته هو واحد متحد مع الآب، فالظهور هنا هو ظهور ما يعمل من البشرية.

وكنا ننتظر أن نسمع أن المسيح ينظر وجه الآب، وليس فقط أن يكون منظوراً من الله. أمّا السبب في ذلك فيبدو أن التركيز هنا وقع علينا نحن، على بشرتنا المنظورة بحنان الله بعد غربة وعداوة وقطيعة. أمّا المسيح الابن فليس في حاجة أن يتطلّع إلى وجه الآب فهو في الحضن الأبوي كل حين:

+ «وأما الآن إذ عرفتم الله، بل بالبحري عُرفتم من الله...» (غل ٤: ٩)

+ «الآن أعرفُ بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرفُ كما عُرفتُ.» (١ كو١٣: ١٢)  
 + «فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف، ولكن إن كان أحد يحب الله فهو معروف عنده.» (١ كو٨: ٣و٢)

«ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا»: vvv

هذا «الآن» ليس «آنأ» زمنياً، بل هو كل الزمن وكل آن وأوان وإلى أبد الأبد. فهنا حَدَثُ الأحداث جميعاً، وقمة أعمال المسيح، والمحصلة الإبداعية لكل آلامه وذبحه. هي فرحة الله وفرحة المسيح وفرحة البشرية التي يحيها القديسون الآن أمام وجه الله في شخص يسوع المسيح، والتي نحياها بالعربون على رجاء ملء الوجود والرؤيا والسعادة.

وليس عفوياً أن يأتي ظرف الزمان «الآن» كأنه الحاضر مع فعل «ظهر» في صيغة الماضي غير المتكرر أي الذي حدث «مرة واحدة»، فيحدث هذا التعارض الذي ينبئ الذهن إلى عمل عظيم حدث خارج الزمن، مبتدئاً من الزمن ويستمر ليملاً الأبدية. هذا الظهور، وإن رُسم وتُصور كأنه «آنئ» أي لأن من الزمان، فقد امتد إلى ملء الزمان والأبدية، لا يتغيّر ولا يتبدّل، هو دخول وظهور. فلا الدخول آل إلى خروج ولا الظهور آل إلى اختفاء. دخل مرة واحدة فوجد فداءً أبدياً، وظهّر، والبشرية فيه، أمام وجه الله؛ فظهرت البشرية حتى إلى ملء عينيّ الله بل قلبه. فَمَنْ ذا يكون قادراً بعد أن يخرج أو يُخرجها: «والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب.» (مت ٢٥: ١٠)

لم يكن المسيح في حاجة أن يتراعى أمام وجه أبيه، ولكن ذلك كان «لأجلنا»، فالله كان ولا يزال يشتهي أن ينظر إلينا ويتعرّف علينا، نحن جُبلةً بيده، نفخة روحه، خليقته التي كانت في عينه «حسنة جداً» يوم خلقها (تك ١: ٣١).

حينما تراءى المسيح أمام وجه أبيه كَثُفَ فيه كلنا واحداً فواحداً، كَثُفَ مرسومين على وجهه، بل على قلبه وأسمائنا منقوشة على يده، بل على صدره بشكل هارون وهو حامل أسماء الأسباط على صُدْرته: «وفي وسط السبع المناير شبه ابن إنسان متسرّلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثديه (صُدْرِهِ) بمنطقة من ذهب.» (رؤ ١٣: ١٣)

لَمَّا دخل إلى أبيه حاملاً فداءنا في دمه فَتَطَرْنَا الآبَ، تَذَكَّرْنَا (١٣)، لأنه كان قد «اختارنا فيه

قبل تأسيس العالم لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٤). فهو الذي سبق أن أوصى ابنه بنا أن يُصالحنا لنفسه لأنه اشتهى أن يتبنانا لنفسه: «إذ سبق فعَيَّننا للتبني يسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته» (أف ١: ٥)؛ وقد أوصى الروح بنا ليعلمنا التسبيح والمديح: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٦)

دخول الابن بالجسد المذبوب إلى الأقداس العليا وترائيه أمام وجه أبيه لأجلنا كان تكميلاً للعهد وتصديقاً للوعد: «أنا أمضي لأعدُّ لكم مكاناً (في قلب الله) وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وأخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو ١٤: ٣ و٢)

وهو يوم تراءى بنا أمام أبيه حاملاً كفَّارته عليه، تعيَّن لنا محامياً وشفيعاً، وحصل لنا من الله على صَفْحٍ أبدي لآثامنا ونسيانٍ لخطايانا، تحميماً للوعد الذي وَعَدَ: «لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١ يو ٢: ٢ و١)

فدخولنا أمام الله الآب لم يكن خلصة بل بجرأةٍ مِنْ دَفْعِ الثمن بدمه على الصليب ومزقٍ صك خطايانا عليه وحملنا في جسده: «الذي به لنا جرأةٌ وقدومٌ بإيمانه عن ثقو.» (أف ٣: ١٢)

كان يوم أن دخل بنا المسيح ليُظَهِّرَ أمام وجه الله لأجلنا، يوم عودة آدم وبنيه إلى الفردوس مرَّةً أخرى. كان يوم تدشين المدينة التي لها الأساسات في مَرَأى من ربوات محفل ملائكة تُهَلِّلُ للذي سبأ سببِي الإنسان وأعطاهم كرامات، وتردَّدَ صدى تهليلها سماءُ السماوات!

كان يوم الصلح العظيم الذي قدَّم فيه المسيح الكنيسة ممثَّلةً بقديسيه — كمربون — إلى الآب مطهَّرين مقدَّسين مغسولين بالدم وبلا لوم في المحبة، لتأخذ مكانها عن يمين مجلس الآب كما أخذته عن يمين جنب الابن، وحينما استوطنت السماء لم تُعدَّ أبواب الجحيم تقوى عليها كالوعد، أو كالمثل، فهي الخمس العذارى الحكيمات أو هي العذراء الوحيدة المخطوبة لرجل واحد (٢ كو ١١: ٢)، دخلت وأغلق الباب، ولن تخرج من حضرة الآب حتى ولو زالت السماوات ومادت الأرض.

حينما تراءى أمام الآب لأجلنا، رأنا الآب رؤية الحبيب لمحبيه، لأننا أخذنا شكل الابن الوحيد المحبوب. لم يَرَفِنا خطية ولا إثماً ولا ذنباً كأننا حملُ بلا عيب مجروحون بجروح الرب وعلينا دمه، فحُتَّتْ أحشاؤه علينا كأب على ابنه، فطرح علينا تاج أبوته ودخلنا معه في عهد البنوَّة



واستأمتنا مع المسيح على الميراث! (١٤)

٢٦ و ٢٥ : ٩ « ولا ليقدم نفسك مراراً كثيرة كما يدخُلُ رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر، فإذ ذلك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرةً عند انقضاء الدهور ليُطيل الخطية بذبيحة نفسه. »

تعقيباً على دخوله مرةً واحدة، يذكر هنا لماذا مرةً واحدة وليس مراراً كثيرة مثل كهنة اللاويين؟ فالعمل الذي عمله عظيم جداً لا يدانيه عمل آخر، والذبيحة التي قدمها ليس لها مثيل وليس لها ثابٍ وقدرها أعلى من السماء، ولا شيء يضاهيها في سموها، فقدرها قدر الأبدية في امتدادها ولانهايتها. فمقدم الذبيحة هو الابن، الوحيد لأبيه، لذلك فهو رئيس كهنة على مستوى السماء والأرض كوحيد وعظيم وأبدي بآبٍ واحد. والذبح الذي أجراه، فوق العادة، هو موت الذي لا يموت، كموت الحياة، إن صحَّ أن تموت، موتٌ مُعطي الحياة ومُبدعها، فكان موت إحياء، وحياته هي دفنٌ أبديٌّ للموت لا يقوم. حياته حياة الله في ذاته، لما انسكبت بسكب الدم انطرحت على الموتى فأقامتهم من القبور، ولما قارعت الخطية أخلتها من أشد عقوبتها. حوَّلت اللعنة فيها إلى بركة، والغربة إلى قُربى، والبؤس والشقاء إلى عهد نعمة ومسرَّة ومسح الدموع، والانطراح في الجحيم إلى جلوس تكريم عن يمين العظمة في السموات. فأين هذا من الذي كان يقدم العجول والمعزى بلا هوادة، فلا هو تطهر ولا الشعب كثٌ عن جهالاته. لا الخطية كُفَّت بل استشرت، ولا اللعنة انمحت بل قويت وتثبَّتت، ولا الحزن والأين زال بل عاش ولا يزال. لقد كلَّت أيديهم من الذبح وكلَّت أعينهم من الدمع. زاد الشقاء وعمَّ البلاء وضاع الرجاء. تكللت عبادتهم بالسبي، سبياً وراء سبي، حتى ذهبت هيبة الناموس وانخفض مجد التوراة وأحرق هيكل العبادات وانفصح الشعب المختار. لَيْسَ الكهنةُ المسوَّح، وولول الأنبياء على عزِّ إسرائيل الذي زال. فأين المحرقات؟ وأين الكفَّارات؟ وأين الذين تراءوا في قدس الأقداس مئات السنين ومرات بلا عدد؟ فالناموس الذي لم يقوَ على التغيير، والكهنوت الذي لم يترقَّ إلى التجديد، والعبادة التي لم تسيد العابدين أو تصدَّ عنهم الغازين والسابين والمستعبدين، كيف يمكن أن تدوم أو يطلب لها الشعب بقاءً أو يترجَّون من ورائها رجاءً؟

إنه خداع بصر، إن ترجّوا بعد ذلك مسيئاً يأتي على طقس هارون، وإلّا كان عليه أن يُصلب كل سنة ويتألّم مراراً بمرور السنين ويتعذّب كثيراً على أيديهم عذاباً وتألماً.

لهذا حصر الله مجيئه لمرةً، وبألها من مرةً، شقّ السماء عند انقضاء كل دهور الشقاء، ونزل بتصميم وعزم أن يحمل عار إسرائيل وعار الناس كل الناس، ويذثر بلعناتهم التي ورثوها بجهل أبيهم وأمهم، ويرصّ على نفسه خطايا الناس خطية بعد خطية بأشكالها وألوانها، فلبس جسد الإنسان كل إنسان، كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها، فحمل البشرية في بشريته وعليها خطاياها وكل عارها. وسار بين الناس بلا خطية ولم يوجد في فمه غش. ولما نصبوا له الصليب استحسنته، وتمدّد عليه وكأنه مذبح النحاس، ولما ذبحوه كان قد سبق وذبح نفسه بسكين النية يوم تعشّى مع أحبائه العشاء الأخير، فصنعوا فيه ما أراد أن يصنعه بنفسه، وهكذا أبطل الخطية بذبيحة نفسه، هي مرةً واحدة عند انقضاء الدهر فحفظتها له كل الدهور خليقةً جديدةً للإنسان وتجديداً لعهد الله، وما بعدها خلقه وما بعده تجديداً!

٢٨ و ٢٧ : ٩ «وكما وُضِعَ للناس أن يموتوا مرةً ثمّ بعد ذلك الدينونة،

هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرةً لكي يحمّل خطايا كثيرين، سيظهر ثانيةً بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه».

على قدر ما يبدو الكلام هنا بسيطاً للغاية، بقدر ما يحمل من عمق وأهداف ورجاء ممتد.

### الموت والدينونة:

هذا المعيار العام الذي يقع تحته كل جسد يقوله بولس الرسول لينتقل منه ليثبت أن الموت ليس هو نهاية الإنسان، فالنهاية الحقيقية هي الدينونة، وهو حتماً قادم إليها حتمية الموت الذي وُضِعَ عليه أن يجوزه.

ولكن ينتقل سريعاً لكي يكشف عن واقع آخر مختلف تماماً عن هذا الواقع العام الذي يجوزه كل بشر، وهو ما جازه المسيح لينشئ هذا الواقع الجديد العجيب، أن بعد الموت لا يكون دينونة عن خطايا، بل خلاص من كل الخطايا ...

فالمسيح لما قدّم نفسه ذبيحة كفارة عن الخطاة، لم يمُت موت من سيأتي إلى دينونة، بل مات ليرفع الموت ويرفع الدينونة. إذ حمل خطايا الخطاة ودفع الثمن عنها كاملاً وقام من الأموات مُبرّأً، لأنه كان بلا خطية وبرّاً الذين حمل خطاياهم لأن دمه صار كفارة لهم. فهو عوض أن يأتي إلى

دينونة بعد ما مات، أتى بالخلاص لكل مَنْ كان تحت الدينونة.

ولكن الجديد الذي أراد القديس بولس أن يطرحه علينا في هاتين الآيتين هو: ولو أننا لا نأتي إلى دينونة نحن الذين أمثاً بموته الفدائي واغتسلنا بدم كَفَّارته وتقدَّسنا بروحه، لكن لن يتم لنا رؤية هذا الخلاص علانية أو امتلاكه كاملاً إلا بعد أن يأتي المسيح ثانية.

فمع أن الخلاص اكتملت كل بنوده وقُبلت كل أعماله بظهور المسيح أمام الله لأجلنا حاملاً بشريتنا المفتداة أمام وجه الآب فلنا المغفرة والصلح والحرية والتبني وبرَّ الله، إلا أن استعلان الخلاص الكلي ينتظر ظهوره الثاني لا كحامل خطايا ودم كَفَّارة بل مجد الخلاص والبنوة والحب الأبوي واستعلان مجد الإنسان الجديد. ولكن كل تعويق في استعلان الخلاص الأخير بكل جلاله وأمجاده لا يتأتى من جهة الآب أو المسيح، ولكن بسبب عدم اكتمال البشرية في استيعاب خلاصها العتيد:

+ «لأن من استحي بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطيء فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين.» (مر ٨: ٣٨)

+ «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان.» (مت ٢٤: ٢٧)

+ «فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله.» (مت ١٦: ٢٧)

+ «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.» (مت ٢٤: ٣٠)

+ «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد.» (مر ١٣: ٢٦، لو ٢١: ٢٧)

+ «قال له يسوع: إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك.» (يو ٢١: ٢٢)

+ «إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء.» (أع ١: ١١)

+ «فتوبوا وارجعوا لتُحى خطاياكم، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب، ويرسل يسوع المسيح المبشِّر به لكم قَبْلُ، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رَدِّ كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع ٣: ١٩-٢١)

+ «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدو يُبطل هو الموت.»

- + «لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيُحضرهم الله أيضاً معه.» (١ تس ٤: ١٤)
- + «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب.» (١ تس ٤: ١٦ و١٧)
- + «لأنكم قد مُثِّمٌ وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤ و٣)
- + «... وتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي.» (١ تس ١: ١٠)
- + «لكي يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (١ تس ٣: ١٣)
- + «ثم نسألکم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه أن لا تنزعزعا سريعا... أن يوم المسيح قد حضر، لا يمددكم أحد على طريقة ما. لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك... وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي الرب يبديه بنفخة فمه وبظلمة بظهور مجيئه.» (٢ تس ٢: ١-٣ و١٣)
- + «وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢ تي ٤: ٨)
- + «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح.» (٢ تي ٣: ١٣)
- + «فتأنسوا أيها الإخوة إلى مجيء الرب... فتأنسوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب.» (يع ٥: ٧ و٨)
- + «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي، كلص في الليل، يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها.» (٢ بط ٣: ١٠ و٩)
- + «منتظرين وطالبن سرعة مجيء يوم الرب الذي به تحل السموات ملتبهة والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر. لذلك أيها الأحياء إذ أنتم منتظرون هذه اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب في سلام،

- واحسبوا أناة ربنا خلاصاً. « (٢بط ٣: ١٢-١٥) »
- + « والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه. » (٢يو ٢: ٢٨)
- + « أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو. » (٢يو ٣: ٢)
- + « إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله. » (١كو ٤: ٥)
- + « هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض، نعم آمين. أنا هو ألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي، القادر على كل شيء. » (رؤ ١: ٨ و ٧)
- + « يقول الشاهد بهذا نعم، أنا آتي سريعاً، آمين. تعال أيها الرب يسوع. » (رؤ ٢٢: ٢٠)
- + « فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء. » (في ٣: ٢٠ و ٢١)

« يظهر ثانية بلا خطية للذين ينتظرونه: »

هذا الظهور الثاني هو الجزء الأخير والرسمي أي القانوني لعملية الخلاص. نحن دُفنا الجزء الأول بكل قوته وعمله وهو القيامة من الأموات وإعطاء الروح القدس والحياة الأبدية ومغفرة الخطايا للذين يؤمنون، أما هذا الجزء العجيب والبديع من الخلاص الأخير فلا نعرف عنه الآن شيئاً لأنه سيحمل بركات جديدة للمخلصين. من أجل هذا نسبح عن إلحاح شديد جداً بخصوص ترقُّبه وانتظاره بل وشدة انتظاره بل وشدة طلبه، مصرّين على ضرورة سرعة مجيئه؛ حتى أصبح انتظار ظهور الرب الثاني محسباً ضمن صميم الإيمان المسيحي، بل وميضاداً لحصولنا على الخلاص الآن. بمعنى أن الذي ذاق الخلاص الآن بمضمونه المعلن في القيامة وغفران الخطايا وتجديد الخلق في المعمودية وتذوق الروح القدس وإنعاماته، هو الذي نجده شديد الترقُّب والطلب لظهور المسيح في مجيئه الثاني المملوء مجداً ونعمةً وعطايا.

لذلك أيضاً نجد في ختام ليتورجية الديرناخي المنسوبة للرسول، بعد أن ينتهي الكاهن (الأسقف أصلاً) من صلاة القداس، يصرخ الشعب « ماران آثا: » [ ليأت المسيح ولينقِض العالم ]، بمعنى أننا خلصنا حقاً فعمال أيها الرب يسوع وكمل خلاصنا.

ولا شك أن الآيات التي ذكرناها وأمعنا في ذكرها وانتخبناها من أسفار العهد الجديد التي تحضُّ على انتظار الخلاص، بل وعلى حفظ الإنسان نفسه بكل جهد وتدقيق طاهراً، حتى نتأهل لمقابلة الرب في مجيئه ولا نخجل منه لأنه سيكون في ملء استعلان مجده؛ هذه الآيات توضِّح في الإيمان المسيحي مدى خطورة وأهمية ظهور المسيح الثاني على حياتنا.

مع رجاء ملاحظة مدى الارتباط في قول الآية بين «"يظهر" للخلاص» وبين «الذين ينتظرونه»!! فهنا كشف ما بعده كشف أن الذين ينتظرونه الآن هم وحدهم الذين سيُستعلن لهم ظهوره وهم الذين سيستحقق لهم ما يحمله ويعطيه ويعلنه من الخلاص. فظهوره تعيَّن أن يكون للخلاص وليس شيئاً غير الخلاص. هذا بحد ذاته نستشفُّ منه التطبيق والمقارنة (والتي يوذُّ بولس الرسول أن ينتهي إليها) بين دخول رئيس كهنة اللاويين بدم ذبائحه الحيوانية وخروجه واستقبال الشعب مقدِّم الذبائح له وهو لا يترجى إلاً تكفيراً وقتياً عن خطايا السهو وتدنيس الجسد وحسب، وعليه أن يكررها ويكررها طول عمره، وبين دخول المسيح حاملاً خطايا الإنسان كلِّ إنسان مع كفارة دمه ليقدمها أمام وجه الله، فنال في الحال صفحاً دائماً أدياً عن الخطايا وتم بذلك خلاص أبدي لا رجعة فيه لكل من آمن واعترف بخطاياها.

على أنه يتبقى للمسيح وللمخلصين ظهور آخر حيث لا يخرج المسيح من لدن الآب كما يخرج رئيس الكهنة من قدس الأقداس؛ بل يظهر ظهوراً مستعلناً في مجده ومجد أبيه معاً، فهو خلاص مُستعلن من لدن الآب والابن:

+ «وأنا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو١: ٣)

+ «لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه.» (١يو١٤: ٧)

+ «في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم في وأنا فيكم.» (١يو١٤: ٢٠)

+ «أجاب يسوع وقال له إن أحببني أحد (خلص) يحفظ كلامي ويحبُّ أبي وإليه تأتي وعند

نصنع منزلاً.» (١يو١٤: ٢٣)

ولك أيها القارئ العزيز أن تشعر من كلام القديس بولس الرسول مدى الفرحة العظمى والعزاء الذي لا يُحد حينما تتدفق بهجة الخلاص الكلِّي على الذين ينتظرونها، حينما يُستعلن المسيح خصيصاً لهم. لذلك، فإن لسان حال بولس الرسول وكل الرسل والتلاميذ الذين تكلموا عن الظهور الثاني للرب أنه من العظمة والبهاء ما يستحق أن لا نكلَّ ولا نغلَّ من التطلع إليه والتشوق نحوه وانتظاره بكل رجاء، لا كأننا ننتظر ونرجو شيئاً كله وراء حجب الزمان، بل إن رجاءنا له وشوقنا إليه وسؤالنا بطلب ولجاجة من أجل ظهوره إنما ينعكس علينا الآن ويهينا منه سراً، عزاءً

يكفيننا للحاضر. اسمع ق. بولس: «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء ... لذلك عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١ تس ٤: ١٨)

### كلمة عامة:

وبذلك نرى أن بولس الرسول قد أوضح في هذا الأصحاح مفهوم الخدمة الواحدة — لمرة واحدة — التي أكملها رئيس الكهنة الرب يسوع وإلى الأبد، في مقابل خدمة يوم الكفارة المتعددة النواحي من جهة مقدميها التي تقدّم كل سنة دون اكتمال. بل وأمعن في الإعلان عن اكتمال خدمة الرب يسوع المسيح كرئيس كهنة التي قدّمها مرة واحدة بصورة درامية تتعدّى الزمن وتختتم عليه، بحتمية ظهور الرب يسوع مرة أخرى لإعلان اكتمال الخلاص، لا من حيث أعماله التي اكتملت بالفعل بل من حيث تنفيذها في صورتها المطلقة والأبدية التي تتناسب مع استعلان حصولنا على مؤهلات قبول الخلاص على مستوى الحلقة الجديدة: «هوذا سرُّ أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نغيّر، في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير.» (١ كو ١٥: ٥١)

أما في الآية القادمة لبولس الرسول أيضاً فإنه يكشف قوة الارتباط الجوهرية بين ظهوره الثاني للخلاص وتغيير جسدنا لاستيعاب هذا الخلاص المجيد فينقله من وضعه الترابي المائت والزائل إلى جسد المجد أو جسد مجده في ملء الحياة باستعداد الميراث وحياة البتوة مع الله في شركة فائقة الوصف:

+ «فإن سيرتنا (الآن) نحن (المخلصين) هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح، الذي سيُغيّر شكل جسدنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢٠ و٢١)

## ثالثاً: الأصحاح العاشر

١٠: ١٨-١ : الذبائح القديمة، والذبيحة الجديدة الواحدة العظمى وأثرها الخالد والدائم إلى الأبد.

وبذلك يكون المنهج القديم بناموسه وذبائحه ووصاياه وذكرياته وتعزياته المؤقتة قد فقد أيضاً قيمته إلى الأبد.

١٠: ١٩-٣٩ : تطبيقات عملية:

حيث ينتقل القديس بولس الرسول ثلاث نقلات مترتبة بعضها على البعض:

النقطة الأولى (١٩-٢٥): الامتياز الذي صار إليه المسيحيون

بالدخول إلى الأقداس السماوية بدم يسوع.

النقطة الثانية (٢٦-٣١): تحذيرات من السقوط والهلاك.

النقطة الثالثة (٣٢-٣٩): تشجيعات للمثابرة.



ثالثاً: (١٠:١-١٨):

١٠:١-٤ يرگز ق. بولس في هذه الآيات على عدم كفاية الذبائح الرسمية في القديم لرفع الخطية:

١ : ١٠ يوضّح أن هذه الذبائح ليس لها نهاية ولا تؤول في كثرتها وتعدادها إلى أي تكميل، فلا الذبيحة الواحدة تكفي ولا كل الذبائح المتكررة لها من تكرارها أثر دائم أو باقٍ أو حتى متراكم من تكرارها! فكل ذبيحة لوقتها وبعدها العدم.

٢ : ١٠ كذلك يرى أن هذا التكرار المتواصل لو كان له أي أثر روحي ثابت ما كان هناك أي لزوم للتكرار. إذاً فالتكرار نفسه يدمغ الطقس بعدم الروحانية وبخلوه من أي تأثير دائم.

٣ : ١٠ لو نظرنا إلى هذه الذبائح في تعمق صادق، فإننا نجد أن الطقس نفسه الذي ربّتها ودبّرها قصد قصداً من تكرارها ليعلن عدم كفايتها.

٤ : ١٠ وفي الحقيقة، فإن هذه الذبائح بحسب فعلها وحسب الواقع المحسوس وحتى المنطقي لا تُشبع ولا تُغني عن جوع.

١٠:١٠ «لأن الناموس، إذ له ظلُّ الخيرات العتيدة لا نفسُ صورةِ الأشياء، لا يُقدِّرُ أبداً بنفسِ الذبائح كلَّ سنةِ التي يقدّمونها على الدوام أن يكملَ الذين يتقدّمون».

واضح غاية الوضوح أنه إذا كان الناموس نفسه الذي على أساسه قامت كل العبادة بكل مضمونها العام والفردى من صلوات، وذبائح، وتطهيرات، وقواعد سلوك، هو ظلُّ لأشياء أخرى هي الخيرات العتيدة؛ فإن كل هذه العبادات بذبائحها التي تقدّم كل سنة وبالأخص ذبائح الكفّارة العامة عن الخطايا والجهالات، بل والناموس نفسه، يصبح غير قادر أن يبلغ بالذين يطيعونه إلى الكمال أو يكملهم في شيء. فالظل للحقيقة يُنشئ ظلاً ويستحيل أن يبلغ الحقيقة.

وبصورة أشد وضوحاً نقول، إن النور يُنشئ بالحجاب ظلاً، أما الظلُّ فلا يُنشئ نوراً قط. الظل يشير إلى أن هناك نوراً محجوباً، والحجاب أنشأ ظلاً. فلا بد لكي يصبح الظل نوراً أن يُرفع

الحجاب الذي أنشأ الظل، وحينئذ يختفي الظل تماماً ويصير النور ظاهراً تماماً.

الناموس بكل وصاياه وطقوسه جاء ظللاً لحقائق إلهية سماوية. فتلك (الوصايا والطقوس) ليست حقائق، بل هي تشير إلى هذه الحقائق (السماوية) وتعبّر عنها تعبيراً مادياً جسدياً. لذلك فهما دققنا في تميم هذه الطقوس ومهما كررناها، فهي لن تخرج عن وظيفتها أنها مجرد تعبير من بعيد عن حقائق عالية، مخفية إلى زمان كشفها وإعلانها. والتعبير الحسي المادي عن الحقيقة الروحية العالية لا يمكن أن يبلغ إلى هذه الحقيقة الروحية أو يكمل شيئاً منها. فوظيفته الأساسية هي تمهيدية لإعطاء فكرة عن هذه الحقيقة الروحية. فإذا أردنا مثلاً لذلك نقول، إن الأصل والحق والنور هو تعبير عن الله؛ أما الظل والشبه فهو تعبير عن رئيس كهنة ذي وقار يخرج ويدخل أمام الشعب يمثل التوسط أو الوساطة، وخيمة اجتماع في نهايتها ركن مظلم به بقايا أشياء تحمل مجرد تذكّار لحضور الله، والركن مخفي بحجاب. ولكي يدخل رئيس الكهنة إلى ما يعبر عن حضور الله، عليه أن يذبح حيوانات ويأخذ دمها ليدخل به، يطلب بتوسطه أن لا يموت الشعب باعتبار أن موت الحيوانات هو بديل لموت الخطاة الذين خالفوا وصاياه ووقع عليهم حكم الموت. ثم يكرّر هذا المشهد باستمرار ليرسخ في ذهن الشعب والإنسان عامة أن بين الله والناس توجد فواصل صنعتها الخطية التي حكمت بالموت على أصحابها، وأنّ تصالح الله مع الإنسان يحتاج إلى وسيط عظيم، وكذلك ليرسخ حتمية الموت الكفّاري عن حكم الموت، ليرتفع حكم الموت وترتفع معه الخطية. على أن يكون الموت الكفّاري بالقدرة والقوة والعمق الكفيل بأن يلغي حكم الموت. ولأن حكم الموت صدر من الله نفسه على الإنسان، تحتم أن يكون الموت الكفّاري صادراً ومدعماً من الله نفسه وواقعاً على الإنسان؛ لأنه لا يلغي حكم الله إلا الله نفسه!!!

وهكذا وُضعت الظلال بإحكام بديع، وظهر الناموس، ومثلت تمثيلية إمكانية إلغاء حكم الموت الذي وقع على الإنسان بما يعبر ويصوّر من بعيد عن رفع الموت بالموت أي الكفارة بدم الحيوانات، ونجح الناموس في ذلك. ولكن هل يمكن أن ينجح الناموس فعلاً برفع حكم الموت عن الإنسان أو إلغاء خطية الإنسان بموت حيوانات؟؟

أما أن يتجسّد ابن الله ويصير إنساناً ويقبل حكم الموت — على نفسه — متوسطاً ومثلاً لله والإنسان معاً، فهذا هو قمة الإبداع الإلهي وقمة منطق العدل وأختر أنواع الحكم بالبراءة سمعتها أذن بشر!!

لأن الذي مات هنا على الصليب هو الإنسان، ولكن موته كان مدعماً من الله، والله نفسه كشريلك فيه، فصار موتاً فائقاً عن الموت البشري قادراً أن يتلع الموت ولعنته ويقيم الإنسان من

عشرته مبرراً بحكم براءة فائق القوة، نادر المثال، اعتُبر خلاصاً أبدياً من الموت والحظية واللعنة وقرباً من الله بلغ الاتحاد!!

ثم لأن المسيح جمع في نفسه الله وهو "الحقيقة والأصل والنور"، مع الشبه والصورة وهو "الإنسان": «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦)، لذلك كان هو الوحيد الذي استطاع أن يرفع الشبه إلى الحقيقة، والصورة إلى الأصل، والظلال إلى النور، وهذا بحد ذاته نجده مشروحاً شرحاً سرياً مبدعاً فيما قدّمه المسيح من أسرار. فحينما قدّم جسده ودمه على أنه هو سرُّ الحياة الأبدية، تأسس بالفعل هذا السر الإلهي الخالد الذي يحمل الشبه والحقيقة معاً، والصورة والأصل معاً، المادة والحياة معاً، الإنسان والله معاً. وفي هذا السر حدث أول وأعظم واسطة للانتقال من الظلمة إلى النور وعبور حاجز الحظية بالجسد المكسور الذي هو الحجاب المكسور «لأجلكم»، الذي انشق من فوق إلى أسفل ليكون الطريق من أسفل إلى فوق.

وبهذا نفهم لماذا قدّم المسيح كأس دمه على أنه هو العهد الجديد: «وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين» (مر ١٤: ٢٤)، «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي ...»:

فهذا الدم: هو الذي يحمل المصالحة العظمى بين الله والإنسان، ويمثّل التحام الشبه مع الحقيقة، الإنسان مع الله، الصورة مع الأصل، التحاماً أبدياً هو التجسّد! ويحمل قوة الوسيط الحامل بموته الأعظم مشيئة الله منقّذة بجسد البشرية في جسد البشرية. وهو في قوته صكُّ براءة يحمل النجاة من الموت ويعطي حياة أبدية وإنعاماً وأفراحاً بلا حد. وهو كأس العهد الجديد، يتم في سرِّ الشرب وهو مشرب الحق نفسه والحياة الأبدية. فالشرب كحدث زمني يعبر — بحد ذاته — عن بقايا وظلال، ولكنه كجوهر ينشيء في الحال حقاً مطلقاً أبدياً ونفاذ عهد الله. وهكذا كل سرُّ من أسرار المسيح يحمل الشبه شكلاً والحقيقة جوهرًا.

ففي المسيح التحمت الظلال بالحقائق كالتحام البشرية فيه باللاهوت. فالذين رفضوا أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه جحدوا فيه لاهوته!! والذي لا يرى في الجسد والدم لاهوتاً، ليس له حياة أبدية!!

والإفخارستيا وغيرها من أسرار المسيح هي بعينها «الخيرات العتيدة» التي جاهد الناموس أن يضع لها شهباً ومثالاً، فنجح، ولم ينجح الإنسان أن يرى فيها هذه الحقيقة.

٤-٢:١٠ «وإلاّ أفما زالت تُقدّم؟ من أجل أن الخادمين وهم مطهّرون مرّة لا يكون لهم أيضاً ضمير خطايا، ولكن فيها كلّ سنة ذكّر خطايا، لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتبوس يرفع خطايا».

القصد العام المخفي وراء هذا الكلام هو الرد على إنسان يتصوّر أن تكرار الذبائح هو مناسب لتكرار الخطايا، وأنها كفيّلة بالتكرار أن تحو الخطايا. ولكن من يقول بهذا، يتناسى أن أعمال الخطايا ليست هي كل الخطايا، فمع أعمال الخطايا توجد «الخطية» ذاتها كجرح دام في ضمير الإنسان. فأعمال الخطايا شيء و«الخطية» المقلّقة للضمير والمعتمّة للنظر والسمع والصانعة عداوة مع الله وهجراناً وبعداً مؤلماً شيء آخر. فمهما تطهّر الجسد واغتسل ومهما قدّم من ذبائح عن جهالات وأعمال، يبقى في الآخر ضمير مثقل بإحساس التعدي والعداوة والبعد عن الله!

«وإلاّ أفما زالت تقدّم»:

رداً على آخر ما جاء في الآية السالفة (١٠: ١): «لا يقدر أبداً... أن يكمل الذين يتقدّمون». بمعنى أن هذا هو أكبر برهان على أن التاموس لم يستطع أن يكمل الذين يخدمون بالذبائح، كهنة وشعباً معاً، بعجول ومعزى على السواء، فلا يزال الكهنة يتقدّمون والشعب يتقدّمون ولا نهاية بعد. فالتكرار هنا يفضح عدم التكميل في شيء.

«من أجل أن الخادمين وهم مطهّرون مرّة لا يكون لهم ضمير خطايا»:

وهنا تركيب الترجمة العربية للآية لم يستطع أن يعطي المعنى الصحيح للآية، والأفضل أن تُترجم الآية كلها هكذا: «التاموس لا يقدر أن يكمل الذين يتقدّمون، "وإلاّ أفما كان ينبغي أن يتوقّف عن التقديم (لو كان قد حدث تكميل سفران)؟ لأن الخادمين (العابدين) إن هم كانوا قد تطهّروا مرّة لما كان لهم ضمير (أو إحساس) بالخطايا!!»

ثم نسأل لماذا هم ما زالوا يتقدّمون بعد بالرغم من أن المعروف جيداً أن التكرار لا يأتي بالكمال؟ نقول إن اعتمادهم على تقديم الذبائح متواتراً دون هوادة، هو ظنّهم أن التطهير يتم بالتكرار، مع أن التطهير الحقيقي عمل داخلي يتم ليس بالأعمال الجسدية نهائياً بل من الله: «لكي يقدّسها مطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة (المعمودية)، لكي يحضرها لنفسه كنيسة (شعباً) مجيدة لا دنس فيها ولا غضن (آثار الشيخوخة) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدّسة وبلا عيب.» (أف ٥: ٢٦ و٢٧)

٣:١٠ «ولكن فيها كل سنة ذِكْرُ خَطَايَا».

ليس هذا عيباً أو نقصاً في الناموس ولا حتى في تدبير الذبائح، ولكن هو من صميم قصد الله وتدبيره، أن يكون في واقع التكرار ومن واقع عدم قدرة الذبائح على رفع الخطية تأكيد للإحساس بالخطية، بل ودوام الحياة بهذا الإحساس؛ ليكون هناك تعطُّش لمن يأتي ويرفعها. كما سمعناه من جميع الأنبياء: «ليستك تشقُّ السموات وتنزل...» (إش ٦٤: ١). لأنه طالما تُقدِّم الذبائح فذِكْرُ الخطية قائم بقيامها ويزداد بتكرارها. فهي تُشعِرُ الخاطيء دائماً بحمل خطاياها.

«ذِكْرُ خَطَايَا»: ἀνάμνησις

هنا كلمة «ذِكْرُ» بالعربية لا تعني بضمون ما تحمله الكلمة باليونانية، فهي تعني ليس مجرد «ذِكْرُ» بل «تذكير». فكلمة «تذكير بالخطايا» لها وقع أصعب على نفس الإنسان. لأن مجرد الذكر هو مجرد العلم بالشيء أو ذكره، ولكن التذكير فيه معنى التأنيب وإيقاظ الضمير، وهذا هو المطلوب بالأساس، حتى يتيقَّظ الضمير لخطورة عمل الخطية في الحياة. و«التذكير» كلمة شديدة الصلة بالمشيئة الإلهية التي وضعت الناموس وربَّته، ليكون في صميم تنفيذه توعية للضمير من جهة الخطية تمهيداً للارتقاء بالناموس وبالضمير بأن واحد.

هذا التأثير الداخلي على ضمير الإنسان من جراء تكرار تقديم الذبائح دون بلوغ نقطة الرضا أو الكمال، والذي يذِّكره دائماً بالخطايا كجثمل واقعي، هو غير الاعتراف الذي يقدمه الشعب يوم الكفَّارة حينما يجتمع في السهديرم ويقدم اعترافه العلني لله بخطاياها كاعتراف جماعي للخدمة.

هنا لو عُدنا إلى البنود الأساسية في العهد الجديد التي وضعها الله ونطقها إرميا النبي: «لا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد» (عب ٨: ١٢، إر ٣١: ٣٤). هنا عكس ما يقوم به الناموس وعكس ما يترتب على تقديم الذبائح باستمرار. فالله في العهد الجديد لا يذكر خطاياهم، بل والأكثر عجباً وتأثيراً في النفس أنه هو بالتالي لا يجعلهم يتذكرونها!! بل يذكرون الذي مات ليرفعها والدم الذي أفقدها وجودها!!

وهذا يأتي بنا إلى يوم تأسيس العهد الجديد. ونحن الآن في يوم «خيس العهد» مدعوون على حفل عشاء الخروف الحقيقي، يوم كتب الله معنا عهده بدم ابنه وشر بنا كأس العهد من يده فشر بنا قوته ومضمونه، وسرى فينا دم الحب الإلهي ليغسل ويقدِّس ويظهر ويررر إلى التمام، حين قال المسيح قولة العهد والكأس في يده: «اصنعوا هذا لذكري ἀνάμνησιν» (لوقا ٢٢: ١٩)، ذكْرُ الفداء من الخطية والخلاص عوض ذِكْرُ الخطية الذي أضنى الإنسان وكسر ظهر الشعب. ذِكْرُ

الحب المسفوك دمه عِوَضَ ذِكْرِ ذَبَائِحِ تُزِيدُ الضَمِيرَ ثِقَلًا وَتَجَدِّدُ إِحْسَاسَ الْعَدَاوَةِ وَالْبُعْدَ. ذَكَرَ الطَّاعَةَ الْبِنُويَّةَ لِلآبِ حَتَّى مَوْتَ الصَّلِيبِ، عِوَضَ ذِكْرِ الْعَصِيَانِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّعْدِي. فَإِنْ كَانَ الْعَهْدُ الْقَدِيمَ قَانِمًا عَلَى ذِكْرِ الْخَطِيئَةِ سَنَوِيًّا، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِكْرًا فَعَمَلِيًّا، فَالْعَهْدُ الْجَدِيدُ يَقُومُ عَلَى ذَكَرِ الْفِدَاءِ وَالْخِلَاصِ أَبَدِيًّا. لِذَلِكَ فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَسِيَ خَطَايَانَا، فَعِبْنَا نَحَاوِلُ أَنْ نَذْكُرَهُ بِهَا، وَأَكْثَرَ عِبْنَا أَنْ نَنْسِيَ دَمَ الْفَادِي وَنَقْضِي الْعَمْرَ نَتَذَكَّرُ خَطَايَانَا!

٤:١٠ «لأنه لا يمكن أن دم ثيرانٍ وتبوسٍ يرفعَ خطايا».

«قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي، ... لأنك لو آثرت الذبيحة لكنت الآن أعطي، ولكنت لا تُسرُّ بالذبائح والمحرقات. فالذبيحة لله روح منسحق!! القلب المتواضع والمنكسر لا ترذله».

(مز: ٥٠: ١٠-١٦-١٨ حسب السبعينية).

لم يكن عن قناعة فكر أن يصلي داود مزموره الخمسين ويجحد فيه الذبائح وينفي قيمتها في نظر الله، ولكن كأنها صلاة بصراخ الضمير الذي مرّفته الخطية ولم تسعفه ذبائحه التي قدّم والتي يمكن أن يقدم منها بالآلاف<sup>(١)</sup>.

فالخطية عدو الإنسان الداخلي، هي صديقة الجسد، ولكن هي خنجر الضمير وسهم مسموم يرتشق في الكبد، وهيئات من ينزعه. ومتى كان دم عجول وتبوس يدخل إلى الضمير أو حتى يقرب الكبد؟ الخطية مناظرٌ مُغْرِيَاتٌ وَخِيَالَاتٌ مُفْرِحَاتٌ تَطُوفُ بِالْعَقْلِ، يَعِشِقُهَا فَتَبِيَّتُ فِيهِ، وَحِينَئِذَا يَسْرِي سَهْمُهَا فِي عُرُوقِ الْجَسَدِ تُفْجِرُ الْقَلْبَ وَتَقْزِقُهُ تَقْزِيقًا، فَأَيْنَ تَذْهَبُ دِمَاءُ الْمَحْرَقَاتِ وَالْقَلْبُ مَحْرَقٌ بِنَارِ النِّدَمِ، وَمَنْ ذَا يَطْفِئُ لَهَبَ عَذَابِ الضَّمِيرِ؟

وإن تنجّس الجسد بالزنا تنجّست الروح في أعماقها. فماذا يعمل الماء ولو كان أنهاراً؟ الخطية خطية ولا يرفعها إلاّ القدوس الوحيد الأواحد بقدوسيته وبروحه الأزلي.

لا تزيلها محرقة أو محرقات تنتهي إلى تراب، لكن يزيلها من أحرقها في جسده، فاحترقت، وقام الجسد يتجلّى بنور الله!

+ «فليحمدوا الرب على رحمته وعجايبه لبني آدم.» (مز: ١٠٧: ٨)

(١) انظر ١ صم ٢٢: ١٥ ومز ٨: ١٣ وإش ١١: ١ و١١: ١٦ و٣-١٦ و٢٣-٢١: ٧ وهو ٦: ٦ و٢: ١٤ وما ٢١: ٥-٢٤

١٠ : ٦٥ «لذلك عند دخوله إلى العالم يقول:  
ذبيحةً وقرباناً لم تُرَدِّ ولكن هيات لي جسداً،  
بحرقايت وذبائح للخطية لم تُسرَّ».

تقديم:

حينما بحث بولس الرسول عن نص في التوراة يستطيع أن يقلِّمه كنبوءة حقيقية وصادقة عن الذبيحة التي تستطيع أن ترفع فعلاً الخطية رفعاً حقيقياً كاملاً، وجدها في المزامير لبسان داود (مز ٤٠ : ٦-٨)، كما هو وارد في الآية، وهي الذبيحة المنسوبة بالاستعلان إلى ابن الله عند تجسده. وبالعودة إلى هذا المزمور، نجد أنه يحمل عنواناً أعلاه يقول: «مزمور لداود» (وهذا العنوان موجود في النسخة الماسورية كما في السبعينية). وبولس الرسول يحتج لنفسه حق إثبات أنه ولو أن داود هو الذي يقول ذلك كأنه عن نفسه، ولكن الذبيحة ليست خاصة به شخصياً (in propria persona)، (تماماً كما أثبت بطرس الرسول ذلك في مكان آخر بالنسبة للمزمور ١٦ في يوم الخمسين في قوله: «لا تدع قُدوسك يرى فساداً» أع ٢٧ : ٢٧، مع أن داود مات ودُفن وجسده رأى فساداً، إذأ، فيكون داود قد قالها عن المسيا).

وهنا لسان حال بولس الرسول يقول، لأن داود كان وقتها يقدم الذبائح، فهذا القول هو حتماً نبوءة عن المسيا. ومن منطوق هذه النبوءة نرى أن المسيح عند مجيئه إلى العالم يقول (كلسان حال العهد الجديد) مؤكداً للإنسان عامة أن الذبيحة الوحيدة التي يمكن أن يقدمها لله هي «طاعته الكاملة»، وهذا هو مضمون ما جاء في الآيات (٧٥ و٧٦).

وبذلك، فالمسيح يقارن بين تتيميم كل مشيئة الله كذبيحة صادقة ووحيدة في مقابل ذبائح اللاويين، تمهيداً لأن تكون هذه الذبيحة عديدة أن تلغي كل ما عداها من الذبائح الأولى.

وهكذا، فبطاعته التي أثبت تمامها وكمالها بذبيحة نفسه على الصليب، جعل الناس شركاء معه فيها — أي الطاعة — كما جاء باختصار في الآية (١٠) هكذا: «فبهذه المشيئة — تكميل الطاعة — نحن مُقدِّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرةً واحدة» (عب ١٠ : ١٠). هنا الطاعة لله رفعت ذبيحة المسيح فوق كل الذبائح مهما كانت.

«لذلك عند دخوله إلى العالم يقول»:

هنا داود، وهو عالم بالحقيقة الواقعة من جهة عدم نفع الذبائح الحيوانية كما سجّل ذلك عدة مرات، وفي نفس الوقت وهو في قمة الوحي، ينطق بغم المسيح الذي بدوره ينطق بغم الإنسان

عامة. وبقوله: «عند دخوله إلى العالم»، يقصد لحظة التجسد بكل صورته ومعناه، كما عبّر عنها القديس يوحنا في إنجيله: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو: ١: ٩). هذه اللحظة التي دخل فيها ملك المجد إلى مملكته الأرضية التي خلقها لنفسه، كانت هي اللحظة التي دخل فيها العالم إلى ميراث الابن — المتجسد — لينال بواسطته خلقاً جديداً وحياة جديدة ومُصالحة!!

+ «كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء.» (عب: ١: ٢)

هنا ينبغي أن لا يتوه عن نظرنا أن هذا الدخول من المجد الأسنى إلى أرض الشقاء وهينة العبد، والإخلاء الذي أقل لهذا التنازل العجيب، هو محسوب أيضاً وبالضرورة ضمن ذبيحة المسيح الخلاصية الفريدة في عمقها وامتدادها: فهي تظالّ السماء مجداً وتلامس الأرض اتضاعاً، يتخللها إخلاء وتنازلات رهيبية لا يقوى الفكر أن يُلاحقها، ويفشاها مجد لا يقوى النظر الروحي على التطلّع إليه، واكتفى المسيح لذبيحته بصورتها الأخيرة أن يستعلن فيها هيئة العبد: «المهان النفس مكروه الأمة وعبد المتسلطين» (إش: ٤٩: ٧)، «لا صورة له ولا جمال...» (إش: ٥٣: ٢)

فإذا سأل سائل ولماذا؟ يكون الجواب: لأنه هكذا صار الإنسان، فالمسيح صار إلى ما صار إليه الإنسان، نعم فهكذا أدلت الخطية الإنسان سيد الخليقة، وملك الفردوس، كلم الله، والمخلوق على صورته! فلا عجب أن يفتقد صاحب الصورة صورته التي أدلت، وأن يحمل عارها عليه، ومع عارها يتعامل بقُدوسيته ويرفعها هي إلى رتبته الأولى.

«يقول λεγει ذبيحة وقرباناً لم تُردَّ»:

يُلاحَظ هنا حال الفعل «يقول»، فهو في الحاضر وكأن الحدث قائم ودائم، فهذا هو حال الإنسان الذي كان عليه ولا يزال. كما يلاحظ أن الفاعل هنا غائب لأن التكلم أكثر من معروف وهو أعظم من يتكلم.

أنواع الذبائح:

في الآية (٥) يذكر داود بلسان المسيح والمسيح بلسان البشرية نوعين من الذبائح هما: الذبائح العادية وهي باليونانية θυσίαν يقابلها بالعبرية ذبائح (zebah). والقرايين وهي باليونانية προσφορὰν وبالعبرية منحاح (minhah) (من كلمة منحة أي هدية). وهذان النوعان: ذبائح، وتقدمات، يشملان ذبيحة السلامة shelamim وهي للمصالحة واسترضاء وجه الله، و(المنحاح) وهي التقدّمات، وتشمل جميع أنواع تقدمات قرايين الخنطة والدقيق، وهي بقصد



التقديس أو التكريس .

### في الآية (٦) :

يذكر داود أيضاً بلسان المسيح والمسيح بلسان البشرية نوعين آخرين من الذبائح وهما ذبائح الخدمة :

الأولى : المُحرقة öläh (عولاه) وهي تقدمه الخدمة الرسمية ،

والثانية : ذبيحة الخطية hatta'ath (حطآآت) وهي ذبيحة تكفير عن خطية .

وواضح من تقسيم الذبائح إلى نوعين أساسيين : الأول جاء في الآية : (٥) ، والثاني جاء في الآية : (٦) ، أنه تقسيم إلى نوع أول هو الذبائح والتقدمات خارج الخدمة ، ونوع ثانٍ هو ذبائح الخدمة . ويقول داود إن الله لم يُرِدْ هذا ولا هو يُسرُّ بذلك . فكل الذبائح والتقدمات فاقدة — في نظر الله — لأية قيمة في ذاتها ، فهي تأخذ قيمتها من اسمها وطريقة تأديتها فقط ، فهي أسماء ظواهر ، أمّا جوهرها فاحفظ به لنفسه .

ولكن يتبين من روح الكلام في الآيتين (٥ و٦) قصد هام آخر غير أن الله لا يريد بها ولا يُسرُّ بها . فإن لا يريد بها ، يعني تماماً أنها لا تحمل إرادة الله في ذاتها ، وبالتالي حتماً فهو يطلب ذبيحة تحمل إرادته !! وأن لا يُسرُّ بها ، يعني تماماً أنها لا تحمل مسرة الله في ذاتها ، وبالتالي فهو يطلب حتماً ذبيحة تكمل مسرة الله !!

ولينسب القارئ هنا إلى إرادة الله ومسرة الله التي صارت شرطاً أساسياً لذبيحة مطلوبة من الله !!

ففي الآية (٥) : بعد أن سئل أن الله لا يريد ذبائح وقربان لا يُسرُّ بها الله ، يقول مباشرة : «ولكن هيآت لي جسداً» . إذاً ، فهذه هي الذبيحة الجديدة ، وهذه هي أولى صفاتها أنها حسب إرادة الله .

ثم في الآية (٦) يقول : «بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسرُّ» ، ويرد على ذلك مباشرة في الآية (٧) : «ثم قُلْتُ ها أنذا أجيء ، في دَرَجِ الكتاب مكتوب عني ، لأفعل مشيتك يا الله» . إذاً ، فالصفة الثانية الأساسية المطلوبة للذبيحة الجديدة يشرحها القول : «أجيء لأفعل مشيتك يا الله» ، بمعنى أن الذبيحة الجديدة ستعمل عملاً يطابق مشيئة الله . فالمحرقات وذبائح الخطية هي تقدمات الخدمة الهيكلية ، ولكنها لم تكن تحمل مسرة الله . فهنا خدمة المسيح الهيكلية وهي تقديم ذبيحته

على الصليب للموت هي بعينها التي تحمل مسرة الله.

ويعود بعد ذلك في الآية (٨) يجمع الصفتين إرادة الله ومسرة الله معاً في الذبيحة الواحدة بقوله: «ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم تُرد، ولا سُرتَ بها، التي تقدّم حسب الناموس»، ويرد على ذلك في الآية (٩) بقوله: «ها أنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله، ينزع الأول لكي يثبت الثاني». وهو بهذا يكون قد كشف تماماً عن مضمون الذبيحة الجديدة: «هيات لي جسداً ... لأفعل مشيئتك يا الله»، وعن كونها ستحلّ محلّ كل الذبائح والتقدمات التي كانت تُقدّم حسب الناموس: «فبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة.» (عب ١٠: ١٠)

وبذلك يكون بولس الرسول قد نجح تماماً في إثبات كل أوصاف ذبيحة المسيح الجديدة من نبوات العهد القديم، وبالذات من المزمور، مُقنعاً اقناعاً تاماً أنه يتحتم أن يُنزع الأول لكي يثبت الثاني.

«ولكن هيات لي جسداً»: σώμα καθηρίσω μοι

لقد طرح كل الذبائح بحيواناتها، والتقدمات بغلات الأرض، فهذه ليس لله فيها إرادة أو مسرة. فإرادة الله تنبغ من داخله، ومسرتة لا ترتاح إلا فيما يساويها. هنا أولاً وقبل كل شيء قوله: «هيات لي جسداً»، لا يقصد به مباشرة مادة الذبيحة ووسيلتها، ولكن يعني التجسد في أوسع وأعظم معانيه، في حياة بشرية كاملة تُرضي إرادة الله وتُشبع مسرتة، في إنسان يسمو بإنسانيته التي هي أصلاً صورته ومنه، فترضي قلب الله كما يرضى عندما ينظر إلى صورته عمل يديه! حينما خلق الله الإنسان رأى فيه صورة إرادته وصورة مسرتة، فقال قوله سفر التكوين: «ورأى الله ... فإذا هو حسن جداً» (تك ١: ٣١)، فقد امتازت خلقه الإنسان عن كل خلقه أخرى بكلمة «جداً»، لأنه عن كل الخلائق اكتفى بقوله إنها «حسنٌ». هكذا أراد الله بالتجسد أن يُعيد للصورة حُسنها الأول العزيز لديه «الحسن جداً»، والتي استطاع المسيح فعلاً أن يكتملها حسب رضا الله إلى قمة حُسنها: «أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل، أكملته» (يو ١٧: ٤). إن أعظم الأعمال التي توافقت مع قلب الله التي عملها المسيح على الأرض أنه عاش بلا خطية! حياة المسيح كإنسان وقد ارتفعت مُثله العليا حتى إلى قمة المستويات التي تزاحم الملائكة وتتعالى عليها، كانت هي الأساس الأول الذي قام عليه التجسد، والذي عليه تأهل المسيح ليقدّم ذبيحته الفاعرة ليكتمل إرادة الله عن حق، ويُرضي مسرتة من جهة رفع البشرية فوق بؤسها وشقائها وإدخالها في مجال قداسة الله وحُبه وأبوته.

فالمسيح بتجسده أولاً وقبل كل شيء، رفع بحياته المُثلى الإنسان إلى مستوى قمة إرادة الله ومسرته من جهة خلقته الأولى، ثم بذبيحته أعطى للإنسان فرصة عظيمة للارتقاء إلى خلقته الجديدة! فاستجاب الإنسان فعلاً وأعطى حياته نموذجاً لخليقة جديدة أرضت الله بالحق: « فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تُقدّموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية » (رو ١٢: ١). وبهذا حُسب عن حق وصدق أن حياة المسيح أولاً وذبيحته ثانياً، رفعنا قيمة « الإنسان » ليكون الغاية المثل والنهائية لكل خليقة على الأرض وفي السماء!! فتأهل الإنسان في المسيح مرّة أخرى أن يكون سيد الخليقة، واستحق المسيح بالفعل والحق أن يُدعى: « بِكْرُ كل خليقة » (كو ١: ١٥)، وأن يُصالح العالم لله (٢ كو ٥: ١٩)! إن رؤية ق. بولس على حق حينما قال لأهل أفسس: « إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته، التي قصدتها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك. » (أف ١: ١٠٩)

ولكن الذي يحرّج في قلوبنا، أن نرى كيف انتهت حواسنا وتركّزت وانحصرت في ذبيحة الصليب ومن ذبيحة الصليب انفرش على الفكر اللاهوتي للإنسان صورة المسيح المصلوب ليملاً فراغ كل تفكير بل ويستحوز على كل تأمل ودراسة. وهذا جيد ومنتهى المطلوب. ولكن قلماً تأملنا في مفخرة التجسّد، أي مسيح الناصرة وواعظ القرى البديع، الذي يتنقّل وحوله مئات من الذين أحبوه وأحبهم وقد جذبتهم شخصيته الفريدة في حبها الصادق ووداعتها واتضاعها ولطفها وبساطتها وقدرتها الفذة في رفع كل ما استعصى من الأمراض بوضع يده أو بكلمة شفاء. كيف لا تحبه الجموع وكيف لا يجري وراءه على مسافة ساعتين خمسة آلاف رجل ومعهم نساؤهم وأطفالهم؟ نسوا بيوتهم، نسوا أعمالهم وهمومهم، نسوا أكلهم وشربهم، انطلقوا وراءه دون أن يحمل أحدهم خبزه أو زاده، وفي هذه الآلاف الخمسة حينما بحثوا في كل أمتعتهم لم يجدوا سوى خمسة أرغفة شعير وسمكتين دسّتها أم طيبة في مخلاة ابنتها، وما حسبت أن تكون هذه أول إفخارستيا في عالم الإنسان والإنجيل. شعب استطاع المسيح، هذا المتجسّد الوديع، أن يستقطب كل أفكارهم وكل نوازعهم، وأنساهم همومهم وبيوتهم وجوعهم، هذا هو مسيح التجسّد، إنسان الله، ابن محبته، الذي انحدر إلى عالمنا ليعطي أجل وأسمى صورة لإنسان خطرت رجلاه على أرض الشقاء، فحوّل شقاءنا إلى بهجة، واستأسر حبه قلوب تلاميذه، فظنوا أنهم بلغوا به ملكوت الله بلا صليب، حتى أنه لما أسرّ بسرّه إليهم أنه صاعد إلى أورشليم كما هو محتمم ليكتمل حبه لهم هناك على الصليب ثم يتركهم حياً دامياً فادياً مخلّصاً، انتهره أصدق تلاميذه: « حاشاك يا رب »، بطرس ما طاق أن يسمع عن انحجاب محبوبه لحظة، وكان هذا حال كل التلاميذ والصّحبي

والقُربى والتابعين. أرادوا أن يبقى معهم مسيحيهم هذا المحبوب على الأرض إلى الأبد. وبهذا أوضح المسيح أن بحياته ولطفه وصداقته الحميمة استطاع — كما استطاع على الصليب تماماً — أن يأسر القلوب ويغيّرها ويجددها ويرفعها ذبائح صادقة تسيح لحمد الله وتمجّده، الأمر الذي أكمله على الصليب ليصبح مسيح الناصرة صديق أهل القرى وشوارع المدن وشاطئ طبرية، هو نفسه مسيح العالم، صديق الشعوب وكل البلاد والأصقاع.

كيف ضاع ممّا أن نعيش مع مسيح ما قبل الصليب؟ ونستمتع بإنسانيته التي تتضح من أمثلتها الحية ما يمكن أن يطبع قلوبنا وأفكارنا بفكر المسيح وقلبه ومبادئه؟

ولكن ونحن قد انحصرنا الآن في الصليب، هذا الانحصار الذي جعل الفداء قوة خالقة خلقت جبلتنا خليفة جديدة بالروح، وصرنا في أشد الحاجة أن نعيش بهذه الخليقة الجديدة في جدة الحياة، فأني مُثّل حية يمكن أن نعيش عليها وأية قامة يمكن أن نحاكيها ونأخذ منها ونتعلّم إلاّ يسوع الناصرة والجليل؟ يا ليت المسيح يدخل بيوتنا كما دخل بيوت خطاة الناصرة وزناة السامرة وعشّاري اورشليم فحوّلها إلى مراكز بشارة وشكر وتسيح. يا ليت مسيح السامرة يجلس على بئر حياتنا كل يوم، ويتحدث حديثه مع نيقوديموس ولو خلسة في الظلام، ونستضيفه في صالوناتنا ونجلس كمريم تحت قدميه. ولا نشيّعهُ إلى الصليب إلاّ بعد أن نشبع من حبه ونرتوي من أقواله وأمثاله وصفاته وأخلاقه وكل أعماله حتى أصغر نفثاته. فمسيح التجسّد لم يتجسّد ليُصلب حالاً ولكن ليعطي الإنسانية أولاً أعلى نموذج لإنسان يحيا في عالم الظلمة ليضيئه، وبين التعابى والمظلومين والمضطهدين والمتألين ليربحهم: «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨). هذا هو مسيح التجسّد الذي بعد أن أكمل مثل الإنسان الأعلى ذهب وُصلب ليكتمل مثله بالحب والبذل حتى الموت!

٧:١٠ «ثم قلت هُنَذَا أجيّ في ذرّج الكتاب مکتوب عنيّ، لأفعلّ مشيئتك يا الله».

«هُنَذَا»:

استجابة لإرادة الآب ظهرت واضحة في ميعادها المبارك وتحكي هذه الكلمة الغنية بالمشاعر الفيّاضة كيف أن الابن كان على ميعاد مع الدعوة الأبوية لتكميل إرادته بمنتهى الإذعان والطاعة. كما تحكي عن الحظّ الأزلي المرسوم في تدبيرات الله لتكميل أعمال الله المملوءة عناية ورحمة ومجبة بالخليقة التي خلّق. وإن تباطأ الزمن، فهو لدى الله ليس تباطؤاً، فالله لا يتباطأ في مواعيده. فكل تباطؤ من الله يُحسب خلاصاً، لأنه يودّ أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، فالإنسان وحده

مسؤول عن زمنه وهو الذي يجعله يتباطأ عندما يسوّفه باطلاً، ويتلاهي بنفسه من دون الله، فتنتهي حياته كالسراب؛ وهو الذي يحوّل الزمن إلى خلود، إن جعل أمّته ويومه وعمره صلاة: «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩: ٤). والإنسان يشقى بتيهه وابتعاده عن الله. فأدم أدخل بعصيانه الموت والشقاء إلى العالم، ولَمَّا جاء الابن وأطاع حتى الموت حوّل الموت إلى حياة، والشقاء إلى خلاص ونعيم وراحة أبدية.

«قلتُ هنذا» حينما رأيت أن الذبائح بكل صنوفها قد عَزَّتْ عن أن تكون إفاخرستية شكر حقيقية من طرف الإنسان، وحينما بطلت الكفّارة عن أن تكون كفّارة أمام عدل الله، فبات الإنسان مقطوع الصلة بإلهه، وخطيته حجبت عنه وجه الله (إش ٥٩: ٢)، فصار في عداوة هي من صنْع يديه، وليس مَنْ يُصالح.

«قلتُ هنذا أجيء "آني"»: ἦκω

والكلمة هنا لا تحمل صيغة المستقبل بل الحاضر الممتد، كما تحمل رنة التصميم وروح الطاعة المدعنة المستعدة التي عَزَّتْ على آدم وكل بنيه، فبدأ الله يتنّم رائحة الرضا التي انقطعت عن أن تبلغ الله من عالم الإنسان. طاعة آنيّة، أي حاضرة، وكاملة لا يشوبها حذر أو ضعف أو تردّد. طاعة تحمل في طياتها كل استعداد لتحمل التبعات ودفع الغرامات ومواجهة الصعاب والعدو المتربص بالإنسان. طاعة تشكّلت ومن ورائها ظلُّ الموت وشَبَّح الصليب وشمّاتة كل قُوَى الشر المهيأة للانتقام. طاعة، والمتكلم هو صوت السيد الأب القدوس، والسامع المطيع هو الابن المبارك خادماً لحساب البشرية أمام وجه الله:

+ «... لأنني خرجتُ من قِبَلِ الله "وأُنيّتُ". لأنني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني.»  
(يو ٨: ٤٢)

+ «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (١ يوه ٥: ٢٠)

«في دَرْج الكتاب»: ἐν κεφαλίδι βιβλίου

وفي الفولجاتا = In Capite libri، وفي اللاتيني القديم = volumine Libri.

وبالعبرية = «بمجللات هاسفير»، حيث «بمجللات» Bimegillath تعني «في دَرْج (ملف)». والمعنى طبعاً هو في «كتاب» التاموس، حيث كان التاموس مكتوباً على هيئة درج أي فرخ ورق طويل ملفوف على عصا.

«مكتوب عني»: γέγραπται περί ἐμοῦ

الذي يُفهم من هذا الاصطلاح لأول وهلة أنّ «في كتاب الناموس كُتِبَ عني»، ولكن بحسب الأصل العبري يكون المعنى أن «دُرِجَ الكتاب مكتوب عني»، أي أن الناموس كُتِبَ من أجلي: (٢) A law is written for me، مما يفيد أن الناموس بجملته وضح عملي وواجبي بصورة كاملة. أي كتب كل ما يخص دوري الذي سأقوم به، وهذا هو المفهوم تماماً من عبارة «عني» περί ἐμοῦ في النسخة السبعينية. وهذا المعنى يؤكده تماماً ما جاء على لسان المسيح في إنجيل القديس يوحنا: «لأن الذي أرسله هو، لستم تؤمنون به. فتشوا الكتب = الدُرَج (الأسفار أي الناموس)، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي περί ἐμοῦ .» (يوه: ٣٨ و٣٩)

«لأفعل مشيئتك يا الله»: τοῦ ποιῆσαι, ὁ θεός, τὸ θέλημά σου

وهنا وفي هذه الجملة الشديدة الاختصار يتضح المعنى أن الناموس كُتِبَ من أجل المسيح أولاً، حيث يُنصُّ فيه على أن المسيح سيفعل مشيئة الله!! وهكذا يكون وضع الآية واضحاً كالاتي: «فقلت هذا آتٍ — كما هو في الناموس المكتوب عني — أنني سأفعل مشيئتك يا الله». وما هي مشيئة الله؟ واضح أنها مسرة الله من جهة خلاص الإنسان. وهذه المشيئة التي عزَّ على كل بني الإنسان تكميلها تولاًها «مسيئاً» المحسوب أنه ابن الإنسان، باعتبارها كل ما كان يرجوه الإنسان من الله وعجز عن تكميله. فمسيئاً يأتي، وكل عمله الذي تحدّد له هو أن يصنع هذه المشيئة، كونه هو ونفسه أيضاً صاحب هذه المشيئة مع الآب:

+ «قال لهم يسوع: طعمامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله.» (يوه: ٤: ٣٤)

+ «والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي، لأنني في كل حين أفعل ما يرضيه.»

(يوه: ٨: ٢٩)

٨: ١٠ «إذ يقول آيفأ، إنك ذبيحةً وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم تُرَدِّ ولا سُررتَ بها، التي تُقدِّمُ حسبَ الناموس.»

في الأصل اليوناني جاءت الذبائح والقرابين وذبائح الخطية كلها بالجمع، الأمر الذي اختزله المترجم للغة العربية بلا داع. كذلك جاء قوله: «حسب "الناموس"» باليونانية بدون أداة التعريف ليعطيها مجرد شكلها الرسمي. هنا في هذه الآية يقدّم حقيقة خطيرة للغاية، فهو يكشف

عن عدم فعالية كافة الذبائح التي كانت تقدّم حتى بصورتها الرسمية القانونية، فبالرغم من أنها وُضعت على كاهل الشعب رسمياً وقانونياً وُضعت لها ضوابط وشروط ومواصفات دقيقة للغاية، وكان التدقيق في تميمها شديداً، إلا أنها في نفس الوقت لم تكن مقبولة لدى الله ولا هو أرادها لنفسه، ولا كانت له فيها أية مسرة. إنما كانت مجرد طقوس تهذيبية لتوجيه فكر الإنسان وعقيدته نحو ضرورة تقديم تطهيرات مختلفة حتى يليق الوقوف أمام الله. فكل هذه الذبائح والقرايين بكل أنواعها كانت تخص الإنسان وحده ولا تخص الله بأي شيء، وليس لها أي تأثير على فكر الله أو مشيئته.

١٠:١ «ثم قالَ هُنذا أَجِئُ لأفعلَ مشيئتَكَ يا اللهُ. يَنْزِعُ الأوَّلَ لَكي يُبَيِّنَ الثَّانِي».

وهكذا في مقابل كل الذبائح القديمة التي كانت تقدّم حسب الناموس ولكن الله لم يكن له فيها لا إرادة ولا مشيئة ولا مسرة لنفسه؛ يضع المسيح نفسه إذ هو جاء ليقدم جسده - الذي هيأه له الله، ذبيحة من أجل خطايا الناس، ليبرز أن ذلك كان تحقيقاً لمشيئة الله ومسرته.

وعليه، فهذا يعني أن الذبائح الأولى التي لم يكن لله فيها إرادة أو مسرة لابد وأن تبطل آجلاً أو عاجلاً، والذبيحة الكبرى التي يقدمها الابن من جسده الذي هيأه له الله، وهي حسب مشيئة الله، فحتماً تثبت وتبقى. لماذا؟

لأن الذبائح الأولى لم يكن لها أي تأثير إيجابي على حياة الناس وضماثرهم، إذ كانت بقصد رفع أو إلغاء السالبيات عن الناس التي اقترفوها، من نجاسة جسدية إلى بقية خطايا السهو مثل لمس كلب أو لمس ميت إلخ. ولكن ذبيحة الابن المحبوب بتقديم جسده وسفك دمه، استطاعت بروح أزلي أن تطهر أعماق الضمير للإنسان وتقدس النفس والروح لخدمة الله الحي في بر وقداسة، ومصالحة العالم للآب. لذلك كان تأثير ذبيحة الابن على فكر الآب ومشيئته هو إلى منتهى تكميل مسرته: «الذي فيه (المسيح) لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته (الآب) التي أجزأها لنا بكل حكمة وفضيلة، إذ عرفنا بسر مشيئته (في المسيح) حسب مسرته التي قصدتها في نفسه (عند إرسال ابنه)، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك» (أف ١: ٧-١٠)، «الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنَا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢). فأين ذبيحة المسيح هذه من ذبائح تيوس وعجول؟ وأين نعثر على مشيئة الله العظمى هذه؟ هل في دم ابنه الذي بروح أزلي، أم في دم ذبائح ينتن بعد يوم أو اثنين؟

١٠:١٠ «فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرةً واحدةً».

إذاً، وضح أن مشيئة الله بتقديم جسد يسوع المسيح كانت هي لخلاصنا منذ البدء قبل التجسد، بل قبل الخليقة، وبعد التجسد، وفي موت الصليب والقيامة من الأموات. وإن المسيح أخذ جسداً لتكميل هذه المشيئة، وقدم هذا الجسد للموت على الصليب لتكميل هذه المشيئة:

+ «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو ١٧: ٤)، وهكذا «قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح.» (يو ١٩: ٣٠)

+ «قال لهم يسوع: طعمامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتم عمله.» (يو ٤: ٣٤)

+ «لأنني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني.» (يو ٥: ٣٠)

+ «لأنني لهذا نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً، بل أقيمه في اليوم الأخير. لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني، أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير.» (يو ٧: ٣٨-٤٠)

+ «إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (أف ١: ٥)

+ «إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدتها في نفسه.» (أف ١: ٩)

+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف ١: ١١)

+ «الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.» (١ تي ٢: ٤)

واضح من كل هذه الآيات ارتباط مشيئة الله بعمل المسيح الخلاصي، أي بتقديم جسده، ارتباطاً كاملاً وكلياً. هذا يحد ذاته يجعلنا نرى في وجودنا المسيحي كمفديين بدم المسيح منتهى تميم مشيئة الله من نحو حياتنا وقداستنا، وذلك فوق كل عمل وفوق كل سعي من جهتنا. فكل جهادنا وسعينا بعد ذلك هو لأننا قد مُسحنا بالدم وتقدّسنا بالروح وأكلنا وشربنا جسده ودمه، تأكيداً أننا نحيا فيه ونحيا به. بمعنى أننا نعمل ونجاهد ونصلي ونصوم ونسهر ونقرع الصدر ونعقر الجبين بتراب الأرض لأننا خلصنا وصرنا نحيا حسب مشيئة الله، وليس لكي نخلص أو نكمل مشيئة الله، لأننا قد افتدينا وليس لكي يفدينا، لأننا صرنا أحياء المسيح وليس لكي نصير أحياء له، أو بمنتهى الاختصار، إن كل أعمالنا وكل جهاداتنا الروحية والجسدية في كل مجال الجهاد والخدمة يتحتم أن تكون بالنعمة معمولة، وليس لكي نكتسب النعمة:

+ «لأنكم بالنعمة مخلّصون ... وذلك ليس منكم. هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر



«أحد.» (أف ٢: ٩٥٨)

+ «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم.» (يو ١٥: ١٦)

+ «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً.» (١ يو ٤: ١٩)

+ «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

«بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة»:

إنها حالة قد وقعت، وهي دائمة الحدوث، أننا «صرنا مقدسين» بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة. وهذا رداً على سؤال: كيف تقدسنا بمشيئة الله؟ الجواب: لأن مشيئة الله أكملت كلياً وتماماً بحياة الرب يسوع في تكميل منتهى الطاعة لله والتي ختمها على الصليب: «قد أكمل.» (يو ١٩: ٣٠)

ولحكمة بالغة يذكر هنا اسم «يسوع المسيح» لكي يوضح منتهى تكميل مشيئة الله كابن الله وابن الإنسان بروح البتوة لله الآب في منتهى الطاعة الإلهية، وبروح البشر في تقديم الطاعة الكلية بالجسد حتى الموت!!

وكلمة «الجسد» هنا متسعة، تشمل حياة المسيح كلها بكل جمال طاعتها، وحبها للآب بكل طهارتها وتعفّفها وقداستها، بكل مشاعرها التي أسرت قلب الآب جداً، حتى لم يبق شيء على الإنسان أن يكمله ليحظى بمشيئة الله ومسرته إلا والمسيح أكمله لنا، ولم يعد يتبقى لنا إلا الإيمان بالرب يسوع وعبته والاتصاق الكلي به، والتعبّد له من كل القلب لئنال ما ناله لأجلنا، أي لتصير في ملء مشيئة الآب محسوبين مقدسين في المسيح بتكميل هذه المشيئة من أجلنا.

«تقديم» جسد يسوع المسيح: προσφορᾶς

هنا كلمة: «تقديم = بروسفورا»، هي طقسية ذبائحية تشير إشارة بليغة لتقديم ذبائح العهد القديم. ولكن هنا «التقديم» هو الذي أنهى على كل تقديم. فلا بروسفورا بعد الآن لأن الذبيحة المقدّمة هي حيّة قائمة أمام الله تتكلّم وتشفع بلا انقطاع، دائمة وأبدية، قادرة قدرة إلهية لتكميل كل نقص في كل إنسان كل من يتقدّم بها إلى الله، فهي ذبيحة كل إنسان لكل أوان: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠). والآية التي تشرحها وتوضحها وتثبت مضمونها قالها ق. بولس لأهل أفسس: «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة.» (أف ٥: ٢)

أما قوله «مرة واحدة» ἐφάπαξ فقد شرحناها في أصحاب ٤: ٦ (ص ٤٠٦-٤٠٨) وأصحاب

٢٧:٧ (ص ٤٨٣ و ٤٨٤)، ونرجو العودة إليها.

ونكر أنها تعني أن تقديس المؤمنين بالمسيح قد تم وكمل من ناحية الله، بتقديم ذبيحة المسيح مرة واحدة. ونقول من ناحية الله فكل من يؤمن ويصدق ذلك لم يعد له طلبه يطلبها من لدن المسيح والله، بل عليه أن يتقدم هو الآخر في هذه الذبيحة الواحدة: «فأطلب إليكم أيها الإخوة - برأفة الله - أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رو ١٢:١). ومعنى هذه الآية أن أجسادنا قد تم تقديسها مع نفوسنا وأرواحنا، لأن «أجسادكم» هنا تعني الإنسان كله، فلأن الله قدّسها لنا بدم ابنه فهو يطالب بها لأنها له خاصة، فكلمة «مقدّس» تعني «مخصّص لله». وهذا المفهوم الروحي العالمي يحوي من المبادئ الروحية والنسكية والسلوكية الشيء الكثير، ويعوزنا الوقت، والمقام ضيق، لنشرح أننا أصبحنا لسنا لأنفسنا نحيا بل للذي اشترانا بدمه: «وهم يترغون ترنيمه جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختمه لأنك ذبحت واشترتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.» (رؤ ٥:٩)

فإن كان المسيح حقاً اشترانا بدمه وقد تسجّل عقد الشراء الموضوع على مذبح رحمة الله، فلننهم أنه لم يعد لنا إلا أن نبيع أنفسنا للذي اشترانا.

١١:١٠ «وكلُّ كاهنٍ يقولُ كلَّ يومٍ بخِدْمٍ ويقدمُ مراراً كثيرةً تلك الذبائح عيبتها التي لا تستطيعُ البتّة أن تُنزع الخطيئة.»

ثلاث مناقص تواجه نظام العهد القديم: الأولى موت الكهنة وقيام كهنة آخرين، الثانية تقديم خدمة الذبائح هي هي بتكرار لا أمل في الارتقاء به، الثالثة عجز هذه الذبائح عجزاً فاضحاً عن أن تؤثر في خطية الخاطيء أو ترفعها عنه. أما المحصلة النهائية لهذه المناقص التي لا مفرّ منها فهي بقاء الخطية كما هي بسلطانها الزمني حاملةً حكم الموت الأبدي للإنسان. وواضح ووضوح الشمس أن المطلوب بإلحاح هو كاهن لا يموت، وذبيحة واحدة تواجه كل أنواع الخطايا، وتقدم مرة واحدة، ويكون لها القدرة والسلطان أن تسحق الخطية وتبيد الموت!! آمين تعال أيها المسيا، هذا كان صراخ الآباء القديسين والأنبياء وكل مُتقي الله على مدى كل عصور التاموس.

١٢:١٠ «وأما هذا فبَعْدَ مَا قَدَّمَ عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جَلَسَ إلى الأبد عن يمين الله».

هنا يبدأ يظهر جلال المقارنة البديعة، فالكهنة في القديم كانوا في حالة خدمة مستمرة تتعلّق بتقديم الذبائح كل يوم، بلا أمل في بلوغ نهاية. وقد وصفهم بقوله: «يقوم كل يوم يخدم»، وكأنهم قيام على الدوام ولا رجاء في قعود. وفي المقابل هنا في حالة المسيح أنه بعد ما قدّم جلس إلى الأبد. إنها روعة المقارنة. فالجلوس إلى الأبد وعن يمين الله يعني أعظم ما يعني أنها خدمة أكملت إلى الأبد ولا مزيد، وأنها ذبيحة واحدة لا ثاني لها على الإطلاق، وأنها قُبِلت لدى الله الذي أعطى لها — أي أعطى لهذه الذبيحة، وهي المسيح ابن الله بالجسد، أن يجلس جلوس الكرامة والمجد ونحن مصوّرون فيها بل قائمون. إذ لما أكملت الذبيحة التي هي من أجلنا، تكملت لنا كل مفاعيلها أي الغفران والمصالحة والتبني ونوال برّ الله، فصرنا قديسين أمامه وبلا لوم. وهنا في قوله: «بعد ما قدّم ... جلس»، يكشف معنى قوله: «دخل راحته» (٤: ١٠). فجلوس الابن بجسده المذبوب من أجلنا عن يمين الآب، هو بدء السبت الأبدي الذي أَسْمَتْه الرسالة إلى العبرانيين بالسَّبَاتِيزْموس (٤: ٩)، وهو اصطلاح جيّد يُعجب له، أي سبت السبت كلها. وكان كل السبت السالفة كلها كان ينقصها الراحة الحقيقية، وقد بلغت هنا في أعظم معناها بجلوس الفادي والمخلص — بعد أن سحق الخطية والموت — عن يمين الله في عرشه: «وإن أعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ» (يو ١٤: ٣)، «آمين تعال أيها الرب يسوع.» (رؤ ٢٢: ٢٠)

١٣:١٠ «فَمُنْتَظراً بَعْدَ ذَلِكَ حتى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْهِ».

عودة إلى مزمو ١١٠): «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز ١١٠: ١). هنا توضيح لمجد ملكوية المسيح وهو جالس عن يمين الله، بعد أن أكمل النصر على الخطية والموت، وحرّر الإنسان من قيودهما، وقدمه إلى الآب ليكون أمامه بلا لوم في المحبة بعد أن قدّسه وفداه. وهنا يتعرّض المزمور بصورة غير مباشرة إلى تحديد زمان جلوسه بانتهاء كل سلطان أعدائه على الأرض وفي السماء. وأعداء المسيح ليسوا أعداءه إلا بقدر عداوتهم لنا، فالمسيح قبل التجسّد كان متفوّقاً على كل خليقة بلا نزاع، سيداً وربّاً مهوباً، ولكن بعد أن أخذ جسد الإنسان وصار مثلنا ابن بشر ظهر أعداؤه الذين يناصبونه العداوة المرّة عن طريقنا، فكل من يظلمنا يظلمه، وكل من يظهدنا يظهدنا: «شاوّل شاوّل لماذا تضطهدني» (أع ٩: ٤)، وكل من يظغى علينا، ويؤذينا ويُسَيِّئنا بفجور الخطية والتعدي، هو في الحقيقة يهينه ويتحدّى صليبه

ويراهن على دمه. نعم، إن المسيح الآن يجوز معنا محنتنا، والآب يعطين أُناتَه، مصمماً أن يضع كل عدو يناصبه العداوة فينا، تحت قدميه. المسيح كما سبق وقلنا ليس له أعداء ولا خليقة قط بمسئولية أن تعاديه، ولكن نحن الذين نواجهه عداوات قاسية وشنيعة، ونحن جسده، كيف يهنأ على كرسيه وجسده يتألم؟ أما هو فقد ظفر على الشيطان بالصليب وجرّد الرؤساء وسلاطين عالم الظلمة من كراماتهم ومؤهلاتهم وأبسهم الحزبي والعار إلى الأبد، وجلس في يمين عرش العظمة في السموات ووطأت أقدامه بالفعل فوق هامة كل الرؤساء والسلاطين في السموات والأرض: «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف: ١: ٢٠-٢٣). ولكنهم، وقد انهزموا أمامه، استداروا علينا وأشهروا كل صنوف حيلهم وخداعهم وأسلحتهم ضدنا خفية وجهاراً بلا رحمة وبلا هوادة:

+ «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس. فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات.» (أف: ٦: ١٠-١٢)

+ «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يشلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان عالين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم.» (١بط: ٥: ٨ و٩)

أما زمان بقاء المسيح محتجباً في السماء فهو جزء لا يتجزأ من عملية الخلاص بجملتها، التي تنتهي بانتهاء الأزمنة المحددة للكرامة بالإنجيل في العالم: «ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى» (مت: ٢٤: ١٤)، وذلك عندما يبلغ الإنسان إلى وحدة الإيمان وملء قامة المسيح: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح (الكنيسة)»؛ و«... إلى أن تنتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف: ٤: ١٢ و١٣)؛ وإلى ما يلمح عليه بطرس الرسول بـ «أزمنة رد كل شيء» (أع: ٣: ٢١)، أي عودة إسرائيل: «وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم» (لوق: ٢٤: ٢١)، وبعدها تُردُّ إلى أصحابها. هذه هي أزمنة رد كل شيء:

+ «ويُرسل يسوع المسيح المبشّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بضم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع: ٣: ٢٠ و٢١)

+ «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده.»  
(مت ٢٤: ٣٦)

+ «أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب هل في هذا الوقت تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.»  
(أع ١: ٧ و٦)

أما «آخر عدو يُبْطِلُ فهو الموت» (١ كو ١٥: ٢٦)، الذي سينتهي سلطانه على أجسادنا إلى الأبد بمجيء الرب وإعلان القيامة العامة:

+ «هوذا سرٌّ أقوله لكم، لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيَّر، في لحظة، في طرفة عين، عند البوق الأخير فإنه سيَبْوَقُ فيُقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر. لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد، ولبس هذا المائت (الجسد) عدم موت؛ فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة، أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية.» (١ كو ١٥: ٥١-٥٥)

ويعود بولس الرسول ويشرح لأهل تسالونيكي مصوراً منظر الرب في مجيئه الثاني هكذا:

+ «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله — "قد أُقْبِل العريس"، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١ تس ٤: ١٦-١٨)

ولكن «أزمة ردِّ كل شيء» التي يقول عنها بطرس الرسول، والتي تعني ردِّ إسرائيل إلى وضعها الأول لتدخل الإيمان بالمسيح ويصيروا في الحظيرة الواحدة مع الأمم المنتصرين المؤمنين بالرب، يقابلها عند بولس الرسول أزمة ارتداد في الأمم إلى عبادة الشيطان مرة أخرى (٢ تس ٢: ٣)، وكذلك أيضاً في مثل الزيتون الدسمة التي هي شجرة الحياة التي دُعيت إسرائيل إليها أولاً وصارت فرعاً من فروعها. ثم لعدم إيمانهم وتمردهم على الله قُطعت وألقت جانباً، والرب أتى بالأمم وهم غصن الشجرة المُرَّة التي كان يغذيها الشيطان، ولكن رحمهم الله، وطعمهم في الزيتون الدسمة أي شجرة الحياة، فأكلوا وشربوا من دسمها وأنمروا للحياة الأبدية، ولكن إن لم يثبتوا في الإيمان فهم تحت الحكم عينه الذي وقعت تحته إسرائيل، إذ قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة فكل غصن فيها لا يُعطي ثمراً جيداً يُقطع ويُلقى في النار:

+ «فإن كان قد قُطعت بعض الأغصان (إسرائيل) وأنت (الأمم) زيتونة برية طُعِمْتَ فيها

فصرت شريكاً في أصل الزيتون ودمسها، فلا تفتخر على الأغصان (إسرائيل). وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل، بل الأصل إياك يحمل. فستقول قُطِعَت الأغصان (إسرائيل) لأطعم أنا (الأمم)، حسناً، من أجل عدم الإيمان قُطِعَت، وأنت بالإيمان ثَبَّت. لا تستكبر بل خَف. لأنه إن كان الله لم يُشفق على الأغصان الطبيعية (إسرائيل)، فلعله لا يُشفق عليك أيضاً... وهم إن لم يثبتوا في عدم الإيمان سَيُطعمون لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً. لأنه إن كنت أنت قد قُطعت من الزيتون البرية (الأمم) حسب الطبيعة وطمعت بخلاف الطبيعة (٣) في زيتونة جيدة فكم بالحري يُطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة في زيتونتهم الخاصة.» (رو ١١: ١٧-٢٤)

ثم يستطرد بولس الرسول ليؤكد بحسب رؤياه الروحية كنبوة أن إسرائيل لا يد وأن تعود وتؤمن بالمسيح: «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماً (كذبة)، أن المساواة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو ١١: ٢٥ و٢٦)

فلو وضعنا قول الوحي على فم بطرس الرسول بجوار قول الوحي على فم بولس الرسول، نخرج بنتيجة واحدة هي كالآتي: أن إسرائيل بسبب عدم إيمانها بالمسيح استبعدت من خطة الخلاص لأنها رُفضت ولأنها كانت عدوة للأمم، وذلك ليُخلى الله الطريق للأمم ليدخلوا الإيمان المسيحي بلا مقاومة من اليهود، فبعد أن تكمل الكرازة لجميع الأمم، سيحدث، للأسف، ارتداد عن المسيح من جهة الأمم، وهنا تكون العلة في استبعاد إسرائيل قد استنفذت حقها، حينئذ سيفتح الله الباب لإسرائيل لتعود إلى الإيمان بالمسيح.

وهذا يختصره الرب يسوع بآية واحدة تحمل كل هذا المعنى، وقد سبق أن قلناها وهي: «وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكتمل أزمنة الأمم.» (لو ٢١: ٢٤) (٤)

وأيضاً قول الرب الواضح الصريح: «ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى.» (مت ٢٤: ١٤)

(٣) هنا يستخدم القديس بولس تشبيهاً من الطبيعة ولكنه غير ممكن قط، وهو أن فرع زيتونة برية مُرة يُطعم على أصل زيتون حلو جيد. ويقول بولس الرسول إنه صار شريكاً في دسم الشجرة الجيدة. فهذا خلاف للحقيقة والطبيعة، إذ أنه لا بد أن يثمر ثمراً مرّاً مثل أصله. لذلك، ولكي يتلافى هذا التعارض الطبيعي يقول دائماً: «خلافاً للطبيعة»، حتى يجوز التشبيه، أو يصبح معجزة أشد.

١٤:١٠ «لأنه بقربانٍ واحدٍ قد أكملَ إلى الأبدِ المقدَّسينَ».

سبق وأن شرحنا هذا القول في الآية (١٠:١٠) أن تقديسنا قد تم مرة واحدة وإلى الأبد، ولا مزيد ولا نقصان، بتقديم جسد المسيح كفارة مرة واحدة وإلى الأبد عن خطايانا، لتقديسنا أي لتخصيصنا لله. هنا يكرّر بولس الرسول هذه الحقيقة أو المعلومة اللاهوتية ذات الوزن العالي جداً أن كل مَنْ آمَنَ بالمسيح واعتمد فهو محسوب قديساً، وذلك من طرف واحد أي من جانب الله والرب يسوع. فنحن محسوبون قديسين بسبب إيماننا بالمسيح وذبيحته التقديسية. ولكن علينا نحن ومن جانبنا أن نحقق هذه النعمة الكبرى في حياتنا بتصديقنا عمل المسيح والله من أجلنا، أننا صرنا قديسين أمام الله وبلا لوم في المحبة، وذلك بأن نلتجئ إلى المسيح في كل أعمالنا وأفكارنا وأقوالنا لكي يقدمنا إلى الله أبية كل حين، ونصيرُنا في هذا قول سفر العبرانيين نفسه: «فمن ثمَّ يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم». (عب٧:٢٥)

إذاً، أيها الإخوة الأحباء القديسون بالرب، أصبح الجهاد الموضوع أمامنا هو جهاد الإمساك بالمسيح، وجاهدُ تصديقنا وعدَّ الله والربَّ يسوع، والتمسكُ الشديد بقول الوحي هذا: «إنه بقربان واحد - أي جسد المسيح المقدم ذبيحة على الصليب - قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين»، وحفظ أنفسنا بلا دنس في هذا العالم.

نحن لا يمكن أبداً أن نصدّق أنفسنا أننا صرنا قديسين، ولنا كل الحق في ذلك، فخطايانا أمامنا كل حين. ولكن أن لا نصدّق الله أننا صرنا قديسين بذبيحة المسيح، فهذه خطية، لأنها تكذيب لقول الله. أما المسيح فبعد ما قدّم هذا القرбан الواحد وأكمل المقدَّسين إلى الأبد، فلم يُعدّ عليه أي عمل آخر من نحونا من جهة تقديسنا وتقديمنا إلى الله أبية بلا لوم في المحبة.

«بقربان واحد»: μιῆ προσφορῆ

هنا كلمة «بروسفورا» تحمل من المعنى أوسع بكثير من «ثيسيا» θυσία أي «ذبيحة»، إذ أن كلمة «قربان» تشمل الذبيحة كما تشمل كل حياته قبل الصليب، بكل أعماله وبذله وحبه وتضحياته في خدمة الشعب. ولكي نفرّق بين «القربان» و«الذبيحة»، نقرأ لبولس الرسول أيضاً وهو يجمع الاثنين معاً، حياته وأعماله وذبيحته، بقوله: «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف ٥: ٢). وقد أوردها بولس الرسول أيضاً في الرسالة إلى رومية لتشمل معنى حياة وإيمان وبذل حتى الاستشهاد، كل الأمم الذين

آمنوا على اسم المسيح: «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس» (رو١٥: ١٦). وهكذا يدخل في مفهوم «القربان» الذي قدّمه المسيح لأجل تكميلنا في القداسة، الإنجيل الذي تركه لنا بكل مذكراته الثمينة القادرة فعلاً أن نكملنا بالكمال المسيحي الذي يُرضيه.

ونلاحظ في التركيب اللغوي للآية أنها لا تعني أن «القربان» — بحد ذاته — هو الذي كملنا للقداسة، بل المسيح نفسه، بتقديمه القربان: «بقربان أكمل المقدسين» (τετελείωκεν τοὺς ἁγιαζομένους)، أي بقربان واحد أكمل المسيح المقدسين، فهنا العامل الشخصي قائم بكل اعتبار، فالمسيح «بحياته» و«بذبيحته» أكمل المقدسين.

وهكذا نلمح من هذه الآية مقدار وزن حياة المسيح الشخصية بجوار ذبيحته أنها فعالة في تكميلنا للقداسة، فنحن نستمد من حياة المسيح كما من صليبه تقدسنا كل يوم.

وهذا التكميل الذي أكمله المسيح بتقديم حياته قرباناً من أجلنا يأتي في مقابل إخفاق الناموس إخفاقاً ذريعاً في ذلك: «إذ الناموس لم يكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل (بالمسيح) به نقترّب إلى الله» (عب٧: ١٩)، وذلك عكس ما صنع الناموس: «الذي هو رمزٌ للوقت الحاضر الذي فيه تُقدّم قربانين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذي يخدم» (عب٩: ٩)، «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة، لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون.» (عب ١٠: ١)

«إلى الأبد»: εἰς τὸ διηνεκές

الترجمة العربية تحفظت المعنى بقولها «إلى الأبد». فالكلمة اليونانية أعظم وأعمق فهي تعني «على الدوام» all the time. والمعنى أن عمل المسيح الذي عمله مع ذبيحته التي قدّمها تبقى على الدوام صالحة وعلى استعداد لتكميل كل من يتقدم بها إلى الله. وقد حاولت الترجمة اللاتينية أن تضعها هكذا: consummavit in sempiternum، لكي تشدد على دوام فاعليتها، بترجمتها: «دائماً» always وأصلها الكلمة اللاتينية Semper أي ever (\*).

كذلك تأتي كلمة «المقدسين» في الأصل اليوناني في الزمن المضارع المستمر بمعنى الذين يريدون أن يتقدّسوا، أو باختصار، المتقدّسين كحال دائم، لتفتح المعنى ليكون المتقدسون قادرين



أن يتقدسوا بقربان المسيح على الدوام كلما أرادوا وشاءوا واحتاجوا.

والمعنى الدائم الفعالية هنا هام وجيد، وهو يشبه المعنى الذي نستفيدة من آية أوردتها بولس الرسول في رسالته الأولى لكورنثوس: «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه، وتقومون فيه، وبه أيضاً "تخلصون" ...» (١ كور ١٥: ٢١). فهنا دوام الخلاص بالإنجيل كلما احتاج وشاء الإنسان، على وزن «المتقديسين» أي الذين يشاءون التقديس بقربان المسيح كلما أرادوا.

كذلك كما جاء في الآية (١٠: ١٠): «في هذه المشيئة نحن مقدّسون» ἡγιασμένοι كحالة قائمة مفتوحة على الدوام.

١٠: ١٥-١٧ «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً. لأنه بعد ما قال سابقاً:

هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل  
نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم،  
ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد».

في هذه الثلاث الآيات تأتي الترجمة العربية غير واضحة وتفتوّت المعنى على القارئ إذ أسقط المترجم من الآية (١٧) القول «يضيف بعد ذلك»، والتي وُضعت لتنبية ذهن القارئ على أهمية هذه الإضافة، ونرجو تصحيحها لتكون كالآتي حسب معنى النص اليوناني وحسب الترجمة الإنجليزية:

+ «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً، لأنه بعد ما قال:

هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب،  
"أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها على أذهانهم؛ يضيف بعد ذلك:  
"ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد"».

حيث الإضافة هذه تمثّل بيت القصيد<sup>(٦)</sup> أو التركيز الأساسي على قوله: «ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»، حيث يعلّق على هذه الإضافة بعد ذلك بقوله: «وإنما حيث تكون مغفرة هذه لا يكون بعدُ قربان عن الخطية» (١٠: ١٨)، بمعنى أن الآيات كلها مبنية على

(٦) كلمة: «بيت القصيد» شائعة في اللغة العربية. فالشاعر يبنى قصيدته على فكرة أساسية تنضح في بيت من أبيات قصيدته. فإذا عثر عليها القارئ، فهم القصيدة كلها. لهذا يستعمل هذا البيت بيت القصيد.

هذا الختام: «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً لأنه بعد ما قال ... قال ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد!»

١٥:١٠ «ويشهد لنا الروح القدس أيضاً لأنه بعد ما قال سابقاً».

«ويشهد لنا الروح القدس»:

المعنى أن الروح القدس، بلسان الوحي وبضم داود النبي، يشهد لحسابنا نحن المسيحيين عامة الذين جاء الوعد من أجلهم، وذلك من داخل النبوة التي جاءت شهادة للمسيح. وهنا محاولة من بولس الرسول ليستخلص من النبوة تأكيداً من وحي الروح القدس فيما يخص الخطايا والتعديتات أنه سينساها، ولن يتذكرها فيما بعد، وذلك كجزء لا يتجزأ من بنود العهد الجديد.

وهكذا يقسم منطوق العهد الجديد الذي جاء في المزمور إلى قسمين: الأول بند أساسي للعهد، والثاني بند مكمل وشارح.

بند العهد:

+ «أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها على أذهانهم».

البند المكمل للعهد:

+ «ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد».

ثم يعطي التعقيب كاستنتاج حتمي لا بد منه هكذا:

وبما أنه حدثت مغفرة للخطايا والتعديتات، لا يعود هناك سبب لتقديم قرابين على وجه الإطلاق، بمعنى حتمية توقف الذبائح الحيوانية وتوقف خدمة تقديمها التي يقوم الهيكل بترتيبه وتدبيره على أساس تقديم هذه الذبائح اليومية والموسمية والسنوية، مع إلغاء وظيفة مقدميها، أي الكهنة، بكل درجاتهم.

«هذا هو العهد الذي أعهدته معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب: أجعل

نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم،

ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد».

لقد سبق أن أورد بولس نص هذا العهد مطوّلاً في الأصحاح الثامن (٨: ٨-١٢)، وقدمنا الشرح المناسب له في موضعه نرجو الرجوع إليه (صفحات ٤٩٨ - ٥١١).

«وإنما حيث تكون مغفرة لهذِهِ لا يكونُ بَعْدُ قربانٌ عن الخطيَةِ». ١٨:١٠

(مغفرة): ἀφεσις

هذه الكلمة تأتي دائماً في بقية الأسفار متعلّقة بالخطيَةِ، وقد كُنِيَ عنها هنا بكلمة «هذه» أي الخطايا والتعديت التي جاءت في الآية (١٧).

والعهد الجديد لا يقف عند مغفرة الخطايا، بل إن نعمة المسيح تمتد لتسمح آثارها الماضية أيضاً: «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم». وجدير بنا أن نقف هنا للمقارنة بين عهد المغفرة هذا وزمن الناموس والتكفير بذبائح حيوانية حيث يقول: «لكن فيها كل سنة ذُكِرُ خطايا».

وعليّنا أن نتمتّن كثيراً في وعده: «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»، لأن مجرد هذا الوعد كفيل أن يوقف كل علة وكل حاجة بل وكل معقولة أن تُقدّم ذبائح أو قربانين أو حتى أعمال لاسترضاء وجه الله عنا كخطاة، إذ لم نَعُدْ خطاة في عينيه بعد بل أحياء وقديسين وبلا لوم. فإن كان الله لن يذكر خطيَتي ولن يذكر تعدياتي، فأنا حتماً محبوب عنده، بل وقريب إليه، بل ومن المؤكد أنه سيمنحني قوة لكي لا أخطيء أيضاً ولا أتعدى: «يا امرأة (الحاطنة) أين هم أولئك المشتكون عليك، أما دانيك أحد؟ قالت: لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا (الله) أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضاً» (يو: ١٠ و١١). هذا أروع مثل تطبيقي لقول الله في المزمور عن صفة العهد الجديد وصفة صاحب هذا العهد!! «لن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد». ولكن العجب ليس فقط أنه لم يذكر للزانية خطيَتها بل أنه أيضاً شيمها بدعاء: «اذهبي ولا تخطئي أيضاً»، فهنا قد منحها الرب سر عدم الخطيَةِ أيضاً.

يا قارئ العزيز، أنت مغفور الخطايا. فلا تخطيء أيضاً لأن القوة التي غفر بها المسيح خطيَتك هي بعينها التي توارزك لكي لا تخطيء أيضاً. لذلك إن تمسّكت جيداً بسر المغفرة، فسوف تُحمل على قوته لتطأ الخطايا بنعمته.

ومعروف أن الآثار المترتبة على الخطايا والتعديت تنشيء ثلاثة مواقف خطيرة أمام الله: فهي أولاً: توقف الإنسان في حالة أَسْرَ تحت سلطان العدو، وهذا ناشيء من كونه اتفق مع الشيطان وبدّد معه مذكراته الطبيعية التي وهبها الله إياها، من فكر وفهم وصحة وطهارة وتمييز، فأصبح الإنسان في حالة أَسْرَ للعدو، أي مأسور ومكبّل بسلاسل تحت سطوته مما استلزم عملية فِدْيَةٍ دفعها المسيح بدمه، وفكّ الأَسْر. لم يدفعها المسيح للشيطان، بل إنه أسر الشيطان نفسه على الصليب، وكبّله بسلاسل أبدية، وانتزع منه (سبى) سباياه: «سبى سبياً وأعطى الناس عطايا

(أي كرامات)» (أف: ٤: ٨)، ولهذا يُقال إنه اشترانا بدمه.

ثانياً: الخطيئة أحدثت للإنسان حالة تفرُّب عن الله وعداوة، وهذه استلزمت مصالحة أكملها المسيح بطاعته وقداسته ففرَّب البعيدين إلى قلب الله بعد عُزْبَة وعداوة.

ثالثاً: وهي أهمها أن الإنسان بتعدييه على نواميس الله، أصبح مديوناً أي محكوماً عليه، بمعنى أنه وقع تحت دينونة عدل الله، وأصبح محتاجاً إلى تبرئة أي مغفرة. وهذه أكملها المسيح بأن تحمّل في جسده الذي هو جسدنا عقوبة الدينونة وهي الموت واللعنة، فاستوفى العقاب من أجلنا، ووهبنا البراءة أمام عدل الله.

أما هنا في هذه الآية فقد ركّز بولس الرسول على «المغفرة» وحدها التي كانت تستلزم في القديم ذبائح حيوانية عن خطايا السهو فقط. وبقيت خطايا العمد معلقة، وبقي الإنسان حتى وهو تحت الناموس في حالة مطالبة لتنفيذ عقوبة الموت واللعنة. ولهذا جاء المسيح ليكتمل عمل الناموس فيما يخص خطية العمد التي عجز الناموس عن أن يقترب منها.

وهنا يعلّق بولس الرسول على عملية المغفرة التي تمّت لنا في مجرد منطوق العهد: «ولن أذكر خطاياهم وتعدّياتهم فيما بعد»، والتي تمّت بالحرف الواحد بذبيحة المسيح الكفّارية، فيقول إنه حتى من مجرد منطوق هذا البند في العهد الجديد كما جاء في النبوة: «لن أذكر خطاياهم وتعدّياتهم»، يكون هذا معناه أنه يتحمّم توقيف طقس الذبائح بكل خدماتها الهيكلية: «لا يكون بعد قربان عن الخطية».

وهكذا بمجيء العهد الجديد وتقديم جسد المسيح مرة واحدة عن الخطايا والتعدّيات، يكون إبطال الناموس فيما يخص خدمة اللاويين من جهة الذبائح وخدماتها الهيكلية.

وبوصول بولس الرسول إلى هذه الحقيقة من واقع النبؤات وما تم بالمسيح، يكون قد جاء إلى ختام حوار ودفاعة للعبرانيين، بحتمية إبطال الناموس وكل ذبائحه وخدماته، في ضوء مجيء المسيح، وتقديم نفسه مرة واحدة بذبيحة كفّارية وقرباناً، كرئيس كهنة، أكمل فداء الإنسان وقدمه إلى الله أباه إنساناً كاملاً مكثلاً بالقداسة مهياً للحياة الأبدية مع الله.

نظرة سريعة لأجزاء الرسالة إلى العبرانيين التي تم شرحها حتى الآن،  
وتقديم للجزء المتبقي منها:

إلى هنا يكون بولس الرسول قد استوفى رَفَع شخص المسيح:

— فوق الملائكة (وهو موضوع الدفاع الأول).

— وفوق موسى ويشوع وراحة أرض كنعان (وهو موضوع الدفاع الثاني).

— وفوق كهنوت العهد القديم بكل ما فيه من ذبائح وأنظمة (وهو موضوع الدفاع الثالث).

وفي الجزء المتبقي وحتى نهاية الرسالة سيقدم تطبيقات عملية مبنية على كل ما سبق وقيل  
حتى الآن. وهي تشمل:

بقية الأصحاح العاشر (توصيات عملية).

والأصحاح الحادي عشر (أمثلة الإيمان).

والأصحاح الثاني عشر (الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان).

وأما الأصحاح الثالث عشر ففيه نختم الرسالة.

### تطبيقات عملية

#### بقية الأصحاح العاشر

[ ١٠ : ١٩ - ٣٩ ]

لقد انتهى بولس الرسول من استعراض عمل المسيح كرئيس كهنة وهو الآن من الآية (١٩) حتى الآية (٣٩) يقدم تطبيقات عملية مُعْتَبِدَة على ما فات وعلى ما هو آت. وهي تنقسم إلى ثلاث نقلات:

الأولى: (١٠: ١٩-٢٥): الامتياز الذي صار إليه المسيحيون بالدخول بدم يسوع

إلى الأقداس العليا وما يترتب على ذلك من واجبات.

الثانية: (١٠: ٢٦-٣١): تحذيرات من السقوط والهلاك.

الثالثة: (١٠: ٣٢-٣٩): تشجيعات للمثابرة.

« أنا أمضي لأعدُّ لكم مكاناً،

وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وأخذكم  
إليَّ

حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً،  
وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق.

... أنا هو الطريق والحق والحياة،

ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. » (يو١٤: ٢-٦)

« أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي

حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني، لأنك

أحببتني قبل إنشاء العالم. » (يو١٧: ٢٤)

### النقطة الأولى:

أ - (١٠: ١٩-٢١): الدخول إلى الأقداس العليا بدم يسوع: لقد أكمل رئيس الكهنة ذبيحة الكفارة ودخل الأقداس العليا كسابق لأجلنا، وافتتح الطريق أمامنا بجسده المكسور، وسلّمنا سر الدخول أي دم ذبيحته الذي يؤهلنا للدخول معه إلى نفس الأقداس، لتتراءى فيه ومعه أمام الآب، كقديسين وبلا لوم في المحبة.

ب - (١٠: ٢٢-٢٥): هذا الامتياز الفائق يضع علينا بالضرورة كجماعة أن يكون لنا فعل الإيمان الواحد بمعمودية واحدة، والتمسك بالرجاء بالوعد وإذكاء المحبة القائمة على الأعمال الحسنة، والصلاة والتعليم.

١٠: ١٩ « فإذ لنا أيها الإخوة ثقةٌ بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع. »

### « فإذ لنا »:

هنا القصد مُنصَّبٌ على أنه ما كان تحت التاموس امتيازاً لفرد واحد هو رئيس الكهنة ليُدخل إلى الأقداس بجماعة وهو حامل دم ذبائح الكفارة، أصبح حقاً وامتيازاً لنا - كل شعب المسيح المؤمن به والحامل دمه فيه - أن ندخل كلنا وبثقة لتتراءى به أمام الآب.

ولقد سبق بولس الرسول أن انتهى إلى نفس إثبات هذا الحق المشروع لنا، بسبب انتمائنا للمسيح كرئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السموات من أجلنا حاملاً جسداً ليُدخل به إلى الأقداس، عن جدارة وأحقية بل ولياقة عظمى:

+ « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله فلتتمسك بالإقرار... فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه. » (عب ٤ : ١٤ و ١٦)

«أيها الإخوة»: ἀδελφοί

تلميح صريح إلى الوضع الجديد الذي صار إليه كل مَنْ آمَنَ بالمسيح، وكأنما ينادي ضمائرهم أن ينتبهوا إلى عطية المسيح التي جمعت المؤمنين به كأخوة في عائلة وجسد واحد.

«ثقة»: παρρησίαν

تأتي باليونانية بمعنى «جرأة علنية» boldness كما جاءت ترجمتها في عظات ذهبي الفم. ومن أين أتت هذه الجرأة إلا باعتبارنا حاملي دم رئيس الكهنة ذاته، دم الذبيحة ومقدمها بأن واحد. أما «دم» ذبيحة الكفارة العظمى ففيه لنا غفران كل الخطايا، وحياة من بعد موت، وروح الله الأزلي؛ وأما أن هذا الدم هو عينه دم ابن الله ورئيس الكهنة العظيم الذي اجتاز السموات من أجلنا، فلنا فيه المصالحة الكبرى مع الآب والبنوة والميراث. فكيف لا تكون لنا جرأة وقدم بثقة؟

«بالدخول»: εἰς τὴν εἰσοδον

هنا لا يقصد مجرد دخول، بل كيفية الدخول، كونه على حال من الكرامة والترحاب والاعتداد بالدم الذي نحمله. وربما هذه الآية تعبر عن هذا المعنى: «لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول εἰσοδον كان لنا إليكم...» (١ تس ١ : ٩)، وأيضاً: «لأنه هكذا يُقدّم لكم بسعة دخول εἰσοδος إلى ملكوت ربنا ومخلصنا...» (٢ بط ١ : ١١). وبولس الرسول يُبطن في هذا التعبير أن ثقتنا أو بالحري جرأتنا بالدخول إلى أقداس السموات لا تأتي من فراغ؛ لأن دخولنا على مستوى دخول رئيس الكهنة ذاته إلى قدس الأقداس. لأنه محال أن يتخطى عتبة قدس الأقداس إلا واحد وحيد هو رئيس الكهنة. هكذا وبالتمام فيما يخص أقداس السماء وحضرة الله العلي، فإنه مُحال أن يتخطى السموات إلى حضرة الله إلا الابن وحده حاملاً الكفارة بدمه، فهكذا إن دخلنا فنحن إنما لا ندخل بمؤهلاتنا ولا حتى بذواتنا خلواً من الابن يتقدمنا ويُقدّمنا:

+ «الذي به لنا جراءة وقدم بإيمانه عن ثقة.» (أف ٣ : ١٢)

+ «ولكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويُظهر بنا رائحة

معرفته في كل مكان.» (٢ كو ٢ : ١٤)

+ «لأنه لا ق بذاك، الذي من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد،

أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام.» (عب ٢ : ١٠)

«بدم يسوع»: εν τῷ αἵματι :

وفي الفولجانا = in sanguine .

دم يسوع، هذا هو المركبة النارية شبه التي صعد بها إيليا إلى السماء، دم المسيح أدخل الطريق المؤدّي إلى السماء وسماء السموات وما هو أعلى من السموات من كل العواقي التي كانت تحول دون دخول الإنسان إلى حضرة الله. فلا شاروبيم وسيفه المتقلّب بالنار، ولا جنود الشر الروحية المنبثّة في السموات، ولا خزفي الإنسان وخجله من ذنوبه وخطاياها، ولا رائحة موت لموت بعد، بل رائحة المسيح الذكيّة في دمه الذي بروح أزلي يحملنا ويصفّينا بروح الإحراق (إش ٤: ٤) والتطهير، كذهب قد تصفّى بالنار، ولاق به أن يترأى أمام الله. دم المسيح هو حياته. فبِحياة المسيح نعبر محارس الموت والمهاوية وعلينا ختم الدم، ودم المسيح هو قداسته وبقداسة المسيح نعبر بوابات الدينونة الرهيبة وعلينا ختم الدم ... فندخل ونرى الله:

+ «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَةٌ وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ... مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي.» (يو ٦: ٥٤ و٥٧)

+ «مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلْتَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دِينُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.» (يو ٥: ٢٤)

+ «وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخُرُوفِ، وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ.» (رؤ ١٢: ١١)

+ «فَقَالَ لِي: هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَتَوْا مِنَ الضِّيْقَةِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ الْخُرُوفِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ وَيَخْدُمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحُلُّ فَوْقَهُمْ.» (رؤ ٧: ١٤ و١٥)

+ «يَسُوعُ الْمَسِيحُ الشَّاهِدُ الْأَمِينُ، الْبِكْرُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَرَبُّ مَلُوكِ الْأَرْضِ، الَّذِي أَحْبَبْنَا وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَيْدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ.» (رؤ ١: ٦ و٥)

هذا هو دم المسيح الذي يؤهلنا ومنذ الآن إلى الدخول إلى الأقداس السماوية، لا كغرباء ونُزلاء بل كأبناء، كأهل بيت الله، وكملوك مع المسيح وكهنة لله، لا يمنعهم الموت عن البقاء، لا ندخل لكي نخرج كرئيس الكهنة في القديم وقوفاً وعلى عَجَلٍ، بل ندخل لنجلس مع المسيح في السماويات ونبقى وندوم. فحينما دخل العريس ومعه العذارى المستعدات أغلق الباب، فلا خروج بعد.

دخل كسابق من أجلنا، وعليه دمه، دشّن به الطريق وفتح الباب، مسح به العتبة والقائمتين



لتقودنا الملائكة دون مانع: «قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً...» (رؤ٥:٣)، «أنا هو الباب...» (يو١٠:٩)

٢٠:١٠ «طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب أي جسدياً».

هنا «الطريق» جاءت منصوبة باعتباره أنه هو حال «الدخول»، فيكون تركيب الكلام هكذا: «لنا ثقة بالدخول دخولاً حال كونه طريقاً...». فالدخول والطريق ملتزمان في معنى واحد. والمعنى واضح وجميل، فالمسيح دخل إلى الأقداس العليا كرئيس كهنة حاملاً جسده المكسور ودمه المسفوك، أو على وجه الأصح، لأن المسيح كان حاملاً جسده المكسور وعليه دمه، تعبّد أمامه الطريق إلى الأقداس العليا، وانفتح الباب، فجسده كان ذبيحة الكفارة التي أهلته ليعدّ بها الطريق والتي انفتح أمامها الباب:

+ «أنا أمضي لأعمدّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً. وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق... أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي.» (يو١٤:٢-٦ و٤٦)

والآن واضح أنه إن كان لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس، فلأننا عرفنا الطريق عن صحة وجدارة، لأننا حاملون جسد المسيح بل ودمه فينا، بل والمسيح نفسه يقودنا إلى حيث هو قائم لنكون معه. فهذه كانت أعزّ طلبية طلبها من أبيه (يو١٧:٢٤).

«الذي كرّسه لنا طريقاً حديثاً»: ἡν ἐνεκαίνισεν ἡμῖν ὁδὸν πρόσφατον

الجملة باليونانية تقدّم التكريس على ذكر الطريق لذلك يقع التكريس على «الدخول» فيكون التركيب للآيتين معاً (٢٠ و ١٩): «لنا ثقة بالدخول... الذي كرّسه لنا طريقاً حديثاً حياً».

«الذي كرّسه»: ἡν ἐνεκαίνισεν

الكلمة باليونانية شبيهة بالأصل العبري، فالتكريس بالعبري هو «المسحة» وتسمى «حاتوكا» أي «يدهن»، وتستخدم في السبعينية لتكريس المذبح والهيكل. لقد عبّر المسيح بالطريق المؤدّي إلى الأقداس بجسده المذبح ودمه عليه، فحسب بكل يقين أنه كرّسه أي دشّنه بالجسد وعليه الدم، وأينما وجد الجسد والدم وجدت المصالحة والغفران. وبهذا يكون قد صار هو الطريق، وسار هو فيه، وأصبح طريقاً مسحاً يحمل السائرين فيه ليضعهم أمام الله حيث المسيح.

وهنا يُلاحظ القارئ أن الدخول إلى الأقداس في السماء تمّ على مرحلتين: المرحلة الأولى

كانت بدخول المسيح بجسده المذبوح ودمه عليه، وهكذا كرّسه لنا، والمرحلة الثانية أنه هو بنفسه يأتي ويقودنا ويحملنا إلى حيث هو قائم. أمّا دخوله هو أولاً فيقول بولس الرسول عن ذلك: «دخل كسابق من أجلنا» (عب ٦: ٢٠)، «دخل مرّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عب ٩: ١٢). وأمّا دخولنا نحن فيقول عنه المسيح نفسه في إنجيل يوحنا: «أتي أيضاً وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً.» (يو ١٤: ٣)

وهنا يتحتم أن تنتبه لمعنى الكلام فقوله: «دخل كسابق من أجلنا»، هذا يعني أنه كرّسه لنا ومن أجلنا؛ فدخوله كان لحسابنا. ثم إن كان دخوله الظاهر من أجلنا، بجسده المكسور ودمه المسفوك، كذبيحة كثّارة مرفوعة دخل بها إلى الأقداس كرئيس كهنة حقيقي، فإنه قد أعطانا أيضاً جسده ودمه هذين. فإن كُنّا نحمل الجسد والدم بل ونحمل المسيح فينا، فنحن مؤهلون للدخول حتماً، بل نكون قد دخلنا. لذلك تقول الآية: «لنا ثقة بالدخول بدم يسوع دخولاً كرّسه لنا ... طريقاً بجسده»، بمعنى أنه دخول محقق مفتوح على الدوام؛ ولهذا يُردف بالآية بعدها ويقول: «فلنتقدّم بقلب صادق ...»، أي أن دخولنا وتقدّمنا حاضران كل حين، الآن وإلى الأبد، حضور الجسد المكسور والدم المسفوك، على المذبح، وفي قلوبنا، وفي الأقداس العليا على عِين العظمة في السموات. «لأن به لنا كلينا (يهوداً وأممًا) قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف ٢: ١٨)

ليس هذا مجرد حقيقة لاهوتية ولكنه اختبار حي. فنحن حينما نقف للصلاة من كل قلوبنا وأفكارنا، فنحن نستشعر أننا واقفون في الحضرة الإلهية، ونشعر بفرح قُربنا من الآب ورضاه. فالدخول إلى الأقداس العليا هو تعبير منحوت من منظر رئيس الكهنة وهو حامل دم ذبيحته وداخل إلى قدس الأقداس. ولكننا، وبحسب قول الرب للسامرية، قد بلغنا الساعة السعيدة التي نص عليها: «يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ... ولكن تأتي ساعة وهي "الآن" حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق» (يو ٤: ٢١ و ٢٣). فقد انتهت الآن الأقداس الزمنية، والأقداس السماوية حاضرة كل حين للروح الساجدة بالحق: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢). نعم، فما نحن لا نعيش بعد على الأرض بل نحن منجذبون دائماً إليه وسيرتنا هي في السموات. لأننا قمنا مع المسيح، وإلى السماء نحن ناظرون، وحيث المسيح جالس ساجدون.

«كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده»:

«حديثاً»: πρόσφατον

لا يجب أن نتوه عن قوله في الآية السالفة: «لنا ثقة بالدخول»، لأنه يكمل الآن: «طريقاً

حديثاً»، فهو هنا منشغل بوصف حال دخولنا.

فالطريق الحديث يقابل في العهد القديم ذلك الدخول وذلك الطريق القديم في خيمة الاجتماع أو الهيكل حيث كان يُعبرُ رئيس الكهنة. فهنا طريق آخر تماماً. ولكي يُعمن في التركيز لجذب ذهننا، يعود ويقول إن هذا الطريق حيٌّ ὁσων، ويكون بذلك قد حاصر تفكيرنا من كل جانب، فلم يُعُدْ أمامنا إجابة عن ماذا ومن يكون هذا الطريق سوى أنه المسيح نفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب (قدس الأقداس) إلا بي» (يو ١٤: ٦)؛ وفي قول المسيح هنا: «أنا هو الطريق والحق والحياة»: فهذا هو «الطريق الحي»، أو طريق الحياة، أو حياة الطريق. وفي قوله: «أنا باب الخراف»، يكون هو الطريق والباب بأن، فهو الطريق والدخول بأن. وقوله: «حديثاً»، لا يفني بمعنى الكلمة اليونانية تماماً التي تعني أيضاً أنه جديد (طازج Fresh) ومتجدد لا يأتي إلى قدم: «فإذ قال جديداً عتق الأول، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال» (عب ٨: ١٣). أما قوله: «حيّاً» فهو يكاد يقول إن هذا «الطريق» مشحون، فهو ذات حياة، تحمل من يريد أن يعبره لتعبره، فهو ليس طريقاً لقدم بل طريقاً للروح. ويعلق ذهبي الفم على كلمة «حي» بقوله: [ لم يقل طريقاً للحياة بل طريقاً حياً بمعنى الذي يدوم ] (٧).

حينما سأل توما الرب عن كيف نعرف الطريق؟ لم يكن يظن أبداً أن الجواب سيكون: «أنا هو الطريق»! توما يسأل عن طريق غير العالم أو غير الفكر، والمسيح يشير إلى نفسه. ولكن المسيح كان قد سبق وأشار إلى ذلك في مواقف كثيرة يتحتم علينا أن نسترجعها:

+ «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو ٣: ١٣)

واضح أن المسيح نزل وصعد ليدشّن الطريق الصاعد إلى الله، نزل ليحمل الإنسان ويصعد به، فعبر جسده أقام الطريق ودشّنه وضمن الوصول.

+ «وأنا إن ارتفعت ... أجدب إليّ الجميع.» (يو ١٢: ٣٢)

الارتفاع هنا ارتفاعان: الأول على الصليب، والثاني بالقيامة من الأموات. في الأول حملنا بخطايانا، وفي الثاني حملنا بدون خطايانا.

+ «قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي.» (يو ١٤: ٦)

هذا أوضح ما قيل عن كيف يقودنا المسيح بنفسه وفي نفسه ليضمن لنا الوصول إلى حضرة الآب بكل يقين!

+ «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب.» (يو: ١٦: ٢٧ و٢٨)

هذا هو الخروج لمهمة الخلاص العظمى، وهذا هو الدخول لتكميل المصالحة الأبدية، الطريق إلى الإنسان عبر الجسد، والطريق إلى الله بالجسد حاملاً البشرية المفتداة.

«بالحجاب أي جسده»:

كان الحجاب المزدوج المسدول على قدس الأقداس في خيمة الاجتماع يمثل عزوف الله عن رؤية الإنسان، بسبب العصيان، كما يمثل حرمان الإنسان من رؤية الله بسبب ظلمة الخطية التي غَشَّتْ بصيرته وأعمته عن رؤيا النور. ولهذا كان الحجاب مزدوجاً، وكان جسد الإنسان يعمل عقوبة العصيان وظلمة الخطية بآن واحد. فلكي يُرْفَع هذا الحجاب لكي يرى الله الإنسان ويرى الإنسان الله، كان يتحتم أن يتغير هذا الجسد إلى جسد تُرْفَع عنه العقوبة وتُباد منه الخطية. هكذا لبس المسيح الجسد، وحمل العقوبة فيه ولبس الخطية معاً. وعلى الصليب أكمل العقوبة وأباد الخطية بموته، وموته انشقَّ الحجاب المزدوج أمام قدس الأقداس، انشقَّ من أعلى إلى أسفل إذ ثَمَّت المصالحة من فوق وبلغت إلى منتهى الإنسانية في ذُلِّها وفي سحقها، وتطلَّع الإنسان ونظر الله «وأما هو (إستفانوس) فَشَخَّصَ إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أع: ٧: ٥٥)، بلا مانع!!

إذاً، لم يُعَدَّ جسداً هو الذي نرى به الله أو ندخل به إليه، بل جسد المسيح الذي أعطانا ودمه وروحه اللذين سقانا. ولكي نحيا معه لا بد أن نتغير: «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في: ٣: ٢١). فلكي نرى الآب كما يراه الابن، لا بد أن نصير مثل الابن في إدراكه ورؤياه: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١ كو: ٢: ١٦)، «أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١ يو: ٣: ٢)، «مَنْ يَأْكُلُنِي فهو يحيا بي.» (يو: ٦: ٥٧)

وأخيراً لا ينبغي أن ننسى أن هذا الدخول موصوف في بداية الآية أنه عن «ثقة»: «لنا ثقة بالدخول»، وهذه الثقة مستمدة من الدم والجسد اللذين نحملهما!!

٢١:١٠ «وكاهنٌ عظيمٌ على بيتِ الله».

وإضافةً إلى الثقة التي لنا بالدم والجسد اللذين نحملهما، فلنا في الأقداس السماوية نفسها مَنْ يمثّلنا تمثيلاً فعالاً ورسمياً، كمحامٍ عتاً وشفيحٍ أمام الحضرة الإلهية، يحمل جنسنا، وقد تقلّد ثوب الكهنوت ووظيفته وفي يده دم ذبيحته لا يجفُّ.

«وكاهنٌ عظيمٌ»: και ιερέα μέγαν

هنا صفة العظمة تفصل وظيفة المسيح عن مفهوم الكهنوت بدرجاته وراثاته، وهي صفة تقلّدها من واقع ارتفاع وعظم ذبيحته عن كل مفهوم للذبايح كان ويكون. فهو كاهن يحمل أقدس ذبيحة لها غلو السماء في قداسها وعمق بر الله في ظُهرها، وقدرة الله في فعلها.

«على بيتِ الله»:

وبيته نحن (عب ٣:٦)، أي البشرية المفتداة على الأرض وفي السماء بكل حرّاسها وخدمائها الملائكيين المقدّسين، الذين لهم حضور أمام الله حتى إلى المذبح الناطق السمائي. فأرواح الشهداء هم فيه أعمدة وقواعد، يتكلّمون ويُسمع لهم، والقديسون على الأرض كنيسة هم فيها عُمد يشهدون للحق ويكرزون، ويكتملون الخدمة، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء والمسيح فيها حجر الزاوية.

وبيت الله، الكنيسة الحيّة والجسد المتحد والمتأزّر الأعضاء، التي تتشكّل كل يوم وتنمو وتعلو لتأخذ كمال بهائها كمدينة «العالم العتيد» (٥:٢)، بل «مدينة الله الحي، أورشليم السماوية» (١٢:٢٢)، «ذات الأساسات» (١٠:١١)، يحرسها ربوات هم محفل ملائكة وخوارج وأرواح أبرارٍ كلهم مكتملون في المجد. كعروس الخروف يوم تجلّيه، كزينة السماء الجديدة والأرض الجديدة، كفرحة الله في سبته الأبدي، وكمال مسرّته في خِلْقَةِ يديه، يوم يتطلّع إليها الله فيرى صورته فيرتاح فيها وترتاح هي براحته، يورثها ميراثه مع الابن برضا مسرته، فننعم البشرية بأبوة الله إلى ما شاء الله.

+ أما الآن: «فليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب ١٣:١٤)

٢٢:١٠ «لنتقدّم بقلبي صادقٍ في يقينِ الإيمان، مرشوشةً قلوبنا من ضميرٍ شريرٍ، ومغتسلةً أجسادنا بماءٍ نقيٍّ».

هنا، وتعقيباً على ما تقدّم في الآيات ١٩ و٢٠ و٢١ التي بحثنا فيها بولس الرسول على الثقة بالدم والجسد والاعتماد على المسيح كرئيس الكهنة العظيم القائم على بيت الله، يعطي ثلاث آيات

مثاليات مؤسّسة على الإيمان، والرجاء، والمحبة ومعها الأعمال الحسنة:

في الأولى: يهيب بنا أن نتقدّم في «يقين الإيمان»،

في الثانية: أن نتمسك «بإقرار الرجاء راسخاً»،

في الثالثة: يدعونا للملاحظة بعضنا بعضاً «في المحبة» ويحرّضنا على العمل الحسن.

وواضح جداً أنه يعبئنا كل الطاقات المسيحية لكي نستخدمها في التقدّم إلى الله كل حين ونستعمل كل حقوقنا التي نلناها في المسيح، ليكون لنا دخول إلى الله لتتراءى أمامه.

الآية الأولى: من جهة يقين الإيمان: (١٠: ٢٢).

«لنتقدّم بقلب صادق»: *προσερχώμεθα μετὰ ἀληθινῆς καρδίας*

يبدأ من هذه الآية يعبئنا الطاقات المسيحية التي وهبها لنا المسيح، فأولاً: يبدأ بالقلب وهو مركز الشعور والعواطف والأحاسيس، ويحدّد له صفة الصدق. والصدق أعطي له باليونانية معنى «الحق»، ويُقصد به أن يكون القلب منحازاً كلياً إلى الحق أي إلى الله. وهنا يُحسب القلب صادقاً True بمعنى أن يمارس خصائصه النبيلة التي جبله الله عليها، أي مُخلصاً مع نفسه تجاه الله الذي خلقه. والمعنى النهائي أن يكون متعبداً خاضعاً مطيعاً لله وحده وليس أي شيء بجوار الله. والتحذير هنا من الانقسام. وتعبّر عنها التسبحة اليومية في قولها: "تبعك من كل قلوبنا".

والإنسان وحده هو الذي يعرف ويحكم على نفسه إن كان قلبه مع الله كلياً أم لا.

وقد أحسن القديس بولس في وضعه القلب الصادق على أول قائمة المؤهلات المسيحية.

«في يقين الإيمان»: *ἐν πληροφωρίᾳ πίστεως*

هنا الترجمة العربية تصرّفت لتعطي معنىً عمومياً لأصل الكلمة اليونانية التي تنص على معنى «الملء» *fullness*. وتأتي باللاتينية الفولجاتا *in plenitudine*، وباللاتينية القديم *confirmatione*. والمعنى الذي نخرج به من هذه التعبيرات هو أن يكون الإيمان قد بلغ منتهى قوته! أو أقصى ملئه. وتكون علامته التسليم الكلي والاعتماد الكامل على الله القادر والمستعد أن يُعين.

وليلاحظ القارئ الذي يشقّاق لاختبار عمل الله، أن الإيمان حينما يبلغ فعلاً إلى أقصاه ويكون الإنسان قد ألقى بالحق والصدق كل رجائه، وبكل قوته، على الله دون ارتياب أو اهتزاز، مهما كان الأمر صعباً ومستحيلاً لدى الناس، ودون أن يتراجع الإيمان ولو إلى لحظة، فإنه تحدث

المعجزة وتتم الاستجابة!

وهذا لا يأتي من فراغ، ولا يأتي عفواً، بل يلزم أن تسنده سيرة سابقة في التقوى ومخافة الله وطاقته ومحبته.

«مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير»:

في طقوس التطهير في العهد القديم كان يُرش على المنجسين برشاش دم الذبيحة فيطهرون:  
 + «وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هذا هو دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.» (خر ٢٤: ٨)  
 + «لأن موسى بعد أن كلم الشعب بكل وصية حسب الناموس أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزيًا وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب.» (عب ٩: ١٩)  
 + «ويأمر الكاهن أن يُذبح العصفور... والزوفا يغمسها... في دم العصفور المذبوح... وينضح على المتطهر سبع مرات فيطهره، فيغسل المتطهر ثيابه... ويستحم بماء فيطهر.» (لا ١٤: ٨-٤)

وهكذا كان التعامل مع الإنسان بدم الحيوانات من خارجه سواء على جسده أو ملبسه، أمّا العهد الجديد فرشاش دم ذبيحة المسيح يتعامل مع القلوب والضمائر، حيث كلمة «مرشوشة قلوبكم» هي اصطلاح مستعار من الرش بالدم قديماً، لأن فعل دم المسيح على قلب الإنسان هو عمل سري غير منظور ولا محسوس. فالروح الأزلي الذي في دم المسيح المنسكب على الصليب يمتد عبر الأزمنة وعبر الأجيال ليقُدس ويَطهر القلوب بالإيمان؛ لأن الإيمان بالمسيح هو الإيمان بالدم المنسكب من ذبيحته الفدائية على الصليب.

«من ضمير شرير»:

هنا يتضح لنا كيف ينعكس العمل الشرير على ضمير الإنسان فيصبغه بذات الفعل. على أن العمل الشرير هو أصلاً متسرب من ضمير سبق وتصوّره بل سبق ونقّذه بالنية. فضمير الإنسان يصوّر الشر وينقّذه بالنية، ثم إذا تم بالفعل يعود وينعكس على ذات الضمير فيصبغه ويعطيه سمة الشر لا تفارقه، كالصبغة التي لا تفارق الثوب. ولكن شكرياً لله الذي أعطانا بدم ابنه على الصليب هذه القوة المخارقة التي تتغلغل أعماق الضمير وتطهره، بل وتقُدسه وتضيئه، فلا يعود خادماً للخفية والشر، بل يخدم الله بالروح والحق: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقُدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه بلا

عيب يظهر ضمائرکم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٣ و ١٤)

«ومغتسله أجسادنا بماء نقي»:

ليس المقصود هنا مجرد غسل جسد، لأن الجسد في العرف المسيحي ليس هو الجسم بل هو تعبير عن الإنسان في حالة الخطية: «... نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح، فإن الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فيما للروح، لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياةً وسلاماً، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله ... وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم» (رو ٨: ٤-٩). لذلك فالإغتسال هنا هو الاصطلاح المستخدم في بكور المسيحية ليعبر عن المعمودية، حيث إذا اغتسل الجسد في المعمودية صار الإنسان ليس في الجسد يعيش بعد بل في الروح: «الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح» (١ بط ٣: ٢١). كذلك فالإغتسال بالماء كان معروفاً أنه فعل من أفعال الصلاة بالكلمة لتقديس الماء: «لكي يتقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ...» (أف ٥: ٢٦)

كذلك فغسل المعمودية هو بعينه الميلاد الثاني والتجديد بالروح: «لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبته بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا.» (تي ٣: ٥ و ٦)

ويلاحظ القارىء أن بطرس الرسول لما فهم الغسل أنه مجرد غسل الماء وطلب غسل يديه ورأسه، انتهره المسيح، لأن قوة الغسل ترقى إلى التقديس: «قال له يسوع الذي اغتسل (اعتمد) ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه (تقديسها للكراسة) بل هو طاهر كله.» (يو ١٣: ١٠)

وعلى العموم يمكن أن نستشف من قول بولس الرسول في هذه الآية عن رش الدم على القلب وغسل الجسد بماء نقي إشارة واضحة لسري الإفخارستيا والمعمودية بالدرجة الأولى، حيث يتنبه ذهننا أن بهذين السرين اللذين يتم عملهما بأعمال ظاهرة، يتغلغل فعلاهما في القلب والضمير لتقديس الجسد والروح في الأعماق، وبقوة السر الإلهي فيهما ننال حتماً قدوماً إلى الله في يقين الإيمان. إنها دعوة مُجدِّدة لنا ينبغي ألا نفوتها!!



## الآية الثانية من جهة رسوخ الرجاء :

٢٣:١٠ «لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وَعَدَ هو أمينٌ».

واضح أن آخر ما نصّت عليه الآية السابقة هو الالتصاق بالإيمان الذي توثق واخْتَمَمَ بالعمودية. ومعروف أن المعمد لا بد أن يعطي بعد العمودية إقراره أن يظل أميناً على ما أوتن عليه. وهكذا جاءت هذه الآية تعبيراً مباشراً على العمودية لترسيخ الرجاء!

«لنتمسك بإقرار»: κατέχωμεν την ὁμολογίαν :

«لنتمسك» وتعني الكلمة اليونانية أن «نمسك بشدة». أما كلمة «الإقرار» في اليونانية فواضح أنها تعني «الاعتراف»، وهو الاعتراف الإيماني الذي يُملَى على المعمد فينطقه كلمة كلمة وراء الأسقف الذي كان منوطاً به التعميد.

وكلمة «نتمسك» ذات مدلول هام في الرسالة إلى العبرانيين، فقد جعلها بولس الرسول الشرط الأساسي لكي نُحسب من أهل بيت الله أو أعضاء حية في جسد المسيح أي كنيسة: «وبينته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية» (عب ٣:٦). كذلك جعلها شرطاً أساسياً لضمان حياة الشركة مع المسيح: «لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداة الثقة ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣:١٤)

أما كلمة «الإقرار» التي يستخدمها المترجم بدل «الاعتراف»، فقد سبق ولقُرردها في الترجمة العربية بمعنى الاعتراف: «من ثمَّ أيها الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية لاحظوا رسول "اعترافنا" ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ٣:١)، ولكنه عاد واستخدمها بمعنى الإقرار في الآية: «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسك بالإقرار» (عب ٤:١٤). وهكذا نجد أن فكر المترجم مربوط بمفهوم الإقرار الذي يعترف به المعمد، وهذا جيد.

«إقرار (اعتراف) الرجاء»: ὁμολογίαν τῆς ἐλπίδος :

هذا الاصطلاح هام في الحقيقة فهو تعبير جيد عن مضمون الإيمان بالمسيح! لكي يعطيه انفتاحاً على المستقبل فهو إيمان في الحاضر يتكامل حتماً في المستقبل. فلا بد أن يشمل الإيمان بالمسيح إيماناً بما سيستم، وهذا هو إقرار الرجاء: «نؤمن ... وننتظر قيامة الأموات». لذلك فأقرار الرجاء يعطي الإيمان بالمسيح انفتاحاً غير محدود يكمل فيه المسيح عمله معنا. فالرجاء في الحقيقة هو تعظيم الإيمان

بالمسيح والتسامي به، والثقة المطلقة بعمله، لتحقيق كل وعود الله الذي وعد.

والرسالة إلى العبرانيين تتخصّص في الرجاء بالمسيح بالدرجة الأولى. فهي رسالة رجاء للذين أصبحوا بلا رجاء:

+ «وبيتّه نحن إن تمسّكنا "بثقة الرجاء" وافتخاره ثابتة إلى النهاية.» (عب ٣:٦)

+ «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ خدمتم القديسين وتخدمونهم، ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه "ليقين الرجاء" إلى النهاية.» (عب ٦:١٠ و١١)

+ «حتى بأمرين عديمي التغيير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا "لنمسك بالرجاء" الموضوع أمامنا.» (عب ٦:١٨)

+ «إذ الناموس لم يكتمل شيئاً ولكن يصير إدخال "رجاء أفضل" به نقرب إلى الله.» (عب ٧:١٩)

وفي كل مرة يذكر الرجاء، يربطه ربطاً بوضع من الأوضاع التي تنازل الله فيها ليهبنا شركة مع ابنه، سواء في بيته الذي هو جسده، أو في محبة قديسيه تكريماً لاسمه الكريم، أو شركة في تحقيق وعده الذي وعد، أو فرصة مواتية للاقتراب إليه شخصياً. وهكذا أصبح الرجاء مربوطاً دائماً في هذه الرسالة بشركة حياة مع الله سوف تتجلى يوماً لتستعلن عظمة هذا الرجاء استعلاناً!

كما يقول القديس يوحنا الرسول: «أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو، وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر.» (١ يوح ٣:٣ و٣٠ و٣١)

وبطرس الرسول يضيف أن الرجاء بالمسيح وفي قيامته هو منتهى أمل ولادتنا الثانية وأن له مدّخر الميراث السماوي: «مبارك الله أبورينا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية "لرجاء حي" بقيامه يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنّس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم.» (١ بط ١:١ و٣ و٤)

كما جعل الرجاء بالمسيح مع الإيمان به هو نفسه رجاءً في الله الآب وإيماناً به الذي أقامه من الأموات، وكان الرجاء مع الإيمان استطاع أن يستعلن لنا ويبرهن أن الآب في الابن والابن في الآب. وهذا ما نخشيه عملياً في الصلاة: «أنتم الذين به تؤمنون بالله الذي أقامه من الأموات وأعطاه مجداً حتى إن إيمانكم ورجاءكم هما في الله.» (١ بط ١:٢١)

وبولس الرسول يحصر الرجاء الذي جعله الله في المسيح: «الذين أراد الله أن يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو: ٢٧). بهذا نفهم نحن المؤمنين أن بمقدار ما يُستعلن المسيح في حياتنا بقدر ما يصير رجاؤنا حياً ملتهباً.

«راسخاً»: ἀκλινη

وفي اللاتيني الفولجانا = indeclinabilem .

واضح من التعبير اليوناني واللاتيني المعنى أنه لا يميل ولا يهتز. وهذا التصوير بديع حقاً لأن رجاءً لا يميل ولا يهتز حتماً ينطلق بقوة ليبلغ القصد. والعجيب أن يذكر بولس الرسول سر هذا الرسوخ الشامخ الذي لا يميل ولا يهتز، كونه يختص بوعده الله ثم يصف الله عندما يعد أنه يكون أميناً فيما يعدُّ به. يا له من تعبير يُذيب القلوب. فأمانة وعده الله تتحدّى ثقتنا لتقوم إيماننا وتُلهب رجاءنا:

+ «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١ كو: ١٩)

+ «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً.» (١ تس: ٥: ٢٤)

الآية الثالثة من جهة التحريض على المحبة والعمل الصالح:

٢٤: ١٠ «ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة.»

تاج ثالوث الفضائل المسيحية: «الإيمان والرجاء والمحبة وأعظمهن المحبة» (راجع ١ كو: ١٣). أما الإيمان وأما الرجاء فهما رداء النفس خاصة، التي تطير بهما وتُحلّق في سماء الله حاملة دم المسيح والجسد في جراءة للدخول إلى الأقداس، ولكن المحبة لا تطيق أن يدخل الإنسان بمفرده، فهي تجذب وتنجذب نحو الآخر ويتعقل الإنسان حتى يضمن دخول الآخرين. صحيح أن الإيمان ثوب خاص للنفس لا يشاركها فيه آخر، أمّا الرجاء فهو أكثر خصوصية، ولكن الحب بمفهومه المسيحي الإلهي فهو على قياس الكل ولا يوجد له مقاسات خصوصية، فإذا دخل اثنان فيه يجدان المسيح بينهما ثالثاً، وإذا وُجد المسيح وُجد الكل.

«ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة»: και κατανοῶμεν ἀλλήλους

الأخلاق المسيحية — كما سبق وقلنا في أمر ثوب المحبة الجماعي الذي تتحلّى به الجماعة أمام الله — لا تكتفي إطلاقاً بخلاص الفرد، لأنه بالأساس نجد الخطيئة ليست فقط فردية، بل تمتد فتسري من الفرد للجماعة لتفتتها كما حدث في آدم وحواء، وما آل إليه الجنس البشري من

التفتت بعد أن كان في صورة الكمال الآدمية الأولى على صورة الله. لذلك جاء المسيح متجهاً اتجاهها مباشراً وأساسياً ليجمع المتفرقين إلى واحد (يو ١١: ٥٢)، ويرياً صدع التفتت فيوحد البشرية المتمزقة ويعيد الصورة إلى جمال وكمال وحدانيتها في الله. فإن كانت الخطية هي أساس التفتت والتمزق، فالرب جاء ورفعها ليؤهل الإنسان إلى الاتحاد مرة أخرى، ومن الاتحاد معاً إلى الوحدة فيه!!

فالكنيسة تمثل وحدة البشرية في الرأس أي المسيح. الكنيسة «جسد واحد» وهو وإن كان متعدد الأعضاء فالأعضاء إيجابية متجهة جميعاً إلى الفكر والعمل الواحد في المسيح. ولقد تبادى بولس الرسول في وصف هذه الوحدة العضوية بتدقيق (رو ١٢: ٥، ١ كو ١٢ كله). وانتهى إلى القول: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح ... صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل قياس كل جزء يُحصّل ثم الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٦-١٢)

وهكذا وبالنهاية تقف البشرية المفتداة أمام الله وهي متحدة بالمسيح في المحبة كجسد واحد، كإنسان واحد له ملء قامة المسيح! إذًا، فهدف المسيح الأول والأعظم هو وحدة البشرية معاً بالمحبة وفيه بالحب:

+ «في ذلك اليوم تعلمون أنني في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم.» (يو ١٤: ٢٠)

+ «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذين أعطيتني ليكونوا واحداً كما نحن.» (يو ١٧: ١١)

+ «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني.» (يو ١٧: ٢٠)

+ «وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد.» (يو ١٧: ٢٢)

+ «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكتملين إلى واحد ...» (يو ١٧: ٢٣)

إذًا، فقول الرسالة هنا: «فلنحرص بعضنا بعضاً على المحبة» هو في صميم المنهج المحدّد لإمكانية الدخول إلى الأقداس بدم يسوع والجسد، بل هو في قمة منهج المسيح نفسه الذي أسسه على الدم والجسد!! بل ولا يستطيع أحد أن ينال الدم والجسد ويبقى وحده؛ لأن في الدم والجسد بذرة

الوحدة، وحدة البشرية معاً، وفي المسيح .

«للتحريض على المحبة»: εἰς παροξυσμὸν ἀγάπης

هنا كلمة «التحريض» كما جاءت باليونانية تحمل معنى العنف والمنازعة والاحتداد معاً. هكذا جاءت هذه الكلمة بهذا المعنى معاً في المواضع التي ذكرت فيها:

+ «فحصل بينهما مشاجرة παροξυσμός حتى فارق أحدهما الآخر» (أع ١٥: ٣٩)، في شأن نزاع بولس الرسول مع برنابا من أجل مرقس .

+ «المحبة لا تحتد παροξύνεται ...» (١ كو ١٣: ٥)

+ «وبينما بولس ينتظرهما في أثينا احتدت παρωξύνετο روحه فيه.» (أع ١٧: ١٦)

بهذا نفهم قصد بولس الرسول من قوله بالتحريض على المحبة. وفي الواقع نحن نستخدم دائماً هذه الكلمة «التحريض» في لغتنا العربية - وحتى كل اللغات الأجنبية فهي في الإنجليزية provoke - للتعبير عن الإثارة وخاصة نحو الشغب، فالتحريض على الإضراب، والتحريض على القتل، والتحريض على المقاومة. ومن هنا يزداد المعنى شدة وجذبة وخطورة إذا استخدمناها في معنى التحريض على المحبة!! وكأن القديس بولس يريد أن يقول لهؤلاء الجماعة: عوض أن تحرضوا بعضكم بعضاً على ترك الإيمان المسيحي والارتداد لليهودية، حرّضوا بعضكم بعضاً على المحبة والأعمال الحسنة لتثبتوا في المسيح وفي شدة قوته ومحبته. فاختيار هذه الكلمة هو في غاية المناسبة مع أخلاق هؤلاء القوم.

«والأعمال الحسنة»: καὶ καλῶν ἔργων

«الحسنة» هذا الاصطلاح يبدو غريباً نوعاً ما، لأن ما اعتدنا عليه هو القول بالأعمال الصالحة ἀγαθῶν ἔργων (مثلاً في أع ٩: ٣٦، ١ تي ٢: ١٠، ١٠: ٥) والفرق بينهما كبير. فالعمل الصالح صفة تتصل وتتجه مباشرة نحو جوهر العمل أو الفعل حيث منبعه أو أصله، الذي هو طبعاً الله، وهكذا يُحتسب العمل صالحاً حقاً وانجهاً. أما العمل الحسن καλὸν ἔργον فالفكر يتجه نحو تأثيره في نظر الآخرين وكيف يسترعي إعجاب وتبيل الناس. وواضح إذاً من اختيار بولس الرسول لهذه الصفة هو تغاضيه عن جوهر الفعل تماشياً مع مستوى مَنْ يحتاجون إلى رضاة اللين لا إلى طعام البالغين. فهو يُحسّن لهم العمل ليليق في نظرهم ويستحق الجهد. وهل الصلاح بمعناه السابق يكون مفهوماً لدى مَنْ يضررون ترك الإيمان؟ وهل يمكن أن تتفق كلمة «التحريض» مع عمل الصلاح؟ فالصلاح ينبع تلقائياً من أعماق تقوى القلب للعمل دون أي توجيه!!

وأنت إذا عدت إلى وصف الأعمال بأنها «حسنة» في كل مواضع الإنجيل والرسائل، تجدها دائماً في الموضع الأقل اعتباراً عن الأعمال الصالحة التي تمت إلى الله.

٢٥:١٠ «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة، بل واعظين بعضنا بعضاً، وبالأكثر على قَدْر ما ترونَ اليومَ يقربُ».

«غير تاركين»: μή εγκαταλείποντες

هذه الكلمة في مفهومها اليوناني لا تعني فقط «الترك» للاجتماع بمعنى عدم الاشتراك في الاجتماع، ولكن أعمق من ذلك بكثير إذ تعني تحاشي الاجتماع وإهماله عن عمد، وبذلك يتعرّض الاجتماع إلى التبديد والانقسام. وإليك المعنى بصورة صارخة: «ديماس قد تركني μέ εγκατέλειπεν إذ أحب العالم الحاضر...» (٢ تي ٤: ١٠)، «مُضطَّهدين لكن غير متروكين οὐκ εγκαταλείπομενοι» (٢ كو ٩: ١). وأخطر وأصعب معنى للترك ما نطق به المسيح: «إلهي إلهي لماذا تركتني ἰνατί με εγκατέλιπες» (مت ٢٧: ٤٦)

وهنا لنا وقفة معك أيها القارئ العزيز؛ لنسترجع معاً عظمة وقوة التعبير في الكلمات اليونانية التي تموت على شفاه المترجم إلى اللغة العربية. فهنا بولس الرسول يختار للترك كلمة باليونانية تحمل معنى النيّة المبيّنة لتحطيم الاجتماع وتفشيل عمل الجماعة للصلاة. فهي تحمل معنى التحدي للاجتماع.

«اجتماعنا»: τὴν ἐπισυναγωγὴν ἑαυτῶν (٨).

هنا كلمة «الاجتماع» في المعنى اليوناني أعمق بكثير من مفهوم اللّمة والتقابل؛ حيث حرف ἐπί يكوّن في المفهوم اليوناني معنى نشوء مركز أو محور تتمحور وتتمركز حوله الجماعة فيصير اجتماعاً قائماً على شيء، وهو بكل تأكيد المسيح نفسه! فهو أكد ذلك:

+ «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)

+ «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي συνηγμένοι εἰς τὸ ἕμὸν ὄνομα

أكون في وسطهم.» (مت ١٨: ٢٠)

+ «ثم نسألکم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه

«... ἐπισυναγωγῆς ἐπ' αὐτόν» (٢ تس ١: ٢)

وهنا أيضاً تظهر الحروف التي تُضمُّ إلى الكلمة اليونانية، فتعطيها معاني عميقة وروحانية تُبهر العقل، ولكنها للأسف تسقط في الترجمة العربية فتظهر الكلمة هزيلة فاقدة هدفها.

«اجتماعنا»: εαυτῶν

ضمير المتكلم للجمع هنا «نا»، الذي يأتي في اليونانية = εαυτῶν هو أصلاً ضميران: ἡμῶν + αὐτῶν ، ويشير إلى خصوصية الاجتماع الذي يجتمع فيه المسيحيون. فكلمة «اجتماعنا» حينما يقولها بولس الرسول فهو يقصد: «نحن المسيحيين».

«كما لقوم عادة»:

هنا يشير إلى اجتماعات اليهود التي يحضرها اليهود بنوع من الخوف من المؤاخذة من المسئولين فيحضرون لمجرد التلاوات داخل المجمع، ويخرجون كما دخلوا، حتى أصبح الذهاب إلى الاجتماع مجرد اعتياد تحت مؤثر سالب، وليس كاجتماع المسيحيين تحت مؤثر جاذب إيجابي وهوروح المسيح. فالاجتماع المسيحي كما سبق وأشارت إليه الكلمة يتمركز حول محور جاذب وكل من استجاب له عن طواعية ورضا، نال اللء.

«بل واعظين بعضنا بعضاً»: παρακαλοῦντες

وفي الفولجاتا = Consolantes .

هنا الوعظ يأتي في اليونانية بمفهوم العزاء والتشجيع، والمقصود منه أن المتقدمين في النعمة يصيرون سبباً لتعزية الضعاف والمتخلفين أو الخائفين فيتشجعون ويثابرون ويخلصون.

«وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب»:

هنا نشعر تماماً أن بولس الرسول يتكلم بإحساس النبوة أو على أقل تقدير بإحساس قرب الكارثة، التي ربما كانت بوادرها قد بدأت وهي الحرب السبعينية التي دخلت فيها الأمة اليهودية ضد الرومان، والتي سبق وأخبر الرب يسوع بكل دقائقها والتي جزم ببعادها بالقول إنه لن يمضي هذا الجيل (٢٥-٥٠ سنة) حتى يكون الكل. وقد اندحرت فيها الأمة اليهودية أمام بطش القائد الروماني تيطس، الذي ذبح وأمامات وأحرق مئات الألوف، وأحرق الهيكل حتى سُوِّت أبنيته مع أساساته بالأرض ولم يَبْقَ فيه حجر على حجر لم يُنْقَضْ، وهدمت أسوار أورشليم على مَنْ فيها وتَمَّت اللعنة في ميعادها، وهجرت الأمة اليهودية من أرضها ووطنها وأخليت الأرض!!

ويلاحظ قول بولس الرسول: «على قدر ما ترون»، مما يشير أن العلامات أصبحت واضحة وأن الكل بدأ يحس ويحسب الأيام ويتوقع الكارثة. وقد اختلطت الأمور في تقديرات كافة الرسل بين

نهاية الأمة اليهودية ونهاية العالم ومجيء الرب .

والقديس بولس في تحذيره هنا، بل وفي كل رسالته هذه، إنما يكتب بإحساس خارق يوحي هؤلاء العبرانيين من أن رجعتهم إلى اليهودية إنما ينتظرهم فيها لعنة الخراب ومعاناة أشنع ويلات الحروب طرأ!!

+ «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها ... هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب، وويل للحبال والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض، وسخط على هذا الشعب. ويقعون بغم السيف ويُسبّون إلى جميع الأمم.» (لوقا ٢٠ : ٢٤-٢٤)

+ «لأنه حينئذ يكون ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون.» (متى ٢٤ : ٢١)

ومن هذه الإنذارات الواضحة والصريحة التي قالها الرب وحدد بها العلامات والأيام، ومما حدث بالفعل في هذه الحرب التي كانت في الحقيقة حرب إبادة، كما يحكيها مؤرخو اليهود أنفسهم؛ نعلم ونقدّر قيمة هذه الرسالة إلى العبرانيين ومدى مناسبتها وما سببته آنذ من إنقاذ أولئك العبرانيين الذين سندهم في محنتهم وحالت دون رجعتهم للهلاك الذي كان ينتظرهم.

النقطة الثانية: تحذيرات من السقوط والهلاك: (١٠ : ٢٦-٣١).

بعد أن أوضح بولس الرسول الامتيازات التي يفوز بها المؤمن المسيحي من جراء إيمانه ورجائه وحبه، وبعد أن أوصلهم إلى الثقة التي تؤهلهم للدخول إلى الأقداس السماوية وأحاطهم بوصايا الإيجابية ليكونوا على مستوى هذه الدعوة العليا، كان من الطبيعي أن يحذّرهم من السقوط وركوبهم الخطأ الذي لن يكون له غفران. فإن كان التعدي على الناموس قد استوجب القتل بلا رحمة، فماذا يُنتظر من التحدي للمسيح؟ برفض ذبيحة الفداء؟ هل تسندهم ذبيحة الماعز؟

٢٦ : ١٠ «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لَا تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطِيئَةِ.»

حين أنهى بولس الرسول آياته السابقة بتركيزه على «اقترب اليوم»، كان في الحقيقة يمهّد لتحذيراته هنا، لأن اقترب اليوم يحمل نهاية الزمن الافتراضي للإيمان وحتى للتوبة!!! ثم



وبالأكثر بمجيء هذا اليوم ستجيء معه الدينونة حتماً. إذاً، فالأمر أصبح ليس خطيراً فقط بالنسبة لخلاصهم بل وخطر الهلاك من كل الوجوه ينتظرهم.

فالآن نفترض أنهم أخطأوا الخطية التي بيّتوا الضمير عليها وهي الارتداد عن المسيح فماذا سيقبى لهم بعد استعلان الدينونة؟ لا ذبيحة ولا توبة ولا معمودية.

«فإنه إن أخطأنا باختيارنا»:

في اليونانية = ἑκουσίως γὰρ ἁμαρτανόντων

وفي الفولجاتا = voluntaric peccantibus nobis.

«باختيارنا»: وتأتي في اليونانية في بداية الآية توكيداً لخطورة المسؤولية الشخصية. والكلمة باليونانية واللاتينية تعني «بمنتهى حرية الإرادة»، بل تنفيذاً لما أضمره الفكر والضمير والمعرفة معاً. ومعناها يظهر أكثر لو قارناها بآية قالها بطرس الرسول: «ارعوا رعيّة الله التي بينكم نظّاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ἑκουσίως» (١ بط ٥: ٢). وبذلك يكون بولس الرسول قد عزّاهم من كل حجّة أو تأثير خارجي أو ظروف محيطية أو إغراء واقع عليهم. فهنا إرادتهم وحرية فكرهم وضميرهم هي المسؤولة مباشرة عمّا أضمرُوا تنفيذهُ من جهة ما أسماه «أخطأنا» وهي في الحقيقة خطية الموت.

ولكن إذا تجاوزنا المعنى الحرفي للكلمة ودخلنا في ما يُشغل ذهن بولس الرسول من جهة كلمة «اختيارنا»، نجد أنه يضعها في المقابل المباشر لخطايا السهو في العهد القديم. فمعروف أن الذبائح جميعها والغفرانات والتكفيرات إنما تخص نوعاً واحداً من الخطايا فقط لا غير وهو خطايا السهو. فمقصود بولس الرسول الخطير هو أن يوعّي هؤلاء اليهود المنتصرين المتردّدين أنهم إذا أخطأوا خطية ليست عن سهو بل عن عمد، أي بالاختيار الحر والإرادة المُدرِكة والنية المبيّنة، فبحسب قانونهم اليهودي القديم لا توجد لهم ذبيحة يكفّرون بها قط. وقد شرح مقصده هذا الواضح جداً بأن ذكّرهم أن مخالفة ناموس موسى، أي الخطية عن عمد، كان عقابها الموت المحتّم وبدون رأفة. وعلى التوازي يكون حتماً من أخطأ متعمداً تجاه المسيح باختياره إنما يكون عقابه أشر من الموت الجسدي بدون رأفة، إذ هو قبول دينونة مخيف! أي هلاك بنار تأكل المضادين!

«أخطأنا»:

في المفهوم اللاهوتي المسيحي بحسب القديس يوحنا أن من يُخطيء هو إنسان غير ثابت في المسيح: «كل من يثبت فيه لا يُخطيء». كل من يُخطيء لم يُبصره ولا عرفه» (١ يوح ٣: ٦).

فإذا قارننا هذه الآية بالآية الأخرى التالية هكذا: «دم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطية، إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضَلُّ أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم، إن قلنا إننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا.» (١٠: ١٠-٧)

بالمقارنة نجد أن:

- ١ - «الخطية» تكشف وتمثّل عدم ثبوت في المسيح.
- ٢ - أننا بمعرّضون جميعاً للخطية، وكل مرة نُخطيء، تكشف عن عدم ثبوتنا في المسيح.
- ٣ - إذا اعترفنا بخطيتنا نكون قد اعترفنا بعدم ثبوتنا في المسيح ضمناً، وهذا بحد ذاته بمثابة طلب مُلِح للعودة إلى المسيح وعودة إلى الثبوت فيه، فتُغفر خطايانا بدم المسيح.
- ٤ - إذا أخطأنا ولم نعترف بخطيتنا، كرّسنا عدم ثبوتنا في المسيح، وهذا معناه أننا انحزنا للشيطان، فننتطق علينا الآية: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطيء» (١٠: ٣٠)، بل ونكون قد ازدربنا بدم المسيح.
- ٥ - إذا أخطأنا وقلنا إننا لم نخطيء نكون قد أنكرنا الحق أي أنكرنا الله وكلمته، وأنكرنا موته وقيامته لأنه مات من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا، وبذلك نكون قد ضللنا عن قصد.
- ٦ - وهكذا كل مَنْ يُخطيء ولا يعترف بخطيته، فهو كمن يخطيء ويقول إنه لم يخطيء وكلاهما فقد الثبوت في المسيح.

من هذا التسلسل في المفهوم اللاهوتي للقديس يوحنا الرسول نستطيع أن نقول إن آية بولس الرسول هنا: «إن أخطأنا باختيارنا بعد أن عرفنا الحق» تشمل حتماً أننا أخطأنا ولم نعترف بخطيتنا ولم نَتُب عنها وفقدنا الثبوت في المسيح! فإذا تجاوزنا المفاهيم اللاهوتية للخطية في العهد الجديد وأردنا أن نفحص ما كان يدور في ذهن القديس بولس حول ذِكْر «إن أخطأنا»، واضعاً نفسه على مستوى الحال مع هؤلاء العبرانيين المنتصرين، تكون الخطية المقصودة هي الارتداد مباشرة أي إنكار المسيح الذي يكون على مستوى التجديف لأنه عرّفها بعد ذلك بالأكثر بقوله: «بعد أن أخذنا معرفة الحق»، والحق هنا هو استعلان المسيح ابن الله مخلّصاً وفادياً.

وهنا نود لو نوضّح الالتباس والتضارب الذي يحدث في ذهننا وقلبنا من تضارب الآيات، فأية تقول: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعته (زرع الله) يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطيء لأنه مولود من الله.» (١٠: ٣٠)

وفي نفس الرسالة يقول القديس يوحنا: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا» (١ يوا: ٨)، كذلك: «إن قلنا إننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا.» (١ يوا: ١٠)

وهنا نستطيع أن نفشّر هذا التضارب بأن الخطية التي اقترفها آدم كانت ذات شقين واضحين، الشق الأول: عصيان وتمرد على الله شخصياً. ثم الشق الثاني: فعل مخالفة. والشق الأول هو الخطر وهو الذي حرم آدم من الوجود مع الله في الفردوس، وهو الذي أخذ عليه عقوبة الموت واللعنة. وهذا الشق الخطر هو الذي جعل طبيعتنا مفتوحة على الخطية (\*). أما «فعل» المخالفة بالأكل من الشجرة فهذا تشكّل فينا بأفعال للخطية لا تُعدُّ ولا تُحصّر، فما تجسّد المسيح ليرفعه عنا هو عنصر الخطية المتعلّق بالتعدّي على الله والعصيان الذي أصبح كحجاب يحجب الله عنا، وهو نفسه الذي حمله في جسده على الحشبة وأكمل الفدية عنه بالموت. وهو الذي نعتد ونسال الخلاص منه. فالذي آمن واعتمد ونال الصبغة المقدسة بالروح وأكل الجسد وشرب الدم قد تخلّص من عنصر الخطية تجاه الله الذي كان يحجب وجهه الله عنا. أما فعل الخطية فأصبح بالنسبة للإنسان الجديد المعتمد والمصبوغ بدم المسيح لا يحجب وجه الله ويُرفع بالاعتراف: «يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١ يوا: ٢: ٢١)

إذاً، فالخطية كعنصر تعدّد على الله، قد رفعه المسيح بموته وقيامته مرة واحدة. وهكذا، فالخطية عنصر خطر لا مَحْو لها إلا بدم المسيح الذي ننال بالمعمودية التي لا تُكرّر قط. أمّا فعل الخطية فيُمحى بالاعتراف على أساس شفاعة المسيح، وكل فعل خطية يلزمه اعتراف. لذلك حينما قال القديس يوحنا نفسه: «إن رأى أحد أخاه يُخطيء خطية ليست للموت، يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت ليس لأجل هذه أقول أن يُطلب» (١ يوا: ٥: ١٦)، فواضح جداً أن الخطية التي للموت هي عنصر خطية التعدي على الله شخصياً عن عمد، أي جرده وترك الإيمان به، ويمثّلها التجديف على الروح القدس الذي قطع المسيح بأن لا غفران لهذه الخطية إلى الأبد، وهذا هو عنصر الخطية. فحينما يفعل الإنسان الخطية ضد نفسه وضد الآخرين، فهذا فعل الخطية الذي يُمحى بالاعتراف؛ ولكن حينما يُخطيء الإنسان إلى الله شخصياً فهذا هو عنصر الخطية المميت.

وعنصر الخطية قديماً كان بترك الله بعبادة الأصنام وآلهة الأمم، وكانت عقوبة ذلك الموت بلا

(\*) رجاء الرجوع إلى شرح هذا الموضوع في كتاب: «القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله»، للمؤلف، ص ٢٣٤

رأفة (تث ١٣ : ٦-٩). وعنصر الخطية في العهد الجديد هو رفض الإيمان بآبَن الله : «والذي لا يؤمن بآبَن الله يَمَكُثُ عليه غضبُ الله» (يو ٣٦ : ٣)، الذي يعبِّرُ عنه سفر العبرانيين بقوله : «وسقطوا».

وهكذا تم وعد الله بإرميا النبي : «لأنني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (إر ٣١ : ٣٤)، «وأطهرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به "إِلَيَّ" وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها "إِلَيَّ" والتي عصوا بها "عَلَيَّ"» (إر ٣٣ : ٨). ويلاحظ هنا أنه يقصد عنصر الخطية المصيت «الذي أخطأوا به "إِلَيَّ"»، وبضم ميخا : «مَنْ هو إلهٌ مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه ... يدوس آثامنا وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧ : ١٨ و١٩). وهذه النبوات هي التي تمت بتوسط صليب المسيح ودمه الأقدس. وهنا يقصد الآثام والذنوب والخطايا التي أخطأوا بها إلى الله!! «الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تُغفر لبني البشر والتجديف التي يجذفون بها، ولكن مَنْ جَدَّفَ على الروح القدس (الله) فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر ٣ : ٢٨ و٢٩)

«تَعَدُّ ما أخذنا معرفة الحق» :

في التقليد الإنجيلي تأتي «معرفة الحق» مقترنة بالمؤمنين الذين قبلوا المسيح : «... أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق» (١ تي ٤ : ٣)، لأنهم بالإيمان وُهبوا معرفة الحق حيث «معرفة الحق» تشمل معرفة الله الآب والمسيح الابن بالروح، لأن هذا هو الحق في الله : «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧ : ٣). وكلمة «أخذنا معرفة الحق»، تفيد ازدواجية في الحصول على معرفة الحق، من جهة الله، بأن يكون قد وهبها كعطية؛ ومن جهة المؤمنين بأن يكونوا قد حصلوا عليها باجتهدهم وشوقهم وغيرتهم. أما من جهة الله : «عَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببته به وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧ : ٢٦)

وأما من جهة المؤمنين فيقول بطرس الرسول : «ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد، قدّموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعفُّفاً وفي التعفُّف صبراً وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودّة أخوية وفي المودة الأخوية محبة، لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متكاسلين ولا غير مُشمِّرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح» (١ بط ٥ : ٨-١). وفي عرف بولس الرسول أيضاً تأتي «معرفة الحق» قرينة «التقوى» : «لأجل إيمان مختاري الله ومعرفة الحق الذي هو حسب التقوى» (تي ١ : ١). كذلك فمعرفة الحق عند بولس الرسول هي غاية الله في المسيح ومكمّلة للخلاص : «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى

« معرفة الحق يُقبلون. » (١ تي ٢ : ٤ و ٣)

فإذا تجاوزنا تفسير كلمة « معرفة الحق » إنجيلياً وبحثنا فيما كان يُضمّره بولس الرسول من « معرفة الحق » تكون هي استعلان المسيح مباشرة! فبعد أن يستعلن نفسه للإنسان ثم إذ هو يضربه الشيطان فيعود وينكره، يكون جزاؤه وفقاً أمام الله في السماء نُكراناً مبيئاً:

+ « مَنْ يُنكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات. »  
(مت ١٠ : ٣٣)

+ « لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد أن عرفوا يرتدّون عن الوصية المقدسة المسلّمة لهم. » (٢ بط ٢ : ٢١)

+ « وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. » (روا ١ : ٢٨)

ويُلاحظ القارئ أن كلمة « معرفة » لم تأت بوضعها البسيط γνῶσις بل جاءت في تركيب يزيدتها عمقاً واتساعاً ἐπίγνῶσιν وتعني ملء المعرفة أو كمال المعرفة full knowledge ، مما يجعل السقوط عنها لا يأتي في حدود العقاب بل الدينونة المخيفة والهلاك الأبدي.

« لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا » :

هذا تطبيق مباشر على أساس الناموس القديم، فخطايا العمد أي التي بالاختيار وحرية الإرادة لا توجد لها ذبيحة ولا محرقة. فبولس الرسول يكلمهم باللغة التي يفهمونها تماماً. وهو بأن واحد يقطع أن رفض المسيح هو رفض لذبيحته الكفّارية، وبالتالي لا تبقى له ذبيحة عن كل خطايا. ويُلاحظ هنا أن الخطايا جاءت بالجمع لتغطي كل حياة الذي يخطئ خطيته الواحدة تجاه المسيح أي يرفضه. وهذا المعنى مطابق لقول يوحنا المعمدان: « الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » (يو ٣ : ٣٦). ومعنى « يمكث عليه غضب الله » هو أنه يبقى في خطايا محكوماً عليه بالحكم الذي وقع على آدم، اللعنة والموت الأبدي بانتظار يوم الدينونة.

٢٧ : ١٠ « بل قبولُ دينونةٍ مُخيفَةٍ وَغَيْرَةٍ نَارٍ عَتِيدَةٌ أَنْ تَأْكُلَ الْمَضَادِّينَ. »

« بل "قبول" : τις ἐκδοχή »

لا تأتي في اليونانية بمعنى « قبول » بل « توقّع » - أو انتظار بتوقّع - ولكن إضافة حرف

τις وهو تعبير غير محدد يُترجم «شيء ما»، فيكون المعنى بالتدقيق هو «توقُّع شيء ما من الدينونة المخيفة»، وهذا يعتبر نوعاً من البلاغة في الكلام إمعاناً في زيادة التأثير على السامع. ويشرح هذا ما ورد في سفر الأعمال: «قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيءٌ τινα» (أع ١٣: ٣٦)، كذلك: «رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويُدهش شعب السامرة قائلاً إنه شيءٌ τινα عظيم» (أع ٨: ٩)، وهكذا تحيي هذه الكلمة في هاتين الآيتين للتحويل وزيادة الرهبة. وللأسف سقط هذا التعبير من المترجم إلى اللغة العربية.

وتحيي هذه الكلمة εκδοχή معددة بمعنى «الانتظار» أو «التوقُّع» في الآية عن إبراهيم: «لأنه كان ينتظر ἐξεδέχετο المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله» (عب ١١: ١٠). وهنا «انتظار شيء» مُنصبٌ على شيء يأخذه الإنسان، وهو الدينونة المخيفة وشيء يأتيه من الله وهي غير نار تأكل المضادين.

### «غير نار تأكل المضادين»:

تعبير مستعار من إشعيا النبي: «يا رب ارتفعت يدك (للتقمة) ولا يرون، ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك»، وتأتي في السبعينية أوضح جداً: «يا رب قد ارتفعت ذراعك ولم يعرفوها، ولكنهم حينما يعلمون فإنهم سيخزون، لأن غيراً ستحل على أمة لم تتعلم ونار تأكل المضادين.» (إش ٢٦: ١١)

وواضح أن كلمة «الغيرة» في هذه الآية غريبة، ولكن يسهل فهمها إذا علمنا أن الغيرة أصلاً تنشأ من المحبة، ولكن انقلبت المحبة إلى بغضة «فيحل عليهم غضب الله».

والنار التي تأكل المضادين هي أحد أوجه طبيعة الله التي تبيد كل السليبيات وهذا من صميم الدينونة، فالله طبيعته النور، والنور يبيد الظلمة، وهذا من صميم طبيعته. أما الوجه الآخر للنور فهو النار، وليست النار المادية ولكن النار الروحية التي تُدْفئ القلب بالقداسة وتثبته في المحبة، وهي بعينها تحرق النجاسة منه وتبيدها. المُحب الصادق الأمين يثبت تجاه نار غيرة الله، والكذاب والمنافق والعدو لا يقوى على الوقوف أو الوجود تجاه نار غيرة الله. فنار الله تضرم المحبة في القلوب، وبأن واحد تحرق العداوة والبغضة وتبيدها. والعجيب أننا لو تأملنا ملياً في هذا المفهوم بالنسبة للنار الإلهية التي تأكل المضادين، نجد أن هذه الصفة إيجابية خالصة لأنها تعمل هذا لتثبّت المحبة بغير شائبة، وتؤسس الأمانة والصدق بلا تزييف، وتضمن القداسة بلا دنس، لأن بالنهاية يتحتم أن يصير الله الكل في الكل!!

٢٨:١٠ «مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَافَةٍ».

«مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى»: ἀθετήσας τις

تأتي الكلمة باليونانية أشد منها بالعربية، فهي ليست مجرد مخالفة، بل عدم اعتبار كلياً disregard، أو اعتباره كلا شيء بمعنى الاستهانة والتحدي. والمعنى أنه كان في رفضه لناмос موسى قاطعاً ومنتهاياً. وقد جاءت نفس هذه الكلمة بمعنى أبطل: «فإنه يصير إبطال ἀθέτησις الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها» (عب ٧:١٨)، «ولكنه الآن أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبطل = ἀθέτησιν الخطية بذبيحة نفسه» (عب ٩:٢٦). لذلك تأتي الكلمة هنا ليس بمعنى مخالفة لناмос وحسب بل وإنكار نفعه هو في ذاته وفي سلطانه، كما في الآية: «ولهُنَّ دينونةٌ لأنهُنَّ رفضن ἠθέτησαν الإيمان الأول.» (١ تي ٥: ١٢)

ونحن لو فحصنا قوانين الرجم للموت بلا رافة في ناموس موسى يتركز الاتجاه نحو قانون واحد وهو عبادة الأصنام أي خيانة الإيمان بالله والعهد المقدس ويأتي هكذا:

+ «إِذَا وُجِدَ فِي وَسْطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهِكَ بِتَجَاوُزِهِ عَهْدَهُ، وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْقَمَرِ أَوْ لِكُلِّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ أُوصِ بِهِ، وَأُخْبِرْتُ وَسَمِعْتُ وَفَحَصْتُ جِيداً وَإِذَا الْأَمْرُ صَحِيحٌ أَكِيدُ قَدْ عُجِلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأُخْرِجُ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَوْ تِلْكَ الْمَرْأَةَ الَّتِي فَعَلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ الشَّرِيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أَوْ الْمَرْأَةَ، وَارْجِمَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ. عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءٍ يُقْتَلُ ... أَيَدِي الشُّهُودِ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلاً لِقَتْلِهِ ثُمَّ أَيَدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَحْيَرًا فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.» (تث ١٧: ٢-٧)

وبهذا التوضيح نفهم لماذا اختار بولس الرسول كلمة ἀθετήσας التي تعني «الرفض والاستهانة واعتبار الناموس كلا شيء وتحدي سلطانه أيضاً». فإن الخطية هنا هي ضد الله شخصياً. وبهذا أيضاً تصح المقارنة بعد ذلك بإنكار المسيح ورفضه والاستهانة به: «داس ابن الله، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنَساً وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ» (عب ١٠: ٢٩)، فهنا رفض نهائي كامل.

أما قوله «بلا رافة» فيتضح ذلك من نص الناموس، وذلك أيضاً في حالة عبادة آلهة أخرى أي نقض الإيمان والعهد بالجملة:

+ «وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمَّكَ أَوْ ابْنُكَ أَوْ ابْنَتُكَ أَوْ امْرَأَةُ جِصْنِكَ أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ

نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب ... فلا تَرْضَ منه ولا تسمع له ولا تُشْفِقَ عينك عليه، ولا ترقِّ له ولا تستره بل قتلاً تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله، ثمَّ أيدي جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يُطَوَّحَك عن الرب إلهك ...» (تث ١٣: ٦-١٠)

٢٩: ١٠ «فَكَمْ عِقَاباً أَسْرَّ تَنْظُونُ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللَّهِ وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدَّسَ بِهِ دَنْساً وَازْدَرَى بَرُوحَ النِّعْمَةِ.»

هذا هو الذي سبق وقال وحذّر عنه: «إن أخطأنا باختيارنا»، بعد «أن عرفنا الحق». هذه هي الخطيئة ضد العهد الجديد، الخطيئة المميتة التي ليس لها غفران ولا ذبيحة ولا شفاعة.

هذه هي التي أسماها المترجم «مخالفة» ἀθετήσας وهي في الحقيقة «رفض باث»، مع «نية مبينة»، وسبق معرفة الحق ثم إنكاره وجحده. هذه هي الخطيئة التي يقابلها في العهد القديم ترك الإله الواحد والسجود لآلهة الأمم والشياطين. وإن كانت تلك عقوبتها الموت رجماً بلا رافة وكان هذا أشد عقوبة في العهد القديم، فماذا يكون استحقاق مَنْ يصنع هذا تجاه مَنْ يدوس المسيح ابن الله ويُدنَس دمه الذي استأمنه عليه الله ويزدري بالروح القدس وبعمل نعمته؟

وهذا هو آخر تحذير يقدّمه ق. بولس لهؤلاء القوم المترددين.

ثلاث جرائم يقترفها المارق عن الإيمان بالمسيح، عن عمد وسبق إصرار وعلم:

الجريمة الأولى: حالة فعل = act يدوس ابن الله καταπατήσας.

الجريمة الثانية: حالة الفكر = opinion «حَسِبَ» دم العهد الذي قُدَّسَ بِهِ دنساً . κοινὸν ἡγήσάμενος

الجريمة الثالثة: مهانة شخصية = assault ازدري بروح النعمة ἐνυβρίσας .

وحالة هذا المارق الشخصية تدل على أنه انتهى من رفضه النهائي للإيمان بالمسيح بعد أن اعتبره وانتفع به إلى حدِّ ما. وهو يعلن قراره بالعمل والسلوك ويتبرأ من المعمودية والعهد، وهذا في الواقع نعتقد أنه قد تمَّ بالفعل مع بعض هؤلاء العبرانيين المترددين. والقديس بولس يكشف وضعه عبرةً لهم وتحذيراً: «لأن كثيرين يسرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك.» (في ٣: ١٨ و١٩)



«داس ابن الله»: καταπατήσας

ولو أن الوصف مؤيد للسمع جداً ولا تطبيقه روح الإنسان، لأن الفعل هنا يعني تماماً: «يطأه بقدميه ويمعن الدوس فوقه»، ولكن بولس الرسول سبق ووصف مثل هؤلاء الذين يدوسون ابن الله بوصف أشد إيذاءً للنفس حينما قال: «... وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه (أي يفضحونه).» (عب ٦: ٦)

ولقد سبق المسيح ووعى تلاميذه أنهم، وهم هكذا، قد أصبحوا نوراً للعالم وملحاً للأرض. ولكن إن هم فسدوا لن يصلحوا لشيء، كالمالح إذا فسد فإنه يُطرح خارجاً (للزبالة): «ويُداس من الناس» (مت ٥: ١٣). ولكن أن يُداس ابن الله بالأقدام وهو الذي أنار العالم وأصلح المسكونة بملح ذبيحته، فهذا شيء لا يطيقه العقل! ولكن لنا عزاء في مثل المسيح الذي قاله: إنه لا يدوس اللآلئ إلا الخنازير، ولا يدوس القدس إلا الكلاب: «لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لتلا تدوسها بأرجلها وتلتفت وتمزقكم.» (مت ٧: ٦)

ولكن كيف يدوس المارقون عن الإيمان ابن الله بأرجلهم؟

القصد هنا هو وضع اسم المسيح وشخصه، الذي لا يليق به إلا أقدس القلوب، موضع الاحتقار والبغضة والكراهية والتحتي كإنسان يطال عدوه ولو في الخيال ويدوسه بقدميه للشماتة والتشفي. لأن ليس الإنسان المارق عن الإيمان هو الذي يتحرك بهذا الشعور، ولكن الشيطان هو الذي استولى على قلبه وعقله وتفكيره. لأن من الواضح جداً أن الإنسان الذي يزدري بالروح القدس ويجدف عليه، فإن روح الله سيفارقه حتماً، ليداهمه روح شرير قادر أن يصنع هذا وأكثر.

«وحسب دم العهد الذي قُدس به دنساً»:

«حسب»: ἡγησάμενος

هنا يصوّر لنا بولس الرسول ما يدور في ذهن الذي ارتد عن الإيمان من جهة نظره الخاصة أو عقيدته الفكرية فيما يخص دم المسيح، ومن هنا اعتُبر ذلك الجُرم أنه جريمة فكرية.

«الذي قُدس به»:

بولس الرسول يفترض أن هذا المرتد عن الإيمان كان قد اعتمد ونال ختم الروح القدس وحصل على التقديس، ما جعله خلقية جديدة؛ ولكنه إذ فقد موهبة الروح القدس تحت غواية الشيطان: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢ كو ١١: ٣)، فإذا فارق الروح القدس أصبح من المستحيل عليه أن يقول إن

المسيح ربُّ. لهذا تكون المعمودية قد فقدت جلالها وقيمتها، بل فقدت معناها. وهكذا احتسب أنه لم يعتمد لموت المسيح، إذ استهان بدم العهد الذي انصغ به وتقدّس يوم انصغ في المعمودية، لأنه إن كان المسيح - في نظر المرتد - ليس هو ربّاً فهو إنسان عادي في فكره، ودمه ليس أكثر من دم إنسان عادي.

«دناً»:

في الحقيقة الكلمة اليونانية κοινόν لا تفيد معنى الدنس ولكنها تعني «عادي» common أو كما جاءت باللاتيني communem وتُرجمت إلى السريانية بمعنى «كدم إنسان عادي». والمعروف في اللغة السرائرية وفي المفهوم اللاهوتي أن المقدّس هو المخصّص لله، أما غير المخصّص لله فيحتسب أنه غير مقدّس وبالتالي دنس. وهكذا إن كان دم المسيح هو خاص بابن الله فهو مقدّس، فإن كان المسيح في نظر جاحد الإيمان ليس ابن الله فدمه لا يكون مخصّصاً لله وبالتالي يكون دنساً، سواء قيل هذا الإنسان بذلك أو لم يقبل، لأن هذا هو حكم الله نفسه فيما يخص المقدّس والدنس.

ولكي تظهر مدى الخطورة في حساب أن المسيح ليس هو ابن الله، فإنه فوق أن دمه يكون في عقيدة ذلك الإنسان نجساً، يكون المسيح في نظره أيضاً قد مات بلا سبب كأبي إنسان، بل وأكثر من ذلك يكون قد مات مستحقاً للعقاب الذي ناله على الصليب، تماماً مثل نظرة اليهود نحوه أنه كان فاعل شر! وهذا كله يترتب على جحد المسيح واعتباره ليس ابن الله.

«الذي قدّس به»: ἐν ᾧ ἡγιασθη

«به»: هنا حرف «به» ἐν يفيد باليونانية «فيه» وليس «به» بمعنى «انغمر فيه فتقدّس» وهذه إشارة إلى نوع التقديس الذي تم بالمعمودية المحسوبة أنها دفن مع المسيح لموته. لذلك يتضح أن نظرة بولس الرسول لا زالت مشبّهة فيما سبق وقاله عن هذه الحالة بالذات: «لأن الذين استنبروا مرة (بالمعمودية حيث "مرة" تفيد "مرة واحدة") وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» (عب ٦: ٤-٦). والملاحظ أنه كما قيل في الآية (٦: ٤-٦)، «أنهم استنبروا "مرة"» وهذا إشارة إلى المعمودية الواحدة التي لا تتكرّر، كذلك نجد في الآية (١٠: ٢٩) يقول: «الذي قدّس فيه»، حيث الفعل هنا في زمن الماضي البسيط المنتهي ويفيد أنه «مرة واحدة» إشارة أيضاً إلى المعمودية الواحدة التي لا تتكرّر: «هكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (معمودية) بل تقدّستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو ٦: ١١)

«ازدري بروح النعمة»: και τὸ Πνεῦμα τῆς χάριτος ἐνυβρίσας

«ازدري» ἐνυβρίσας وهي كلمة متصرفة من ὑβρις<sup>(٩)</sup> وتعني الاعتداد بالذات مع عتوٍ ووقاحة الذي يُنشئ عدم اعتبار للآخرين. وقد وردت هذه الكلمة في رسالة رومية (١: ٣٠) وجاءت مترجمة بمعنى «مُفترين» = Insolent، وفي (١ تي ١: ١٣) «مُفترياً» ولكنها تعني بالأكثر: سفیه، مهين، وقح، متغطرس.

«بروح النعمة»:

هذا وصف بديع للروح القدس، وقد نُسب إلى النعمة باعتبار أن الروح القدس لا يُعرف ولا يُعشق ولا يُقتنى إلا من داخل نعمة من نعمه، وكأن بولس الرسول يعن في تبكيته هذا الإنسان المجذّف المرتد كونه يزدري بالروح الذي أذاقه النعمة يوماً ما.

وإن كان الروح القدس هو آخر مَنْ جُدّف عليهم هذا المجذّف، إلا أن الروح القدس هو أول مَنْ غادر هذا الهيكل النجس لهذا الإنسان التعس فتعثّر في الحال في ابن الله وفي دمه الثمين الأقدس! وهكذا وبالنهاية فقَدَّ الغفران لخطيئته هذه إلى الأبد: «ولكن مَنْ جُدّف على الروح القدس، فليس له مغفرة إلى الأبد، بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر ٣: ٢٩)

٣٠: ١٠ «فإننا نعرف الذي قال: لي الانتقام أنا أجازي، يقول الرب. وأيضاً: الرب يدين شعبه.»

بولس الرسول هنا يدافع عن تصويره للعقاب الأشد شراً من الرجم بالحجارة — كما صدر عن الساموس على الذي يسقط في خيانة الله ويجحد الإيمان به — بالنسبة للذي يسقط في جحود المسيح ابن الله ويدوس على الاسم العظيم ويدنّس الدم المقدّس ويزدري بالروح القدس. ويستعين بما عُرف عن الله من جهة تعامله مع الذي يقف قُبالة.

«فإننا نعرف الذي قال»:

ليس القصد فقط مجرد معرفة مَنْ هو، بل معرفة صفاته، فأولاً وقبل كل شيء نعرف أنه الحي القيوم، الذي عيناه تجولان في الأرض كلها، ولا يخفى عليه شيء، وأنه حينما يقول يفعل بالكمال والتمام، ولا تُردُّ له كلمة:

+ «... في نار هيب، مُعظياً نعمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع

المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليُتمجد في قدسيه ويُعجب منه في جميع المؤمنين.» (٢ تس ١ : ٨-١٠)  
 + «يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه، إذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون.» (تي ١ : ١٦)

وبولس الرسول يقدّم استشهاده من التوراة، من جهة قضاء الله وتوقيع العقوبة محددة وشديدة، وحتمية مجازاة شعبه!

والاستشهاد جاء من مضمون الخطاب المهيب الذي خاطب به موسى الشعب بعد أن أكمل لهم كل كلمات التوراة مسجلاً إياها شهادة لهم أبد الدهر:  
 + «اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض ... انصتي أيها السماء فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي ... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لي النعمة والجزاء في وقت نزل أقدامهم (يسقطون)، إن يوم هلاكهم قريب والمهيات لهم مسرعة، لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق ... أزدُ نعمة على أصدادي وأجازي مبغضيّ ...» (أصحاح ٣١ و٣٢ من سفر التثنية) وقد تسجلت في كتابهم المعروف باسم الترجوم (').

ولقد صارت أقوال هذا الخطاب محفورة في قلوب العارفين في الشعب، لهذا نسمع بولس الرسول أيضاً يردّد منه في رسالة رومية هكذا: «لأنه مكتوب لي النعمة أنا أجازي يقول الرب.» (رو ١٢ : ١٩)

كما يردّدها داود في مزاميره: «يا رب اسمك إلى الدهر، يا رب ذكرك إلى دور فدور. لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق.» (مز ١٣٥ : ١٣ و١٤)

وواضح في كل هذه المواضع أن الله الذي له النعمة له الجزاء الحسن، وهو الذي يدين شعبه وبأن واحد يشفق على عبيده. وبشيء من التأمل والفهم ندرك أن العقوبة والجزاء الحسن، والدينونة والإشفاق على العبيد توضّح مدى التعادلية في صفات الله. ولذلك معروف أن قضاء الله عادل، وعادل إلى أقصى ما يتصوره الإنسان. وفي الحقيقة إن تصرفات الله هي من واقع سلوك الشعب، والإنسان هو الذي يصيغ لنفسه العقوبة كما يصيغ لنفسه الجزاء الحسن. ولكن صعب للغاية أن يتجرأ الإنسان ويقف قبالة الله.

٣١:١٠ «مخيف هو الوقوف في يدي الله الحي».

هذا أمر عُرف بالتجربة، وتسلّمه الإنسان أباً عن جد، إن خبرة الإنسان مع الله طويلة وطويلة للغاية. فإن كان الله قد عُرف بأنه رحوم فقد عُرف عنه أنه مخيف، رحمته على الضعيف والمظلوم شيء يفوق كل حنان ورفقة عرفها الإنسان مع الإنسان: «هل تنسى المرأة رضيعها؟ ... حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش ٤٩: ١٥)، «الله لا يُسمع عليه» (غل ٦: ٧)، فهو يذل كل كبرياء، لإنسان كان أو لملاك، ويستحيل أن يجرب الإنسان الله ويفلت من العقوبة. هذا الأمر نسّمه من داود النبي: «فقال داود (لجاد النبي): قد ضاق بي الأمر جداً، فلنسقط في يد الرب لأنّ مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان» (٢ صم ٢٤: ١٤). وأذّب الله داود أذباً شديداً وعاقبه عقوبة مريرة. أمّا الذي يسقط بعيداً عن الله وليس بين يديه، فاهلاك محتم ولا رجاء.

«الله الحي»:

تقع هذه الصفة مرتبطة بصفة الله أنه «نار آكلة»، وقد أدركها تمام الإدراك هذا الشعب الذي لا رأي له كقول موسى، وذلك حينما تكلم الله لهم من فوق الجبل وسط النار المربعة: «وأما الآن فلماذا نموت لأن هذه النار العظيمة تأكلنا» (تث ٥: ٢٥). فالشعب كان يسمع صوت الله الحي يتكلم من وسط نار تتلظى بأن واحد. وهكذا يقبض الله بالحياة والموت معاً، وكلمته تُميت وتُحيي بأن واحد: «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت فاختر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩). أما الحياة، فكما يقول بولس الرسول: «أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية» (رو ٢: ٧)؛ وأما النار «فتأكل المضادين» (عب ١٠: ٢٧ وإش ٢٦: ١١). هذا معروف منذ الدهر.

## النقطة الثالثة: التعزية الأخيرة (١٠: ٣٢-٣٩):

إلى هنا وكفّ بولس الرسول عن الإنذارات والتحذيرات. لقد كان مدفوعاً للاستزادة منها بسبب موقفهم المتأرجح الخطر. والآن وقد أوضح لهم الهوة السحيقة التي وقفوا على حافتها، بدأ يمد يده ليجذبهم بعيداً عن الخطر. لم ينسج لهم كلمات تشجيعية من الخيال، بل ذكّرهم بمواقفهم الأولى الشجاعة، وكيف أقدموا على الإيمان مستهينين بالمخاطر واحتملوا ما احتملوا من الآلام في سبيل اقتناص الخلاص الذي قبلوه بفرح. ولم يبقَ عليهم إلا الثبات لينالوا إكليل الحياة، فالرب على الأبواب. سيان إن أتى هو إلينا أو ذهبنا نحن إليه، فسنلقاه حتماً، سنلقاه لترتمي في حضنه المريح، يضمّد الجراح ويمسح الدموع!

وتنقسم آيات العزاء هذه إلى قسمين:

- أ - (١٠: ٣٢-٣٤): ذكريات الماضي الحلو وما كان فيها من صبر وشكر وإيمان وطيد.  
 ب - (١٠: ٣٥-٣٩): تحذيرات لثلاث نفقذ الجمالة وتلف ثمر جهادنا والحاجة الوحيدة هي الانتظار بالصبر.

أ - ذكريات الماضي الحلو وما كان فيها من صبر وشكر وإيمان وطيد: (١٠: ٣٢-٣٤).  
 تذكرة بتاريخ إيمانهم المجيد الذي كان له عمل وشهادة من صميم آلامهم الخاصة التي قبلوها عن أنفسهم والتي شاركوا فيها الآخريين عن طيب خاطر وسخاء، وهكذا نالوا بالروح من الروح أضعاف ما فقدوا بالجسد والاسم.

١٠: ٣٢ «ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها تغدّ ما أثرتُم، صبرتُم على مُجاهدة الآلام كثيرة».

«تذكروا الأيام السالفة»:

نحن الرهبان لنا في ذلك خبرة حيّة ذات قياس حقيقي له فاعلية في القلب والفكر لا تُجاري. إذ لا شيء يُلهب قلب الراهب بالنشاط والعزيمة، ويوقظه من نوم الغفلة، ويجدّد عهده، ويشدّ أزره، قدر ما يتذكّر الأيام السالفة التي قبل فيها الدعوة وفاز بإكليل التكريس ولبس الثوب وربط وسطه بالمنطقة وحمل الصليب على صدره!!

وليس سرّاً إن قلت إنه بالرغم من معزيات كثيرة وقوية وتشجيعات من الله بلا عدد صادفتها، ولا أزال، في عُربتي التي طالت، إلا أن صورة يوم خروجي من العالم متجهاً نحو الدير المنطبعة في

وعيسى كختم على قلبي تفوق كل ما عداها من التعزيات والمشجعات. حينما أتذكّرها، وأنا أتذكّرها كثيراً وخاصة أيام يُضَيَّقُ عليّ العدو بمنغصات تفوق قدراتي، فإني أسترّد عافيتي الروحية وأوصل الحاضر بالماضي وكأنني على قمة تجليات الرب فأجدّد قوة.

وبولس الرسول هنا يتكلّم من خبراته ليستحث بني جلدته أن يستفيقوا من نوم الغفلة، وقد أصبحوا بين فكّي الأسد، ليدكروا كيف خرجوا سابقاً خروجاً جليلاً مجيداً محتملين أقصى ما يحتمل الإنسان ثمناً لخلاصه.

وواضح أن الاضطهادات التي دخلوا فيها تكثفت بعد معموديتهم مباشرة: «بعد ما أنرتم»، وكلمة «أنرتم» ترجمتها اللغة السريانية «بعد أن تعمدتم»، فليس سهلاً على الشيطان أن تفرّ فريسة من بين أسنانه. فقد سخّر من أجلمهم أقرب الناس إليهم ليذيقوهم الآلام التي وصفها بأنها كانت «كثيرة» πολλήν. والكلمة اليونانية تعني أيضاً «صعبة» كما جاءت في الترجمة الإنجليزية hard كما تفيد كثرة التكرار والعنف.

### «مجاهدة آلام كثيرة»:

كلمة «مجاهدة» كما جاءت باليونانية ἀθλησιν تفيد «جهاد المعركة». فلم تكن مجرد حرمان أو مضايقة، بل حرباً تُطلب فيها رؤوسهم، لأن المرتد في اليهودية يجلّ دمه. وقد اختبر بولس الرسول تكتيكات هذه الحرب التي قضى عمره فيها وقضى أجله (أي مات) بسببها على طريق أوستيا بروما. وإليك صورة من التربّص للقتل: «ولما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقاً وحرّموا أنفسهم قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس. وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين.» (أع ٢٣: ١٢ و١٣)

والآن يذكّره بولس الرسول كيف احتملوا بصبر هذه الحرب المريرة فما بقي لهم إلا القليل لينالوا الإكليل: «قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً، قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديّان العادل...» (٢ تي ٤: ٧ و٨)

٣٣: ١٠ «مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَغْيِيرَاتٍ وَضَبَقَاتٍ، وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ نُصِرَفَ فِيهِمْ هَكَذَا.»

«من جهة»: τοῦτο μέν

الآية باليونانية تبتدىء باسم الإشارة «هذا» τοῦτο، وهو يعود على آخر كلمة في الآية

السالفة وجاءت: «مجاهدة آلام كثيرة»، وهنا يستطرد «هذا» أي أن الآلام هذه، ثم يقسمها إلى قسمين: آلام تحمّلوها مباشرة، والثانية آلام اشتركوا فيها مع الذين نالوا مثل هذه الآلام.

وتأتي محبوكة في لغة رصينة هكذا: «هذا من جهة τούτο μέν ... وهذا من جهة أخرى τούτο δέ».

«مشهورين»: θεατριζόμενοι (كانهم في تياترو...)

وفي الفولجاتا spectaculum facti (منظراً) وتأتي في اليونانية واللاتينية بمعنى «صاروا منظراً للسخرية» (قارن ١ كو٤: ٩: «صرنا منظراً θεάτρον»). لذلك فقد أخطأت الكلمة العربية المعنى وكان يجب أن تكون: «شُهر بكم»، أي للتشهير وليس للشهرة.

«بتعبيرات وضيقات»: θλίψεσι τε και θνειδισμοις

كانت آلامهم صنفين، فقد تحمّلوا تعبيرات أي توبيخات عنيفة على سلوكه سلكوه مخالفاً لتعاييرهم: «حينئذ ابتدأ يوبّخ θνειδίζειν المدن التي صنعت فيها أكثر قواته لأنها لم تب» (مت ١١: ٢٠)؛ والصنف الآخر استخدام العنف للمضايقة والمطاردة والإيذاء والحرمان.

فالآلام الأولى نفسية صعبة، والآلام الثانية حرمانات من الحقوق والراحة وإيذاء في ممتلكات.

«ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصَرَّف فيهم هكذا»:

واضح جداً أن هؤلاء العبرانيين كانوا على مستوى الشجاعة النادرة كونهم في أثناء وقوع التعبيرات وهذه الضيقات عينها على المسيحيين الآخرين — وغالباً الذين من الشتات مثل استفانوس الشهيد وغيره من اليونانيين اليهود — فإنهم لم يتنصّلوا منهم ولم يتركوهم وحدهم، بل أعلنوا شركتهم κοινωνοί معهم فتحمّلوا نصيبين من الآلام، الآلام التي وقعت عليهم كعبرانيين وطنين، والآلام التي وقعت على مسيحيي يهود الشتات.

٣٤:١٠ «لأنكم رثيتُم لقيودي أيضاً وقبِلتُم سَلْبَ أمواليكم بفرح، عالمين في أنفسكم أن لكم قالاً أفضل في السموات وبأقياً».

هنا ترجمة «القيود» مضافة للمتكلّم، وهي تكاد تُخرج الرسالة كلها عن واقعها — وكل اعتمادها هو أن ذلك جاء في إحدى المخطوطات، بالرغم من غيابها في معظمها — فالمعنى الذي تنصّب عليه بداية هذه الآية: «لأنكم رثيتُم لقيودي»، يفيد أن الكاتب هنا يتكلّم عن نفسه وعن



قيوده، ولكن الحقيقة غير ذلك. وإليك النص اليوناني في أقدم المخطوطات والترجمة الحرفية:

καὶ γὰρ τοῖς δεσμοῖς συνεπαθήσατε

تألّمتم معاً في القيود حقاً لأنه

وقد أخذت بهذا النص الترجمة الإنجليزية. وهكذا تأتي هذه الآية لتشرح كيف تألم هؤلاء العبرانيون مع الآخرين الذين تُصْرَفُ فيهم هكذا بقوله هنا: «لأنكم في الحقيقة تألّمتم معاً في القيود أي السجن». أو يمكن ترجمتها كما جاءت في إحدى الترجمات الإنجليزية هكذا: «لأنكم تعاطفتُم مع المسجونين δεσμοῖς». ولو أن التعاطف لا يفي حق الكلمة اليونانية إلا إذا كان تعاطفاً عملياً<sup>(١١)</sup> فهي شركة الآم<sup>(١٢)</sup> وليست شركة تعاطف. كما نفهمها في الآية (١٣: ٣): «اذكروا المقيدين كأنكم مقيّدون معهم συνδεδεμένοι». ويبدو أن الواقع هو أنه حينما كان يُقبض على المسيحيين ويُعتقلون ويُلقَوْنَ في السجن، لم يجزع هؤلاء العبرانيون ولا أُرهبوا، بل كانوا يزورونهم في السجن ويقدمون لهم الخدمة التي ألح إليها ق. بولس قبل ذلك بقوله: «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه إذ خدمتم القديسين (المسيحيين في السجن) وتخدمونهم» (عب ٦: ١٠). وهكذا فازوا بخدمة المسيح نفسه حسب قول الإنجيل: «ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك، فيُجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٣٩ و٤٠). ومعروف أن المسيحيين الذين كانوا يُلقَوْنَ في السجن بنوع من الاضطهاد، كان ذلك لغرض التعذيب، فكانوا يتعرّضون للجوع والعطش حتى الموت أحياناً إن لم يسعفهم إخوانهم بالمعونة. لذلك كانت الكنيسة صاحبة جداء، وتعدُّ خرافها يوماً بعد يوم لترعاهم أينما كانوا، فكان من صميم عمل المسيحيين رعاية المسجونين، مما كان يعرّضهم للخطر والسجن أحياناً<sup>(١٣)</sup>.

وهكذا تحمّل هؤلاء العبرانيون الاضطهاد والمضايقة والتعذيب من أجل تعاطفهم مع إخوانهم المسيحيين فتمت لهم الطوبى: «طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيّروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا فهوذا أجركم عظيم في السماء لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء.» (لو ٦: ٢٢ و٢٣)

11. Meyer, *op. cit.*, p. 655.

12. See: TDNT, s.v.

13. Euseb. *Hist. Eccl.* IV, 23, 10 etc.; Harnack, *Mission and Expansion of Christianity*, Eng. tr., 1908, i. pp. 162ff, ii. p. 117.

«وقبلتم سلب أموالكم بفرح»:

واضح أنهم هوجموا في بيوتهم وحقولهم وممتلكاتهم وخُربَت لهم وأُتلفت ونُهبت، فهذا هو معنى كلمة «سَلَب» باليونانية ἀρπαγήν، فهي تفيد عملية انقضاخ واعتقال وجُور. ولكن العجيب أنهم قبلوا هذا بفرح، وهذا لا يمكن أن يكون طبيعياً، فالروح القدس (١ تس ١: ٦) كان هو الذي يعزِّبهم عمَّا فقدوه بربح أعظم شعروا أنه أضيف لحسابهم في السماء.

وهذا الكلام جيّد أن يكون لنا في هذه الأيام وأن يدخل أعماق إيماننا، فكل ما يفقده المسيحي على الأرض يُضاف لحسابه في السماء كنزاً لا يفنى هناك ولا يتدنّس ولا يضمحل تسهر عليه الملائكة، فهو أفضل، أفضلية ما لله عمَّا للناس. والمطلوب أن نحس بذلك ونتيقن منه حتى تسري الفرحة في قلوبنا عوض الانزعاج والشكوى: «وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع ٥: ٤١). لأن ما هو معنى أن لنا ميراثاً في السموات؟ وكيف نتأكد أننا وارثون مع المسيح إن لم يكن لنا فرح حقيقي بكل خسارة تحقيق بنا على الأرض؟

ولكننا في الحقيقة نفهم من تعزية بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين، كيف أنهم احتملوا سابقاً كل هذا الضيق والاضطهاد والسجون بالشكر، وسلب ونهب أموالهم بفرح. فهذا يعني أن الضيقة التي يعبرونها حالياً، أي عندما كتب لهم بولس هذه الرسالة، كانت من نوع آخر وكانت أصعب وأخطر بما لا يُقاس حتى إنهم هكذا صاروا مزعزين في إيمانهم!

«عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً»:

الترجمة التي يأتي بها العالم وستكوت<sup>(١٤)</sup>، بناءً على قراءة مرَّجحة في مخطوطات أساسية، قد تكون أكثر تعزية وروحانية إذ يترجمها هكذا: «عالمين أن لكم أنفسكم ye had your own selves لا متلاك أفضل وباقي»، بمعنى أن أنفسهم ربحوها، وهي التي لهم، ملكاً حقيقياً وباقياً في السماء. فإن كانوا خسروا أموالاً، فقد ربحوا أنفسهم بإيمانهم وفرحهم. هذا في الحقيقة أكثر روعة وإبداعاً. لأننا مهما خسرنا من أموال وممتلكات حتى ملابسنا التي علينا وأوذينا، حتى في أجسادنا، فلا تزال أرواحنا ونفوسنا باقية لميراث أفضل وباقي! فبقدر ما تلتف الأموال وتلتف الممتلكات وتلتف الجسد تنتفى النفس وتنتظر وتتجلى في نور القديسين. وهنا قولة المسيح الهادية والمرشدة والمعزية: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩). لأنه يمكن أن نخسر كل شيء

ونخسر الاسم وكل شهرة وكل كرامة، ولكن لن نخسر نفسنا إن صبرنا إلى المنتهى!

وقوله: «"عالمين" أن لكم مالا في السموات...»، فهذا العلم اكتسبوه بكل يقين من داخل أتون التجربة ومن جراء مرارة الاضطهاد والتعذيب. فالشهيد هو أعظم مَنْ يعلم ويُعلّم قيمة الإيمان بالمسيح الذي قدّم حياته من أجله. كذلك الذي تُسلب أمواله وتُنهب ممتلكاته هو أعظم مَنْ يعلم ويعلم قيمة الميراث المحفوظ له في السموات باقياً ينتظره!

+ «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشأ صبراً.» (يع ١: ٣)

+ «مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزنون سيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم - وهي أثنى من الذهب الفاني مع أنه يُمتحن بالنار- توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١ بط ١: ٧٥٦)

ب - تحذيرات لئلا نفقد الجمالة ونُتلف ثمر جهادنا: (١٠: ٣٥-٣٩).

٣٥: ١٠ «فلا تطرّحوا يفتككم التي لها مُجازاة عظيمة.»

«تطرحوا»: ἀποβάλητε

تحمّل معنى الطرح الذي يرافقه الإهمال وعدم الاعتبار وكان الثقة والشجاعة التي مارسوها في بدء إيمانهم أصبحت بلا نفع. هذا خطر، فهو بمثابة إلقاء السلاح، مع أن الثقة والشجاعة إذا دامت بشبات فإنها تهدم حصون العدو وتدنك معاقله. لأنه حينما يزداد الاضطهاد جداً ويبلغ حدوده التي لا تُطاق فهنا تبرز حقيقتان، الأولى أن العدو يكون قد بلغ الحد الذي سينحصر بعده ويفقد عافيته، والحقيقة الثانية أن الإنسان المسيحي عليه أن يبلغ حد اختراق حاجز اليأس والملل ليُدخل النهاية المريحة. لأن لا العدو يعمل في غيبة من الله وعينه الساهرة، ولا الإنسان يُمتحن أكثر مما قد وضع له الله ليبلغ النصر:

+ «ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تُجرّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا.» (١ كو ١٠: ١٣)

+ «يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة.» (٢ بط ٢: ٩)

+ «لأنك حفظت كلمة صبري أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة...» (رؤ ٣: ١٠)

ولقد أعطانا الرسل الأماجد نموذجاً يُحتذى به من الثقة والشجاعة الروحية المؤثرة التي زلزلت رجال السنهدريم وأرعبتهم:

+ « ولما أقاموها في الوسط جعلوا يسألونهما بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟ حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل ... فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات، بذلك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البسّاؤون الذي صار رأس الزاوية، وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص. فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا، فَعَرَفُوها أَنهما كانا مع يسوع! » (أع ٤: ٧-١٣)

### «الثقة التي لها المجازاة»:

وكلمة «الثقة» باليونانية *παρρησιάν* تحمل ولا بد معنى «الشجاعة» أيضاً و «الجرأة» كما سبق وقلنا (راجع شرح ١٠: ١٩). أمّا كلمة «المجازاة» *μισθαποδοσίαν* فهذه الكلمة فريدة في كل الأسفار ولم تأت قط في سفر آخر في العهد الجديد وقد تكررت في هذه الرسالة ٢: ٢، ٦: ١١، ٢٦: ١١ وبنفس المعنى الذي قاله الرب بكلمة مشابهة: «فهوذا أجركم *μισθός* عظيم في السموات» (لو ٢٣: ٦). وذلك بالنسبة للذين اضطهدوا وتألّموا من أجل اسمه.

وقد سبق وقلنا ونعود فنزيد، أن الإنسان وهو في شدة المحنة والضيق يدرك بروحه وتفتح بصيرته ليرى ويتحقّق من الأجر العظيم الذي ينتظره. لهذا، فإنه عبثاً حاول الولاة والضباط الذين أوكل إليهم تعذيب المسيحيين ليجعلوهم يفرّطون في إيمانهم ولو بكلمة، بل على النقيض فكلمة أمعنوا في التعذيب والتنكيل بالحريق أو حتى إلى تقطيع آخر عضو فيهم كلما ازداد بأسهم واشتد إيمانهم وتجلّت قدرتهم الروحية على الرد والمقارعة، بلا تردد، بل بقوة كانت تُرعب معذبيهم مرة وكانت تُقنعنهم بصحة الإيمان المسيحي مرات ومرات لتركوا منصة القضاء والتعذيب ليقفوا في صفوف المسيحيين لينظروا هذا التعذيب عينه الذي يفتح أمام ناظرهم السماء بأجسادها.

عزيزي القارىء أرجوك أن لا تجزع أبداً من ساعة التجربة، فهي تحمل لك أئمن كنوز المسيح، وفي ساعة المحنة والضيق ستعطى قوة لا تخطر لك على بال، وستعطى منطلقاً يُفحم كل جبار، وسترى ما لا يُرى وتلقى الحبيب.

### «مجازاة "عظيمة"»: *μεγάλην*

هي أعظم من كل ما يخطر على بالنا لأنها أئمن عطايا الله، إنها «الوعد»، وقد كشفها في

الآية القادمة: «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تناولون الموعد»  
(عب ١٠: ٣٦) «. ἐπαγγελίαν»

أما «الموعد» فهو الأساس المؤسس عليه العهد القديم والعهد الجديد برمتيهما. وهو يشمل من جهة الله منتهى رضاه وحبه وعطفه على الإنسان في صورة أبوة مشفقة حانية، وفي واقع حياة مباركة بكل بركة روحية في السموات، فيها يعيش الإنسان مع الله لا كعبد فيما بعد بل كأولاد محبوبين يسبحون ويمدحون مجد نعمته الفائق الذي أورثنا إياه في ابنه. وهذه هي المكثي عنها بالحياة الأبدية!

لأنه بقدر ما تعذب الإنسان على أرض شقائه واضطهد وأذك من أجل اسم الله؛ بقدر ما سبق الله وأعد له نعيمه الأبدى. تلك كانت عذابات وقتية؛ وهذا نعيم أبدي. كما قال بولس الرسول: «لأن خفة ضيقنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً» (٢ كو ٤: ١٧). وهنا يحث بولس الرسول هؤلاء القوم الذين ضيق عليهم حتى الاختناق أن لا يطرحوا ثقتهم وشجاعتهم الأولى، لأن الجزء المعدّ عظيم حقاً.

٣٦: ١٠ «لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تناولون الموعد».

تكميلاً لقوله السابق: «لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة». فالثقة وهي شجاعة الإيمان والتمسك به هي التي بها تبلغون المجازاة العظيمة، ومع هذه الثقة يتبقى شيء واحد هام للغاية هو الصبر، لأن الثقة، أي شجاعة الإيمان والتمسك به، لن تدوم إزاء المحن والتجارب إلا إذا رافقها وساندها الصبر، فالصبر بحد ذاته هو عمل تام كقول يعقوب الرسول: «عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً، وأما الصبر فليكن له عمل تام، لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء». (يع ١: ٤٣)

«تحتاجون إلى الصبر»: ὑπομονῆς

الصبر غير طول الأناة = μακροθυμία. فطول الأناة يليق بالله، فهو صفة طبيعية داخلية. أما الصبر فهو للإنسان، ويليق له لاحتمال الضيقات، ويأتيه من خارجه كنعمة، فإذا استقر في الإنسان وأتقنه يصبح صفة طبيعية، أي طول أناة على الخليقة الجديدة بشبه خالقها في القداسة والحق. لذلك نجد بولس الرسول هنا يوضح لهم نقص هذه الفضيلة عندهم وأنه لذلك يلزمهم جداً أن يطلبوها من الله ويمرّثوا أنفسهم عليها. ويعقوب الرسول يرى أن دخولنا في التجربة هو لامتحان إيماننا، ونفس

هذا الامتحان إذا جُزئناه فهو يرَبِّي الصبر: «عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً.» (يع ١: ٣)

وفي هذه الرسالة وفي الأصحاح الثاني عشر يُشَبَّه كيفية نمو الصبر فينا بإنسان يركض لينال جائزة، فما عليه إلا أن يصبر في ركضه حتى النهاية. فإذا فقد الصبر ضاعت عليه الجائزة، ولكن إذا ثابر على الصبر دقيقة وراء دقيقة ربح الجائزة. فالجري نفسه سيثير فيه الرغبة في الصبر، ولكن الجائزة هي التي تحفِّزه على الصبر إلى النهاية: «لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر (نركض) بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمال الصليب مستهيناً بالحزني فجلس في يمين عرش الله.» (عب ١٢: ٢١)

«حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد»:

إذاً، بولس الرسول يكشف هنا لهؤلاء العبرانيين أن الضيقات والاضطهادات الواقعة عليهم لم تقع جزافاً وكان عين الله غير ناظرة، بل إن هذه وتلك هي من صميم بل تصميم مشيئة الله لهم. فالله هو الذي أراد ونفَّذ أن تقع عليهم هذه التجارب، حتى إذا قبلوها بالشكر واحتملوها بالفرح وثابروا على ثقتهم بالله وإيمانهم بآبائنا الله استحقوا فعلاً أن يكونوا أولاد إبراهيم بالإيمان، وبالتالي يستحقون تكميل الموعد لهم ومنهم، لأن الموعد هو للإيمان، والإيمان يتحتم امتحانه للتركيب، والامتحان يكشف عن وجود الصبر من عدمه، والصبر يُستعلن في الضيق والشدة حتى النهاية.

بولس الرسول يرى أن جهادهم قد كمل وأنهم قد احتملوا بسرور كل ما وقع عليهم بل وما اشتركوا به في ضيقات الآخرين. والآن لا يتبقى أمامهم إلا صبر الانتظار لاستعلان مشيئة الله، وهي على الأبواب!

يقول في ذلك ذهبي الفم:

[ أنتم الآن تحتاجون إلى شيء واحد فقط وهو الصبر على تأخير (إعلان النتيجة)، وليس أن تحاربوا مرةً أخرى. أنتم الآن في وضع مَنْ ينتظر الإكليل، لأنكم احتملتم كل القيود والمحن ونهبت أموالكم، فماذا بعد ذلك؟ أنتم واقفون بانتظار الإكليل! يا للتعزية العظيمة] (١٥).

وبطرس الرسول ينبّه ذهن هؤلاء الذين في التجارب أن يلتفتوا إلى نموذج المسيح، لأنه يهب

القوة والعزاء والصبر في حد ذاته: «إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دُعيتُم. فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً مثلاً لكي تتبعوا خطواته» (١ بط ٢: ٢٠ و٢١)، ونفس هذه الرسالة تقول باختصار: «فتفكِّروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلُّوا وتُخوِّروا في نفوسكم.» (عب ١٢: ٣)

«حتى إذا صنعتم مشيئة الله»:

في الضيقة وفي امتحان إيماننا يتضح مقدار التناقض المائل بين مشيئة الله ومشية الإنسان، فالله يشاء التجربة ونحن بحسب طبيعتنا الجسدية لا نشاؤها. الله يشاء الاستزادة منها، ونحن نصرخ ألا تُزاد لنا. فمشيئة الله يتحتم أن تُنفَّذ، لذلك أصبح علينا إن أردنا نحن أيضاً أن نكون حسب هذه المشيئة أن نرضخ لها، فهي صنعة روحية عالية القيمة، وإن أردنا أن نصنعها، فعلينا حتماً أن نجحد مشيئتنا. وواضح هذا الشرط: «إذا صنعتم». والمسيح وهو في جثسيماني أمام أخطر امتحان وتجربة جاءت على إنسان ما، قالها نيابة عن كل إنسان وعن كل الناس معاً: «لتكن لا إرادتي (أنا) بل إرادتك (أنت)» (لوقا ٢٢: ٤٢). بهذا أعلن موافقته ورضاه وسروره بتكميل الصليب حتى الموت!!

هنا وقفت المشيئة البشرية جَزَعَةً، رافضة للألم في مواجهة مسرة مشيئة الله أن يتألم الابن!! «أما الربُّ فُسِّرَ (الآب) بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠). ولكن المسيح أنهى على هذه المضادة وأخضعها لمشيئة الله كلية، عن طاعة كاملة مطلقة، وهكذا فاز الإنسان بصنع مشيئة الله حتى النهاية في شخص المسيح مصلوباً. وهكذا نلنا الموعد وفُرِّنا بالحياة الأبدية.

وعلى نفس النمط يتحتم على الإنسان إزاء التجربة أن يبلغ بالنية إلى أقصى الرضا والسرور بصُنع مشيئة الله، مهما بلغت المرارة فيها، فإذا بلغ الإنسان هذا الخير وأكمل مشيئة الله راضياً بالتجربة حتى النهاية نال بالفعل إكليل الحياة. ولكي يبلغ الإنسان إلى صنع مشيئة الله يلزمه، أعظم ما يلزمه، الصبر حتى النهاية.

١٠: ٣٧ «لأنه بقَدِّ قليل جداً سيأتي الآتي ولا يُبْطِئُ.»

مفتاح شرح هذه الآية ثلاثة اصطلاحات تأتي واضحة باليونانية، اختارها بولس الرسول لِمَا يقابلها من الآيات التي اقتبس منها في إشعياء وَحَبَّقُوْا؛ وبالمقارنة سيظهر الاقتباس واضحاً سواء في المعاني أو نفس الألفاظ:

ἐρχόμενος ἤξει = « سيأتي الآتي »

χρονιῆι = « يُبطيء »

μικρὸν ὄσον ὄσον = « قليل جداً »

وإن أعظم تعزية يمكن أن يقدمها الإنسان للذين في الضيق، هي حقيقة أن الرب آتٍ وهو على الأبواب. ومثل هذه التعزية كثيرة في الكتاب المقدس، والمستفاد منها جميعاً لا أن الرب سيأتي إتيانه الأخير بل سيأتي للنجدة والنجاة، للخلاص للذين يدعون باسمه لأن:

+ « كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص. » (أع ٢: ٢١)

+ « وأدعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني. » (مز ٥٠: ١٥)

+ « يأتي إلهنا ولا يصمت. » (مز ٥٠: ٣)

+ « وهوذا الرب قد جاء في ربوات قديسيه. » (يه ١٤)

+ « أنا آتي سريعاً. » (رؤ ٢٢: ٢٠)

أما المواضع التي يقتبس منها بولس الرسول في هذه الآية، فهي من إشعياء النبي وحبثوق النسبي، وقد استخلص منها ما أراد أن يشجع به هؤلاء العبرانيين وهم في محنتهم. فالأصل هو ما جاء أولاً في إشعياء، والمناسبة هي أثناء حصار الكلدانيين، جاءت التعزية لإسرائيل هكذا: « هلم يا شعبي ادخل مخادعك واغلق أبوابك خلفك. اختبئ نحو لحيفة μικρὸν ὄσον ὄσον (السبعينية) حتى يعبر الغضب. » (إش ٢٦: ٢٠)

وهكذا لمع في ذهن بولس الرسول هذا التعبير البديع وهو أن الضيق لن يطول أكثر من لحيفة، فاقتبس الألفاظ والتعبير من إشعياء النبي (٢٦: ٢٠)، ثم جمع إليها ما جاء في حبثوق النبي ما يتناسب مع سرعة مجيء الرب، وأنه لا يُبطيء، ولكن لا بد من ضرورة الإيمان الساهر المنتظر.

+ « فأجابني الرب وقال، اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح، لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعدد إلى الميعاد، وفي النهاية تشرق ولا تكون باطلة: إن توانى انتظره لأن الآتي يأتي ἐρχόμενος ἤξει ولا يُبطيء χρονιῆι. » (حب ٢: ٣ و٢ حسب السبعينية)

وبعدها يضيف بولس الرسول ما جاء في بقية آية حبثوق النبي هكذا:



٣٨:١٠ «أما البارُّ فبالإيمانِ يَحْيَا وإنْ آرتَدَ لا تُسرُّبه نفسِي».

أما الجزء الأول من الآية فجاء بنصه في آية حَبَقُّوق النبي المذكورة أعلاه التي تأتي في العبري هكذا: «لأن الرُّوبَا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكَلَّم ولا تكذب، إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخَّر... والبارُّ بإيمانه يحيا.» (حب ٢: ٤٥٣)

أما الجزء الثاني من الآية: «وإن ارتد لا تُسرُّبه نفسي»، فيستبعد كثير من العلماء وأيضاً القديس ذهبي الفم أن يرتد البار، لذلك خرجوا عن النص ونسبوا الارتداد لأي إنسان عامة، فجاءت عندهم: «أما البارُّ فبالإيمانِ يحيا، والذي يرتد لا تُسرُّبه نفسي». وهكذا أنها على هذا الإشكال. ولكن يقف العلماء المدقِّقون موقفاً آخر، إذ يقرأون الآية على النص العبري ثم يعودون إلى شرح هذه الآية في النصوص العبرية في التلمود وغيره ويدخلون في إشكالات أخرى لا قِبَل لنا بها.

لذلك نحن نأخذ بالنص الذي أورده بولس الرسول في هذه الرسالة بالذات أن البارُّ إنما رأس ماله هو الإيمان، وبهذا الإيمان يحيا، ولكن إن ارتد عن الإيمان فلن ينقذه برُّه بل سيفوز بعدم رضا الله: «لا تُسرُّبه نفسي». وهذا هو ما يطابق حال هؤلاء العبرانيين الذين يميلون نحو الارتداد؛ بل وأيضاً هذا ما يعود بولس الرسول يبيِّن عليه في الآية القادمة لكي ينفيه عنهم بنوع من التشجيع.

٣٩:١٠ «وأما نحن فلنسا من الارتدادِ للهلاكِ بل من الإيمانِ لاقتناءِ النفسِ».

هنا يرفع بولس الرسول سامعيه إلى مستواه من الإيمان بنوع من التشجيع، نافياً عنهم كما عن نفسه أي ارتداد عن الإيمان. والملاحظ في استخدام ق. بولس وانتقائه للألفاظ أنه انتقى كلمة «الهلاك» ἀπώλειαν التي تقف في معناها عكس «الخلاص» σωτηρία، التي تعني بدورها «اقتناء النفس» περιποίησιν ψυχῆς، وهو ما شرحه القديس لوقا كوعد الرب: «بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٩). وهكذا تنكشف كلمة «الارتداد» لتعني هلاك النفس فعلاً.

وهكذا فالذي يقتني الخلاص يقتني النفس: «لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء περιποίησιν الخلاص برربنا يسوع المسيح» (١ تس ٥: ٩). ومن التناسق البديع بين هذه الألفاظ، نستطيع أن نحكم على أي مستوى بلاغي وروحي بل ولاهوتي تقف هذه الرسالة وسط أسفار العهد الجديد. غير أن ترجمتها إلى اللغة العربية تحتاج إلى مراجعة.

الأصحاح الحادي عشر  
جوقة من أبطال الإيمان  
وانتصارات للإيمان تهز القلوب

- ١ - ٣-١:١١ : تعريف الإيمان.
- ٢ - ٧-٤:١١ : لوحة شرف تتلأأ بنجوم الإيمان.
- ٣ - ٢٢-٨:١١ : إيمان البطارقة الأولين.
- ٤ - ٣١-٢٣:١١ : الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير.
- ٥ - ٤٠-٣٢:١١ : الإيمان في بكور قيام إسرائيل.

[ إن كان الإنسان قد سقط من دائرة الوجود مع الله وتغرَّب عن وطنه السعيد في أرض شقائه، إلا أنه ظل مرتبطاً بذلك الوجود الأسمى غير المنظور، يهيج في قلبه حين العودة إليه. وكان الله يغذي هذا الشعور النبيل بوعوده الصادقة! فتربَّت في قرارة نفسه أحاسيس الإيمان، الإيمان بما يتمناه والإيمان بصدق الله. ومن هنا جاء تعريف الإيمان].

### الكاتب

لقد أحكم ق. بولس تخطيطه للأصحاح الحادي عشر والأصحاح الثاني عشر، وذلك في نهاية الأصحاح العاشر، حينما حثَّهم أولاً على الجهاد بالصبر والثقة. وحينما أرسى قواعد الجهاد والثقة على الإيمان، فقد خَطَّط للأصحاح الثاني عشر بقوله: «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تناولون الموعد» (عب ١٠: ٣٥ و٣٦). فإذا قرأنا استهلاله للأصحاح الثاني عشر، ندرك هذا التخطيط المُحكَّم، فهو يكمل هذا الكلام هكذا: «لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا» (عب ١٢: ١)، ويكمل الأصحاح بتعاليم جديدة ومشجِّعة على الجهاد والثابرة والمثل الأعلى لذلك.

ولكن لا يمكن الجهاد ولا يمكن الصبر والثابرة بدون إيمان، لذلك التزم أن يقدِّم أصحابه الحادي عشر كله عن الإيمان، معطياً نماذج من أبطال الإيمان على كل مستوياته. وهو في ذلك جاء مكتملاً للخط الذي وضعه في نهاية الأصحاح العاشر بقوله: «أمَّا البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تُسرُّ به نفسي» (عب ١٠: ٣٨)، ويستطرد القول في الأصحاح الحادي عشر: «وأمَّا الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (عب ١١: ١)، ثم يعطي خمسة وعشرين نموذجاً للإيمان، كل واحد منها يتجه اتجاهه الخاص ليكتمل دائرة الإيمان في كل العهد القديم.

وبذلك يتضح أمامنا مقدار الترابط الفكري والعملية بين الأصحاحات العاشر والحادي عشر والثاني عشر، مما يؤكد لنا أن الرسالة إلى العبرانيين تتميز عن كافة الرسائل بمنهجها المدروس جيداً والمرتبب في الفكر قبل البدء بالكتابة. ثم ينكشف مقدار الإلهام فيها لبناء هذه النفوس الضعيفة التي انحصرت بين عنف الاضطهاد الواقع عليهم وإهمال الكنيسة في توعيتهم ورعايتهم.

## تعريف الإيمان: [ ١١ : ١ - ٣ ] .

١ : ١١ «وأما الإيمان فهو الشَّكُّ بِمَا يُرْجَى، والإِبْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى» .

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى» :

منذ بدأ الإنسان يدب على الأرض، ظل شعورياً ولا شعورياً يرجو العودة إلى الله! ونحن نسمع صراخ النفس البشرية المتغربة على الأرض وهي تنطق بذلك حينما يواتيها وحي الروح: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك» (مز ١١٦: ٧). وأيوب ينظر وينتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر بقوله: «أما أنا فقد علمت أن وليي حيٌّ والآخِر على الأرض يقوم (دلالة على أزلية وأبدية الله)، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله، الذي أراه أنا لنفسي وعياني تنظران وليس آخر، إلى ذلك تتوق كليتي في جوفي» (أي ١٩ : ٢٥-٢٧). وهكذا منذ أن ذاق الإنسان الشقاء على الأرض وألتمت به المصائب والضيقات، التي وعى جيداً أنها كانت كلها ثمناً لعصيانه وجزاءً وفاقاً لإثمه وخطاياها، منذ أول تغرُّبه عمَّن أحبه وخلقه، وهو يحلم بالعودة كلما عزَّ عليه انتظارها. وفي حلمه وفي انتظاره بدأ الإيمان كل يوم يتربى عنده، ومع الإيمان الثقة أنه عائد حتماً. وهكذا ومن هذا الاختبار الحي، التحم الإيمان بالثقة، خاصة عندما أعطى الله وعده بذلك، «وأما الإيمان فهو الشكَّة بما يُرجى». لذلك نقول، عن واقع وخبرة وثقة، إن منشأ الإيمان عند الإنسان أفرزته حاجته الشديدة إلى الله عندما تيسم في البعد عنه وألتمت به الضوائق، وزاد وتثبت عندما انعكست هذه الضوائق على أحلام العودة، التي ظلَّت باهتة إلى أن أثارها المسيح بقيامته .

«والإيقان بأُمُورٍ لَا تُرَى» :

أما الأمور التي لا تُرى فهي أجماد السموات، التي ظلَّت مخفية عن الإنسان، بعيدة عنه، لا يرقى إليها حتى ولا في أحلامه، إلى أن بدأ الله بالإعلان عنها على فم أنبيائه وقديسيه، ثم باستعلانها على فم المسيح ورسله وتلاميذه. وبالرغم من ذلك بقيت «لا تُرى»: «ما لم ترعين ولم تسمع أذن ولم يحظر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه» (١ كو ٢ : ٩ و١٠). وبقي إعلان الروح كما هو لا تراه عين، ولكن لأن الله أعدّه ليكون لنا فقد أصبح حتماً في مرمى الإيمان! وهكذا فإن كل الأمور التي أصبحت لنا بالرغم من أنها لا تُرى دخلت اليقين الإيماني، وهذه هي عظمة الإيمان وكفاءته التي تفوق كل المدركات والمحسوسات .

وإن شئت أيها القارئ العزيز أن تعلم ما هو الذي يقع تحت اليقين، فاعلم أن كل ما هو منظور ومحسوس لا يدخل قط تحت دائرة اليقين لأن كل منظور متغيّر، وكل متغيّر زائل، وكل زائل

هو في حكم الخيال. فالعالم المادي كله خيالات وأقنعة مهتزة ليست حقائق ولا جواهر، فالحقيقة والجوهر يبقيان فقط في كيف أنتت إلى الوجود وعند الذي أوجدها، فكل منظور يحوي جوهرأ غير منظور، وجوهره هو ما يربطه بالله الذي به وُجد وبه يبقى وإليه ينتهي.

لهذا، فالحق الذي ينطوي عليه الإنسان، وهو الجوهر الذي يربطه بالله، هو روحه الذي من الله، وهو الذي استؤمن وحده أن يعرف الله وكل أمور الله: «وتحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف (به) الأشياء الموهوبة لنا من الله» (١ كو٢: ١٢). لهذا حينما يصير الإيمان إيمانأ بالروح، فإنه حتماً يبلغ اليقين من جهة أمور الله التي لا تُرى. لذلك فإن ق. بولس يعرف الإيمان بكل ثقة أنه عند الروحيين هو «الإيقان بأمر لا تُرى».

والآن ندرك القصد العظيم والمبارك الذي يقصده بولس الرسول من تعريف الإيمان هكذا، وذلك على مسامع هؤلاء العبرانيين الذين يودون الارتداد إلى اليهودية.

فهو إنما يتخطى ما تمكّن في ضمائرهم السقيمة، من التفكير في العودة إلى اليهودية بيهيكلها ووطنها وأنسابها وآبائها وترباها وأترابها، ليربطهم بوطنهم السماي الذي خرجوا منه وهم حتماً إليه عائدون، وإلى أمور السماء الموعودة التي هي وحدها باقية لهم بقاء اليقين. وهو إذ يُعرّف الإيمان هكذا كما عرفناه، إنما يداعب أفكارهم ويوقظ حنينهم ويستنهض إيمانهم، ليربطه بما هو حق وبما هو جدير أن يرتبطوا به. والقديس بولس يقدّم هذا التعريف ليبنى عليه الأمثلة التي أدركت حقيقة الإيمان وأدركت بإيمانها رضا الله وبركاته، بالرغم مما واجههم من صعاب بل وما جازوه من الآم وتعذيب وهُزء وموت، لكي يدنّر هؤلاء العبرانيين المترددين أن ليسوا هم وحدهم الذين أعطى لهم أن يجوزوا الضيقات، وحتى تُلهب هذه الأمثلة البطولية فيهم شعلة الإيمان والشهادة. والكلام كله لنا أكثر مما لهم !!

٢: ١١ «فإنه في هذا شهيدٌ للقدماء».

هنا بدأ بولس الرسول التطبيق بقوله ما معناه: أنه على أساس تعريف الإيمان الذي قلناه، قدّم الآباء الأقدمون حياتهم وأعمالهم فحازوا على رضا الله، بمعنى أنهم وثقوا بما ترجّوه من الله من جهة الحياة القادمة معه، وتيقنوا من كل الأمور التي وعد أن يعطيها، مع أنهم لم يروها، وهذا واضح من القول بعد ذلك:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد (بالإيمان) نظروها وصدّقوها وحيّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... ولكن الآن يبتغون وطنأ

أفضل أي سماوياً، لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعى إلههم لأنه أعدّ لهم مدينة .  
(عب ١١ : ١٣ و ١٦)

وعلى القارىء أن ينتبه، لأن في اعترافهم أنهم غرباء ما يكفي ليثبت أنهم لم يتمسكوا بأمور هذه الدنيا وكأنها غريبة عنهم وهم غرباء فيها، وفي قولهم نزلاء أي بمعنى ضيوف الله، فإن كانوا قد أقصوا من الحياة مع الله في الفردوس وذلك في شخص آدم، فهم وإن كانوا مطرودين على الأرض، إلا أنهم لا يزالون يحسبون أنفسهم نزلاء عنده حتى وفي أرض الشقاء. إنها بلاغة التعبير عن الواقع المر، حينما يرفعه الإنسان إلى حالة الشكر بل والمدح لله.

كذلك فإن شدة عزوفهم عن الأرض أن تكون لهم وطناً، أخذت لحسابهم، وكأنهم يتمسكون تمسكاً أشد بوطنهم السماوي، إنها روعة الارتفاع بالمسكنة والمذلة لتضاهي في أعينهم الملكوت المعدّ: «حوّلي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني» (نش ٦ : ٥). لقد غلب الله من تخننه، فأعلن أنه لا يستحي والأمر كذلك أن يُدعى إلههم فأعدّ لهم مدينة وإن كان قبل الأوان.

٣ : ١١ «بالإيمانِ نفهمُ أن العالمينِ أثقنت بكلمةِ الله حتى لم يتكوّن ما يُرى مما هو ظاهرٌ».

إنها فلسفة الخلق التي حيّرت فلاسفة كل زمان وعصر! ومتى كان من الظاهر يُخلق الظاهر؟ أو من الذي يُرى يُخلق ما يُرى؟ وكل ظاهر وكل ما يُرى هو خداع الرؤيا وهو أفتنة وخيالات. الله هو الذي خلق والله لم يره أحد قط، وبكلمته خلق العالمين فلبست أشكالها وألوانها وحركاتها، وبكلمة هي عتيده أن تخلع ما لبست ولا يبقى منها إلا ما استمدته من الله ليبقى إلى الأبد!

الإنسان وحده هو الذي يدرك الزائل من الخليفة والباقي لها، لأنه يحمل الزائل في كيانه ويحمل الباقي ويدرك كيف يزول الزائل وكيف يبقى الباقي.

وبولس الرسول إذ يرتفع إلى هذه الحقيقة كأساس، إنما يفتح ذهن هؤلاء العبرانيين ليدركوا أن كل ما يُشغلهم زائل، فالوطن والهيكل والأبجد التي ورثوها وكل ما صنّعت يد الإنسان زائل، وكل ما يتكوّن مما هو ظاهر سيزول ويحول، ولن يبقى إلا من استطاع أن يخلع الزائل ويلبس عدم الزوال ويتحوّل فيه الفاسد إلى عدم فساد والموت إلى حياة.

وبولس الرسول ينبّه أنه بالإيمان وحده نفهم هذا، وهي بديهية عند الذين تيقنوا من جهة الأمور التي لا تُرى.

## لوحة شرف تتلألاً بنجوم الإيمان : [ ٧-٤ : ١١ ] .

٤ : ١١ «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لَهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ . فِيهِ شَهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِيِّهِ . وَبِهِ وَإِنْ مَاتَ يَتَكَلَّمُ بَعْدُ» .

هنا يستدعى بولس الرسول يقدم عيّنات من الإيمان مُعطياً كل عينة صفتها التي زكّتها أمام الله . فإيمان هابيل هو أول إيمان نسمع عنه بعد خروج آدم من لدن الله . فهذه أول بادرة تبدر من الإنسان لتكشف أن علاقة الإنسان بالله بعد خروجه من الفردوس لا تزال تحمل الحنين للعودة والحب من نحو الله ، عبّر عنها هابيل بتقديم ذبيحة استرضاء لوجه الله ، كنوع من تقديم الشكر والعبادة وطلب التذكرة أمام الله . ذلك في نفس الوقت الذي قدّم فيه أخوه قايين تقدمته من ثمار الأرض ورُفضت ، وطبعاً كان سر قبول ذبيحة هابيل هو إيمانه الذي كان يربطه بالله وكانت تركية أعماله «ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه ، ولماذا ذبحه ، لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارّة» (١ يوحنا ٣ : ١٢) . والرب يعطي لدم هابيل المذبح صفة «البرّ» : «لكي يأتي عليكم كل دم زكي (بار) αἷμα δίκαιον سُفِكَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلِ الصَّادِقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّاءَ الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْمَيْكَلِ وَالْمَذْبُوحِ» (متى ٢٣ : ٣٥) . وهكذا يسمي الرب هابيل بالصادق δίκαιου أي البار ودمه أيضاً «دم بار» . هابيل لَمَّا مَاتَ ذَهَبَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَ اللهِ ، وَقَايِينَ بَقِيَ مَقْتُولاً عَلَى الْأَرْضِ !!

قول بولس الرسول : «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لَهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ (أَوْ أَكْبَرَ) πλεῖον θυσίαν مِنْ قَايِينَ» . فهنا الأفضلية كانت تسندها أعمال وحياة بارّة : «وأعمال أخيه بارّة» (١ يوحنا ٣ : ١٢) ؛ أما الحياة البارّة فتظهر من وصف الرب لدم هابيل بأنه «بار» ، لأن الدم يحمل الحياة ، في عُرف العهد القديم . بل وتكملة الآية تشير أن دم البار يتكلّم أمام الله : «وَإِنْ مَاتَ يَتَكَلَّمُ بَعْدُ» ، «صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض» . (تك ٤ : ١٠)

وبولس الرسول يتمسك بشهادة الرب لهابيل التي استقاها من قبول الرب لقرابينه إذ نظر إلى قلبه الذي تطهّر بالإيمان . وطبعاً كل هذا كان يعود إلى أن هابيل قدّم قرابينه «بِالإِيمَانِ» ، وإيمان هابيل كان يسنده أعماله البارّة ، وهذا بيت القصيد . فالقديس بولس يقدم عيّنات من الإيمان هو أول إيمان من نوعه على الأرض كانت تسنده الأعمال البارّة ، فقيل ، وشهد له الله ، وإنه وإن مات يتكلّم ويُسمع صوته . وهذا سوف يستخدمه ق . بولس ليضم صوت هابيل من السماء المتكلّم بالإيمان — كإنسان مقتول ظلماً — مع سحابة الشهود التي تطلُّ علينا من السماء لتشجعنا ،

وبالأولى أولئك المترددين والخائفين وضعاف الإيمان، ليتشجعوا في إيمانهم، ويركضوا صابرين في ميدان الجهاد الموضوع أمامهم.

١١: ٥ «بالإيمان نُقِلَ أَخْنُوخُ لكي لا يَرَى الموتَ ولم يُوجدَ لأن الله نَقَلَهُ، إذ قَبِلَ نَقْلَهُ شَهِدَ له بأنه قد أَرْضَى الله».

[ كان يوجد إنساناً أُسْرُ الله بعمله، والله أحبه وبينما هو وسط الخطاة يجيأ، أُسْرِعَ الله ونقله، اختطفه الله لسلا يَلْمُوثُ الشرِّ فطنته أو يَرْيَفُ الغشُّ نفسه،

لأن سحر الخُبِيثِ يطمس الصلاح، والشهوة المتنمرة تقلب براءة الفكر، وإذ تكتمل في وقت قصير صار كأنه أكمل زمناً مديداً لأن نفسه كانت تُسِيرُ الرب. لذلك أُسْرِعَ وأخذَه من وسط الشر. ولكن الناس رأوا ذلك وما فهموه ولا دخل هذا قلوبهم: إن رحمة الله ونعمته هما دائماً لمختاربه وهو دائماً يلاحظ قديسيه. ]

(سفر الحكمة من السبعينية ٤: ١٠-١٥)

النموذج الثاني للإيمان، إيمان تعدى في قوته قوة الموت لأنه تساوى في قوته مع رضا الله وحبه. كان الموت قد استقر على كل بني آدم علامةً على غضب الله بسبب العصيان، ولكن وُجِدَ إنسان استطاع أن يبلغ من رضا الله وحبه ما هو كفيلاً أن يرفع الغضب، فُرْفِعَ عنه حكم الموت، فما كان من الله بعد أن أكمل أخنوخ ثلاثمائة وخمسة وستين عاماً أن نقله حياً إلى السماء، وطبعاً نقله من الفساد إلى عدم الفساد، لأن الفاسد لا يرث عدم الفساد. وهكذا ذاق القيامة فلم يَدُقْ الموت، وتمّ فيه قول الرب: «إن أمنتَ ترين مجد الله» (يو: ١١: ٤٠). أخنوخ آمن ورأى مجد الرب فلم يَرِ الموت.

نحن أعطي لنا أن ننظر بالإيمان مجد الرب فنتغيّر ونتغيّر من مجد إلى مجد حتى نبلغ تلك الصورة عينها (٢ كو: ٣: ١٨)، ولكن لا نبلغها إلا بعد أن يلبس الإنسان الجديد آخر تغييراته عندما يغيّره الرب ليكون على صورة جسد مجده حسب استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء! ولكن أخنوخ أكمل بالإيمان رضا الله فأكمل له التغيير ونقله، بانتظار المسيح، ليكون على صورة جسد مجده.



بولس الرسول قدّم أحنوخ للعبرانيين ليشهد لهم من وسط السحابة عن إمكانية إرضاء الله ونحن وسط العالم الشرير، وذلك حينما يبلغ الإيمان حد الموت ويفوقه، فإيمان أحنوخ كان أقوى من الموت لأنه أحب الله وأرضاه، والمحبة كالإيمان أقوى من الموت.

٦:١١ «ولكن بدون إيمان لا يُمكن إرضاءه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يُجازي الذين يطلبونه».

سيان إذا أخذنا الإيمان في معناه ومبناه أنه:

أ — الثقة بما يُرجى، ب — والإيقان بأمر لا تُرى.

الذي معناه كما رأينا: أ — الثقة بما نرجوه من جهة العودة إلى الله، ب — يقين انتظار أمور مواعيد الله الصادقة.

أو أن نأخذ بما جاء به ق. بولس وهو: أ — الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، ب — وأنه يجازي الذين يطلبونه.  
فالمعنى واحد تماماً.

وعندنا مثلاً أحنوخ يشرح هذا بتطبيق إبداعي حقاً. فأحنوخ لما أرضى الله بإيمانه، نقله إلى السماء ليحيا مع الله. هذا معناه أن أحنوخ بلغ من الثقة بما يُرجى إلى أقصاه، فأعجب الله وأسرّ نفسه فتّم له رجاءه، وهو العودة إلى الله كجزء مباشر لما كان يطلبه ويشتهي. ومعروف أننا إذا كنا نرجو العودة إلى الله فهذا معناه أو أساسه أن الله موجود!

وإن كنا نرجو العودة إلى الله فهذا أيضاً معناه أننا نؤمن، فننتظر مواعيده. وانتظار تحقيق مواعيد الله معناه أننا نؤمن أن الله يجازي حقاً الذين يطلبونه.

وهذا نسمعه من بولس الرسول نفسه حينما بلغ عنده الإيمان بالله والمسيح أقصاه، إذ قال: «بي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). هذا هو بعينه: «الثقة بما يُرجى والإيقان بأمر لا تُرى». ولكن وإن كان الله لم يأخذ ق. بولس إليه فلأنه: «ولكن أن أبقي في الجسد ألزم من أجلكم» (في ١: ٢٤). علماً بأن الله أخذه بالروح فعلاً فرأى كل الأمور التي لا تُرى. وهذا معناه أن ق. بولس انتهى أن يرى ما لا يُرى فتّم فيه القول أنه يجازي الذين يطلبونه.

ومن هذا، سواء في أحنوخ أو في ق. بولس، يتبرهن هؤلاء العبرانيين ولنا أن الله موجود حقاً

وأنه يجازي الذين يطلبونه. فإن وقف أخنوخ في سحابة الشهود جنباً إلى جنب مع ق. بولس فذلك تنبيهاً لهم ولنا لكي يبلغ الإيمان عندهم وعندنا إلى حد اليقين بوجود الله والثقة أنه يجازي الذين يطلبونه. لأن بدون أن يبلغ الإيمان حد اليقين وحد الثقة بالله وبمجازاته، فلن نأتي إلى الله يوماً ولن نراه.

وقول ق. بولس: «يأتي إلى الله»، يعني به الاقتراب إليه هنا بالصلاة والوجود في حضرته، وهناك للحياة معه إلى الأبد.

وهنا جيد أن نعود إلى قول النبي عزاريا بن عوديد لآسا الملك ولكل الشعب:  
 + «اسمعوا لي يا آسا وجميع يهوذا وبنيامين (أسباط اليهودية)، الرب معكم ما كنتم معه، وإن طلبتموه يوجد لكم، وإن تركتموه يترككم.» (٢ أي ١٥ : ١٥ و١)

٧ : ١١ «بالإيمان نُوح لما أُوحِيَ إليه عن أمور لم تُرَبْعَدُ مخافتاً، فبنى فُلْكَاً لخلاص بيته، فيه اذن العالم وصار وارثاً للبر الذي حَسَبُ الإيمان.»

[ الإيمان يتطلب نفساً كريمة وقوية تستطيع أن تعلق فوق أمور الخواس وتتجاوز ضعفات تقديرات الإنسان، لأنه من الصعب أن يصير الإنسان مؤمناً دون أن يرتفع فوق عادات الناس. ]

القديس يوحنا ذهبي الفم على عب ١١ : ٤٥٣ .

نوح يستحق فعلاً أن يكون نموذجاً عظيماً للإيمان، ويستحق أيضاً أن يكون وارثاً للبر الذي بالإيمان. لأن الظروف التي آمن فيها وتيقن من جهة الأمور التي لا تُرى، تجعله فريداً في كل جيله.

فأرب نفسه يصف هذه الظروف الصعبة والخطرة والمفاجئة هكذا:  
 + «وكما كان في أيام نوح — كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الإنسان — كانوا يأكلون ويشربون ويزوّجون ويتزوّجون، إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع.» (لو ١٧ : ٢٦ و٢٧)  
 وهكذا بإيمان هذا البار نجا العالم من الفناء الكلّي.

## مؤهلات نوح:

- « كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله » (تك ٦: ٩)،  
 « وسار نوح مع الله » (تك ٦: ٩)،  
 « ولكن أقيم عهدي معك » (تك ٦: ١٨)،  
 « لأنني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل » (تك ٧: ١)،  
 « ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب. » (تك ٧: ٥)

وهكذا، وكان نوحاً وهو لم يدر، كان يُعدُّ نفسه لنجاة العالم. فبإيمانه وبرّه أمام الله أخذ مسئولية بقاء الحياة على الأرض ونجاة بذرة آدم من الهلاك. وهكذا ورث البر الذي حسب الإيمان، لأن إطاعة نوح للوحي الإلهي الذي التقطته روحه، وفي غمافة الرجل البار، نفَّذ في الحال الأمر الصادر له فكان هذا أعظم تعبير عن الإيمان. الإيمان بوجود الله، والإيمان بالأمور التي لا تُرى التي وعد الله أن تكون، وهي أمطار الطوفان العتيدة أن تُهلك كل حي. لهذا أصبح نوح علامة إيمان بارزة في تاريخ العالم، وصار الفلك الذي صنعه هو شهادة إيمان له أمام العالم كله.

ولو عرفنا أن نوحاً هو أول إنسان في التاريخ نال من الله شهادة منطوقة لبرّه: «لأنني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل» (تك ٧: ١)، فإن كان إبراهيم محسب إيمانه برّاً له، فنوح نال البر شهادة لحياته مع الله: «وسار نوح مع الله» (تك ٦: ٩). ولأنه أطاع وصنع الفلك كما أمره الله، أضاف على البر الذي له بالإيمان بر الطاعة، وهكذا صار وارثاً عن استحقاق للبر الذي حسب الإيمان.

وبولس الرسول يقدّمه ليتصدّر سحابة شهود الإيمان كصاحب فضل على كل جسد ذي نسمة حياة، لأن بفلك نوح أو بالحري بإيمانه حُفظت حياة الإنسان على الأرض ومن نسله صار العالم.

أما الذين لم ينصاعوا لإيمان نوح فقد هلكوا جميعاً، وفي يوم الدين سيقف ليدينهم بإيمانه بل ويدين كل إنسان استهان بوعود الله.

ويعتبره بطرس الرسول وهو عائم بفلكه في وسط هلاك الطوفان كمن يركز بالبر للعالم: «حفظ نوحاً ثامناً كارزاً بالبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفُجّار» (٢بط ٢: ٥). كما يرى فلكه يشبه الكنيسة وسط طوفان خطايا العالم، تُخلّص من يلتجئ إليها وفيها: «الذي مثاله يخلّصنا نحن الآن أي المعمودية.» (١بط ٣: ٢١)

## إيمان البطارقة الأولين: [ ١١ : ٨ - ٢٢ ].

٨ : ١١ «بالإيمان إبراهيم لما دُعِيَ أطاع أن يُخْرَجَ إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخُذَهُ ميراثاً، فخرَجَ وهو لا يَقلَمُ إلى أين يَأْتِي».

[ إبراهيم العظيم أبرجيع الأمم ولم يوجد شبيه له في الكرامة. الذي حفظ شريعة العلي وصارت معه بعهد، في جسده ثُبِتَ العهد (الختان) وفي التجربة وُجِدَ أميناً، لذلك أقسم له أن يتبارك الأمم بزوجه وأن يزداد كرملة البحر، يرفع ذريته كالنجوم ويورثهم من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض ].

(يشوع بن سيراخ ٤٤ : ١٩ - ٢١)

[ مدفوعاً بصوت الوحي الإلهي لدعوة الخروج تاركاً أرض وطنه وعشيرته وأهل بيته لينهب إلى أرض أخرى، أسرع باشتياق ليثبم ذلك واهتماً في قلبه أن الإسراع في تنفيذ الوصية هو حسن كحسن تمام تنفيذها، وفي الحقيقة نراه وهو مسرع نحو الأرض الغريبة كأنه عائد إلى وطنه من أرض غربة، لا متفرّباً عن وطنه ].

فيلو الفيلسوف اليهودي: «تأملات على خروج إبراهيم»، ٦٨ (\*).

[ إن هذا شهادة إيمان للنفس حينما تضع ثقها في الله كاشفة عن عظمة وعمق الإيمان لا على أساس ما سيتم من حقائق، بل على أساس قوة ترقب ما هو آتٍ بشبات. لأن النفس حينما تعتمد تماماً على الرجاء الصالح معتبرة الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة بلا شك، بسبب الثقة بالله الذي وعد، فإن مكافأتها العظمى هي «بركة الإيمان» كما قيل في النهاية «فأمن إبراهيم بالله» ].

فيلو: «تأملات على خروج إبراهيم»، ٤٣ .

Philo: Migration of Abrah. 43f.

هنا يُبرز بولس الرسول نقطة ارتكاز كبرى في سحابة الشهود يمثلها إبراهيم صاحب المواعيد العظمى والثمينه، والتي انجلت عن ظهور ابن الله على أرض الإنسان من نسل ذلك البار، ليصنع خلاصاً في الأرض كلها ويجمع العالم في حضنه، ويقدم الإنسان خليفة جديدة أمام الآب مقدسة وبلا لوم.

(\* ) Philo, *The Migration of Abraham*, 68.

دُعي فأطاع، وخرج من وسط بيته وعشيرته ليسير إلى حيث لا يعلم (١) إلى «أمور لا تُرى». وهكذا قدّم إبراهيم نموذج الإيمان الكامل للإنسان المسيحي الذي إذ يسمع ويقبل دعوة الله ويؤمن بابن الله، ليخرج متغرباً لا عن أهله وعشيرته فقط بل وأيضاً عن العالم كله طالباً ما فوق، الأمور التي وعد الله بها ولا تزال مخفية، المكان الذي أعدّه له المسيح بنفسه ليأخذه ميراثاً شريكاً مع المسيح في كل ما له عند أبيه.

ولكن ليس في كل الأمثلة السابقة مَنْ حَرَّكَ قلب الله مثل إبراهيم بإيمانه الفدّ، الذي آمن بَمَنْ يُحيي من الموت، وبرهن على إيمانه بتقديم ابنه الوحيد الذي قَبِلَ به وفيه المواعيد. قدّمه ذبيحة دون أن يهتز، لم ينظر إلى أمام ولا نظر إلى خلف بل نظر إلى فوق، لَمَنْ أَحَبَّهُ أكثر من وحيدته، ولَمَّا نوى وأقدم على الذبح أمسك بأمر الله، وسمعت أذناه قَسَمَ الله بذاته أن بإيمانه هذا قد صار بركة لكل ممالك الأرض وشعوبها. وثَبَّتَ الوعد وتم العهد لَمَّا انجلت الدهور وظهر المسيح من نسل إبراهيم رئيساً للإيمان ومكْمَلَه، ورأساً للكنيسة شعب الله قديسي العلي من كل لسان وشعب وأمة.

بولس الرسول يصوِّب نظره نحو: «لَمَّا دُعي أطاع»، وإلى «خرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي». وبهاتين الكلمتين يكون قد شكَّلَ منهج الخلاص للذين يطلبون الخلاص.

فهو وإن كان يكلم العبرانيين أصلاً فالكلام لنا طبعاً، لأن الروح إنما يشير دائماً إلى كل مَنْ يسمع ويقرأ!!

أنت دُعيت فما بقي إلاّ الطاعة! فخذُ لك من إبراهيم مثلاً كيف تربط الإيمان بالطاعة.

وأنت خرجت يوم تعمّدت لترث المكان الذي لأجلك أعدّ، فلا تُغدّ تسأل سؤال توما: «يا سيد لسنا نعلم أين تذهب فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» يقول لك الرب «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي!» (يو ١٤: ٥ و٦) هذا هو السير بالإيمان لا بالعيان! (راجع ٢ كوه: ٧).

وكان الرب يقول لك: إن ارتبكت وأشكل عليك الأمر، إن خُفت وتضايقت واشتد بك الهول، إن تُهت واختفى عنك الطريق وغلبك اليأس، فاصرخ بهذه الكلمة الواحدة: «يا يسوع»، تجد أمامك الطريق حالاً والباب المفتوح واليد العليا خلتك وأمامك. هذا هو مجد الإيمان!!

(١) لنباحظ القارىء أن إبراهيم أطلع دعوة الخروج من وطنه ومن وسط عشيرته وأسرته وسار بالفعل إلى أرض غريبة وهو لا يعلم إلى أين يذهب. وهذا معناه أنه لم يكن قد أخذ الوعد بأن هذه الأرض الغربية عينها سيأخذها ميراثاً. وهذا يجعل طاعة إبراهيم وخروجه أمراً مُذهلاً (وهذا سنوضحه في الآية القادمة).

١١:١١ «بالإيمان تغرَّب في أرض الموعِد كأنها غريبة ساكِناً في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعِد عَينِهِ».

تكملة التعبير عن نوع الإيمان العجيب الذي بدأ به إبراهيم عهد المسّيِّ القادم.

إيمانه إيمان الترك لأعزَّ ما يملك: الوطن والعشيرة والأهل!

إيمان تسليم النفس بلا قيد ولا شرط للذي سيقود في الطريق المجهول! وإلى المكان المجهول!

بلا وعد ولا عهد مقدّماً، ولكن طاعة بلا سؤال ولا استفسار!

فتَمَّ إبراهيم نص تعريف الإيمان، الإيمان بأمر لا تُرى بسبب الثقة بما يُرجى!

ولو أنه لم يكن يرجو شيئاً إلا وجه الله الذي دعا.

لأن المستقبل كان عنده في أمان لأن الله قال!

وبهذا الإيمان وبطوله وعرضه وعمقه دُعي إبراهيم: «أبا الإيمان».

ولكن جاء المسيح ليكون رئيس الإيمان ومكِّمته!

والآن يعود بولس الرسول لينبئه:

«بالإيمان تغرَّب في أرض الموعِد»: πίστει παρώκησεν

رداً على «بالإيمان دُعي» في الآية (٨).

كانت إجابة إبراهيم أنه «بالإيمان تغرَّب» في الآية (٩).

«تغرَّب»: παρώκησεν

هذه الكلمة محمولة على روح الإيمان، لأنها كان ينبغي أن تعني أصلاً «أقام» في أرض

الغريبة، لأنه فعلاً ضرب خيامه وعاش سنياً طويلة، بل عمره كله. ولكنه، كما يقول فيلو

الفيلسوف اليهودي: [تغرَّب بروحه وإن أقام بجسده، لأن حبه السماوي (ἔρωσ οὐράνιον)

أنقص من شهوته للأمر الزائلة] (٢).

وكلمة «تغرَّب» باليونانية لها قصة على مدى التاريخ الترحالي للآباء، فقد جاءت في الآية:

+ «هل أنت متغرَّب παροικεῖς وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في

هذه الأيام» (لوقا ٢٤: ١٨)،

+ كما جاءت: «وتكلِّم الله هكذا أن يكون نسله متغرَّباً πάροικον في أرض غريبة

- فيستعبده وسيثوا إليه أربع مئة سنة» (أع ٧: ٦)،  
 + وأيضاً: «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل ... لأنه قال كنت نزيلاً pároikos في  
 أرض غريبة» (خر ٢: ٢٢)،  
 + وأيضاً: «أيها الأحياء أطلب إليكم كغرباء pároikous ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات  
 الجسدية التي تحارب النفس.» (١ بط ٢: ١١)

ولقد دخل هذا الاصطلاح في لغة الآباء والكنيسة وجميع المتصوفين للتعبير عن إقامة بالجسد  
 وتغرُّب بالروح في كل مكان نحلُّ فيه. وبحسب البحث اللغوي فإن هذه الكلمة = παροιμία  
 «بارويكيا» دخلت كما هي بنطقها اليوناني في كل لغة لتعني المنطقة السكنية التي يرباها  
 الكاهن كمكان إقامة في الغربية. فهي بالفرنسية paroisse، وبالإنجليزية Parish<sup>(٣)</sup> وذلك تيمناً  
 بحياة الآباء البطاركة الأولين في حياتهم التي اعتبروها غربة على الأرض. ويُلاحظ أن كل  
 أسقف له أبروشية أي منطقة يرمى المتغربين فيها لحساب الله، كغريب في وسطهم.

ويقول بولس الرسول إن إقامتهم في أرض الموعد لم يعتبروها للفسحة والمسرة كأصحاب أرض  
 بأمر الله، فيستالوا على أهلها، ويناصبوهم العدا، ولكنهم عاشوا فيها كأنها غريبة عنهم وكأنهم  
 غرباء عنها رغم وعد الله الوطيد، وأعطى الدليل على ذلك أنهم ظلوا سكان خيام يقيمونها  
 ويطنونها ويرتحلون من مكان إلى مكان، وكل مكان يملؤون فيه هو غربة لهم وإن طال! فلا دوام  
 في الغربية بل صبر وشكر على الدوام، وانتظار العودة إلى الوطن السعيد.

وق. بولس يقصد من ذلك أن إبراهيم تقبَّل الوعد من الله بالإيمان ليعيشه بالإيمان وكأنه  
 قد كمل وتم، في حين أنه ظل في قرارة حياته غريباً في أرض امتلاكه، لم يملك فيها إلا مقدار  
 قبر في مغارة المكفيلة قرب حَبْرُون، طلبها من أصحاب الأرض ودفع ثمنها عن اضطرار ليدفن  
 ميَّته، وميَّته كانت سارة أمنا العزيزة. هكذا لم يطلب راحة في غربته ولا متعة ولا امتلاكاً، إذ  
 اعتبر وعد الله هو راحته وغناه.

وبقوله هذا يُقنع هؤلاء العبرانيين المتضجرين في إقامتهم أن نعيم الإقامة ونعيم الحياة هو على  
 الوعد وفي الوعد يقوم، وليس على العيان وراحة الجسد، فليس لنا هنا مدينة راحة، ولا متعة جسد،  
 ولكننا نطلب العتيدة، ولا وطن لنا ولا إقامة، فسيرتنا هي في السموات، ولا بد أن تنتهي غربتنا  
 ونغضي إلى موطننا.

١٠:١١ «لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانها وبارئها الله».

الذي نال من الله وعداً ممتداً عبر الدهور ليشمل الأمم والشعوب وبركة تفيض من إيمانه لتحل على رؤوس أولاد وأحفاد وأسباط وملوك وأنبياء إلى آخر الأجيال، كيف لا يكون بالجسد أو خارج الجسد، الله يعلم، طارت روحه وعلت وحلقت في السموات لترى أورشليم السماوية مزينة بأساساتها، واسمه منقوشاً مع أسماء أحفاده على جدرانها وأبوابها؟ شيء واحد اقتنع به إبراهيم وهو أن نصيبه أكثر من أرض وأكبر من مدينة، فلقد سمعها من الله فملأت قلبه ووجدانه «أجرك كثير جداً» (تك ١٥: ١)!! وحينما يقول الله «كثير»، فكثير الله لا تسعه أرض، وإن كان «جداً» فلن تسعه السموات!! فالله كان منتهى رجاءه!!

كان ينظر إلى دائرة الأردن بخضرتها وغاباتها وجمالها فتصغر في عينيه، إزاء الوعد والبركة والبر الذي انسكب عليه من فم الله. كان يعبر على المدن، فيطل على أسوارها وأبوابها وأساساتها ويمتد بصره إلى طولها وعرضها وارتفاعها، وحالاً تغيب عن ناظرته ليرى بروحه غير وعد الله شيئاً أكمل وأجل، فالذي تصنعه يد الإنسان ليس كما تصنعه يد الله، فهذه تزول وتلك تدوم وتبقى:

+ «أساسه في الجبال المقدسة، الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب، قد قيل بك أجماد يا مدينة الله! سلاه... ومُغْتَنُونَ كما زفين كل السكان فيك.» (مز ٨٧: ١-٣ و٧)

+ «وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرّة.» (غل ٤: ٢٦)

+ «وذهب بي الروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله، لها مجد الله.» (رؤ ٢١: ١٠ و١١)

وهكذا يكشف بولس الرسول سر تصميم إبراهيم على حياة الغربة في أرض موعدة التي صارت له وملكه بأمر الله، مفضلاً خيمة يطويها ويحملها ليضرب في الأرض دون إقامة، يقول ق. بولس، لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات أي التي لها الدوام لأن صانها الله.

١١:١١ «بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل، وتعدت وقت السن وتلدت، إذ حيبت الذي وعدت صادقاً».

العلماء وقفوا حيارى في شرح هذه الآية وقدموا اعتراضاتهم، لأن سارة ضحكت لما سمعت خبر حملها لوليد، وأيضاً خافت عندما راجعها الرب، وأيضاً أنكرت خوفها، كل هذا وضعوه في



صف عدم إيمانها. ولكن ما بالهم في إنكار زكريا واستنكار العذراء القديسة مريم بل واعتراض إبراهيم نفسه. هل كل هذه الانفعالات تنفي إيمانهم بما سمعوه؟ الحقيقة أن الانفعالات الأولى لا تُحسب للإنسان، ولكن الذي يُحسب هو ما استقر في أحشائه، فلولا استعداد السماع لكلمة الله ما سمعوها، ولولا إيمانهم بنفاذ قول الله لما نفذت الكلمة في أحشائهم وعملت عملها، ولولا استعدادهم للشكر والتمجيد ما نطقوه. فبرهان إيمان إبراهيم هو إسحق، وبرهان إيمان سارة هو بعينه برهان إيمان إبراهيم، إذ كيف يؤمن الرجل ولا تؤمن المرأة، ثم يخرج جنين؟

في اعتقادنا أن انفعالات جميع هؤلاء القديسين والقديسات الأماجد، إن بالاعتراض أو السؤال أو الاستفسار أو حتى الضحك، ما هو إلا انفعال تصديق من فرط المفاجأة السارة التي أخرجتهم عن اتزان السمع واتزان الإجابة أو الاستجابة، أليست هذه الانفعالات هي بنفسها التي تخرج من أفواهنا حينما نسمع خبراً ساراً شديداً المفاجأة بسبب شدة المفارقة فنقول: «غير معقول!!» فهل مثل هذا الانفعال يُحسب إنكاراً أو استنكاراً أو نفيّاً أو عدم تصديق؟ أليس هو عينه التصديق كل التصديق الذي يعني [هذا فوق المعقول!!] وما هو الإيمان؟ هل هو المعقول؟ أليس من صميم تعريف الإيمان هو الثقة بما يُرجى ويضيف بولس الرسول: وكيف نرجو ما نظره؟ أو كيف نرجو ما نعلمه؟ فلولا تفوق الله وأعمال الله كلها عن العقل والمعقول، ما حُسب قبولها إيماناً أو تصديقاً أو رجاءً.

وقول الآية: «بالإيمان سارة نفسها»، هنا رجعة سريعة ذكية من ق. بولس على القارىء والسامع الذي لأول وهلة سيردُّ باستثناء سارة بحسب مظهر قبولها للخبر وسرد روايتها المثيرة التي جاءت في مكانها في التوراة، فكلمة «نفسها» يعني بها ق. بولس: وسارة التي استنكرت بحسب الظاهر، هي نفسها بحسب الحقيقة قُبلت وحبلت بالإيمان. وقد عبّرت سارة عن هذا حتى بعد ميلاد إسحق بقولها: «وقالت سارة قد صنع إليّ الله ضحكاً كل مَنْ يسمع يضحك لي.» (تك ٢١: ٦)

ثم ومن أين ومتى وكيف أخذت سارة «قدرة» على إنشاء نسل؟ أليس من ذات الكلمة، أول كلمة سمعتها من فم الرب التي نفذت إلى أحشائها وأحييت مواتها كالكلمة عينها التي خرجت من فم الرب للعازر الميت فارتجّت أعضاؤه في القبر وقام حياً؟ فالقوة التي حركت أحشائها هي التي حركت فمها بالضحك، بل هي التي أحييت رجاءها وثبّتت إيمانها وسرت فيها إلى كل أولادها وعبرت كل الدهور، حتى استقرت في أحشاء البتول فكان المسيح! تسعة شهور بتمامها والجنين ينمو ويتحرك في أحشائها وسارة تضحك بل تبكي، بل تسبّح القدرة الإلهية التي

سكنت مواتها وأعادتها فتاة تحمل وترضع من صدرها، فمن ذا يكون له إيمان كما كان لهذه العجوز التي لا يضارعها في معجزتها إلا عذراؤنا البتول.

١٢: ١١ «لذلك وُلِدَ أيضاً من واحدٍ وذلك من مُقَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي الكَثْرَةِ وَكَالزَّمَلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يُعْتَدُّ».

يشرحها العالم وستكوت باختصار كالآتي:

[ وهكذا فإن الذي وُلِدَ منها من إبراهيم وهذا كان أيضاً قد صار مماتاً في الجسد ]، ويستطرد: [ فإن كانت سارة قد فئيت فأيضاً إبراهيم الذي اتحدت بجسده (من واحد)، إلا أن فعل إيمانها إذ كَمَّلَ فعل إيمان إبراهيم صار سبباً في تكميل الوعد ].

واضح أن تركيب الجملة في غاية التعقيد ولكن براءة هذا العالم أثبتت كل كلمة وكل حرف من واقع الأسفار أنها تؤدّي معناها تماماً إنما في اختصار شديد.

والقصد من الآية واضح، أن اتفاق سارة مع إبراهيم في حياة طويلة قاربت القرن من الزمان أنشأ بينهما «وحدة» قلب وفكر ورجاء من جهة عطية الله لنوال نسل، فإن كانت السنين قد قست جداً على رجائهما حتى كاد يضمحل مع جسديهما، ولكن وحدة خشيتهما لله مع وحدة حبهما لبعض مهّدا للوعد مكاناً في أحشائهما لقبول النسل الذي عليه رجاء الشعوب.

وكان وعد الله لا يرتاح إلا في المستحيل لدى الإنسان!  
والحياة الجديدة لا تجد لها مكاناً إلا في اضمحلال العتيقة!  
والرجاء المبارك لا يتكلّل إلا في إيمان يتحدى السنين!  
وابن الشيخوخة يحمل البشرى لبدء انفتاح أزمنة الخلاص!  
والزمن مهما طال وتراكت سنينه؛ فالوعد حتماً يتم في أوانه!

السمة المميزة لإيمان البطارقة الأولين: (١١: ١٣-١٦).

١٣: ١١ «فِي الْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَتَّالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا وَأَقْرَبُوا بِأَنْهَمُ عُزْبَاءٌ وَنَزَلَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ».

[ أنا غريب ونزير عندكم، أعطوني مِلْكَ قَبْرِ مَعَكُمْ لِأَدْفِنَ مِيتِي مِنْ أَمَامِي ] (تك ٤: ٢٣).

يلزمنا أن نأخذ فكرة واضحة عن إيمان إبراهيم وإسحق ويعقوب، فهؤلاء مع زوجاتهم وأولادهم عاشوا بالإيمان كل حياتهم. لأننا نعلم أن إبراهيم أباهم خرج من وطنه وتغرب في أرض كنعان مع أنها أعطيت له بوعده، ولكنه لم ينتفع بها بشيء لا هو ولا إسحق ولا يعقوب وأولاده، بل عاشوا فيها غرباء كل أيامهم، فكانوا على رجاء الوعد يعيشون ويشجعون أولادهم. فكان موقفهم من الله في منتهى الأمانة، يتحملون الأتعاب والضيقات من أهل البلاد دون أن يتعلموا واثقين من وعد الله أن أولادهم سيرثونها ولو بعد زمن. هذا هو مضمون هذه الآية.

«ماتوا في الإيمان»: κατά πίστιν ἀπέθανον

وباللاتيني (فولجاتا) = Juxta fidem.

والأصح بحسب اللغة اليونانية: «ماتوا حسب الإيمان»، أي في حدود الإيمان الصحيح بالله ووعده، وهم مسنودون به. فالإيمان كان قاعدة حياتهم ومنهج تصرفهم إزاء كل الصعاب حتى الموت. لقد قبلوا الموت وهم ماسكون بغير المنظور بوثوق يفوق المنظور، فوعد الله كان قد صار رجاءهم، إن في الحياة أو في الموت سيان. لذلك لما ماتوا، كانوا كأنهم ذاهبون إلى وطنهم الحقيقي أو بيت آماهم التي عاشوا عليها والتي لم تحققها لهم السنين على أرض غربتهم!

«أجمعون»: οὗτοι πάντες

هنا الجمع لا يشمل كل الذرية بل الآباء البطارقة وحدهم الذين أخذوا الوعد وتكرر لهم من فم الله: إبراهيم وإسحق ويعقوب.

«لم ينالوا المواعيد»:

واضح أن المواعيد أعطيت لإبراهيم وتكررت لإسحق ويعقوب فيما يخص امتلاك أرض كنعان، وليس مجرد امتلاك أرض، بل الدخول رسمياً في عهد الله وعبادته وأن يكون الله نفسه ملكاً عليهم، وهم أمة مقدسة وشعب اقتناء وكهنوت لا يماثله كهنوت في العالم كله. كل هذا سمعوا عنه سمع الأذن.

«من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها»:

هذا تدرج طبيعي، النظر ثم التصديق ثم الفرح من بعيد. وهذه كلها استقوها من واقع الأرض التي عاشوا عليها فعلاً، ولكن عاشوا فيها غرباء بانتظار التحقيق. ولكن بولس الرسول يرمي إلى الرؤيا الروحية، فهؤلاء الآباء القديسون كانت أرواحهم عالية فعلاً لم تقتنع أبداً بأن المواعيد ستكون مجرد أرض ولبس وعسل، بل راحة سماوية لأرواحهم التي ارتبطت بالله وأصبحت لا

يُشبعها ولا يرويها إلاّ أموره غير المنظورة.

«وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض»:

هذه حقيقة من استوطن الله وارتبطت روحه بجواعيده. فإنه يستحيل أن يقتنع بعد ذلك بتراب الأرض ومجد الأرضيات ومباهج العالم. وقد قالها بولس الرسول بوضوح في موضع آخر: «فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب، لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنشق ونُسّر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢ كوه: ٨-٦)

فسمه إيمان هؤلاء البطارقة العظام كانت كلمة واحدة عجيبة، أنهم عاشوا وماتوا غرباء ونزلاء على الأرض. هذه الميزة رفعت من قيمة إيمانهم وأخلاقهم وسلوكهم أمام الله والتاريخ. اسمع أهل البلاد، بني حثّ، وهم يخاطبون إبراهيم وهو يتذلل إليهم أن يبعوه من الأرض مقدار قبر ليدفن ميتة، لتعلم مدى الكرامة والاحترام والتعظيم الذي كان يحظى به إبراهيم في عيون أصحاب الأرض: «اسمعنا يا سيدي، أنت رئيس من الله بيننا، في أفضل قبورنا ادفن ميتك ...» (تك: ٢٣: ٦)

وهذا عكس بني إسرائيل بعد ذلك الذين ملكوا واستوطنوا الأرض وفقدوا روح الإيمان المتواضع هذا المتكل على الله والمسالمة بين الناس. لذلك يُحتسب إيمان هؤلاء الآباء البطارقة الأولين نوعاً فريداً نحاول نحن المسيحيين أن نحاكبه باعتبار أننا غرباء بالفعل على هذه الأرض كلها وفي العالم وأنّ نظرنا متجه كليةً إلى فوق، حيث الوطن الحقيقي، إلى أن تنتهي عُربتنا ونمضي إلى الوطن السعيد، بل وهكذا كانت روح داود النبي: «استمع صلاتي يا رب واصبغ إلى صراخي، لا تسكت عن دموعي، لأنني أنا غريب عندك، نزيل مثل جميع آبائي.» (مز: ٣٩: ١٢)

والكلام يوجهه القديس بولس أصلاً إلى العبرانيين لكي يوقظ فيهم هذه القيم العظمى لإيمان آبائهم البطارقة الأولين، الذين وهم أصحاب الأرض بالحق الإلهي عاشوا فيها غرباء معوزين، ولكن شاكرين فرحين، وكل رجائهم كان في الله. فهم (أي العبرانيون) الآن قد أعطوا مواعيد المسيح بالميراث السماوي فكيف يرتدّون ليطلبوا وطناً على الأرض وميراثاً في التراب.

أعدّ لهم مدينة: (١١: ١٤-١٦).

١٦-١٤: ١١ «فإن الذين يقولون مثل هذا يُظهرون أنهم يظلمون وطمناً، فلو ذكروا ذلك الذي خرّجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع، ولكن الآن يتنفون وطمناً أفضل أي سماوياً، لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعدّ لهم مدينة».

«فإن الذين يقولون مثل هذا»:

ماذا قالوا؟

قال إبراهيم لبني حث أصحاب الأرض: «أنا غريب، ونزّل عندكم أعطوني ملك قبر ...» (تك ٢٣: ٤)

+ «فدعى إسحق يعقوب وباركه ... ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطها الله لإبراهيم.» (تك ٢٨: ٤١)

+ «فقال يعقوب لفرعون أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حياتي، ولم تبلغ إلى أيام سني حياة آبائي في أيام غربتهم.» (تك ٤٧: ٩)

واضح أنها لم تكن كلمات تُقال، بل عقيدة كانوا يعيشونها راضين بغربتهم منتهى الرضى. ولكن الذي يقول أنا غريب، هو بالتالي يطلب وطناً.

معروف أن أور الكلدانيين كانت مدينة وطن لإبراهيم ونسله إسحق ويعقوب التي نزحوا منها، فإن قالوا إننا غرباء في كنعان، فقد كان سهلاً عليهم أن يعودوا إلى وطنهم في أور. فإذا لم ينظروا قط إلى أور ولا فكّروا في الرجعة إليها، فقطعاً كان قلبهم ملتجئاً بوطن آخر أفضل بلا شك. لقد ارتبطت روحهم بوعد الله، فارتضوا أن يعيشوا غرباء كل حياتهم في سبيل أن يكون الله قد أعدّ لهم مدينة يستوطنونها مع الله أبداً.

ما أعجب هؤلاء الآباء السوَّاح حقاً الذين ما كانت كنعان مستحقة لموطئ أقدامهم، بل بسبب عظمة غربتهم التي عاشوها في كنف الله أعطيت كنعان لنسلكهم!!

هؤلاء هم مراكز أنوار مرشدة في سحابة الشهود، يستحثون هؤلاء العبرانيين بل يستحثوننا أن نذوق مجد الغربة لئلا نحسب أهلاً للمدينة التي أعدّها الله.

والآن، نفهم لماذا كان الله يكرّر ويكرّر كل مرة: «أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب». وإنه لأمر يُذهل العقل أن ينسب الله نفسه لإنسان. ولماذا لا؟ وقد أعدّ بنفسه لهم مدينة ليكونوا بقربه ويفوزوا بحبه: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به»!! (يو ١٧: ٢٦)، «فإني أكرّم الذين يكرموني». (١ صم ٢: ٣٠)

[ قال الراعي: أنتم يا حدّام الله تعلمون أنكم تعيشون الآن في أرض غريبة، لأنّ "المدينة" بعيدة عن أرضكم،

فإن كنتم تعلمون أنكم ستستوطنون المدينة التي لكم، فلماذا تقتنون هنا حقولاً وأشياء غالية وأبنية ليست بذات قيمة، إن الذي يرتك بهذه لا يستطيع أن يعود إلى المدينة المعدّة له. ] (هرماس الراعي - المثل الأول).

نماذج حيّة من إيمان الآباء البطارقة الأولين: (١١: ١٧-٢٢).

١١: ١٧ و ١٨ «بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرّب. قدّم الذي قبّل المواعيد وحيداً، الذي قبّل له إنه بإسحق يُدعى لك نسل».

هنا الكلمات في الترجمة العربية تحتاج إلى بعض التعديل: «بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرّب. وحيد، الذي فيه قبّل المواعيد، استعد لتقدمه!»

«قدّم ... وهو مجرّب ... قدّم»:

«قدّم» الأولى تأتي باليونانية προσενήνοχεν تفيد التقديم النهائي بالنية والإرادة.

«قدّم» الثانية تأتي باليونانية προσέφερον تفيد رفع الذبيحة على المذبح بالفعل ولكن لم يتم الذبح.

والقصد من الفعلين باليونانية يصوّر بالفعل حالة التجربة تصويراً صعباً مؤلماً وخطيراً. ففي الكلمة الأولى «بروس انينكن» التي تفيد تكميل نيّة التقديم النهائي، تقع عملية تقييد إسحق «وربط إسحق ابنه» (تك ٢٢: ٩). هنا يتركز أخطر ما في العملية كلها، حتى أصبح «ربط» إسحق يتضمن منهجاً فكرياً ولاهوتياً ضخماً في العبادة اليهودية وبالتالي في الفكر الفدائي الخلاصي المسيحي. فـ «ربط إسحق» باللغة العبرية يجيء aqad yishak = (عقد إسحاق). وكلمة «عقد» بالعبرية قريبة من الكلمة العربية «قيده» أو «عقده»، أي أنهى ربطه بإحكام.

وإليك تصوير هذا الربط في العبادة اليهودية الذي يجري في طقوس السنة الجديدة، يجري القول:

[ اذكر حالنا يا رب إلهنا، العهد وحُبُّك الرحيم والقَسَم الذي أقسمته لإبراهيم أبينا على جبل المُرْيَا. وليت «القييد» الذي «قَيَّد» به إبراهيم إسحق ابنه على المذبح يظهر أمامك كيف تحمّل وأمسك حنان أحشائه لكي يكتمل مشيئتك بقلب كامل ] (١).

كذلك يجيء في صلاة ربّا اللاويين Leviticus Rabba (٨:٢٩):

[ إن كان بنو إسحق ساروا بتذمّر وأعمال شريرة، فاذا ذكر «القييد» الذي تم لأبيهم إسحق، ليتك تترك عرش عدلك وقضائك وتجلس على عرش الرحمة ] (٢).

وهكذا صار «تقييد» إسحق يعادل مفهوم «الاستشهاد الفدائي» في العبادة اليهودية. وقد انتقل هذا التصوير الفدائي إلى اللاهوت المسيحي ليطبّق على المسيح الابن المحبوب المربوط على الصليب. اسمع بولس الرسول كيف يصوّره باتقان: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو١:٣٢). غير أن الربط هنا انتهى إلى الذبح !!

وفي إنجيل ق. يوحنا يمزج المسيح بين منظر ربط إسحق ثم فكّه وبين منظر صلب المسيح ثم نصرته قيامته، كعملية واحدة أعطي لإبراهيم أن يراها بالرؤيا العقلية أي الروحية المباشرة حالما فكّ إبراهيم ابنه ونال الفدية: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح» (يو١:٥٦) (٣)، أي رأى القيامة.

كذلك نرى في قول إبراهيم لإسحق: «الله يرى له الحمل للمحرقة يا ابني» (تك١:٢٢) تصويهاً نبوياً مباشراً يتجه نحو فدية المسيح الابن الوحيد المحبوب محرقة الدهور. وحينما نادى إسحق أباه وهو حامل الحطب وكأنه قد شعر بالمأساة المرّوعة معقودة عليه وخده، «وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي» (تك١:٢٢)، وهو ضامر في قلبه السؤال: كيف تُسلمني للذبح؟ هو هو نفس السؤال المأساوي المُرعِب الذي فاه به المسيح مخاطباً أباه أيضاً: «إلهي إلهي لماذا تركتني»!! (مت١:٢٧)

وفي المفهوم الإنجيلي تُعتبر هذه الكلمة «قدّم» = προσενήνοχεν التي هي بالمفهوم العملي

4. Bruce, *op. cit.*, p. 309.

5. *Ibid.*

6. *Ibid.*, p. 310.

الذباثحي «ربط» وبالعبري aqad، عملاً كاملاً تاماً في مفهوم تقديم الذبيحة ويستشهد بذلك يعقوب الرسول: «ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدّم ἀνεύγκας إسحق ابنه على المذبح؟» (يع ٢: ٢١). ويكتل: «فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان، وتم الكتاب القائل فأمن إبراهيم بالله فحُسب له برّاً ودُعي خليل الله.» (يع ٢: ٢٢ و٢٣)

ولكن رداً على هذا يلزم تصحيح الواقعة لأن احتساب إيمان إبراهيم برّاً هو سابق بسنوات كثيرة لتقديم إبراهيم ابنه ليكون ذبيحة، ولكن تقديم إسحق أظهر كيف أن إيمان إبراهيم كان أساساً في إعطاء الله للموعد (تك ١٥: ٥) (٧).

كما أن تسمية إبراهيم بـ «خليل الله»، لم تأت في سفر التكوين ولكن في إشعيا (٦: ٤١) وفي سفر أخبار الأيام الثاني (٧: ٢٠).

ولكن تعليق القديس يعقوب الرسول صادق ومنتشٌ مع فكر الرسالة إلى العبرانيين، لأن تقديم إسحق كان تصديقاً عملياً لإيمانه بل وكان ضمن دائرة اختبار الله أيضاً لإيمانه.

وبالعودة إلى «ربط» إسحق وتجارب الله لإبراهيم، يجمع الطقس اليهودي عشر تجارب جرّب الله بها إبراهيم، وكان «ربط» إسحق آخرها وأعظمها<sup>(٧)</sup>، وهي تُنثَل كلها في طقوس اليوم الثاني في خدمة السنة الجديدة. ويقول كتاب اليوبيل — عندهم — في (١٧: ١٦): [ إن الله أقدم على طلب تقديم إسحق ذبيحة بسبب تحدّي الشيطان كما كان في تجارب أيوب ].

ويقول يشوع بن سيراخ: «عندما جرّب إبراهيم وُجِدَ أميناً (مؤمناً)» (يشوع بن سيراخ ٢٠: ٤٤)، أما كتاب سفر الحكمة فيقول: «إن الحكمة حفظته قوياً في تجربة الشفقة على ابنه.» (حك ١٠: ٥)

أمّا فيلو العلّامة اليهودي فيقول في ذلك: [ بعامل حبه لله تسيّد باقتدار على نفسه وغلب مشاعر اللحم والدم وتغاضى عن الأسماء (إسحق الابن الوحيد) ]<sup>(٨)</sup>.

أمّا في سفر المكابيين الرابع، فتقول أم «السبعة الشهداء» لأولادها مشجّعة إياهم بمثل إبراهيم لكي يحفظوا إيمانهم بالله في وجه التهديد بالموت: «أبونا إبراهيم أسرع بتقديم ابنه إسحق

7. Ibid.

8. *Pirqé Aboth* 5:4.8 *Pirqé de Rabbi Eliezer* 26-30.9. Philo, *op. cit.*, p. 167f.



ذبيحة وهو رأس أسلافنا وأمتنا ولم ينشئ ولا غلب من الخوف من منظر يد الأبوة وهي تهوي بالسكين على ابنه. « (١٦: ٢٠، ١٨: ١١)

«وهو مجرَّب»: πειραζόμενος

الكلمة في معناها العام تفيد قسوة وعمق التجربة وهي تأتي بمعنى «المحنة» كما جاءت في أصل الرواية: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله "امتحان" إبراهيم» (تك ٢٢: ١)، أي أدخله في محنة حقيقية! ويصوِّرها بولس الرسول في موضع سابق من جهة تجربة المسيح: «لأنه فيما هو قد تألم مجرَّباً πειρασθείς يقدر أن يعين المجربين». (عب ٢: ١٨)

وفي التركيب اللغوي للجملته نجد أن تصريف فعل «وهو مجرَّب» مع «قدَّم»: «قدَّم ابنه وهو مجرَّب»، يفيد أن طاعة إبراهيم بتقديم ابنه ملازم لفعل «مجرَّب» وكأنه بمجرد أن سمع نقذ!! يعقوب الرسول يستخرج لنا من ذلك وصية: «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعده به الرب للذين يحبونه. « (يع ١: ١٢)

ويصف ابن سيراخ تجربة إبراهيم هكذا: «لقد أقام العهد في لحمه (الختان) ولما امتحنه وُجِدَ أميناً. « (يشوع بن سيراخ ٤٤: ٢٠)

«قدَّم الذي قَبِلَ المواعيد وحيداً»:

التركيز هنا قائم على أن التجربة أصابت إبراهيم في الابن الوحيد الذي فيه وحده قَبِلَ إبراهيم المواعيد. هنا استثنى إسماعيل وغيره لأن إسحق وحده هو الذي قبلت فيه المواعيد: + «خُذ ابنك وحيدك الذي تُحِبُّه إسحق واذهب إلى أرض المُرِّيَّا وأضعه هناك محرقة ...» (تك ٢٢: ٢)

ويلزمنا العودة إلى النص كما جاء في سفر التكوين لنعلم أن العهد الذي أبرمه الله، وإن كان قد أبرمه مع إبراهيم، ولكنه أبرمه في إسحق: «فقال الله: بل سارة أمراتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. « (تك ١٧: ١٩)

«وحيداً»: τὸν μονογενῆ

على النسخة السبعينية تُقرأ هكذا: «خُذ ابنك المحبوب τὸν ἀγαπητόν الذي أحبيته ، « ὃν ἠγάπησας

ولكن نسخة أكويلا تعطيه هكذا: «وحيدك» τὸν μονογενῆ أو τὸν μοναχόν ،

وأما نسخة سيماخوس فتعطيه τὸν μόνον σου وحيدك .  
 وقد جاء في إنجيل ق. لوقا (١٢:٧) وصفاً لابن أرملة ناين: «ابن وحيد μονογενής» .  
 وكذلك جاء وصفاً لابنة يايروس: «بنت وحيدة μονογενής» (لوقا:٨٠٢) .  
 وكذلك جاء وصفاً لابن يصرعه الشيطان: «... ابني فإنه وحيد لي μονογενής» .  
 (لوقا:٩٨)

كما جاء وصفاً للمسيح ابن الله في إنجيل ق. يوحنا (١٨:١ ، ١٦:٣) .

أما الكيفية التي أقدم بها إبراهيم على تقديم ابنه وحيده الذي أخذ فيه وله المواعيد، محرقة، طاعة لأمر الله، فقد أثارَت كثيراً من النقاش والجدل والأسئلة المحيرة، منها: ماذا يعمل الله لو كان إبراهيم قد أقدم فعلاً وذبح إسحق؟

رداً على ذلك نقول إن الكتاب المقدس يُظهر هنا أن الطاعة لأمر الله هي وحدها الكفيلة أن ترد على أية معارضة أو مضادة حاصلَة، وهذا هو الذي ملأ قلب إبراهيم، إذ لا بد أنه قال في نفسه: إن طاعتي لله سوف تنجلي عن حل لهذه المشكلة. وهذا هو الذي نأخذه نحن طول حياتنا بالنسبة لوصية الله، فطاعة الوصية تحمل قوتها وقوة تنفيذها، فأنا غير مسئول أبداً عن صعوبة الوصية أو ضخامتها أو حتى استحالتها، أنا عليّ الطاعة والبدء، والوصية نفسها تنفَّذ لأنها مكنون فيها نفس القوة التي عليها صيغت .

فكل وصية طرحها الله ويطرحها كل يوم، خاصة أو عامة، تحمل سر تنفيذها في طاعتها . وليس سراً نقوله إن كل وصية يطرحها الله علينا هي تجربة، هي امتحان على نفس مستوى امتحان الله لإبراهيم، فحالما نقبل نحن التنفيذ بالنية ونبدأ بالتنفيذ الفعلي تنجلي الوصية عن حلول لم تكن تخطر لنا على بال، وأهمها وأعظمها هي البركة التي سننالها حتماً . فالله لا يهمه عملية التنفيذ، كما لم يكن يهمه أبداً أن يذبح إبراهيم إسحق . ولكن الله ينتظر الطاعة أولاً بالنية ثم الطاعة ثانية بالتنفيذ . أما كيف يتم التنفيذ، فالله نفسه مسئول — إن جاز هذا التعبير — عن وصيته وعن تنفيذها . أما نحن فمستولون حتماً وبكل تأكيد عن الطاعة بكل النية والإرادة .

وإن كنا سوف نسمع في بقية الرسالة أن بولس الرسول يقرّر أن إبراهيم كان يؤمن بأن الله قادر أن يُقسمه من الموت، وإن كان الوحي لم يُبشّر في نص الرواية إلى مثل هذا، فهذا تقدير من ق. بولس، وهو تقدير صادق وحق، وقد طبّقَه بعد ذلك على إيماننا — المساوي لإيمان إبراهيم —  
 بن أقام المسيح من الأموات (راجع روم: ١٧ و٢٣ و٢٤) .

١٩:١١ «إذ حسب أن الله قادرٌ على الإقامة من الأموات أيضاً الذين منهم أخذَهُ أيضاً في مثالٍ».

وإن كان النص في سفر التكوين لم يصرِّح بالحل بمثل هذا التصوير، ولكن هذا الفرض هو في الحقيقة حتمي. لأن الله قد وعده بأن إسحق يُدعى له نسل، وأن الله سيصنع هذا العهد مع إسحق نفسه، ثم يقول لإبراهيم: قدّم ابنك إسحق ذبيحة محرقة، ولم يتراجع الله حتى آخر لحظة التي فيها انهال إبراهيم بالسكين على رقبة الولد، فماذا كان يدور في فكر إبراهيم؟ إن الولد سيموت، ولكن لكي يكون الله صادقاً يلزم أن يقيمه من الموت. ولا إبراهيم في ذلك تجربة في نفسه، فهو كان ميتاً وامرأته كانت كذلك من جهة إنجاب نسل، ولكن الله أحياه من موته. ولم يكن هذا الفكر هو الذي انتهى إليه أخيراً ويده فوق الصبي بالسكين، ولكنه كان كذلك منذ أول التجربة، لأنه قال لعبديه: «فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما» (تك ٢٢: ٥). إذاً، ففي قرارة نفس إبراهيم وفكره وإيمانه أن التجربة ستنتهي بحياة إسحق حتى ولو مات.

فلو تمعّنا في سلوك إبراهيم، لوجدنا عنده قوة الإيمان بالله فائقة فوق حدود الحياة، أي تسمو عنده فوق قيمة الحياة. لأنه ظلّ يؤمن بوعد الله أنه حتماً سينقذ كما وعد، وسيُنقذه الله في إسحق حتى ولو مات إسحق! هنا حياة إسحق أو موته لم تقف حائلاً دون إيمان إبراهيم بصدق الله وبوعده. وهنا يتبرهن صدق إيمان إبراهيم بالله، الأمر الذي حرّك قلب الله وجعله يُقسم بذاته توكيداً لمنحه البركة إزاء توكيد إبراهيم لإيمانه بإصراره على ذبح ابنه طاعة وحباً وإيماناً بالله.

وبالنهاية، وبشيء من العمق وبشيء من تجاوز جفاف الكلام نقول، إن إبراهيم في الحقيقة هو الذي جرّب الله!! وكأنه راهن بذبح ابنه على مصداقية الله، فكسب الرهان مع الله!! وخرج بابنه حياً وبالوعد الوطيد!

«الذين منهم أخذه أيضاً في مثالٍ»:

«منهم»: تأتي هنا - تقديراً - أن الله قادر أن يقيم الناس من الموت، أو أن الله قادر أن يقيم الأموات. والمعنى أن إبراهيم أخذ الصبي ونزل وكأنه أخذه من بين الأموات أو انتزعه من الموت، إذ كان قد اعتبر أن الصبي ميت ميت لا محالة بحسب إيمانه وتصميمه. ولكن الجديد عليه أن الله أوقفه في آخر لحظة، فكانه فعلاً أقامه من الموت أو انتزعه له من الموت، فعودته بالصبي حياً صار في نظره كأنه مثل!! والحقيقة أنه فعلاً صار مثلاً وتطبق بالحرف الواحد، ولكن إلى النهاية في

قيامه الرب يسوع المسيح من الأموات.

ولكن إن شئت، أيها القارئ العزيز، أن نشرح هذا «المثل»، فهو أن إسحق قد دُبح فعلاً في «الخروف»، فالمحرقة تَمَّت!! والمثل هنا واضح في المسيح. فالمقصود بالذبح أصلاً وفصلاً هو نحن، إذ أخطأنا حتماً وموتاً نعت، ولكن الله رأى له حَمَلاً من جنسنا مربوطاً، هذا ذبحه محرقة، فدُبحنا نحن فيه، ثم قام هو من الموت حياً لأنه كان ابنه، ونحن أطلقنا أحراراً، وكأننا أخذنا من الموت في مثالي!!

٢٠: ١١ «بالإيمان إسحقُ بارَك يعقوبَ وعيسو من جِهَةِ أمورٍ عتيديَّة».

وإن كانت الآية تبدو وكأنها لا تحمل شيئاً غريباً، ولكن البركة هنا خرجت معكوسة رغباً عن إرادة إسحق، لأن إسحق قصد أن تكون البركة للبكر وهو عيسو، الأول في التوأم، ولكن الذي حدث هو أن يعقوب سرق البركة من عيسو بالحيلة فاستقر الموعد على رأس يعقوب ونُحِّي عيسو من سلسال الوعد! ولكن وإن كان يعقوب قد استخدم المكر والحيلة، ولكن ثبت أن الأمر كان بإرادة الله، إذ أن الوحي ذكر ذلك: «أحببتُ يعقوبَ وأبغضتُ عيسو.» (ملاخي ١ : ٣و٢)

هنا بركة إسحق تمثل أزمة وحرَجاً في تنفيذ المشورة الإلهية، لأن وضع البركة للموعد كان يتحتم أن تكونَ للثنين لأنهما توأمٌ وُلداً معاً. ولكن يلزم الاختيار بينهما لأن النسل يتحتم أن يكون من واحد منهما. وبحسب الرؤية البشرية، فإن عيسو تقدَّم في الميلاد عن يعقوب، لذلك فهو الأحق. ولكن بالإيمان الصادق الساذج الفعَّال نطق إسحق بالبركة على رأس يعقوب، فتَمَّت البركة، وتمَّ سهم الموعد المبارك في مسار نسل يعقوب، مع أن المقصود بحسب الإرادة البشرية الواعية كان هو عيسو. هنا الإيمان انتصر على الإرادة البشرية. لذلك تُعتبر هذه الحادثة من أهم ما يمكن في فهم عناصر الإيمان الفعَّالة بالنسبة لهؤلاء البطارقة العظام المختارين، حيث يُطلب «الإيمان» منهم خالياً من الخدق والمهارة والعوامل الذاتية التي قد تُزيِّف الإيمان وتُخوِّف مساره، لذلك نسمع إسحق يعلِّق على غش يعقوب واستخدامه الحيلة لسرقة البركة الخاصة بأخيه هكذا:

+ «فقال له إسحق أبوه مَنْ أنت؟ فقال أنا ابنك بكرك عيسو. فارتعد إسحق ارتعاداً عظيماً جداً وقال: فَمَنْ هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إليَّ فأكلتُ من الكل قبل أن تجيء وباركته، نعم ويكون مباركاً!» (تك ٢٧ : ٣٢ و٣٣)

واضح جداً إصرار إسحق على ما نطق به بالإيمان، فلم يغيَّر كلمة واحدة من بركته احتراماً

منه لكلمات البركة التي نطقها بالإيمان!! من هذا نفهم أن الإيمان عند هؤلاء البطارقة كان لا يُنطق إلا بما يوحي به الله. لذلك يقول الوحي: «"بالإيمان" إسحقُ بارك»!!

٢١:١١ «بالإيمان يعقوبُ عند موته بارك كلَّ واحدٍ من آبتي يوسفَ وسجّد على رأسِ عِصَاهُ».

بركة يعقوب مثل سابقتها في بركة إسحق، تُمثّل خطوة إلى الأمام في تنفيذ الموعد! لأن من رأس إلى رأس ومن بركة إلى بركة سيسير سهم النور حاملاً الموعد المبارك إلى أن يحطّ على مَنْ سيكون له خضوع كل الشعوب. ولكن الملاحظ هنا أن البركة أصبحت تشمل الأسرة أو العائلة أو السبط. ولكن بولس الرسول لا يميل في هذه الرسالة إلى كشف أكثر من الخطوة التي يقف عندها، والآن البركة الموجودة هي لحساب يوسف محبوب يعقوب ونذير إخوته المدعو له ببركة الآكام الدهرية! ولكن مُرسلة إلى وَلَدَيْهِ اللذين ولدهما في غيبة يعقوب، ولدهما في مصر من أشنات ابنة كاهن أون التي اختارها فرعون ليوسف.

وفي بركة يعقوب لولدي يوسف، ظهرت أيضاً حرية اختيار الله لِمَنْ تَحَلَّ عليه البركة، فمَدَّ يعقوب يده اليمنى ووضعها على رأس الأصغر! ولمّا حاول يوسف إصلاح الخطأ منعه يعقوب لأن الأمر صادر من الله! ولكن في سياق هذه البركة المعطاة ليوسف في ولديه لا يغيب عن البال أن يوسف أخذ موضع رأوبين البكر الذي نُحِّي من مسار الموعد المبارك، وكان ذلك عن قصد إلهي بسبب اختيار البار في العناية الإلهية.

ولو سمعنا منطوق البركة، لأدركنا أنها محاطة بهيبة ملائكية أو ربما ماسيانية: «وبارك يوسف وقال: الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق، الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، "الملاك" الذي خلّصني من كل شر، يبارك الغلامين وليُدعّ عليهما اسمي واسم أبوي إبراهيم وإسحق.» (تك ٤٨: ١٥ و١٦)

وفي بركة أفرايم الصغير قال: «ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه ونسله يكون جهوراً من الأمم» (تك ٤٨: ١٩). ولكن واضح أن يعقوب بارك الولدين، وهكذا، وبحالة استثنائية نال يوسف بركة مضاعفة كميراث مُضَاعَف الذي هو أصلاً للبكر.

ولكن يُلاحَظ أن البركة التي مُنحت لولدي يوسف، وهما بالميلاد مصريين وأمهما مصرية صميمة ومن عائلة كهنة، يكون يوسف قد دخل كمنصر جديد وغريب على بني إسرائيل. وهذا

نسمعه من الوحي بضم داود هكذا: «اللهم في القدس طريقك، أيُّ إلهٍ عظيمٍ مثل الله، أنت الإلهُ الصانع العجائب. عرّفت بين الشعوب قوتك، فككت بذراعتك شعبك بني يعقوب ويوسف.» (مز: ٧٧: ١٣-١٥)

لذلك تدخّل الله بصورة باهرة بالنبوة المُشبّهة وعزل يوسف وأفرايم قبل الوقت المحدّد، وأبرز يهوذا بصورة إعجازية مذهلة: «رفض خيمة يوسف ولم يختَر سبط أفرايم، بل اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبّه» (مز: ٧٨: ٦٧ و٦٨). ومعروف أن المسيح الرب جاء من سبط يهوذا. وهكذا في الطريق يتدخّل الله بعوامل التصفية والتنحية ليُبْرِز ويختار مَنْ يختار على دعائم البر. فهنا نحى رأوين، ونحى يوسف أيضاً، ونحى سبط أفرايم، واختار سبط يهوذا. ومعروف طبعاً أن مملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم وجبلها هو جبل صهيون، قد اقتسمها كل من سبط يهوذا ونصف سبط بنيامين.

والسؤال الذي يسأله العلماء وله طبعاً جذوره، هل أخفق سبط أفرايم بتأثير العنصر المصري الدخيل فيه؟ (١٠): واضح!!

«وسجد على رأس عصاه»:  $\text{προσεκύνησεν ἐπὶ τὸ ἄκρον τῆς ῥάβδου αὐτοῦ}$

السجود هنا ليس إلى الأرض بل مجرد انحناء على رأس العصا، وذلك محسوب ليعقوب وهو قد قارب أن يموت وقد بلغ مائة وثلاثين سنة، أنه عملية عبادة وخشوع في حضرة الله.

وقد جاء في الفولجاتا بصريح العبارة  $\text{adoravit}$  أي «عابداً».

وفي الحقيقة إن سجود يعقوب على رأس عصاه لم يكن في وقت مباركة ولَدَي يوسف؛ ولكن نعرف من نص سابق حينما ترجى يوسف ابنه أن ينقل عظامه من مصر إلى مكان أجساد آبائه في مغارة المكفيلة أنه قال: «لا تدفني في مصر، بل أضطجع مع آبائي، فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم. فقال أنا أفعل بحسب قولك. فقال أحلفت لي. فحلفت له. فسجد إسرائيل على رأس السرير (عصاه).» (تك: ٤٧: ٢٩-٣١)

وواضح أن هذا النص مأخوذ من السبعينية، لأن النص من أكويدا ومن سيماخوس والماشوري جعلها «وسجد على رأس سريره»  $\text{κεφαλὴν τῆς κλίνης αὐτοῦ}$ . ولكن الأصح جداً على

رأس عصاه τὸ ἄκρον τῆς ῥάβδου . لأنه يستحيل السجود على رأس السرير من جهة، ومن جهة أخرى، أنه مال وانحنى على رأس عصاه التي كان مستوداً عليها .

والكلمة تُقرأ في العبرية mittah «ميطاه = سرير» . ولكن «العصا» = matteh «ماتيه» .  
وأيضاً تُسمى «العصا» طقسياً shebet ، وقد أخذتها اللغة القبطية منها، فهي في القبطي Ⲫⲃⲟⲩ  
ويستخدمها الرهبان الأول بكثرة (فلان أخذ شبوطته وخرج) . علماً بأن «العصاة» shebet تلعب دوراً هاماً في العبادة والطقس اليهوديين . «فالعصاة» في التقليد العبري مخلوقة قبل السبت (١١) .  
وقد سلمها الله لآدم وسُلِّمت من يد أخنوخ إلى نوح إلى سام إلى إبراهيم إلى يعقوب إلى يوسف ثم إلى موسى الذي حفظها في التابوت، وهي محفوظة بانتظار المسيح (١٢) . ومعروف مدى سرية وقوة عصا موسى المعجزية وعصا هارون التي أزهرت وأثمرت ووُضعت في تابوت عهد الله . ومعروف في الطقس القبطي قيمة العصاة بالنسبة للرهبان الأوائل، فعصا القديس أنطونيوس معروف شكلها وكان لكل راهب من الشيوخ عصا، ربما يُعرف بها من أي دير هو . وهناك طقس تسليم عصا الرعاية لرئيس الأساقفة، ولعصا رئيس الأساقفة (البابا والبطريرك) شكل معين تعبّر عن قوة قهر الخطية بالحل والربط (الحية النحاسية) . والعدراء القديسة مريم تُشبه بعصا هارون التي أزهرت وأثمرت بدون سقي والمعنى واضح . أمّا التقليد اليهودي الذي وقف عند عصا موسى وظلّت العصا تنتظر المسيح، فمعروف أن عصا المسيح هي خشبة الصليب، العصا التي قهر بها الموت ورئيس الموت، وصار لكل مسيحي هذه العصاة ذات الفعل الإلهي الغالب .

٢٢: ١١ «بالإيمان يوسف عند قوته ذكّر خروج بني إسرائيل وأوصى من جهة عظامه» .

[ «أرسل أمامهم رجلاً، بيع يوسف عبداً، آذوا بالقيد رجله، في الحديد دخلت نفسه، إلى وقت مجيء كلمته، قول الرب امتحنه، أرسل الملك فحلّه، أرسل سلطان الشعب فأطلقه، أقامه سيداً على بيته، ومُسَلِّطاً على كل ملكه، ... فجاء إسرائيل إلى مصر، ويعقوب تغرّب في أرض حام .» (مز ١٠٥: ١٧-٢٣) ]

11. Aboth v.9. Cited by Westcott, p. 370.

12. Wetstein, *ad loc.*, cited by Westcott, p. 370.

«الحكمة لم تهمل صديقاً باعوه، لكن نجت من الخطية،  
نزلت معه إلى الجُب، ولم تتركه في قيوده، فوُضت إليه  
قضيب الشُّك، وسلطته على الذين جاروا عليه، أظهرت  
كذب الذين لاموه ومنحته مجداً أبدياً.»  
(حك ١٠: ١٣ و١٤)

«يوسف في ضيقه حفظ الوصية (الطهارة) فصار سيد  
مصر.» (١ مك ٢: ٥٣)  
«ورؤساء الآباء حسدوا يوسف وباعوه إلى مصر وكان  
الله معه، وأنقذه من جميع ضيقاته وأعطاه نعمة وحكمة  
أمام فرعون ملك مصر، فأقامه مدبراً على مصر وعلى كل  
بيته.»

[إستفانوس الشهيد (أع ٧: ١٠ و٩)]

لم يسلّم يوسف بركة آبائه لأولاده، فقد تحفظه يعقوب واعتبر آتني يوسف سبطين مثل أسباط  
أولاده العشرة، ولكنه نظر إلى الموعد وهو يقترب، والذي يبدأ يومه الطويل من مصر، لهذا ركّز على  
خروجهم من مصر كيوم خلاص. وكآبائه ذكر موته وعظامه حتى تستريح في أرض الموعد:  
+ «وقال يعقوب ليوسف، الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان  
وباركني وقال لي: ها أنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم وأعطي نسلك  
هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً. والآن ابنك المولودان لك في أرض مصر قبلما أتيت إليك  
إلى مصر، هما لي: أفرايم ومنسى، كراوبين وشمعون، يكونان لي.» (تك ٤٨: ٣-٥)

وكان موت يوسف هو المرحلة الثالثة في رحلة الموعد. فقد نطق بالنبوة أن إقامتهم في مصر (بعد  
أن تكاثروا جداً وازدهروا للغاية في خير مصر وبركات نيلها وأرضها) لن تدوم، ولكن كان عليهم  
الرحيل حسب قول الله لإبراهيم بعد «أربعمئة سنة» (تك ١٥: ١٣). لأن شعب إسرائيل لم يكن  
له أن يستوطن في مصر. وهكذا لا الغنى والعز الذي لاقوه، ولا اليأس والشقاء الذي ذاقوه،  
أنساهم الوعد والحنين إلى أرض الميعاد لأنه أمر الله.

والمُلاحَظ من كلام يوسف أنه ظل وطنياً لبلاده التي أخرج منها مُباعاً، فالإسرائيلي يعيش  
الحرية ولا ينسى وطنه، وموته لم يمنعه أن يطلب حق نصيبه في كنعان ولو لعظامه! فكان يرى  
المستقبل حاضراً أمامه:

+ «وصعد بنو إسرائيل متجهزين (حربياً) من أرض مصر وأخذ موسى عظام يوسف معه لأنه



كان قد استحلف بني إسرائيل بحلف قائلاً إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم.» (خر: ١٣ : ١٨ و ١٩)

+ «وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل التي اشتراها يعقوب من بني حور أبي شكيم بمائة قسيطة فصارت لبني يوسف ملكاً.» (يش: ٢٤ : ٣٢)

«عند موته ذكر خروج بني إسرائيل»:

لم تجيء الكلمة اليونانية بمعنى «موته» ولكن «عندما اقتربت نهايته»  $\tau\epsilon\lambda\epsilon\upsilon\tau\omega\nu$  ، أمّا كلمة «الخروج»  $\epsilon\lambda\theta\omicron\sigma\omicron\upsilon$  فذكرت هنا لأول مرة لتصبح الكلمة التقليدية الدالة على الخلاص في التقليد اليهودي وانتقلت إلى التقليد المسيحي أولاً عن المسيح الرب: «وإذا رجلان يتكلمان معه ومهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلمنا عن خروجه  $\epsilon\lambda\theta\omicron\sigma\omicron\upsilon$  الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم» (لو: ٩ : ٣٠ و ٣١). وبعد ذلك عن القديس بطرس في (٢ بط: ١ : ٥).

## الإيمان في عتمة الحوادث ولبيل الخروج المرير: [ ١١ : ٢٣ - ٣١ ] .

وهكذا انتهت مرحلة الإيمان في ضوء الموعد من فوق قمم جبال الفجر البهيج، من إبراهيم إلى يوسف. ومن هنا يبدأ الإيمان يعاني عواصف عنيفة لم تستطع قط أن تزغزعه، فنور الوعد كان ينير الطريق أمام أعظم قائد حربي ظهر على الأرض موسى العظيم (١١ : ٢٣ - ٢٨)، وعلى قلوب وفوق رؤوس عظماء من شعب إسرائيل (١١ : ٢٩ - ٣١).

### موسى قائد الخروج (١١ : ٢٣ - ٢٨). صورة الفادي الجديرة بالاحترام:

[ «وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يُتكلم به.» (عب ٣ : ٥)  
عن موسى قالت الحكمة:

«دخلت إلى نفس خادم الله (موسى) فقاوم ملوكاً مرهوبين بالجرائح والآيات.» (حك ١٠ : ١٦)  
«هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة.» (أع ٧ : ٣٥)

فإن كان إبراهيم دُعي «أبو المؤمنين»؛ فموسى وإن لم يُدع فهو بحق صورة لفادي الشعب.

٢٣ : ١١ «بالإيمان موسى تقد ما وُلد أخفاه أبواه ثلاثة أشهرٍ لأنهما رأيا الصبيّ جميلاً ولم يخشياً أمر الملك!».

هنا الإيمان إيمان أبويه، عمراهم أبوه ويوكابد أمه.

ومن أين أتاهم الإيمان الذي أرغهما على إخفائه؟ واضح أن طلعة الطفل المولود أوحى إليهم أنه يحمل سمات جمال إلهي غير عادي، وحتماً أحسوا بأن وراءه أمراً مخفياً، إذ كان وراء هذا الطفل عمل إلهي ينتظره وينتظرهم.

«رأيا الصبيّ جميلاً»: ἀστεῖον . فولجانا elegans.

لم يكن مجرد جمال، بل كان له سيماء يوحى بالرهبة. وهذه هي هالة النفس الحاملة مجالاً قدسياً موهوباً من الله. وهذه السيماء نفسها هي التي سحرت قلب بنت فرعون. فلم يكن جميلاً وحسب، بل جاذبية روحية يمتاز بها المختارون منذ ولادتهم. وقد صدق حدس بنت فرعون، فقد

وُلد موسى ليكون ملكاً. وهكذا تربى في بيت فرعون، لا عن مئة من الفرعون بل إن حركات الصبي ولَفَتَاتِهِ وسلوكه ثم أخلاقه، أُلزِمَتْهم بأن يوضع الطفل في موضع الكرامة. أليس هذا هو قاهر فرعون؟ وقائد العبور العظيم؟ ومخلَّص شعب الله من العبودية؟ ومدبِّر أعظم رحلة هجرة في العالم قوامها ستمائة ألف راجل - أي مترجِّل - عبْر قارتين في صحراء جرداء ولمدة أربعين سنة بتمامها، لا يحمل زاداً ولا ماءً ولا دواءً! بل وأكبر مشرِّع في العالم، فقد قَتَنَ أعظم وأدقِّ قوانين مدنية دينية وأخلاقية بأن واحد.

يقول فيللو<sup>(١٣)</sup> العلامة اليهودي عن موسى، إنه كان موهوباً في الرياضيات وحساباتها والهندسة وعلم الأرضيات (جيولوجيا) والشعر والموسيقى بأوزانها والفلسفة وعلم النجوم وبقية فروع العلوم الأخرى التي اشتهر بها علماء مصر<sup>(١٤)</sup>.

ويقول بحَاثة يهودي آخر اسمه Eupolemus هَلِينِي الثقافة، إن موسى هو الذي اخترع حروف الهجاء العبرية والتي اقتبسها منه الفينيقيون (لبنان) وبعدهم اليونانيون<sup>(١٥)</sup>.

ويمكننا بسهولة أن نصَلِّق كل ذلك وأكثر، فعندنا القديس إستفانوس يشهد لموسى شهادة بالروح يمكن جداً أن نعَوِّل عليها كما على نصوص إلهية:

+ «وفي ذلك الوقت وُلد موسى وكان جيلاً جديداً، فُرِّبِي هذا ثلاثة أشهر في بيت أبيه، ولَمَّا نُبِذ اتخذته ابنة فرعون وربَّته لنفسها ابناً. فتهدَّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال.» (أع: ٧: ٢٠-٢٢)

والقديس إستفانوس يقدِّم هنا هذه المعلومات التي لا بد أنها كانت شائعة ومعروفة. وإن قال باختصار أنه تهدَّب بكل حكمة المصريين فمعروف جيداً ما هي حكمة المصريين، ثم ما هي كل حكمة المصريين. إذاً، فكل الذي قاله فيللو اليهودي لو طبقناه على ما قاله القديس الشهيد استفانوس لظهر لنا التقليد في وضعه المسلَّم.

كذلك في قول القديس إستفانوس إنه كان جيلاً جديداً، فكلمة «جداً» لا تعود على الجمال بل على شيء جعل الجمال أكثر جلالاً، فما هو إلا أن يكون لمسة قدسية من لمسات النعمة تشير أن هذا مختار من الله وموهوب، وهذه اللمسة الإلهية هي التي جعلت أمه وأباه يقفان منه موقف الخوف

13. Philo, *Life of Moses*, i.20ff.

14. Bruce, *op. cit.*, p. 316.

15. *Ibid.*

والرهبة وبخفيانه ويتحتملان العاقبة، والتي لم تكن إلا عقوبة الموت.

كذلك قول ق. إستفانوس إنه كان: «مقتدراً في الأقوال». إذاً، فهو اقتدار العلم والفهم والكلام، كموهوب في كل شيء، إن في الكتابة أو التشريع. ونعلم أنه واضع الخمسة الأسفار الأولى من العهد القديم. وما ينبغي أن نعرفه أن لغة التوراة أدبية، فهي على أعلى مستوى من الأدب والبلاغة، وبعضها نصوص منطوقة بالروح لها سمة الألوهة، لأن الله فعلاً كان هو ناطقها على فم موسى وعلى قلمه.

فالذي يقوله العالم ايوبوليموس من أنه هو مؤلف الأبجدية العبرية، أي حروف الهجاء، هو قول لا نستطيع أن نستكثره على موسى.

أما قوله إنه كان مقتدراً في الأعمال، فأظن أنه لم يوجد رجل في التاريخ كله له ما لموسى من أعمال مسجلة في خمسة أسفار بكل دقائقها. فإن قال أحد أن الله كان يعمل معه وبواسطته، فهذا يضاف بكل تأكيد إلى شخصية موسى ويزيدها هيبة ورهبة وجلالاً ويضعها في قمة تاريخ الإنسان.

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي<sup>(١٦)</sup>، بعد أن وصف طلعتة الفائقة الجمال وقوامه المتميز، يقول، إنه قاد حملة مظفرة من المصريين ضد بلاد الحبشة وكان هو فيها رئيس أركان. كذلك يقرر يوسيفوس أن عمراهم أباه ويوكابد أمه أخفيا الطفل بناءً على رؤية رأتها مريم أخته — التي صارت فيما بعد وعُرفت أنها نبيّة — وأخبرت أبويها بذلك<sup>(١٧)</sup> فكان التدبير.

«ولم يخشياً أمر الملك»:

هذا في الحقيقة يثبت أن إخفاءهما الطفل كان مستوداً بقوة إيمان بالله. وتقرير يوسيفوس المؤرخ أن ذلك كان من واقع رؤية رأتها مريم أخته وأخبرت والديها بها، يزيد الأمر وضوحاً أن الإيمان كان مستوداً أيضاً بوعد من الله. وهذا كله يُضاف إلى وسائل تأمين الله لتنفيذ وعده في زمانه ومكانه، لأن موسى نقطة ارتكاز كبرى في تاريخ تنفيذ وعد الله.

أما أمر الملك فكان هكذا: «ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد (للعبرانيات) تطرحونه في النهر، لكن كل بنت تستحيونها.» (خر ١: ٢٢)

16. Philo, *Antiquities*, ii.230f, ii.238ff.

17. *Ibid.*, ii.210ff.

أما بقية قصة موسى، كيف وُضع في سبط من البردي وألقي على وجه الماء والتقطته بنت فرعون وربته في بيتها، فترجو القارىء أن يعود إلى سفر الخروج الأصحاح الثاني ليستوفي قراءته.

٢٥٥٢٤:١١ «بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون،

مُفضلاً بالأخرى أن يُدَلَّ مع شعب الله على أن يكون له تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالخَطِيَّةِ».

موسى كطفل تُرضعه أمه كأنها مُرضعة، هكذا ظنت بنت فرعون، وتلاعبه أخته مريم وكأنها خادمة، فكان يرضع من أمه الإيمان ومن أخته حبه لشعبه!! وكبر موسى وكبر معه الإيمان بالله، وكلما اشتد ساعده اشتد حبه وحنينه لبني وطنه.

«أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون»:

والآن وقد بلغ موسى الأربعين سنة: «ولما كملت له مدة أربعين سنة خطر على باله أن يفترق إخوته بني إسرائيل» (أع٧:٢٣). المتكلم هنا هو القديس والشهيد إستفانوس وهو يروي ما جاء في النص في سفر الخروج، ولكن يضيف عليه من عنده معلومات إضافية، وُجد بعد الدراسة أنها مستقاه من سفر مفقود، ولكن بقاياها القليلة لا تزال موجودة واسمه سفر «عهد موسى» *Διαθήκη Μωϋσεως* (١٨)، ويرجع إلى التاريخ المبكر جداً، فهو من القرن المسيحي الأول. ويحوي حواراً بين موسى ويشوع يذكر فيه تاريخ إسرائيل وكيفية موت موسى الذي جاء نصه في رسالة يهوذا (٩) (وسنأتي عليها). يقول القديس الشهيد إستفانوس عن كيفية بداية رفض موسى الحياة الملكية في بيت فرعون هكذا، وهي بحسب النص في التوراة:

+ «وإذ رأى واحداً (يهودياً) مظلوماً حامى عنه وأنصف المغلوب إذ قتل المصري، فظن أن إخوته يفهمون أن الله على يده يعطيهم نجاة، وأما هم فلم يفهموا. وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون (مع بعضهم) فساقهم إلى السلامة قائلاً: أيها الرجال أنتم إخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضاً؟ فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلاً: مَنْ أقامك رئيساً وقاضياً علينا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري؟ فهرب موسى بسبب هذه الكلمة وصار غريباً في أرض مديان حيث وُلِدَ ابنين.» (أع٧:٢٤-٢٩)

ويقول المؤرخون أمثال يوسيفوس (١٩) طبقاً لأبحاث ضافية، ويشترك معه كتاب اليوبيل (٢٠)،

18. Oxford Dictionary of the Christian Church, revised edition, on Moses.

19. Philo, Antiquities, ii,224ff.

20. Idem., 47.5.

أن ابنة فرعون هذه كانت تُسمى ترميوتيس Thermuthis وأنها ابنة الفرعون رمسيس الثاني ١٢٩٢ — ١٢٢٥ قبل الميلاد. ولكن عالماً يهودياً آخر، اسمه Artabanus ارتابانوس يذكره يوسابيوس القيصري<sup>(٢١)</sup>، يقول إن ابنة فرعون كانت تُسمى مريّس Merris أو Meri وهي ابنة رمسيس الثاني أيضاً ولكن من أمٍ حثّية.

ولكن قام مؤرخون محدثون بأبحاث شاقة، منهم العلامة ج. فذر Feather . J ووصلوا إلى احتمال أن تكون هي حتشيسوت Hatshepsut المعروفة (١٥٠٠ ق.م.)، أميرة ومملكة بعد ذلك للأسرة الثامنة عشرة وابنة الفرعون تحتمس الأول Tuhtmosis، وذلك في كتاب «مَنْ هي الأميرة التي أنقذت حياة موسى»<sup>(٢٢)</sup>.

وفيلو العلامة اليهودي يزيد التأكيد فيقول إن ابنة فرعون هذه هي نفسها حتشيسوت وكانت ابنة وحيدة لفرعون وكانت متزوجة من مدة طويلة ولم تُرزق أولاداً، لذلك كان موسى يعتبر وريثاً لعرش الفرعون<sup>(٢٣)</sup>.

٢٥:١١ «مفضلاً بالأخرى أن يُدَلَّ مع شَعْبِ الله على أن يكونَ له تَمَتُّعٌ وقتيٌّ بِالخَطِيئَةِ».

حينما انحاز موسى للمظلوم العبراني، كان هذا بمثابة القرار للانضمام تحت نير المظلومين بكل تأكيد، أمّا قتل المصري فكان هذا أيضاً بمثابة القرار بالبداية بعملية الفداء التي من أجلها وُلِدَ ومن أجلها تربى في بيت فرعون. أمّا الانضمام إلى الشعب المظلوم فكان يحمل معه كل الاستعداد لقبول المذلة مع المذلولين، وأمّا الفداء الذي اختمر في قلبه وأعصابه فكان يسنده أولاً إيمانه الذي شربه مع لبن أمه، ثم علمه وتهذيبه وحكمته وفنونه وقدراته الفذة التي بدأ يحس بها والتي نساها بانضوانه تحت تعليم الكهنة واستلام أسرار كل الحياة المدنية والحربية والملكية باعتبارها ابن ابنة فرعون!

ولكن صوت الله والضمير كان كافياً لقبول المجازفة.

وصوت أمه الذي نقشته الأيام الأولى من حياته على ذهنه الغض لا يَكْفُفُ عن ملاحظته: احذر يا ابني رجس المصريين. نحن أولاد إسرائيل نخاف الله ولا نأتي العيب.

21. Euseb., *Preparation*, ix,27.

22. C. Marston, *The Bible is True*, London 1934, pp. 179f.

23. *Life of Moses*, i.13.

٢٦:١١ «حَاسِباً عَارَ الْمَسِيحِ غَنِيَّ أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَجَازَاةِ».

[ اذكروا رب عار عبيدك، الذي أختجله في حضني ...،  
الذي به عثر أعداؤك يا رب، الذين عثروا آثار مسيحك،  
مبارك الرب إلى الدهر آمين. ] (مز ٨٩: ٥٠-٥٢)

كان الإغراء الواقع على موسى من ابنة فرعون شديداً، فكما يقول فيلوا إنها كانت بلا ولد، وإنها كانت الابنة الوحيدة للفرعون. فيكون موسى، بحسب هذا الوصف إذا ثبت عليه، هو الوريث لعرش مصر وكل خزائنها. ولكن بقدر ما كان الإغراء عنيفاً، كان الرفض جاهزاً دائماً كمختار لفداء هذا الشعب المظلوم. كان عار المسيح هو الصليب، والمسيح قبل العار من أجل السرور الموضوع أمامه (عب ١٢: ٢)، وسروره أن يفدي الإنسان!! الواقع تحت العبودية كل الأيام! كانت مسرة المسيح فائقة في تصوُّرها أن يحمر البشرية! وموسى كان تحت تهديد نفس العار، أن يموت بلا رحمة بيد الفرعون إن هو خرج عن الطاعة منحاذاً لهؤلاء العبيد المسخرين. فعار موسى كان هو خلاص شعب إسرائيل، وهكذا فضل أن يكون منهم ويحمل عارهم من أن يُنعم مع الفرعون وتؤول إليه خزائن مصر.

وهكذا تزكَّى موسى أمام الله فأدخله تحت التدريب.

«لأنه كان ينظر إلى المجازاة»:

المسيح احتمل العار من أجل السرور الموضوع أمامه: البشرية المحررة من عبودية الشيطان والخطية والموت!! وموسى كان ينظر إلى المجازاة، أن يتحرر هذا الشعب المظلوم المُدَل وأن يُفدى ولو بدمائه، وأن يعود الشعب إلى وطنه. كان هذا ما يُشغل قلبه فرحب بالمجازاة:

+ «وحدث في تلك الأيام لَمَا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَنْقَاهُمْ !! ...»  
(خر ٢: ١١)

وهكذا بدأت أحلام الخروج!!

إلى الغربية:

نفس منهج إبراهيم وإسحق ويعقوب:

٢٧:١١ «بِالْإِيمَانِ تَرَكَ مِصْرَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ الْمَلِكِ لِأَنَّهُ تَشَدَّدَ كَأَنَّهُ بَرَى مَنْ لَا يُرَى».

يعتقد كل علماء الكتاب تقريباً أن هناك تضارباً بين هذا النص والنص الوارد في سفر

الخروج: «فقال مَنْ جعلك رئيساً وقاضياً علينا أُمُفْتَكِرَ أَنْتِ بقتلي كما قتلت المصري، فخاف موسى وقال حقاً قد عُرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان...» (خر: ١٤ و١٥)، وعندنا هنا في هذا النص: «بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك...». وحاول العلماء التوفيق بين النصين على غير طائل. ولكن يبدو أن بولس الرسول هنا يأخذ من تقليد آخر غير الوارد في السبعينية وهو الذي استقى منه القديس الشهيد إستفانوس بعض المعلومات غير الواردة في سفر الخروج، كذلك القديس يهوذا في سرده قصة الحرب التي دارت بين الملك ميخائيل والشیطان فيما يخص جسد موسى بعد ما مات (يه ٩).

ولكن النص الذي أمامنا هنا شديد الربط لمسلسل الإيمان بين الآباء البطارقة وبين أحفادهم، كذلك هو شديد التطابق في منهج الغربة الذي كانوا يجدونه المقابل العزيز المحبوب والمعشوق في مقابل الموعد الذي لم يتم بعد؛ بمعنى كيف يستوطنون فيما هو ليس أرض ميعادهم. وهذا هو بيت القصيد في هذه الآية، فمن أجل الإيمان الذي ارتبط به موسى بأسلافه الساعين إلى تحقيق موعد الله لهم، ترك مصر بينما كان معروضاً عليه عرشها وخزائنها، لكي يتهيأ لعملية الخروج العظمى التي أحسَّ أن الله وضعها على كاهله، والتي فيها سيتجاوب مع فرعون مجابهة لا بد وأن تنتهي بالحرب. فكيف يخاف الفرعون هذا أو يخشى غضبه، وهو حتماً الذي سيثير غضبه ويغلبه بقوة الله التي يحسُّها تسري في قلبه وكيانه؟ ثم اسمعه هنا يصف هذه القوة التي تنفجر في داخله: «لأنه تشدَّد كأنه يرى مَنْ لا يُرى»، بمعنى أنه كان يرى المعركة القادمة التي لم تبدأ بعد والتي ما زال أمامها أربعين سنة! كما تشدَّد لَمَّا تصوَّر وصول الشعب إلى أرض ميعاده:

+ «ولمَّا كملت أربعون سنة، ظهر له ملاك الرب في برية سيناء... وصار إليه صوت الرب: أنا إله آبائك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب... فهلّم الآن أرسلك إلى مصر...» (أع: ٧: ٣٠ و٣٢ و٣٤).

كانت إرسالية الله له إلى أرض مديان، ليتذوَّق هناك الغربة، عُوبة آبائه وهم بعيدون عن أرض الموعد ليزداد حنينهم ويزداد ارتباطهم بالأرض الموعودة، لكي يتممَّ الله وعده على أيديهم ولا يتعطل شيء من مراحل ظهور المسيح في وقته.

وبالفعل أتقن موسى الغربة، واحتضنها، وخلَّف منها ولداً سماه الغربة: «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل (كاهن مديان)، فأعطى موسى صفورة ابنته فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة.» (خر: ٢١ و٢٢)



وفي خروجه من مصر إلى أرض مديان يقول عنه فيلو المتصوِّف اليهودي:

[ لقد هرب من مصر لَمَّا شعر بأن هناك مؤامرة حيكت ضد حياته، فترك أرض مصر دون أن يتزوَّد بأي زاد، وبكبرياء كان واثقاً من قوته على الاحتمال. ] (٢٤)

ومعروف أنه بينما كان موسى متغرباً في أرض مديان، مات الفرعون الذي كان موسى يخشاه أو الذي لم يكن يخشاه سيان! «وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات ... وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان ...» (خر ٢٣: ٢٣ و ١: ٣)

ويعلّق فيلو العلامة اليهودي على القول: «لأنه كان يرى مَنْ لا يُرى» — ولا بد أنها مأخوذة من مصدر أقدم من الرسالة إلى العبرانيين — بقوله: [ حينما كان يرفع عينيه إلى فوق فيما وراء الخليفة كان يؤتى الرؤية الصافية (clairvoyance) لغير المخلوق ] (٢٥)، أو بحسب ظننا كان يرى الحوادث القادمة ودخول الشعب أرض كنعان، فكان يزداد قوة.

ومعروف أن موسى كانت له مواهب رؤيوية فذة وكان يتكلّم مع الله وجهاً لوجه:

+ «و يكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.» (خر ٣٣: ١١)

+ «اسمعا كلامي، إن كان منكم نبيٌّ للرب (الرب هو المتكلّم) فبالرؤيا أستعلئ له، في الحلم أكلّمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا، بل هو أمين في كل بيتي، فما إلى قم وعياناً أتكلّم معه لا بالألفاظ، وشبه الرب يعاين.» (عد ١٢: ٦-٨)

### البدء العظيم بالعودة إلى أرض الميعاد، وتأسيس الفصح

«لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا.»

(١ كو ٥: ٧)

التحام إيمان موسى في إيمان آباءه!!

٢٨: ١١ «بالإيمان صَنَعَ الْفِيضِحَ وَرَشَّ الدَّمَ لثَلَا يَمْسَهُمُ الَّذِي أَهْلَكَ الْأَبْكَارَ.»

الإيمان هنا ولأول مرّة ينبثق من كلمة الله رأساً لموسى، فهو إيمان الثقة واليقين! إزاء وصية الله

24. Ibid., ii.254ff.

25. Ibid., i.258.

بعمل الفصح، ومعه «رش الدم»، ولأول مرة ليفيد كلمة الفصح عملياً، أي العبور، أي التجاوز عن بيوت الإسرائيليين، فلا يهلكهم المهلك: أي تحطّي الموت!!

ونبه ذهن القارئ أن مفهوم الفصح «البسخة» πάσχα وبالعبري pesach، يساخ والفعل يفصح = يعبر pasah وهو الاسم الذي يُطلق على العيد بأكمله أي عيد الفصح، عيد العبور، ليس عبور البحر الأحمر ولا العبور من مصر ولا الخروج من مصر، بل هو بالأساس عبور الملاك المُهلك «عن» بيوت الإسرائيليين حتى لا يُهلك أبكارهم، فهو عبور الفداء، فصح الخلاص.

«صنع الفصح»: πεποιήκεν τὸ πάσχα

«ورش الدم»: καὶ τὴν πρόσχυσιν τοῦ αἵματος

ليسا هما طقسين بل طقس واحد وفعل إيماني واحد: «ذبح الخروف ورش الدم»، وهو تأسيس تذكاري كفعل عُمل وأكمل ليكون تذكّاراً دائماً كأساس عقائدي وإيماني واحتفالي بأن واحد في مواجهة كل المصريين كتحدٍ للملك والدولة والشعب جميعاً، وتمييزاً لشعب إسرائيل ولإلههم ولموسى ولعبادتهم كلها. لأن عمل الفصح ورش الدم على أعتاب البيوت ميّز الإسرائيليين وفي نفس الوقت جلب الهلاك لكل أبكار مصر من بكر الملك لكل بكر.

وليلاحظ القارئ أن «فصحنا المسيح» قد دُبح أيضاً، وذلك بحسب الإنجيل وبولس الرسول، وصار دمه ليس فقط لرش القلوب وتطهير الضمائر بل وتغطي قوة الشيطان والموت إلى الإقامة من الموت وإعطاء حياة أبدية بأن واحد: «مَنْ لم يؤمن يُدُن» (مر ١٦: ١٦). فالدم الذي للفداء وللحياة في المسيح هو للدينونة والموت: «فكم عقاباً أشرّ نظنون أنه يُحسب مستحقاً مَنْ داس ابن الله وحيب دم العهد الذي قُدس به دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب ١٠: ٢٩)

وكلمة «صنع الفصح» هي، بعد الختان، بمثابة كمال الإيمان بالإيمان اليهودي أي التهود: «إذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب، فليُخْتَن منه كل ذَكَرٍ (ختم الإيمان) ثم يتقدّم ليصنعه فيكون كمولود الأرض (أي مواطن يهودي)» (خر ١٢: ٤٨). هكذا الذي يعتمد يتقدّم للتناول!!

أمّا «رش الدم» كعملية قائمة بذاتها تُذكر لتعطي انطباعاً أو تعبيراً عن «السر» الأساسي الذي به تمّ الخلاص من مصر: «وخذوا باقة زوفا واغمسوها في الدم (دم خروف الفصح) الذي في الطست ومسّوا العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطست. وأنتم لا تخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح» (خر ١٢: ٢٢). ويشرح ذلك سفر العبرانيين هكذا: «وكل شيء تقريباً يتطهّر حسب التاموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة.» (عب ٩: ٢٢)

إذاً، قدم الفصح في مصر كان قد قدّس البيوت وبالتالي أبقارها لله. ومن هنا نفهم أن الفصح أي العبور لا يتم فهمه ولا يتم عمله ولا يتم معناه إلاً برش الدم للتقديس، لأن التقديس هو الذي ميّز الإسرائيلي عن المصري وليس مجرد الدم.

«الذي أهلك»: ὁ ὀλοθρευόν

أو المهلك: «فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين، يعبر الرب عن الباب ولا يدع المَهْلِك يدخل بيوتكم ليضرب.» (خر ١٢: ٢٣)

ومن هو «المَهْلِك»؟ يقول سفر الحكمة إنها هي «كلمة الله»:

+ «حضرت كلمتك القادرة على الكل من السماء، من كراسي المُلْك، وثبّتت إلى وسط الأرض المهلكة مُحارِباً صارماً، سيفاً مرهفاً بأمرك، مُشهرأ. وإذ قام أمامهم ملأ الجميع موتاً وكان يقف في الأرض وينتهي إلى السماء.» (حك ١٨: ١٥ و١٦) (٢٦)

وبحسب تفسير آية سفر الخروج نفهم أن الملاك المهلك أو كلمة الله المرسله كسيف صارم للهلاك كان يبقى خارجاً لا يدخل بيوت الإسرائيليين، لأن الرب إله إسرائيل نفسه سيحرس بيوتهم من أن تُمس !! وهكذا الدم بالإيمان يصنع خلاصاً وبغير الإيمان يصنع هلاكاً.

(٢٦) «فحمي غضب الله لأنه (بعلام بن عبور) منطلق (ليعلن إسرائيل) ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه ... ثم كشف الرب عن عيني بعلام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في يده فخرّ ساجداً على وجهه ... فقال له ملاك الرب ... لو لم تمل (الأتان) من قدامي لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها، فقال بعلام ملاك الرب أخطأت ...» (عد ٢٢: ٢٢-٣٥)

واضح هنا أن الملاك ملاك تأديب وسيفه في يده للهلاك، وهو بأن واحد يمثل الرب، فهو مدعو ملاك الرب وقيل من بعلام السجود الذي لا يُعطى إلاً لله.

## إيمان الشعب: (١١: ٢٩-٣١).

[ «فقال موسى للشعب: لا تخافوا،

قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم،

فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد،

الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون!!!» (خر١٤: ١٣ و١٤)

«وجعل البحر يابسة وانشق الماء!!!

وآمنوا بالرب وبعده موسى.» (خر١٤: ٢١ و٣١) ]

٢٩: ١١ «بالإيمان اجتازوا في البحر الأحمر كما في اليابسة الأمر الذي لَمَّا شَرَعَ فيه  
المصريون غَرِقُوا».

«البحر الأحمر»: τὴν Ερυθρὰν θάλασσαν

وبالعبرية Yam Suph = يَمْ سُوف. ويُقصد به خليج السويس الآن وخليج العقبة في بدايته  
الفضلة.

الإيمان هنا هو إيمان الشعب مائة مائة، ولكنهم استمذوه من موسى، وموسى من أمر الله،  
وبإيمانهم هذا وحده اجتازوا البحر، الذي احتراماً لإيمانهم أخلى لهم سبيلاً في وسطه العميق  
ليعبروا عليه بأرجلهم. والدليل الشديد على أن إيمانهم هو الذي أوقف البحر من الناحيتين كحائط  
ساتر يميناً ويساراً هو أن المصريين لَمَّا شرعوا في تقليدهم ودخلوا وراءهم، ولكن بدون إيمان  
وبالتالي بدون رضا الله وسَّره وعنايته وقوته، لم تعبأ بهم المياه وثار عليهم البحر بأوجهه العالية  
والعاتية وابتلعهم «فسقطوا كالرصاص في مياه غزار»، كمن يحتاج على جرأتهم. وهذا يمثّل الموت  
لكل من ليس له إيمان السير وسط الماء. فهلك كل من وطأت قدماه أرضه، ولكن بعد أن اطمأن  
البحر أن آخر أصحاب الإيمان بالرعاية والعناية — نَجَوْا وعبروه! هذا الأمر يحكي عن الإيمان الذي  
يُسَخَّر الطبيعة وَيَسَخَّر من بأسها بآن واحد.

وهناك تقليد يهودي يحكي عنه فيلو العلامة اليهودي أن باطن أرض البحر (Sea bed) بين  
حائطي المياه اللذين وقفا عن يمين ويسار كان جافاً وقد صار طريقاً معدداً — highway — لعبور  
ضيوفه (٢٧). وقد أخذ منه التقليد القبطي هذا الوصف، وضُمَّته التسبحة التي تُتلى في نصف الليل

بألفاظها الشبيقة التي تبعث القوة والشجاعة والإيمان في الصارخ بها والسامع، على نبرات داود النبي:

+ «خَلَّصَهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ لِيُعْرَفَ بِجِبْرَوْتِهِ،  
وَانْتَهَرَ بَحْرَ سُوفَ فَيَسِّرُهُمْ فِي اللَّجَجِ كَالْبَرِيَّةِ،  
وَيَخْلُصُهُمْ مِنْ يَدِ الْمُبْغِضِ وَفِدَاهُمْ مِنْ يَدِ الْعَدُوِّ،  
وَعَطَّتِ الْمِيَاهُ مَضَائِقَهُمْ، وَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَتَّقَ،  
فَأَمَتُوا بِكَلَامِهِ، غَنَوْا بِتَسْبِيحِهِ.» (مز ١٠٦: ٨-١٢)

### أنشودة البحر

### فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله !!

+ «حِينَئِذٍ رَنَمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ وَقَالُوا:  
أُرْنَمُ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ،  
الْفَرَسُ وَرَاكِبُهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ،  
الرَّبُّ قَوْتِي وَنَشِيدِي،  
وَقَدْ صَارَ خَلَاصِي،  
هَذَا إِلَهِي فَأُجْمَدُهُ،  
إِلَهَ أَبِي فَأَرْفَعُهُ،  
الرَّبُّ رَجُلَ الْحَرْبِ، الرَّبُّ اسْمُهُ،  
مَرْكَبَاتُ فِرْعَوْنَ وَجَيْشُهُ أَلْقَاهَا فِي الْبَحْرِ،  
فَغَرِقَ أَفْضَلُ جُنُودِهِ الْمَرْكَبِيَّةِ فِي بَحْرِ سُوفَ،  
تَغْطِيهِمُ اللَّجَجُ. قَدْ هَبَطُوا فِي الْأَعْمَاقِ كَحَجَرٍ،  
يَمِينُكَ يَا رَبُّ مَعْتَزَةٌ بِالْقُدْرَةِ،  
يَمِينُكَ يَا رَبُّ تَحْطُمُ الْعَدُوِّ،  
وَبِكَثْرَةِ عَظْمَتِكَ تَهْدُمُ مَقَاوِمِيكَ،  
تُرْسِلُ سَخَطَكَ فَيَأْكُلُهُمُ كَالْقَشِّ،  
وَبَرِيحِ أَنْفِكَ تَرَكَمْتَ الْمِيَاهُ.  
انْتَصَبَتْ الْمَجَارِي كِرَابِيَّةً،

تجمّدت اللجج في قلب البحر،  
قال العدو: أتبع، أدرك: أقسم غنيمة،  
تمتلئ منهم نفسي. أجرّد سيفي، تفنيهم يدي،  
نفخت بريحك فغطّاهم البحر،  
غاصوا كالرصاص في مياه غامرة،  
مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب،  
مَنْ مثلك معتزاً في القداسة،  
غوفاً بالتسايبح. صانعاً عجائب،  
تمد يمينك فتبتلعهم الأرض،  
ترشد برأفتك الشعب الذي فديته،  
تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك،  
يسمع الشعوب فيرتعدون،  
تأخذ الرعدة سكان فلسطين،  
حينئذ يندهش أمراء أدوم،  
أقوياء موآب تأخذهم الرجفة،  
يذوب جميع سكان كنعان،  
تقع عليهم الهيبة والرعب،  
بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر،  
حتى يعبر شعبك يا رب،  
حتى يعبر الشعب الذي اقتنتيته،  
تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك،  
المكان الذي صنعه يارب لسكنك،  
المقدس الذي هيأته يدك يا رب،  
الرب يملك إلى الدهر والأبد،  
فإن خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر،  
ورّد الرب عليهم ماء البحر،  
وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر،  
فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها،

وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ،

وأجابتهن مريم :

رغموا للرب فإنه قد تعظّم ،

الفرس وراكبه طرحهما في البحر. « سفر الخروج (١٥ : ١-٢١) »

والعجيب في أمر الفصح أن تأثيره الروحي والفكري والليتورجي صار في المسيحية وخاصة عند الأقباط أكثر عمقاً واتساعاً ، ويغطي في العبادة مساحة هائلة من التسييح والتمجيد . علماً بأن الفرعون هذا البغوض جداً ، هو هو في التسبحة فرعوننا ملك مصر وطننا العزيز بأن واحد والمحبوب والمكرّم للغاية ، لأن الإيمان المسيحي استطاع أن يرتفع بنا فوق العواطف الجسدية والمشاعر الأرضية ، فالتسييح لله ، والنصر لله ، وليديه العزيزة .

لقد اقتصررت الرسالة إلى العبرانيين على هذا العرض المختصر لإيمان موسى ، إلا أن الصفحات القليلة هنا لا تسعنا أن نوفي هذا الإيمان حقه ، ولكن لنا عزاء في آخر ما أتخفنا به الوحي المقدس عن هذا الإنسان العظيم حقاً - موسى النبي - في حياته ومماته ، وهو ما سرّبته إلينا يهوذا الجليل في الرسل عن جسد موسى ، كيف أصدع إلى السماء بعد معركة مهولة بين الملاك ميخائيل والشيطان الذي احتج على تكريم جسده واعترض طريق الملاك : « وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس معاجباً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب. » (يه ٩)

وقد شرح هذا الموضوع كل من كللمندس الإسكندري في شرحه لرسالة يهوذا ، كذلك أوريغانوس في كتابه : First Principles III 2,1 .

وهذه آخر شهادة له : « ولم يقم بعدُ نبيّ في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. » (تث ٣٤ : ١٠)

٣٠ : ١١ « بِالْإِيمَانِ سَقَطَتْ أَسْوَازُ أَرْبَعًا تَعُدُّ مَا طَيِّبَ حَوْلَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. »

تخطى بولس الرسول الأربعين سنة بتمامها لم يذكر فيها لا إيماناً ولا مؤمنين ، فقد كانت فترة عدم إيمان وتدمر وعبادة عجل مسبوك وثور وإهانة لله :

+ « حتى متى يهينني هذا الشعب. » (عد ١٤ : ١١)

+ « وجربوني الآن عشر مرات. » (عد ١٤ : ٢٢)

+ « وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن اتركني ليحمي

غضبي عليهم وأفتيهم، فأصيرك شعباً عظيماً. فنضرع موسى أمام الرب إلهه.» (خر٢٢: ١١-٩)

+ «هل قدّمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل؟ بل حملتم خيمة ملكوكم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذي صنعتم لنفسكم. فأسيبكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود اسمه.» (عا٥: ٢٥-٢٧)

لم يُسمع مثل هذا قط أن الحصون العالية والمدن المحصنة بأسوارها تسقط بمجرد أن يطوف الشعب حولها سبعة أيام، ينفخون في أبواق من قرون الخراف، والشعب سائر كأنه في مأتم لا يتكلم ولا بحرف واحد بل في صمت يكملون الدورات. وأخيراً يهتفون، فتسقط الأسوار والحصون وتتكشف المدينة وتسقط في أيديهم. هل كان إيمان الشعب أم إيمان يشوع خليفة موسى؟ لم يذكر القديس بولس في الرسالة، ولكن هنا قصد أن يضع الإيمان كإيمان بحد ذاته — إزاء حصون الإنسان!! ليعترك العمل لله وحده صاحب آلة البناء والفناء لتكون بداية تعليم الشعب في أرض ميعاده أن القوة بالله.

ولكن الشيء الواحد الوحيد الذي يلفت النظر جداً، أن الكهنة كانوا في المقدمة يضرّبون بأبواقهم فقط، وأن في اليوم الأخير وحده داروا «سبع» مرات والكهنة بأبواقهم، ثم بهتاف للرب سقطت المدينة. هنا دور الكهنة جعل سقوط أربحا رمزاً لسقوط أسوار الشر وحصون الخطية بقوة الكنيسة وأسرارها السبعة والتهتاف باسم الرب القادر على كل شيء. وكان هذا المنظر هو الذي أوحى لبولس الرسول أن يكشف عن سر الكنيسة وقوتها هكذا: «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قدرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل غلو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢ كو١٠: ٥٤). أمّا السبع الدورات، فلها في الطقس الكنسي معنى ومعاني، وفي سفر الرؤيا يتوافق مع سبع كنائس الدهور والسبع المنائر الذهبية التي تحيط بابن الإنسان والسبعة الكواكب التي في يمينه، وسرها كله هو في الكنيسة! وكان الكنيسة لها سبع دورات حول أربحا العالم الحاضر بعدها ينكشف كل شيء.

٣١: ١١ «بالإيمان راحب الزانية لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلا.»

«الزانية»: πόρνη

وبالعبرية zōnāh. والعبرية تفرّق بين عاهرة علمانية وعاهرة هيكل وثن، فالأولى zōnāh والثانية = qedēshāh، اسم مقزز للنفس على كل حال. والسائل يسأل ألم يوجد إيمان آخر حتى



نصل بالإيمان إلى هذا الذرّك؟ ولكن الرد لماذا يتنكّر الإنسان لوسخه؟ من أجل هذا الكبرياء، يرفع الله من هذا المنحدر ويُجلس على المرتفعات ليَتَضَع المرتفعون بذواتهم: «ومن منكم بلا خطية فليزَيِّها أولاً بحجر!!» (يو: ٨: ٧)

لقد حاول كثير من المؤرخين والشارحين والمنشغلين بالتاريخ المقدّس أن يغيّروا هذا الاسم أو يعضوا له ما يخفّف وقعه على الأسماع ولكن دون جدوى، شأنهم شأن الشيوخ الذين تربّصوا حتى أمسكوا المرأة في ذات الفعل وجاءوا يجربّون بها المسيح، وبعد محاوره ومواجهة، ألصق هو ذات التهمة بهم ورفعها عن فريستهم. فزانية أريحا زانية. نعم ولكنها سَمِعَتْ كما سمع كل سكان أريحا ما صنعه الله مع بني إسرائيل في مصر والبحر الأحمر ومع الشعوب التي اعترضت زحفهم على فلسطين، فأمنت بإلههم وآمنت أنهم آخذون أريحا آخذونها إن بالحصار أو بغيره، فطلبت لنفسها النجاة والاتصاق بإلههم فقَبِلَ الله، وسمع هذا الكلام من فمها:

+ «وقالت (الزانية) للرجلين، علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض، وأن رُعبكم قد وقع علينا، وأن جميع سكان الأرض ذابوا من أجلكم. لأننا قد سمعنا كيف يَبْسُ الرب مياه بحر سوف قدامكم عند خروجكم من مصر وما عملتموه بملكي الأموريين الذين في عبر الأردن سيحون وعوج اللذين حرّمتموهما. سمعنا فذابت قلوبنا ولم تبقَ بعد روح في إنسان بسببكم. لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت! فالآن احلفا لي بالرب وأعطيتاني علامة أمانةٍ لأنني قد عملت معكما معروفاً، بأن تعملنا أيضاً مع بيت أبي معروفاً وتستحيا أبي وأمي وإخوتي وأخواتي وكل ما لهم وتخلّصنا أنفسنا من الموت. فقال لها الرجلان نفسنا عوضكم للموت إن لم تفشوا أمرنا هذا. ويكون إذا أعطانا الرب الأرض أننا نعمل معك معروفاً وأمانة. فأنزلتهما بحبل من الكوّة لأن بيتها كان بحائط السور وهي سكنت بالسور. (آخر نصيحة) وقالت لهما: اذهبا إلى الجبل لثلا يصادفكما الساعة (الذين خرجوا يطلبونهما لَمَّا علما بدخولهما المدينة، وهي خبأتهما حتى الليل على السطح وأضلّت رسل الملك أنهما خرجا من عندها للتو)، واختبئا هناك ثلاثة أيام حتى يرجع الساعة ثم اذهبا في طريقكما.» (يش ٢: ٩-١٦)

فانظروا يا إخوة، ماذا قالت هذه الزانية وما فعلت، شيء لم يقله ولم يصنعه ملك ولا حكيم ولا شيخ ولا فطين. فقد أعطت إيمانها كاملاً بالله خالق السماء والأرض وآمنت بقدرته الفائقة وخلصه الذي عمله بشعب إسرائيل، وعملت معروفاً مضاعفاً برسول يسوع المرسلين من قبل الله، وإلى آخر لحظة كانت مرشدة لخلصهم وضامنة لعدم وقوعهم في أيدي الساعة بحكمتها وتدبيرها

الفائق العقل والبصيرة. هذه زانية أريحا فاحكموا!!

ونعود ونستحضر لها شهادات من الوحي المقدّس من أفواه رسل الرب. فقد استرعى انتباه يعقوب الرسول إيمان هذه الزانية ثم تطبيق إيمانها بعملٍ يثبت أن إيمانها حيٌّ وفَعَّال. فقال يعقوب الرسول شاهداً بها ولها: «كذلك راحاب الزانية أيضاً أما تبررت بالأعمال؟ إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر» (يع ٢: ٢٥). والعجيب في هذا الرسول أنه استشهد بإيمان وعمل اثنين فقط: إبراهيم وهذه الزانية. فاحكموا ماذا كان علو شأن إيمان وعمل هذه الزانية في فكر يعقوب الرسول وتقديره!

وهكذا كانت المجازاة لهذه المرأة الحكيمة التي صارت علامة بارزة حيّة في تاريخ شعب الله: + «فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجوا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل ما لها وأخرجوا كل عشائرها وتركاهم خارج عملة إسرائيل. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ... واستحى يسوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل ما لها وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.» (يش ٦: ٢٣-٢٥)

ودخلت راحاب في عداد رؤوس الأسلاف الأماجد الذين جاء منهم داود ثم المسيح: «... وسلمون ولد بوعز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسى، ويسى ولد داود الملك ... ومثان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل (خطيب) مريم التي وُلد منها يسوع الذي يُدعى المسيح ...» (مت ١: ٥-١٦)

وظلت راحاب أنشودة الإيمان القادر أن يغتصب حقوق الأنبياء والقديسين من بعد عفونة السيرة والمسيرة. انظر يوستين<sup>(٢٨)</sup>، وإيرينيئوس<sup>(٢٩)</sup>، وهذا هو كلمندس الروماني يتكلم عن راحاب: [وقد أعطوها علامة. وهذه العلامة هي جبل قرمزي (أحمر) تعلّق على بيتها كإعلان عن أن دم المسيح يعتق كل الذين يؤمنون ويرجعون لله] (٣٠).

28. *Dialogue with Trypho* III.

29. *Adv. Haeresis*, IV.20.12.

30. 1 Clem. 12:17.

## الإيمان في بكور قيام إسرائيل: [ ٣٨-٣٢:١١ ] .

دخول إسرائيل كنعان وانتصارهم على أريحا كان يمثل آخر حلقات الإيمان ودخول إسرائيل تحت العناية الإلهية في ترحالها الطويل. فمنذ إيمان إبراهيم وعبوراً بكل الآباء حتى دخولهم أرض كنعان، عرض هذا السفر المبارك عينات مشروحة متأنية لإيمان رجال عظماء كانوا حجر الأساس في قيام هذه الأمة، بل وفي التاريخ المقدس للإنسان.

والآن بدأ يعطي مختصراً سريعاً للإيمان تحت أسماء سريعة مختارة هي خيرة القضاة والأنبياء والملوك الذين تولوا قيادة إسرائيل، وبعدها أدمج فيهم عصر المكابيين وجبارته. وكان يتخلل هذا العرض عينات لأعمال نساء بلغن من الإيمان مبلغاً لا يقل عن إيمان الرجال. ثم قسّم أعمالهم إلى:

أولاً: (٣٥-٣٢:١١): الذين صنعوا أعمالاً عظيمة.

ثانياً: (٣٨-٣٥:١١): الذين تحملوا مشقات عظيمة.

أولاً: الذين عملوا أعمالاً عظيمة،

وأثبتوا إيماناً فعلاً ناجحاً:

٣٢:١١ «وماذا أقول أيضاً لأنه يُعوزني الوقت إن أخبرتُ عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح، وداود وصموئيل والأنبياء».

أ — «جدعون وباراق وشمشون ويفتاح»:

هؤلاء هم القضاة الذين يمثلون حكم الله الفردي.

ولا يجيء ترتيبهم هنا بحسب النص في التوراة ولكن بحسب الشهرة المتداولة في التقليد. ففي سفر القضاة:

يأتي جدعون من أصحاب (٦-٨).

وباراق يأتي من أصحاب (٤-٥).

وشمشون من أصحاب (١٣-١٦).

يفتاح من أصحاب (١١-١٢).

وهؤلاء كانوا أبطال حروب، فقد قهروا الممالك الآتية: المديانيين، والكنعانيين،

والفلسطينيين، والعمونيين.

### ب - «داود وصموئيل والأنبياء»:

الملك العظيم، ونبي الدولة، وحياتهما تغطي المرحلة الثانية في تاريخ إسرائيل. وهي المرحلة ذات السمات الراقية والنبيلة في الأشخاص والأمة ككل، وقد أضاعت تاريخ إسرائيل ولا تزال تضيء، بما فيها من شخصيات قيادية وقواد جيوش وحكماء وأنبياء كانوا على أعلى مستوى من القوة والأخلاق، لو استثنينا بعض العيوب البدائية للأشخاص.

منجزاتهم: (١١: ٣٣-٣٥).

٣٣: ١١ «الذين بالإيمان قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بَرًّا، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدَّوْا أَفْوَاهَ أُسُودٍ».

هذا عرض أعمال للإيمان الذي كان يملأ قلوبهم وحياتهم وكان لا بد أن يظهر في أعمال مجيدة. ويلاحظ القارئ تسلسلاً تصاعدياً في قيم الأعمال:

### أ - «قَهَرُوا مَمَالِكَ»:

وهذه تفريدها:

جدعون	قهر المديانيين	في (قض ٧)
باراق	قهر الكنعانيين	في (قض ٤)
شمشون	قهر الفلسطينيين	في (قض ١٤ إلخ)
يفتاح	قهر العمونيين	في (قض ١١)
يوناثان	قهر الفلسطينيين	(١ صم ١٤: ٦ إلخ)
داود	قهر الفلسطينيين	(٢ صم ٥: ١٧)
	والموآبيين	(٢ صم ٨: ٢) وبنجود ومعدات أقل عدداً.
	والعمونيين	(٢ صم ١٠: ١٢)

### ب - «صنعوا برًّا»:

كان من نتيجة نجاحهم في الحروب وإخضاع الأعداء، أن استقر العدل وارتفع مستوى الأخلاق، وزاد رصيد البر أي مخافة الله والاتصاق به في العبادة:

+ «وقال صموئيل لكل إسرائيل: ها أنذا قد سمعت لصوتكم في كل ما قلتم لي وملكت عليكم ملكاً (شاول) ... وأما أنا فقد شِخْتُ ... ها أنذا فاشهدوا عليّ قدام الرب وقدم

مسيحه: ثور مَنْ أخذت؟ وحرار مَنْ أخذت؟ وَمَنْ ظلمت؟ وَمَنْ سحقت؟ وَمِنْ يَد مَنْ أخذت فدية (رشوة) لأغضي عيني عنك فأرد لكم؟ فقالوا لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئاً، فقال لهم شاهد الرب عليكم وشاهد مسيحه!!» (١صم ١٢: ١-٥)

وَمَنْ مِنْ الأنبياء، مثل صموئيل، كلّمه الرب طفلاً وسلمه النبوة صبيّاً؟ حينما سُبِي تابوت العهد رمز عهد الله مع شعبه، وقف صموئيل يحمل الرسالة وينقل صوت الله ويعطي المشورة، فصار صموئيل لدى الشعب كموسى في أيامه أو يشوع وأكثر من داود، وما كان عليه إلا أن يقول، تكلم يا رب فإن عبدك سامع، فكان بمثابة غطاء التابوت بين الشاروبين. وأنزل الله عليه هيئته فكان يخشاه الملوك ويتودّدون إليه، وما كان ينطق إلا بكلمة الله ولا يزيد. فتحوّل إيمان الشعب من خشية التابوت إلى صموئيل وقادهم بالنعمة التي فيه، ومع النبوة أخذ عمل الكاهن وقدم القرابين واسترضى وجه الله. فلم يكن نبي مثل صموئيل. فقد أقام مدرسة يتخرّج فيها الأنبياء، فكانت بمثابة كلية أو كنفابة. وهذه شهادة بن سيراخ لصموئيل النبي:

+ «المحجوب من إله صموئيل نبي الرب، أقام ملكاً، ومسح سلاطين على شعبه، في ناموس الرب حكّم الجماعة، وتعاهد يعقوب!

بإيمانه تحقّق أنه نبي، وعُرف بكلامه أنه أمين بمنظره!

دعا الرب القادر عندما أحزنه الأعداء من كل جانب، بتقديم الحمل الذي لا عيب فيه، وأرعد الرب من السماء، وبلحن عظيم جعل صوته مسموعاً،

وسحق سلاطين صور وجميع جبابرة الفلسطينيين،

وفي وقت الأجل المحتوم أشهد أمام الرب ومسيحه أنه لم يأخذ فضة من أحد،

وبعد أن رقد تنبأ وأظهر للملك (شاوول) أجله،

ورفع من الأرض صوته بالنبوة ليبتل نفاق الشعب.» (ابن سيراخ ٤٦: ١٣-٢٠)

+ «وملك داود على جميع إسرائيل وكان داود يجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه.» (٢صم ٨: ١٥)

وهذا هو نظام الحكم وفضائله بضم داود الملك نفسه:

+ «فهذه هي كلمات داود الأخيرة: وحي داود بن يسى وحي الرجل القائم في الغلا، مسيح إله يعقوب، ومرنم إسرائيل الحلول! روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني. قال إله إسرائيل إليّ، تكلم صخرة إسرائيل. إذا تسلط على الناس بار، يتسلط بخوف الله، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس،

كعشب من الأرض في صباح صحو مضيء غبَّ (بعد) مطر!  
 أليس هكذا بيتي عند الله لأنه وضع لي عهداً أبدياً متقناً في كل شيء ومحفوظاً.  
 أفلا يثبت كل خلاصي وكل مسرّتي.» (٢ صم ٢٣ : ١-٥)

### ج - «نالوا مواعيد»:

كان نجاحهم في أداء رسالتهم سبباً مباشراً في استقرار إسرائيل وامتدادها وتقويتها لتطيق وعود الله لها بامتلاك الأرض وبقية مواعيد السلام والعناية والبركة للأرض والزرع والضرع ورفع الأمراض وردّ الأعداء واستتباب الأمن.

كذلك داود أيضاً قد نال من الله مواعيد صادقة تمتّ بحروفها وها نحن نعيش أمجادها، فيكفيه فخراً ومجداً أن يُنسب إليه المسيح: «قال الرب لربي» (مز ١١٠ : ١)، «ارحمي يا سيد يا ابن داود» (مت ٢٢ : ١٥)، «أوصنا لابن داود ... أوصنا في الأعالي» (مت ٢١ : ٩)، «مراحم داود الصادقة.» (إش ٥٥ : ٣، أع ١٣ : ٣٤)

### د - «سدّوا أفواه أسود»:

نمو التقوى والبر واستتباب الحياة، أعطى الفرصة لقيام نماذج من الشخصيات الفريدة في برّها، الفريدة في إيمانها، الفريدة في شجاعتها. وهذا دانيال، وهو الذي أفرزته الأمة وهي في محنتها ليردّ لها كرامتها ويرفع شأن إلهها في عيون أعدائها، فكان عمل دانيال المعجزي في جب الأسود أقوى في تأثيره من نصره جيش، وأشدّ عملاً في قلوب الأعداء من عشرة أنبياء!!

٣٤ : ١١ «أطفأوا قوّة النار، نَجَوْا من حدِّ السيفِ، تَقَوَّؤا من ضَعْفٍ، صاروا أشِدَاءَ في الحربِ، هَزَمُوا جيوشَ عُرَبَاءَ.»

### هـ - «أطفأوا قوة النار»:

هكذا جاء في سفر دانيال الأصحاح الثالث:

+ «ثم أن الغلمان الثلاثة سدراك وميساك وأبديناغو سقطوا في أتون النار المتقد، مكتوفين، وكانوا يتخطرون في وسط اللهب يسبحون الله ويباركون الرب.» (٣ : ٢٣ حسب السبعينية)  
 + «وأثماً ملك الرب فانحدر مع الذين كانوا مع عزريا في الأتون ونفض لهيب النار من الأتون وصنع في وسط الأتون مثل الندى، ولم تمسّهم النار البتّة ...» (دا ٣ : ٤٩ و٥٠ حسب السبعينية)

+ « فسمع حينئذ نبوخذنصر الملك تسييحهم ونهض مسرعاً، وقال لعظمائه، أما ألقينا في وسط النار ثلاثة رجال مكتوفين ... ها أنذا أرى أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وليس فيهم فساد، ومنظر الرابع يشبه ابن الله، حينئذ تقدّم نبوخذنصر إلى باب الأتون وقال يا سدراك وميساك وأبدناغو عبيد الله هلم خارجاً، فخرج سدراك وميساك وأبدناغو من وسط النار ... ولم يكن للنار قوة على أجسادهم ولم يحترق شعر رؤوسهم ولا تغيرت سراويلهم ورائحة النار لم تكن فيهم. فسجد الملك أمام الرب ... وقال تبارك إله سدراك وميساك وأبدناغو الذي أرسل ملاكه وخلّص عبيده لأنهم آمنوا به ... » (١١: ٣١د-٩٥)

وكانت شهادة إيمان الثلاثة الفتية سبباً في كرامة اليهود جميعاً في كل مملكة نبوخذنصر وتكريماً لله إلههم.

و- « ونَجَوْا من حد السيف »:

موسى يعترف بفضل الله هكذا: « إله أبي كان عونني وأنقذني من سيف فرعون. » (خر ١٨: ٤)

وهذا داود أيضاً نجا من سيف شاول: « فأرسل شاول رسلاً إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه في الصباح ... فأنزلت ميكال داود من الكوة فذهب هارباً ونجا. » (١ صم ١٩: ١١ و١٢)

وهذا إيليا أيضاً أمام سيف إيزابيل: « وأخبر أخآب إيزابيل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء (الكذبة) بالسيف. فأرسلت إيزابيل رسولاً إلى إيليا تقول هكذا تفعل الآلهة (الشياطين) وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم في نحو هذا الوقت غداً » (١ مل ١٩: ٢١). أمّا إيليا فأخذ في مركبة نارية إلى السماء حياً؛ أما هي فلحست الكلاب دمها!

وكيف يقوى سيف الناس على أولاد الله، وكلمة الله أقوى من كل سيف ذي حدين!!

ز- « تقووا من ضعف »:

جدعون مثلّ للضعيف الأقوي من القوي: كان جدعون يهرب حنطة من وراء المديانيين الذين هزموا إسرائيل واستولوا على الأرض:

+ « فظهر له ملاك الرب وقال له: الرب معك يا جبار البأس. فقال له جدعون أسألك يا سيدي إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟ وأين كل عجائبه التي أخبرنا بها آبائنا قائلين ألم يُصعدنا الرب من مصر. والآن قد رفضنا الرب وجعلنا في كفّ مديان. فالتفت

إليه الرب وقال اذهب بقوتك هذه وخلص إسرائيل من كف مديان. أما أرسلتُك؟ فقال له: أسألك يا سيدي بماذا أخلص إسرائيل؟ ها عشيرتي هي الذئلي في منسى وأنا الأصغر في بيت أبي. فقال له الرب إني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد.» (قض: ٦: ١٢-١٦)

وقد انتخب جدعون من كل إسرائيل ثلاثمائة رجل بإرشاد الله وصرف كل جيش إسرائيل إلى بيوتهم: «فقال الرب لجدعون بالثلاث مائة الرجل الذين وُلِّغُوا أُخْلِصْكُمْ وَأُدْفِعِ الْمِديَانِيِّينَ لِيَدِكَ» (قض: ٧: ٧). وبالثلثمائة رجل وعلى رأسهم جدعون هزموا جيش المديانيين وكان قوامه: الذين سقطوا ودُبحوا مائة وعشرون ألفاً والذين هربوا خمسة عشر ألفاً. وذبح جدعون ملوكهم الثلاثة. نعم هذا ما حدث بالحرف الواحد، والقصة شائعة لأنها قامت على أعظم خديعة حربية سمعت بها جيوش العالم، اقرأ سفر القضاة الأصحاح السابع والثامن.

ثم أليس هذا هو الضعف عين الضعف الذي لم تبلغه قوة على الأرض، وقد علم هذا بولس الرسول في نفسه ونادى بها كقول الرب: «لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢ كو ١٢: ٩) للذين يؤمنون! وأمثلة الضعف الذي صار قوة بيد الرب كثيرة، من نساء إسرائيل بل ومن أنبيائهم وقديسيهم بل وملوكهم الذين احتموا في قوة الرب فعملوا الأعاجيب ولا يزال!

ح - «صاروا أشداء في الحرب»:

كل الحروب التي دخل فيها داود الملك انتصر فيها بقوة وعدد أقل من أعدائه بكثير، لأن قوة داود كانت بالرب والإيمان الصادق بوعوده. ولكن أعظم مثل للشدة في الحرب بما لا يتناسب وحجم الأعداء كان أيام المكابيين، وقصصهم كلها مذهلة، وصدّق القول فيها أن واحداً كان يهزم ألفاً، وكذلك القول الأخير في أنهم «هزموا جيوش غرباء»، وذلك معروف من جهة حروبهم مع الرومان ومع السلوقيين ملوك سوريا.

٣٥: ١١ «أخذت نساءً أمواتهنّ بقيامةٍ، وآخرونَ عُذِّبوا ولم يقبلوا النِّجاةَ لكي ينالوا قيامةً أفضلَ.»

هنا أراد أن يستعرض نوعين من الإيمان: نوع آمن أن الله قادر أن يقيم موتاهن من الموت فأقامهم، ونوع فضّل الموت عن القيامة الصغيرة والقليلة الأيام لينال قيامة أبدية. إنه نوع من الإبداع في الأدب البلاغي.



أمّا النساء اللاتي ظَلَبْنَ فكان هنَّ أن يقوم موتاهن لهذه الحياة حُبّاً للحياة ولم. فهما امرأتان واحدة أممية شديدة الإيمان برجال الله وشديدة المحبة لهم وشديدة الفقر أيضاً، تلك هي أرملة صِرْفَةَ صيدا الأممية الفقيرة جداً التي نزل عندها إيليا بأمر الرب، وهي صاحبة آخر متاع لها في الدنيا، كوار الدقيق الذي لم يفرغ وكوز الزيت الذي لم ينقص إلى اليوم الذي أعطى فيه الله مطراً على الأرض، أكلت هي وهو ابنها أياماً. وحدث بعد ذلك أن ابنها مرض مرض الموت فصرخت لإيليا وصرخ إيليا إلى الله:

+ « فتمدّد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل به من العِلْيَةِ إلى البيت ودفعه لأُمّه. وقال إيليا: انظري، ابنك حي. فقالت المرأة لإيليا: هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق. » (١ مل ١٧ : ٢١-٢٤)

أمّا المرأة الأخرى فهي إسرائيلية غنية ذات حيثية، صاحبة ضيافة وصاحبة أمانة في رجال الله:

+ « وفي ذات يوم عبر أليشع إلى شونم، وكانت هناك امرأة عظيمة *μεγάλη* فأمسكته ليأكل خبزاً، وكان كلما عبر يميل إلى هناك ليأكل خبزاً، فقالت لرجلها قد علمت أنه رجل الله مقدّس الذي يمر علينا دائماً فلنعمل عُليَّه على الحائض صغيرة ونضع له هناك سريراً وخواناً (دولاب) وكرسیاً ومناارة (مصباح يُقَاد بالزيت)، حتى إذا جاء إلينا يميل إليها ... إنه ليس لها ابن ورجلها قد شاخ (فدعاها وقال لها) في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً ... وكبر الولد وفي ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحَصَادِين ... (وأصيب بضربة شمس شديدة) ومات!

ودخل أليشع البيت ... فدخل (العُلْيَةِ) وأغلق الباب ... وصلى إلى الرب ... فعضت الصبي سبع مرات ثم فح الصبي عينيه ... فدعاها ولمّا دخلت إليه قال: احمل ابنك. فأتت وسقطت على رجله وسجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت. » (٢ مل ٤ : ٣٧-٨)

وهكذا اشترك إيمان هاته النسوة بإيمان هؤلاء الأنبياء الأشداء، فخرج لنا عملاً فريداً من نوعه يوقفنا أمام قبر لعازر لنربط الماضي بالحاضر ونرى مسيحنا يهوه هو بعينه يهوه إيليا وأليشع، ويهوه الشوغية، وأرملة صرفة صيدا، أخت الكنعانية التي أكلت الفتات من تحت مائدة الرب. نعم لا يفرّق بين أممي وبهودي يطلب الإيمان أينما كان: « حيثنذ أجاوب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدن. » (مت ١٥ : ٢٨)

ثانياً: الذين تحمّلوا مشقّات عظيمة:

«وآخرون عُذّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل»:

الألم الذي هو أعظم من النجاة!!

«عُذّبوا»: ετυμπανίσθησαν

الكلمة اليونانية تعني: «ضُربوا حتى الموت».

هنا يضع بولس الرسول موازنة ترفع من شأن هذا العذاب حتى المجد! لأنه إن كانت القيامة من الأموات تُحسب أعلى وأشد الإيمان كالذي احتسب لإبراهيم براً، فهنا يضع بولس الرسول إيماناً أعلى من إيمان القيامة من الأموات، هو قبول الموت رجاءً في قيامة أفضل من قيامة ابن الشوفاة أو ابن امرأة صرفة صيدا! هذا هو الإيمان الأقوى من الموت، أو هذا هو الانتصار فوق الموت.

وبولس الرسول حينما أتى بهذه الكلمة اليونانية أعلاه، استحضرها بذاتها من الذاكرة من النص الموجود في سفر المكابيين الثاني في رواية تعذيب أليعازر والسبعة الشهداء وأهمهم (٢ مك ٦ و ٧). ومعروف أن «التعذيب» بمفهومه اليوناني كان له أداة تعذيب خاصة يرقد عليها الشهيد ويُشدُّ ويضرب على ظهره حتى الموت! (٣١). وكان هذا نصيب أحد نبلاء إسرائيل المكابيين، اسمه أليعازر، الذي رفض النجاة بالفعل وقبّل الموت بهذا العذاب، ولم يتنازل عن ولائه لله (٢ مك ٦: ١٩ و ٢٨). وبعده جاءت قضية السبعة وأهمهم (لا يزال يُعيّد لهم في الكنيسة القبطية حتى اليوم في ٨ مسرى) الذين قبلوا العذاب حتى الموت واحداً بعد واحد وأهمهم تشجّعهم واحداً واحداً حتى جاء دورها، والسبب المعروف هو إيمانهم المنطوق بالقيامة من الأموات. ولَمَّا جاء دور أحد الأبناء خاطب الملك (٣٢) بشجاعة: «إنك أيها الفاجر تسلينا الحياة الدنيا ولكن ملك العالمين، إذا مُننا في سبيل شريعته، فسُقيمتنا حياة أبدية.» (٢ مك ٧: ٩)

31. Bruce, *op. cit.*, pp. 330, 337f.

(٣٢) الملك هو أنطيوخوس إبيفانيس Antiochus Epiphanes مات سنة ١٦٣ ق.م. وهو ملك سوريا سنة ١٧٥ ق.م. ولُقّب إبيفانيس يعني الشهير أو البارح أو الماهر. وكان سبب نزاعه المربع مع المكابيين هو تصميمه على نشر الثقافة اليونانية، وكان القصد توحيد سوريا وفلسطين، وقد قاومه اليهود بعنف مرعب وإن كان قد نجح في البداية في شراء دعة ياسون ومينولاوس اللذين اشترى رئاسة الكهنوت منه. وفي سنة ١٧٠ ق.م. هاجم أورشليم ونجّس الهيكل. وفي سنة ١٦٨ ق.م. أعاد موجة من أعنف ما يمكن ذبحاً وقتلاً لِنهْي على اليهودية كدين، وقد منع كل العواید اليهودية تحت تهديد الإعدام. وقد أقام طقوس العبادات الوثنية داخل الهيكل. وبالنهاية قامت الثورة المكابية التي أجبرته على التراجع نحو بلاد فارس حيث مات. وأعماله مذكورة في كتاب المكابيين.

وآخر مدّ يده ورجليه ليربطوه ويَشَحِّلُوهُ، فقال: «إني من رب السماء أُوتيتُ هذه الأعضاء، ولأجل شريعته أبذلها، وإياه أرجو أن أستردها من بعد» (٢ مك ٧: ١١)، والآخر قال: «هكذا ما يتوقعه الذي يُقتل بأيدي الناس من رجاء إقامة الله له. أمّا أنت (أيها الملك) فلا تكون لك قيامة الحياة.» (٢ مك ٧: ١٤) (٣٣)

٣٦: ١١ «وآخرونَ تَجَرَّبُوا في هُرْءٍ وَجَلَدٍ ثم في قُبُودٍ أيضاً وَحَبْسٍ.»

في الآية السالفة نرى الشهداء المكابيين عذبوا وماتوا رافضين النجاة طالبن قيامة أفضل، هنا التعذيب لم يُفَضِّصِ إلى الموت، ولكن أفضى إلى تعذيب وتعذيب. فهنا إيمان احتمال التعذيب!!

هذا إرميا النبي الرهيف الإحساس والوجدان، الصادق التنبؤ الذي لم يَهَب وجه الملوك:

+ «فغضب الرؤساء على إرميا وضربوه وجعلوه في بيت السجن، ... فلما دخل إرميا إلى بيت

الجب وإلى المقبيات أقام إرميا هناك أياماً كثيرة.» (إر ٣٧: ١٥ و١٦)

+ «فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل (إرميا) لأنه بذلك يُضعف أيادي رجال الحرب

(كان يتنبأ على أورشليم بالهزيمة أمام الكلدانيين) الباقين في هذه المدينة وأيادي كل

الشعب إذ يكلمهم بمثل هذا الكلام. لأن هذا الرجل لا يطلب السلام (كذا) لهذا الشعب

بل الشر. فقال الملك صدقيا، ها هو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء. فأخذوا إرميا

وألقوه في جب ملكيًا ابن الملك (مخصوص للتعذيب) الذي في دار السجن ودثوا إرميا بحبال

ولم يكن في الجب ماء بل وَخَلٌّ، فغاص إرميا في الوحل» (إر ٣٨: ٤-٦)، والذي

أخرجه من الجب قبل أن يموت رجل حبشي (إر ٣٨: ٧).

وها هو إرميا يحكي عن تجاربه وهزؤ الناس به قبل أن يجلدوه ويلقوه في الجب، وهو يشتكي

أنه إنما كان يقول الحق وينقل كلمة الله بالصدق:

+ «قد أفتعنتني يا رب فافتعنت، وألححت عليّ فغلبت. صرتُ للضحك كل النهار، كل واحد

(٣٣) يقول العالم بروس في شرحه على هذه الآية صفحة ٣٣٨:

الكنيسة اليونانية تُعَبِّد في أول أغسطس هؤلاء الشهداء المكابيين وتدعوهم الشهداء العظيم قبل الشهداء *πρό μαρτύρων μέγιστοι μάρτυρες*. والقديس غريغوريوس التزييزي يدافع عن التعبد لهم مع الشهداء المسيحيين على أساس | إن كانوا هكذا تحملوا التعذيب بشجاعة قبل مجيء المسيح فإنهم بسلوكتهم هذا لو كانوا قد عاشوا حتى المسيح ورأوا موته كمودج لكانوا يعملون أكثر | العظة (١٥) على تعبد المكابيين.

استهزأ بي، لأنني كلما تكلمتُ صرختُ، ناديتُ: ظلم واغتصاب، لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرية كل النهار، فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد اسمه، فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي، فمللتُ من الإمساك ولم أستطع. لأنني سمعت مذمّة من كثيرين. خوف من كل جانب يقولون: اشتكوا، فنشكّي عليه، كل أصحابي يراقبون ظّلعي قائلين لعله يطغى فنقدر عليه ونتنقم منه. ولكن الرب معي كجبار قدير.» (إر٢٠: ٧-١١)

٣٧: ١١ «رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، ماتوا قَتْلًا بالسيفِ، طافوا في جُلُودِ عَتَمٍ وَجُلُودِ مِغزَى، مُغْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُدْلَيْنَ.»

«رُجِمُوا»:

أمّا الرجم، فاستقر رأي أبحاث الآباء منذ القديم أنه هو إرميا بعينه، الذي رجوه في مصر، بعد ما تنبأ عليهم بالفناء في الغربية هناك (٣٤) بسبب عبادتهم أصنام مصر والتبخير لها.

والرب يسوع يشهد على أورشليم أنها قتلت ورجمت أنبياءها (مت ٢٣: ٣٧)، والقديس الشهيد إستفانوس يكرّر ذلك: «أي الأنبياء لم يضطهده أبأؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار» (أع ٧: ٥٢). والرب أيضاً يكشف عن جريمة قتل تمت بين المذبح والهيكَل، وهو زكريا بن بَرخِيَّا، وهو زكريا النبي المذكور اسمه بوضوح في أول النبوة الخاصة به: «في الشهر الثامن في السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب إلى زكريا بن بَرخِيَّا بن عَدُو النبي.» (زك ١: ١)

ولكن هناك قراءة أخرى مرّجحة أن يكون هو زكريا الكاهن بن يهوياداد الذي قتله الملك يوآش والمذكور في أخبار الأيام هكذا:

+ «وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا. ولبس روح الله زكريا بن يهوياداد الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم: هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون؟ لأنكم تركتم الرب، قد ترككم. ففتننا عليه ورجوه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب ... وعند موته قال، الرب ينظر ويطلب.» (أي ٢٤: ١٩-٢٤)

ولينتبه القارئ لأن هنا القرينة التي ترجّح أن هذا الكاهن هو المقصود من كلام الرب يسوع، لأن الرب قال: «لكي يُطلب» من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المُهرق منذ إنشاء العالم. من

34. Tertullian, *Scorpion Antidote*, I,8; Jerome, *Against Jovinianus*, II,37 (NPNF, 2nd Ser., Vol. VI, p. 415).

دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم إنه "يُطلب" من هذا الجليل." (لوقا: ١١: ٥٠)

فتأكيد الرب على كلمة "يُطلب" هي نفس الكلمة التي صرخ بها زكريا وهو يموت: «الرب ينظر ويطلب». كذلك في الآية الواردة هنا في إنجيل ق. لوقا لم يذكر الرب إلا اسم «زكريا» فقط وهذا يرجح جداً أنه هو الكاهن الوارد خبر موته في أخبار الأيام الثاني.

«نُشروا»:

أما هذه الميتة الغربية والمُزعجة جداً للنفس، فكانت من نصيب إشعياء عظيم الأنبياء!! وهذا الخبر وارد في أبوكريفا «صعود إشعياء». والجزء الوارد فيه هذا الخبير قد تأكد أنه أصيل وأنه مدون بيد مؤرخين يهود، إذ وُجد له أصول في مخطوطات وادي القمران<sup>(٣٥)</sup>. والمخطوطة في الأصحاحات (١: ١-٣)، (١٢)، (٥: ١-١٤) (وهي مطابقة لما جاء بمخطوطة وادي القمران) تقول إن إشعياء لكي يتلافى السخط الذي كان في أورشليم والشر المنتشر فيها أيام منسى الملك، انتقل من أورشليم إلى بيت لحم، وبعد ذلك اختفى في التلال المتاخمة، ولكنهم قبضوا عليه هناك ونشروه بمنشار الخشب إلى نصفين!! وقيل أن يلفظ نفسه الأخير، نصح تلاميذه أن يهربوا من الاضطهاد إلى فينيقية (أي لبنان الآن)، أما عن نفسه فقال: «ولكن عن نفسي فقد مزج لي الله هذا الكأس.» (أصحاح ١٣: ٥)<sup>(٣٦)</sup>

«طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذللين»:

لما أحكم أنطيوخس الحصار ليثني اليهود عن عبادتهم وحفظهم السبت، فهربوا هم وبنوهم إلى الجبال وتركوا كل ما كان لهم: «حينئذ نزل كثيرون إلى البرية ممن يبتغون العدل والحكم ليسكنوا هناك هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم لأن الشرور كثرت عليهم. فأخبر رجال الملك والجند الذين كانوا في أورشليم في مدينة داود بأن رجالاً من الناقضين لأمر الملك قد نزلوا واختبأوا في البرية. فجرى كثيرون في أعقابهم فأدركوهم وجيشوا حولهم وناصبوهم القتال في يوم السبت (خاصة) وقالوا لهم: هل تقاومون (في السبت) فأخرجوا وافعلوا كما أمر الملك فتحبوا. فقالوا، لا نخرج ولا نفعل كما أمر الملك لئلا نُدنس يوم السبت. فأناروا عليهم القتال فلم يردوا عليهم ولا

35. Sanhedrin, 103b.

Justin, *Dialogue with Trypho*, 120.

Tertullian, *On Patience*, 14.

36. Bruce, *op. cit.*, p. 341.

رموهم بحجر ولا سدّوا محبتناهم قائلين: لتُمتّ جميعاً في استقامتنا والسماء والأرض شاهدتان لنا بأنكم تهلكوننا ظلماً. فهجموا عليهم وقتلوه في السبت فهلكوا هم ونساؤهم وبنوهم ومواشيهم وكانوا ألف نفس من الناس.» (١ مك ٢: ٢٨-٣٨)

+ «أمّا يهوذا المكابي فقد تنحّى إلى القفر وكان يعيش في الجبال بين الوحوش مع أصحابه وكانوا يكتنون آكلين العشب طعاماً حتى لا يتدنّسوا برجس (أنطيوخس).» (٢ مك ٥: ٢٧)

+ «فإن امرأتين سعيي بهما أنهما ختنتا أولادها فعملقوا أطفالهما على أنديهما وطاقوا بهما في المدينة علانية ثم ألقوهما من السور.» (٢ مك ٦: ١٠)

+ «ولجأ قوم إلى مغاير كانت بالقرب منهم لإقامة السبت سرّاً، فوثي بهم إلى فيلبس، فأحرقهم بالنار وهم لا يجترئون أن يدافعوا عن أنفسهم إجلالاً لهذا اليوم العظيم.» (٢ مك ٦: ١١)

٣٨: ١١ «وهم لم يكن العالم مُستحقاً لهم. نائهن في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض.»

قد أرسلهم الله إلى العالم ليؤدوا رسالة وتعليماً وشهادة عن الله والإيمان والحق، ويوعّوا الناس فيما يخص حياتهم الأبدية، ويحدّروهم من مخالفة الله، ويخبروهم بحتمية الدينونة للخطاة. لأن الله يحب العالم حقاً، ويودّ أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون، ولكن لأن العالم أهانهم وردّهم وآذاهم في أجسادهم ونفوسهم ورفض السماع لهم ثم قتلهم، فقد أثبت العالم أنه مستحق للدينونة وأنه فعلاً غير مستحق لهم. أما الذين قبلوهم من العالم فقد أثبتوا أنهم ليسوا من العالم وأنهم مستحقون لكلمة الله التي جاءتهم على أفواههم، وقد ربّحوا نفوسهم والحياة ورضا الله. أمّا هؤلاء الشهداء القديسون فقد أدّوا الرسالة والأمانة ولم يخسروا شيئاً، بل ربّحوا محبة الله وعطفه والمكافأة الحسنة، وسيكونون أداة دينونة للذين قتلوهم بلا رحمة، فدمهم سيتكلّم ويشهد بما فعل فيهم كما حدث في هابيل الذي صعد دمه صارخاً من ظلم أخيه.

«نائهن في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض»:

ويكمّل القديس الإلهي هذه المقولة هكذا: «من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح» (قسمة الصوم الكبير). وإن كان ق. بولس هنا يتكلّم عن ما قبل المسيح. يا لها من مقولة، ويا له من وصف الإنسان عندما ينبذه العالم فيخرج هائماً على وجهه يلتجئ إلى الطبيعة في براريها وجبالها

ويحتسب في صخورها ومغاييرها وشقوقها، أمّا في نظر العالم فهذا هو الشقاء كل الشقاء، أما في نظرهم فهذا هو الحب كل الحب، لأن الإنسان عندما يُهان ويُرفض ويُذل من أجل الله والمسيح وهو لم يعمل شراً ولا أتى سوءاً لأحد فيقول بطرس الرسول أن هذا يكون «فضلٌ عند الله»! (١بط ٢: ٢٠). عجباً! بل وإن «روح المجد والله يحل عليكم»!! (١بط ٤: ١٤). هذا حق، بل ولن يحس الإنسان بحب الله بهذه «العظمة» وهذا الفضل العميم إلا إذا ذاق الرفض والغربة من العالم. فقد أحسّها كثير من الأنبياء القدامى، وعاشها إيليا وإشعيا في أواخر أيامه الذي نُشر وهو في البرية يعبد. لقد أحسّها بولس الرسول فأدخلها ضمن لاهوته، وقال إن العالم صُلب له أي مات عن كل ما للعالم وقد قام، لحياة ملؤها الحب والسعادة الروحية الفائقة، واشتهى الدرجة الثانية بعد الخروج من العالم، أن ينطلق ويكون مع المسيح أفضل جداً. وهكذا فإن ظلم العالم الفادح وقبول التائب من أجل الحق والإيمان عن حب لله والناس، أهل الإنسان أن يكون مع الله والمسيح هنا وهناك. يا له من سر عجيب قد كشفه بولس الرسول بقوله عن ذوق واختبار: «إن كُتبا نتألّم معه لكي نتمجّد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧). غير أن ق. بولس يتكلّم هنا عن الآباء الأماجد قبل المسيح الذين عانوا من أجل الحق وكلمة الله.

أمّا قوله: «تائهين»، فما أحبها كلمة وما أعزّه منهباً عند النساك والعُباد وعاشقي التقوى قديماً وحديثاً. فشيء هو أن يسكن الإنسان في قصر ثم شيء آخر أن يسكن في كوخ حقير، ولكن أن لا يسكن الإنسان قط فهذا هو طقس الذين خلعوا أجسادهم قبل أن يخلعوها. لا «مرتبة» مريحة ولا وسادة ناعمة ولا غطاءً دافئاً، بل «في العراء بيت» كما كان يصنع معلمنا المسيح. تحت صخرة أو في ظل شجرة يخطف نعاسه ثم يقوم يسبح الذي لا يغفل ولا ينام. يطوي البلاد سائراً بل مسبّحاً، ويقطع الجبال والدروب والفيافي متأملاً، لا يدري أين هو ولا يدري إلى أين يسير، يقوده ملاكه ويحرسه جناح الله الذي «في ظل القدير بيت» (مز ٩١: ١). وكان هذا حسب علمنا طقس السّواح الذين يوصفون بالمجاهدين، فلكل براري مقدّسة سّواحها، ولكل جبال الله سّواحها، ولكل زمان سواحه، ويوجد سواح لكل البراري والجبال والأجيال، هؤلاء يغتذون من حشيش الأرض ويكتفون بندى السماء ماءً. ثيابهم على أجسادهم لا تبلى، وأعوازمهم يأخذونها من مدبّرهم السماوي في أوانها، فهي أسرار قلّ من درى بها وأقل من ذلك من اكتحلت عيناه برؤياهم. كان لهم في زمان التقوى طقس تُجره لهم الكنيسة ويستسيرون بعلمها وصلاتها، وتستغيث هي بهم في عوزها وضيقتها.

كم من كنائس صلّوا فيها في غير مواعيدها، وكم من كنائس مخفية لا يزالون يقيمون الخدمة

فيها في مواعيدها، بل وكم من بيوت أنقياء زاروها وأكلوا فيها وصلّوا، ومرضى زاروهم وشفوهم، ومتوحدين آزرهم وعزّوهم وشدّدوهم. ساعدتهم طبيعتهم على ركوب مُتْن السحاب والانتقال عبر البلاد والقارات لعمل الآيات والمعجزات، وتعريف النفوس بالنفوس، وكشف المستور لعيون المختارين، واستعلان مسرات الله لمتّقي الله. كم مِنْ تائه أعادوه للطريق، وكم من جائع مُدْئِف على الموت أسعفوه بالطعام، ولكن من ضعف أرواحنا ضاق عالمهم في نظرنا واختفى، فضاقوا هم بعالمنا وقلّت قدرتهم على التجلي. يروننا ولا نراهم، وإن رأيناهم يعرفوننا ولا نعرفهم، وإن أرشدونا لا نسمع لهم. ذخيرة حياتنا منظورة لهم، يعرفون ميعاد انتهائها ويسبقون ويعطون لنا الإشارة ليسهلوا علينا نفص الجسد لأخذ الألبهة للسفر.

وعلى السائح أن يسلمّ الوديعة لآخرفقد جعل هذا الطقس لا يفنى، فلا يزيد ولا ينقص.

أمّا قوله عن «المغاير» فهذا لا يزال صدها يرن في بعض الآذان، لأنه كان إلى زمن قليل طقساً جليلاً. وإن كان ق. بولس هنا يركّز على ما قبل المسيح، ولكن معروف أن كل طقوس النسك والعبادة التوحيدية وحياة المغاير كلها بدأت في العهد القديم. حتى الرهبنة الديرية بشكلها البتولي بدأت بالأسسينيين اليهود في وادي القمران والثرايبوتا في بحيرة مريوط غرب الإسكندرية، وكانوا أول مَنْ قَبِل الكرازة بالمسيح في مصر.

طقس تعتزه به الكنيسة، تُقيمه لمختارين اختاروا حياة الوحدة عن تسليم ولياقة، وكان لهذه الحياة تدبيرها ومعلميها الذين أتقنوا أعمالها وخدماتها وأسهارها وصلواتها، ومنهم كانوا رؤوس الرهبانية المعروفين بالإفراز والحكمة والتدبير، الذين ملأوا براري مصر وجبالها بالرهبان الذين يستسيرون بسيرتهم. وكانوا للكنيسة سنداً تستند إليه في تدبيرها وعلمها وروحانياتها فاغتنت بهم وفاض غناها على المؤمنين، ولكن لكل زمان حاله.

أمّا عن «شقوق الأرض»، فهذه هي المغاير الطبيعية التي لم تحفرها يد، يلجأ إليها العبّاد من الناس والنسك الذين يفرّون من العالم تحت ضيق الاضطهاد إلى أن يزول الضيق والاضطهاد. وكانت معروفة في أيام الاضطهاد في الستين الأولى للكنيسة في كل بلد وقطر، وقد تكلم عنها كثيراً سفر المكابيين قديماً، والتاريخ الكنسي المسيحي مليء بنماذج من هذه الملاجئ الطبيعية التي كان يعيش فيها الرجال حتى بعائلاتهم إلى أن يزول الضيق أو لا يزول، ويستشهدون فيها عندما يُكتشف أمرهم. ويُعرف بعضها بالسرديب وهي شقوق طبيعية تحت الأرض، ومنها سرديب روما المشهورة وسرديب جبال الكبادوك في شمال تركيا وهي أعظمها وأكثرها، وحوائلها مائة بأسماء



الشهداء الذين استشهدوا فيها أو ذُفِنوا بالمئات. وقد تعرّف العلماء على كثير منها بتدقيق وأرّخوا لزمانهم بأكثر تدقيق (٣٧).

١١: ٣٩، ٤٠ «فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم يتألوا الموعد،  
إذ سبقَ الله فتَظَرَّ لنا شيئاً أفضلَ لكي لا يُكْمَلُوا بدوننا».

بقوله هنا «كلهم»، يصبح المقصود جميع هذه المُثُل العالية في الإيمان والبذل والصبر والاحتمال، سواء ما قبل دخول أرض الموعد أو ما بعد ذلك حتى إلى مجيء المسيح. ويصبح معنى «لم يتألوا المواعيد» متضمناً وعود الله لداود أن من نسله يجلس على كرسيه إلى الأبد، حيث لم يتحقّق هذا إلاً في المسيح. وبهذا يصبح مفهوم الآية (٤٠) يوضّح أن تأتّي الله على هؤلاء المشهود لهم بالإيمان وتدخل إرادته بل مسرّته أن يتألّم معظمهم الآماً هكذا شديدة وهكذا طويلة، كان بقصد الإعلان عن إيمانهم الصادق الذي استحق لهم بالفعل أن يكونوا شركاء الموعد بل كل المواعيد والميراث الحقيقي المعدّ في السماء. ثم كونهم يموتون دون أن يحققوا أو حتى يتحقّقوا من هذه المواعيد، فهذا أولاً أعظم شهادة لهم، وثانياً لكي يُستعلن مستوى رجائهم الحي في الله وفي حتمية تكميل مواعيده.

ومن هنا يبرز المعنى العميق، أنه حتى نحن وقد صرنا في عمق تحقيق مواعيد الله ولنا الموعد المحقّق نحياه بالفعل في شخص ربنا يسوع المسيح الابن الوحيد، الذي فتح لنا الطريق والباب إلى الله والميراث المُعدّ، إلا أننا لا زلنا نترجّى تمام المواعيد وإن كُنّا نحياه بالإيمان، وهو استعلان الرب من السماء لبدء الحياة الجديدة في الميراث الحقيقي السماوي مع الله. وهكذا وإن هم كانوا يترجون في البدء الموعد على الأرض والميراث، ثم امتد رجائهم في مجيء المسيح لنوال ما هو أفضل، صرنا نحن، ونحن نحيا في عهد المسيح، على مستوى الترتجي أيضاً لما هو أفضل في استعلانه الثاني مجدداً من السماء، وبذلك لم يُكْمَلُوا بدوننا ولا نحن تكملنا بدون الآتين بعدنا، فالكل ينتظر تمام تكميل المواعيد حتى يشترك الجميع في الإيمان الواحد والاحتمال الواحد والضيق الواحد، ليتزكى إيمان كل إنسان تعيّن لميراث الحياة الأبدية مع المسيح والله.

وهنا بولس الرسول يوجّه إيمان وصبر هؤلاء العبرانيين، أنه قد وُضِعَ لنا «الإيمان» كما وُضِعَ لنا احتمال الآلام لتزكية الإيمان، سواءً بسواء. لذلك أصبح الجهاد والمثابرة أمراً حتمياً لا مفر

منه، إن كنا حقاً نؤمن، وإن كنا حقاً نود أن يتزكى إيماننا لنوال تمام المواعيد. على أنه كما ابتداء إيمان إبراهيم الذي تزكى بالإيمان بالقيامة من الأموات، هكذا يتحتم أن الذين تعينوا ميراث وعد الله أن يشتركوا في إيمان إبراهيم بالقيامة من الأموات. لأن بالنهاية لا بد أن نعيش هذه القيامة عينها في واقعها الكامل في شخص ربنا يسوع، أي نعيش ملء الإيمان الحقيقي الكامل حتى يتزكى - كل إنسان - لنكون جميعاً جسداً واحداً في المسيح، جديداً، أي قائماً من الموت لنوال الحياة الأبدية مع الله، الذي هو عينه أصل الميراث الذي وعد الله إبراهيم به في نسله أي المسيح الرب.

## الأصحاح الثاني عشر الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان

لسان حال الأصحاح:

والآن وقد عرفنا عظمة الإيمان وانتصاراته الباهرة في أشد حلقات الظلام، فماذا نحن صانعون الآن؟

وهنا يقَدِّم بولس الرسول لهم ثلاثة خطوط فكرية عملية:

الخط الأول: (١٢: ١-١٣) الانضباط والاحتمال.

الخط الثاني: (١٢: ١٤-١٧) التمسُّك بالسلام والنقاوة.

الخط الثالث: (١٢: ١٨-٢٩) التزامات يحتمها العهد الجديد.

## الخط الأول: الانضباط والاحتمال

وينقسم إلى ثلاثة توجيهات:

- التوجيه الأول: تقديم الدوافع التي تشجع بل تحثم الانضباط والاحتمال (١:١٢).
- التوجيه الثاني: تقديم النموذج الإلهي الحي الفعال (١٢:٣و٢).
- التوجيه الثالث: القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال (١٢:٤-١٣).

(١:١٢) التوجيه الأول:

تقديم الدوافع التي تشجع بل تحثم الانضباط والاحتمال:

١:١٢ «لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا،

لنطرح كل ثقلٍ والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولتُحاضِر بالصبر في الجهادِ الموضوع أمامنا».

واضح هنا مقدار التنسيق الإبداعي الذي قدّمه بولس الرسول في الأصحاح الحادي عشر، لكي يستشهد به هنا في الأصحاح الثاني عشر. فالأسماء التي قدّمها، والتركيز على الشخصيات التي تعدّبت واحتملت العذاب المربع حتى الموت بلا رحمة، يسندها الإيمان القوي غير المتزعزع، هي لأشخاص كلهم في العهد القديم، أضاء إيمانهم كل التاريخ القديم، وبالأكثر أنه «شَهِدَ لهم»، والشهادة جاءت أحياناً واضحة من الله نفسه، «فبه (بالإيمان) شَهِدَ له أنه بار إذ شَهِدَ الله لقرابينه.» (عب ١١:٤)

ثم هنا يعود بولس الرسول ويجعل هؤلاء الذين شَهِدَ لهم ولإيمانهم في الضيقات، يصيرون هم الآن شهوداً محيطين بنا.

«سحابة من الشهود νέφος μαρτύρων ، مقدار هذه محيطة بنا»:

القصص من استخدام كلمة «سحابة»، هو أنهم من الكثرة بحيث لا يمكن عدّهم، وأنهم منتشرون حولنا وفوقنا. ولكن بولس الرسول لا يتدخل في وظيفتهم تجاه المجاهدين والمتألمين سوى

بقوله أنهم شهود. والشهود عملهم الأساسي أنهم ينقلون ما رأوه وما سمعوه إلى الله، فهذه وظيفة الشاهد الأولى. أما بعد ذلك فالشاهد لا يقف صامتاً بل يشجع المتألمين على الصبر، لأن له من آلامه التي تألم بها خبرة حية تحوّلت فيه إلى قوة فوق الطبيعة البشرية يبشّرها في المتألمين والمتضايقين والذين يجوزون التعذيب، على هيئة قوة صبر واحتمال وشكر. وهذه حقيقة مختبرة، فكم مرّة نخرج من الضيقة والاضطهاد بل والتعذيب منذهلين كيف صبرنا، كيف احتملنا، كيف في أتون الضيقة والعوز والمرارة كنا شاكرين بل كنا متهللين. أليس هذا ما نسمعه تماماً في قصص الشهداء أنهم نالوا قوة ومعونة فوق العادة وعبروا الموت بتهلل!؟

وبما للتنسيق الذي نشّقه بولس الرسول في الأصحاح الحادي عشر، إذ قدّم جميع أصناف العوّذ والألم والغربة والجوع والعطش والعري والسيوف والحرق والحرب والسبي والإذلال والمهانة والكرب الشديد، حتى يختار كل واحد منّا من هذه السحابة المصنّفة من يستطيع أن يبشّره معونة في حينها ويرى فيه نموذج الصبر والانتصار.

إذاً، فنحن لا نتألم وحدنا أو كأن ليس لنا من ينظر ويسمع ويكتب، بل ويستد ويعين. فالذين دُبِحوا وصلبوا وتقطّعوا وأحرقوا وأغرقوا، وصبروا حتى الموت، لم يجوزوا هذا العذاب لحسابهم وحدهم، فلنا في محنتهم نصيب. فإن كان ق. بولس قالها وهو حي: «من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا أتهب» (٢ كو ١١: ٢٩)، ألا يقولها ويعملها الآن وهو مترجّع على عرش مجد الشهادة وفي يده قوة النصر على حد السيف؟ وهل يمكن أن نتناسى كيف سلّم إيليا ضعفين من قوته إلى أليشع بعد أن انتقل مباشرة في مركبة نارية، وفي الحال مارسها أليشع ليستوثق من صدق المقولة وصدق التنفيذ:

+ «ورجع (أليشع) ووقف على شاطئ الأردن فأخذ رداء إيليا الذي سقط عنه وضرب الماء وقال: أين هو الرب إله إيليا، ثم ضرب الماء أيضاً فانفلق إلى هنا وهناك فعبّر أليشع.» (٢ مل ٢: ١٣ و١٤)

+ «ولمّا رآه بنو الأنبياء الذين في أريحا قبالة قالوا: قد استقرت روح إيليا على أليشع.» (٢ مل ٢: ١٥)

ويصفها بولس الرسول بحكم القانون أن أرواح الأنبياء تطيع وتخضع للأنبياء: «وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء» (١ كو ١٤: ٣٢). وهذه حقيقة تشرح لنا مقدار القوة والمعونة المذخّرة لرجال الله عند أرواح الأنبياء القديسين.

كذلك كون هذه الأرواح المجيدة تأخذ موقعها من جهادنا وآلما كشهود لله، فالآن، هل يضيع أجرٌ على أي متألم؟ وأية نصرة يجتازها المظلومون والمنسحقون والمذلولون ولا تُرفع حسابهم في الحال أمام الله؟ أما هذه السحابة، وكلها ملقخة بدم الشهادة، فهي تتكلم، وأول مَنْ يتكلم فيها هابيل المقتول ظلماً من أخيه. فهذه الدماء لا تفتت ولا تنتشي عن أن تتكلم أمام الله عمّا نعانیه وعمّا نحززه من نصرة إيمان لحساب المسيح والله. فَمَنْ ذَا لا يتشجع أو مَنْ ذَا يخور: «وإن مات يتكلم بعد.» (عب ١١: ٤)

«لنطرح كل ثقل، والخطية المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا»:

وبعد أن اطمأن بولس الرسول إلى المعونة والشهادة الآتية من فوق، عاد يفثش عمّا يعيق الجهاد ويُضعف الصبر ويُقلل القدرة على احتمال الآلام والمشقات. وهنا يقسمها إلى قسمين، قسم سماء «كل ثقل»، والآخر حدّده أنه الخطية ذاتها.

«لنطرح كلَّ ثقل»:

التشبيه هنا قائم على إنسان مدعو للجري، إمّا لربح الجائزة وإمّا هرباً من هذا العالم الشرير. فأول نصيحة للذي يريد أن يأخذ أكثر سرعة وقوة في جريه هي أن يخفف من الأثقال التي عليه والتي لا تدخل في صميم الحاجة إلى الجري. وهنا لم يحدد أي نوع من الأثقال، ولكنها حتماً تكون من كل نوع، إن كانت جسدية كشهوة الأكل والإكثار منه أو الأتعمة المتأززة أو التي في غير أوانها أو ثقل زائد في وزن الجسم أو عادات ذميمة كالنوم الكثير أو شهوة البطالة وعدم العمل أو الهروب من الصوم والصلاة لراحة الجسد، أو أثقال خلقية ونفسية وسلوكية كالإدمان على المنبهات، أو ما يشاكلها، والارتباط بعادات ليست في صالح الإيمان أو حتى ضده، أو الارتباط بأشخاص مستهزئين نمامين حاقدين حاسدين متذمرين، أو الارتقاء وراء العواطف من ناحية الأهل أو الجنس الآخر، أو حتى حب السّم والضحك وقتل الوقت بل قتل الروح، ولذّة اللف والدوران وغشيان البيوت والأكل فيها إنزلاقاً وراء راحة النفس، أو جمع المال أو جمع المديح والثناء ومسك سير الناس. هذه أثقال كلها تُحسب عدواً لدوداً لمنْ ربط وسطه للجري في ميدان العبادة والنسك والصلاة الدائمة واكتساب حب المسيح والعذراء والقديسين ومعونة سحابة الشهود.

«والخطية المحيطة بنا بسهولة»:

لا تحدد اللغة هل نطرح الخطية التي أحاطت بنا بسهولة أو نطرحها عمّا بسهولة<sup>(١)</sup>؟ ولكن

الحقيقة يمكن أن تكون الحالتان. فالخطية ما أسهل دخولها وإحاطتها بالإنسان كعدو يطلب مهاجمة الإنسان لامتلاكه أو هلاكه على وجه أصح. ولكن أن نطرحها عنّا بسهولة، فهذه نصيحة من نور قلّ مَنْ قالها وعلم بها، ولكنها عين الحكمة ونصيحة الخبرة لخبير عرف أن الذي يبدأ بالحرب هو الغالب، وأن الضربة القاضية إن لم تأتِ في البداية فسيبر إن هي جاءت. لذلك يجب أن لا نستكشر الخطية أو نخافها أو نخشاها، بل كأبطال حرب وجهاد في جنديّة المسيح الشريفة ذات الأسلحة المعروفة القادرة بالله على هدم حصون الخطية والخطاة، فلنضرب ضربة إيمان لا يهتز وثبة مستعدة بالبذل والتضحية حتى الموت، فنقطع أوصال الخطية مرّة واحدة وبسرعة وبدون تردد، وفي الحال يأتينا العون من قِبَل الرب ومن سحابة الشهود العظيمة التي هذا مقدارها. فيد الرب ممدودة ولن تقصر أبداً عن أن تحارب معنا وتصد عنّا، وتغلب لنا إن نحن التجأنا إلى التمسك بها بإيمان لا يعرف النكوص، وبلجاجة تسهر للصباح، ودموع ساخنة دائماً.

«ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا»:

«ولنحاضر»: τρέχωμεν

لا نفهم من أين أتى المترجم العربي بهذه الكلمة، وهي باليونانية واضحة فهي لا تعني إلا «الجرى»، ولكن هو جرى في الجهاد بمعنى بذل أقصى طاقة من العزيمة والمثابرة مع الصبر في أداء كل الوسائل الموضوعّة أمامنا للحصول على النصر الكاملة غير المنقوصة حسب مطالب الإيمان وحسب دعوة الله لنا والواجب الملقى علينا.

ويمكننا أن نشعر بهذا كله في شهادة بولس الرسول عن نفسه في آخر أيام حياته:

+ «وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي وعييتي وصبري واضطهاداتي والآلمي مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب. وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون ... فإني أنا الآن أسكب سكباً ووقت انحلائي قد حضر. قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢ تي ٣:

١٠-١٢، ٤: ٦-٨)

علماً بأن دعوة كل إنسان يقمها الله بكل حكمة وفطنة لكل إنسان حسب ما قسّم له من إيمان. ثم إن كل تجربة يسوقها العدو علينا، يكون قد سبق قياسها بمعرفة الرب حتى تكون في نطاق قدرتنا على الاحتمال، بل ويعطي مع كل تجربة منفذاً لا يعثر عليه الإنسان إلا بالإيمان.

فحينما يطالبنا الوحي الإلهي في هذه الآية بالجري والصبر في الجهاد تحت مرأى وسمع سحابة الشهود، فإنه ليس من فراغ يطالب، ولا كأنه بدون قياس وتدبير إلهي، إذ يستحيل أن يطالبنا الله بأكثر مما أعطانا، ولا يضع علينا أثقل من احتمالنا، فهو ينتظر مثلاً النصر التي وهبنا أدواتها. لأننا حينما نتنصر، لا نتنصر لأنفسنا بل لصاحب النصر الحقيقية، فمعروف أن المناجزة بالمواهب والعطايا التي منحنا إياها هي باسمه والربح هو لحسابه ويكفيها جداً: «نعمًا أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك.» (مت ٢٥: ٢١)

(١٢: ٢ و٣) التوجيه الثاني:

النموذج الإلهي الحي الفعّال:

٣ و٢: ١٢ «ناظرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكملهِ يسوعَ، الذي من أجلِ السُّرورِ الموضوعِ أمامه احتَمَل الصَّليبَ مُستهيناً بالجزْيِ، فجلَسَ في يَمِينِ عَرْشِ الله. فتفكَّروا في الذي آحتَمَل من الخطَاةِ مقاومةً لنفسِهِ مثلَ هذه، لئلاَّ تكلُّوا وتحوُّروا في نفوسِكُم.»

إن كان مَثَلُ ق. بولس وبقية الرسل والشهداء الذين احتملوا الآلام حتى الاستشهاد يعطي تشجيعاً ويؤمّن الإنسان على طريق الآلام، لكي يسير على طريق معبّد سارت فيه أقدام قديسة هي الآن في موقع الشهود بعد الشهادة وفي مركز العطاء بعد التضريح الكلي حتى الموت؛ إلا أن نموذج الرب يسوع المسيح فريد من نوعه حقاً، لأن آلامه وتعاذيبه أكثر وأشد، ولأن قداسته ونقاوة قلبه ويديه جعلت طريق الآلام ليس معبّداً بل معبوداً حيث ينضح علينا من آثار دمانه قداسة أيضاً وبراً وطهارة فوق الشجاعة والمعونة والشركة. لأن من ينظر إلى صليب المسيح ثم يتفكّر فيما جازه من آلام، يصبح ما يعانيه من الآلام شركة!! فكل ألم نجوزه على طريق الخلاص والجهاد في الإيمان لحفظ الوديعة قد أصبح محسوباً لنا شركة في آلامه، والشركة في الآلام لا تبقى محصورة في الآلام بل تمتد إلى النور والسلام لتصبح شركة في مجد نعاينها كلما نظرنا إليه، وتملاً قلبنا وفكرنا كلما تفكرنا فيه.

فإن كانت سحابة شهود الإيمان التي سجلها لنا بولس الرسول لتبقى لنا مصدر معونة وتشجيع وإيمان، فما بالك بالرب يسوع المحسوب أنه لا شاهد إيمان ولا مشهود له بالإيمان بل هو هو رئيس الإيمان، وكل ما نقص في إيمان هؤلاء الشهود أكمله هو وأكمله إلى منتهى الكمال!!



وحينما يقول: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع»، فإنه يهيب بنا ليس فقط أن ننظر إليه مصلوباً أو مُهاناً أو مضروباً في شخصه لشخصه لكي نتشجع، بل وأن نرفع النظر العقلي والقلبي إلى «يسوع» الذي حمل خطايا العالم أجمع في جسده، مع إيمان بالنصرة، فانتصر، فمادل إيمانه خطايا كل الناس، وغلب وأفاض!! هنا تشديد بولس الرسول على لقب «يسوع» فقط هو تركيز زائد لنرى بشرتنا في المسيح وهي غالبية كل خطايا العالم بالإيمان الذي جمع «يسوع» كل عناصره، كل قوته، حتى أعماقه، حتى إلى حد المطلق منه، فهو إيمان كل الإيمان. والإيمان المطلق شأن كل «مطلق»، مهما أخذ منه لا يتقص ولا يتغير، فهو إلهي، فإذا فاض لا يفيض جزئياً بل بإطلاقه، ولكن واحسرتاه فنحن لا نلتقط منه إلا ما قسّم لنا على قدر ما نحتمل أو نستحق!

فهو لما يقول هنا: «ناظرين إلى رئيس الإيمان»، فهذا نَظَرُ الأخذ بكل القدرة، بكل الفهم، بكل الاغتصاب. فنحن نعلم تماماً ما هو النظر إلى الله وما لله! «ونحن جميعاً ناظرين بحمد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨). هنا النظر أخذ واستيعاب وامتلأك للتحوّل إلى نفس المنظور إليه، ليس بقوة أو بقدرة بل كما من الرب الروح!! «التفتوا إليّ واخلصوا.» (إش ٤٥: ٢٢)

عزيزي القارىء، المعنى مختبىء ولكنه جَدَ خطير. فحينما تثبتت نظرك الروحي القلبي في «يسوع» المتألم وهو على الصليب يحيطه الحزّي والعار والمهانة والبصاق واللعات، يترد إليك نظرك بنظره هو ليفحص قضيتك، فقد صارت قضيتك قضيته، والآمك آلامه، لأنه إنما صُلب واحتمل الحزّي والعار من أجلك، وأنت الآن تطابق المثيل على المثيل فتحمل الآلام والحزّي والعار والطرْد والإهانة من أجله، فكيف لا يَهَبُك إيمانه؟ كيف لا يَهَبُك صبره وقوة احتماله وسر نصرته؟ «في كل ضيقهم تضايق!!!» (إش ٦٣: ٩)، «يقودنا في موكب نصرته!!!» (٢كو ٢: ١٤)، «وبحُبّه سُفِينا» (إش ٥٣: ٥). ألا نصلي في الأجيبة: [ اقتل أوجاعنا بالآمك الشافية المحيية ] [ صلاة الساعة السادسة، القطعة الثانية)؟

وحينما يقول: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله»، يعطينا الرجاء الحي المبارك أن ما نقص من إيماننا هو يكمله، فالذي نخاطبه في القداس: «أكملت ناموسك عني»، فبالأولى جداً أن يكمل إيماننا. لأنه إذا ما أراد أن يقدمنا إلى أبيه فلا بد أن يقدمنا بلا لوم، فيكمل كل نقص يمنعنا من رؤية الله أبيه أو رؤية الله لنا. لهذا يقول بولس الرسول بكل وضوح: «الذي به لنا جراءة وقدم بإيمانه عن ثقة.» (أف ٣: ١٢)

«الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمال الصليب مستهيناً بالخزي»:

هنا نقلة كبيرة من احتمال الألم إلى السرور بالآلام أو الآلام من أجل السرور سيان. كان انشغال صالبي المسيح في التفنن في طرق تأليمه وتعذيبه، ولكي يزيدوا آلامه الجسدية أرققوها بمصنفات من الإهانات بالكلمة والتعبير والفضيحة العلنية، وكان اعتقادهم أنه قد سحق خزيًا وعارًا. أمّا فكر المسيح فكان مصوّباً إلى قدرة هذه الآلام ومعها الثُرى والفضيحة في مساواتها — على الأقل — بالخطايا التي حملها في جسده، والتي كانت أشد عاراً وأشد حزنًا على نفسه حتى أحزنتها وكسرتها. وهكذا كان يحس ويشق أن ذبيحة الكفارة قد استكملت مواصفاتها، فكان تنميط الكفارة بآلامه وما سينتج عن ذلك من فرح البشرية الحزينة المرفوضة وعودتها إلى المصالحة مع الله الآب، هو مصدر سرور لا يُحَدُّ، فكلما زادوا عليه الآلام كلما شعر بالسرور الموضوع أمامه، وزاد يقينه به، فاستهان بكل خزي واحتمل العار حتى النهاية، حتى الموت!!

والآن هي دعوة من بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين، ولنا نحن بالأولى، أن نختبر هذا السر الذي أشسه الرب يسوع المسيح بصليبه، أن نربط الآلام واحتمالها — كل الآلام التي تصادفنا في طريق الإيمان المسيحي — بالسرور الذي وضعه الله مربوطاً رباطاً مُحكماً بها، فيستحيل أن توضع علينا آلام ولا يكون أساسها الذي وُضعت عليه سروراً! لا نقول أنه هدف للآلام ولا مكافأة، فهذا تصوّر ضعيف لحكمة الله وتدييره، بل إن السرور وُضِع أولاً وعليه ترُكَّب الألم بإحكام. فالخلاص العجيب، وبهجة وسرور الخلاص التي ملأت العالم وعمّت البشرية، كانت هي التي حثّت بالصليب وآلامه.

وهذا السر أدركه إشعياء النبي فوضعه مبهماً: «أمّا الرب فسرّ أن يسحقه (المسيح) بالحزن» (إش ٥٣: ١٠). فأول قراءة للآية تعطي انطباعاً حزيناً كيف يُسر الله أن يكسر ابنه بالحزن. ولكن بعد تأمل وروية، وعبوراً على الصليب ونتائجه، يتضح أن الآب من أجل السرور الموضوع أمامه رضي أن يسحقه بالحزن! فإن كان هذا، وجزاز أن يكون، بالنسبة لابن الوحيد، فماذا بقي لنا إلا أن نتشرف بأن ندخل عمق هذا التدبير الإلهي البديع؟

«فجلس في يمين عرش الله»:

لا يعطيها بولس الرسول كمكافأة للذي احتمل الصليب واستهان بالخزي، ولكنه يقدم صورة للمفارقة الصارخة، أن الذي رُئي مصلوباً صابراً على الصليب ومحتلاً الخزي، هو هو نفسه يُرى الآن جالساً في يمين عرش الله. ولأن المسيح لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله بل هو أصلاً الابن الوحيد الدائم الذي في حضن الآب قبل أن يتجسّد وبعد أن تجسّد، الذي كان يُرى من الملائكة

جالساً دائماً على عرشه مع الآب. وهكذا أمكن أن نقول إن الجالس على عرشه في نظر الملائكة، وُجد مصلوباً بأيدي الناس ومُهاناً. ولكن، بعد الصليب، ولتأ عاد وجلس هذه المرة وهو "حامل جسد البشرية" عن يمين عرش الله، فلم يكن جلوسه هذا تكريماً له بل تكريماً لنا ولبشرتنا التي تكرّمت وتمجّدت فيه ليكون موقعها مع الابن عن يمين الله (رؤ ٣: ٢١)، والتي عُبر عنها بالشركة مع الآب والابن (١ يوا ٣). إذاً، فلم تكن مكافأة أن الذي صُلب وأُمين يجلس عن يمين عرش الله، بل هو إعلان واضح صارخ أن بالآلام والمعاناة واحتمال الحزّي والمهانة استطاع ابن الله أن يرفع ابن الإنسان ويُجلسه عن يمين عرش الله.

وينبغي هنا أن نعرّج على آية بولس الرسول لأهل فيليبي التي يقول فيها:

+ « لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجِدَ في الهيئة كالإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مثن في السماء ومثن على الأرض. » (في ٢: ٧-١٠)

يلاحظ القارئ هنا أن ق. بولس كان حريصاً أن يخصّص «يسوع» وليس المسيح لَمَنْ رَفَعَهُ اللهُ وأعطاه اسماً فوق كل اسم، حتى لا يُفهم أن ابن الله هو الذي رَفَعَهُ اللهُ، وذلك ليس مكافأة له على قبوله الصليب كطاعة للآب، ولكن كعملية استعلان من وضع «بشري» إلى ارتفاع فوق أعلى السموات لمعرفة اسمه الحقيقي وهو «رب»، الذي هو أعلى من كل اسم. وتكملة الآية تكشف عن هدف رفعه إلى أعلى السموات هكذا: «ويعترف كل لسان أن "يسوع المسيح" هو "رب" لمجد الله الآب» (في ٢: ١١). أي أن رفع يسوع إلى أعلى السموات لم يكن مكافأة بل لاستعلان ربوبيته التي كانت له قبل التجسّد وفي صميمه.

وهذا هو الطريق الحي الحديث الذي افتتحه بجسده المكسور لتعبر عبّر الآمه وصلبيه وعبر دمه الفادي ليكون لنا نصيبٌ وشركة في مجده وفي جلوسه هذا. فقد صدق بولس الرسول في قوله: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٦). فالذي يشترك في الآمه، يشترك في مجد جلوسه!! هنا، وهنا فقط تكون الآلام حتى وإلى تقطيع الجسد والاستشهاد واحتمال الحزّي والمهانة، طريقاً مقدّساً للدخول إلى الأقداس والجلوس مع المسيح فيكون هذا مكافأة لنا وليست مكافأة له.

لذلك فإن المعنى الذي نستخلصه من هذه الآية أن جلوس المسيح عن يمين الآب هو بحد ذاته شهادة تكشف لنا كشافاً إلهياً عن قيمة الآلام - واحتمال الحزّي - عند الله.

«فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه،  
لئلا تكلثوا وتخوروا في نفوسكم».

«فتفكروا»: ἀναλογίσασθε γάρ

وتعني: «اعتبروا اعتباراً جاداً، واشغلوها فكركم بتمييز»، وتأتي أصلاً مترتبة ومترتبة على الكلمة في الآية السالفة: «ناظرين» إلى رئيس الإيمان». فبعد النظر المتواصل في الشيء يكون التفكر فيه. إذًا، فبولس الرسول يريد أن يحول فكرهم ويثبتته في المسيح لا كمثّل فقط بل كمصدر يستمدون منه الإيمان والقوة والصبر والاحتمال. لأنه يكاد يكون قانوناً أن الإنسان لا يمكن أن يتأمل في الحق دون أن يفتح عليه، لأن مجرد معرفة الحق هي اشتراك في الحق، لأنه يستحيل أن يعرف الإنسان الحق إلا بالحق: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١ كو ١٢: ٣). وعلى نفس النسق: «بنورك نرى نوراً» (مز ٣٦: ٩)، وبالأكثر الآية العملية جداً: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كو ٣: ١٨). إذًا، «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله» تفتح الطريق حتماً إلى «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه»، لذلك وردت في الآية مترتبة على ما قبلها «إذًا، تفكروا» ἀναλογίσασθε γάρ التي جاءت في الترجمة «فتفكروا» هنا «الفاء» فاء التعقيب للسبب وهي تساوي «إذًا».

بولس الرسول يلحُّ على الذين في الآلام أو الضيقات والذين يجوزون بحنة المقاومة أن يربطوا فكرهم وعقلهم ونفسهم في المسيح ما قبل الصليب وعلى الصليب، أي مسيح الآلام والمهانة والمقاومة المستمرة. لأن ارتباط الإنسان، وهو متألم، بالمسيح وهو متألم، هي عملية انطباق المثيل على المثيل، وإن كان هذا يتم في مسيح الآلام فحتماً سيتم مع مسيح القيامة والنصرة والمجد. فلا سبيل إطلاقاً إلى الخروج من الآلام والمحنة لبلوغ النصر والراحة والمجد كنتيجة حتمية، إلا مع المسيح!! لأن حياة المسيح هي في هذين الفعلين «التألم، والراحة»، وهذا من فم المسيح نفسه لتلميذي عمواس «أما كان ينبغي (يتحتم) أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو ٢٤: ٢٦). ثم، وهل هناك حياة للمسيحي تخرج عن هذين الفعلين؟ لذلك وضعها بولس الرسول مترتبة على بعضها هكذا: «إن كنا نتألم معه "لكي" نتمجد أيضاً معه.» (رو ٨: ١٧)

«احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه»:

هنا يركز بولس الرسول نظر وفكر هؤلاء العبرانيين، وبالتالي نظرنا وفكرنا نحن على بؤرة مضيئة جداً في آلام الرب، وهي «احتمل». وقد جاءت في اليونانية بمعنى «الصبر»

δύπομενηκότα ، لأن تحدي الخطاة الذين كانوا يقاومونه كان القصد الوحيد منه أن يكسروا صبره ليترك الصليب - سواء من الشيطان أصلاً أو من هؤلاء الخطاة المتماهدين معه . فهنا قوة الصليب كانت تعتمد تماماً على قوة احتماله وصبره : « إن كنت ابنَ الله فانزل عن الصليب » (مت ٢٧ : ٤٠) . لذلك أراد بولس الرسول أيضاً أن يُزيد التركيز في التفكير في هذا الاحتمال بقوله : «مقاومة لنفسه مثل هذه» ، فشدة المقاومة وامتدادها الذي استمر كل حياته التي تركزت أخيراً في الصليب للموت ، تكشف عمّا كان يساويها من الاحتمال ، ويقابل هذا ويكشفه نبوة إشعياء : «إلى الوراء لم أرتدّ ، بذلتُ ظهري للضارين وخديّ للساتنين . وجهي لم أستر عن العار والبصق .» (إش ٥٠ : ٦ و٥)

أما قصد ق . بولس المبارك في أن ننظر إلى رئيس الإيمان ونتفكر في الذي احتمل من الخطاة هذه المقاومة الشديدة والمديدة ، فقد نفّذته الكنيسة المرتشدة بالروح القدس منذ القرون الأولى بتكريس أسبوع كامل للنظر والتأمل والتفكير في آلام الرب واحتماله العجيب ، وهو الذي أسمته بأسبوع الآلام ، الذي غرس في نفوس الأجيال شدة الارتباط بمسيح الآلام والاحتمال فتحول إلى منهج فكري وعملي في حياة المسيحيين .

ولكن ق . بولس يدعو أيضاً ليكون هذا المنهج مطبقاً بالأكثر أيام الضيق لئلا نخور من شدة الملاحقة !!

«لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم» :

لو علمنا أن هناك مئات بل ألوفاً بل ملايين كلوا فعلاً وملؤوا فعلاً وخاروا فعلاً ، فألقوا بالصليب من أيديهم وداسوه بأرجلهم ، لأدركنا عمق وخطورة ومقدار نفع هذه النصيحة من بولس الرسول سواء للعبرانيين أو لنا ! فهو يوتحي ، عن صدق ، وعن معرفة ، بل وعن رؤيا مستقبلية . فلو كان تأملنا في مسيح الآلام يغطي المساحة الضرورية جداً في حياتنا وحياتنا ، لما استطاع الشيطان الذي يجول ملتصقاً من يتلمع أن يتلع أحدًا .

علمنا بأن سلاح الشيطان أثناء الضيقة والاضطهاد يرتكز بشدة على الملل κάμητε من شدة الضيقة ومن امتدادها اللذين يصوّرها (الضيقة والاضطهاد) بأنهما زادا عن حدّهما . وبعد الملل يأتي سلاح الكَلَل ، حيث يقف الاحتمال عند نقطة الصفر ، فيخور الإنسان ، ويقع الصليب من اليد والقلب . فالملل عملية شيطانية لإضعاف العزيمة والصبر .

ومرّة أخرى نقول بروح بولس الرسول ، انتبهوا من سلاح الملل والكلل ، فهو الذي يُضعف

الصلاة ويجعلها دائماً ضعيفة، وبالنهاية يوقفها. وهو الذي يجعل جهادنا لا يتساوى مع جبروت عدونا، الذي يرُكِّب لنا الفخاخ الواحد تلو الآخر، حتى إذا مللنا الجهاد، وكَلَّتْ أيدينا من الإمساك بالصليب، نخور ونقع فيفترسنا.

ولكن هي نصيحة نقَدِّمها لَمَنْ يريد أن ينتصح وينتصر في مجال الصلاة، أن لا يصدِّق أنه ملء، فالملل سلاح خَدَّاع مزيَّف. والإنسان المسيحي مخلوق للصلاة والتسبيح ولا يملُّ من ذاته، ولا يمكن أن يملُّ من الصلاة. فالإنسان لا يملُّ من الوجود في حضرة الله والحديث إليه ومعه. الملل هو إصبع الشيطان وسلاحه المزيَّف، الذي يوهم به الإنسان أن إلى هنا يلزم أن يتوقف عن الصلاة: أنا «مَلَيْت»، فيُخرجه من أمام الله بالخدعة والحيلة والغش يوقفه عن الصلاة. وهكذا تضعف روح الصلاة كل مرَّة حتى تفقد قوتها وعافيتها، وأخيراً تتوقف. انظر أيها القارئ العزيز، وانتبه لنصيحة بولس الرسول: «ثلاثا تكَلِّمُوا وتخوِّروا في نفوسكم». إذاً، وما الحل؟ الحل أن أكسر حاجز الملل، وأعبر بالصلاة إلى الصلاة، ومن الصلاة إلى صلاة: «أثماً أنا فصلاة» (مز ١٠٩: ٤)، «ينبغي أن يُصَلَّى كل حين ولا يُعْمَل» (لو ١٨: ١)، «صلُّوا بلا انقطاع.» (١ تس ٥: ١٧)

وهكذا، ففي الاحتمال والصبر على الضيقات والاضطهاد والملاحقات والإهانات، اسمع نصيحة بولس الرسول، اربط قلبك وفكرك بمسيح الصليب والآلام، ولا ترخي فكرك عن سر احتمال الرب، فيأتيك. ولا تصدِّق أبداً هذه الكلمة «الملل»، فلا ملل للجسد أو النفس في جهاد الروح!

(١٢: ٤-١٣) التوجيه الثالث:

القياس الذي ينبغي أن يُقاس عليه الاحتمال:

٤: ١٢ «لم تقاوموا بعد حتى الدِّم مجاهدين ضدَّ الخطية».

«لم تقاوموا بعد حتى الدم»:

«حتى الدم»: في جملته اصطلاح يفيد: «لم تقاوموا حتى النهاية». وهذه «النهاية» يأتي تعريفها بتصويرات واقعية متعددة. ففي تأليم المسيح يعتبر أن المسيح جاهد حتى الدم الذي عُبِّر عنه: «أطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٨)، وفي سفر الرؤيا يخاطب ملاك كنيسة سميرنا قائلاً: «لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به، هوذا إبليس مزعج أن يُلقني بعضاً منكم في السجن لكي تُجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام. كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة.» (رؤ ٢: ١٠)

ويستكمل سفر المكابيين الثاني عن آلام أليعازر في (٦ : ٣٠) أنه قاوم حتى إلى تقطيع الأعضاء والموت. وهكذا اعتبر الموت أنه ختم الشهادة وصلق المقاومة وتكميل الجهاد.

وبولس الرسول هنا يضع لهم الحد الذي يمكن أن تبلغه المقاومة، حتى يكونوا على بيّنة من طول الشوط الموضوع أمامهم لختم شهادة آلامهم وصبرهم على الضيق، وهو «الدم» بفهمه أنه المساوي للموت، بأية طريقة من طرق الموت، والذي بحسب ظننا قد اجتازوه في الحرب السبعينية والتي كانت على الأبواب.

### «مجاهدين ضد الخطية»:

هنا احتمال الأمل هو المحسوب أنه جهاد، وأنه الجهاد الرسمي أو القانوني، بمعنى أنه من أجل الإيمان وفي حدود الإيمان.

ويوجد جهاد ظاهري أي مواجهة الخطاة، ويوجد جهاد داخلي أي ضد العدو الذي يثبُط العزيمة ويُضعف صلابة الإرادة على الاحتمال وإثارة الخطية حتى يتوقف مصدر الاجتهاد. لأن انشغال الضمير بالخطية ينهي على قدرة الإنسان في مقاومة الباطل. لأن مقاومة الباطل مصدرها احترام وتقدير ومحبة القداسة والطهارة.

وحتى المجاهدة الظاهرية أي من الخارج هي في واقعها الأخير مجاهدة ضد الخطية ممثلة في خطية الخطاة المقاومين للحق. لذلك، فمع جهادنا، توجد هناك مؤازرة خفية من الله للصبر والاحتمال في مقاومتنا للخطية، لأن قانون الله في ذلك واضح: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون.» (خر ١٤: ١٤)

لذلك فجهادنا ضد الخطية حتى الدم لا يعدو الاحتمال والصبر لأن المقاومة الفعلية ستأتي سراً من الله.

وهنا أيضاً، يلزمنا أن نوضح لماذا نحن نتعرض للمقاومة من الأشرار والخطاة، فالجواب سنعرض له فيما بعد (صفحة ٧١٧)، وهو ليتزكى إيماننا. لذلك يعبر بولس الرسول عن هذه الحقيقة بقوله: «كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا. لأننا لما كنا عندكم سبقنا فقلنا لكم إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً وأنتم تعلمون.» (١ تس ٣: ٤ و٣)

كذلك بطرس الرسول يوضح في رسالته الأولى أن حتمية التجارب والضيقات يتبعها بالضرورة

حتمية الجهاد والصبر حتى يتزكى إيماننا: «مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعمال يسوع المسيح.» (١ بط ١: ٧٦)

وختام كل قول يقوله بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي عندما كانوا في وسط ضيقهم ومحتهم هو: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحملونها، بيّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون للمكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.» (٢ تس ١: ٥٤)

ويُحكى أن القديس مار إسحق السرياني في شبابه ذهب إلى أب شيخ قديس كبير كان راقداً ومُعظى حتى رأسه، ذهب يشتكي له من ثقل التجارب الواقعة عليه، فعزاه الشيخ بكلمات بسيطة بقوله: يا ابني أنت شاب والتجارب لا تأتي على الشباب. فلمّا قال له أنا شاب يا أبي ولكن تجارب الشيوخ أتت عليّ، انتبه هذا الشيخ الحكيم ورفع الغطاء عن رأسه وقال له: افرح يا ابني لأن هذا معناه أن الله سيعطيك موهبة!

والرسالة هنا تعطي سبباً للتجارب والضيقات بمفهوم التأديب اللائق للبنين لتؤهلهم لمواهب الحكمة والتدبير ومرافقة النعمة.

١٢: ٦٥ «وقد نَسَيْتُمْ الوَعظَ الذي يَخاطِبُكُمْ كبنين: يا أبني لا تَحْتَفِزْ تَأديبَ الرَّبِّ ولا تَحْزِنْ إذا وَبَّخَكَ! لأن الذي يُحِبُّه الرَّبُّ يُوَدِّبُهُ ويَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ!».

نحن نميل دائماً أن نعزو التجارب إلى أسباب إيجابية، لأن هذا ما رأيناه في الآية السالفة، وذلك بالنسبة للمسيحيين المؤمنين السائرين في مخافة الرب يطلبون وجهه، ولكن بالنسبة لمثل هؤلاء العبرانيين المتذمّرين الذين أعطوا الشيطان فرصة ليدخل فيهم ويربك إيمانهم بسبب تزعزع إيمانهم وميلهم إلى العودة إلى اليهودية، نجد بولس الرسول يعطي الوجه الآخر السلبي للضيقات والتجارب والمعشرات، وهو التأديب الروحي، ولكن لأنهم قد اعتمدوا ونالوا حق التبني لله، فإنا يؤدّبهم تأديب الأب لأبنائه لإصلاح حالهم أو كما يقول ق. بولس نفسه: «وأما هذا (الأب الذي يؤدّبنا) فلأجل المنفعة، لكي نشترك في قداسته» (١٢: ١٠)، كذلك: «وأما أخيراً فيُعطي الذين يتدربون به ثمر برٍّ للسلام.» (١٢: ١١)



والآية هنا هي بنصها في سفر الأمثال (١١: ٣ و١٢)، وهي مسبوقة فعلاً ببناء الحكمة للابن «يا ابني» فالابن هو ابن الحكمة إن أطاع تعليمها! أو هو الله نفسه ينادي الذين أحبوها وتبناهم.

ولنا في معاملة الله لبولس الرسول نفسه صورة صادقة حيّة لهذا التعليم:

+ «أعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان ليلطمني لئلا أرتفع. من جهة هذا تضرعتُ إلى الرب ثلاث مرّات أن يفارقني، فقال لي: تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل. فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح. لذلك أسرُّ بالضعفات والشوائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢ كور ١٢: ٧-١٠)

«لا تحتقر»: μη ὀλιγόρει

معناها الحرفي: «لا تستخف بالتأديب»، بمعنى لا تنظر إليه نظرة التقليل من شأنه ومن مرماه. فالضيقة أو التخلية الصعبة قد يرتبك بها الإنسان فلا يرى شيئاً فيها أو من ورائها إلا كونها مضايقة أو حظاً سيئاً أو مجرد معاكسة من الشيطان، أو حتى قد يوسوس له الناس أو الشيطان أنه سحر معمول ويمكن فكّه بالذهاب إلى المشتغلين به. وهكذا يتجاهل الإنسان عن عمد، أو يفوت عليه الأمر عن جهالة، فيظن أن الأمر هكذا لا جدية فيه ولا خيراً ما ولا هدفاً صالحاً البتة. هذا هو التقليل من شأن التجارب والضيقات، وهذا كفيل أن يضيع على الإنسان فائدتها الحقيقية وهدفها الذي قصده الله منها قصداً.

أو قد يتصنّع الإنسان الشجاعة والقوة، ويقف قبالة التجارب يناطح فيها كأنها مجرد إمتحان لإرادته أو سطوته، وما عليه إلا المقاومة بكل إمكانياته ووسائله من استخدام القوة أو الرشوة أو التهديد. وهكذا تفوت عليه الغاية المقصودة، إذ قد تكون التجارب مصنوعة ومدبرة لتهديب نفسه وكسب اتضاعه وتواضعه ليصبح لائقاً للملكوت الله كابن!!

«تأديب الرب»: παιδείας κυρίου

إذاً، فواضح أنه عمل الله وهو مدبر ومرتبب ليكون على قدر احتياج الابن للتأديب، كما يكون بالضرورة على قدر احتمال الابن أيضاً. إذاً، فهو مصنوع بيد الرحمة، ومقدم بيد النعمة، وموضوع غايته قبل بدايته، ومعدّد هدفه في كل مراحل شدته أو انخفاضه، لذلك فحنان الأبوة يتخلله لأنه مقدّم على خلفية عجة الأب لابنه أولاً وأخيراً.

وإن كانت الكلمة اليونانية παιδείας تفيد في المعنى القريب مفهوم «التهذيب للابن»،

ولكن في أصلها العبري كما جاء في العبرية يفيد «العقاب» أيضاً (ukaab) (٢). لأن التهذيب هو في صورته البدائية عقاب، وشَتَان بين أن يعتبره الإنسان (الجاهل) عقاباً وبين أن تقبله النفس أنه تأديب وتهذيب من الآب المحب.

ولكن، في الحقيقة، الذي يُقيّم الضيقة والألم والاضطهاد الحادث على النفس، هو نوع علاقتنا نحن بالله ثم مدى عمق فهمنا لعمل المسيح في الفداء والغفران والمصالحة والتبني، لأن من أخطر ما يمكن أن لا يكون فعل الفداء عملاً في النفس، لأن إحساسنا بعدم غفران خطايانا أو استئصال خطايانا على دم المسيح قادر بحد ذاته أن يعطي النفس شعوراً بغضب الله وعدم رضاه من جراء الخطايا والمفوات التي تقف في ضميره ويستخدمها الشيطان لإبعادنا عن مخلصنا وفادينا المُحب. مع أن الله يُسرُّ بتأديبنا لرفعنا لمستوى نعمته.

«ولا تَحْزُنْ إِذَا وَبَّخَكَ»:

هذا يقع في صميم الأسلوب العبري في الأدب اللغوي حيث يكرّر الجملة وكأنها شطرة ثانية في بيت شعر، وغالباً تحمل نفس المعنى أو بمعنى مواز له يشرحه باختصار. وهكذا عبّر عن احتقار التأديب تعبيراً موازياً يفيد عدم الاحتمال، بمعنى أن عدم تقدير التأديب تقديراً صحيحاً يؤدي إلى عدم احتمالها، حيث التأديب أخذ صورة التوبيخ وعدم الاحتمال أخذ صورة الحوار.

ولكن هنا، تُقدّم الحكمة الإلهية نصيحتها الذهبية، أن التوبيخ مهما أتى بصورة المراجعة الموجعة في الضمير للأخطاء المقترفة في حق الله، فإله لا يزال في موقف الأب، والأب له أن يوبّخ طالما أن الأب هو أب والابن هو ابن. وليس حسناً ولا مقبولاً أن يخور الابن تحت تأديب الأب مهما قست عصا الأب، فهي لتشدّد قلب الابن وليس لإضعافه، والأب يطلب الرفعة لابنه وليس النقصان، ودافع التوبيخ عند الأب هو المحبة.

«لأن الذي يحبه الرب يؤدّبه ويجلد كل ابن يقبله»:

الذي لا يحبه الرب يقع تحت تأديب الناس والناس لا ترحم. لأن ما أفسى الإنسان على أخيه الإنسان. والقسوة تُنشئ جفاءً ونقمة، أمّا محبة الله فهي إن أدبّت فعن حكمة تؤدّب، وأدب الحكمة يُنشئ حكماً. لأن منهج التأديب يستمد غايته من سببه والرب لا يمكن أن يجزّب بالشروع لأن ليس عند الله شر.

الله «محبة»، وكل تأديبات الله حتماً تعمل لحساب طبيعته، لذلك مهما كانت تأديباته تبدو

في عين الابن المتألم قاسية ومنها ما يشبه «الترك» حتى صرخ الابن المحبوب الوحيد: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧: ٤٦)، ولكن بعدما قام من الأموات في مجد عظيم ثبت قطعاً أنه لم يكن تركاً لبغضته، بل كان تركاً لحساب المحبة لقبول بلا ملامة، بل لاتحاد وبنوّة، بل لشركة حياة أبدية ليس فيها ولا شبه شر، بل فيها مجد كل المجد. فإن بلغ تأديب الأب منتهى الألم حتى الموت وكان في ظاهره قسوة ورفضاً وتركاً، فقد انجلى عن أعظم عمل عُمل لحساب المحبة الخالصة، بل كان التأديب في حقيقته «بذلاً» من طرف الأب المؤدّب، بذلاً كل البذل: «الذي لم يُشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يَهَبُّنا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢). لذلك منْ ذا يجزع بعد ذلك من تأديب الله ولو بلغ التأديب إلى تَرْك شكلي وإلى سفك الدم؟! فقد ثبت أن عصا الله حتى ولو تشكّلت بشكل صليب، ففي ذراعيها ملء بركات ونعم وهبات وبر وحب أبدي! وترك الله الشكلي هو هو بسبب «القبول»، بل والجلد على الظهر والضرب بكل قسوة الإنسان يخنفي وراءه حب ما بعده حب: «هكذا أَحَبَّ اللهُ العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل منْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو ٣: ١٦)

٧: ١٢ «إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ بِعَامَلِكُمْ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ».

المعنى هنا خطير وعميق ويكشفه العالم وستكوت إذ يقول:

[ إن غرض الله من التأديب معروف ولا نناقش عليه. ولكن مع هذا فإن طريقة قبولنا نحن للتأديب هي التي تحدّد تأثير التأديب!!! فاحتمالنا التأديب (برضى) هذا بحد ذاته يحوّل الألم إلى درس منفعة].

ويعصف هنا سفر المكابيين عملية تعذيب لأحد المتألمين:

+ «ونزعوا جلد رأسه مع شعره ثم سألوه هل يأكل قبل أن يُعاقب في جسده عضواً عضواً. فأجاب بلغة آبائه وقال لا. فأذوقه بقية العذاب كالأول. وفيما كان على آخر رمق قال لمعذبه إنك أيها الفاجر (الملك أنطيوخس) تسلبنا الحياة الدنيا ولكن ملك العالمين إذا متنا في سبيل شريعته فسيقمنا حياة أبدية ... فبهت الملك والذين معه من بسالة قلب ذلك الغلام الذي لم يُبالِ بالعذاب شيئاً.» (٢ مك ٧: ٧-٩ و١٢)

+ «وإنني لأرجو من مطالعي هذا الكتاب أن لا يستوحشوا من هذه الضربات وأن يحسبوا هذه النقم ليست للهلاك بل لتأديب أمتنا. فإنه إذ لم يُهْمَل الكفرة زمناً طويلاً بل عُجِّل عليهم بالعقاب، فذلك دليل على رحمة عظيمة.» (٢ مك ٦: ١٢ و١٣)

وذهبي الفم يقول في ذلك قولاً مقنعاً هكذا:

[إنه لم يقل أن كل واحد يجلده الرب يكون ابناً ولكن كل ابن يجلده! إذأ، ففي كل الحالات هو يجلد الابن. إذأ، الآن المطلوب أن نبحث أي ابن لم يجلده الله. ولكنك لا تستطيع أن تقول أنه يوجد أشرار كثيرون يُجلدون، فهؤلاء إنما يُجلدون كقصاص يدفعونه ثمناً لخطاياهم] (٣).

أما القصد المستتر للقديس بولس والذي يُعتبر نوعاً من التحذير، فهو أن قبول التأديب من يد الله يضعنا في الحال موضع البنين، والعكس هو الخطر أي أن رفض التأديب هو بمثابة رفض التعامل مع الله كأبناء أو بالتالي رفض البنوة لله، حيث لا يكون من مفر إلا أن يحوّل الله التأديب إلى عقوبة. لأن رفض البنوة معناه رفض المسيح: «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو: ١٠: ١٢)، وبالتالي من يرفض المسيح يمتنع أن يكون ابناً لله: «الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو: ٣: ٣٦)

١٢ : ٨ «ولكن إن كنتم بلا تأديبٍ قد صارَ الجميعُ شركاءَ فيه فأنتم تُقولون لا تُثون.»

تركيب الكلام هنا لا يفيد معنى واضحاً سواء بالترجمة العربية أو اليونانية أصلاً، لذلك اضطر العالم وستكوت — وهو المسئول عن الترجمة من اليونانية إلى الإنجليزية — إلى مراجعة اليوناني نفسه فهو عالم لغوي يوناني قدير. يقول: إن ترتيب الكلمات باليونانية يدل على أن التركيز هنا على «عدم التأديب»، فهو يدل مباشرة على أن الإنسان ليس ابناً طبيعياً لأبيه. «نقول» بمعنى أولاد زنا كما جاءت في النص اللاتيني الفولجاتا «ergo adulteri»، لأن الذي ليس هو أباً طبيعياً لا يعتني أن يؤدّب ابناً على أي حال، كذلك إن كان الابن ليس ابناً طبيعياً أي ليس من أب معروف. فالأب غير الأب لا يجد دافعاً للتأديب ولا الابن يجد معنى للتأديب إن كان ليس ابناً. ولكن، يقول وستكوت، الكلام هنا متجه ناحية الأبوة والبنوة الإلهية، فكل المسيحيين المؤمنين هم «أبناء» فكلهم مشتركون في التأديب «الجميع شركاء فيه»، فإذا أفرزتم أنفسكم من التأديب الواقع على الجميع — برفضه — فهذا معناه أنكم لستم أولاد الله بل أولاد زنا بالمفهوم الإلهي بمعنى أن الله ليس أباكم. ويعلّق على ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم بقول رائع حقاً إذ يقول: [ إذأ، يتحتم علينا أن نفرح بالتأديب لأنه علامة بنوية قانونية ] (٤).

3. Chrysostom, *op. cit.*, p. 500.

4. *Ibid.*

لذلك يتحتم تعديل الترجمة العربية هنا لكي تصيح في عمق المعنى هكذا:

+ « لكن إن كنتم بلا تأديب (الذي) قد صار لجميع شركاء فيه (كأبناء) فأنتم نقول لا بنون» .

وهنا يهمننا، أيها القارئ العزيز، أن نوجّه الفكر والضمير إلى حقيقة عملية وهي أننا برفضنا التجارب والضيقات والآلام والاضطهادات، فنحن كأننا نقول لسنا نريد أن نكون أبناء لك يا رب! فإذا أردنا أن نخرج من الألم وثقله، ومن الضيقة مهما كانت خانقة، ومن الاضطهاد الواقع بلا رحمة ولا عدالة والذي أصبح ثقلاً شديداً على النفس، فالحل العملي الوحيد هو أن نقبله من يد الله، وحينئذ نكون وكأننا نكتب وثيقة بأيدينا أننا قبلنا كل هذه من يدك يا رب ولن نتراجع حتى الموت! حينئذ تكون التجارب بكل آلامها ومرارتها قد أخذت حذّها واستوتفت أسبابها، لماذا؟ لأننا بذلك نكون قد وضعنا أنفسنا في موضع البنين لله، وهنا تكون كل مقاصد التجربة قد انتهت. لأن قصد الله الوحيد هو تأديب الابن وتهذيبه وإعداده لنوال صفات جديدة للخليقة الجديدة التي نالها كابن لله. فإن قَبِلَ الإنسان هذه التأديبات، يكون معناه أنه قد توافق خَلْقياً مع صفات الخليقة الجديدة.

وللتأكيد على ذلك، أي للتحقق من أنك صرت فعلاً ابناً حقيقياً لله وأصبحت لك طبيعة جديدة تتناسب مع الخليقة الجديدة الموهوبة لك، هو أنك — في حالة قبولك للتجربة تماماً أي أن تكون قد قبَلتَها من كل قلبك وفكرك وإرادتك — تشعر بالفرح. لأن من أخص خصائص الطبيعة الجديدة أنها إذا وقعت تحت الآلام والضيقات والاضطهادات تمتلئ بالفرح وكأنه يغمرها، ثم يدوم فرحها فيها. وهذا هو السر الذي انكشف لآبائنا القديسين واستعلنوه وأوحوا به إلينا بقولهم: «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (في ١: ٢٩)، «احسبوه كل فرح يا إخواني حينما تقعون في تجارب متنوعة عالمين أن امتحان إيمانكم يُنشئ صبراً» (يع ١: ٣ و٢). وللعلم، فإن هذه هي أول آية في رسالة هذا القديس يعقوب الجليلي في الرسل، وقد عانى من الآلام والتعذيب والموت حتى الشهادة.

« كحزاني ونحن دائماً فرحون» (٢ كو ١٠: ١٠)، وهذا هو بولس الرسول يحكي عن كيف واجه كل الضيقات بكل أصنافها، فلمّا قبلها، فرح بها (كو ١: ٢٤، ٢ كو ١٢: ١٠)، ولمّا فرح بها افتخر بها (٢ كو ١١: ٣٠، ٩: ١٢)، وافتخر عندما أحسّ بإكليل البريوضع على رأسه (٢ تي ٤: ٨)!!

وتكميلاً لهذا، وفوق كل ذلك، فالمسيح قَبِلَ تأديبات الله التي جاءت عليه من أجلنا، كما

يقول إشعيا عظيم الأنبياء: «تأديب سلامنا عليه» (إش ٥٣: ٥)، فكيف نرفض أن ندخل في تأديب حمله المسيح من أجلنا من يد الآب، فهو يكون كرفض للصليب وكرفض قبولنا السلام الإلهي المفروز من آلام شركة التأديب مع المسيح. فإن كنا مع المسيح وبه قد صرنا أبناء لله فيتحتم أن ندخل معه فيما دخل هو إليه من أجلنا من الآلام.

وليكن واضحاً أن المسيح احتمل الآلام كتأديب قبله من أجلنا ومن أجل السرور والفرح الموضوعين أمامه لتكميل مشيئة مسرة الآب، الذي «سُرَّ بأن يسحقه بالحزن» (إش ٥٣: ١٠)، «من أجل السرور الموضوع أمامه» (عب ١٢: ٢). هكذا أصبح احتمالنا مع المسيح في هذا التأديب هو من واقع مسرة الآب والابن معاً. فالذي يرفض التأديب يكون قد حرم نفسه بنفسه من شركة السرور التي قبلها المسيح من يد الله لكي يمنحها لنا.

وبالنهاية يكون قبول التأديب في الحاضر هو رصيد لسرور مكنوز لنا بالروح ليدوم إلى الأبد.

وهذا ما نحسُّه، وقد اختبرناه في كل ألم وتأديب جُرنا، وكيف كان يرافقه سرور عميق داخلي آتٍ إلينا سراً من فوق، جاعلاً الآلام والتأديبات كثمرة شهية لبر احتمالنا وصرنا في المسيح.

تأديب الأبناء من الآباء الجسديين،  
وتأديب الأبناء الروحيين من أبي الأرواح: (١٢: ٩-١١).

٩: ١٢ «ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدِّبين وكنا نَهَابُهُمْ، أفلا نخضعُ بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا».

هنا بدأ ينكشف الفكر الأساسي في عملية إقناع بولس الرسول لهؤلاء القوم في مسألة كيفية الاحتمال وضرورته بل إلزامه. لأن الالتجاء إلى الإقناع المنطقي على مستوى مجرد الاحتمال أو الصبر، لا يأتي بمفهوم الالتزام، إن كان على المستوى الجسدي. لذلك ارتفع هنا مرّة واحدة إلى مصدر الالتزام، لأن الالتزام الأدبي للخضوع إلى آباء الجسد بالنسبة للأبناء يمهد لنا فقط لفهم الالتزام الحتمي على المستوى الروحي، لأن أب الجسد يؤدّب وليس في سلطانه أكثر من هيبة الأبوة الجسدية، وهي ليست دائماً بذات قيمة ولا دائماً بذات سلطان، ولكن أبا الأرواح له بعد التأديب أن يُعْمِتَ ويُحْيِي لأن في غضبه موتاً، وفي رضاه وطاعته حياة. ومجرد إطاعة مشيئته هي بحد ذاتها حياة حتى ولو كان فيها موت، وقد سبق أن أظهر ذلك في طاعة إبراهيم لمشيئة الله التي طلبت منه ذبح ابنه الوحيد استرضاءً (محرقة) لله، فأطاع، فكانت حياة وبركة وموعداً لكل الأجيال. لذلك

وضح أن الخضوع لأبي الأرواح هو بحد ذاته حياة .  
 إذاً، إن كانت مشيئة أبي الأرواح أن نتألم ونتضايق ونُضطهد ونُشتَم ونُطرد، فهي تحمل في طبيعتها وعداً بالحياة بالرغم مما فيها من صورة الموت . إذاً، وباختصار، تكون التجارب من يد الله هي هي الحياة بعينها . فهنا ولو ظهر — خدعاً — أن لنا أن نطيع أو لا نطيع ونقبل التجارب أو لا نقبلها، فالحقيقة هي أن إلزام الطاعة يحتمه خطر الموت المحقق الذي يكمن في مقاومة مشيئة الله : «قد جعلتُ قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختَر الحياة لكي تحيا» (تث ٣٠: ١٩) . فمن يقول هنا أن الاختيار ليس إلزاماً؟

كان هذا الكلام حاضراً في ذهن ق . بولس حضوراً شديداً، لذلك على القارئ أن ينتبه لمنطوق الآية ولوضع كلمة «الحياة» في النهاية هكذا: «أفلا نخضع ... فنحيا»؟

١٠: ١٢ «لأن أولئك أدَّبونا أيَّاماً قليلةً حسبَ استحسانِهِمْ . وأقاً هذا فلأجلِ المنفعةِ لكي نَشْتَرِكَ في قَداسَتِهِ» .

هنا يفاجئنا بولس الرسول بالارتفاع الشديد مرّة واحدة ليدخلنا في صميم رسالة الخلاص، بل وفي أدق نقطة في لاهوت الفداء . هنا تُوقنا الرسالة أمام قضية مساوية تماماً للمعمودية في سرّها وفي فعلها وفي غايتها . فالمعمودية صحيح أنها تُعرض على الإنسان لكي يقبلها فيأخذ ميلاداً جديداً بالروح، أي يصير خليقة جديدة من السماء ومؤهلة للسماء، وهي تُعرض وكان الإنسان حرّاً في قبولها أو عدم قبولها، ولكن هناك القول: «مَنْ آمَنَ واعتمدَ خلصَ، ومَنْ لم يؤمنَ يُدَن» (مر ١٦: ١٦)، حيث الدينونة هي الحكم بالموت، أو على وجه آخر فإن الدينونة هي عدم الخروج من الموت الذي هو الحكم الأول والدائم والساري في الطبيعة البشرية العتيقة! إذاً، فالمعمودية هي إجراء سرّي يحمل الحياة الأبدية بالخروج من الدينونة أي الموت الأبدي، وذلك بتقدّيس الطبيعة البشرية بفعل الروح القدس ودم المسيح ونوال طبيعة جديدة مقدّسة بالروح .

هنا ينهنا بولس الرسول بجعل طاعة مشيئة الله التي تفرض علينا الاشتراك في احتمال الآلام والضيق والاضطهادات حتى الطرد والإهانة والموت، أن الله قد خصصها للاشتراك في قداسته، فهي فعل سرّي، مُخفي الفعل والأثر، شأنه شأن كل أسرار الله .

وقد كشفها المسيح بوضوح حينما أعلن قائلاً: «طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات، طوبى لكم إذا طردوكم وعَيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهلّلوا لأن أجركم عظيم في السموات» (مت ٥: ١٠-١٢) . وبعد أن

تكشّفت مفاعيل ذبيحة الفداء التي قدّمها المسيح بجسده على الصليب، وظهر فعل دم المسيح والروح القدس في تقديسنا، وضح قصد المسيح من قوله: «لأن أجركم عظيم في السموات»، فهذا الأجر هو التقديس بدمه الذي فاز به الإنسان:

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (تعمّدتم) بل تقدّستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كور ٦: ١١)

+ «فبهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرّة واحدة.» (عب ١٠: ١٠)

+ «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهّر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٤)

وهذا ما يقوله بولس الرسول من جهة التأديبات التي بيد الله بالنسبة لأولاده: «وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسه». أي أن التجارب جزء لا يتجزأ من منهج الخلاص، والتي نؤهل، بعبورها في صبر وشكر وطاعة، للشركة في قداسة المسيح، باعتبارها أصلاً شركة في الآم وصبر المسيح: «إن كئنا نتألّم معه لكي نتمجّد أيضاً معه» (رو ٨: ١٧). إذاً، فالعبور في الآلام والضيقات بصبر وشكر له فاعلية تقديس، توازي فاعلية الأسرار المقدسة كبير المعمودية، لأنه محسوب أنه تزكية رسمية للإيمان، بمعنى أنه يزكي فعل المعمودية ويستعلنه:

+ «الآن إن كان يجب تُحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم، ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١ بط ١: ٦-٨)

+ «لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم.» (١ بط ٢: ١٩)

+ «وإن تألّمتم من أجل البر فطوبياكم.» (١ بط ٣: ١٤)

+ «وإن غيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم.» (١ بط ٤: ١٤)

وحينما قال المسيح: «ولأجلهم أقُدّس أنا ذاتي» (يو ١٧: ١٩)، فماذا كان هذا التقديس إلا احتمال نار الآلام قبل وعلى الصليب، التي كان يُرمز إليها بالأعشاب المرّة التي يؤكل عليها الفصح! وحينما قال بطرس الرسول: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنني أنا قدوس» (١ بط ١: ١٥ و١٦)، يتضح أنها إرادة الله الصالحة أن نرتفع إلى هذه الشركة التي يرى القديس بولس في هذه الرسالة أن احتمال الآلام والضيقات بالصبر يؤدي إلى هذه الشركة عينها.

فإن كئنا في الأفراح نحس بوجود الله، ففي الأحزان نسمعه، أمّا في وقت الشهادة فنراه!!!



١١:١٢ «ولكن كلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرْحِ بِلِ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا آخِرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرًا بَرًّا لِلسَّلَامِ».

حينما يقول «كل تأديب»، فهو يجمع التأديب من آباء الجسد والتأديب من أبي الأرواح، سيان. فللتأديب، الذي هو التجارب المؤذية للجسد والنفس والروح، قانون واحد هو التأليم والإحزان والضرر أحياناً. ثم تبتدىء المقارنة بين الجسدي والروحي، بأن زمن هذا التأليم الجسدي هو وقتي وأمدته قصير لا يتعدى دور الصبوة، أما الروحي فقد يطول ليَقْطال الحياة بطولها وعرضها ورمتها حتى آخر نَفْسٍ، ليكون نوع الموت نفسه جزءاً منه!

ثم يفترق السبب والغاية فرقة شديدة ومُبيّنة بين التأديب الجسدي، الذي لا يزيد سببه عن غيرة الأب على ابنه، وغايته التي لا تزيد أيضاً عن أن يصبح الابن نافعاً في الحياة الحاضرة يقيم أودَّ نفسه؛ وبين التأديب الروحي، الذي قد يشتد إلى حد كبير ويمتد بلا حدود، فسببه أيضاً هو غيرة الله على أولاده حتى لا يخطفهم الشيطان من يده وحتى لا يتلهم هذا العالم الشرير، أمّا غاية التأديب عند الله فسبق القول عنها في الآية السابقة: «فلاجل المنفعة لكي نشترك في قداسته». وهنا في هذه الآية يضيف على ذلك أو ربما يشرحه، بأن الغاية هي نوال هبة بر الله لحياة السلام، طبعاً في رضا الله وإلى الأبد. وعلى كل حال إذا قيسَت أحزان التجربة في الحاضر بأفراح النصر في الآخر، فإن بولس الرسول يوازنها هكذا: «لأن حَقَّةَ ضيقتنا الوقتية تنشيء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً.» (٢ كو٤: ١٧) + «خير لي أني تذلت لكي أنعلم فرائضك.» (مز١١٩: ٧١)

### دعوة إلى نهضة روحية

وبولس الرسول كمادته يصوّر الحركات والمعاني على المستوى الجسدي كأبطال يُطلب منهم رفع مستوى اللياقة، لقطع آخر مرحلة من الشوط الطويل ليؤهلوا للمكافأة.

١٢:١٢ و١٣ «لذلك قَوْمُوا الْيَدَيَّ الْمُسْتَرَحِيَّةَ وَالرُّكْبَ الْمُخْلَعَةَ،

وَأَصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةٍ، لِكِي لَا يَعْثِبَ الْأَعْرَجُ بِلِ بِالْحَرْبِيِّ يُشْفَى».

هذه أحجية، استنطقتها فنطقت فنظرتُ فرأيتُ:

المنظر هنا كما أراه : طريق مفروض علينا، عبّر جبل شامخ شديد الانحدار، وعمر للغاية، ليس به أي دروب، يحتاج إلى تمهيد كثير!! وليس من دليل، ولا من آثار نتبعها.

ومتسلّقو الجبال الشاخنة الشديدة الانحدار يعرفون جيداً أن أول ما سيقع عليه من أهوال التسلّق هو اليدان قبل الرجلين، وأشدّ ثقل في جذب اليدين يقع على المعصم الذي يربط الكف بالذراع، فإذا استرخت اليدين من التنعم والبطالة، فيا لهول الصعوبة.

ثم ليس كل الجبل انحدارات شديدة، فمنه بعد ذلك ما يناسبه السير على الرجلين، حيث ثقل الجسد كله يكون على الركب، فيا لويل اليدين من زاد وزنه عمّا تحتمله رُكبه فيلقي بجسده مرة على هذه الركبة، ثم يميل ليلقي بجسده كله هناك على الركبة الثانية، فتتخلّع الركبتان، ويتعثر السير ويتعذّر الصعود!

وليس في الجبل طرق ولا دروب، فعلى المُتسلّق، والكل مُتسلّق، أن يكون خبيراً في تمهيد الدروب للسير في الجبال، ومن أين الخبرة والمعرفة في شئون الجبال إن كثراً من هواة الأسيّرة المُريحّة، والمفارش الناعمة الوثيرة، والنوم في أوقات العمل، والمروب من الوقوف في الصلاة. وإن كان هذا شأن السائر على الساقين، فما بالك بالذي على واحدة يسير وعلى الأخرى يميل، لأن صنّعتة أن يعرّج بين الفرقتين، تارة يميل هنا وتارة يميل هناك، مع المصلّين يصلي ومع المناقّضين ينافق.

هذا المنظر آه ق. بولس فوضعه في هذه الأحجية وبدأ يناشدهم:

«قَوْمُوا الْيَادِي الْمُسْتَرَحِيَةَ وَالرُّكْبَ الْمُخَلَّعَةَ»:

الأمر هنا للجماعة ولكل واحد من الجماعة، أمّا للجماعة فيحثّهم أن يلاحظوا الإخوة المُستراخين في عزيمتهم الذين يتهرّبون من مواقف البذل، والجزعين من شكل الاضطهاد، الذين يغيّرون أسماءهم وأشكالهم حتى يتفادوا المواجهة والسؤال والتبعية المسيحية. هنا النداء للجماعة أن يشجّعوا مثل هؤلاء ويرفعوا من أمامهم العقبات التي تُعثرهم وتُخيفهم، كذلك يرافقونهم في المواقف الصعبة ليُدربوهم على الشهادة والنطق بالإيمان. وعمل الحكماء في وسط الجماعة لا يُجَارَى، فهم بمثابة قلب للضعيف، وذراع للمنتحني، ويد لمهزوز اليد، وقد قيل مثل هذا عن أيوب النبي الحكيم في أيام صحّته: «ها أنت قد أرشدت كثيرين وشدّدت أيادي مرتخية. قد أقام كلامك العائر وثبّت الركب المرتعشة.» (أي ٤: ٤ و٣)

أما بالنسبة لكل واحد، فالأمر هنا لكل واحد لينبذ مواقف الجبن والتخفي وليتجىء إلى الله

فهو السند والذراع. اسمع داود يقول: «من قَبِلَ الرب تثبَّت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مُسندٌ يده» (مز٣٧: ٢٣ و٢٤). ومعروف أن أبسط صور الإيمان هو أن يُلقى الإنسان بنفسه على الله وهو ينطق في فمه، ويسنده بيمينه، ويقوِّيه بروحه قبالة كل عدو: «الذي يُعلِّم يديَّ القتال!!» (مز١٤٤: ١). فَمَنْ ذا اتكل على الله ولم ينصره الله. والقتال هنا والمقاومة والنصرة كلها تخص الروح وليس الجسد. فالإنسان بنفسه ضعيف، وبصديق مُخلص يقوى، ولكن بالله لا يعوزه شيء: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في ٤: ١٣)

«واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكي لا يعتسف الأعرج بل بالحرى يُشفى»:

هذه الآية مأخوذة من سفر الأمثال (٤: ٢٦)، ولكن رنينها يتصل بصوت يوحنا المعمدان: «أعدُّوا طريق الرب، اصنعوا سُبُلَه مستقيمة، كل وادٍ يمتلئ وكل جبل وأكْمَة ينخفض، وتصير المعوجَّات مستقيمة والشَّعَاب طُرُقاً سهلة. ويُبصر كل بشر خلاص الله.» (لو٣: ٤-٦)

إذاً، فهو إعداد لقبول الرب. وإعداد القلوب المتعالية يتحتم أن تنخفض، والنفوس الذليلة المنسحقة يتحتم أن تتشدد وتقوى، والأفكار والنيات المعوجة والخبيثة يتحتم أن تستقيم بالحق والصدق، والمُعرج الذين يعرجون بين اليهودية والمسيحية أو العالم والله يتحتم أن تستقيم قلوبهم وإيمانهم. وهكذا وبهذا يُستعلن المسيح ويراه كل بشر وكل سقيم يُشفى!!

وليتنبه القارىء، فموقف هؤلاء العبرانيين وهم يعرجون بضمائرهم بين الإيمان بالمسيح والعودة إلى الأركان الضعيفة اليهودية يُماثل إلى حد كبير حال اليهود بعد ظهور المسيح، لذلك يستعير بولس الرسول هنا صوت يوحنا المعمدان:

+ «ولا تبتدثوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً لأنني أقول لكم إن الله قادر أن يُقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتُلقى في النار.» (لو٣: ٩ و٨)

[ ١٧-١٤:١٢ ]

## الخط الثاني: التمسك بالسلام والنقاوة

أساس العلاقة مع الناس: السلام.

أساس العلاقة مع الله: القداسة.

١٤:١٢ «اتَّبِعُوا السَّلَامَ مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يَرَى أحدُ الربِّ».

هما الوصيتان المتتاليتان في عظة المسيح على الجبل حيث قدّم المسيح نقاوة القلب الموازية للقداسة على السلام في الآيتين (٨:٥، ٩:٥) في إنجيل القديس متى. وفي هاتين الوصيتين بوضعهما هنا في هذه الآية يُعْطِي بولس الرسول علاقة الإنسان بالعالم والله. وهو عندما يقول: «السلام مع الجميع»، لا يستثني الأعداء، فالسلام والمحبة من معدن واحد، فإن طُلب مَثًا محبة الأعداء فحتماً يُطلب السلام. ولا يهم بعد ذلك إن ارتد الحب عداوة، أو السلام خصاماً ومقاومة، فإن استوفيناها في القلب والضمير، فإننا حقاً نكون قد غلبنا العالم. ورئيس هذا العالم يستحيل أن يُغلب دون أن يقتصّ نفسه، فكل من أراد أن يكون أميناً في وصايا الرب فعليه أن يستعد لدفع الغرامة.

أمّا السلام مع الناس، فهو فائض السلام الذي يعطيه المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤: ٢٧). أمّا سلام العالم، فهو يعطيه باليمين ويسترده بالشمال، وفرحة الميلاد، ومسرّة الصحة، ووفرة المال، وصدقة الأحياء، يَحْتَبِيء وراءها خبر الموت وحالة السقم والعلل وتربُّص العوز والفقير ونقمة العداوة والخصام، إن لم يكن في نفس اليوم فبعد حين!! أمّا سلام المسيح فلا ينزعه أحد منكم (يو ١٦: ٢٢)، لأنه هو والفرح صِثْوَان لا يفترقان. يزدادان في الضيق، لأنهما يفوقان العقل، فمصدرهما المسيح، وحينما يعطي المسيح سلامه في القلب تصبح كل تصرفات الإنسان ومعاملاته موسومة بالسلام، السلام الذي لا يصدّقه عقل لأنه سلام المسيح بعينه، لا تهزّه العداوة، ولا يُنقصه الخصام، ولا يغيّره تغيير الأخلاق والأيام. فإن مَلَكَ المسيحي سلام المسيح في القلب، ضَمَّن سلامة نفسه وصفاء حياته وضميره واستطاع أن يطرح سلامه هذا على الجميع.

أمّا القداسة فهي الانتماء الكلي بالروح والنفس والجسد لله. لأن تقديس الجسد هو تخصصه لله بالخدمة والطهارة: «قدّموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية»

(رو ١٢: ١). وأما تقديس النفس لله، فيتم بالمحبة الصادقة الملتهبة حيث تشغل النفس بالله ليملأ اهتماماتها وشهواتها ولا يعود للعالم سلطان عليها في شيء، لأنها تكون قد باعت كل شيء واشترت الجوهرة الثمينة.

وأما تقديس الروح فهو بالشركة الحية مع الروح القدس فيلهمها الصلاة بالروح فتلتصق بالرب وتصير مع الرب روحاً واحداً حسب الوعد (١ كو ٦: ١٧). فإن تقدس الجسد والنفس والروح، صار الإنسان في مجال القداسة التي تطل على الله. وبهذا يكون الإنسان قد تحضر واستعد لحضور الرب، وبالتالي لرؤيته بالرؤية الفائقة للحواس، التي هي رؤيا الوعي الروحي المفتوح على الله، وهي من الحق والوضوح ما يفوق الرؤية المادية. هذه هي الرؤية التي نترجاها بالإيمان لنرى فيها المسيح: «الذي يُحِبُّني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي.» (يو ١٤: ٢١)

١٥: ١٢ «مُلاحِظِينَ لِشَلا يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، لِثَلا يَظَلِّعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعُ انزِعَاجاً فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ.»

الآية هنا مربوطة بسابقتها وبما بعدها. محور الآية السابقة هو القداسة التي بدونها لا أمل في رؤية الله، بمعنى التواجد في حضرته أي شركة الحياة الأبدية التي للمقدسين. هنا يتتبع القداسة منذ البدء لثلا ينشأ في وسطهم أشخاص يتزعمون أعمالاً وأفكاراً تؤدي إلى الزنا، والزنا هنا بالأكثر هو الزنا الروحي الذي خطيته لا تغفر والمُسَمَّاة عند القديس يوحنا بالخطية التي للموت (١ يو ١٦: ١٠)، وهي التي فيها يخرج الإنسان عن الإيمان بالله ويعبد غير الله، باعتبارنا جميعاً أولاد كنيسة واحدة شعباً مقدساً تزوجه الله أي أدخله إلى خاصته: «أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩)، «وبيته نحن» (عب ٣: ٦). وبعد الزنا وضع ما يؤدي إليه، وهو الاستباحة التي جعل عيسورماً لها، الذي باع البكورية أي باع التخصص لله كبكر مقدس للرب، فاعتبر أنه تنكَّر لله أي خرج من تحت سقفه.

هنا يقول: «يصنع انزعاجاً»، بمعنى يُبَلِّغ أفكار الجماعة من جهة الإيمان بالمسيح ويشنهم عن الإيمان الحقيقي الذي يكون بمثابة النجاسة الروحية. لأنه إن كانت القداسة هي الارتباط بالله جسداً ونفساً وروحاً، فالنجاسة الروحية هي ترك الله والارتباط بالعالم ورئيسه. لأن كل مَنْ هو لله مقدس، والتجس الروحي هو مَنْ ليس لله في شيء، بل للعدو. وهذا هو أصل المرارة، بمعنى أنه إذا كانت الشجرة مُرَّة وهي نبتة صغيرة، فسرعان ما تملأ ما حولها مرارة، هكذا الذي ينشأ وينمو بعيداً عن الله مستهتراً بميراثه السماوي: «انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم

إيمان في الارتداد عن الله الحي. بل عظوا أنفسكم...» (عب ٣: ١٢ و١٣)

أمّا قوله: «يخيب من نعمة الله»، فهو تصوير إبداعي، وكأن هذا الشخص سهم خرج من قوسه منحرفاً فلن يبلغ القصد الحسن والنهاية المرتبة. إذاً، فالنعمة منذ البدء هي التي توجه المؤمنين نحو الغاية السعيدة والمنتهى المجيد، فإذا انطلق الإنسان منحرفاً عن الإيمان فإنه حتماً يسقط بعيداً عن قصد النعمة المتقن. لهذا، يتوسّل بولس الرسول إلى المؤمنين أن لا يكونوا قد أخذوا النعمة باطلاً: «فإذ نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً» (٢ كو ٦: ١). أمّا الذين كانوا ينادون بالعودة إلى اليهودية، فاعتبرهم أنهم سقطوا من النعمة: «قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تبترون بالناموس. سقطتم من النعمة» (غل ٥: ٤). وما هي وظيفة القداسة من جهة رؤية الله إلاّ عمل النعمة، فإن سقط أحد دونها، فقد وقع على الطريق دون البلوغ، كالذين وقعت جثثهم في القفر دون الوصول إلى أرض الموعد!

«ملاحظين»: ἐπισκοποῦντες إبِسْكوبُونْتِس.

الكلمة طقسية جميلة، فهي التي اشتق منها «الإسكوبوس»، أي «الأسقف»، ومعناه: «المُلاحظ أو الناظر من فوق»، حيث σκόπος هو محيط الرؤيا أو النظر، ἐπί = فوق أو من على. فهنا أعطى الجماعة وظيفة الأسقف حتى يُلاحظوا كل فرد في الجماعة كما تُلاحظ العين أعضاء الجسد، وهي وظيفة المسؤولة العالية القدر والأهمية، وهي في المسيحية مسؤولة كل فرد بالنسبة لأخيه، كما أنها مسؤولة الأسقف في الكنيسة.

وقد ترجم القديس يوحنا ذهبي الفم هذه الكلمة بـ: «الملاحظة باجتهاد ونشاط»، ثم يُعقّب عليها بقوله: [أرأيتم كيف أن القديس بولس يضع الخلاص المشترك في يد كل فرد] (٥).

وحسب ما سبق وقال ق. بولس نفسه في الرسالة: «بل عظوا أنفسكم (بعضكم بعضاً) εαυτούς كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم لكي لا يُقسى أحد منكم بغرور الخطية» (عب ٣: ١٣)، وأيضاً: «لنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة.» (عب ١٠: ٢٤)

«يخيب أحد من نعمة الله»: ὕστερων ἀπὸ τῆς χάριτος

المعنى هنا دقيق في اليونانية فهو ينحصر في السقوط خلف النعمة، وليس مجرد عدم التقدّم مع

الجماعة في حركة النعمة التي تقودهم إلى الأمام.

ويلاحظ هنا في هذا الاصطلاح اليوناني، وجود حرف ἀπό الذي يفيد «سقط إلى خلف» أي «رجع إلى الوراء»، فإذا غاب هذا الحرف ἀπό وجاءت ὑστερῶν τῆς فإن المعنى يصبح مجرد تقصير في المتابعة مع النعمة<sup>(٦)</sup>.

لذلك فبولس الرسول هنا يتكلم عن الارتداد الكامل وليس التخلف في المسيرة المسيحية.

«أصل مرارة»:

التعبير له معنى عميق، فهو خلاف تعبير «أصل مر» والذي يعني مرارة لنفسه فقط كصفة عامة، ولكن أصل مرارة تفيد التمرُّ الذي سيخرج من هذه الشجرة أو هذا الإنسان. وهي واضحة جداً كما جاءت في سفر التثنية: «لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلهنا، لكي يذهب ليعبد آهة تلك الأمم لئلا يكون فيكم أصل يثمر علقماً (مرارة) وأفسنتياً.» (تث ٢٩: ١٨)

«يطلع»: ἀνω φούουσα

وصف بديع لظهور أصل المرارة. فالكلمة اليونانية تعني «نبتت»، فهنا يشبّهه ببذرة كانت مخفية تحت الأرض ثم نبتت دون أن يدري بها أحد، وفجأة ظهرت أي طلعت. فالفعل «ينمو» φύειν يُذكر في إنجيل ق. لوقا بمعنى أنه «نبتت» (لوقا ٨: ٨٠).

«فيتنجس به كثيرون»: μιανθῶσιν

من فعل «ينجس» μιαινω ويعني أيضاً «يلوث أو يُلطخ»، حيث يصبح الشخص له خاصية العدوى أو التلويث الخلفي كما جاءت في الرسالة إلى تيطس: «كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً، بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم!» (تي ١: ١٥). وهكذا إذا التصق إنسان أو شيء بإنسان منجس يصير نجساً، وهنا يضع النجسين على مستوى غير المؤمنين. ومن هنا يتضح المعنى الأصيل للنجس وهو الإنسان أو الشيء غير المخصّص لله أو الذي للعالم، حيث تتساوى نجاسة الزنا بنجاسة عدم الإيمان، لا من الجهة الجسدية فقط، بل من الجهة الروحية أيضاً: «تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم». ومن هنا كان تأثيرهم بالغ الانتشار.

١٦:١٢ «لثلا يكونَ أحدُ زانياً أو مُستَبِيحاً كَعيسو الذي لأجلِ أكلِهِ واحدةٍ باعَ بَكُورِيَّتَهُ».

«زانياً أو مستبيحاً»: πόρνος ἢ βέβηλος

«زانياً» الأولى لا تخص عيسو، فهي أعطيت دون إشارة لأحد، أما «مستبيحاً» فهي الصفة اللاصقة بعيسو. أما الزنا هنا فهو واضح أنه زنا الجسد.

ويسجل العهد القديم على عيسو ما يُفهم بأنه زنا بسبب تزوجه بزوجتين من بني حث جعلتا حياة رفقة أمه وإسحق أبيه في مرارة: «ولمّا كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجةً يهوديت ابنة بييري الحثّي، وبسمة ابنة إيلون الحثّي. فكانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة» (تك ٢٦: ٣٤ و٣٥). وقد شاع في الفكر اليهودي أن عيسو كان صياد نساء كما كان صياد غزلان، فالعلامة فيلو اليهودي يقول: [ عيسو كان صياداً ماهراً: «وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد إنسان البرية» (تك ٢٥: ٢٧). هذا يعني رذيلة الصيد تبعاً للشهوة، فكان غير لائق أن يعيش في مدينة الفضائل، ولكن يعيش حياة فظة خشنة غير منضبطة عديمة الإحساس ] (٧).

كما يعلّق على كونه أشعر كثيف الشعر بقوله: [ إنسان غير منضبط، شهواني، مُحب للفسق غير طاهر ] (٨). كما يذم فيه التزجوم الفلسطيني ويقول: [ إن اليوم الذي باع فيه بكوريته كان قد اقترف فيه خمسة تعديّات منها الزنا مع عذراء مخطوبة ] (على الآيّة تك ٢٥: ٢٦).

ولكن في رواية بولس الرسول عن عيسو، لم يحدّد له إلاّ الاستباحة فقط، ولكن الاستباحة تبيح كل شيء وتعني بالمفهوم الأخلاقي عدم اعتبار للقيم الروحية عامة.

ويبدو لنا أن كل هذه الصفات الخفية والمعروفة عن عيسو كان يعقوب يعرفها جيداً. وبغيرة شخصية على الميراث الأبوي المقدّس وبإيحاء من الله، صمّم أن يقطع هذا الأصل المُر من سلسال الآباء وخطّط له جيداً هو وأمّه التي ساعدت يعقوب مساعدة ماهرة مع تخطيط جيد وتصميم رائع وربما ساعدته في تمثيل حيلته حتى ربحها، بل ربحها التاريخ المقدّس. وهكذا وبهذه الغيرة المقدّسة لم يلتفت الله للخداع الذي اقترفه يعقوب ومرّ عليه دون إدانته، لأن الشيطان كان بيّنت لدسّ هذه الشخصية المستبيحة في التاريخ المقدّس لإفساد النسل. وأكبر دليل على أن الله اشترك

7. Philo, *Leg. Alleg.* iii.2 cited by F.F. Bruce.

8. Idem, *Questions and Answers on Genesis* IV.201.



في تعديل هذا الانحراف الخطير هو تصميم إسحق على البركة التي نطق بها لعيسو أصلاً، فخرجت ليعقوب غشاً، فلم يسحب البركة بل أكدها بعد أن اكتشف الحيلة، لأن الأمر كان قد صدر من الله (تك ٢٧: ٣٣).

ومن ناحية أخرى، تبدو الاستباحة صارخة في مقايضة البكورية التي هي ختم التقديس للابن البكر لميراث حق البركة من الله والتكريس له، مقايضتها بأكلة عدس، الأمر الذي يحمل ضمناً احتقاراً لمفهوم الموعد المقدس، بل احتقاراً لمفهوم الميلاد وحقوقه وشريعته، مما يُعطي الإحساس من بعيد بالاستهتار بقيم الزواج والميلاد عموماً. لهذا كانت تنحية عيسو من سلسال المواليد ورؤوسها عملاً واجباً حقاً.

ونحن نرى في تصرف إسحق بالنسبة لزواج يعقوب ما يكشف عن إحساسه الذي كان يعتدل في نفسه سابقاً دون أن يُفصح عنه، من جهة عدم أهلية عيسو للبكورية: «فدعا إسحق يعقوب (مرة أخرى) وباركه وأوصاه وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان آرام إلى بيت بتوثيل أبي أمك وخذ لنفسك زوجةً من هناك من بنات لابان أخي أمك» (تك ٢٨: ١-٣). وهكذا تصحَّح جدول الأنساب.

### «زانياً أو مستبيحاً»:

اختيار بولس الرسول لهاتين الصفتين كان عن قصد، لأن الصفة الأولى أقوى وأخطر صفة شخصية تقف عقبة في طريق القداسة التي حثَّ ق. بولس الجماعة على أتباعها.

أما الصفة الثانية فهي أيضاً أخطر صفة تعبر عن روح الجماعة أو مفهومها عن القداسة، فهي بدورها كفيلة أن تقضي على مستقبل الجماعة في سعيها واجتهادها نحو تكميل سيرة القداسة. فأى إنسان يقع في زنا النجاسة، تقف في الحال كل قدراته في الامتداد نحو القداسة. ويشابهه تماماً الشخص الذي تقمَّص شخصية الإنسان المستبيح المستهتر، فإنه يكون قد سدَّ الطريق المؤدي إلى قداسة الحياة بكلتا يديه!! لذلك، كان مثل عيسو للصفة الثانية وهي الاستباحة، مثلاً مُحكماً أشد الإحكام، إذ نال حق القداسة بالميلاد ودخل بالفعل في عمق الاختيار ليكون أباً للشعب يحمل اسمه وإيمانه أمام الله والناس، ولكن بسبب هذه الصفة الخطيرة الحقيرة (أي الاستباحة) باع وقايض اسم الله بالعدس!! واستغنى عن القداسة بجلء البطن، وأضاع أجداد الميعاد والاشترك فيه بشهوة الأكل!! أقرب خطية لخطية آدم!!

كان هذا تحذيراً حاداً وحاسماً وقاتلاً لأفكار هؤلاء العبرانيين المترددين الذين أرادوا أن يبيعوا

بدورهم بكوريتهم في كنيسة المسيح باستراحة نفسية، بالعودة إلى تراب الهيكل وحجارته، ويقايسوا الملكوت القائم والمُعَدُّ بهيكل آيل للسقوط والفناء وعبادة توقفت عن الحياة.

١٧:١٢ «فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رُفِضَ إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع».

هنا للأسف نجد المفسرين لم يوفقوا في شرح هذه الآية، إذ لم يكتشفوا الخطية القائلة التي سقط فيها عيسو، ولم يحدّدوا نوعيتها، لأنها أصلاً ليس لها غفران وبالتالي ليس لها توبة مهما دُرِفَت من أجلها الدموع!

فالتوبة ليس لها مكان، لأن الخطية التي اقترفها ليس لها غفران. محور الآية يشكّل نقطة هامة للغاية في المفهوم اللاهوتي وهو: «لم يجد للتوبة مكاناً، مع أنه طلبها بدموع!!» كيف؟ فني ظاهر الآية هجوم على مفهوم التوبة، فالتوبة لمن يطلبها حتى وليس بالدموع!! هذا هو قانون التوبة الإلهي، لأن روح التوبة هو الاعتراف بالخطية وكل من يعترف بخطاياهُ تُغْفَرُ له: «الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تُغْفَرُ لبني البشر والتجديف التي يجدفونها، ولكن من جَدَّفَ على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية.» (مر ٣: ٢٨ و ٢٩)

إذاً، كيف ولماذا تقول الآية هنا: «لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع»؟ الإجابة هنا، أنها خطية غير قابلة للغفران لأن عيسو اقترف خطية في حق الله: «من أخطأ إليّ أمحوه من كتابي» (خر ٣٢: ٣٣). وبالفعل فقد عمه الله من جدول النسل الذي جاء منه المسيح! وبالفعل فإن احتقار البكورية وبيعها بأكلة عدس يُعتبر تجديفاً على من تخصّص وتقدّس له — أي الله — لأنه نال البكورية أي التقديس لله كبكر فأصبح ليس يملك نفسه:

+ «وكلم الرب موسى قائلاً، قدّس "لي" كل بكر، كل فاتح رحم من بني إسرائيل.» (خر ١٣: ٢١)

+ «لأن لي كل بكر في بني إسرائيل.» (عد ٨: ١٧)

ولكي يتصوّر القارىء خطورة موقع البكر والتصرّف فيه، نقول إن البكر أيضاً في الحيوانات يتقدّس لله ويصير خاصاً لله ويُعتَمَلُ به ذبيحة ويُرثُ دمه على المذبح، أما يَكْرُ الحمار فإما يفديه أو يكسر رقبتة!! «ولكن كل بكر حمار تفديه بشاة، وإن لم تفديه فتنكسر عنقه» (خر ١٣: ١٣). من

هذا نفهم خطورة التصرف في البكر. فإذا تصرف البكر في نفسه مثلما تصرف عيسو وباع بكوريته بأكلة عدس، فقد حقَّ عليه في الحال نصيب مَنْ جَدَّف على الله وازدرى به!!

وهكذا، فكل خطية تصيب الله في اسمه أو كرامته أو عبادته تُحسب تعدياً على الله، وثمنها أصلاً هو الموت. والعقاب الذي وقع على عيسو بعد تصرفه هو الرفض من نصيب الله. لذلك قال بولس الرسول بحق: «لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ الْبَرَكَةَ رُفِضَ»، ولمَّا حاول التوبة عن تجديفه، كونه باع البكورية، لم يجد للتوبة مكاناً إذ كانت البركة قد أعطيت بتمامها وكما لها ليعقوب، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، كانت البكورية قد سُحبت منه حال البيع والمقايضة بصحن العدس. ومن جهة ثالثة، لم يجد مَنْ يسمع لتوبته أو يستجيب لها، فالذي جَدَّف عليه قد أغلق باب رحمة.

بل ومن جهة رابعة، لم يجد في قلبه من الإيمان والثقة والדالة ما يستجيب مع دموعه، فوقعت دموعه بعيداً عن الله والإيمان بوصاياها.

وهكذا تكشف قصة عيسو عن أن مَنْ يستهتر بعطية النعمة، يُعتبر كأنه داسها! كذلك فإن كل عطية من الله تُنشئ مسئولية تجاهها، إذا أهملها الإنسان واحتقرها فلا يكون لها إصلاح.

وأخيراً: «مُخِيفٌ هُوَ الْوَقُوعُ فِي يَدَيِ اللَّهِ الْحَيِّ»! (عب ١٠: ٣١)

[ ٢٩-١٨:١٢ ]

## الخط الثالث: التزامات يَحْتَمُّها العهد الجديد

أ - (٢٩-١٨:١٢): حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى .

ب - (٢٩-٢٢:١٢): وحال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع .

قصد القديس بولس في ختام محاجاته مع العبرانيين أن يُلخِّص لهم ، في صورة خاطفة ، كيف كانت علاقتهم بالله ، وموسى - الناموس - واقف كوسيط هو والشعب في ربة مشتركة وهلع أثناء تلقِّي الناموس . ثم نقلهم فجأة إلى مناظر سماوية يحياها المؤمنون الآن في - إنجيل - المسيح يسوع بالروح ، ملؤها السعادة والسلام .

فهو في إعطائهم لهاتين الصورتين ، كان كمن يمسك بيدهم ليعبر بهم من الأرض إلى السماء ، من ربة المقابلة التي بدأت بالدخان والنار وأصوات مرعدة ، إلى عِشْرَة حياة في الإنجيل مع الله في السماء باعتبار وساطة الرب يسوع .

أ - (٢٩-١٨:١٢): حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد موسى :

١٩ و ١٨:١٢ «لأنكم لم تَأْتُوا إلى :

جبلٍ مَلْمُوسٍ مضطربٍ بالنارِ وإلى ضبابٍ وظلامٍ وزوبعة .

وهتافِ بُوقٍ وِصْوَتِ كَلِمَاتِ الَّذِينَ اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تَزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ» .

[ «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من

جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نارُ

شريعة لهم .» (تث ٢٣: ٢) ]

هنا الطبيعة ، تُعبَّر بأقصى ما عندها من تعبير ، عن الله الذي بدأ يُعلن عن نفسه للإنسان ! فإن شئنا أن نلخِّص العهد القديم كله في كلمة ، فهو استعلان الله رب الطبيعة للإنسان الطبيعة إنسان الأرض والجسد !

فما هو أعظم وأضخم وأعلى كيان على الأرض لكي يُعبَّر عن كيان الله الحقيقي ؟ هو الجبل ، وهو ليس جبلاً من الخيال ، بل حقيقياً ملموساً باليد . هكذا الله في حقيقته برؤية الجسد .

وما هي أعظم وأخطر قوة قادرة في الطبيعة أن تأكل وتفتني أي كيان لكي تعبر عن طبيعة الله؟ هي النار في اضطرامها!

وما هو الذي تُعلن عنه الطبيعة عندما تُريد أن تخفي وراءها الحقائق فلا تُعلن للعين إلاً وكأنها أشباه لكي تعبر عن طبيعة الله غير المنظورة ولا مُدركة؟ هو الضباب.

ثم، ما هو الإجراء التي تتخذه الطبيعة لكي تحرم الرؤيا فلا يرى شيء البتة لكي يُعبر عن حركات الله الفائقة للعقل والحواس؟ هو الظلام.

ثم، ما هي حركة الطبيعة التي تُعبر عن العنف والشدة والحركة الفائقة التي تجرف من أمامها كل شيء لتُعبر عن غضب الله وتأديبه؟ هي الزوابع.

ثم، ما هو العمل الذي تعمله الطبيعة مع الإنسان ليعبر عن شدة وعلو صوت الله؟ هو البوق.

وما هي الصفات التي يمكن أن تُضاف على كلمات الإنسان لتصير كلمات الله؟ هي أن تبلغ من الشدة والعنف حتى تستعفي الأذن من سماعها.

بهذا يكون هذا الوصف الواقعي من الطبيعة الذي تم بحروفه على جبل سيناء، هو التعبير الحسي الجيد عن الله وطبيعته وصوته وكلماته التي أعطاهها الله لتكون تعبيراً أو استعلاناً عن جلاله المرعب وعظمة ومهابة حضرته، بشهادة شعب بأكمله وبوسيطه الذي كان هو أول من استعفى! «أنا مرتعب ومرتعد». هذا موسى، وهذه هي مواصفات الله وكلماته التي ذُوت لتصير ناموساً، وتعامل معها الشعب وتعامل الله معهم. وأخطر ما فيها أنه كما استعفى الشعب من سماعها حتى لا يُزاد له كلمة واحدة وختم موسى على رعبتهم باعترافه: «أنا مرتعب ومرتعد»، كذلك كان شأن الشعب مع ناموس موسى أيضاً: «لم يستطع آبائنا ولا نحن أن نحمله» (أع ١٥: ١٠).

+ «طول النهار بَسَطْتُ يَدَيَّ إِلَى شَعْبٍ مَعَانِدٍ وَمَقَاوِمٍ.» (رو ١٠: ٢١)

+ «لَمْ يَشْتَوْا فِي عَهْدِي وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ.» (عب ٨: ٩)

٢١ و ٢٠ : ١٢ «لأنهم لم يحتملوا ما أُمِرَ به. وإن مسَّت الجبلَ بِهَيْمَةٍ تُرْجَمُ أَوْ تُرْقَى بِهِمْ، وكانَ المَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفاً حَتَّى قَالَ مُوسَى: أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ.»

كانت الكلمات غير محتملة، ليس بسبب صداها المرعب فقط، بل بسبب محتواها ومفهومها

أيضاً. هذه كانت المفارقة بين الله والإنسان وهو يعد في طبيعته المتغربة عن نعمته. فكل هذا الخوف والرعدة والرعدة والاستعفاء من سماع كلمة واحدة تُرَاد، هو أعظم تعبير عن الطبيعة البشرية قبل أن تفتح على أسرار الله وتتقبل أفعال نعمته للتغيير والتجديد.

أما بشأن اقتراب البهيمة من الجبل ورجها أو قتلها بالسهم، فهو أروع تصوير على خطورة تعدي حدود أوامر الله. وهي تُرجم في حالة البعد من الحدود، أي قبل أن تخترق الخط المحدد. ولكن إذا عَبَرته فإنها تُرمى بالسهم من على بُعد حتى لا يلمسها أي إنسان لثلا يُحسب هو أيضاً متعدياً. إلى هذا القدر بلغ تصوير خطورة التعدي على حدود الوصية!! هذا يجعل الإنسان مهما بلغت بلادته أن ينفعل ويستيقظ وينتبه إلى خطورة الوصية وحدودها. وهكذا كان الله يستخدم التصوير الطبيعي ووسائل التوضيح المادي جداً، لكي يؤسس في الإنسان الهية الكافية للتعامل مع عظمتها وقيمة وخطورة الاقتراب إليه.

وأخيراً، يُبَلِّغ بولس الرسول هذا المشهد كله بأنه كان مخيفاً، حيث يكشف الوحي أن موسى نفسه ذا الطبيعة النبوية الاستعلانية والذي تكلم مع الله وجهاً لوجه، يصف ما حلَّ به بأن الرعدة اجتاحتها وأخذته الرعدة. وشهادة موسى هذه تقنعنا تماماً أن هذا المشهد كان حقاً أخطر ما شاهده الإنسان في حياته على الأرض. هكذا كان يليق فعلاً بتصوير واستعلان طبيعة الله للإنسان الذي كان لا يزال بينه وبين الله حجاب كثيف من صنع خطاياها وتعدياته.

ب - (١٢: ٢٢-٢٩): حال الشعب المسيحي وعلاقته بالله في المسيح يسوع:

«بل أتيتم»: عبر المعمودية بقيادة الإنجيل، ممسوكين بيد الروح القدس!!

لقد نجح بولس الرسول في هذا الاستعراض التمهيدي - الذي وصف فيه حال آباءهم في لقاءهم بالله، ومعهم وسيط العهد الأول موسى كليم الله، وأكثر الناس جميعهم حُلماً، النبي المقتدر صاحب العشر الضربات التي أصاب بها قطراً، وأرعب بها الفرعون الذي كان اسمه يرعب أعظم القواد والملوك، يستنطقه ليقول: «أنا خائف ومرتعِد». نجح ق. بولس أن يجعلنا نحن أيضاً نحس بما أحسَّ به الشعب آنذاك وبما اجتاحت قلب موسى من خوف ورعدة. وبذلك رجع بنا رجعة عميقة تضرب في طبيعتنا الموروثة أربعة آلاف سنة لتقف نفس وقفة هذا الشعب مع موسى أيضاً، لنحس بعظم الله وجبروته بنفس الإحساس الواقعي الذي أحسَّوه، مع أننا أصحاب طبيعة جديدة ولنا سند من الروح ومدعوون أبناء الله الحي، والحائزون على النعمة التي نحن فيها مقيمون.

إنها روعة التصوير وصدق الرؤيا في واقعية ليس فيها أي تهويل، وها هو يتقدَّم بنا إلى جبل

الأحلام والرؤى والمدينة ذات الأساسات نفسها، ذات القباب والأبواب، والله الديان على عرشه، ويسوع حاملٌ دمه، والمقدّسون صفوف صفوف، وملائكة وأرواح قديسين، باستعداد أن يحظف أرواحنا، لنجول معه هذه الجولة لنرى أين نحن، وإلى أين نحن سائرون، وأي سعد يحيط بنا، وسعادة تنتظرنا، ونصيب مجيد نلناه، ونصيب أجد في انتظارنا، وكأنه يحملنا على جناح شاروبيم، كما حمل الله شعبه قديماً على جناح نسر (خر ١٩: ٤)!

٢٢: ١٢ «بل قد أنيتم إلى جلي صهيون، وإلى مدينة الله الحي، وأورشليم السماوية، وإلى زبوايت هم مخيف ملأئكة».

«بل قد أنيتم»:

بل بالحري ارتفعتم إلى أعلى من السموات — لأننا متنا معه — حيث رفعه الله ونحن معه فوق الكل، فوق سيناء الشاخنة بجبالها الجرداء، سيناء العربية موطن الجارية، نراها تحت أقدامنا، وألواح مكسورة وألواح مهجورة وبقايا عجل مسبوك وجثث بلا عدد، وصخرة مضروبة، وعصاة مرفوعة وعليها حيّة مقتولة، ورفات رئيس كهنة، ورفات نبيّة ماسكة بدف في يدها. ذكريات من أحلى ذكريات الإنسان مملوءة مخاطر وأحزاناً وتذمراً وعصياناً ومعوناتٍ ومعجزاتٍ في طي النسيان كلها، باتت تحكي عن فجر إيمان، ما أن أشرق حتى غاب وغابت معه تطلعات الإنسان، تركت على التاريخ بصمات العبور من ظلمة إلى ظلمة برجاء انبثاق النور.

«إلى جبل صهيون»: Σιὼν ὄρει

[ «أنا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قديسي.» (مز ٢: ٦) ]  
«عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه، جبل الارتفاع  
فرح كل الأرض جبل صهيون، فرح أقاصي الشمال، مدينة الملك  
العظيم، الله في قصورها يُقرَّب ملجأ.» (مز ٤٨: ١-٣)  
[ «من صهيون كمال الجمال الله أشرق.» (مز ٥٠: ٢) ]

غير مضطرم بالنار بل ملفوف بالنور، غير ملموس لأنه غير مصنوع، وفيه أساساته المقدسة ومقر حكمه لعهد الجديد<sup>(١)</sup>، وعليه مدينة الله. فامتد جبل الله صهيون وشمل أورشليم مدينته — كما

(١) هكذا صنع داود الملك بعد أن استول على جبل صهيون من اليوسيين. نقل إليه تابوت العهد، وجعله مقراً لكرسيه وكان الله يحكم من هناك: «اختار سبط يهوذا جبل صهيون الذي أحبه وبنى مقدسه (هيكله) كالسماوات العلاء، كالأرض التي أسسها إلى الأبد.» (مز ٧٨: ٦٨ حسب السبعينية)

صنع داود في القديم — فصارت صهيون وأورشليم مسكن العلي. وكما كانت تكون (١٠)، هناك بيته، والأمكنة المعدّة مع شعبه، وفي وسطها عرشه.

وأبواب صهيون أحياها الله (مز ٨٧: ٢)، تُسمع فيها تسايح يرّدّ صداها الأبد، وبنات صهيون يسبحن ويُخبرن بتحركات نجم إسرائيل.

### «وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية»: (١١)

[ «أنا أورشليم العليا التي هي أمتا جميعاً، فهي حرّة». (غل ٤: ٢٦)

«استيقظي استيقظي البسي عزّك يا صهيون، البسي ثياب جمالك يا

أورشليم المدينة المقدّسة». (إش ٥٢: ١) ]

المدينة التي لها الأساس (عب ١١: ١٠)، التي كان يتطلّع إليها إبراهيم يوم خرج من أور وهو لا يعرف إلى أين يذهب، متغرباً في الأرض كلها، وصورتها في السماء تقود خطواته على الأرض فما زلت أبدأ.

ونحن سرنا مسيرته رافعين أعيننا نحو ما رفع، غرباء نطلب العتيدة، سماؤها جديدة وأرضها جديدة.

+ «وأنا يوحنا رأيتُ المدينة المقدّسة أورشليم الجديدة (١٢) ... وسمعتُ صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس ... وسيمسح الله كل دموعاً من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجعٌ فيما بعد». (رؤ ٢١: ٢-٤)

(١٠) «تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم أورشليم كمدينة متصلة كلها حيث سعدت الأسباط، أسباط الرب، كما أوصى الرب لإسرائيل ليذكروه ويمدحوا اسم الرب». (مز ١٣٢: ٣ حسب السبعينية)

(١١) قبل كل شيء يلزم أن نفهم أن كل الأوصاف التي لأورشليم العليا هي إلهامات وليست واقعاً روحياً متقناً، لأن أورشليم السماوية لم تُستعلن بعد في وضعها الأخير، فنحن لا زلنا ننتظرها ونترجاها بالإيمان: «ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة» (عب ١٣: ١٤). ولكن لأننا قد صرنا مواطنين، أصبحت لنا حقوق إيمانية نجعلنا نتطلع إليها ونستشف بالروح السعادة المحيطة بها. ثم بعد كل شيء فنحن في المسيح والروح القدس نُحسب أننا دخلنا في واقع هذه المواطنة السعيدة، نعيشها ونطلب كمال استعلانها.

(١٢) على القاريء أن يلاحظ أن داود النبي والملك أخذ رسم الهيكل وتخطيطه من الله مباشرة «مثاله بالروح» مرسومة بيد الله، تماماً كما أخذ موسى رسم خيمة الاجتماع بالرؤيا من الله: «وأعطى داود سليمان ابنه مثال الرواق وبيوته وخزائنه وعلايته ومخادعه الداخلية وبيت الغطاء. ومثال كل ما كان عنده بالروح لديار بيت الرب» (١ أي ٢٨: ١١ و١٢). لهذا نُحسب كل أوصاف أورشليم السماوية وجبل صهيون والمدينة التي لها الأساسات هي الأصل ἀρχέτυπος والتي كانت على الأرض هي الشبه.



+ « وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدّسة ... لها مجد الله ... وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً<sup>(١٣)</sup>، وعليها أسماء رُسل الحروف الاثني عشر ... لأن الرب الله القادر على كل شيء هو "والحروف" هيكلها ... مجد الله قد أنارها والحروف سراجها، وتمشي شعوب المخلّصين بنورها ... ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين في سفر حياة الحروف. » (رؤيا ٢١: ١٠-٢٦)

+ « هذا يقوله القدوس الحق ... ها أنا آتي سريعاً ... من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ولا يعود يخرج إلى خارج وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة. » (رؤيا ٣: ١١ و ١٢ و ١٧ و ١٩)

### «مدينة الله الحي أورشليم السماوية»

(عب ١٢: ٢٢)

«المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها هو الله»

(عب ١١: ١٠)

رؤية فريدة للمجتمع البشري من وجهة النظر المسيحية في الرسالة إلى العبرانيين:

[ «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة "الحجر الكريم" أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. »  
(مت ١٦: ١٨)

«وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء  
رُسل الحروف الاثني عشر. » (رؤيا ٢١: ١٤) ]

هذا الاصطلاح الروحي الصرف المليء بمشاعر الألفة الجماعية للإنسان، والحنين الملح إلى ارتقاء في التعامل الفكري والنفسي، لحياة أكثر استقراراً وأخصب إنتاجاً وأغنى حياً وأعمق وأبدع هدفاً، كان يداعب أفكار وأرواح جميع الآباء والأنبياء والقديسين على مدى العصور، بل شغل بال الإنسان المتحضّر بصورة كانت ولا تزال شديدة للغاية، عاناها شعب إسرائيل كأمة يهودية تقدّمت في مراقبي الحضارة، ثم تخلّفت وراء الحضارة اليونانية التي سلّمت هذا الفكر وهذا الانشغال عينه بمستقبل الإنسان، للمسيحية، التي ورثت الإرهاصات لهذا الفكر بل لهذا الأمل من اليهود، ثم

(١٣) لذلك سُمّيت بالمدينة التي لها الأساسات.

أخصبه لها بولس الرسول بتحضره المتعدد الجوانب، ثم سفر الرؤيا الذي يعبر عن رؤية روحية لواقع غير موجود، ثم استلمه المسيحيون الأوائل جاهزاً للتأمل والانطلاق.

فما هي مدينة الله هذه؟ وكيف ومتى صنعها الله وأبرأها للإنسان؟

هذا الاصطلاح ليس من تأليف كاتب الرسالة إلى العبرانيين، ولكنه صدى للتراث الفكري المتراكم عبر العصور للشعب اليهودي منذ أن دعا الله إبراهيم أن يترك «مدينته» وشعبه ووطنه وأرضه إلى أرض أخرى لا يعلم أين هي ولا ما هي. ولكنها على أي حال أرض الله، وإن كان لا يعرف أين هي، فهو ذاهب إليها طالما هو قد أطاع الصوت وترك مدينته! فالترك بالنيّة كان هو الذهاب الفعلي، وطاعة الوصية كانت هي بمثابة الوصول!! حتى وإن طال الذهاب.

أما «أور»، مدينة أبرام القديمة، فلماذا أمره الله بتركها؟ إلا إذا كانت مدينة ليس لها أساسات، شأن كل مصنوعات الإنسان، فمآلها إلى الفناء. أما المدينة التي لها الأساسات، فهي ليست مجرد مدينة لها أساسات، بل التعريف يُخرجها عن كل مدينة في العالم: فهي المدينة التي لها الأساسات باعتبارها المدينة الوحيدة التي لها الأساسات. فأساساتها اثنا عشر، مكتوب عليها أسماء رُسل المسيح الاثني عشر، فهي الكنيسة حتماً، وأبوابها اثنا عشر، كل منها لؤلؤة فهي بشارة الاثني عشر، وكل بشارة هي اللؤلؤة التي باع الحكيم كل أمواله واشتراها.

والمدينة نعلم أنها المجتمع البشري، فهي بالتالي المدينة الوحيدة، فهي ليست من مدن العالم الحاضر، والتي أساسات المجتمع البشري فيها غير قابلة للزعزعة ولا الفساد، فهي متأصلة حتماً فيما لا يفسد ولا يتزعزع، في السماء، لأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها لأن الرب هو الذي بناها.

هذا التصوّر الإبداعي لمثل هذه المدينة، خاصة حينما قال: «التي صانعها وبارئها الله» (عب ١١: ١٠)، حيث «صانعها»، هنا تفيد باليونانية «فن تخطيطها» τεχνίτης (من تكنولوجيا)، «لولم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري...» (يو ١٥: ٢٤). «وبارئها» = δημιουργός وتعني الخالق الذي يخلق، أي يصنع ويشكّل ما يخص الإنسان في نفسه، يفيد مباشرة أنها مدينة الله حقاً. «وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستي» (مت ١٦: ١٨). فهي مدينة ثابتة ذات أصول لا تتزعزع ولا تفسد لأن هذا هو مفهوم «التي لها الأساسات»، ثابتة وقائمة في تدبير الله منذ الأزل وفي خطة خلقته قبل خلقه العالم: «اختارنا فيه "في المسيح" قبل تأسيس العالم لتكون قديسين» (أف ١: ٤). أي قبل قيام الخليقة وكل مدينة، والتي كل مدينة في الحاضر تأخذ منها الشبه والصورة ولكن على غير أساسات الله، وأية مدينة في العالم لم تُهدم وتُحرق وتزول معالمها عدّة مرات؟

مفهوم «مدينة الله الحي»، أي المجتمع المسيحي، في الرسالة إلى العبرانيين:

أولاً، يلزم أن ننتبه أن كلمة «الكنيسة» لم تُستعمل في الرسالة إلى العبرانيين بمفهومها الكنسي، ولكن عوضاً عن مفهوم الكنيسة التي هي في خلاصتها الإنجيلية المجتمع المسيحي في اتحاد عضوي، تُعطي الرسالة إلى العبرانيين هذه المعاني:

أ - العالم العتيق = ἡ οἰκουμένη ἢ μέλλουσα (عب ٢: ٥) التي بحسب التعبير اليوناني الحرفي تُفهم أنها نظام المجتمع الإنساني الأخرى أو المستقبلي الذي يفسر بالنظام الإلهي.

ب - بيت الله = ὁ οἶκος τοῦ θεοῦ . حيث يوضّح في (٢: ٣) أن الله أقام المسيح على «بيته»، باعتبار أن المسيح هو باني البيت، وكرامة المسيح أعلى من البيت ذاته، لأن الله هو باني البيت!

ثم، «بيته هونحن» (٦-٢: ٣).

ثم، يصرّح أن المسيح هو الكاهن على بيت الله (٢١: ١٠). والتي في رسائل ق. بولس الأخرى وسفر الرؤيا هو العريس والزوج.

ج - المدينة التي لها الأساسات التي صانها وبارتها هو الله (عب ١١: ١٠) ويدعوها صراحة «أعدّ لهم مدينة» - «وطناً ... سماوياً». (١٦: ١١)

د - المدينة العتيقة = μέλλουσαν الباقية (١٤: ١٣).

هـ - جبل صهيون، مدينة الله الحي، أورشليم السماوية مع ربوات هم محفل ملائكة كنيسة أبنكار مكتوبين في السموات، مع الله الديان وأرواح أبرار مكتملين، ووسيط عهد جديد يسوع ودم رش يتكلم (عب ١٢: ٢٢-٢٤).

و - «ملكوتاً لا يتزعزع» (٢٨: ١٢) = βασιλείαν ἀσάλευτον

كل هذه التعابير تحيط تماماً بمفهوم المجتمع المسيحي في كماله أو تكميله، الذي يسميه الرسل في مواضع أخرى بالكنيسة في السماويات، وفي سفر الرؤيا المدينة المزيّنة لعريستها!

وبالتعمق في هذه الاصطلاحات التي تقدّمها الرسالة إلى العبرانيين مثل: «العالم العتيق»: و «مللوسا» تعني «الأخرى أو الآتية»، ثم الملكوت الذي لا يتزعزع والمدينة الباقية والعتيقة ومدينة الله الحي - هذه الأوصاف كلها هي أخرى، ولكن الرسالة تضعها في حكم القائمة، مما يفيد أن المجتمع المسيحي الآن إنما هو ينمو ويمتد على أساس شكله الأخير المكتمل، بمعنى أن الرسالة تصف المجتمع المسيحي الآن في صورته النهائية باعتبار حتمية تكميل ما هو آت. وهذا

يفيد بصورة رائعة حقاً أن وصف المجتمع المسيحي الآن على أساس حتمية ما سيكون هو الرد الخالص لسبب ومعنى الخليفة، خصوصاً في قوله: «ملكوت لا يتزعزع»، أو «مدينة باقية».

ثم، بسبب هذا العمق الشمولي في تعريف المجتمع المسيحي، لا نجد أي أثر للمفاهيم البدائية عن دخول الأمم وعن الصراع بين اليهودية والمسيحية، باعتبار أن هذه تُحسب كشكليات زمانية ستنتهي بانتهاء المدينة التي ليست لها الأساسات، العالم الحاضر، والملكوت الذي يتزعزع!! وهذا نراه واضحاً ومطبّقاً بصورة كبيرة. فالمجتمع المسيحي (الكنيسة) يقترب من وضعه النهائي، إذ تذوب هذه الفوارق الزمنية في المسيح الذي هو التعبير الكامل والنهائي عن الملكوت الذي لا يتزعزع!

ماذا تعني الرسالة إلى العبرانيين بالقول:

«ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع، ليكون عندنا شكر...» (١٢: ٢٨):

بالرغم من أن شرح الرسالة سيشمل هذه الآية، ولكن ونحن بصدد «مدينة الله الحي»، بمعنى المجتمع المسيحي في السماء، نشير إلى أنه هو بعينه الملكوت الذي لا يتزعزع، ولكن ἀσάλευτον لا تعني «لا يتزعزع»، بل «غير قابل لأن يتزعزع»<sup>(١٤)</sup>، وهو نفس تعبير المسيح: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها». ويشدّد المسيح ويدعم قوله هذا في موضع آخر: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول»! (مت ٢٤: ٣٥)، حيث كلامه هو قوة الكنيسة وجوهرها أي الإنجيل.

وقوله: «ونحن قابلون ملكوتاً»، يعني في اللغة اليونانية معنى «الهبّة والعطية». أما قوله: «ليكن عندنا شكر»، فهو الوسيلة التي بها نمتلك هذه العطية، أي أن نُحسب «بني الملكوت» أو مجتمتع المسيح، أهل بيت الله، أو ملكوت المسيح. ومعروف بحسب سفر الرؤيا ورسالة بطرس الرسول أن ملكوت المسيح هو هو «ملكوت ملوك»: «جعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة» (رؤ ٥: ١٠)، «كهنوت ملوكي». (١ بط ٢: ٩)

وهنا يبرز التعبير الأكمل «ملكوت الله»، وهو الأمر الذي كان يشغل بال المسيح مباشرة بعد القيامة من الأموات حيث افتتح هذا الملكوت رسمياً: «الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلّم عن الأمور المختصة بملكوت السموات» (أع ١: ٣). وهو نفس الملكوت الذي بدأ به كرازته: «من ذلك الزمان ابتداء يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت ٤: ١٧). وهنا يقول عن الملكوت أنه قد اقترب،

لأنه لم يكن قد أكمل افتتاحه بالموت على الصليب كقارة عن خطايا العالم وبالقيامة من السموات. أما بعد القيامة فقد صار حقيقة سماوية مُشْتَعَلَنَة ومفتوحة «لأبناء الله». لذلك وفي آخر أيام بولس الرسول الذي يمثّل قمة التعاليم الرسولية، وفي آخر آية تسجّلت لسفر أعمال الرسل يتحقّق الملوك كموضوع يكرز به، كبشارة مُفْرحة ويعلم به للجميع بلا مانع: «وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع.» (أع ٢٨: ٣٠ و٣١)

«وإلى ربوات هم محفل ملائكة»: *μυριάσιν ἀγγέλων πανηγύρει*

[في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلّصهم، بحبته ورأفته هو فكّهم

ورفعهم وحلّمهم كل الأيام القديّة. (إش ٦٣: ٩)

«الملاك الذي خلّصني من كل شرببارك الغلامين.» (تك ٤٨: ١٦)

«في البطن قبض يعقّب أخيه، وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك

وغلب.» (هو ١٢: ٤ و٣)

«هذا موسى الذي أنكروه قائلين من أقامك رئيساً وقاضياً. هذا أرسله الله

رئيساً وقادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة.» (أع ٧: ٣٥)

«هذا (موسى) هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان

يكلّمه في جبل سيناء ومع آبائنا.» (أع ٧: ٣٨)

«فرأى ظاهراً في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله داخلأ

إليه وقائلاً له يا كزنبليوس، فلماً شخص إليه ودخله الخوف قال: ماذا ياسيد.

فقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكراً أمام الله.» (أع ١٠: ٤ و٣)

«وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت، فضرب جنب بطرس وأيقظه

قائلاً فم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه. وقال له الملاك تنطق والبس

نعليك، ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه، وكان لا

يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن أنه ينظر رؤيا. فجازا

المحرس الأول والشاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما

من ذاته فخرجا وتقدما زقافاً واحداً وللوقت فارقه الملاك.» (أع ١٢: ٧-١٠)

«لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك، على الأيدي

يحملونك لكلا تصدم بحجر رجلك.» (مز ٩١: ١١ و١٢)

«ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تحمّده.» (مت ٤: ١١)

«انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنني أقول لكم إن ملائكتهم في

السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات.» (مت ١٨: ١٠)

«أتظن أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة.» (مت ٢٦: ٥٣)

«فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.» (لوقا ١٦: ٢٢)

«واضطجع ونام تحت الرقعة وإذا بملاك قد مسح وقال قم وكُل، فتطع وإذا كعكة رُضِف (مخبوزة على الجمر) وكوز ماء عند رأسه، فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسح وقال قم وكُل لأن المسافة كثيرة عليك.» (١ مل ١٩: ٥-٧)

الملائكة الذين أملاوا التاموس على موسى وسلموه ليكون شريعة للناس، وكأنهم كانوا ضمن هيئة التشريع والقضاء قديماً، دخلوا هنا في زمرة الكنيسة مع الأبيكار والأرواح، لا فرق على حد سواء: «يكونون كملائكة في السموات» (مر ١٢: ٢٥). وإن كان الملائكة الذين اضطلعوا بتسليم التاموس قلة، فهنا ربوات أي عشرات الألوف. وهناك إن كانوا يعملون فرادى، فهنا يجمعهم محفلهم الملائكي الفائق الوصف والجمال. جاءوا ليفرحوا مع الفرحين ويفرحوا الذين خرجوا من الضيقة العظيمة.

وقوله: «محفل» πανηγύρει تعني مجموعة ضخمة جداً ذات أقسام ودرجات وصفوف. فمنها ملائكة برؤسائها: «ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه» (١ د: ٧١٠) يتقدسون ويسبحون!! ومنها ملائكة لها قدرة النار وخفة الرياح، هؤلاء المعينون «للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (عب ١: ١٤)؛ ومنها ملائكة البشارة بقائدهم جبرائيل العظيم أول من نطق باسم المخلص وأعطى البشرى للعداء (لوقا ٢٦: ٢٦)؛ ومنها ملائكة المقاومة والضرب والتأديب برئيسها العظيم في الملائكة ميخائيل الذي حارب «رئيس بابل» لحساب ملاك البشرى الطائر نحو دانيال، والذي حارب الشيطان وانتهره باسم الرب من أجل جسد موسى الصاعد به، والذي ستعتقد على لوائه الحرب الأخيرة هو وملائكته لضرب وإسقاط الشيطان وملائكته وتحلية السماء من وجودهم؛ ومنها ملائكة المرافقة والحراسة الخاصة بكل بني المعمودية باعتبارهم أشابين غير منظورين للعتيدين أن يرثوا الخلاص؛ ومنها ملائكة المرافقة والمعونة للذين في الأسفار والمبشرين الجائلين وخدام الإنجيل أينما كانوا، والمتوحدين؛ ومنها ملائكة الأطفال لحراستهم كحديقة العين حتى وإن نسيتهن أمهاتهم لا يشهن سوء، وهم يقدمون تقاريرهم عنهم كل يوم ويتراءون أمام وجه الله دائماً.

صفوف صفوف يعجز القلم عن وصفهم وعددهم وذكر أسمائهم والتأمل في بهاء نورهم وجمال وجوههم وجلال قدرتهم.

٢٣:١٢ «وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله دَبَّانِ الجميع وإلى أرواح أبرارٍ مُكَمَّلِينَ».

في الأصل اليوناني الذي أخذ به الآباء الأوائل، تأتي كلمة «ربوات» التي دخلت على «الملائكة» مع كنيسة أبكار أيضاً، فتكون «ربوات هم مغل ملائكة وهم كنيسة أبكار».

والآن بعد أن وصف بولس الرسول الأماكن العليا السماوية، بدأ يصف ساكنيها. وأول شيء جديد يسترعي الأنظار هو وجود الملائكة مع الكنيسة بلا تفریق، وليس كما كان في كل أسفار العهد القديم، حيث تأخذ الملائكة دور القيادة والتوجيه، فهنا يقف أفراد الطغمتين معاً سواء بسواء للتسبيح والشكر الدائمين إلى أبد الأبدین. وهكذا تتكشّف أصول وأهداف خلقه طبيعة الإنسان التي عثرت ثم قامت ثم صعدت، أنها خلقت لتنتهي عند ميراثها السماوي كخليقة مُسَبَّحة لم تكن لتقلُّ أبداً عن طبيعة الملائكة إلا بالموت الذي فُرض عليها فحرمها من ميراثها المحفوظ لها إلى أن تجوزه مع المسيح. وهذا نستدله بقوة من قول المسيح: «يكونون كملائكة (الله) في السموات» (مر٢٥: ١٢). فبولس الرسول كان حكيماً إلى أقصى حد بوضع الملائكة بجملتها في صف واحد مع كنيسة أبكار: «ربوات ملائكة هم مغل وكنيسة أبكار». حيث يمكن جداً حسب رأي العالم وستكوت<sup>(١٥)</sup> أن تكون الترجمة: «ربوات هم مغل ملائكة مع كنيسة أبكار»، حيث الربوات *μυριάσιν* تضم الملائكة والكنيسة معاً!!

وفي سفر أيوب، يصف الله منظر الملائكة مجتمعمة وهي تهتف وتبارك وتسبح وقت أن خرجت الخليقة إلى الوجود. ونبّه أن المتكلم لأيوب هو الله نفسه: «فأجاب الرب أيوب من العاصفة وقال ... أسألك فتعلمني (للتوبيخ). أين كنت حين أسست الأرض ... عندما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني (أي الملائكة) الله» (أي ٣٨: ١ و٣ و٤ و٧). هكذا تماماً تنتهي الخليقة بموقف مشترك من الملائكة والمقديين معاً في حفل تسبيح وهتاف وشكر يدوم، حيث الكل، هذا وذاك، يُحسبون بني العلي!!

وهكذا ينجعم العنصر الأرضي المتقدس بعد أن بلغ الروحانية بالعنصر السماوي الروحي، ولكن وُضع العنصر السماوي أولاً لأنه هو الذي بُدئ الخلق به: «هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت» (تك ٢: ٤)، «فأكملت السموات والأرض وكل جندها.» (تك ١: ٢)

أما كلمة «كنيسة» ἐκκλησία فيتبعها مباشرة «مكتوبين في السموات» حيث «سجل المفلدين» أي «سفر الحياة» (رؤ ١٣: ٨) أو «كتاب (الحياة) الذي كَتَبَ» (راجع خر ٣٢: ٣٢). والكنيسة هنا هي بصورتها العامة وليست الخاصة، أي بالصورة المعروفة أنها جماعة القديسين المختارين فقط، وليست جسد الكنيسة، أي الصورة الخاصة بالمفلدين فقط. لأن المعنى يشمل الآباء الأول القديسين.

وهنا كلمة «أبكار» πρωτοτόκων لا تعني «أبكار» بالقيامة من الأموات، حيث تأخذ الطبيعة البشرية أقدس صورة لها عند الله، أي تصبح شريكة في الطبيعة الإلهية بالمسيح يسوع كجسد واحد، ولكن «الأبكار» بالمفهوم الروحي للعهد القديم وليس الجسدي، هو لقب كرامة لأولاد الله مثل: «إسرائيل ابني البكر» (خر ٤: ٢٢)، كشعب، حيث حُسب أنه أول الشعوب الذي نال لقب شعب الله. فلو تأملنا في الشعب كوحدة، كإنسان واحد مُمثلاً في يعقوب إسرائيل، يكون الشعب «كإنسان بكر لله».

وعلى نفس النمط، فبكورية المسيح أعطيت له لقباً، وليس بالميلاد، فهو لقب روحي عالي كمنحة فوق العادة تتناسب مع دوره البديع كآدم الثاني، كإسرائيل الجديد: «هو يدعوني أبي أنت إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكرأ أعلى من ملوك الأرض» (مز ٨٩: ٢٦ و٢٧)، هنا كلمة «أجعله» تعني المنحة. فلا عجب أن الكنيسة التي تكوّنت في السماء واحتلت مكانها بين الملائكة في أورشليم السماوية، خاصة فيما قبل المسيح، تُسمّى كنيسة أبكار كونهم أول المكتوبين! يعرّز هذا القول ما جاء بعد ذلك في قوله: «مكتوبين في السموات» أي في سفر الحياة المكتوب فيه أسماء الذين سيخلصون، مكتوبين منذ تأسيس العالم بسبق علم الله:

+ «فسيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماءهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الحروف الذي دُحِبَ.» (رؤ ١٣: ٨)

وهذا التقليد قديم للغاية، وكان يعرفه موسى تمام المعرفة حينما وقف يحاجج الله عن الشعب الذي ترك الله وعَبَدَ العِجَل، بينما الله مزعم أن يببده: «والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فافحني من كتابك الذي كَتَبْتَ». فقال الرب لموسى: مَنْ أخطأ إليّ أمحوه من كتابي.» (خر ٣٢: ٣٢)

(٣٣ و٣٢)

إذاً، فحقُّ هو ما جاء في سفر الرؤيا في قوله: «أسماءهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حياة الحروف»، بمعنى أنه لا تُكتب أسماء الآن أو قبل الآن أو بعد الآن، فالأسماء كلها مكتوبة



ومعروفة منذ تأسيس العالم: «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكى المُخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع اكليمنديس أيضاً وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة» (في ٤: ٣). ومعروف جيداً من الوحي المقدّس الناطق في فم دانيال أن هذا السفر وتسجيل الأسماء فيه المعيّنة للحياة الأبدية كان موجوداً والأسماء فيه كاملة: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنحى شعبك، كلُّ مَنْ يوجد مكتوباً في السفر.» (١: ١٢د)

ومع الكتابة للأسماء يعطي الوحي المقدّس مفهوم التعيين الشخصي المُستيق: «فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب. وآمن جميع الذين كانوا «معينين» للحياة الأبدية» (أع ١٣: ٤٨). إذأ، فهي كنيسة أبكار ممنوحة هذا اللقب بسبب ما قدّمته من إيمان بالله واحتمال آلام وصبر وغربة ومعاناة وربما شهادة، وهي معروفة لدى الله ومكتوب أسماؤها في سفر الحياة «مكتوبين في السموات».

ومنحة لقب «بكر» أعطاهها الوحي المقدّس في سفر الرؤيا لكل الأَطهار: «هؤلاء هم الذين لم يتنجّسوا مع النساء لأنهم أطهار، هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب، هؤلاء اشتروا من ابن الناس «باكورة» لله وللخروف» (رؤ ١٤: ٤). إذأ، واضح هنا أنه لقب تقديس وتكريم. وهنا الباكورة منسوبة لله، فهم ليسوا أبكاراً بالطبيعة ولكن بالسيرة. لذلك ضمّهم الله لحسابه بعد أن اشتراهم كأبكار من بين الناس ليصيروا باكورة له، «باكورة لله»، وهذه هي بعينها «كنيسة أبكار مكتوبين في السموات».

«وإلى الله ديان الجميع»:

والأصح منطقياً أن يُقال: «وإلى ديان الجميع - الله -»، وهكذا تأتي في الأصل اليوناني. لأنه من غير اللائق أن يُضاف الله إلى قائمة الموجودين في صهيون، ولكن الأصح أن الموجود يكون هو ديان الجميع الذي طبعاً هو الله. لأن جميع هؤلاء الموجودين هم موجودون بفضل ديان الجميع الذي برّهم وهبّاهم للوجود معه، فالله فوقهم وليس بينهم، لذلك لائق أن يأتي بعد الديان «أرواح أبرار مكتملين».

«أرواح أبرار مكتملين»:

نحن هنا لسنا في حالة استعلان كلي للمجد القادم، ولكن رؤية من بُعد «أنتيم إلى». فهنا ذكر العناصر التي سيتشكّل منها الملكوت القادم، لذلك فالتعامل هنا مع أرواح لم تلبس جسدها

السماوي بعد، وهؤلاء هم الأرواح التي كانت في السجن حسب تعبير بطرس الرسول الذين ذهب إليهم المسيح لما نزل إلى الجحيم بالنفس والروح، حينما كان الجسد مُسَجَّى في القبر: «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يُقَرِّبنا إلى الله، مُماتاً في الجسد ولكن مُحيي في الروح (بمعنى أنه لما كان ميتاً بالجسد كان حياً بروحه)، الذي فيه أيضاً ذهب فركز للأرواح التي في السجن.» (١٦) (١بط ٣: ١٨ و١٩)

هؤلاء لما آمنوا، برَّزهم المسيح، وهكذا كُتِّموا وصاروا ضمن كنيسة الأبكار، ولكن بانتظار القيامة العامة ليلبسوا أجسادهم السماوية.

وهكذا ضُمَّ «جبل صهيون، أي أورشليم السماوية»، كلاً من ربوات الملائكة مع كنيسة أبكار (قديسين مبرِّرين) مع أرواح مبرِّرة ومكتملة.

ويُلاحَظ هنا أن هناك فرقاً بين «أبرار كاملين»  $\tau\epsilon\lambda\epsilon\iota\omega\nu$  و «أبرار مكتملين»  $\tau\epsilon\tau\epsilon\lambda\epsilon\iota\omega\mu\acute{\epsilon}\nu\omega\nu$ . فالكاملون انطلقوا من أجسادهم كاملتي الإيمان والشركة في المسيح والروح القدس، هذا تبرير كامل. أما المكتملون فهؤلاء الذين انطلقوا من أجسادهم بدون تبرير أو إيمان بالمسيح، ونالوا التبرير بكراسة خاصة لأرواحهم عندما نزل إليهم المسيح وأصعدهم معه مبرِّرين: «فإنه لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً (العهد القديم) لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح»، لذلك قيل أنه «على استعداد أن يدين الأحياء والأموات.» (١بط ٤: ٥ و٦)

٢٤: ١٢ «وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رُش يتكلم أفضل من هايل.»

لا دخول ولا اقتراب إلى جبل صهيون وأورشليم السماوية، دون العبور على وسيط العهد الجديد، كما لم يمكن أن يصل شعب إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد إلاً بوسيط تعيّن أن يكون موسى: «هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة» (أع ٧: ٣٥). هكذا تعيّن أن: «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاً بي» (يو ١٤: ٦)، ولا أحد يستطيع أن يبلغ إلى الآب أو يراه، إلاً إذا تقدّس «إتَّبِعُوا القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب» (عب ١٢: ١٤)، ولا قداسة إلاً «بدم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يطهّر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا

(١٦) هذه الأرواح التي في السجن غير أرواح القديسين والبطارقة والآباء والأنبياء والمختارين من رجال العهد القديم، الذين حسبوا بإيمانهم العظيم بالله أن يكونوا هم كنيسة أبكار. أما هذه الأرواح التي في السجن، فيقول بطرس الرسول في نفس الآية إنها «عصت قديماً»، فكانت في حاجة إلى الإيمان الذي نالوه بكراسة المسيح لهم.

الله الحي» (عب ٩: ١٤)، «لكي يقَدِّس الشعب بدم نفسه.» (عب ١٣: ١٢)

فكما بعد أن رتب موسى كل ما يخص خيمة الاجتماع «بعد ما كلّم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والثيروس مع ماء ووصوفاً قرمزيّاً وزوفاً ورشّ الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلاً: هذا هو دم العهد الذي أوصاكم الله به — فمن ثمّ الأول (العهد) أيضاً لم يُكرَس بلا دم» (عب ٩: ١٩ و٢٠ و١٨)، هنا في المقابل يكشف ق. بولس سرّ رش الدم في وضعه الأصلي ἀρχέτυπος الذي أخذه موسى في المثال وطبّقه مادياً بدم حيوانات. هذا هو دم المسيح الذي يؤهّل كل المدعوين للدخول إلى الأقداس السماوية والتراثي أمام الله في عرشه ونوال حق المواطنة في مدينة الله الحي.

ولكي يرفع ذهن هؤلاء العبرانيين إلى فاعلية «الدم»، في وضعه البشري العادي، لإنسان بار قديس دُعي للمثول أمام الله، أعطاهم ما حدث لدم هايل الصديق، كيف دخل أمام الله وتكلّم صارخاً من ظلم أخيه!! (تك ٤: ١٠)

فهنا دم المسيح الذي بروح أزلي يتكلّم للحياة، لقد سُفك ظُلماً أيضاً وبيد رؤساء كهنة اليهود، ولكنه صعد ليتكلّم عن الغفران الكامل لهم ولمصالحة البشرية كلها مع الله. فالمثل الذي أعطاه ق. بولس من جهة دم هايل، أعطاه ليس لكي يحصر عمل دم المسيح في التكلّم بالأفضل فقط، بل ليقدمه كعنصر أساسي في بناء مدينة الله الحي، وفي تأسيسها كمدينة العهد الجديد التي تحمل للمفدين عنصر المصالحة الدائم مع الله بدم المسيح، الذي يهبهم وبصورة دائمة وبممتدة إلى الأبد قوة تقديسهم الدائم ويُغذيهم بالحلب والحياة.

### والآن احترسوا وانتبهوا لصوت الله

بدأت العلاقة بين الشعب والله عند الجبل المدخّن المتقدّ بالنار بداية رديئة للغاية تكشف عن نوعية وطباع هذا الشعب. فقد استعفى من سماع كلمات الله: «استعفى الذين سمعوه من أن تُزاد لهم كلمة» (عب ١٢: ١٩). ولا يظن القارئ أن رفضهم لسماع كلمات الله كان عن مجرد خوف وفزع من هيبة المنظر وشدة الصوت، بل كان بسبب أنهم «لم يحتملوا ما أمر به» (عب ١٢: ٢٠)، كانت أوامر الله بالنسبة لهم غير محتملة، أي غير معقولة. وهذا تعليق الله على رفضهم أن تُزاد لهم كلمة: «وقال لي الرب سمعت صوت كلام هؤلاء الشعب الذي كلّموك به. قد أحسنوا في كل ما تكلّموا، يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقنوني ...» (تث ٥:

والمعنى واضح، أن رفضهم سماع كلام الله لم يكن عن تقوى أو مخافة حقيقية، ولكن عن استشقاقهم الكلام نفسه أيضاً مع فزع الموقف. ولعظيم الأسف ظلت هذه هي العلاقة بصورتها الدائمة الراضية التي استعفت دائماً عن السماع والطاعة، ليس عند الجبل المدخن بل من واقع تقرير موسى نفسه قبل أن يموت، بمعنى أن هذا كان منهجهم مع الله أربعين سنة في البرية: «جيل أعوج ملتوي... يا شعباً غيبياً غير حكيم... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم... إن صخرهم باعهم والرب سلّمهم» (تث ٣٢: ٦ و ٢٨ و ٣٠). هذا قاله موسى ثم قال أيضاً: «لأنني أنا عارف تمرّدكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحري بعد موتي.» (تث ٣١: ٢٧)

ثم هناك وبعد سنين طويلة يقول عنهم الله على لسان إشعياء النبي:

+ «اذهب وقل لهذا الشعب، اسمعوا سمعاً ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يُبصر بعينه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفي.» (إش ٦: ١٠ و ٩)

ثم هناك وبعد هذه الآلاف من السنين وفي ختام علاقتهم بالله بعد أن أرسل إليهم المسيّا أملكهم ورجاء الدهور كلها، يأتي القديس يوحنا الرسول ويقول بالروح موافقاً إشعياء النبي في كل ما قال: «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبي... لهذا لم يقدرُوا أن يؤمنوا... قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يُبصروا بعينهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم.» (يو ١٢: ٣٧-٤٠)

فتاريخهم كله انتهى كما ابتدأ: «استغفى الذين سمعوه (كلام الله) من أن تُزاد لهم كلمة.»

هذه هي خبرة شعب إسرائيل مع الله، هم لم يطيعوا كلامه وسدوا آذانهم، فكان من الله أن سدّ آذانهم وغلظ قلوبهم بالأكثر حتى يُميتهم في عصيانهم. وهذا ما عبّر عنه بولس الرسول في رسالة رومية: «وكما لم يستحسنوا أن يُيقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو ١: ٢٨)، فهم بدأوا بالرفض وانتهوا بالرفض. استغفوا من المتكلم في الأول وفي النهاية صلبوه.

والآن يحذّرهم بولس الرسول أن لا يكرّروا مأساتهم الأولى، ويوعّبهم بأن هذه المرّة يتكلّم الله فيها ليس على الأرض بل من السماء وأمام هذه السحابة من الشهود.

٢٥:١٢ «انظروا أن لا تستغفروا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استغفروا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدّين عن الذي من السماء».

الرباط الذي يربط هذه الآية بسابقتها هو «دم المسيح الذي يتكلم».

فالآن، ليس هو صوتاً مُفزعاً ومن وسط نار ودخان الذي جعلهم يستغفرون منه، ولو أنهم استغفروا من المتكلم كل أيام حياتهم، ولكن الآن المتكلم ليس على الأرض بل الرب الروح من السماء، ودمه المسفوك من أجلهم معروض أمام الله ليشفع فيهم وفي خطاياهم، ورائحة دمه معطرة بالحلب والشفقة والحنان الفائق العقل. فإن كان أولئك سدّوا آذانهم من الخوف أو من غلظ قلوبهم، فماذا تكون علّة استغفانهم الآن من سماع صوت دم المسيح المتكلم في السماء من أجلهم والمتشعّع في خطاياهم؟

ثم إذا كان أولئك لم ينجوا بسبب عدم سماعهم، فصارت جثثهم في القفر شاهدة على عصيانهم وتمردهم، وأصبحت عبرة لكل جيل وجيل ولم ولننا أيضاً، مع أن الكلام كان على مستوى الأرض التي يعيشون عليها ومن أجل ميراث أرض. فالآن، والمتكلم يتكلم من السماء ويدعوهم كأبناء لميراث سماوية وحياة أبدية مع الله، فقطعاً إن عصينا فلن ننجو، لأن السماء ستغلق بابها دون المرتدين عن الإيمان بالمسيح المزددين بدمه. ولا غفران البتة ولا توبة بعد ميعادها حتى ولو طلبوها بدموع، بعد أن يكونوا قد رفضوا البكورية، كأعضاء في كنيسة أبقار في السماء مزينة لهم ومُعَدّة. ولن يتفهم موسى، لأن موسى كان وسيطاً لميراث أرض، ولكن الآن ليست وساطته بذات قيمة في ميراث السماويات، فالسما لها وسيط واحد، وليس اسم آخر تحت السماء يمكن أن نخلص به إلا اسم الرب يسوع المسيح الذي هو أعلى من كل اسم، لأنه «الرب» الذي لا يعادله إلا اسم الله!!

كذلك إن كان صوت الله على الجبل قد أعلنت عنه الزلزلة التي حدثت للأرض، وكأنها تحذير من الرفض، ولكنهم رفضوه فعوقبوا وقاسوا من المعاناة والموت؛ فالآن الصوت هو من السماء، فماذا يكون مناسباً لرفضه؟ طبعاً ستتزلزل السماء أيضاً، وهذا ما سيكون حتماً في نهاية الارتداد، حينئذ نحن لا ننجو، والسماء أيضاً تعلن عن رفضها للإنسان.

«نحن المرتدّين عن الذي من السماء»:

لاحظ أن الفعل هنا يفيد «الواقع» وكأنه يوجد ارتداد، والقديس بولس يضع نفسه بينهم وذلك ليخفف من شدة التوجيه الموجّه لبعض العبرانيين الذين أضمرّوا الارتداد بالفعل، وذلك لكي

يقطع خط الرجعة على ضميرهم أو محاولة إخفاء أنفسهم. أمّا بقية الكلام المُضَمَّر هنا فهو: «إن استمررنا في عدم إيماننا هذا».

### نبوة عن

### كيفية زوال الأرض والسماء واستعلان الملكوت الأبدي

٢٧ و ٢٦ : ١٢ «الذي صوته زعزع الأرض حينئذ، وأمّا الآن فقد وعد قائلاً، إني مرّة أيضاً أُزلزلُ لا الأرض فقط بل السماء أيضاً، فقوله مرّة أيضاً (ثانياً) يدلُّ على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع».

هنا القديس بولس يجمع من النبوات ما يفيد أنه كما تزلزلت الأرض من صوت الله في بداية عهد الله في القديم، هكذا ستزلزل السماء مع الأرض في النهاية.

والنبوات التي اعتمد عليها كالآتي:

عن حجّي النبي:

+ «حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم، لا تخافوا، لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرّة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.» (حج ٢: ٥-٧)

سفر الخروج:

+ «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف (تزلزل) كل الجبل جداً.» (خر ١٩: ١٨)

المزامير:

+ «اللهم عند خروجك أمام شعبك عند صعودك في القفر، سلاه، الأرض ارتعدت، السموات أيضاً قَطرت (هطلت مطراً) أمام وجه الله سينا نفسه من وجه الله إله إسرائيل.» (مز ٦٨: ٨ و ٧)

إشعياء النبي:

+ «لأنني ها أنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق لأنني ها أنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً.

فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ .  
(إش ٦٥ : ١٧-١٩)

### إنجيل القديس لوقا :

+ « والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السموات تنزعزع . » (لوقا ٢١ : ٢٦)

### إنجيل القديس مرقس :

+ « السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول . » (مرقس ١٣ : ٣١)

+ « وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق ، فالشمس تُظلم ، والقمر لا يُعطي ضوءه ، ونجوم السماء تتساقط ، والقوات التي في السموات تنزعزع وحينئذ يُبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد . » (مرقس ٢٤ : ٢٦-٢٤)

### إنجيل القديس متى :

+ « فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من التاموس ، حتى يكون الكل . » (مت ٥ : ١٨)

+ « ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتي المنتهى . » (مت ٢٤ : ١٤)

### رسالة بطرس الرسول الثانية :

+ « ولكن سيأتي - كلُّص في الليل - يوم الرب ، الذي فيه تزول السموات بضجيج وتحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها . » (٢بط ٣ : ١٠)

### سفر الرؤيا :

+ « ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض ، والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع . » (رؤ ٢٠ : ١١)

+ « ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة ، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد . » (رؤ ٢١ : ١)

من هذه النبوات يستخرج بولس الرسول هنا في هذه الرسالة ما يلي :

**أولاً :** كون الأرض تنزلت باستعلان الله الأول في سيناء على الجبل ، فهذا بحد ذاته يفيد أن عند استعلان الله النهائي وظهور مجد ربنا يسوع المسيح في مجيئه الآتي فحتماً ستتزلزل الأرض والسماء .

**ثانياً :** أن زلزلة الأرض ، أي زعزعتها ، يفيد حتمية زوالها بعد أن تؤدي رسالتها . ورسالة

الأرض تنتهي بانتهاء الكرازة ببشارة الملكوت.

ثالثاً:

بناءً على «ثانياً» ربط بولس الرسول بين استعلان روح الله وهو يسير في وسط الشعب عند إعطاء الناموس بزلزلة الأرض أي ارتباط الاستعلان الأول بزلزلة الأرض تمهيداً لزوالها (أي أن الاستعلان الأول رافقه نهاية الأرض)؛ وبين استعلان مجيء مشتهى الأمم مع زلزلة السماء المنظورة، وبقوله «مرة أيضاً» يفيد أنها الأخيرة، فقرأ من هذا حتمية زوال السماء أيضاً بصورتها المادية، بمعنى انتهاء الكرازة بملكوت السموات على الأرض، أي انتهاء الكرازة في محيط ما يتزعزع.

رابعاً:

انتهاء ملكوت السموات بانتهاء الكرازة على الأرض يلازمه حتماً ظهور ملكوت الله الذي يرقى ويُزَنِّه عن الزلزلة، ملكوتاً لا يتزعزع بعيداً ومُتَزَهِّهاً عن كل ما هو مصنوع. خامساً: استطاع بولس الرسول أن يرى بروحه الكارثة الأخيرة التي ستحل على العالم لتنتهي على وجه الخليقة المادية في صورتها الأرضية المتغيرة، التي سماها «متزعزعة»، لتأخذ صورتها غير المتغيرة أي غير المتزعزعة.

وهذا سماه بالنسبة لنا: «نحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع»، وهو الذي سبق وأن عبّر عنه في هذه الرسالة (٨: ١٣): «فإذ قال جديداً عتق الأول وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال». وهذا لا ينطبق فقط على زمن الناموس وانتهاء عصره، بل وينطبق على واقع العالم بأجمعه بالنسبة للحياة الأبدية التي هي وحدها التي تعبّر عن كل ما فيها وكل ما هو لها أنه «جديد». فعندما قال بولس الرسول: «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كور ٥: ١٧)، فهو يعني أنه صار مؤهلاً للحياة الأبدية.

كما عبّر عنه أيضاً لأهل كورنثوس بقوله: «والذين يستعملون هذا العالم كأنهم (بالنهاية) لا يستعملونه. لأن هيئة هذا العالم تزول.» (١ كور ٧: ٣١)

ويقولها أيضاً القديس يوحنا: «العالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ يوح ٢: ١٧). وهذا يطابق تماماً ما تقوله الرسالة هنا: «... يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تززع». الذي عبّر عنه: «بالملكوت الذي لا يتزعزع».

٢٨: ١٢ «لذلك ونحن قابِلُونَ مَلَكُوتًا لا يتزعزع، ليكن عندنا شكرٌ به نخدمُ الله خدمةً مُرضيةً بخشوعٍ وتقوى».

«قابِلُونَ»: بمعنى «ها نحن نقبل» أو «ها نحن داخلون».



و«الملكوت الذي لا يتزعزع» لا يكفي كتعبير لإعطاء الصورة كاملة، فهو في الأصل اليوناني: «غير قابل للزعزعة»، أي قائم أبدي. والمعنى هو: ها نحن قابلون من يد الله ملكوتاً أبدياً في الوقت الذي فيه سنعبّر حتماً هذه الكارثة التي فيها الأرض والسماء تنحلُّ وتزول، وبالرغم منها نحن داخلون.

«ليكن عندنا شكرٌ»: εχωμεν χάριν

وباللاتينية فوجدنا habemus gratiam.

الترجمة الحرفية: «لنقبل نعمة»، وحسب اللاتيني: «عندنا نعمة»، وبالقبطية: «مارن شوبي ... اموت ... لنقبل نعمة»، أي حرفياً: «لتكن عندنا نعمة». ولكن المقصود هو ليكن عندنا إحساس بالنعمة نعلن به الشكر لله؛ كما يقول العالم وستكوت: Let us feel and show thankfulness to God. وبهذا المعنى يستقيم شرح باقي الآية: «به نخدم الله». فيكون المعنى: إن الإحساس بالنعمة الذي يجعلنا نشكر هو في ذاته إعلان عن تقديرنا وتكريماً لمجد الله، وهذه هي الوسيلة لمدحه وتسيحه، وهذه هي خدمة الله.

وبذلك يكون بحسب التركيب الحرفي اليوناني، أن قبولنا النعمة يُنشئ عندنا شكراً ويكون هو بحد ذاته تمجيداً لله العاطي.

وفي الحقيقة أن عطية الله وهباته (بالنعمة) قائمة بمجدة وعظيمة في ذاتها، ولا تحتاج منا «شكراً» = أي قبول النعمة εχωμεν χάριν. ولكن حينما نقبلها، فهذا يأتي معنى الشكر وفي ذات الوقت يكون تمجيداً للنعمة! وهو خدمة الله.

والمعروف في المنهج التصوفي أن تسيح الله الذي هو تقديم الخدمة لله يعطي قوة للإنسان، يرفع من روحه ومواهبه. فهذه المرادفات عظيمة ونافعة «التسيح» = «الشكر» = «الخدمة» = «التقوى». وبحسب خبرتنا الرهبانية وجدنا أن أقوى مفاعيل العبادة على الروح هو التسيح!!

وبحسب خبرة الآباء يقول القديس مار إسحق السرياني أن: [لا موهبة بدون زيادة إلا التي بلا شكر].

إذاً، فقد صحَّ تعبير بولس الرسول هنا في قوله: «ليكن عندنا شكر به نخدم الله»!! إن هذا التعبير هو تصوُّفٌ عالي القيمة لخبر محمَّك!

والمُلاحَظ في هذه الرسالة عموماً، أن وراء صياغة الكلمات وجبك المعاني يوجد تيار خفي

يحمل إحساساً وخبرة تصوُّفية وتقوى واضحة، ولكن أكثر من هذا كله يوجد انشغال روحي بالخدمة أي الليتورجية في أعمق وأعلى معناها. فمثلاً:

+ « بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا. » (٣:١)

+ « ولتسجد له كل ملائكة الله. » (٦:١)

+ « مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج. » (٩:١)

+ « أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص. » (١٤:١)

+ « أخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أُسَبِّحُك. » (١٢:٢)

+ « يكفِّر خطايا الشعب. » (١٧:٢)

+ « رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع. » (١:٣)

+ « كما كان موسى أيضاً (أميناً) في كل بيته. » (٢:٣)

+ « وموسى كان أميناً في كل بيته كخادم شهادة للعتيد أن يتكلم به. » (٥:٣)

+ « عظوا أنفسكم كل يوم. » (١٣:٣)

+ « فلتنمَّسَّك بالإقرار. » (١٤:٤)

+ « فلنتقدِّم بثقة إلى عرش النعمة. » (١٦:٤)

+ « خَدِّمُهم القديسين وتخدمونهم. » (١٠:٦)

+ « خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي. » (٢:٨)

+ « قد حصل على خدمة (ليتورجية) أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً لهدأ أعظم. » (٦:٨)

+ « يقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين. » (١٤:١٠)

+ « لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس. » (١٩:١٠)

+ « لنتقدِّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا

بماء نقي. » (٢٢:١٠)

+ « غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة. » (٢٥:١٠)

+ « ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع، ليكن عندنا شكره نخدم الله خدمة مَرْضِيَّة بخشوع

وتقوى. » (٢٨:١٢)

هكذا الإيمان الثابت إلى النهاية غير المتزعزع، يليق به حقاً ملكوت غير متزعزع باقي إلى الأبد. فالمسيحيون المؤمنون حقاً يسكون بالحياة الأبدية المملوكة غير المتزعزع: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (١ تي ٦:١٢). هذا يجعلنا ثابتين طالما نحن مرتبطون ومتطلَّعون إلى هذا الملكوت المُعَدَّ. لا نفرز من الزعازع التي تعصف بنا في حياتنا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية

الضاغطة بقسوة على سلامنا الداخلي، أو ما يصيب الكنيسة من تدهور أو انحلال في صلابة تقاليدنا وانفراط عيِّد تماشكها، وما يُرافق ذلك من انحلال خُلقي. فطالما نحن ناظرون إلى فوق ومنتظرون وطلابون سرعة مجيء الرب، فلنا أمان داخلي نعبر به العالم، وشكر وتسييح نمتلك بهما النعمة ونخدم بهما الله الحي: «من أجل ذلك هم أمام عرش الله، ويخدمونه نهائراً وليلاً في هيكله والجالس على العرش يحلُّ فوقهم» (رؤ٧: ١٥). فترتد علينا الخدمة والشكر والتسييح ثباتاً في النعمة وامتداداً نحو النصيب المحفوظ لنا في السموات والمُعَدَّ.

٢٩:١٢ «لأن إلهنا نارٌ آكلة».

[ «منظر مجد الرب كنار آكلة.» (خر٢٤: ١٧)

«لأن الرب إلهك هو نار آكلة إله غيور.» (تث٤: ٢٤)

«الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة.» (تث٩: ٣)

«قدمه تذهب نار وتحرق أعداءه حوله.» (مز٩٧: ٣)

«ورجلاه كعمودي نار.» (رؤ١٠: ١)

«نار قدمه تأكل وحوله عاصف جداً.» (مز٥٠: ٣)

«إذ غسل السيد قدر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح

القضاء وبروح الإحراق.» (إش٤: ٤)

«صوت الرب يقدح لُهَب نار.» (مز٢٩: ٧)

«أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب، وكمطرقة تحطم الصخر.»

(إر٢٣: ٢٩)

«فكلّمكم الرب من وسط النار.» (تث٤: ١٢)

«فاشتعلت فيهم نار الرب.» (عد١١: ١)

«بسخطه يتلعمهم وتأكلهم النار.» (مز٢١: ٩)

«هو سيعمدكم بالروح القدس ونار.» (مت٣: ١١) ]

إن شرح هذه الآية المختصرة جداً والمخيفة جداً يكمن في الآية الأسبق التي وصف بها مصير المضادين لله بوجه عام: «فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا بل قبول دينونة مخيف وغيره نار عتيدة أن تأكل المضادين» (عب ٢٦ و ٢٧). والمعنى واضح من تسلسل الكلام ويمكن وصفه كالاتي:

«انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم لأنه إن كان أولئك لم ينجوا (الذين ماتوا وطرحت جثثهم في القفس) إذ استعفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي

السماء! ... لأن إلهنا نار آكلة». وتكملت في (تث ٤: ٢٤) «إنه إله غيور»، وواضح من كلمة «غيور» أنه لا يطبق أن أحداً من شعبه يعبد إلهاً آخر. فالارتداد عن الله هو الارتداد، أولئك ارتدوا بإرادتهم بعد أن أخطأوا باختيارهم فنالوا دينونة مُخيفة وأكلتهم غير النار الإلهية، وهذه النار قائمة دائمة مُتَّهِيَّة لابتلاع كل ما هو مضاد ومعاكس للحق الإلهي، أيّ كان. وسوف نراها في النهاية كيف ستنهي على الشيطان نفسه وكل أتباعه من ملائكة وخطاة انحازوا إليه ووقفوا ضد الله والحق: «فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يُضَلُّهم طُرح في بحيرة النار...» (رؤ ٢٠: ١٠ و٩)

وموضوع النار موضوع متشعب، فنار الله يُنسب إليها الحب، والغضب، والتقديس، والتطهير، والعقاب، والإبادة. ولكن في هذه الآية هنا هي متجهة تماماً ناحية الإبادة.

ولكي نفهم فعل نار الله في الإبادة يلزم أن نعرف أن طبيعة الله إيجابية مُطلقة في كل شيء، فهو يحب ويبني ويطهر ويقّس، ومن صميم صفة الإيجابية في الله أنها إيجابية فعّالة بمعنى أنه لكي يجعل المحبة فعّالة لا بد أن يوقف فعل العداوة والبُغضة، ولكي يجعل البناء الروحي فعّالاً لا بد أن يُوقف كل فعل هدم للروح. ولكي يجعل الطهارة فعّالة لا بد أن يُوقف فعل النجاسة. ولكي يجعل القداسة فعّالة لا بد وأن يُوقف فعل التدنيس.

فبقدر ما في طبيعة الله من قوة إيجابية فإن هذه القوة عينها تأكل كل سلبية لتحمي الإيجابية وتؤمّن فعلها ونموها.

وقوة الطبيعة الإيجابية في الله والتي تأكل كل سلبية، هي الموازية لفعل النار الطبيعية التي نعرفها. ولكن نارنا الطبيعية جاهلة ليس لها حكمة ولا إفران، فهي إيجابية وسلبية، تأكل الزغل الذي في الذهب فتجعله معدناً نفيساً جيداً غالي الثمن، وفي نفس الوقت تأكل الشخص الذي يحمله، ولو سلطها الإنسان كثيراً على الذهب النفيس تأكله. أمّا النار الإلهية التي في طبيعة الله فهي الحكمة وهي الإفران، وهي الخير المُطلق والحق المُطلق، والقداسة المُطلقة والحب المُطلق والجمال المُطلق. إذا تسلّطت على الإنسان الذي يعطي الله ويصنع مشيئته ويحبه ويخدمه فهي تحرق منه كل إثم وخطية وشهوة عالمية وجهالة وبُغضة وتجعله إنساناً قَلْبياً طاهراً حكيماً محباً.

ولكن إذا تسلّطت على إنسان مقاوم ومضاد لمشيئة الله ومُبغض لاسمه فإنها تأكله، تأكل في البداية أفعاله المضادة وبالنهاية تأكله هو فلا يبقى منه إلاّ الدم.

«فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيته، لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. إن بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار» (١ كو٣ : ١٣-١٥). هذا الاختبار بالنار الإلهية المخصصة حتمي، والكلام هنا بالنسبة للمؤمن، فإن أعماله غير الإيجابية لا بد أن تحترق، أما أعماله الإيجابية فستضاف إلى التجارب (النار) التي ابتلي بها، وحينئذ يخلص. أما غير الخاضع لله والمقاوم والصد لله ولأولاده، فإن النار لن تُبقي له على عمل، لأن أعماله كلها كالكش، وأخيراً تلتهمه كقوة مضادة.

كذلك الملائكة، فالمطيعون لمشيئة الله تتحد النار الإلهية بطبيعتهم النارية وتجعلهم قديسين. أما المضادون فتأكل في البداية أفعالهم، وفي النهاية تأكلهم هم، ولن يبقى منهم إلاّ العدم بمعنى اللافعل.

فحينما يقول بولس الرسول هنا: «إلهنا نار آكلة»، فهو يوتقي هؤلاء العبرانيين، ونحن بالضرورة، أن المطيع مئاً يعلو وينمو ويزهو كالنخلة مغروسين في بيت إلهنا (مز٩٢ : ١٢ و١٣)، والمرتد والمضاد ينخفض وينهزم ويصفر ويصير كالهشيم الذي تدره الرياح: «أكرم الذين يكرموني والذين يحتقرونني يصفرون.» (١ صم ٢ : ٣٠)

## الأصحاح الثالث عشر

ختام الرسالة

وصايا راعوية

١ - ١٣ : ١ - ٦ : واجبات اجتماعية (كنسية).

٢ - ١٣ : ٧ - ١٧ : واجبات دينية.

٣ - ١٣ : ١٨ - ٢٥ : وصايا شخصية.

## ختم الرسالة الأصاحح الثالث عشر

يُعتبر هذا الأصاح خاتمة للموضوع الذي قُدِّم، وهو الذي يعطيها صفة الرسالة. لأن الرسالة ليس لها مقدمة تفصح عن هوية الذين أرسلت إليهم، ولا اسم الراسل وصفته، ولا مضمون الرسالة باختصار، وذلك كما تعودنا في رسائل بولس الرسول وباقي الرسل الذين كتبوا رسائل.

أما الاثنا عشر أصحاحاً الأول فهي بحث مُقدِّم للإقناع، وهو كامل بحد ذاته بحيث أنه لو استثنينا هذا الأصاح الثالث عشر فإن الموضوع لا يتأثر.

ولأول مرة تتضح في هذا الأصاح شخصية الكاتب دون الإفصاح عن الاسم، لأن ذكر اسم تيموثاوس والسجن وعزم الكاتب على الزيارة مع تيموثاوس تُشير إشارة كبيرة أن الكاتب هو بولس الرسول.

ولكن اختلاف الأسلوب في هذا الأصاح الذي يُفاجأ به القارئ لا يُعزى أبداً إلى أن الكاتب تغير، ولكن إلى أن الموضوع نفسه تغير، فانتقل من بحث في موضوع محدد، إلى تعبيرات شخصية وعظية.

### أبحاث العلماء والنقاد:

يهمنا جداً أن نطلع القارئ على ما تم من أبحاث كثيرة ومستفيضة على مدى القرن العشرين من علماء كبار ونقاد في أمر هذه الخاتمة، إذ أجمع رأي النقاد<sup>(١)</sup> على أن هذه الخاتمة مُضافة، وكل منهم له قناعته وبراهينه. ولكن استطاع المفسرون الكبار أن يحصلوا على نتيجة عكسية، إذ أجمعوا بعد أبحاث رزينة ودقيقة على أن هذه الخاتمة جزء أصيل من الرسالة<sup>(٢)</sup>، وأنه لا يوجد أي دليل لا

1. W. Wrede (Göttingen 1906); C. Spicq, *L'authenticité du chapitre 13 de l'Épître aux Hébreux*, 1948; C.R. Williams, *A Word Study of Hebr.*, xiii JBL xxx.1911, p. 129.

G.A. Simcox, *Heb.* xiii. Ext. x 1898-99, pp. 430ff.

E.D. Jones, *The Authorship of Hebrews 13*, 1939.

2. Bruce, *op. cit.*, p. 386.

من داخل الأصحاح ولا من خارجه يفيد أنه مضاف . ويقول العالم بروس في كتابه في شرح رسالة العبرانيين صفحة ٣٨٧ أنه يكفي لإقناع أي باحث بل أي قارئ بأن هذا الأصحاح أصيل ومن صلب الرسالة أن يعود إلى الأعداد من (١٠-١٦) فيه ليدرك بنفسه هذه الحقيقة .

## ١ - واجبات اجتماعية (كنسية)

[ ١٣ : ١ - ٦ ]

يُستشف من الكلام في هذا الأصحاح أنه كان يوجد في هذه الجماعة أشخاص أثرياء وآخرون ذوو مكانة اجتماعية مرموقة . فهناك حصصٌ على بذل المحبة ، كما يوجد تحذير من حياة الترف ومجبة المال .

١ : ١٣ « لَتَثْبُتِ الْمَحَبَّةُ الْأَخَوِيَّةُ » . ἡ φιλαδελφία μενέτω .

آية القديس بطرس المحبوبة : « المحبة الأخوية العديمة الرياء » (١ بط ١ : ٢٢) ، فكر رسولي متمكّن في ذهن الكنيسة ، لأن أقوى مفاعيل الروح القدس في الجماعة المسيحية الأولى ، كان هذه المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء ، أي التي ليس لها أية انحرافات أو ميل نحو العالم . فهي التي ربطتهم في المسيح بصورة عائلية متمكّنة ، حتى أنها جعلت منهم ما عُرف « بالكنيسة » لا اسماً بل فعلاً وجوهراً . جماعة انكلمشت عن العالم الخارجي فزاد تأخيها ، حتى صهرهم في جسم واحد حقيقي ، في محبة روحية خالصة ، ومن قلب طاهر بشدة . إنها سر الكنيسة الأعظم الذي أنشأ في الجنس البشري طفرة ، رفّفته إلى مستوى جديد - فوق البشري - سماوي بلا شك - زال منه محبة العالم والأشياء التي في العالم ، إذ أحسّوا بزوالها وذاقوا الرب وتحققوا من محبته فالتصقوا به التصاقهم بأنفسهم ، فصاروا « كنيسة » ليست من هذا العالم بحسب تقرير المسيح نفسه في (يو ١٧) : « لأنهم ليسوا من العالم » (يو ١٧ : ١٤) ، لأنهم اتعدوا به بسرّ دعائه . واحتقارهم للمال أنشأ فيهم محبة البذل حتى النفس ، وحب المشاركة في كل شيء وخاصة في الضيقات ، فصارت أموال الواحد هي ملك الآخر بحسب قول سفر الأعمال : « ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له » (أع ٤ : ٣٢) . ولم يكن هذا سلوكاً مصطنعاً ، بل هي المحبة الأخوية الصادقة عديمة الغش والرياء التي أخرجتهم عن فكر وطبيعة الناس تجاه الملكية الشخصية ؛ فلأنهم امتلكوا المسيح صاروا أغنياء حقاً ، بل واسمه أغناهم عن غنى العالم ، فكيف لا يعطون ويبدلون ، لأنهم كلما بذلوا ازدادوا غنىً وازدادوا قناعة وزادهم الروح القدس من روح الشكر ، فازداد حب الناس لهم واحترامهم .



لذلك حينما وصفوا الكنيسة بعد ذلك، وصفوها من واقع كيانهم: «أعضاء في جسد واحد»، لا كمجرد وصف غيابي أو تصوُّري كما نفهم نحن الآن، بل وصف هو منطوق واقعهم الروحي والجسدي والنفسي معاً. وحينما قالوا إن المسيح فيها هو الرأس، فذلك لأنهم بالفعل كانوا يستشيرونه في كل شيء وهو يدبّرهم في كل شيء. كل هذا بسبب المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء ومن قلب طاهر بشدة. فهذه المحبة بصورتها الرسولية هي التي أفرزت الكنيسة وأعطتها وجودها السماوي، ورفعتهم إلى واقع الملكوت المحقَّق على الأرض. يا لفرحة المسيح بهم، ويا لفرحتهم بالمسيح، ويا لفرحة كل إنسان بأخيه الإنسان. ولَمَّا قالوا بالطبيعة الجديدة والخليقة الجديدة، قالوها من واقعهم فكانوا يصفون ذاتهم.

وهنا بولس الرسول لا يطلب المحبة، فهي حاضرة، ولكنه كان يخاف عليها، وكان يخاف عليهم لئلا يارتدادهم تُنزع منهم. فطلب كوصية، أن يثبتوا في محبتهم الأخوية، لأن في هذا ثباتهم مئة بالمئة.

٢ : ١٣ « لا تَنسُوا إضافةَ الغُرباءِ لأن بها أضافَ أثناس ملائكةٌ (٣) وهم لا يَدْرُونَ».

της φιλοξενίας μη ἐπιλανθάνεσθε

لا يجب إضافة الغُرباءِ إلّا مَنْ كان في الغُربة يعيش، لا الغُربة عن الوطن والأهل بل الغُربة عن العالم. ولا يتغرَّب عن العالم إلّا مَنْ أهل الجسد. ومحبة العالم كما يقول يعقوب الرسول هي عداوة لله (يع ٤ : ٤). فالرسول بولس حاذق في اختيار وصية محبة الغُرباء بعد وصية المحبة لأنها هي محك صدق المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء، لأن المحبة الأخوية لا تنجس على نفسها، بل تمتد لكل يد ولكل رجلٍ غريبة. والأخ في المسيحية ليس كما هو في اليهودية، فأخ اليهودي هو اليهودي وحسب، الذي تنتهي عنده المحبة. أمّا المسيحي، فبسبب المحبة المسيحية التي هي رباط الكمال، فهو أُنح لكل إنسان، لأن المحبة المسيحية لا تنتهي حتى إلى حدود العدو.

(٣) أمثلة إضافة الملائكة شائعة للغاية في العهد القديم وتكاد تدخل في صميم تاريخ الخلاص منذ البدء، مثل:

١ - إبراهيم تحت بلوطات ممرا (تك ١٨ : ١-٥).

٢ - لوط والملاك (تك ١٩ : ١-٣).

٣ - جدعون في غفرة يوش الأيعرزي (قض ٦ : ١١-٢٣).

٤ - منوح لميلاد شمشون (قض ١٣ : ٣-٢٠).

٥ - طوبيا والملاك (طوبيا ٣ : ١٧).

فحينما يحضّر بولس الرسول على إضافة الغرباء، فهذه محاولة ليفك رباط اليهودية من أعناق قلوبهم. فلتمّا أراد أن يقدم لهم برهاناً على ذلك، تذكّر إبراهيم وإضافته للثلاثة الغرباء الذين تأكّد له بعد ذلك أنهم ملائكة جاءوا يبشّرون الحياة. والقديس بولس من وراء هذا المثل كان يضمّر لهم في الحقيقة أن يُطلقهم من عقمهم الإيماني الذي كاد يعود بهم إلى أور الكلدانيين ويجعلهم يدوسون على المواعيد الصادقة. فإضافتهم للغرباء كناية عن قبول بَشْرَى الحياة كإبراهيم وسارة، وبالتالي فهو يحثّهم على ذبح النفس وحيدة الإنسان ومحبوته حتى يُحسب لهم إيمانهم برّاً.

هذه هي قراءة هذه الآية على خلفية المحبة الأخوية التي تجعل من الغربة وطناً ومن الغرباء أهلاً. إن سر المحبة يسري خلف هذه الرسالة في كل ما كُتِب.

إنها وصية المسيح: «كنت غريباً فأوْتِمونِي» (مت ٢٥: ٣٥). التقطتها الكنيسة من فمه المبارك، وجعلتها فضيلة كنسية. لا يُرسم الأسقف إلا إذا كان حائزاً عليها: «فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم ... مُضَيِّفاً للغرباء» (١ تي ٣: ٢). وإن كان هذا مع الأسقف فكل الدرجات الكنسية تُطالَبُ بها، حتى الأرامِل: «مشهوداً لها في أعمال صالحة إن تكن قد ربّت الأولاد، أضافت الغرباء» (١ تي ٥: ١٠)، فالكنيسة غريبة ومتغرّبة عن العالم، لذلك فضيلتها الأولى أن تقبل المتغربين الذين ليس لهم مأوى لتمارس فضيلتها، بل لأن تستضيف المسيح تحت سقفها!

والدعاء في الليتورجيا بإلهام الله من أجل الغرباء والمقيدين والمُذَلِّين رافق الكنيسة منذ أن بدأت، وكان الشعب يشترك ويرفع قلبه ليتعلّم الجميع أنها رغبة الرب والمخلّص.

٣: ١٣ «أذْكُرُوا الْمُقْبِدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقْبِدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ».

δεσμίων, κακούχουμένων

[«انظر إلى ذلّي وأنقذني.» (مز ١١٩: ١٥٣)]

[«إني قد رأيت مذلة شعبي.» (خر ٣: ٧)]

إنه يسير على درب الإنجيل، فكلمات الرب تلمع في قلبه: «كنت غريباً فأوْتِمونِي ... ومحبوساً فأتيتم إليّ» (مت ٢٥: ٣٥ و٣٦)، إنها وصية الرب التي صارت، ليس منهجاً أخلاقياً أو اجتماعياً، بل عنصراً أساسياً في تركيب الطبيعة الجديدة للإنسان المسيحي ينطلق منه ليعمل عمله دون جهد منه أو عناء! فإن كان المسيح هو المسجون، فكيف لا أزوره بل كيف لا أسكب كل حبي، كل عطفتي، كل جهدي، لإراحته، بل لإراحة جسد المسيح، وإراحة روحه!

والمسجون هو المُقَيَّد، والمُتَيَّد مسجون ولو لم يكن مسجوناً. فالقيود أضرها في النفس أكثر مما هو في الجسد، فالعطف والمحبة قادرة في سر المسيح أن تفكّه وهو مقَيَّد وتطلقه حرّاً بالروح حتى تحت آلام الجسد.

أما المذلون أو المُذَلُّون فهم الذين يقعون تحت إجراءات قمعية عدوانية وتُستخدم معهم أنواع الإذلال والمهانة بقصد التشهير والفضيحة، وطبعاً دون ذنب حقيقي. هؤلاء أصعب حالاً من المقيدين والمسجونين، لأن المقصود من إذلالهم هو مسح شخصيتهم والضغط على نفوسهم للإضرار بها، والمطلوب أن يتحمّل المسيحيون مسئوليتهم في التخفيف عنهم بالمشاركة العملية والشعورية معاً، لأن الذي في المذلة تهون عليه مذلة حينما يحس أن إذلاله مقبول عند الكنيسة ومسموع ومُستجاب بالصلاة والمُخاطرة بالزيارة والسؤال والمعونة، وبالأكثر حينما يحس أن إخوته يُشاركونه أله وحزنه وضيقتة ومذلته مشاركة صادقة بالصوم والصلاة والتقصّف:

+ «شهود زور يقومون وعمّا لم أعلم يسألونني، يجازونني عن الخير شراً، ثكلاً لنفسي، أمّا أنا فضي مرضهم كان لباسي مسحاً، أذلتُ بالصوم نفسي ... كأنه قريب، كأنه أخي، كنت أتمشّي (نانحاً) كمن ينوح على أمه، انحنيتُ حزناً. ولكنهم في ظّلعي فرحوا واجتمعوا، اجتمعوا عليّ شاتمين ولم أعلم ...» (مز ٣٥ : ١١-١٥)

٤ : ١٣ «ليكن الزواج مُكرّماً عند كلّ واحدٍ والمضجع غير نجس،  
وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله.»

عند نهاية الوجود اليهودي قبل الحرب السبعينية، بلغ اليهود من جهة النواحي الجنسية مبلغاً كبيراً من الإنحلال، وذلك بسبب أتباع مدرسة هاليل التي تساهلت في تطبيق الوصايا (مع أنه كان هناك أيضاً أتباع مدرسة شمائي المتحفظة والتمسكة بالحرف)<sup>(٤)</sup>. ولذلك كانت المسيحية في بدايتها - وهي التي استلمت من اليهودية كل ميراثها - حذرة جداً ومشددة في كل نواحي السلوك والحياة، وعلى الأخص أنه كان قد دخلها أيضاً العنصر الوثني المشهور بانحلاله الأخلاقي الشديد. لذلك كانت النواحي الجنسية من الأمور التي تُقلق الكنيسة بشدّة، ولا توجد رسالة في الإنجيل إلاّ وعالجت هذا الموضوع حتى إلى درجة العنف. فمثلاً كان الطلاق يُمارس لكل علّة، وذلك بناءً على تعاليم مدرسة هاليل، وكصدى لذلك نجد في الإنجيل رداً على هذا:

4. Donald Guthrie, *Hebrews*, p. 269.

+ «وجاء إليه الفريسيون ليُجَرِّبوه قائلين له: هل يحلُّ للرجل أن يُطَلِّق امرأته لكل سبب *katà pāsan aiṭrian* ؟ فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً، ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذي جمَّعه الله لا يُفَرِّقه إنسان.» (مت ١٩: ٦-٣)

وانتهى المسيح إلى الحكم: «إن مَنْ طَلَّق امرأته إلاً بسبب الزنا وتزوَّج بأخرى يزني.» (مت ١٩: ٩)

أمَّا بولس الرسول فحدَّر وحدَّر:

+ «أمَّا الزنا وكل نجاسة أو طمع (الرجل يطمع في زوجة الآخر) فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقدسين (مسيحيين). ولا القباحة ولا كلام السفاهة والمهزل (النكت القذرة) التي لا تليق بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طمَّاع الذي هو عابد للأوثان (عبادة الأوثان تقوم على الزنا) ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. لا يفرِّكم أحد بكلام باطل (إعطاء الحل الباطل ضد الإنجيل) لأنه بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية.» (أف ٥: ٣-٦)

+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية.» (كو ٣: ٥ و٦)

+ «لا تضلُّوا لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مُضاجعو ذكور ... يرثون ملكوت الله.» (١ كو ٦: ٩ و١٠)

+ «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم، أن تمتنعوا عن الزنا. أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناؤه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله، أن لا يتناول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا.» (١ تس ٤: ٣-٦)

«عند كل واحد»: *èn pāsiv*

قد اتفق علماء اللغة اليونانية والكتاب المقدس حديثاً<sup>(٥)</sup> أنها لا تعني «كل واحد»، إذا اعتبرنا *pāsiv* محايدة أي لا هي ذكراً ولا أنثى، فأصبحت تعني «على كل حال» أو «في كل

الظروف»، بمعنى أن يحترس المسيحي على حفظ الوصية: «ليكن الزواج مكرماً» من أي شيء يُقَال من كرامة الزبيجة.

أما الفرق بين «الزنا» *μοιχεία* و «العاهرة» *πορνεία* فهو أن «الزنا» هو الخيانة الزوجية لأي من الطرفين، أما «العاهرة» فهي الخروج بالجنس إلى أوسع حدوده من الممارسات الشاذة بكل أسمائها ومسمياتها في كل ما يُحرّمه القانون. وقد أخذ القانون المدني والمطبّق في كل العصور بفكر الكنيسة إلاّ في هذا العصر النجس الموبوء، الذي فيه أُعطي في إحدى الدول الحق للرجل أو المرأة أن يغيّر أي منهما اسمه وهويته إلى الجنس الآخر بدون أية علة جسدية. فمستر فرانك يصبح لابساً فستاناً واسمه إيزابل على بطاقته! وأخرج التلفزيون الأمريكي حديثاً مع جماعة من المأبوسين رجالاً لابسين زي سيدات وأخذوا منهن حديثاً عن صناعتهم الجديدة. وهكذا:

+ «يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهاراً وليلاً قتلى بنت شعبي، يا ليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعاً زناة جماعة خائنين!!» (إر: ٩: ٢١)

٥: ١٣ «لنكن سيرتكم خاليةً من محبة المال، كونوا مُكْتَفِينَ بما عندكم لأنه قال لا أهملك ولا أتزكك».

وهكذا إذا خرجنا من دائرة «المحبة الأخوية عديمة الغش والرياء من قلب طاهر بشدة» نسقط في بشر، ومن بثر إلى بالوعة، نتخبّط ذات اليسار ومن اليسار إلى اليسار، والرب صامت، كفت عن الضرب:

+ «على مَ تُضربون بعد؟ تزدادون زيغاناً!! كل الرأس مريض وكل القلب سقيم من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحّة بل جرح وأحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تليّن بالزيت». (إش: ١: ٦٥)

على كل حال، لم تكن هذه حال أولئك العبرانيين، بل حالنا بعد ألفي سنة من الرسالة إلى العبرانيين!!

أما أولئك العبرانيون فيوصيهم بولس الرسول أن يحترسوا من عبادة السيد الآخر لأنه قاس لا يرحم عبده، وهو يعطيهم ذات الوصية التي أعطاهها إلى تيموثاوس:

+ «فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما. وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في

تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومُضرة تُعزِّق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان وطمعوا أنفسهم بأوجاع كثيرة.» (١ تي ٦: ٨-١٠)

وأما بالنسبة لمقاومة هذا الداء الوبيل، حب المال والجري وراءه بجنون، فيقول ق. بولس بمنتهى الهدوء: «كونوا مكتفين بما عندكم». هنا «الاكتفاء» عكس «الطمع» وعكس «الزنا»، اللذين ينتج كلاهما من عدم الاكتفاء، وترجمتها بالإنجليزية satisfaction، وهي تعطي المعنى تماماً فهي تعني: «الاكتفاء على أساس الرضا والشبع والسكر». فإن كان المكتفي بماله وما عنده وما أعطاه الله يشعر في قرارة نفسه بالسعادة والسلام والرضا، فغير المكتفي مالأً وجنبساً وذاتاً يقتل سعادته بيديه، ويبدد سلامه بجهله ولا يبلغ الرضا قط، فهو يشتري القلق بالمال ويشتري الضمير المُمزق بالزنا! لا راحة ولا رضا ولا شبع ولا سلام، ومستقبل قلق مُظلم لا يسعفه مال، بل يحطمه الزنا والنجاسة قبل أن يكتمل شبابه. والتدريب على الاكتفاء فن ونعمة، جرَّبه أيها القارئ العزيز، وهو يبدأ باحتقار المجد الباطل الذي يفتح الباب مباشرة أمام النعمة ليُشعر الإنسان بأنه ابتداءً يغلب العالم، بل يغلب ذاته. وحينما نقول «فن» فنحن نقصد ذلك تماماً، لأنك هنا تتقن مهنة الصيد الروحاني، فهي عملية اقتناص النعمة واغتصاب الملكوت، وهذا فن الفنون أو الفن الذي يفوق ويلغي كل فن!! جرِّب وسوف ترى صدق القول وجديته!!

وليس عفوياً أن يذكر ق. بولس الزنا أولاً ثم محبة المال، لأن منبهما واحد وهو محبة الذات أو الذاتية selfishness وهي التي يُسميها الكتاب المقدس «الطمع» كما جاءت هكذا: «وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع πλεονεξία فلا يُسم بينكم...» (أف ٥: ٣). فمحبة المال هي طموح خاطيء = طمع للنفس، والزنا طموح خاطيء في الشهوة واللذة، إنه طمع!! ولهذا وذاك أدركت الكنيسة أن تكون أولى صفات الأسقف أن لا يكون مُحباً للمال!!! لأنها تعرف ما وراء حب المال!! ومن أين يجيء حب المال وإلى م ينتهي!!

«لأنه قال لا تهملك ولا أتركك»:

مقولة شائعة تعطي زينياً لمبدأ كان متداولاً على السنة القدامى، غير أن في التوراة ما يرادفها:  
 + «ها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، لأنني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به.» (تك ٢٨: ١٥)  
 + «تشدّدوا وتشجّعوا، لا تخافوا ولا ترهبوا وجوههم، لأن الرب إلهك سائر معك لا يهملك ولا يتركك.» (تث ٣١: ٦)

+ كما قال ليشوع: «كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهلك ولا أتركك.»  
(يش ١: ٥)

فواضح أن الصورة التي تملأ ذهن ق. بولس هنا هي وصية الله ليشوع وهو داخل أرضاً مجهولة يواجه أعداء مستعدين للمقاومة حتى الموت، فكان الموقف بالنسبة له حرجاً جداً وخطيراً، لذلك أعطاه هذا الوعد الذي يعني من كلماته أنني أنا ماسك بك ولن أفرط يدي عنك، ولن أتركك وحيداً كأني أهملتك.

هذا رد الله على الذي «يكتفي بما عنده»، لأن الذي يكتفي بما عنده هو إنما يجرب الله تجربة مكشوفة، فالإنسان هنا يراهن على صدق الله والله لا يُغلب قط. فإن أنت اكتفيت بما عندك أي ما أعطاك الله فهنا سيقف الله موقف المسئولية. هل عطيتَه القليلة التي أعطاك ستكتفي أم لا؟ فإذا لم تكف تكون حسابات الله قد أخفقت، وهذا مستحيل. فهو هنا إذاً ضامنٌ موقفه، يراهن على إيمانك أنت، لأنه قال لا أهلك ولا أتركك، بمعنى أن الله نفسه سيقف معك، فهل تؤمن؟ لأنك لو آمنت بالوعد فالوعد حتماً يتحقق، فإذا تحقّق في حياتك أن الله فعلاً معك فسوف تشعر كيف يصير القليل بين يديك أكثر من الكثير الذي بين أيدي الناس، والمرّ الذي اختاره لك الله أحلى ألف مرّة من الحلو الذي كنت تشتهيهِ<sup>(٦)</sup> والنصيب القليل الذي أعطاك يصير آية وأغنية بين الناس أنك آمنت وغلبت: «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء» (لوقا ٢٢: ٣٥)؟ هل المال في يديك أفضل من وجود الله معك؟ هل الزنا يُغني عن الحياة الأبدية؟

«إنني قد تعلّمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه» (في ٤: ١١)، فهل تريد أن تتعلّم هذا العلم الصادق؟

«أمّا التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة» (١ تي ٦: ٦)، هل تجرّب هذه التجارة الرابعة؟

٦: ١٣ «حتى إننا نقولُ وإثقين الربَّ مُعيّنٌ لي فلا أخافُ، ماذا يصنعُ بي إنسانٌ».

القول هنا للمزمور (٦: ١١٨): «الرب لي فلا أخاف، ماذا يصنع بي الإنسان». هذا الهتاف المزموري النبوي يقع محور التسييح بالهتاف في أعياد واحتفالات اليهود بلا استثناء، وقد ورثته الكنيسة منذ البدء، فدخل في صميم تراثها الفكري التقليدي العبادي. والكلمة الأساسية ذات

(٦) في الحفيظة المثل مقلوب. فالله يستحيل أن يختار لنا المرء، بل نختاره نحن لنا بشهوتنا، أما الله فخياري لنا حتماً ودائماً هو الحلو. فالمرارة هي في أعيننا وفي جهننا.

التركيز العالي المؤثر على الفكر والضمير هي « الرب » وهو في حال تألمه وما أدى إليه من انتصار الروح والقيامة المجيدة. فحينما يلتقط الذهن والضمير صورة المسيح وهو يتألم قبل الصليب وعليه هذه الآلام المرعبة، صابراً حتى النهاية، محتقراً كل ما يعمله الإنسان من تعذيب، ويتذكّر القيامة الجبارة التي حطمت قوة وسلطان أعدائه والشيطان، فإن الإنسان يستمد منها القوة ويقين النصر والاستهانة بالآلام وبالتالي كل ما يمكن أن يصنعه الشيطان أو الإنسان من قسوة وتعذيب حتى الموت.

وقد انتقل هذا المهتاب بالنصرة الذي يهذّب به الإنسان أثناء الألم والتعذيب إلى مواجهة كل أخطار الحياة وأعوازها. فلو أن المعنى الأصلي مُنصبٌ على وقت الآلام، إلا أن بولس الرسول هنا ينقله ويضعه برفق على الإحساس بالعوز والفقر حتى لا تطمح روحه أو يطمع جسده في مال أو عرض، بل يستمد الإنسان من الرب قوة على قمع شهواته والرضا والقناعة والشكر بالقليل أو حتى بالعدم!!!

«واقفين»: *θαρρουντας*

من الفعل *θαρρέω* وهو يعني حالة من الفرح مع الثقة للعقل والقلب. وهي تترجم بالإنجليزية *good cheer*، وهي في حالة الأمر *θάρασει* لا تأتي إلا من الله<sup>(٧)</sup>، ولا يصل إليها الإنسان بنفسه إلا بالإيمان، لذلك يصعب ترجمتها بالثقة فقط. وقد أتت بوضوح كهبة من المسيح حينما قال: «ثقوا *θαρσειτε* أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). وقد أتت بالإنجليزية: *be of good cheer* أو *cheer ye up*. فهي ثقة مع فرح من الله.



## ٢ - واجبات دينية

[ ١٣ : ٧ - ١٧ ]

## التقليد الأبوي والتمسك بالتعليم الصحيح

٧ : ١٣ « أذكروا مُرشدَيْكُمْ الَّذِينَ كَلَّمَكُم بِكَلِمَةِ اللَّهِ. أَنْظُرُوا إِلَى نِهَابَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ. »

« اذكروا مرشديكم » : Μνημονεύετε τῶν ἡγουμένων

يُلاحظ القارئ أن رسالة العبرانيين تُقدِّم مناهج متصلة من التعليم، هو بعينه التسليم الذي صار من صلب التقليد الآبائي في العقيدة والإيمان. فبعد ما قدَّم القديس بولس الربِّ كمعين لنتمسك به في المواقف الصعبة وأعواز الحياة، يقَدِّم هنا التمسُّك بتعاليم الآباء والاعتداء بسلوكهم في الحياة والإيمان. وهنا أصل العقيدة والصورة الأولى للتقليد بشقَّيه التعليمي الفكري، والأخلاقي السلوكي، أي التقليد النظري والعملي في الكنيسة الرسولية الآبائية التقليدية.

وهنا يُلاحظ أنه يقَدِّم المرشدين غير منفصلين عن كلمة الله أي الإنجيل، فالمرشد الحقيقي ἡγούμενος [الإيغومانوس (تنطق خطأ بالعربية القمُص)] هو المرشد الذي يتكلَّم بكلمة الله ويعلمُّ بها ويلتزم بفعلها ويقَدِّم سيرة إيمانية صحيحة حتى نهاية حياته. لأنه يذكر هنا كلمة «نهاية» لتأكيد كيف أكملوا إيمانهم حتى الموت.

ومن هنا دخلت خزانة الكنيسة علوم سير الآباء وعلوم أقوال الآباء واستخلاص التقليد الآبائي والكنسي من كلِّ من سيرهم وتعاليمهم. وأصبحت هذه العلوم تمثل الصورة الصحيحة للكنيسة فكرياً وعملياً، وبالتالي تعطيها طابعها الإيماني العام الأرثوذكسي.

ونحن نوعي القارئ جداً:

فإنه لا يصح ولا يمكن أن نحترم التقليد في العلوم مهما كانت هذه العلوم، بمعنى التمسُّك ببادئها الأولى والتقيُّد بأفكار العلماء الأوائل مهما كانت قدراتهم الفذة وعقلياتهم الجبَّارة وإنجازاتهم المُذهلة، لأن العلم هو الجري وراء حقائقه، وحقائق العلوم لم ولن ننكشف مرَّة واحدة، فهي قائمة في جوهر الحق المطلق الواحد، وجوهر الحق المطلق يستحيل الوصول إليه مرَّة

واحدة لأنه بالنهاية هو الله. فعلوم الرياضة والفلك والطبيعة كشفت لنا أول ما كشفت بخصوص طبيعة المادة أن آخر جزء فيها هو الذرة ولا يمكن بأي حال من الأحوال تحطيم هذه الذرة أو تقسيمها. كان هذا حتى سنة ١٩٤٠ تقريباً حتى إن الذي كان يقول بانقسام الذرة يُعتبر جاهلاً أو مجنوناً. ولكن تقدّم العلم وقال بانقسام الذرة إلى الجزء السالبي (الإلكترونات) وجزء إيجابي (البروتونات). وكان العلم يقول باستحالة تقسيم البروتون (النواة)، وكان كل من يقول بانقسام النواة يُعتبر إما جاهلاً أو مجنوناً. ثم تقدّم العلم وقال بانقسام النواة، ثم استخدموها في الحياة في قتل الحياة بالفتيلة النووية. وهكذا أصبح من الجهالة أو الجنون أن نقول بضرورة حفظ التقليد في العلم أو التمسك بالعلوم الأولى.

هكذا كما قلنا إن الاجتهاد العقلي يكشف الحق المستتر وراء الطبيعة، والحق الذي وراء الطبيعة لا يكشف عن ذاته إلاّ بشحّ وعناد وعناء، لماذا؟ لأن الحق الذي وراء العلوم هو حق مطلق أكبر من العقل بمسافة مطلقة، فمن المحال للحقاق به إلاّ عن بُعد وبجهود مضيئة، ولا يبلغ الإنسان منه إلاّ ظلاله.

والآن تعال معي إلى الدين، فإننا نجد العكس تماماً، نجد أن الحق المطلق — الله — هو الذي أعلن عن نفسه للإنسان وهو في بكور إدراكه، فأدرك الإنسان الله كما أعلنه الله من ذاته، وذات الله يستحيل أن تتجزأ، فمجرد أول وأبسط كشف عن الله يكون هو الله وهو الحق المطلق، والذي يتدرج هنا بالنسبة للحق ليس هو الحق بل هو الإيمان بالحق، أي الإيمان بالله. فبقدر إيمان كل إنسان يستعلن قدراً من الحق يتوازن مع قدر إيمانه. والله هو الذي يقسّم هذه المقادير من الإيمان، لا بالنسبة إلى العقل بل بالنسبة لبساطة القلب واستعداد الطاعة لأوامره.

هكذا أصبح استعلان الحق المطلق، أي الله، غير مرتبط بعقل الإنسان وجهده، بل بمقدار بساطة قلبه واستعداد طاعته. لذلك فإن الزمن يتوقف هنا عن أن يكون في تطوره وامتداده امتداداً أكثر لمعرفة الله بل ربما النقيض، لأن الزمن متعاهد مع إفساد قلب الإنسان وضميره وتعقيد أفكاره وعلو كبريائه — وانتفاخه بمقدرته وعلمه — فالزمن وضع أنه معاكس للإيمان ولاستعداد الطاعة للحق أي لله، وله قدرة مذهلة على إضعاف حاسة الإيمان وحاسة الطاعة للحق أي لله.

وبذلك أصبح الوصول إلى خبرات الإنسان في استعلان الله، أي معرفة الحق المطلق، لا يكون بالبحث عنها ولا الجري خلفها، فيما يأتي به الزمن، بل في ماضي الزمن وفيما حصله الآباء من استعلان الله ومعرفة الحق. وهنا أصبح الامتداد في استعلان الله ومعرفة الحق، وإن كان قائماً

معتمداً على بساطة قلب كل إنسان ومقدار استعداده لطاعة الله، يزداد بالرجوع إلى خبرات الآباء في الماضي. بهذا أصبح التقليد الآبائي ضرورة حتمية لاستعلان الله ومعرفة الحق وبالأكثر للاحتفاظ بالصحيح من استعلان الحق ومعرفة الله.

وبهذا وعلى هذا، تكون دعوة بولس الرسول لهؤلاء العبرانيين بقوله: «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله، انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم»، هي توثيق ما بعده توثيق لمعرفة الحق والسير بمقتضاه.

وهذا هو التقليد الآبائي، السرُّ الحافظ لبقاء الكنيسة ودوامها وتسليمها من جيل إلى جيل، حيث يحمل كل جيل ذكر آباء الجيل السابق له والتمثل به.

١٧٨: ١٣ « (أ) يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد،

(ب) لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة،

(ج) لأنه حسنٌ أن يُثبَّت القلبُ بالنعمة لا بأطعمةٍ لم ينتفع بها الذين

نعاظوها».

(أ) «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد»:

الآية هنا تثبت وتقوي ما جاء في الآية السابقة وهو تعاليم المرشدين السابقين: «بكلام الله — الإنجيل — الذي كلموكم به»، يعني التعليم الخاص بالرب يسوع المسيح من جهة تجسده وموته وقيامته. هذا هو الحق «الله» المُعلن في يسوع المسيح، الذي أعلن واستعلن مرة واحدة، وهو هو كما استعلن أمس، هو هو اليوم باقٍ كما هو وسيبقى كما هو دون زيادة أو نقصان إلى الأبد. وهذا معناه أن يتمسكوا بالإنجيل باعتباره الحق المطلق الكامل المُعلن مرة واحدة والمسلم مرة واحدة للقديسين (رسالة يهوذا ٣) (مرشديكم)، فهو إيمان الكنيسة الثابت وهو التقليد الوحيد الباقي وسيبقى إلى الأبد، المدوّن في الأناجيل والمسلم شفاهاً للرسل القديسين، لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه.

(ب) «لا تُساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة»:

هنا الحثُّ على التطبيق المباشر للآية السالفة. فإزاء التعليم الصحيح الثابت إلى الأبد الذي جاء به المسيح وكرز به القديسون والمرشدون السابقون لا يُعطي فرصة لتعاليم أخرى قائمة على مبادئ متعددة تظهر جديداً، يحاولون أن يدفعوكم دفعاً إليها «تُساقون». وواضح أنها غريبة عن

تعليم المسيح أي الإنجيل.

(ج) «لأنه حسنٌ أن يُبَيَّن القلب بالنعمة لا بأطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها»:

هنا ابتدأت تظهر نوعية التعاليم الغريبة، فهي تتعلق بأنواع الأطعمة = βρώμασιν، ولكن الكلمة اليونانية لا تفيد «أطعمة عادية» بحسب لغة العهد القديم، ولكن تفيد «أكل لحوم الذبائح المقدسة» كطقوس معينة ثابتة في الأعياد والمناسبات، حيث كان الاعتقاد في الناموس القديم أنها تقدس الذين يتعاطونها. وهذه الطقوس الخاصة بأكل الذبائح معروفة بحسب الناموس، وكان الذين يأكلونها هم الكهنة، يأكلون من جميع الذبائح التي تُقدَّم ما عدا ذبيحة الكفارة الحاملة لخطايا الشعب. إذ بعد رش دمها على المذبح وداخل قدس الأقداس، كان لحمها يُحرق بالنار خارج المحلة. ولكن يبدو أنه تسرَّبت بعض تعاليم تفيد التصريح بإمكانية أكل هذه الذبائح المقدسة تحت ظروف خاصة بالنسبة للشعب كأنها تُشفي أو تُطهِّر إلخ ...، وقد اعتُبرت هذه التعاليم المتنوعة بدعة. كما يبدو أن بعض هؤلاء العبرانيين الذين راسلهم بولس الرسول كانوا واقعين تحت هذه التعاليم المتعددة و«الغريبة». وقوله «الغريبة»، تفيد أنها كانت غير قانونية أيضاً عند اليهود. لأنه يوجد تعاليم صحيحة وقانونية لأكل الذبائح مثل خروف الفصح.

وهنا يُلفت نظرهم لتصحيح إيمانهم أن الذي يثبت القلب في الإيمان ويقرب الإنسان إلى الله هو النعمة المتحصلة من الإيمان بالمسيح والاتصاق به وليس أكل لحوم هذه الذبائح. ويرهن لهم على ذلك بأن ينظروا وراءهم ويتطلعوا إلى الذين اهتموا بأكل هذه الذبائح حتى وفي مكانها المقدس، أنها لم تُفدْهم شيئاً، إذ تاه عنهم الإيمان الحقيقي وضلُّوا عن غلصهم وخسروا الموعد.

كذلك قد يكون القصد من كلمة «الأطعمة» هنا ما هو خاص بالطاهر «كوشير» والنجس «طريف»، بمعنى التدقيق في ضرورة أكل الأطعمة الطاهرة كونها تعطي صحة، والامتناع عن «الطريف» لثلا يجلب المرض. وهذا هو العرف السائد عند اليهود. ولكن الآية القادمة ترجِّح الفكر الأول. ولكن بولس الرسول في رسالته إلى أهل كورنثوس يُعطي تعليماً يترجِّح الفكر الأخير:

+ «ولكن ليس العلم (الصحيح) في الجميع، بل أناس بالضمير نحو الوثن إلى الآن يأكلون كأنه مما دُبِح لوثن. فضميرهم إذ هو ضعيف يتنجس. ولكن الطعام لا يُقدِّمنا إلى الله لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص. ولكن انظروا لثلا يصير سلطانكم هذا (حريتك) مَعثرة للضعفاء.» (١ كور ٨: ٧-٩)

ويقول العالم مونتيغيور إن ق. بولس بكتابه هذه إنما يُشير إلى الذين ظلُّوا يحتفظون بطقس

الذبائح في وسط هذه الجماعة<sup>(٨)</sup>. كذلك العالم بروس يقول إن الرسالة هنا إنما توجه النظر نحو ولائم معينة كان يُقيمها هؤلاء العبرانيون تقوم على مفهوم الذبائح وعملها بنوع خاص<sup>(٩)</sup>.

١٠:١٣ «لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه».

واضح هنا أنه يرذُّ على العبرانيين الذين ارتدُّوا إلى إقامة ولائم ذبائحية لتعوّض لهم عن الإحساس المفقود بالنسبة للعبادة الذبائحية القديمة في الخيمة أي الهيكل، وجرياً كاذباً وهيمياً للحصول على قوة روحية. ويُلاحظ القارئ التهكم الذي يعبر به، دون لفت النظر إلى اعتبار اليهود أنهم كانوا يخدمون خيمة وليسوا يخدمون الله.

يتضح في الرسالة أن «المذبح» الذي يتكلم عنه هنا ليس هو ما نعرفه نحن كبناء في وسط الهيكل، فالكنيسة حتى زمن ق. كبريانوس (٣٠٠م) لم تكن تعرف المذبح الأرضي في الهيكل ولا حتى المذبح بمفهومه الروحي الذي عبّر عنه الآباء بعد ذلك بالمذبح الناطق السماوي. ولكن كانت «المائدة المقدّسة» معروفة منذ يوم الخميس الخالد الذي فيه قدّم الرب ذبيحته بيديه وسفك دمه بالنية. ولكن الذي تقصده الرسالة هنا هو الصورة الأصلية ἀρχέτυπος لمذبح الهيكل. فهنا يقصد «المذبح الحقيقي» وحسب، دون أي تعريف، حيث في مقابل ذبيحة الكفارة ليوم الكفارة التي كانت تُذبح ويُستخدم دمه للتكفير داخل قدس الأقداس ويُحرق لحمها خارج المحلة ولا يحل للكهنة خدام الهيكل أن يأكلوا منها لأن لحمها يحمل الخطية — في حين أن جميع الكهنة كانوا يأكلون من جميع الذبائح الأخرى داخل الهيكل — فيقول هنا إنه في مقابل ذبيحة الكفارة، فإننا نحن لنا مذبح حقيقي (وليس من نحاس) قدّمت عليه ذبيحة الكفارة العظمى، وأنه بينما نحن نأكل منها فنحيا إلا أن هؤلاء الكهنة يستحيل أن يأكلوا منها لسببين: الأول، أنها محرّمة عليهم بحسب الناموس لأنها ذبيحة محرقة للكفارة. وثانياً، لا سلطان لهم أن يقتربوا منها لأنهم لا يؤمنون بمقدّمها وهو المسيح نفسه.

فإن كانوا هم يأكلون لحوم الحيوانات ليتقوا أو يتقدّسوا فهذا خداع، أمّا نحن فلنا طعام روحي يقدّس ويُحيي ويشفي، وهو جسد ذبيحتنا فصحننا المسيح الذي ذُبح: «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو ١٤: ١٧)

وهذا هو الرد على اليهودي، الذي يرى في ذبائح العهد القديم أطعمة للتقدّيس، بمعنى: أمّا

8. H.W.Montefiore, *op. cit.*, p. 245.

9. Bruce, *op. cit.*, p. 398.

نحن فلنا مذبح حقيقي، وليس من تراب وحجر أو نحاس، وهذا المذبح ليس على درجة كرامة مذابح العهد القديم التي كرامتها من كرامة الحيوانات التي تُذبح عليها ويُرش دمه عليها.

أما تطابق الاسم وفعله، أي «المذبح والدم» في العهد القديم والعهد الجديد فهو تطابق نظري فقط، حيث الفعل يُخرج الأول عن المضمون الإلهي، لِيُدخل الثاني إلى صميم استعلان الله والخلاص الحقيقي. فالمذبح مأخوذ من الذبح، والمسيح حقاً ذُبح: «لأن فصحناً أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا» (١ كوه ٧)، فأصبح الصليب بالضرورة هو مذبحنا المنظور الذي كرامته تُستمد من كرامة مَنْ قُدّم عليه.

والآن حينما يقَدّم بولس الرسول النعمة في مقابل الأطعمة الذبائحية الغريبة، فهو في الحقيقة يضمن تقديم جسد الرب يسوع المسيح كطعام الروح في مقابل ذبائح شيطانية لا تفيد ولا تنفع لا للجسد ولا للروح، إن كانت هذه محاولة منهم لتقليد المسيحيين في اعتبارهم الجسد المقدّس طعاماً روحياً، فهو يحاول أن يرد عليهم أن في العبادة المسيحية «لنا مذبح» لكن لا يوجد أكل طعام، والعاقدون لا يشتركون فيها بالأكل الجسدي، بل هو طعام روحي وأكل بالروح وليس بالجسد. ثم يحاول أن يوضّح ذلك بطقس العهد القديم الذي يقول بعدم الأكل من المحرقة الكفّارية التي يُحرق لحمها خارج المحلة ولا يحلُّ «لخدام الخيمة» أن يأكلوا منها، طبعاً لأنها حاملة لخطايا الذين كُفّر عنهم. وهو هنا يُعطي صورة ناطقة لذلك بأن المسيح ذُبح خارج المحلة، خارج أورشليم، وهذا يقطع بأنه حسب طقس اليهود يستحيل الأكل من هذه الذبيحة. هذا هو معنى: «لا سلطان (ليس لهم حق) للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه».

وهنا يأتي فجأة في ذهن بولس الرسول، توضيح آخر للخروج خارج المحلة عندهم والخروج خارج أورشليم عندنا أنه تعبير قوي يحمل معنى الخروج من العالم: «أخرجوا من وسطهم ... فأقبلكم» (٢ كوه ١٧). وهذا الفكر يغطي الآية (١٣ و١٤) بعد ذلك.

ثم يحتاط للسؤال الذي يمكن أن يُطرح هنا: إذاً، فهل ليس للمسيحيين ذبائح بالمرة؟ وهكذا يأتي إلى أنواع ذبائح المسيحيين: ذبيحة الشكر أي التسبيح، وذبيحة المحبة ببذل النفس على اسم المسيح: «قدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١)، وهذا يغطي الآية (١٥ و١٦) بعد ذلك أيضاً.

وهذا كله يبلور مفهوم النعمة في مقابل الأطعمة الذبائحية إنما بعمق روحي مذهل!! «نعمة» الله في المسيح يسوع تعمل في أرواحنا وقلوبنا في الداخل غير المنظور خفياً بالسر الإلهي، ولا يوجد

هنا أكل جسدي مهما كانت مظاهر الإفخارستيا التي تحاشي الرسول هنا أن يذكرها. فنحن لا ننال منها حياة أو تقديساً من جراء أكلها كطعام للجسد، فلا هي طعام للجسد، ولا أكلها يؤكل على مستوى طعام الجسد، بل أكلها بالروح، وعملها خفي بالروح أيضاً. فهي خرافة ونصب أن يتصوّر إنسان أن أي طعام جسدي يشدّد أو يؤازر الإنسان روحياً. فهذا هو نصب عبّاد الأوثان الذين كانوا يأكلون ذبائحهم على أنغام الرقص والزنا، لذلك قيل عن حق إنها عبادة شياطين.

وبولس الرسول يضعها كقضية مقارنة بين خدمة المذبح في القديم وخدمة «المذبح» في العهد الجديد هكذا:

+ «ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدّسة، من الهيكل يأكلون، الذين يلازمون المذبح (النحاسي) يشاركون المذبح (أي يأكلون من الذبائح التي تُقدّم عليه)؟ هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين يُنادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون.» (١ كور: ١٣ و١٤)

ولكن الذي يهتما جداً من هذه الآية، هو أنه ليس لنا مذبح نأكل ذبائحه بل إنجيل، وذبائح الإنجيل هي التسبيح والمحبة أي البذل. وليس لنا شيء نذبحه ولكن عوض الذبح نحن نكرز، فالذين يسمعون ويطيعون يصيرون هم ذبائح للمسيح والله.

+ «لكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أسراً وأفرح معكم أجمعين.» (في ٢: ١٧)

+ «... حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مُباشراً لإنجيل الله ككاهن، ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدّساً بالروح القدس.» (رو ١٥: ١٦)

ويلزم جداً أن ننتبه لوضع كلمة «مذبح»  $\thetaυσιαστήριον$  ومصدرها «ذبيحة»  $\thetaυσία$  مع كلمة «خيمة»  $\sigmaκηνή$  أنهما يقفان على نفس المستوى من فكر بولس الرسول وهو يكتب بمعنى أن الذبيحة هي في مفهومها القديم مرتبطة بالخيمة القديمة دائماً. ولكن إذا تكلم ق. بولس عن الوضع في العهد الجديد، فـ «الخيمة»  $\sigmaκηνή$  هي «الخيمة الحقيقية»  $\alphaληθινή$  للنفس وليس للجسد، حيث فيها «الذبيحة» الحقيقية التي لا سلطان للذين يخدمون الخيمة الأرضية أن يأكلوا منها. لأن الفاسد لا يرث ولا يأكل من عدم الفساد (١ كور ١٥: ٥٠). وهنا بولس الرسول لم يهتم كثيراً أن يوضّح مَنْ هم هؤلاء الذين يخدمون الخيمة الأرضية، ولكن في شكلها نرى أنها تجمع كل الذين فيها، وإلّا كان قد قال الذين يخدمون القدس أو الهيكل، قاصداً بذلك أن

الذبيحة المسيحية التي فيها وبها تقوم كل عبادتنا وعلاقتنا بالله لا علاقة لها بالأكل الجسدي أو الطعام الجسدي: «الروح هو الذي يُحيي أمّا الجسد (الأكل للجسد) فلا يُفيد شيئاً. الكلام الذي أكلمكمم به (مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي) هو روح وحياء. ولكن منكم قوم لا يؤمنون.» (يو: ٦٣ و٦٤)

ولكي يُثبت لهم صدق كلامه أن ذبيحة المسيحيين لا يحل للذين يعبدون في الخيمة الأرضية للعهد القديم أن يأكلوا منها، أعطاهم المثل التطبيقي في الآية (١١).

١٣: ١١-١٣ «فإنّ الحيوانات التي يُدخَلُ بدميها عن الخطية إلى الأقداس بيدِ رئيس الكهنة تُحرقُ أجسامها خارجَ المحلّة، لذلك يسوعُ أيضاً لكي يقدّس الشعبَ بدمِ نفسه تألّم خارجَ الباب، فلنخرُجْ إذاً إليه خارجَ المحلّة حامليين عازّة.»

هذا هو التطبيق المباشر لقول ق. بولس أن خدام الخيمة الأرضية لا يحل لهم أن يأكلوا من ذبيحة المسيحيين.

فهنا يذكر لهم نص ما يقول به سفر اللاويين (١٦: ٢٧) أن ذبائح الخطية تُخرج أجسامها خارج المحلّة لتُحرق حتى النهاية. والقديس بولس أوضح أنه: «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرة (ذبيحة) لكي يحمل خطايا كثيرين...» (عب ٩: ٢٨)، وبعد ذلك يلزمنا أن نكمّل: «ولكي يقدّس الشعب بدم نفسه تألّم خارج الباب». صحيح أن المسيح لم يُحرق جسده خارج أورشليم ولكن لأنه حمل خطايا كثيرين، فدمه مسح أنه دم مُحرق ولو لم تُحرق، لأن النار الإلهية غير المنظورة التي يحملها المسيح كابن الله في جسده، هي التي التهمت الخطايا، لأن الروح الأزلي الذي في دم المسيح هو روح الإحراق (إش ٤: ٤) وروح التطهير. وهو الوضع الروحي الفائت جداً عن الإحساس والتصور الذي يُحسب أنه «الأرشي تيبوس» ἀρχέτυπος للنار المادية التي كانت تأكل جسد ذبيحة المُحرق، وهكذا يُحسب أن النار أحرقت خطايا الشعب التي اعترف بها على رأس العجّل أو المعزى. فنار المُحرق الأرضية مجرد صورة باهتة في فعلها بالنسبة للنار الإلهية التي في دم المسيح وهي روح الإحراق والتطهير التي بعد أن أحرقت خطايا العالم التي حملها المسيح في جسده على الصليب، قام المسيح بجسده الجديد، جسد البشرية الجديدة المنزّهة عن الخطايا. لذلك فالصليب يُحسب عن جدارة أنه هو مذبح المُحرق الأصلي ἀρχέτυπος، لأن عليه تمّ ذبح المسيح، وعليه انسكب دمه (كمذبح). فهنا الوجه الأول للمحرق داخل الهيكل. ولأن الصليب



كان خارج الباب وعليه تمّ الغفران وتمّ الصُّلح وتمّ القبض على الشيطان، فهذا هو الوجه الآخر للمُحرقة القديمة عندما كانت تُحرق خارج المحلة، حيث كانت النار تلتهم خطايا الشعب (نظرياً) مع لحمها: «مُساعماً لكم بجميع الخطايا، إذ بما الصك الذي علينا في الفرائض (الناموس) الذي كان ضدّاً لنا وقد رَفَقَهُ من الوسط مُسَمِّراً إياه بالصليب. إذ (عليه بعد أن مرَّق الصك) جرَّد الرياسات والسلطين أشهرهم (فضحهم) جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب).» (٢: ١٣-١٥)

التركيز الشديد هنا على «تألّم خارج الباب». وهذا الفكر اللاهوتي البديع تنفرد به الرسالة إلى العبرانيين دون جميع أسفار العهد الجديد، بأن تضع عليه هذا التركيز وتسلّط هذه الأنوار، حيث «تألّم خارج الباب» تُفيد إفادة صارخة هجرانه للأمة اليهودية وخروجه من هيكلها مُهاناً مجروحاً دامياً: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت ٢٣: ٣٨). لقد طاردوه موثوقاً بحبال حتى أخرجه خارج أورشليم، مدينته الخاصة مدينة الملك العظيم! فصاروا بلا ملك إلى الأبد! ومنذ تلك الساعة أصبح رمزاً حياً وقطباً إلهياً جاذباً لكي يُخرجنا معه لا من الهيكل والخيمة وحسب، بل ومن العالم: «مَنْ أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.» (مر ٨: ٣٤)

وهكذا تدرّج هذا البولس القديس البديع من ضرورة أن لا تتبع تعاليم غريبة عن ولائم ذبائحية ميتة كأنها تفيد الجسد أو الحياة عامة كما يصنع الوثنيون، إلى ضرورة أن نخرج كلّية من وليمة العالم ككل، فليس لنا هنا مدينة باقية لأننا نطلب العتيدة. فإن أردنا أن نرى الرب أو نلتصق به فلنخرج إليه!! هنا الخروج في أعلى معناه الروحي كصلب العالم لي وأنا للعالم (غل ٦: ١٤).

فالنعمة التي نتغذى بها هي على ميعاد معنا خارج الباب!! لا مع ذبيحة ميتة ولا مع طعام للجسد، بل مع المسيح نفسه صاحب الذبيحة الحيّة ومعطيها.

وكما قال المسيح مصلياً إلى الآب قبل خروجه من العالم: «العالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أنني لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهم من العالم...» (يو ١٧: ١٤ و١٥)، هكذا تألّم المسيح ورُفض وأهين داخل المدينة، مدينة هذا العالم، وأهين ورُذِل وجُرح داخل هيكل هذا العالم، مغارة اللصوص وبيت التجارة، ولكنه استعلن وتمجّد خارج المدينة وخارج أبوابها.

هكذا تنادينا هذه الرسالة أنه مذخّر لنا في المدينة نفس النصيب، لأنها مدينة الأباطيل:

+ « لا تتعجبوا يا إخوتي إن كان العالم يبغضكم . » (١ يوحنا ٣: ١٣)  
 + « أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم . » (يوحنا ١٧: ١٤)

حينما يقول ق. بولس: « فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة » παρεμβολῆς ، فهو ليس مجرد الخروج من الباب، بل الخروج من المحلة كلها، أي العبادة اليهودية بكاملها، هنا يوجه الكلام للذين يفكرون بالعودة إليها. أمّا نحن فالمحلة تعبّر عن الأهل والصحبي والعشيرة والوطن وكل العوايد والصلوات، فالدعوة مستمدة من دعوة الله لإبراهيم لكل من أراد أن يكون من المختارين وأهل الموعد!! « لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعْدٍ » (أع ٢: ٣٩) أي نحن!! وما أسهل سماع الدعوة، وأسهل منها الادعاء أننا سمعناها وقبلناها وأنها فعلاً خارجون! ولا يمكن أن نخرج أو ندعي الخروج والمجد والراحة، والصيت الحسن يجري أمامنا ويسير خلفنا. فعلامه الخروج لا يخطيء فيها أحد، فهي: « حاملين عاره ». وعار المسيح الشكلي هو الصليب: « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. » (لوقا ٢٣: ٢٦)

« حاملين عاره »: τὸν ὀνειδισμόν αὐτοῦ

في الحقيقة إن هذه الترجمة العربية، ولو أنها أصبحت سائدة وطاغية على فكرنا، إلا أنها ليست دقيقة، فهو ليس « عار » حتى يُقال أنه « عاره » بل تعبيرات. فلا المسيح ولا الصليب عار على أحد، ولكن « تعبير » المسيح أي المهانة والشائتم والضرب ثم الصلب، هذه هي التعبيرات، وبالأخص منها الأقوال الصعبة والشتيمة والاتهامات المنحطة، فهذه هي تعبيرات. ويقولها داود النبي في المزمور واضحة: « غير بيتك أكلتني وتعبيرات οἱ ὀνειδισμοί مُعِيرِك وقعت عليّ » (مز ٦٩: ٩). هنا المسيح يخاطب الله، والعجيب هنا في هذا المزمور أنه يكشف عن حقيقة هامة من حقائق الصليب باعتباره التعبيرات أنها التي عيّر بها الشعب اليهودي الله نفسه، فعادت ووقعت على ابنه متجسداً، وكأن تعبيرات الأشرار من الشعب قديماً عادت ووقعت علينا نحن الذين نمثّل بشرية المسيح أو الذين تمثّلنا بشرية المسيح. فالآن إذا أردنا أن نتبع المسيح حقاً، علينا أن نشاركه — عن حق وجدارة — في حمل هذه التعبيرات التي صدرت منا أو من البشرية ممثلين في أشرار إسرائيل — بمعنى أنه يجب علينا أن نحمل تعبيراتنا، فنحن الأولى!

فإن كان في الصليب إحدى هذه التعبيرات، فيتحمّ علينا حمله إن كنا نريد أن نكون شركاءه. لأن صليب المسيح هو في الحقيقة وفي الأصل صليبنا نحن، الذي حمله هو لأجلنا. وهو

إن كان قد صار لعنة لأجلنا (غل ٣: ١٣)، فاللعنة أصلاً كانت لنا، فكم هو حق وواجب أن نحتملها معه إن أتت علينا! ولكن من حُب الله وحنانه وخيريته المتفاضلة جداً، أنه إذا حملناها يعطينا الطوبى مع أنه حق علينا: «طوبى لكم إذا عَيَّروكم وطرَدوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين، افرحوا وتهللوا...» (مت ٥: ١١ و١٢)

قال القديس أنطونيوس حينما رأى أباه مسجى على الأرض ميتاً: أين جبروتك أين همتك، ولكن إن كانوا أخرجوك مُرغماً فأنا أخرج بإرادتي ... وخرج أنطونيوس ولم يعد إلى قمن العروس، فصار أنطونيوس أباً للعالم النسكي بأجمعه.

١٤: ١٣ «لأن ليس لنا هنا مدينةٌ باقيةٌ لكننا نطلبُ العتيدةَ».

الأفعال هنا تُنسَقُ المعنى: «فلنخرج»، «حاملين»، «نطلب». والمعنى يأتي عكسياً لأنه إن كنا نطلب العتيدة فلنخرج إليه، وإن رضينا بالخروج منهجاً فلا بد من التعبير والعار ثمناً.

عندما خرج المسيح خارج أورشليم ليُذبح وراء أبوابها، لم يخرج ليبقى هناك، بل انطلق إلى المدينة العتيدة!! ونحن إن خرجنا إليه، فإنَّ نَظَرنا سيبقى مُثَبِّتاً نحو السماء حيث هو جالس، نجول ونجول في أرض غربتنا نطلب العتيدة إلى أن تنتهي عُربتي، ولا بد أن تنتهي عُربتي وأمضي إلى موطني!

حينما كان الرب على أهبة الصعود، والتلاميذ يحدثونه آخر حديث سألوه عن المُلك المردود لإسرائيل، وعن الأوقات والسنين والمواعيد، فأخذهم الرب مؤاخذاً شديدة: ليس لكم أن تعرفوا الأرضيات بعد، بل اطلبوا قوة من فوق لتشهدوا «لخروجي»!!

بل والسماطيون كلهم مشغولون أيضاً بذلك، فلما ظهر في التجلي موسى وإيليا، الأول مندوباً عن الناموس والآخر مندوباً عن الأنبياء، كان حديثهم مع الرب عن «الخروج» العتيد أن يُكَمِّله في أورشليم!!!

إن خرجنا وكان خروجنا صميمياً، وتلَطَّخت العتبات والقوائم بالدم، وفلتنا من المُهلك، فأماننا حتماً عبور هذا البحر، بحر العالم بلججه وتياراته ورهبته وأهواله. ولكننا حتماً سنعبّر، لأن قائد خلاصنا أمامنا، ونحن خلفه نسير، وهو يقودنا في موكب نصرته (٢ كو ٢: ١٤)، ونحن وراءه نسبح تسبحة العبور الأكيد، لأن شاطئ الخلاص نراه أمامنا ولو من بعيد.

« ليس لنا هنا مدينة باقية » :

ولا حياة باقية، ولا نظام باق، ولا إرث ولا مال ولا حال ولا فكر ولا آمال!! فعلى مَ البقاء؟ وعلى مَ تجاهلُ الواقع الذي يهرب من أمام أعيننا ومن بين أيدينا؟ لا نقول « الكَلل باطل وقبض الريح » لكي ننام ونستريح، بل نقولها لنقوم ونطلب ما هو عتيد، الذي لن يبطل، والباقي إلى الأبد. فإن كنا قد تتلمذنا للعالم الباطل هذه السنين، بل وإن كنا قد تسخرنا لخدمة هذا الباطل وقدمنا له أفخر أيام العمر، فهل أبقينا الباقي للباقي؟

اسمع هذا الصوت ربما يكون قد تسجّل في الإنجيل لك!

+ « أنا عارف أعمالك أن لك اسماً أنك حيٌّ وأنت ميت. كُن ساهراً (اسهر) وشَدِّد ما بقي الذي هو عتيد أن يموت، لأنني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله. فاذا ذكر كيف أخذت وسمعت، واحفظ، وتُبِّ فإني إن لم تسهر أُقَدِّم عليك كلِّص ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك. »  
(رؤ ٣: ١-٣)

« لكننا نطلب العتيدة » :

لا تظهر إلا كظلال باهتة ولا نلمحها إلا من خلال الدموع. ومهما سرنا تظل بعيدة ولكن كلما تألمنا عادت وظهرت، فإذا بلغت بنا الضيقة مبلغها وأحاطت بنا التعبيرات من كل جانب تجلّت وتلاّأت وكأنها على قيد ميل! فإذا توانينا ودخلت الطمأنينة الكاذبة مخدعنا وتلاعبت بنا الأفكار والظنون واشتهينا ما لا يُشتهى، عادت واختفت وكأنها وراء السحاب أو كأنها أضغاث أحلام.

في الأسهار الطويلة يأتي ملاكها ليدرس معنا أطوالها وأبعادها، وكلها تُقاس بمقاييس النسك المعروفة من حب وبذل وصوم وسهر وصلاة وصلب الذات أمام الله، بعهد اللاعودة إلى هو العالم أو أباطيل الدنيا أو استرضاء الذات.

الطريق إليها يبدأ سهلاً متسعاً ويضيق كلما سرنا باجتهاد، فإذا لم ننظر إلى خلف صار الطريق من ضيق إلى أضيق، حتى لا يسع إلا خطوات السائر عليه، فإذا أخذت الإنسان الرعبة ظهر المُعين من خلف، يشجّع ويعاتب على الخطأ المقصود، حتى تنتهي منطقة السير على الأقدام عند نقطة يمتنع فيها السير حتماً. وحينئذ يظهر صاحب المدينة من على اليمين، تفصله عن السائر هوة سحيقة ويطلب من السائر أن يلتقي بنفسه في الهوة حتى يلقاه بذراعه، وحينما يجزع السائر من المنظر الرهيب أمامه والهوة السحيقة، يُطمئنه صاحب المدينة بأنه سيمد ذراعه له فتطول قدر ذراع

واحدة، بمعنى أن امتداد الباقي يتوقف على إيمانه. وأخيراً يرى السائر أنه لا مفر، فإما أن يُلقَى بنفسه وإلا فلا بلوغ ولا عودة، فإن تشجّع وأغمض عينيه وألقى بنفسه ففي لحظة يرى الذراع تحته لتحمله حيث الدرب الأخير، والمدينة يشتد لمعانها، ويدقُّ القلب لها دقات الطرب الشديد حتى ليكاد ينخلع من الصدر، ولا يعود الطريق طريقاً للمسير بل نقلات محسوبة تحت عيني الذي لا يغفل ولا ينام.

وليعذرنا القارئ اللبيب لأن الأمور العتيبة لغتها وثيقة (أي بطيئة الإدراك)، لا تنطبع على صفحة الذهن إلا بالصلاة. ولكن ليس الطريق إلى المدينة العتيبة شاقاً، بل هو ممهد تمهيداً دقيقاً بديعاً لا تزكُّ من عليه قَدَمٌ، طالما الإنسان مُمسيك بالإنجيل بيد وباسم الرب باليد الأخرى، ويذهب يسبح: «عصاك وعُكَّازك هما يُعزيانني»!! (مز ٢٣: ٤)

والطريق إلى المدينة هو جزء من المدينة، كله أسرار تُلقَّن للسان وكأنا هو طائر تغذيه أمه: «أفَيْرُ فَاك فَأَمْلَأُهُ.» (مز ٨١: ١٠)

١٥: ١٣ «فلنُقَدِّمُ به في كلِّ حينٍ لله ذبيحةً التَّسبيحِ، أي نمرَ شفاؤٍ معترفٍ باسمِهِ.»

«فلنُقَدِّمُ به»: δι' αὐτοῦ οὖν ἀναφέρωμεν

تحمل معنى «فلنرفع بواسطته»، لأن الذي سنرفعه هو ذبيحة، فهنا لغة ليتورجية صرف. ولنرفع به أو بواسطته هو قول ماسك بقول سابق عليه، وهو «فلنخرج إليه» ἐξέρχόμεθα. والأولى بواسطته والشانية إليه، والمعنى بديع حقاً إذا تماسك كالأتي: فلنخرج إليه، لنرفع بواسطته.

«فلنُقَدِّمُ به في كلِّ حينٍ لله»:

والمنظر لو تصورناه نجده عجباً، فبينما نحن خارجون من المحلة (العالم) حاملين عاره، أي تعبيرات معيَّره وآلام صليبه، نسير مُسبِّحين كمن يرفعون ذبيحة حيَّة ناطقة بعبادة صادقة للذي أقامه من الأموات، الله أبيه، ولكن «لا جراءة ولا قدوم إلى الآب» بدونه (أف ٣: ١٢)، فيه نتقدَّم، وفيه نُقدِّمُ ذبيحتنا، لأن «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو ١٥: ٥)

فالمسيح بصفته رئيس كهنة، نُقدِّمُ له ذبيحتنا ثمار شفاهنا، وهو يقدِّمها من أجلنا على مذبح الله:

+ «كونوا أنتم أيضاً مبشرين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدَّساً، لتقديم ذبائح

روحية مقبولة عند الله يسوع المسيح» (١بط ٢: ٥). لاحظ كلمة «يسوع».  
 + «إن كان يخدم أحد، فكأنه من قوة يمنحها الله، لكي يتمجد الله في كل شيء يسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين آمين.» (١بط ٤: ١١)

كما يقول ق. بولس مفتخراً: «أشكر إلهي يسوع المسيح» (رو ١: ٨)، فحتى «الشكر» احتسبه تقدمة لا يقوى على تقديمها بدون الرب يسوع المسيح!

ولو انتبه القارىء، يجد في هذا الوضع الليتورجي مبدأ عقائدياً لاهوتياً تشرحه الآية الآتية:  
 + «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع، شاكرين الله والآب به» (كو ٣: ١٧)؛

حيث اسم يسوع المسيح هنا هو استعلان حضوره، لأن معنى الاسم يعني حضوره الشخصي إذا هتفنا به: «أحمد اسمك يا رب لأنه صالح» (مز ٥٤: ٦). فالقوة من المسيح والذبيحة لله الآب.

«ذبيحة التسبيح»: θυσιάν αἰνέσεως

ونحن نقولها كثيراً في المرات في القداس = «ثيسيا إينيسيثوس»، يقولها بولس الرسول هنا وعينه متركزة على الإفخارستيا ذاتها. واستعاض عنها «بذبيحة ثمار» ولكنها ثمار روحية، أي ثمار تسبيح تُخرجها الشفاه وليس الأرض.

«ثمر شفاه»: καρπὸν χειλέων

عوض الثمار التي تُخرجها الأرض، التي لم تُعدْ تصلح لثرف ذبيحة بيد الروحيين على المذبح الروحي أمام رئيس الكهنة الأعظم، نقدم أو نرفع هنا ذبيحة من ثمار القلب تهذبها الشفاه، وتقدمها بهيئة تسبيح:

+ «وليذبحوا له ذبائح الحمد وليعدوا أعماله بترنم.» (مز ١٠٧: ٢٢)

+ «فلك أذبح ذبيحة حمد وباسم الرب أذعو.» (مز ١١٦: ١٧)

والعجيب أن التسبيح للشكر في تشريع اللاويين له ذبيحة خاصة باسم «ذبيحة الشكر». ولكن سُميت ذبيحة السلامة التي من أجلها يُرفع الشكر: «هذه شريعة ذبيحة السلامة التي يُقرَّبها للرب إن قرَّبها لأجل الشكر، يُقرَّب على ذبيحة الشكر... يُقرَّب قربانه على ذبيحة شكر سلامته» (لا ١١ و١٣). وأية سلامة أكثر من «النعمة التي نحن فيها مُقيمون»!! (رو ٥: ٣). فدوام نعمة الله، له حق دوام ذبيحة التسبيح، هذا هو سر قول بولس الرسول هنا: «كل حين لله ذبيحة التسبيح».

وعلى القارىء الانتباه إلى قوة المعنى في هذه الآية بمقتضى هذا الشرح، إذ يعني أن ذبيحتنا ليست فرضاً ولا شرعاً، بل أصلاً وبحسب تقنين شريعة موسى هي ذبيحة سلامة شخصية كما يُسميها سفر اللاويين: «ذبيحة شكر سلامته». فهي ذبيحة خارجة من أعماق شكرنا لله بدافع الرد على حبه وصلاحه وعنايته لنا بيسوع المسيح. فبقدر ما كانت ذبيحة الشكر في العهد القديم هامشية، إذ ليست هي تحت قانون الفرض والإجبار ولا تُقدّم إلا إذا خرج الإنسان من ضيقه سالماً، نجدتها في العهد الجديد ذبيحة العمر كله، ذبيحة كل الوجدان، ذبيحة اعتراف بفضلها الدائم، ذبيحة سلام في القلب مقيم على رحمة دائمة وعناية ساهرة.

ويتصوّرُها إرميا النبي بالنبوة على أيام المسيّا التي يرد الله فيها سبي أورشليم: «ويسمع ... صوت القائلين أحمدا رب الجنود لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب.» (إر ٣٣: ١١)  
 + «اللهم عليّ ندورك. أوفي ذبائح شكرٍ لك.» (مز ٥٦: ١٢)

«معرفة باسمه»:  $\delta\omicron\mu\omicron\lambda\omicron\gamma\omicron\upsilon\upsilon\tau\omega\nu\tau\omega\nu\tau\omega\nu$  τῆ ὀνόματι αὐτοῦ

كلمة «اسم الله» أو «اسم المسيح»، تعني في الحال حسب التقليد الكتابي الليتورجي: «الحضور الشخصي». فالدعاء «باسم الله» يعني طلب سرعة حضوره أو طلب سرعة الدخول في حضرته. فإذا قلنا «نسبح باسمه»، فإن هذا يعني «نقدّم ذبيحة مرفوعة على مذبح محبته»، وإذا قلنا «نعترف باسمه» يعني «نرفع يدنا ونعطي عهداً أننا نؤمن ونعترف بوجوده وحضوره». فالاعتراف باسمه له معنى مرادف لما جاء في بداية الآية «فلنسقدّم به»  $\delta\epsilon\ \alpha\upsilon\tau\omicron\upsilon\tau\omicron\upsilon\ \omicron\upsilon\upsilon\tau\omicron\upsilon\ \alpha\nu\alpha\phi\acute{\epsilon}\rho\omega\mu\epsilon\nu$  حيث الفعل  $\alpha\nu\alpha\phi\acute{\epsilon}\rho\epsilon\iota\nu$  يعني «رفع» ذبيحة روحية:

+ «كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية، بيتاً روحياً، كهنوتاً مقدّساً، لتقديم ذبائح روحية  $\alpha\nu\epsilon\nu\acute{\epsilon}\gamma\kappa\alpha\iota\ \pi\nu\epsilon\upsilon\mu\alpha\tau\iota\kappa\acute{\alpha}\varsigma\ \theta\upsilon\sigma\iota\alpha\varsigma$  مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١ بط ٢: ٥)

والتسبيح مع الاعتراف هو تكريس التمجيد لله، فهو عرض الشكر والإيمان معاً بالاسم المبارك:

+ «ذابح الحمد يمجديني، والمقوّم طريقه أريه خلاص الله.» (مز ٥٠: ٢٣)

+ «أحمد اسمك يا رب لأنه صالح. لأنه من كل ضيق نجاني وبأعدائي رأيت عيني.» (مز ٥٤: ٧ و٦)

ويُلاحظ القارىء هنا أن بولس الرسول يقدم للعبرانيين أوفر ذبائح المسيحية التي تسمو فوق

العجول والتيوس. فهي ذبائح القلب والروح المنسحقة والمعترفة بفضلها التي هي أفضل من عجول يمان كما يقول المزمور (مز ٥١: ١٧، ٦٩: ٣١).

والمُلاحَظ هنا أن تقديم ق. بولس هذه الذبيحة الروحانية الدائمة « كل حين »، يعني ضمناً — وهو الواقع — أن جميع الذبائح الأخرى ألغيت، لأن ذبيحة الرب يسوع ملأت حاجة الإنسان بل ملأت بيته ومذبحه وزمنه وحياته، وصارت لنا كل الخلاص، والله الرضا والصفح والغفران. ولكن ذبيحة التسبيح إن كانت في العهد القديم على هامش الذبائح، فهي هنا التعبير الكامل عن الشكر على ذبيحة المسيح، لذلك صارت تعبر في المسيحية عن كل الذبائح القديمة وتفيض، توازنها وتفوق، تعمل عملها ويزيد، تملأ الزمان وسوف تملأ الأبدية.

وحينما يقول بطرس الرسول: « لكي تجربوا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب » (١ بط ٢: ٩)، فهذا التخبر بالفضل هو هو التسبيح لاسمه. لأن التسبيح، كما قلنا، هو ذبيحة شكر على أفضل الله، وإن كان فضل الله دائماً، تحتم أن يدوم تسبيحنا ما دمنا وما دامت الحياة وما دام لنا فم وصوت نتكلم به. فالتسبيح هو كلام الشكر كله الذي يُغني عن كل كلام: « هذا الشعب جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي، يَحْدُثُ بِتَسْبِيحِي. » (إش ٤٣: ٢١)

الإنسان، بحسب الناموس، حينما كان يقدم لله شكره، فقد كان يقدمه من خلال ذبيحة حيوانية، ولكن بولس الرسول يقول هنا: « معترفة باسمه »، أي ذبيحة مقدّمة من خلال شخصه المبارك.

المزمور يقدم هذا بالروح النبوي:

+ « هل آكل لحم الشيران أو أشرب دم التيوس؟ اذبح لله حمداً، وأوف العلي ندورك، واذعني في يوم الضيق، أفتذك فتمجدني. » (مز ٥٠: ١٣-١٥)

وهو شح النبي يشرح أكثر هذه المقايضة لذبائح الحيوان بتسبيح الشكر هكذا، والترجمة هنا من النسخة الماسورية، بينما السبعينية أخفقت في فهمها، وقد جاءت ترجمتها الدقيقة هكذا:

+ « وهكذا سوف نجعل عوض العجول، ثمار شفاهنا. » (هو ١٤: ٢)

وقد ترجمتها النسخة الإنجليزية هكذا بعد التصحيح، وواضح أن الرسالة إلى العبرانيين أخذت بالنسخة السبعينية مباشرة « ثمار شفاهنا »، دون ذكر « عوض العجول » التي جاءت فقط في النص الماسوري.



والآن وفي ختام هذا الشرح لهذه الآية نود أن نلفت نظر القارئ أن هذه الذبيحة التي للشكر، وهي ذبيحة تسبيح دائمة، هي بعينها «ذبيحة الشكر» الإفخارستيا نصاً وروحاً، حيث هي كلها شكر وكلها تسبيح فوق ذبيحة المسيح ومعها. فعلى المذبح لا يوجد إلا جسد المسيح ودمه ذبيحة وكأنها مذبوحة لتوها، وهي قائمة ودائمة بقيام المسيح، مذبوحة حياً، في السماء، كخروف على عرش. فالكنيسة تنقل لنا على الأرض الصورة السماوية، فنراها كما هي في السماء، ونقدّم الخدمة مع الملائكة ألوف وألوف وربوات وربوات، ونهتف معهم بالصوت الواحد: قدوس قدوس قدوس مجد الرب ملء كل الأرض. فتسبيح الإفخارستيا هو الشركة الحقيقية الصادقة مع الملائكة في خدمتهم السماوية للجالس على العرش، حمداً وشكراً للذي ذُبح واشترانا بدمه (رؤ ٩: ١).

ومن فم ملاخي آخر الأنبياء والأقرب إلى مسرح الصليب والإفخارستيا، توجد نبوة عن ذبيحة ستقدّمها الأمم وهي أعجب من كل الذبائح: «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود» (مل ١: ١١). وما هي التقدمة الطاهرة  $\thetaυσία καθαρά$ ؟ هل حيوانات بأظلاف؟ وكيف تُقدّم في كل مكان على الأرض؟ وكيف تقدّمها كل الأمم على جميع أشكالها؟ ومع التقدمة بخور؟ واضح أن هذه هي النبوة العجيبة عن ذبيحة الإفخارستيا بكل مشتلاتها.

١٦: ١٣ «ولكن لا تنسوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوَزُّعَ لَأَنَّهُ بِذَبَائِحٍ مِثْلِ هَذِهِ يُسْرَأُ اللَّهُ».

هنا وبعد التسبيح للاعتراف بالشكر، كفضيلة المسيحيين الأولي وذبيحتهم الدائمة الفاخرة، تأتي المحبة الباذلة للغريب والقريب وكل مَنْ كان في حاجة. فهي الذبيحة الثانية والمنبثقة من الأولى، لأن التسبيح القلبي لا بد أن يكون له فعل وثمر ظاهر. وحمد الله هو عطاء وخدمة الآخرين ولا يمكن فصلهما.

«فعل الخير»:  $εὐποιίας$

الكلمة اليونانية لها رنين مُبدع، فهي من مقطعين الأول  $εὐ$  أي «الحسن والجميل»، والثاني  $ποιία$  وهو «الفعل أو العمل». وكان الكلمة تنطق وتقول إنه ليس من بين الأعمال كلها عمل حسن وجميل كعمل الخير. ولكن لكي تزيد الرسالة قوة وظهوراً واستظهاراً على باقي الأعمال كلها أضافت:

«والتوزيع»:  $καὶ κοινωνίας$

وهذه الأخرى عجيبة في تركيبها، فهي أصلاً تُفيد الشركة الروحية، وكان أحسن الأعمال هو

إشراك الآخرين في الخير الذي بين أيدينا، كأنه بحضور الله. لذلك تعبّر عنهما معاً اللغة السريانية بمعنى «التعطف وشركة الفقير». وهكذا فإن هاتين الكلمتين تكوّنان منهجاً روحياً أو مبدأً عبادياً. ويُلاحظ أن كلمة εὐποιία وردت هنا لأول مرة في جميع الأسفار ولم ترد قط في السبعينية فهي خاصة بالرسالة إلى العبرانيين، وهكذا قُضي أن تكون هذه الرسالة ذات تعليم خاص منفرد وحسن وكاشف لأسرار كثيرة.

«لأنه بذبائح مثل هذه يُسرُّ الله»:

هذه الذبائح الثلاث، التسبيح وفعل الخير عموماً والتوزيع على الفقراء خاصة.

ولكن ليتنا نُعطي لمحة سريعة عن معنى ومبنى «فعل الخير والتوزيع»، أو العمل الحسن والشركة عند المسيحيين، لأن هناك تقاليد كثيرة انقطعت من الحياة المسيحية، فكل أسرة كان لها أوقات تذبذب ذبائح خاصة توزعها، أولاً على رجال الكنيسة كل رتبة برتبتها ونصيبتها على قدر أعدادها، ثم تُشرك الفقراء إما كوليمة تجمعهم أو توزّع على بيوتهم. هذا وارد في سفرين سيراخ الذي أخذت منه الكنيسة الأولى كثيراً من تقاليدها:

+ «حِبِّ الذي صنعك من كل قوتك ولا تستخف بحق خدّامه،

أتقى الرب، وأكرم الكاهن، وأعطيه سهمه، كما أمرت، من البكور، واستغفر عن تهاونك، وعطية ذراعك وذبيحة التقديس تُقربها للرب، وبكورية القديسين.

وللفقير ابسط يدك لكي تتم بركتك،

نعمة العطاء أمام كل حي معروفة ولا تمنع معروفك عن الميت.»

(سيراخ ٧: ٣٠-٣٣)

ومن الأمور التي تؤثر في النفس جداً أنه عندما حُرّب الهيكل وأوقفت الذبائح، اعتبر الربيون المحافظون أن التوبة والتدامة والتسبيح وفعل الخير والتوزيع على الفقراء، هي ذبائح على مستوى ذبائح الهيكل الطقسية (يوحنا بن زكّاي صفحة ٣٩ وما بعدها). وقد رجع في ذلك إلى هوشع النبي في قوله: «إني أريد رحمة لا ذبيحة، ومعرفة الله أكثر من محرقات» (هو ٦: ٦). أمّا الكُتّاب المسيحيون الأوائل فتمسّكوا أيضاً بقول هوشع النبي: «قولوا له ارفع (عناً) كل إثم واقبل (ما لنا) حسناً فنقدّم ذبائح شفاهنا» (هو ١٤: ٢) (أتت في الترجمة البيروتية «عجول شفاهنا»، ومع اختلاف الترجمة فهنا تورية بديعة).

## الخضوع والطاعة للمدبّر

١٧: ١٣ «أطيعوا مُرشدَيْكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آتَيْنَ لأن هذا غيرُ نافع لكم».

«أطيعوا ... اخضعوا»: *πειθεσθε και υπεικετε*

وباللاتينية (فولجانا) = *(obedite ... et subjacete)*.

أما الطاعة فتعبّر عن قبول الوصية أو التوجيه وهي تتوجّ بالخضوع لرغبة المرشد.

«لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم»:

توضّح مدى التزام المرشدين بمصير النفوس التي يقيمهم الله عليها، ولكن إن أكملت هذه النفوس الخضوع والطاعة. لأنهم (أي المؤمنون) بخضوعهم يكونون قد التزموا بهم مرشدين، وبطاعتهم يكونون قد التزموا باحترام وصيتهم وتنفيذها، فإن أكملوا ذلك يكونون قد أسلموا نفوسهم لله وللمرشد، ويكون المرشد قد أصبح مسئولاً أمام الله عنهم.

ولقد اختار بولس الرسول هذا التعبير المركّب المعبر عن خطورة معناه: «يسهرون لأجل نفوسكم»، ولم يقل «يسهرون لأجلكم»، لكي يوضّح مدى المسئولية الواقعة على المرشد وعلى المرشد بآن واحد. فهذا يسلم نفسه وذلك يستلمها ليسهر على حاجاتها وغذائها ودوائها وشفائها، وأخيراً على خلاصها، ويقف لئدان بدينونتها. فلو عرف ذلك المرشدون والتلاميذ والمُتلمذون، لما استهانوا بالرسالة التي يقوم المرشدون بتأديتها. ولو كانوا أتقنوا هذا المفهوم، لأجبروا مرشديهم أن يفهموه. ثم لو فهم المرشدون خطورة حمل مسئولية حياة وموت النفس البشرية، ما تجرأوا أن يحملوها وهم خالون من القدرة على حملها وليس لديهم ما يعطونه في أوانه وغير أوانه، لأن السهر هنا يكمله «لا يغفل ولا ينام» كالراعي مع خرافه، والذئاب بالمرصاد! لقد أبداع القديس بولس في هذا التعبير لأنه معك ومدعو حقاً لحمل الرسالة وتنقيح الروح القدس عليه بالمتابعة حتى والسيوف على الرقبة!

+ «ولكثني لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينةً عندي، حتى أتمم بفرح سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله ... أشهدكم اليوم هذا أنني بريء من دم الجميع لأنني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة الله.» (ع ٢٠: ٢٤ و٢٦ و٢٧)

هنا القديس بولس يُبرئ ذمته حتى ليوم الدينونة الرهيب من دم الذين رفضوا الطاعة لصوت

الله من فمه ولم يخضعوا للوصية التي طرحها بدموع أمامهم . سلوك ق . بولس هنا يوضح تماماً صدق القول : « كأنهم سوف يعطون حساباً » . وبولس الرسول أيضاً هو القائل كيف أن الوكيل سوف يُسأل عن وكالته : « هكذا فليحسبنا الإنسان كخادم المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً . » ( ١ كور : ٤ : ٢١ )

والتلميذ أو المُتلمذ ، أو الابن أو المُريد سيّان ، كلها أسماء ، والاسم الواحد السائد هو الإنسان طالب وجه الله والساعي لخلاص نفسه ، إن هو لم يخضع أولاً بكل إرادته ونيّته ويسلم فكره وقلبه فعلاً لقيادة الروح القدس بتدبير وإرشاد المرشد ، فعنباً يتلمذ ، وعنباً يطيع أو يتصنع الطاعة ، أو يدّعيها .

كذلك ، خلاصة الخضوع والطاعة هو أن يستلم بالفكر والقول والعمل طريق الحياة الأبدية بالسلوك الجسدي والروحي ، فينظر إلى دقائق التوجيهات والتوصيات ويتقبلها بفكره ويمارسها عملياً . ويؤمنها ثم يطلب المزيد . لأن الحياة الروحية تسليم وتسلم ، وخاصة في منهجنا الأرثوذكسي الذي يقوم على حفظ التقليد المسلم من الآباء في فهم الإنجيل وشرحه والعمل بوصاياه ، وكذلك العبادة بكل دقائقها ، وحتى طريقة التعبير والسلوك على المستوى الروحي والجسدي ، لأن الكل يصب في النفس التي هي موضوع البناء .

وليعلم من يُريد أن يعلم أن سماع الوعظ بالإنجيل فقط لا يبني النفوس ، بل العمل بالإنجيل وتسليم العمل بالإنجيل . أمّا الاكتفاء بسماع العظات دون مرشد يدبّر الحياة ليصرّح بهذا ويمنع هذا ويحذّر من هذا ، فهو بناء بلا أساس ، فبناء النفس يحتاج إلى ما يثبتها أولاً ثم ما ينمي إدراكها ويرفع قدراتها شيئاً فشيئاً .

لذلك نسمع في هذه الآية التي تقدّمها الرسالة إلى العبرانيين صميم المنهج الأرثوذكسي في العبادة ، بحثه على الخضوع والطاعة ، فهما أساس البناء للنفس ، والخضوع والطاعة يحتمان وجود من نخضع له ومن نطيعه . فالإنجيل يحتاج لمن يسلمه لا لمن يشرحه فقط أو يعظه به . الوعظ حسن والشرح حسن ، ولكن إن ظل في دائرة السماع فقط فلن يبني النفس . فلا بد من التطبيق ، والتطبيق يحتاج إلى تسليم ، وبدون التسليم لا يوجد للخضوع مكان أو معنى ولا يكون للطاعة فرصة لتزكية استعدادها .

ولماذا التسليم ولماذا الخضوع والطاعة ؟

ليس لأنها فروض حتمية ، ولكن لأن باتقانها واستعداد التلمذ لها ، يأتي الروح القدس

ويأخذ بيد النفس، وقليلًا قليلاً لا تعود النفس تحتاج لمن يسلم ولا للطاعة إلا طاعة الروح القدس، ولا الخضوع إلا لصوت الله في القلب. والذي يطلب المزيد، فعليه بقراءة كتب الآباء في هذا الأمر، فقد خصّصت للطاعة والخضوع مقالات ومقالات وكتباً ووصايا كثيرة.

ولكن واضح أن الرسالة إلى العبرانيين لم تُكتب لرهبان أو كهنة، بل لجماعة علمانية لها مرشدوها. ولكن يبدو أنهم فلتوا من تحت أيديهم، وآثروا التحرر عن الخضوع لهم والطاعة لوصاياهم. لذلك فالرسالة عنيت بأن تردّهم إلى رعاتهم وإلى أتباع الطريق الذي يضمن خلاصهم. كذلك نجد أن الرسالة تلمّح إلى إهمال المرشدين، وتذكّرهم أنهم سوف يُعطون حساباً يوم الدين عن النفوس التي وُكِّلوا عليها. كذلك يوثّق هذه الجماعة لأن مرشديهم يثنون من عنادهم وانحلالهم وعدم خضوعهم وطاعتهم، مع أنه كان يجب أن يكون لهم فرح في خدمتهم التي يخدمونها من أجل الرب. كما يحذّرهم التحذير الأخير، أن عقوبتهم في سلوكهم تحت قيادة مرشديهم سوف يرتد عليهم بالخسارة والندم: «يكون غير نافع لهم»، سواء روحياً أو جسدياً لأن أية جماعة يفارقها روح الخضوع والطاعة مألها إلى الانحلال والضلال ثم الزوال.

## ٣ - وصايا شخصية

[ ٢٥-١٨:١٣ ]

١٨:١٣ «صَلُّوا لِأَجْلِنَا لِأَنَّ نَتَّقُ أَنْ لَنَا ضَمِيرًا صَالِحًا رَاجِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَنًا فِي كُلِّ شَيْءٍ».

وحينما بلغ إلى المرشدين بمسئوليتهم وسهرهم على النفوس وإعطاء الحساب عنهم، تذكّر في الحال نفسه كمرشد جاهد الجهاد الحسن وأكمل السعي ولم يذخر جهداً في الإرشاد والتعليم.

ولكن نلاحظ في نبرات صوته الإحساس بالقلق والهَمّ، لأنه وإن كان له ضمير صالح للتصرّف بالصلاح، إلا أنه يبدو أن الجو المحيط لم يكن يساعده على هذا بل على التقيص. لذلك فإنه يُشهد على نفسه ضميره، ويستعيز عن التمتّي بطلب الصلاة من أجله. وحينما يطلب الراعي صلاة الرعيّة، فإن هذا معناه أن الخطر مُحْدَق بالرعيّة وليس بالراعي، وأن الهَمّ والقلق هما على الرعيّة وليس على نفسه، فهو يرغب بشدة أن يتصرّف حسناً ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن.

وفي هذا تبدو رقة الرسول ومشاعره الطيبة الوديدة، عارضاً نفسه نموذجاً لهم لعلّه يكتسب طاعتهم والسماع لكلمته، من خلال هذا التعاطف، وإثارة مشاعرهم.

ويلاحظ القارئ أنه يطلب الصلاة لنفسه، ولكن لا كأنه يعوّض بصلاتهم عن إهماله، بل هو يؤكّد لهم أن صلاتهم ستجد ولا بد في رحمة الله مكاناً من جهته لأنه أَرْضَى اللهُ بِأَعْمَالِهِ! لأنه آية صلاة هذه التي تعوّض المرشد عن إهماله وعدم سهره على رسالته وبالأكثر على نفسه (لنا ضمير صالح)؟

١٩:١٣ «ولكن اطلب أكثر أن تفعلوا هذا لكي أؤدّ إليكم بأكثر سرعة».

ثم عودة إلى العلاقة التي تربطه بهذه الجماعة. فالآية تفصح عن أن الرسالة بجملتها ليست من معلّم أو رسول غريب عنهم، بل هو معلمهم، أو على الأقل الذي يفتقدهم من حين لآخر، كما تفيد أنه تأخر عنهم أو حُجز رغم إرادته، ربما بسبب مرض أو سجن، ولكن على أي حال فهو الآن ليس في السجن، بل حرّاً يودّ زيارتهم ويرتّب الظروف المواتية.

كما يُستفاد من «أُرِدْ إِلَيْكُمْ»، أنه كان على وشك الانفصال النهائي عنهم ربما بسبب الموت أو المرض الشديد، وهو يودُّ لو يراهم بسرعة، وهذا يفيد سبب قلقه عليهم.

٢٠:١٣ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي».

والآن، وفي خضوع لله وطاعة محبته ندخل معاً الحضرة الإلهية، لنسمع هذه الصلاة، وهي أقدس ما في الرسالة وأصدق كلماتها، تحمل كل مشاعر القلب وترتجى الوجه الأقدس.

«إله السلام»:

ولماذا يبدأ بمخاطبة الله بحق السلام الذي له والذي هو على استعداد دائماً أن يعطيه وليس كما يعطي العالم؟

هنا نحس بالشركة الروحية الخفية التي تربط قلب هذا الرسول بهذه الجماعة القليلة المضطهدة الذليلة التي في قلبها واضطرابها وخوفها وحزنها معاً فقدت «السلام». والآن هو يطلبه هؤلاء المنزعجين بلا سبب، وله في إله السلام ثقة جعلته يتبنى اضطرابهم أمام الله ويتكلم عنهم بإيمان.

«الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم»:

هذه قوة القيامة التي هي قوة الكنيسة ونبضات قلبها التي تعطيها الحياة لحظة بلحظة، القيامة التي بها قمنا من بعد موت الخطية وصرنا أحياء بل أبناء بل ورثة. وكان هذا الرسول يترجى الله أبا ربنا يسوع المسيح أن يذكر لماذا أقام ابنه، أليس ليعطي الحياة لمثل هؤلاء المشرفين على الموت؟ وكأنه يستعطف الله بحق قيامة ابنه أن لا يدعهم يموتون مرة أخرى بعد أن عمدهم بيديه وباسمه. ثم أليس هؤلاء خرافه، وعلى من يتركهم يتأرجحون هكذا بين الموت والحياة، والذئب متربص بهم والموت على استعداد فاتح الفم ليلتهم، وهو الراعي الصالح وهذه خرافه؟

ولكن بعد أن انتصر المسيح على الموت والهاوية وظفر بسلاطين الموت على الصليب، هل يعود الآب يُفرض في الذين من أجلهم لاقى ابنه التعذيب والموت؟ الآن يستعطفه، بنصرة ابنه، أن تشملهم هذه النصرة فيفوت على العدو المتربص بهم هذه المحاولة التي كادت تبتلعهم، في غفلة من سحابة الشهود التي تتشقق! ولكنه الآن يتشقق براعي الخراف العظيم وبدمه.

«بدم العهد الأبدي»:

القيامة كانت بمثابة فتح سفر الحياة الجديدة للعهد الأبدي، والدم ختمها للتصديق والنفاد.

وهنا نتذكر زكريا النبي يخاطب بنت صهيون: «ابتهجي جداً يا ابنة صهيون ... هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور ... يتكلم بالسلام للأمم ... وأنت أيضاً فإني بدم عهدي قد أطلقت أسراك من الجب الذي ليس فيه ماء. ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء ...» (زك ٩: ١١ و٩)

«لأنك دُبِحتَ واشتريتنا لله بدمهك» (رؤ ٥: ٩). وهذا هو ثمن الفكاك من الجب ومن الأسر!!

وحيثما يقول: «أقام يسوع بدم العهد»، فهو يعني مباشرة الدم الذي سُفك على الصليب، وأن المسيح قام ودمه هذا على يديه، ليكون دم العهد الأبدى الجديد، فالعهد هو عهد الحياة الجديدة للإنسان بدم المسيح. فالذي يمثل العهد الجديد أعظم تمثيل هو الحروف القائم على العرش كأنه مذبح، والمعنى عميق وخصب فهو يعني ابن الله في وضعه الفصحي، أي مذبحاً جالساً على عرشه في السماء.

الله ظهر في الجسد مذبحاً، ليصير دمه هو العهد الجديد بين الله والإنسان. وبقيامته، أصبح العهد الجديد هو القيامة من الأموات. وبصعوده، أصبح العهد الجديد هو حياة جديدة للإنسان موطنها السماء. وبجلوسه عن يمين الآب، أصبح العهد الجديد هو مصالحة أبدية وحياة مع الله في المجد.

٢١: ١٣ «لِيُكْمَلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلًا فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَانَهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ آمِينَ».

«ليكملكم»: καταρτίσαι

الكلمة عظيمة المعاني وجيلة المقاصد وعميقة التعبير. فالأصل اليوناني فيها يمكن وضعه كالأتي kat-ártiζω حيث معروف معنى ἀρτίος وأصلها ἄρτιος التي تعني «الكامل والكمال من نوعه، والمناسب والمناسب تماماً» exactly fitted، كما جاء في القاموس اليوناني. أمّا καταρτίσαι فتعني أيضاً «يضبط أو يضعه في لياقته الأولى أو يعيد له الفكر السليم أو الكامل». وواضح أن الكلمة هي التي نعرفها بالإنجليزية art أي «الفن الجمالي» والكلمة تجيء في المعاني الآتية:

١ - التوفيق بين قوى فكرية وروحية معاً بانسجام تام مثل:

+ «لأجل تكميل katartismón القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.»

(أف ٤: ١٢)



- + « وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعد ما تألمتم يسيراً هو يكملكم  $\kappa\alpha\tau\alpha\rho\tau\iota\sigma\epsilon\iota$  ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم. » (١ بط ٥: ١٠)
- ٢ - كذلك تعبر عن تعويض ما هو ناقص مما هو كامل مثل:
- + « طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمل  $\kappa\alpha\tau\alpha\rho\tau\iota\sigma\alpha\iota$  نقائص إيمانكم. » (١ تس ٣: ١٠)
- + « أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأخذ في زلة فأصلحوا  $\kappa\alpha\tau\alpha\rho\tau\iota\zeta\epsilon\tau\epsilon$  أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة... » (غل ٦: ١)

وهكذا نجد أن هذه الكلمة في وضعها اليوناني تشمل هذا كله، فهو إنما يطلب هؤلاء العبرانيين عن فهم ووعي ما ينقصهم ليكملهم لهم المسيح، وما أخطأوا فيه ليصححهم بالنعمة، وما اختلف فيه فكرهم عن الصالح يرده إلى الكمال. وهي في الحقيقة طلبه مناسبة لهم أشد المناسبة.

« في كل عمل صالح: »

وهكذا إذا تكملت الشخصية بعمل المسيح ونعمته، فإنها تليق مباشرة لعمل الصلاح. وهو هنا يطلب كل ما هو صالح لهم ولائق باسم المسيح الذي يعيشون من أجله.

« لتصنعوا مشيئته: »

وهكذا حينما تصلح الشخصية وتليق للعمل الصالح، يصبح عملها بحسب مشيئة الله حتماً، ويصبح عمل الإنسان هو بعينه عمل الله. لأن ما يصنعه الله في الشخصية يجعلها تصنع مشيئته بالضرورة، لأنه بحسب ما علمناه من بولس الرسول يكون الله هو العامل فيهم أن يشاءوا ويعملوا (في ٢: ١٣).

« عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه: »

وهذه غاية الغاية التي يتمناها الإنسان من كل تجاربه وحياته، أن يصبح المسيح في النهاية هو العامل فينا. وهكذا نصل إلى منتهى راحة الضمير والنفس، واثقين بعد ذلك أن كل ما نعمله وكل ما يُعمل فينا إنما يؤول للخير، أو كما تقول الآية، لِمَا يُرضي الله.

ويلاحظ القارىء الانسجام البديع في هذا الدعاء الصادر من القلب، حسب واقع هؤلاء القوم، مع ما هم في حاجة إليه تماماً، مما يدل على أن كل كلمة هي منطوقة بالروح القدس.

« بيسوع المسيح الذي له المجد إلى أبد الأبدين آمين: »

هذا التمجيد فيما يخص التعبير «أبد الأبدين» وارد في سفر الرؤيا اثنتي عشرة مرة.

٢٢:١٣ «وأطلبُ إليكم أيها الإخوةُ أن تحتَمِلُوا كلمةَ الوعظِ لأنِّي بكلماتٍ قليلةٍ كتبتُ إليكم».

هذه مراجعة للرسالة ككل، في نظر الكاتب، كتبها بعد أن أنهى رسالته وبعد ما راجع ما كتبه، خاصة عندما أحس أنه لم يستطع أن يسترسل معهم في الكلام أكثر من ذلك.

«تحتملون كلمة الوعظ»:

يرى كاتب الرسالة دائماً أنه من شعور المرسل إليهم حينما يكون الكلام لإصلاح السيرة، وخاصة ما ورد فيها من مراجعات عنيفة وإنذار وتهديد وتخويف. فهو الآن يستسمح مشاعرهم أن يقبلوا الكلام باعتباره مخاطبة للروح، كوعظ يأتيهم من فوق، وليس له فيه إلا التوصيل. فإذا احتملوه استطاعوا أن ينتفعوا منه. لأن الشيطان قد يجربهم أيضاً في هذه الرسالة ليستثقلوا كلماتها، فيخسروا أنفسهم ويخسروا الفرصة التي واثاها الله لهم ليسمعوا ما يتفهم ويردّم إلى الكمال المسيحي الذي يرضيه أمامه.

٢٣:١٣ «اعلمُوا أنه قد أُطلقَ الأخُ تيموثاوسُ الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً».

يُثَمِّم معرفة بصيغة الأمر أن الأخ تيموثاوس قد أطلق سراحه من حبسٍ جازه بسبب اتهام وُضِعَ عليه. وهذا الخبر في إجماله غير معروف لدينا، ولكن يبدو أن هذه الجماعة كانت تعرف تيموثاوس بسبب زيارات سابقة. ومن هنا ربما كان حبسه سبباً في تعوُّق ق. بولس من زيارتهم التي كان قد وعد بها، ولكن بانعتاقه وحضوره تكون المناسبة قد تهيأت للزيارة.

٢٤:١٣ «سَلِّمُوا على جميع مُرَشِدِيكُمْ وجميع القَدَّيسِينَ. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ الَّذِينَ من إيطاليا».

خاتمة الرسالة، والتي تكون قد أغنت عن الديباجة المعروفة في كل رسالة والتي سقطت من هذه الرسالة دون سبب معروف لدينا. ولكن شكل هذه الخاتمة ولو أنه يقارب أشكال الرسائل الأخرى ولكنه فريد من نوعه في تكرار كلمة جميع πάντας. ولكن كون الرسالة مرسله للشعب فهذا معناه أنها غير رسمية، لأن كل الرسائل الأخرى موجهة للرؤساء ثم لباقي الشعب. ولكن يبدو أن هذه ليست كنيسة، ويكون هذا هو السبب في غياب المخاطبة الأولى المعتاد توجيهها للرؤساء.

«يسلم عليكم الذين من إيطاليا»:

وهذا يحتمل أن تكون الرسالة مُرسلة من إيطاليا وهؤلاء هم الأحباء الذين كانوا حاضرين

تدوين الرسالة، وأرادوا إذكاء سلامهم الخاص، أو أن الرسالة مكتوبة من مكان آخر وهؤلاء كانوا حاضرين كزائرين لهذه المدينة أو الكنيسة.

٢٥:١٣ «النعمة مع جميعكم. آمين».

الخاتمة المعتادة للقديس بولس كما جاءت في رسالته إلى تيطس (١٥:٣). والمعروف أن النعمة هي نعمة ربنا يسوع المسيح والسائد في الرسائل أن يذكر «نعمة ربنا يسوع المسيح». بل إنه في بعض الرسائل الأخرى تُقرن معها المحبة وشركة الروح القدس (٢ كو ١٣:١٤). كل هذا وغيره يبرِّح لدينا أن الرسالة بدائية وتاريخها مبكّر.

### كلمة ختام

لقد انتفعنا جداً أثناء شرحنا لهذه الرسالة فهي موجهة بالروح القدس إلى جيلنا هذا الذي نعيشه. فكل عناصرها مشتركة مع كل ما نعانيه هذه الأيام. لهذا نطلب من الله أن ينتفع بها كل من يقرأها متوسلين لدى الروح القدس أن يعمل في قلوبنا جميعاً لتكون على استعداد لمواجهة الأيام الأخيرة ولا نخجل منه في مجيئه.

والآن يتوجب عليّ أن أعتز بفضل الله الذي أعانني بنعمته، فإن كان هناك خطأ فهو فيّ ومحسوب عليّ، أما كل ما هو حق وصالح فهو منه، وله الشكر والتسبيح والسجود والمجد الدائم.

تم إنجازها في يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٩١ م.

تذكار تعجيد رئيس الملائكة ميخائيل.

# فهارس الكتاب

- فهرس الآيات الواردة بالكتاب.
- فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة والمؤلفين الكنسيين.
- فهرس موضوعي للكتاب.



٤٥٢	١٠:	٨
٧٥٥	٣:	٩
٤٥٢	٨:	١٠
٣٥٠	١٤:	
٤٥٣	١٧:	
٣٠٧	١٠:	١٢
٦١٥	١٠-	٦: ١٣
٦١١	٩-	٦:
٦١٤	٧-	٢: ١٧
٨٨	١٩-	١: ١٨
٤٧٠	١٥:	
٩٥	١٨:	١٨
١٠٥	١٩-	١٨:
٢٨٤		
٩٠	٢٢-	٢٠:
٥٢٤	١٥:	١٩
٣٠١	٤:	٢٩
٣٠٠	٥:	
٧٢٧	١٨:	
٤٥٥	٤:	٣٠
٣٤١	١٩:	
٦٢٠		
٧١٩		
٧١٧	٦:	٣١
٧٤٨	٢٧:	
١٦٢	٣:	٣٢
٧٤٨	٦-	٥:
٧٤٨	٣٠-	٢٨:
١٨٠	٤٣:	
١٨٣		
١٧١		
٨٥	١:	٣٣
٧٣٢	٢:	
٥٢١	٢٦:	
٨٥	١٥:	٣٤
٦٧٨		

تسا لونيكي الاولى  
(رسالة)

٦٢٥	٦:	١
٥٤٣	١٠-	٩:
٥٩٠	٩:	
٥٥٤	١٠:	
٤٨٢	١٠:	٢
٧١١	٤-	٣
٧٩٤	١٥:	
٥٥٤	١٢:	
٧٦٥	٦-	٣: ٤
٥٥٤	١٤:	
٥٥٤	١٧-	١٦:
٥٨٠	١٨-	١٦:
٥٥٧	١٨:	
٢٢٢	٣:	٥
٦٣٢	٩:	
٧١٠	١٧:	
٤١٢	١٩:	
٦٠٢	٢٤:	

تسا لونيكي الثانية  
(رسالة)

٢٦٩	٥-	٤: ١
٧١٢		
٦١٩	١٠-	٨:
٥٥٤	٨-	١: ٢
٦٠٥	١:	
٥٢	٣:	

٥٣٦	٩:	٢
٧٤٠		
٧٨٥		
٥٣٦	١٠:	
٦٤٦	١١:	
٧٢٠	١٩:	
٣٨٥	٢١-	٢٠:
٦٩٤	٢٠:	
٦٣٠	٢١-	٢٠:
٧١	٢١:	
٢٦٨	٢٢:	
٣٥٢	٨:	٣
٧٢٠	١٤:	
٤٠٧	١٨:	
٧٤٦	١٩-	١٨:
٩٦	٢١-	١٩:
٦٤٢	٢١:	
٢٠٢	٢٢:	
١٦١		
١٦٣		
٧٤٦	٦-	٥: ٤
٧٨٢	١١:	
٧٢٠	١٤:	
٦٩٤		
٦٠٨	٢:	٥
٥٧٩	٩-	٨:
٧٩٤	١٥:	

بطرس الثانية  
(رسالة)

١٨٨	١:	١
٢٣٦	٤:	
٢١٥		
٥٣٦		
٦٦٤	٥:	
٦١١	٨-	٥:
١٥٩	٩:	
٣٣٨	١١:	
٥٩٠		
٢٢٧	١٧-	١٦:
٢١٥	١٩:	
٧٧		
٧٦	٢١-	٢٠:
٢٠٧	٤:	٢
٦٤٢	٥:	
١٩	٩-	٦:
٦٢٦	٩:	
٦١٢	٢١:	
٢٠	١٠-	٣: ٣
١٣٢	٣:	
٥٥٤	١٠-	٩:
٧٥١	١٠:	
١٩٦	١٣-	١١:
٢٠	١٥-	١١:
٥٥٥	١٥-	١٢:

ثنية (سفر)

١٥٦	٣١:	١
٧٥٥	١٢:	٤
٧٥٦	٢٤:	
٧٥٥		
١٣١	٣١-	٣٠:
٥٢١	٨:	٥
٦٢٠	٢٥:	
٧٤٧	٢٩-	٢٨:
٣١٢	٩-	٦: ٦

٦٣٠	١٠:	٥٢
٧١٨		
٧٠٦		
٩٤	١٠:	٥٤
٦٨٥	٣:	٥٥
٤٥٤	٧:	
١٠١	١١-	١٠:
١٣٨	١٣:	٥٧
٨٩	١:	٥٨
٥٤٥	٢:	٥٩
٥٢٣		
٥٧٢		
١٤٧	٢-	١: ٦٠
٤٦٩	١:	
١٣٨	٢١:	
١٨٩	٣-	١: ٦١
٩٤	٨:	
٤٦٩	١١:	
٢٨٣	٣:	٦٣
٢٠٨	٩:	
١٥٦		
٧٤١		
٧٠٥		
٥٢٣	١:	٦٤
٥٦٤		
٢٧٢	٢:	٦٥
١٩٦	١٩-	١٥:
٧٥١	١٩-	١٧:
٥٦٥	٣-	١: ٦٦
١٩٥	٢٢:	

بطرس الاولى  
(رسالة)

١٧٦	٣:	١
١٣٩	٦-	٣:
١٤٩	٣:	
٦٠١	٤-	٣:
٤٨٢	٤:	
٦٢٦	٧-	٦:
٧٢٠	٨-	٦:
٧١٢	٧-	٦:
٢٣٧	٧:	
٩٥	١١-	١٠:
٩٣		
١٢١	١٢:	
٢٣٨		
٣٠٨	١٣:	
٢٥٧		
٢٩٤		
٧٢٠	١٦-	١٥:
٧١	١٩-	١٨:
١٣٢	٢٠:	
٦٠١	٢١:	
٧٦١	٢٢:	
١٩٨	٢٥:	
٣٣٩		
٤١١	٣:	٢
٧١	٥:	
٥٢٦		
٣٥٦		
٤٧٣		
٧٨٤		
٧٨٢		
١٩٠	٩:	
٤٧٣		
٣٥٦		

٧٧٧	٤:	٤
٤٢٠	٢:	٥
٤٢٠	٧-	٥:
٨١	٥:	٦
١٢٨		
٧٤٨	١٠-	٩:
٩٨	٩:	٧
٩٨	١:	٨
٢٥٣	١٧:	
٢٠٤	٧-	٦: ٩
١٠٤	٦:	
١٨٩	٥-	١: ١١
٢٢١	٤-	٣:
٥٠٢	١٦:	
٢٥٣	٣:	١٢
١٠١	٢٦:	١٤
٩٧	٦-	١: ٢٠
٩٦	٢٢:	٢٢
٦١٣	١١:	٢٦
٦٢٠		
٦٢١	٢٠:	
٤٥٥	١٣:	٢٧
٢٩٠	١٠-	٨: ٣٠
٨٢	١١-	٩:
٣٩١	١٠:	
٢٥٠	٤:	٣٤
٢٠٦	١٠:	٣٥
١٧٧	٥:	٤٠
١٩٨	٨-	٦:
٥٧	٣:	٤١
٢٥٠	٤:	
٦٥٥	٦:	
٢٦٢	٩-	٨:
٩٣	٦:	٤٢
٩٣		
٢٠١	١٠:	٤٣
٧٨٥	٢١:	
١٠٢	٢٦-	٢٤: ٤٤
١٢٧	١٥:	٤٥
٥٢٣		
٧٠٥	٢٢:	٤٥
٢٢٠	٢٢:	
١٥٦	٤-	٣: ٤٦
١٤٨	١٣:	
٢٠١	١٣-	١٢: ٤٨
٥٦٧	٧:	٤٩
٩٣	٨:	
٦٢٠	١٥:	
٥٠٧	١:	٥٠
٢٠٥	٥-	٤:
٧٠٩	٦-	٥:
١٩٩	٩:	
١٩٨	٦:	٥١
١٩٧		
٢٤١	١١:	
١٩٧	١٦:	
٢٣٦	١:	٥٢
٥٦٧	٢:	٥٣
٢٦٨	٣:	
١٥٦	٤:	
٢٧٧	٦-	٥:
٧١٨		
٧٠٥		
٢٥٤	١٠:	
٢٤٦		
٢٨١		

٦٧٥ ٢١: ١٤  
٦٧٥ ٢١:  
٦٧٨ ٢١- ١: ١٥  
٢٦٨ ٢٣: ١٦  
٢٩٨ ٨- ٢: ١٧  
٦٨٦ ٤: ١٨  
١٥٦ ٤: ١٩  
٧٣٥  
٥٠٨ ٥:  
٧٥٠ ١٨:  
٥٢١ ٤: ٢٠  
١٢٢ ٥:  
٢١٨ ٥:  
٢٢١ ٧: ٢٢  
٢٠٨ ٢٠: ٢٣  
١٦٦ ٢٢- ٢٠:  
٤٥٢ ٢٥:  
٥٩٨ ٨: ٢٤  
٧٥٥ ١٧:  
٤٩ ٩- ٨: ٢٥  
٥٢٠ ٢٢- ١٦:  
٥٢١ ٢٢:  
٥١٩ ٢٠- ٢٣:  
٥١٨ ٤٠- ٢١:  
٥١٩ ٢٣- ٢١: ٢٦  
٥٢٢ ٢٠: ٢٧  
٢٦٨ ١: ٢٨  
٢٦١  
٥٤ ١٤: ٢٩  
٥٢٢ ٧: ٣٠  
٢٠٠ ٢٤:  
٦٧٩ ١١- ٩: ٢٢  
٢٩٨ ٢٤- ٢١:  
٧٤٤ ٢٣- ٢٢:  
٢٢١ ٢٣:  
١٢١  
٧٣٠  
٦٧٢ ١١: ٢٣  
١٠٥ ١٧- ١٣:  
٨٣ ١٧- ١٤:  
١٢٨ ٢٠- ١٨:  
١٤٧ ٢٣- ١٨:  
٥٤٨ ١٨:  
٥١٩ ٢٦- ٢٥: ٢٦  
٥١٩ ١٦- ١٠: ٢٧  
٥١٨ ٢٤- ١٧:  
٢٨٧ ١٦: ٤٠

دانيال (سفر)  
٦٨٥ ٢٣: ٣  
٦٨٥ ٥٠- ٤٩:  
٦٨٦ ٩٥- ٩١:  
١٦٠ ١٠: ٧  
١٨٦  
٧٤٢  
٢٠٤ ١٤- ١٣:  
٩٦ ١٤:  
٢٠٨ ١٢- ١١: ١٠  
١٣١ ١٤:  
٧٤٥ ١: ١٢

رؤيا (سفر)  
١٩٠ ٦- ٥:  
٥٣٦  
٥٩١  
٢٢٢ ٦:

٦٠٥ ١٠: ٤  
حقوق (سفر)  
٦٣١ ٣- ٢: ٢  
٦٣٢ ٤- ٣:  
١٠٤ ١: ٣  
حجي (نبوة)  
٨٤ ١٣- ١٢: ١  
٧٥٠ ٧- ٥: ٢  
حزقيال (سفر)  
١١٦ ١:  
١١٨ ٢٨- ٢٦:  
٢١٨ ٤- ٣: ٢  
٩٧ ٨- ١: ٤  
٩٧ ١٧- ٩:  
٩٨ ٤- ١: ٥  
٩٨ ٧- ١: ٦  
٩٨ ١٢: ١٢  
١٠٤ ٢٥:  
١٠٢ ٢٨- ٢٦:  
١٢٥ ٢٠- ١٢: ١٤  
٥٠٠ ٦- ٦٥: ١٦  
٩٤ ٢٦: ٢٧  
١٥٢ ١١: ٤٣  
حكمة (سفر)  
٢٥٧ ١٣: ١  
٢٥٧ ٢٣: ٢  
٢٥٧ ٢٤:  
٢٥٧ ١: ٣  
٦٢٩ ١٥- ١٠: ٤  
٦٥٥ ٥: ١٠  
٦٦٢ ١٤- ١٣:  
٦٦٥ ١٦:  
١٤٠ ٩: ١٣  
٦٧٤ ١٦- ١٥: ١٨  
خروج (سفر)  
٦٦٧ ٢٢: ١  
٦٧٠ ١١: ٢  
٦٧١ ١٥- ١٤:  
٦٧١ ٢٢- ٢١:  
٦٤٦ ٢٢:  
٦٧٢ ٢٣:  
١٨٥ ٢- ١: ٣  
٦٧٢ ١:  
٧٦٣ ٧:  
٢٨١ ١٠:  
١٤٢ ١٤:  
٤٥٢ ١٥:  
١٧٤ ٢٣- ٢٢: ٤  
٧٤٤ ٢٢:  
٢٠٠ ١٥: ٨  
٢٠٠ ١٢: ٩  
٦٧٢ ٢٢: ١٢  
٦٧٤ ٢٣:  
٢١٩ ٢٧:  
٤٧ ٤٦: ١٢  
٦٧٢ ٤٨:  
٧٣٠ ٢- ١: ١٣  
٦٦٤ ١٩- ١٨:  
٦٧٥ ١٤- ١٣: ١٤  
٢٠٨ ١٤:  
٧١١

٤٥٢ ٧: ٤٧  
٦٥٢ ٩:  
٦٦١ ٢١- ٢٩:  
٦٦٢ ٥- ٣: ٤٨  
٤٥١ ١٤:  
٦٦٠ ١٦- ١٥:  
٢٠٨ ١٦:  
٧٤١  
٦٦٠ ١٩:  
١٣١ ١: ٤٩  
٤٥٢ ٢٨:  
٤٥١  
تيطس (رسالة)  
٢٤٢ ١: ١  
٦١١ ١:  
٤٨٢ ٨:  
٧٢٧ ١٥:  
٦١٩ ١٦:  
١٨٨ ١٣: ٢  
١٤٨  
٥٥٤  
٥٩٩ ٦- ٥: ٣  
٧٩٦ ١٥: ٣  
تيموثاوس الاولى (رسالة)  
١٤٨ ١١- ١٠:  
٤١٩ ١٣:  
٦١٨  
١٤١ ١٧:  
٦١٢ ٤- ٣: ٢  
٤١٤ ٤:  
٥٧٥  
١٢٤ ٥:  
١٢٦  
٥٤٤  
٦٠٤ ١٠:  
٧٦٣ ٢: ٣  
٢٨٧ ١٥:  
١١٧ ١٦:  
١٨٠  
١٨٢  
١٩٥  
٢٣٥  
٦١١ ٣: ٤  
٦٠٤ ١٠: ٥  
٧٦٣  
٦١٤ ١٢:  
٧٦٨ ٦: ٦  
٧١٧ ١٠- ٨:  
٢٨٢ ١٣- ١٢:  
٧٥٤ ١٢:  
١٤٦ ١٦:  
تيموثاوس الثانية (رسالة)  
٢٥٨ ١٠- ٨:  
٢٥٠ ٩:  
٤١٤ ١٩: ٢  
١٣٢ ١: ٣  
٧٠٣ ١٢- ١٠:  
٧٠٢ ٨- ٦: ٤  
٦٢٢ ٨- ٧:  
٥٥٤ ٨:  
٧١٧

٥٨٠ ٣: ٢  
تكوين (سفر)  
١٩٢ ١:  
١٠٣ ٣:  
٤٥٢ ٢٢:  
٥١٢ ٢٦:  
١٣٧ ٢٧:  
٤٥٢ ٢٨:  
٥٤٩ ٢١:  
٥٦٩  
٧٤٢ ٤- ١: ٢  
٢٢٢ ٢:  
٤٥٢ ٣:  
٢١٩ ٥: ٣  
٢١٢ ٦:  
٢٠٦ ١٦:  
٢٠٦ ١٨:  
٢٠٦ ١٩:  
٧٤٧ ١٠: ٤  
٦٦٨  
٦٤٢ ٩: ٦  
٦٤٢ ١٨:  
٦٤٢ ١: ٧  
٦٤٢ ٥:  
٥٤٩ ١: ٨  
٤٥٢ ١: ٩  
٤٥٠ ٢٦:  
٤٥٢ ٢: ١٢  
٤٤٥ ١٨: ١٤  
٤٥٢  
٤٦٥ ١٩:  
٤٤٩ ٢٢:  
٦٤٧ ١: ١٥  
٢٧٧ ٢:  
٦٥٥ ٥:  
١٢٧ ٧:  
٦٦٢ ١٣:  
١٣٥ ٥: ١٧  
٤٥٢ ١٦:  
٦٥٦ ١٩:  
٧١٢ ٥- ١: ١٨  
٤١٦ ١٤:  
٧١٢ ٣- ١: ١٩  
٤٦٩ ٢٥:  
٦٤٨ ٦: ٢١  
٦٥٦ ١: ٢٢  
٦٥٦ ٢:  
٦٥٨ ٥:  
٦٥٤ ٨- ٧:  
٦٥٢ ٩:  
٢٢٠ ١٦:  
٦٥٢ ٤: ٢٣  
٦٤٩  
٤٥١ ٦:  
٤٥٢ ١١: ٢٥  
٧٢٨ ٢٧:  
٧٢٨ ٢٥- ٢٤: ٢٦  
٤٥٢ ٤: ٢٧  
١٠١ ٢٧- ٢٥:  
٦٥٩ ٢٣- ٢٢:  
٤٥١ ٢٣:  
٧٢٩  
٧٢٩ ٢- ١: ٢٨  
٦٥٢ ٤- ١:  
٧٦٧ ١٥:

٧٨٧ ٣٣- ٣٠: ٧  
 ٦٤٣ ٣١- ١٩: ٤٤  
 ٦٥٦ ٣٠:  
 ٦٥٥  
 ٤٥٢ ١٥: ٤٥  
 ٦٨٤ ٣٠- ١٣: ٤٦  
 ٥٢١ ٨: ٤٩

صموئيل الاول  
 (سفر)

٤٥١ ٣٠: ٢  
 ٦٥٣ ٣٠:  
 ٧٥٧  
 ٥٢١ ٤: ٤  
 ٨٢ ٩: ٩  
 ٨٥ ١٤- ١٠:  
 ٤٥٣ ١٣:  
 ٨١ ١٦- ١٥:  
 ٦٨٤ ٥- ١: ١٢  
 ٦٨٣ ٦: ١٤  
 ٥٦٥ ٢٢: ١٥  
 ٤١٢ ١٤: ١٦  
 ٦٨٦ ١٢- ١١: ١٩  
 ٣٣٤ ١٤- ١١: ٢٨

صموئيل الثاني  
 (سفر)

٦٨٣ ١٧: ٥  
 ٤٥١ ١٨: ٦  
 ١٧٨ ١٤- ١٣: ٧  
 ١٧١  
 ١٨٤ ١٣:  
 ٦٨٣ ٢: ٨  
 ٦٨٤ ١٥: ١٠  
 ٦٨٣ ١٢: ١٠  
 ٦٨٥ ٥- ١: ٢٣  
 ٨٢ ١٢- ١١: ٢٤  
 ٦٣٠ ١٤:

طوبيا (سفر)

٧٦٢ ١٧: ٣

عاموس (نبوة)

٨١ ٨- ٧: ٣  
 ١٣٣ ٧:  
 ٥٦٥ ٢٤- ٢١: ٥  
 ٦٧٩ ٢٧- ٢٥: ٥  
 ٨٢ ١٣- ١٢: ٧  
 ٨١ ١٥- ١٤:

عبرانيين (رسالة)

٤٤ ٢- ١:  
 ٤٧  
 ٦٩ ١:  
 ٦٩ ٣:  
 ١١٩ ٣- ٢:  
 ٧٠ ٢:  
 ٢٩١  
 ٥٢٧  
 ٢٠٣ ٣:  
 ٧٠  
 ١١٨  
 ٤٩٠  
 ٧٥٤  
 ٥٦ ٨- ٤:  
 ١٣٧ ٤:

٤٩٧ ١٠: ٨  
 ١٧٩ ١٤:  
 ٢٥١ ١٥:  
 ١٣٩ ١٧- ١٦:  
 ١٧٩ ١٦:  
 ٢٥١  
 ٥٤٧ ١٧- ١٦:  
 ١٦٨ ١٧:  
 ٣٨٤  
 ٢٦٩  
 ٧٢٠  
 ٧٠٨  
 ٦٩٤  
 ٢٦٩ ١٨:  
 ١٣٣ ٢٤:  
 ٤٣٤  
 ٢٩٣ ٢٥- ٢٤:  
 ١٧٣ ٢٩:  
 ٢٥٠  
 ٤٤٠  
 ٥٣٩  
 ٥٧٤  
 ٧١٥  
 ٦٥٤  
 ٢٠٣ ٣٤:  
 ٢٢١  
 ٤٧٨  
 ٢٤٣ ٣٦:  
 ٣٥ ٤:  
 ٥٢١ ٤:  
 ١٨٨ ٥:  
 ٤٩٧ ٣١:  
 ٩٥ ٤:  
 ٢٨٩ ٤:  
 ٤١٣ ٨:  
 ٣٣٢ ٢١:  
 ٣٢٦  
 ٥٠٧  
 ٧٣٣

١٥٧ ٣٦:  
 ٢٣٠ ٩: ١١  
 ٥٨١ ٢٤- ١٧:  
 ٥٨١ ٢٦- ٢٥:  
 ٤٤٧ ٢٩:  
 ٢٤٦ ٣٣- ٣٢:  
 ٣٤٦ ١: ١٢  
 ٥٧٠  
 ٧٢٥  
 ٥٧٧  
 ٧٧٥  
 ٣٤٢ ٢:  
 ٣٣٠  
 ٦٠٣ ٥- ٤:  
 ٦١٩ ١٩:  
 ٧٧٤ ١٧: ١٤  
 ٥٨٣ ١٦: ١٥  
 ٧٧٦

زكريا (نبوة)

٦٩١ ١: ١  
 ٨٤ ٦- ٤:  
 ٢٠٥ ١٣- ١٢: ٦  
 ٨٠ ١٣- ١١: ٧  
 ٧٩٣ ١١- ٩: ٩

سيراخ (يشوع بن)

٧٣٧ ٢٦- ١٠: ٢١  
 ٦٤٧ ١١- ١٠:  
 ٢٣٧ ١٤:  
 ٥٣٥ ٢٢:  
 ١٤٨ ٢٣:  
 ٣٣٦  
 ٥٤٣ ٣: ٢٢  
 ٤٧ ١٣:  
 ٦٣١ ٢٠:  
 ٥٥٥  
 ٥٧٨

رومية (رسالة)

٢٤٣ ١:  
 ١٧٥ ٤:  
 ١٦٨  
 ٣٦٩  
 ٣٨٦  
 ٣٧٨  
 ٧٨٣ ٨:  
 ٣٢٩ ١٦:  
 ٣٠٠ ٢٨:  
 ٦١٢  
 ٧٤٨  
 ٦١٨ ٣٠:  
 ٤٢٧ ٤:  
 ٢٣٦ ٨- ٦:  
 ٦٣٠ ٧:  
 ٢٣٦ ١٠:  
 ٢٢١ ١٦:  
 ٢٧٨ ٢٩:  
 ٣٣٢ ٤- ٣: ٣  
 ٧٣ ٢٠:  
 ٢٣٧ ٢٣:  
 ٥٣٩ ٢٥- ٢٤:  
 ٧٢ ٢٥:  
 ٤٩٧ ٢٧:  
 ١٣٦ ١٣: ٤  
 ١٣٥ ١٧:  
 ٤٩٢  
 ٦٥٧ ٢٤- ١٧:  
 ٣٧١ ٢٤- ٢٢:  
 ١٢٠ ١:  
 ٢٩٣ ٢- ١:  
 ٢٩٢ ٢:  
 ٧٨٣ ٣:  
 ٤٣٠ ٥- ٤:  
 ٤٠٢ ٦:  
 ٥٤٧ ١٠:  
 ٢١٨ ١٤:  
 ٤١١ ١٥:  
 ٢١٨ ١٩:  
 ٧٣  
 ١٤٨ ٤:  
 ٣٦٩ ٤:  
 ٤٠٣ ٥- ٤:  
 ٣٠٩ ٦:  
 ١٧٥ ٩:  
 ٢٢١ ١٢: ٧  
 ٣١٣ ٢٣- ١٩:  
 ٥١٣ ١: ٨  
 ٣٤٦  
 ٤٩٧ ٣:  
 ٢٤٩  
 ٢٥٦  
 ٥٩٩ ٩- ٤:

٤٧٣ ٦: ١  
 ٣٥٥  
 ٥٥٥ ٨- ٧:  
 ٥٤٩ ١٣:  
 ٤٢٥ ٥- ٣: ٢  
 ٣٠٤ ٧:  
 ٧١٠ ١٠:  
 ٤٣٤ ٢- ١: ٣  
 ٧٨١ ٣- ١:  
 ٧٣٧ ١٢- ٧:  
 ٥٩٢ ٨:  
 ٦٢٦ ١٠:  
 ٢٩٧ ١٧- ١٥:  
 ٣٩٥ ١٨- ١٦:  
 ٣٤٦ ١٨- ١٧:  
 ٤٢٥ ١٨:  
 ٣٤٠ ٣٠:  
 ٤٩٠ ٢١:  
 ٧٠٧  
 ٢٨٨ ١١: ٤  
 ٤٩١ ٦: ٥  
 ٣٧٥  
 ٤٧٢ ١٠- ٨:  
 ١٩٠ ١٠- ٩:  
 ٧٩٣ ٩:  
 ٥٧٧  
 ٧٨٦  
 ٢٣٢ ١٠:  
 ٤٤٥  
 ٧٤٠  
 ٢٣٧ ١٢- ١١:  
 ٥٩١ ١٥- ١٤: ٧  
 ٧٥٥ ١٥:  
 ٧٥٥ ١: ١٠  
 ٥٠١ ٦- ٥:  
 ١٣٥ ١٥: ١١  
 ٣٣٩ ١١: ١٢  
 ٢٩٣ ١٢- ١١:  
 ٢٥٨ ١١:  
 ٥٩١  
 ٧٤٤ ٨: ١٣  
 ٧٤٤  
 ٧٤٥ ٤: ١٤  
 ٤٩١ ٥:  
 ٣٣٥ ١٣:  
 ٢٨٦ ٣: ١٥  
 ٤٩١ ٥:  
 ٥٣٥  
 ٤٣٣ ٢: ١٨  
 ٩٦ ١: ١٩  
 ١٨٣ ١٠:  
 ٧٧  
 ٢٣٢ ١٦:  
 ٤٩٠  
 ٢٣٢ ٦- ٤: ٢٠  
 ٤٧٢ ٦- ٤:  
 ٧٥٦ ١٠- ٩:  
 ١٩٧ ١١: ٢٠  
 ٧٥١  
 ١٩٥ ١: ٢١  
 ٧٥١  
 ٥٣٥ ٣- ٢:  
 ٣٣٦ ٤- ٢:  
 ٥٣٧ ٥- ٣:  
 ٥٣٦ ٤:  
 ٥٠٠ ٥:



£A7	17:	Y	32	1:	0	229	7-	2:	2	122	0:	1
222	17:		71	£-	1:	00	7-	2:	2	202		
12	19-	1A:	271		2:	07		2:	2	122	7:	
11£		1A:	71	1+-	0:	170		0:		20		
177		19:	£A7		0:	20£				20£		
£27			272			22		7:		021	2:	
207			2A2		7:	2£				122	1A:	
0A2			22	9-	1A:	£22				171		
701			£A7		1A:	027				2£		
12	20-	21:	02		9:	201				£27		
00		21:	2£A			222				122	9:	
£A7	22-	21:	02A			2AA				20£		
220		21:	29	11-	10:	027				07	12-	10:
£7		22:	2A2		10:	220				122	12-	10:
172			22	12-	11:	700				122	12:	
00	2£-	22:	02			701				222		
£A7	20-	22:	27			0A	19-	2:		122	1£:	
02	27-	2£:	29		12:	121	9-	2:		1A2		
77	20-	2£:	292	2-	1:	22	1£-	12:		1A7		
19A			222		2:	21		12:		2£2		
27£		20:	21	7-	£:	200				20£		
200			22A			222	12-	12:		22	2-	1:
0A2			210		£:	20£		12:		21		1:
12	2A-	27:	222	7-	£:	222				07	2-	1:
172		27:	229		£:	102		1£:		177		2:
£2£			027			700				112		
277	2A-	27:	112	7-	£:	22£		10:		222		
£A7		27:	22		7:	22		1:	£	£1		2:
2A2			117			02				2£9		
20£		22:	220	A-	2:	21				22A		
£A7		22:	29		9:	22				172		0:
£07			22	10-	9:	22				222		
00		2A:	177		9:	0A	2-	2:		027		
202			27		10:	£0	11-	9:		229		
00			701	11-	10:	222		9:		122	2-	7:
££0			12£		10:	02A				20		9:
12		1:	20£			0A		10:		07	10-	9:
170			2A	12-	11:	222				222	12-	9:
02	2-	1:	29		11:	02A				£A0		10:
7£			292			121		11:		202		
202		1:	122		12:	02				020		
£2£	2-	1:	220	1£-	12:	22				122		12:
202		1:	220	12-	12:	22				20£		
012	2-	1:	£22		12:	202				2£0		12:
02£		2:	£22		12:	122		1£:		07		1£:
£27			£09		1A:	22	17-	1£:		2£A	10-	1£:
£A7			£2A			07		1£:		£7A		1£:
20£			292	20-	1A:	2A2	10-	1£:		2£2		
£1	0-	£:	701		1A:	20£		1£:		10A		12:
£27		£:	210		12:	020	17-	1£:		202	1A-	12:
£2	7-	0:	££1		20:	700		1£:		£22		12:
172		7:	221			202		10:		2A£	1A-	12:
00£			2A2			2A2				2£A		12:
20£			022			271				2A2		
121		1A:	122	2-	1:	270	17-	10:		£A7		
222	9-	1A:	70			£2A	17-	10:		20£		
01£		1A:	£££			279		10:		202		1A:
120		9:	£22		2:	£A7				07		
271			20		2:	£A0				107		
222			££2			212				29		1:
£2A			02	2-	7:	270				22		
£2A	10:		177		2:	27£				21		
0££			71	12-	11:	02		12:		£22		
07£			27A		11:	022				299		
199		12:	210		12:	20£				700		
202			2A2	21-	10:	202		12:		20£	2-	1:

٢١	٠-	٢:	١٢	٢٧	٢٩:	١٠	٢٤٨	٠:	١٠	٠٩٤	١٣:	٨
٢٤٦		٢:		٦١٤			٦٣	١٠-	٧:	٤٠٦	٧:	٩
٦٧٠				٦٧٣			٦٣		٨:	٠٠	٩:	
٧١٨				٢١٨	٢١:		٦٦		١٠:	٧٠	١٠-	٩:
٢٨	٤-	٣:		٠٠٣			٠٧			٤١		٩:
٢٩		٣:		٧٢١			٤٠٧			١٢٣		
٧١				٢٨	٢٤-	٢٢:	٠٨٤			٠٨٣		
٦٣٠				١٨			٠٦٦			٠٠		١١:
٢٩		٧:		٤٠٩	٢٢:		٠٨٢			٦٤	١٢-	١١:
٧١٧	١١-	١٠:		٤٢٣	٢٤-	٢٢:	٧٢٠			٧٠		١١:
٢١	١٢-	١١:		١٦٧	٢٤:		٦٣		١١:	٤٩٣		
٢٨		١٢:		٢٦			٢٦٠			٢٨٣		
٧٤٦		١٤:		٢٩	٣٠:		٦٣	١٤-	١٢:	٤٨٦		
٤١٨	١٧-	١٦:		٢٧			١٦٠		١٢:	٠١٧		
١٢٧		١٧:		٢٠	٢٦-	٢٠:	٢٠٣	١٢-	١٢:	٤٠٦		١٢:
٧٢	٢٣-	١٨:		٢٢٠	٢٠:		٠٧		١٢:	٢٧٠		
٦٠	٢٤-	١٨:		٦٣٤	٢٦-	٢٠:	٢٤٩	١٤-	١٢:	٤٩٣		
١٢٨				٢٨	٢٦:		٢٦٦		١٢:	٤٨٦		
٢٠٠		١٨:		٤٢٦			٤٨٩	١٢-	١٢:	٠٩٣		
٢٧٩	٢٤-	١٨:		٢١	٢٩-	٢٨:	٢٧٣		١٢:	٦٠	١٤-	١٢:
٧٤٧	٢٠-	١٩:		٠٠٢	٢٨:		٦٦		١٤:	٦٣		
٢٠٠		٢٢:		٦٣٤			٠٧			٠٩٩		١٤:
٧٢٩	٢٤-	٢٢:		٢٧	٢٩:		٧٠٤			٤٨		١٤:
٠٩٦		٢٢:		٠٢	١:	١١	٦٣	١٧-	١٠:	٧١		
١٦٧		٢٤:		٠٢	٢:		٠٨٤		١٨:	٤٠٠		
١١٠		٢٠:		١٠٣	٣:		٦٤	٢٢-	١٩:	٢٠٤		
١١٠		٢٦:		١٤٠			٢٢			٤٨٦		
٤٠٧	٢٧-	٢٦:		٦٤١	٤-	٣:	٠٧			٢٧٠		
٧٠٤		٢٨:		٧٠٠	٤:		٦٦			٧٤٧		
٧٢٩				٠٢	٦:		٤٧٧			٧٢٠		
٤٢١		٢٩:		٢١٩			٤٢٧	٢٣-	١٩:	٢٦٨		١٠:
٢٨		٣:	١٢	٢٠٠			٢٠٠		١٩:	٢١٧		١٧:
٦٢٤				٤٠٩			٤٧٣	٢١-	١٩:	٧٤٧	٢٠-	١٨:
٤١		٧:		٦٢٧			٢٢١	٢٠-	١٩:	٠٩٨		١٩:
٢٢				٢٦٧	٨:		٠٢٧		١٩:	٦٧٣		٢٢:
٢٨				٠٠٢			٢٢٢			١٦٧		٢٢:
٢٠١		٨:		٧٢٩	١٠:		٧٠٤			٢٧٩		
٦١		١٠:		٧٢٨			٦٢٧			٠٧	٢٦-	٢٤:
٤٢				٧٢٦			٢٨٣		٢١:	٦٤		٢٤:
٦٠				٠٩٦			٧٢٩			٦٦	٢٦-	٢٤:
٠٤	١٤-	١٢:		٦١٣			٢٠٠		٢٢:	٤٩		٢٤:
٧٤٧		١٢:		١٢٣	١٦-	١٢:	٤٠٢			٢٠٠		
٦٠		١٢:		٠٢		١٢:	٧٠٤			٠١٧		
١٠٦				٢٢٢			٢٨		٢٢:	٤٠٧	٢٨-	٢٦:
٤٢	١٤-	١٢:		٢٠٧			٠٧			٦١٤		٢٦:
٠٢٢		١٤:		٦٢٧	١٦-	١٢:	٢٩٣			٦٣		٢٨:
٧٢٩				١٦٧	١٦:		٢٠١			٧٧٧		
٧٢٦				٠٢			٢٨٢			٤٩		١:
٠٩٦		١٤:		٢٧٩			٢٨٠		٢٤:	٦٢	٢-	١:
٧٢		١٠:		٧٢٩			٧٢٦			٤٢	٢-	١:
٦٠				٢٢٠	٢٦:		٧٢		٢٠:	٤٨	٤-	١:
٢٩		١٩:		٦٢٧			٢٦			٧٢		١:
٢٤٩		٢٠:		٢٤٠	٢٧:		٤٢			١٢٤		
٢٧٠				١٦٧	٢٠:		٢١١			٢٠٠		
٤٧		٢٢:		٠٢	٢٨-	٢٠:	٧٠٤			٠٨٣		
٤٢٢				٠٢	٢٩:		٤١٠	٢٧-	٢٦:	٤٠٧		٢:
٢٩		٢٢:		١٢٠	٤٠-	٢٩:	٧٠٠			٦٢		٤:
٤٠٣				٢٢٢	٢٩:		٦٢٠		٢٧:	٢٠٢		
٢٦		٢٤:		١٦٧	٤٠:		٢١	٢١-	٢٨:	٤٠٩		
				٠٢	١:	١٢	١٠٨		٢٨:	٦٢		٠:
				٢٨			٢١٣			١٨٠		
				٦٢٩	٢-	١:	٤٢١			١٢٣	٧-	٠:
٤٠٢		٢٢:	٦	٦٢٤		١:	٢٦٣			٤٨	١٠-	٠:
٤٠٢	٢٦-	٢٤:		٢٠٢		٢:	٤٨٤			٢٨٤	٧-	٠:
٤٠٢		٢٧:		١٦٠			٠٢٤			٤٨٦		٠:
٠٢١		٨٩:	٧	٠٤	٢-	٢:	٢١٦		٢٩:	٢٨٣		
٧٢٠		١٧:	٨									

عدد (سفر)

٧٠١ ٣٢: ١٤  
 ٥٨٤ ٢- ١: ١٥  
 ٥٨٤ ١٠:  
 ٣٧٣ ٢٥:  
 ٥٥٣ ٢٦- ٢٥:  
 ٢٠٦ ٢٦:  
 ١٦٢  
 ٢٥٧  
 ٥٨٠  
 ١٩٧ ٢٨- ٣٦:  
 ١٢٩ ٤٧- ٤٥:  
 ٥٤٢ ٤٥:  
 ٧٧٦ ٥٠:  
 ٥٥٧ ٥١:  
 ٥٨٠ ٥٥- ٥١:  
 ٢٤١ ٥٥:  
 ٢٦٠  
 ٢٥٧  
 ٢٥٧ ٥٦:  
 ٢٥٨ ٥٧- ٥٦:  
 ٢٥٨ ٥٧:

٢٥٨ ١٥- ١٤: ٢  
 ٤٩ ١٧:  
 ١٦٣ ١: ٣  
 ٢٠٣  
 ٥٥٤ ٤- ٣:  
 ٢٣٦ ٤:  
 ٣١٦  
 ٥٠٠ ١٠- ٩:  
 ٢٣٦ ١٠:  
 ١٤٩ ١٩:  
 ٢٢٠ ٢٤:  
 ٢١٩ ٢٥:  
 ٣١ ١١- ١٠: ٤

كورنثوس الاولى  
(رسالة)

٢٤٧ ٩:  
 ٦٠٢ ٢٠:  
 ١٤٠ ٢٤:  
 ١٣٩ ٢٤:  
 ٣٨٣ ٢٥:  
 ٣٨٣ ٢٥:  
 ١٤١ ٦:  
 ٦٣٥ ١٠- ٩:  
 ٥١١ ١٠:  
 ٤١٢  
 ٦٣٦ ١٢:  
 ٥٠٦ ١٦:  
 ٥٩٥  
 ٣٣٦ ٨:  
 ٧٥٧ ١٥- ١٣:  
 ٧٨٩ ٢- ١:  
 ٢٧٨ ٥:  
 ٥٥٥  
 ٦٢٣ ٩:  
 ١٧٨ ١٥:  
 ٦٧٢ ٧:  
 ٢٣٢ ٣:  
 ١٥٩ ١١- ٩:  
 ٧٦٥ ١٠- ٩:  
 ٦١٧ ١١:  
 ٧٢٠  
 ٧٢٥ ١٧:  
 ٧٥٢ ٣١:  
 ٥٤٩ ٣- ٢:  
 ٧٧٣ ٩- ٧:  
 ٧٧٦ ١٤- ١٣:  
 ١٢٤ ٤- ١:  
 ٢٩٨ ٤:  
 ٣٠١ ٦- ٥:  
 ٣١٩ ٨- ٥:  
 ١٢١ ١١- ١٠:  
 ٢٩٥ ١١- ١٠:  
 ٣١٩ ١١:  
 ٦٢٦ ١٣:  
 ٥٤٤ ٢٥:  
 ٣٠٥ ٣٢:  
 ٧٠٨ ٣:  
 ٢٣٩ ٢٧:  
 ٤١٤ ١:  
 ٤٨٢ ٥:  
 ٦٠٤  
 ٤١٤ ٨:  
 ١١٤ ١٢- ٩:  
 ٥٤٩ ١٢:  
 ٦٠٢ ١٣:

فيلبي (رسالة)

٢٤٣ ١:  
 ٤٣٤ ٢١:  
 ٦٤٠ ٢٤- ٢٣:  
 ١٩١ ١١- ٦:  
 ١٦١ ٦:  
 ٧٠٧ ١١- ٧:  
 ١٦٨ ١١- ٨:  
 ٣٦٩ ٩- ٨:  
 ٧١٠ ٨:  
 ١٨٢ ١١- ٩:  
 ٢٨٨ ١١- ١٠:  
 ١٧٢ ١١:  
 ٧٩٤ ١٣:  
 ٧٧٦ ١٧:  
 ٢٤ ٥:  
 ٥٠٦ ٦:  
 ٣٩٩ ١٤- ١٢:  
 ٦١٥ ١٩- ١٨:  
 ١٦٣ ٢٠:  
 ٤٨٩  
 ٥٥٧ ٢١- ٢٠:  
 ٥٥٥ ٢١- ٢٠:  
 ٢٣٦ ٢١:  
 ٢٣٨  
 ٥٩٥  
 ٧٤٥ ٣:  
 ٧٦٨ ١١:  
 ٢٤٣ ١٣:  
 ٧٢٣

قضاة (سفر)

٧٦٢ ٢٣- ١١: ٦  
 ٦٨٧ ١٦- ١٢:  
 ٧٦٢ ٢٠- ٣: ١٣

كورنثوس (رسالة)

١٤٩ ١٢:  
 ١٩١ ١٦- ١٥:  
 ١٧٣  
 ١٤٢  
 ٥٧٠  
 ١٥٧ ١٧- ١٦:  
 ١٤٠ ١٦:  
 ٣٨٢  
 ١٦١ ١٧:  
 ١٤٢  
 ١٣٩  
 ٣٤٦  
 ٧٨٣  
 ١٧٣ ١٨:  
 ١٧٦  
 ٣٥١  
 ٣٠٥ ٢٠:  
 ٢٩٣ ٢٣- ٢٢:  
 ١٣٣ ٢٤:  
 ٧١٧  
 ٤٣٤ ٢٧:  
 ٦٠٢  
 ٣٠٩ ٨:  
 ١٨٢ ٩:  
 ٢٥٦  
 ٢٥٤ ١٠:  
 ٢٦٠ ١٥- ١٣:  
 ٧٧٨

٧٥٥ ١: ١١  
 ٩٢ ٨- ٥: ١٢  
 ٢٩٠ ٥:  
 ١١٨ ٨- ٦:  
 ٢٨٥ ٧- ٦:  
 ٦٧٢ ٨- ٦:  
 ٢٨٩ ٧:  
 ٢٨٧ ٧:  
 ١٢٨ ٨:  
 ٢٩٩ ٣٠- ٢: ١٤  
 ٣٠٥ ١١:  
 ٣٠٢ ١١:  
 ٦٧٨ ١١:  
 ٣٠٣ ٢٢- ١٩:  
 ٥١٢ ٢٠:  
 ٣٠٥ ٢٢- ٢١:  
 ٦٧٨ ٢٢:  
 ٣١٨ ٢٤- ٢٣:  
 ٣١٩ ٢٣:  
 ٣١٣ ٣١- ٣٠: ١٥  
 ٣٦٥ ٣٠:  
 ٣٢٧ ٧: ١٨  
 ٢٨٨ ١٠: ٢٠  
 ٢٠٩ ١٦:  
 ١٠٢ ٦: ٢٢  
 ٨٣ ١٨:  
 ٦٧٤ ٣٥- ٢٢:  
 ٤٥١ ٣٨:  
 ٨٣ ١٢: ٢٣  
 ٤٥١ ٢٦:  
 ٤٥١ ١٣: ٢٤  
 ٨٣ ١٧- ١٤:  
 ٤٦٩ ١٧:

عزرا الرابع  
(أبيوكريفا)

٣٣٥ ٨  
 غلاطية (رسالة)  
 ٣١ ١٢:  
 ٢٤١ ٢٠:  
 ٢٤٣  
 ٣٨٢  
 ٥٧٦  
 ٤٩٧ ١٠: ٣  
 ٢٤٢ ١٣:  
 ٧٨٠  
 ٢١٧ ١٩:  
 ١٦٦  
 ٤٩٧  
 ٥٤٤  
 ٩٥ ٢٤:  
 ٢٨٩ ٢٥- ٢٤:  
 ٤٠٢ ٢٧:  
 ١٣٦ ٢٩:  
 ٢٨١ ٤: ٤  
 ٢٥٥  
 ٥٤٨ ٩:  
 ٧٣ ٢٦- ٢٤:  
 ٦٤٧ ٢٦:  
 ٧٣٦  
 ٤٢٧ ٤: ٥  
 ٤٢٧ ٢٢:  
 ٧٩٤ ١:  
 ٦٢٠ ٧:  
 ٧٧٨ ١٤:

كورنثوس الثانية  
(رسالة)

٣٣١ ١٤: ٢  
 ٧٠٥  
 ٧٨٠  
 ٥٩٠  
 ٥٠٤ ٣: ٣  
 ٥٤٤ ٦- ٤:  
 ٦٣٩ ١٨:  
 ٧٠٨  
 ٧٠٥  
 ٣٩٤ ٤- ٣: ٤  
 ٣١٥ ٦- ٣:  
 ١٤٣ ٤:  
 ١٤٨ ٦:  
 ٤١٠  
 ٦٠٥ ٩:  
 ٦٢٨ ١٧:  
 ٧٢١  
 ١٤٨ ٤٥:  
 ٦٥١ ٨- ٦: ٥  
 ٦٤٤ ٧:  
 ٥٣٩ ١٩- ١٧:  
 ٥٠١ ١٧:  
 ٧٥٢  
 ١٥٨ ١٩:  
 ٥٧٠  
 ٧٢٦ ١: ٦  
 ٣١٢ ٢:  
 ٧١٧ ١٠:  
 ٥٠٥ ١٨- ١٦:  
 ٥٠٢  
 ٧٧٥ ١٧:  
 ١٥٣ ٤: ٩  
 ٢٨٢ ١٣:  
 ٦٧٩ ٥- ٤: ١٠  
 ٢٤٣ ٢: ١١  
 ٥٥٠  
 ٣١٣ ٣:  
 ٣١١  
 ٦١٦  
 ١٥٣ ١٧:  
 ٥٠٦  
 ٣٤ ٢٢:

٧٥١	١٤: ٢٤	١٢١	١٧: ٥	٧٢٧	٨- ٦: ٨	٧٠١	٢٩: ١١
٥٧٩		٦٩		٦٥٧	٤٢:	٧١٧	٣٠:
٥٨١		٧٥١	١٨:	٦٦٤	٣١- ٣٠: ٩	٣٥٠	٢: ١٢
٦٠٧	٢١:	٢٨٦	٢١:	٦٥٧	٣٨:	٧١٣	١٠- ٧:
٥٥٣	٢٧:	٥٢٩	٢٧- ٢١:	٢٢٦	١٦: ١٠	٧١٧	٩:
٥٥٣	٣٠:	٢٤٥	٢٨:	٥٠٦	٢١:	٦٨٧	
٢٠١	٣٥:	٩٥	٣٤- ٢٣:	٥١١	٢١:	٧١٧	١٠:
٦٨		٢٠٥	٤٤:	٢٥٨	٢٢- ٢٠: ١١	٢٢٧	١١:
٤٥		٢٨٠	٢٨:	٦٩٢	٥١- ٥٠:	٢٨٢	٤: ١٣
٧٤٠		١٩٨	٢٩:	٤١٥	١٠: ١٢	٢٧٨	٥:
٥٨٠	٣٦:	١٩٨	٣٠:	٤١٦		٤٠٢	
٢٥٣	٦: ٢٥	٦١٦	٦: ٧	٢٨٠	٢٧- ٢٤:	٧٩٦	١٤:
٥٤٩	١٠:	٤١٤	٢١:	١٩٩	٣٣:		
٢٣٦	٢١:	٤١٣	٢٣- ٢٢:	٤٢٠	٤٨:		
٧٠٤		٥٠٠	١٧: ٩	١٨٥	٤٩:		
١٣٩	٣٤:	٢٢٦	٢٠- ١٩:	٥٣١	٥١: ١٢		
٧٦٣	٣٦- ٣٥:	٦١٢	٣٣:	٤٦٠	٢٧: ١٤		
٧٦٣	٣٥:	٣٢٢	٣٩:	٢٤٣	١٦: ١٦		
٦٢٤	٤٠- ٢٩:	١٢٤	١٥: ١١	٧٤٧	٢٢:		
٣٤٨	٢٨- ٢٧: ٢٦	٦٢٣	٢٠:	١٣٣	٢١: ١٧		
٤٧٤	٢٨:	٣٥٢	٢٠- ٢٨:	٦٤١	٢٧- ٢٦:		
٢٥٢	٢٠- ٢٩:	٢٢٢	٢٨:	٧١٠	١: ١٨		
٢٦٤	٢٨:	٥٧١		١٩	٨:		
٢٠٥	٥٠:	١٣٨	٢٩:	٤١٦	٢٧:		
٧٤٢	٥٣:	٢٣٩	٢٦: ١٢	٢٨٠	١٠: ١٩		
٢٠٤	٦٤: ٢٦	٢٥١	٥٠- ٤٩:	١٥٠	٢٤: ٢٠		
٢٧٢		٢٥١		٢٠٣	٤٤- ٤١:		
٤٧	٣٥: ٢٧	٢٩١		٦٢٥	١٩: ٢١		
٧٠٩	٤٠:	٢٠٤	٦: ١٣	٦٢٢			
٢٤٢	٤٦:	٢٣٠	١٦:	٦٠٧	٢٤- ٢٠:		
٢١٨		٤٧	٣٥:	٥٧٩	٢٤:		
٦٠٥		٢٠٦	١٤- ١٣: ١٥	٥٨١			
٦٥٤		٢٠٣	١٩:	٧٥١	٢٦:		
٧١٥		٦٨٥	٢٢:	٥٥٣	٢٧:		
٥٢٦	٥١:	٢٨١	٢٤:	٥٦٤	١٩: ٢٢		
١٦١	١٨: ٢٨	٦٨٨	٢٨:	٤٧٨	٣٢:		
٢٤٢	١٩- ١٨:	٧٢٨	١٨: ١٦	٧٦٨	٣٥:		
٣٧٨	٢٠- ١٨:	٧٣٧		٦٣٠	٤٢:		
٣٥٧	١٨:	٤٤٥	٢٢:	٢٦٤	٤٨:		
٣٥٧	١٨:	٢٦٨		٧٧٩	٢٦: ٢٣		
٢٠١	٢٠:	٢٢٢	٢٥:	٢٠٥	٢٤:		
١٣٤	٢٠:	٥٥٣	٢٧:	٤١٦			
٤٢٤	٢٠:	٧٤١	١٠: ١٨	٤٧٥	٢٧- ٢٥:		
٦٠٥	٢٠:	٢٥٣	٢٠:	٦٤٥	١٨: ٢٤		
		٦٠٥		١٢٣	٢٧- ٢٥:		
		٧٦٥	٦- ٣: ١٩	٧٧			
		٧٦٥	٩:	٧٠٨	٢٦:		
		١٦١	٢٨:	٢٨٩	٢٧:		
		٣٥٧	٢٨:				
		٥٢٩	٢٨:				
		٢١٩	٢٩:				
		٤٧	٤: ٢١				
		٦٨٥	٩:				
		٢٩١	٢٧:				
		١٣٧	٢٨:				
		٢٢٣	٨- ٤: ٢٢				
		٢٥٧	١٣:				
		١٥٠	٢٠:				
		٢٠٣	٤٥- ٤١:				
		١٨٧	٤٥- ٤١:				
		٢٣٢	٤٤- ٤٢:				
		٦٣٨	٢٥: ٢٢				
		٦٩١	٢٧:				
		٧٧٨	٢٨:				
		١٣١	١٣- ٧: ٢٤				
		١٩	١٤- ١٢:				

لاويين (سفر)

٥٢٤	٥:	١
٧٨٣	١٣- ١١:	٧
٣٦٧	١٢- ١:	٨
٣٦٦	٧:	٩
٤٥١	٢٢:	
٤٥٢		
٤٥٢	٢٣:	٩
٥٩٨	٨- ٤:	١٤
٥٢١	٢:	١٦
٥٤٨	١٢:	
٥٢٤	١٥- ١٢:	
٧٧٧	٢٧:	
٥٢٤	١١:	١٧
١٣٧	٢٤:	٢٠
٣٤٩	١٠:	٢١
٣٥٥	١٧:	
٣٥٥	٤- ٣:	٢٢
٥٢٣	٥:	٢٤
٥١٩	٩:	

لوقا (انجيل)

٢٢٤	٢- ١:	١
٥٢٢	٩:	
٧٤٢	٢٦:	
٤٦٩	٢٣- ٢١:	
٤٤٩	٢٢:	
٢٠٩	٢٥- ٢٤:	
٤٤٩	٣٥:	
٤١٦	٣٧:	
٤٩٩	٧٣- ٦٧:	
٤٨٢	٧٥- ٧٤:	
٤٦٩	٧٨:	
١٧٢	٧:	٢
١٧٢	١٤- ٩:	
١٨١	١١:	
١٨١	١٤:	

متى (انجيل)

٦٨١	١٦- ٥:	١
٥٣٥	٢٣:	
٤٧	٢٣:	٢
٥٣١	١:	٣
٧٥٥	١١:	
١٩٠	١٧:	
٣٥٣	١:	٤
١٧٧	٣:	
٧٤١	١١:	
٧٨	١٧:	
٧٤٠		
١٣٨	٥:	٥
٧٢٤	٩- ٨:	
٧١٩	١٢- ١٠:	
٧٨٠	١٢- ١١:	
٦١٦	١٣:	

مرقس (انجيل)

٢٥٣	١٣- ١٢:	١
٤٠١	١٥:	
٥١٩	٢٦- ٢٥:	٢
٧٣٠	٢٩- ٢٨:	٣
٦١١	٢٩- ٢٨:	
٤١٦	٢٩:	
٦١٨		
٤١٣	١٧- ١٦:	٤
٤٤٩	٧- ٢:	٥
٧٧٨	٢٤:	٨
٥٥٣	٢٨:	
٢٤٢	٤٩:	٩
٥٠٢	١٣: ١٠	
١٥٠	١٦: ١٢	
٧٤٢	٢٥:	
٧٤٢		
٢٠٣	٢٧- ٢٥:	
٢٩٣	١٣: ١٣	
٧٥١	٢٦- ٢٤:	
٥٥٣	٢٦:	



٢١٢	٢٢:	١٢	٢٨٩	٦٠:	٦	٥٢٦	٤٧:	١	بعقوب (رسالة)
٥٩٤			١٨٢	٦٢:		١٤٦	١١:	٢	٧١٧ ٣- ٢:
٥٩٢			١٢٩	٦٣:		٥٣٤	٢١- ١٨:		٦٢٩ ٣:
١٩٧	٢٤-	٢٣:	٢٢٩			٢٩١	٢١- ١٩:		٦٢٨ ٤- ٣:
٢٩٩		٣٥:	٢٣٠			٩٢	٢٢- ٢١:		٦٢٦ ٤:
٤٠٩			٧٧٧	٦٤-	٦٣:	٤٦٤	٦:	٣	٦٥٦ ١٢:
٤٠٥			٢١٢	٦٨:		١٨٦	٨:		٣٥٣ ١٥- ١٤:
٧٤٨	٤٠-	٢٧:	٣٥٦	١٣:	٧	٢٩١	١٢- ١٠:		٣٠٥ ٢٠:
٢١٧	٤٨-	٤٧:	١٤٦	١٨:		١٤٢	١٣:		٦٥٥ ٢٣- ٢٢:
٢٠٥			٢٢١	٢٤-	٢٢:	١٨١			٦٨١ ٢٥:
٢٤٤		٤٨:	٤٧٠	٢٢:		٩٢			٤٤٢ ١٨:
٩١	٥٠-	٤٩:	١٩٤	٢٨:		٥١١			٧٦٢ ٤:
٢٧٨		١٠:	١٢٧	٢٩-	٢٨:	٥٩٤			٥٥٤ ٨- ٧:
٥٩٩			١١٧	٢٧:		٧١٥	١٦:		يهوذا (رسالة)
٩١		١٩:	٥٧٥	٤٠-	٣٨:	٦٥٧			٢٢٢ ٣:
١٣٠		٢٠:	٢٧٥	٣٩:		٤٤٢	٢٢:		٤٠٧ ٣:
٢٨٢			٦٨٠	٧:	٨	١٧٩	٣٥:		٧٧٢ ٥:
٤٠١		١:	٥٨٦	١١-	١٠:	٤١٦	٢٦:		٤٠٧ ٥:
١٣٨		٢:	١١٧	١٢:		٦١١			٢٠٧ ٦:
٤٣٦	٣-	٢:	٥١٠			٦١٢			٦٧٨ ٩:
٥٠٠			٢٠٥	١٥:		٧١٦			٦٧١ ٩:
٥٨٩	٦-	٢:	٢٠١	٢٥:		٤١١	١٠:	٤	٦٣١ ١٤:
٥٩٢			١٨٢	٢٨:		٥٠٠	٢١:		١٣٢ ١٨:
٥٧٨		٣:	٢٥٢			٥٩٣	٢٣- ٢١:		يهوديت (سفر)
٥٩٣			٥٧٢	٢٩:		٦٠	٢٢:		٤٤٢ ٤:
٣٩٥		٤:	١٣٠	٢٦:		٧٠	٢٤:		
٦٤٤	٦-	٥:	٥٧٢	٤٢:		٥٤٢	٢٤:		
١٣٠		٦:	٢٩٦	٤٤-	٤٣:	٨٨	٢٦-	٢٥:	يوحنا (انجيل)
١١٧			٢٥٨	٤٤:		٦٠	٢٦:		١٣٩ ٣- ١:
٢٢٦			٢٩٦	٤٧-	٤٦:	٢٩١	٢٤:		١٢٧ ٣:
٤٧٧			٢٦٦	٤٦:		٥٧٥			١٨٨ ٣:
٥٩٤			٢٦٤	٤٩:		٥٧٢			٤٩٢ ٣:
٥٩٤			١٤٦	٥٠:		١٩٤	١٧:	٥	٦٩ ٣:
٧٤٦			٢٧٠	٥٤:		٢٢٢			٤١٠ ٦:
١٢٨	١٠-	٧:	٤٣٠	٥٦:		٢٧٥			٧٠ ٩:
٥٥٦		٧:	٦٥٤			١٤٦			٥٦٧ ٩:
١٤٢		٩:	٢٨٦	٥٨:		١٢٨	٢١- ١٩:		١٧٩ ١٢:
١٤٢	١٠-	٩:	١١٧	٥:	٩	٢٨٢	١٩:		٢٥١ ١٢:
٢٨١		٩:	٤١٠			١٧٩	٢٠:		٧١٦ ١٣:
١٢٨		١٠:	١٢٥	٣:	١٠	٢٤٠	٢٤:		١٧٩ ١٣:
١٢٩	١١-	١٠:	٢٣١	٩:		٥٩١			٧٠ ١٤:
١٢٥		١٠:	٥٩٢			٢٤١	٢٥:		١٤٤ ١٤:
١٤٦			٦٨	١٠:		٢٩٦			١٣٨ ١٤:
٢٢٦	١٢:		٢٢٢	٢٨-	٢٦:	٢٤١	٢٩-	٢٨:	١٧٢ ١٤:
٣٠٥	١٩:		٢٠١	٢٨:		٢٢٠	٣٠:		١١٨ ١٤:
١١٧	٢٠:		١٩٤	٣٠:		٧١			١٤٨ ١٤:
١٦٩			٢٣٥	٢٦-	٢٤:	٥٧٥			١٧٩ ١٤:
١٧٤	٢٠:		٢٢٧	٢٨-	٢٧:	١٢٧	٢٨-	٢٦:	١١٢ ١٤:
٢٤٠			١٤٥	٢٨:		٥٧٢	٢٩-	٢٨:	٢٤٥ ١٤:
٥٥٦			٢٢٦	٢٥:	١١	١٤٦	٤١:		٢٨٦ ١٤:
٦٠٣			١٢٣			٢٨٦	٤٧-	٤٥:	٦٠ ١٥:
٧٢٥	٢١:		٤٧٥	٢٦-	٢٥:	٢٤	٢:	٦	٥١١ ١٧:
١٤٩	٢٣:		٢٤١	٢٦:		٢٤	٥:		٩٢ ١٨:
٢٤٠			١٢٢			١١٧	١٥:		١٢٧ ١٨:
٥٥٦			٢٦١			٢٢٥	٢٧:		١٤٢ ١٤:
١٢٩	٢٥-	٢٤:	٢٦٤	٣٥:		٥١٠			١١٢ ١٤:
٧٢٤		٢٧:	١٤٨	٤٠:		٢٤	٤١:		٢٥٢ ١٤:
٧٨		٢٩:	٦٣٩			٥١٠	٤٥:		٥١١ ١٤:
١٩٤		٢١:	٤٧٩	٤٢:		٣٥	٥٢:		٦٥٧ ١٤:
١٧٩			٦٠٣	٥٢:		١٣٠	٥٤:		٢٤٠ ٢٩:
٢٢٢		٤:	٧٠	٢٣:	١٢	٤٨٤			٩٨ ٢٩:
٢١٦		١٥:	٢٨٠	٢٧:		٥٩١	٥٧-	٥٤:	١١٧ ٢٩:
٧٨٢		٥:	٢٢٦	٢٨:		٤٨٤	٥٦:		٢٨٢ ٢٩:
٢٢٩		٧:	٢٨٨			٤٨٤	٥٧:		٥٢٦ ٤٥:
٢١٦		١٠:	٢٤٥	٢٤-	٢٢:	٥١٠			٢٥ ٤٧:
٢٩٢	١١-	١٠:	١١٧	٢٢:		٥٩٥			

003	22:	21	200	13:	10
312	20:		241		
			011	10:	
			202		
			076	16:	
			129	22:	
			129	20-	24:
			738		24:
			200		20:
			280	16:	16
			724		22:
			174		22:
			090	28-	27:
			168		28:
			769		22:
			132		2:
			281		
			611		
			146		4:
			280	0-	4:
			288		4:
			202		
			069		
			070		
			169		0:
			271		
			204	12-	6:
			202		6:
			120		10:
			280		11:
			602		
			217		12:
			002		14:
			779		
			761		
			778	10-	14:
			281		18:
			70		19:
			720		
			478		20:
			427		
			602		
			200		21:
			228		22:
			602		
			200		23:
			602		
			092		24:
			089		
			267		26:
			602		
			611		
			20		26: 18
			270		27:
			20		27: 19
			264		28:
			220		20:
			014		
			248		
			076		
			070		
			47		26:
			028		17: 20
			202		
			010		22:
			188		28:

بوحنا الاولی  
(رسالة)

129	2-	1:			
118		1:			
220	2-	1:			
118		2:			
707		3:			
006					
609	10-	7:			
012	9-	8:			
610		8:			
610		10:			
71	2-	1:	2		
000					
610					
217		2:			
702		17:			
122		18:			
410		19:			
010		20:			
010		27:			
290					
000		28:			
090		2:	3		
601	3-	2:			
000		2:			
608		6:			
208		8:			
609					
609		9:			
628		12:			
779		13:			
179		7:	4		
201		10:			
008		19:			
076					
208	0-	4:	0		
410		16:			
720					
610					
072		20:			

ثبت بالاقباسات  
من أقوال الآباء والكتّاب الكنسيين

○○○

باسيليوس :	أبوليناريوس :
٢٩	٤٤٦
برميسيوس :	إيفانيوس :
٣٧٣ و ٣٤٢	٤٤٦ و ٢٩
بطرس خاتم الشهداء :	أناسيوس الرسولي :
٢٧	٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ١٩٦ و ٢٨٥ و ٣٤٢
بنتينوس :	إسحق السرياني :
٢٧ و ٢٤	٧٥٣ و ٧١٢
ترتليانوس :	أغسطينوس :
٢٦ و ٤١٢ و ٤١٧ و ٦٩١ و ٦٩٢	٢٧ و ٢٩ و ١٧٦ و ١٨٨ و ٤٤٦
ثاؤفيلوس الأنطاكي :	أفرآم السرياني :
٢٨	٢٩
ثيوجنوستس :	ألكسندروس :
٢٧	٢٨
ثيودوريت :	أنطونيوس :
٢٨٧	٢٢٤ و ٣٩٤ و ٥٠٢ و ٦٦٢ و ٧٨٠
ثيوفيللاكت :	أوريجانوس :
٣٤٢	٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ١٧٦ و ٢١٥ و ٤٠٦ و ٤٤٦ و ٦٧٨
جيروم :	إيرينيوس :
٢٧ و ٢٨ و ٢٣٤ و ٤٤٣ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٨ و ٦٩١	٢٦ و ٤٤٦ و ٦٨١
ديديموس :	إيسيدوروس :
٢٨ و ٤٤٦	٣٤٢
ديونيسيوس الإسكندري :	إيسيدوروس الفرعي :
٢٧ و ١٥٤	٢٨



مقاريوس الكبير :	ديونيسيوس الروماني :
٢٠٨	١٥٤
هجسيوس :	روفينوس :
٤١	٢٨
هيوليتوس :	غريغوريوس الزينزي :
٤٤٦ و ٢٦	٦٩٠ و ٢٩ و ٢٨
هيلاري أسقف بواتيه :	غريغوريوس النيسي :
٢٧	٢٩
يعقوب أسقف نصيبين :	كبريانوس :
٢٩	٢٦ و ٤٤٥ و ٧٧٤
يوحنا ذهبي الفم :	كليمنديس الإسكندري :
٢٩ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٤ و ٢٦٦ و ٢٨٥ و ٣٠٥	٢٤-٢٨ و ٢١٤ و ٣٥٠ و ٤١٠ و ٤٣٥ و ٤٤٥ و ٦٧٨
٣٣٨ و ٣٤٧ و ٣٨٤ و ٣٩٩ و ٤٠٣ و ٤٠٩ و ٤١٦	كليمنديس الروماني :
٤١٧ و ٤٢٠ و ٥٩٤ و ٦٢٩ و ٦٤١ و ٧١٦ و ٧٢٦	٢٥ و ٢٦ و ٢٩ و ٤٠ و ١٥١ و ٦٨١
يوسابيوس :	كيرلس الإسكندري :
٢٤-٢٧ و ٤٠ و ٤١ و ٣٤٢ و ٤٤٦ و ٦٢٤ و ٦٦٩	٢٨ و ٣٧٧
يوسابيوس من إمسا :	كيرلس الأورشليمي :
٤٤٦	٢٩
يوستينوس :	لكنتانيوس :
٤٠٦ و ٤١٠ و ٦٨١ و ٦٩٢	١٤٦

## فهرس موضوعي لكتاب الرسالة إلى العبرانيين

○○○

أب / آباء :

- + الله الآب كلم الآباء بالأنبياء قديماً، وكلمنا  
أخيراً في ابنه ٤٧ و ١١٣-١٢٦
- + الله الآب متكلماً ومنظوراً وعاملاً ومحيياً في ابنه  
١٣٠-١٢٧
- + جلوس الابن عن يمين الآب ٢٠٢-٢١٠
- + أي ابن لا يؤذبه أبوه، تأديب الأبناء من الآباء  
الجسديين ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٨-٧٢٠

ابن :

- + الله كلمنا في ابنه / الاستعلان الكامل / مقارنة  
مع الاستعلان بالأنبياء ٤٧ و ١١٣-١٣٥
- + الصفات الجوهرية لابن الله وعمله ٢٠ و ١١٢  
١١٨-١٥٧
- وارث لكل شيء ١٣٤-١٣٩

- به عمل العالمين ١٣٩-١٤١ و ١٩٢-١٩٧
- بهاء مجده / ورسم جوهره / وحامل كل  
الأشياء بكلمة قدرته ١٤٢-١٥٠ و ١٥٠-١٥٦  
١٥٧

- يفوق الملائكة / تسجد له ٥٥ و ١١٢  
١٦٥-١٦٧ و ١٨٠-١٨٣
- يجلس في يمين العظمة ١٢٢ و ١٥٩-١٦٤  
٢٠٢-٢٠٦

- كرسية إلى دهر الدهور ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٧  
١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠١

- أحب البر وأبغض الإثم / مسحته فائقة  
١٨٨-١٩٠

- + علاقة ابن الله بالأبناء المعينين للمجد  
٢٤٤-٢٥٤
- + صوت ابن الله ٢٩٦ و ٢٩٧
- + يسوع ابن الله ورئيس الكهنة العظيم  
٣٥١-٣٧٣ و ٣٧٦
- + مع كونه ابناً تعلم الطاعة ٣٨٣-٣٨٥
- + الذين يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية  
٤١٥-٤١٩
- + عقوبة من يدوس ابن الله ٢١ و ٦١٥ و ٦١٦
- + كل ابن يؤذبه أبوه ٧١٥-٧١٨

إبراهيم :

- + أبو الجنس العبراني / من عبوره الفرات جاء  
اسمهم ٣٨
- + الله أقسم لإبراهيم بالبركة ٤٢٨-٤٣٢
- + إبراهيم قدم العشر للملكي صادق فباركه  
٤٤٨-٤٦٤
- + إيمان إبراهيم وسارة ٦٤٣-٦٥٩

أخ / إخوة :

- + الرسالة تخاطب أناساً محددين تدعوهم «إخوة»  
٣١ و ٣٢
- + الكاتب يتودد إليهم كأخ في اليهودية والمسيحية  
٣٢

- + ويخاطبهم كأخوة شركاء الدعوة السماوية ٣٩

اختيار :

- + خطورة الخطيئة بالاختيار بعد معرفة الحق  
٦٠٧-٦١٣

## آخر الأيام :

- + علاماتها بالنسبة للعبادة اليهودية، ونهاية العالم ١٨ و ١٩
- + الرسالة إلى مَنْ انتهت إليهم أواخر الأيام ٢١
- + الله كَلَّمْنَا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه ٤٧ و ١١٣
- + مفهوم الأيام الأخيرة في الكتاب كله ١٣٠-١٣٤

## إرادة / مشيئة :

- + المسيح جاء ليعمل مشيئة الآب ٥٧١-٥٧٤
- + بعمل مشيئة الله نال الموعد ٦٢٩ و ٦٣٠
- + إله السلام يكملكم لتصنعوا مشيئته ٧٩٣ و ٧٩٤
- + استعلان / إعلان :
- + وظيفه النبي استعلان حق الله / للإعلان عن مجيء المسيا ٨٧ و ٩٣
- + الاستعلان قديماً بالأنبياء وأخيراً في ابن الله بالتجسد ١١١-١٣٥
- + الاستعلان الأول بأنواع وطرق كثيرة مجزئاً ١١٣-١١٩
- + الاستعلان الأخير أو الأخروي الكامل ١١٣-١١٩

- + استعلان الملكوت الأبدي ٧٥٠-٧٥٢

## آلم :

- + الرسالة لليهود المؤمنين لتشجيعهم على احتمال الآلام والاضطهاد ١٨ و ٢٠ و ٥١-٥٤
- + احتمال الآلام حتى الدم ٢١
- + معنى تألم المسيح خارج الباب ٥٤
- + تجسد ليكمل خلاصنا بالآلام والموت ٥٦ و ٢٦١-٢٦٩
- + تألم مجزئاً ليعين المجربين ٥٦ و ٢٦٦-٢٦٩
- + وهو ابن تعلم الطاعة مما تألم به ٣٨٣-٣٨٥

## أورشليم :

- + جبل صهيون، مدينة الله الحي السماوية ٧٣٥-٧٤٠
- + ليس لنا مدينة باقية ٧٨٠-٧٨٢

## إيمان :

- + الرسالة لتشديد إيمان اليهود المنتصرين، وإيماننا نحن أيضاً ١٩-٢١ و ٣٦

— تفوق الإيمان بالمسيح كابن الله ٢٠

- خطورة الارتداد عن الإيمان / البار بالإيمان ٢١ و ٣٧ و ٤٠٥-٤١٤ و ٦٣٢

- النظر إلى المسيح رئيس الإيمان ومكمله ٢١ و ٥٣ و ٥٤ و ٧٠٤-٧١٠

- كانوا في الإيمان قبل بولس، يذكّرهم ببداية إيمانهم ٣٦ و ٣٨

— يدعوه للتمثل بإيمان مرشديهم ٣٨

- الإيمان بالمسيح تأسس على شهود القيامة، فلما انتقلوا تزعزع الإيمان ٥١

- + الإيمان ثقة بما يُرجى وإيقان بما لا يُرى ٥٢ و ٦٣٣-٦٣٦

- عشرون مثلاً للإيمان من الآباء والأنبياء والقديسين ٥٢ و ٥٣ و ٦٣٨-٦٨١

- لا يعتمد على وطن أرضي ٥٣ و ٥٥
- يحتمل الضيق والاضطهاد حتى الاستشهاد ٥٣

— لا يتوقف على نوال المواعيد ٥٣

- + الإيمان شرط لدخول الراحة العليا ٢٩٥-٣٣٠

- + الإيمان والتوبة يُؤهلان للعصاة ٤٠٠ و ٤٠١

+ التقدم لله بيقين الإيمان ٥٩٦-٥٩٨

- + بالإيمان نفهم أن العالمين أنقذت بكلمة الله ٦٣٧

+ بدون إيمان لا يمكن إرضاء الله ٦٤٠ و ٦٤١

- + أنشودة البحر فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله ٦٧٦-٦٧٨

- + الإيمان في بكون قيام إسرائيل ٦٨٢-٦٩٧

— عملوا أعمالاً عظيمة ٦٨٢-٦٨٨

— تحملوا مشقات عظيمة ٦٨٩-٦٩٦

- + الدرس المستفاد من أمثلة الإيمان ٦٩٩

— الانضباط والاحتمال :

دوافعه، النموذج الإلهي، القياس ٧٠٠-٧٢٣

— التمسك بالسلام والنقاوة ٧٢٤-٧٣١

— التزامات العهد الجديد ٧٣٢-٧٤٩

+ تثلثوا بإيمان مرشدكم ٧٧٠-٧٧٢

بدء / بداية :

+ الخلاص الذي ابتدأ الله بالتكلم به وخطورة  
إمهاله ٢٢١-٢٢٤

+ بداية الثقة فلتثبت إلى النهاية ٣١٥ و ٣١٦

+ الذين بعد طول الزمان ما زالوا يحتاجون إلى

بداية أقوال الله ٣٩١ و ٣٩٢

+ ترك كلام بدهاءة المسيح والتقدم إلى الكمال

٣٩٨ و ٣٩٩

بر / بار :

+ البار بالإيمان يحيا ٦٣٢

+ بالإيمان شُهد لهاييل ببره ٦٣٨

+ بالإيمان نوح صار وارثاً للبر ٦٤١ و ٦٤٢

+ بالإيمان صنعوا برأ ٦٨٣-٦٨٥

+ قبول التأديب يشمر برأ وسلاماً ٧٢١

+ الأبرار المكملون ٧٤٥ و ٧٤٦

بركة :

+ بركة الله للمؤمنين ٤١٩-٤٢١

+ بركة الله لإبراهيم بقسم ٤٢٨ و ٤٢٩

+ ملكي صادق بارك إبراهيم ٤٤٨ و ٤٤٩

+ البركة في العهد القديم ٤٥٠-٤٥٧

+ بركة إسحق ليعقوب وعيسو ٦٥٩ و ٦٦٠

٧٢٨-٧٣١

+ بركة يعقوب لأولاده ٦٦٠-٦٦٢

بيت :

+ موسى أمين في بيت الله كخادم ٢٨٤-٢٩٠

+ المسيح كابن على بيته وباني البيت ٢٨٧-٢٩١

٧٣٩ و

+ المسيح هو الكاهن على بيت الله ٥٩٦ و ٧٣٩

بيت الله :

+ الهيكل بيت الله المبني بيد إنسان وموسى خادم

البيت ٥٥

+ المسيح صاحب البيت، وابن في بيته، وباني

البيت الحقيقي ٥٥ و ٥٦

+ نحن بيت الله إن تمسكنا بالإيمان إلى النهاية ٥٥

تأديب :

+ لا تحتقر تأديب الرب ٢١ و ٧١٢-٧١٤

+ الذي يحبه الرب يؤدبه كابن ٢١ و ٧١٤-٧٢١

+ عصور تأديب الإنسان وتعليمه تحت الناموس

١١٣

+ التأديب في البداية لا يُرى أنه للفرح بل للحزن

٧٢١

تجديد :

+ متى يستحيل تجديد التوبة ٢١ و ٤٠٥-٤٢٠

تجربة :

+ تألم مجرباً ليعين المجربين ٢٦٦-٢٦٩

+ يوم التجربة وقساوة القلب ٢٩٨-٣٠٢

+ بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مجرب

٦٥٣-٦٥٧

+ بالإيمان تجربوا في قيود وحبس وإذلال

٦٩٠-٦٩٦

تحية :

+ تحية ختامية ٧٩٥ و ٧٩٦

تسيح :

+ ذبيحة التسيح التي هي ثمرة شفاه معترقة باسم

الله ٧٨٢-٧٨٦

تعليم / وعظ / معلم :

+ كان ينبغي أن يكونوا معلمين بسبب طول

الزمان في الإيمان ٣٦ و ٣٩١-٣٩٣

+ ولكنهم يحتاجون أن يعلمهم أحد بداية أقوال الله

٣٦ و ٣٩١-٣٩٣

+ في العهد الجديد لا يعلم كل واحد قريبه

٥٠٩-٥١١

+ لا تُساقوا بتعاليم متنوعة غريبة ٧٧٢ و ٧٧٣

تعزية :

+ التعزية المستندة على وعد الله وقسمه ٤٣٢

٤٣٣ و

+ التعزية الأخيرة ٦٢١

— بذكريات الماضي بما فيها من صبر وشكر

٦٢١-٦٢٥

— المجازاة العظيمة بعد قليل جداً ٦٢٦-٦٣١

## تقليد / تسليم :

- + بحسب التقليد الإسكندري، بولس الرسول كاتب الرسالة ٢٤-٣٠
- + وكذلك التقليد الكنسي الشرقي ٢٦
- + يوسابيوس المؤرخ الكنسي سجل هذا التقليد ٢٥
- + التقليد الغربي تأخر في الاعتراف بها فيما عدا هيلاريون أسقف بواتيه وجيروم وأغسطينوس ٢٧
- + حسب التقليد العبراني استلم موسى الناموس بيد ملائكة ٥٥ و ١١٢
- + المسيا في التقليد اليهودي أعظم من الملائكة ١٦٥
- + التقليد الأبوي والتمسك بالتعليم الصحيح ٧٧٠-٧٩٠
- المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ٧٧٢

## توبة :

- + استحالة التوبة على الذين ارتدوا عن الإيمان ٢١
- ٤٠٥-٤٢٠
- + التوبة من الأعمال الميتة ٤٠٠
- + عيسو باستباحته لم يجد للتوبة مكاناً رغم أنه طلبها بدموع ٧٣٠ و ٧٣١

## ثبات :

- + التمسك ببداية الثقة ثابتة إلى النهاية ٣٧
- ٢٩٤-٢٩٢

## ثقة :

- + الثقة لها مجازة عظيمة ٢٠ و ٣٧ و ٦٢٦-٦٢٨
- + التمسك بها إلى النهاية ٣٧ و ٢٩١-٢٩٤ و ٣١٥ و ٣١٦
- + بها نال رحمة ونجد نعمة ٣٧ و ٣٥٤-٣٥٨
- + لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ٥٨٩-٥٩٢
- + لننقل وثائقين أن الرب معين فلا نخاف ٧٦٨ و ٧٦٩

## نعم :

- + التسبيح نمر شفاه معترفة باسم المسيح ٧٨٢-٧٨٦

## جديد :

- + العهد الجديد ٤٩٨-٥١٤
- + الجديد يحمل محل القديم ٥١٣ و ٥١٤
- + الخدمة القديمة والخدمة الجديدة ٥١٥

## جسد / تجسد :

- + ظهور الابن متجسداً هو الاستعلان الكامل لكلمة الله ١١٤ و ١١٨ و ١٤٣ و ١٤٤
- + الحياة في الجسد تعوق التمتع بنعمة الخلاص الكلي ١١٤ و ١١٥
- + التجسد جمع ابن الله الوحيد مع البشر ٢٥٤-٢٦١

- + التجسد ضرورة للخلاص ٢٦٢-٢٦٦
- + المسيح في تجسده قدم طلبات وتضرعات بصراخ ودموع ٣٧٦-٣٧٨
- + المسيح تجسد ليقدم نفسه ذبيحة ٥٦٦-٥٧٣
- + جسد المسيح كطريق لدخولنا إلى الأقداس ٥٩٢-٥٩٥

## جلس :

- + جلوس المسيح عن يمين الله ٢٠٢-٢١٠ و ٤٨٧ و ٥٧٨
- + احتمل الصليب فجلس عن يمين عرش الله ٧٠٦ و ٧٠٧

## جهاد :

- + لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ٧٠٣ و ٧٠٤
- + الجهاد حتى الدم ضد الخطية ٧١٠-٧١٢
- + الجهاد يستلزم تقويم الأيادي المسترخية والركب المخلعة ٧٢١-٧٢٣

## جوهر :

- + الابن رسم جوهر الله، مفهوم الجوهر ١٥٠-١٥٦

## حب / محبة :

- + تعب المحبة ٤٢٢ و ٤٢٣
- + التحريض على المحبة والأعمال الحسنة ٦٠٢-٦٠٥
- + تثبت المحبة الأخوية ٧٦١ و ٧٦٢

+ لتكن سيرتكم خالية من محبة المال ٧٦٦-٧٦٨

حجاب :

+ الدخول إلى داخل الحجاب بالرجاء ٤٣٦

+ المسيح دخل كسابق داخل الحجاب أي جسده

٤٣٦-٤٣٨

+ المسيح كَرَسَ لنا طريقاً للدخول بالحجاب أي

جسده ٥٩٢-٥٩٥

حق :

+ تحذير من السقوط بعد معرفة الحق ٦٠٧-٦١٣

ختان :

+ العبرانيون هم "أهل الختان" أو "المؤمنون من

أهل الختان" في الرسائل الأخرى ٣١

خدمة :

+ الله لا ينسى خدمتهم للقديسين ٣٦ و٤٢٢

و٤٢٣

+ المسيح حصل على خدمة أفضل ٤٩٦ و٤٩٧

+ خدمة الكهنوت القديم ٥١٦-٥٣٠

— مستلزمات الخدمة ٥١٦-٥٢١

— الخدمة داخل الخيمة ٥٢٢-٥٢٤

— محدودية الخدمة، لا تكتمل الذي يخدم

٥٢٤-٥٣٠

+ الخدمة المقبولة لله تكون بشكر ٧٥٢-٧٥٥

خروج :

+ الإيمان في عتمة الحوادث وليل الخروج المرير

٦٦٥

+ موسى قائد الخروج ٦٦٥-٧٧٥

+ أجسام الحيوانات التي يُدخَل بدمها إلى

الأقداس تُحرق خارج المحلة ٧٧٧

+ لذلك المسيح تألم خارج الباب لكي يقُدَّس

الشعب بدمه ٧٧٧-٧٧٩

+ فلنُخرج إليه خارج المحلة حاملين عاره

٧٧٧-٧٨٠

خطية :

+ المقاومة حتى الدم ضد الخطية ٢١ و٧١٠-٧١٢

+ غرور الخطية ونتائجها ٣١٢-٣١٤

+ رئيس كهنتنا بلا خطية ويرثي للخطيء

٣٥٤-٣٥١

+ المسيح استوفى دين خطايانا ولا يذكرها بعد

٥١٣-٥١١

+ أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و٥٥٢

+ سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه

٥٥٧-٥٥٢

+ الخطية بالاختيار بعد معرفة الحق ونتائجها

الخطية ٦٠٧-٦١٣

+ بالإيمان موسى فضّل أن يُذكَ مع شعب الله على

التمتع الوقتي بالخطية ٦٦٨-٦٧٠

خلاص :

+ الرسالة إلى رومية غطت منهج الخلاص ١٧

+ سمو خلاص المسيح وخطورة إهماله ١٧ و٥٦

و١١٢ و٢٢١-٢٢٣

+ المسيح كتمل خلاصنا بالآلام والموت ٥٦ و٢٤٨

٢٤٩

+ بالطاعة نال الخلاص ٥٦ و٣٨٦

+ المسيح يخلّص إلى التمام لأن كهنته لا يزول

٥٧

+ لماذا بعد إتمام الخلاص ما زلنا نعرف بعض

المعرفة ؟ ١١٤

+ عالم الخلاص ٢٣١

+ التجسد ضرورة للخلاص ٢٦٢-٢٦٦

+ الظهور الثاني والخلاص ٥٥٥-٥٥٧

+ بالإيمان نوح بنى فلماً لخلاص بيته ٦٤١ و٦٤٢

خيمة : (انظر هيكل).

دم :

+ دم الكفارة على يدي رئيس الكهنة إشارة إلى دم

المسيح ٤٦

+ دم ثيران وتيوس لا يرفع خطايا ٤٨ و٥٣٥-٥٣٧

+ المسيح دخل مرة واحدة بدم نفسه إلى الأقداس

٥٣٧-٥٣٩

+ دم المسيح في مقابل ذبائح اللاويين :

— يطهّر الضمائر في مقابل تطهير الجسد

٥٤٠-٥٤٣

— أساس العهد الجديد ٥٤٣-٥٤٥

+ بحسب الناموس كل شيء يتطهر بالدم  
٥٤٧-٥٤٥

+ لنا ثقة للدخول إلى الأقداس بدم يسوع  
٥٩٢-٥٨٩

+ عقوبة من احتقر دم العهد الذي قُدس به  
٦١٧-٦١٥

+ بالإيمان موسى صنع الفصح ورش الدم لكي لا  
يسهم المهلك ٦٧٢-٦٧٤

+ دم المسيح يتكلم أفضل من هايل ٧٤٦ و ٧٤٧

+ المسيح لكي يقُدس الشعب بدم نفسه تألم  
خارج الباب ٧٧٧-٧٧٩

+ دم المسيح هودم العهد الأبدي ٧٩٢ و ٧٩٣  
دموع :

+ المسيح صل بدموع وصراخ شديد ٣٧٦-٣٨١

+ عيسو لاستباحته طلب التوبة بدموع فلم يجدها  
٧٣٠ و ٧٣١

+ الموت والدينونة ٥٥٢-٥٥٥

+ دينونة الذين يخطئون عن عمد ويعتد ٦١٢ و ٦١٣  
٦١٨-٦٢٠

+ نوح بينائه للظلمة دان العالم ٦٤١ و ٦٤٢

+ الله ديان الجميع ٧٤٥

+ دينونة الله للزناة والعاهرين ٧٦٤-٧٦٦

+ ذبيحة / مذبذب / قربان :

+ الذبائح تمهيد عملي وتصوير دقيق لذبيحة المسيح  
٥٦٧-٥٦٩

+ الذبائح الحيوانية تكرر تقديمها يكشف عن  
عجزها ٤٨ و ٥٦٠-٥٦٥ و ٥٧٧

+ بالذبائح والمحرقات لم يسر الله، فهياً جسداً  
لابن الله ليصير ذبيحة ٤٨ و ٥٦٦-٥٧٧

+ ذبيحة المسيح خارج أورشليم لتقدّيس العالم  
كله ٥٥

+ إهانة الله بتقديم ذبائح مشوهة ١٠٦

+ رئيس الكهنة يقدم ذبائح وقربان عن نفسه وعن  
الشعب ٣٦٦-٣٦٦

+ القسرين والذباح لا تكمل الذي يقدم  
٥٣٠-٥٢٥

+ المسيح أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و ٥٥٢

- بعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس  
إلى الأبد عن يمين الله ٥٧٨-٥٨١

- بقربان واحد أكمل إلى الأبد المقتسين  
٥٨٢-٥٨٤

+ إن أخطأنا باختيارنا بعد معرفة الحق لا تبقى  
بعد ذبيحة عن الخطايا ٦٠٧-٦١٢

+ بالإيمان قدم هايل ذبيحة مقبولة ٦٣٨

+ ليس لنا مذبذب نأكل ذبائحه ٧٧٤-٧٧٧

+ خدام الخيمة الأرضية لا يحمل لهم الأكل من  
ذبيحة المسحين ٧٧٦ و ٧٧٧

+ أجسام الذبائح التي يُدخل بدمها للأقداس  
تحرق خارج المحلة ٧٧٧-٧٧٩

+ فلنقدم بالمسيح ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه  
معترفة باسمه ٧٨٢-٧٨٦

+ ذبائح فعل الخير والتوزيع ٧٨٦ و ٧٨٧

ذكر :

+ تذكروا الأيام الأولى ٦٢١

+ اذكروا المقيدين والمذلين ٧٦٣ و ٧٦٤

+ اذكروا مرشدكم وقتلوا بإيمانهم ٧٧٠-٧٧٢

راحة :

+ راحة الله بعد الخلق وعلاقتها براحة السبت  
وراحة كنعان وراحة المسيح بقيامته وجلسه عن  
يمين الآب ٣٠٦ و ٣٠٨

- القصد من راحة السبت هو راحة الله  
الحقيقية في المسيح ٤٥ و ٣٣١ و ٣٣٢

- الذين تدمروا في البرية لم يدخلوا راحة  
كنعان ٥٨ و ٢٩٥-٣٠٧ و ٣٢٢-٣٢٢

- دخول الراحة الحقيقية بالطاعة والإيمان ٥٨  
٥٩ و ٣٣١

+ الوعد بالراحة لم يتحقق بعد حتى للذين دخلوا  
كنعان ٣٢٤-٣٢٦

+ مسئولية الدعوة للدخول لراحة الله ٣٣٧-٣٣٩

راعي / رعاية / رعية :

+ المسيح راعي الخراف العظيم ٢٠ و٧٩٢ و٧٩٣  
رأفة / رحمة :

+ رحمة الله بذبائح العهد القديم مثال للرحمة  
العظمى بذبيحة المسيح ٤٧ و٤٨  
+ بالثقة في دم المسيح ننال رحمة ٥٧  
رجاء :

+ التمسك بشقة الرجاء إلى النهاية ٣٧ و٣٩  
٢٩١ و٢٩٤

+ التمسك بإقرار الرجاء راسخاً ٣٨ و٦٠٠ و٦٠٢  
+ آفة الرجاء التواني والكسل وعلاجه الاجتهاد  
٤٢٤ و٤٢٥

+ الرجاء الموضوع أمامنا كمرساة للنفس  
٤٣٤-٤٣٦

رسالة / رسول :

+ مقارنة بين الرسالة إلى رومية والرسالة إلى  
العبرانيين ١٧

+ مناسبة الرسالة لما نعيشه هذه الأيام / رسالة  
ختام الألفين ١٨-٢١

+ المسيح رسول اعترافنا ٢٨٠-٢٨٢

الرسالة إلى العبرانيين :

+ كاتب الرسالة: بحسب التقليد الكنسي  
الإسكندري هو بولس الرسول ٢٤

- رأي كليمنندس الإسكندري أخذه عن بنتينوس  
٢٤ و٢٥

- رأي أوريجانوس ٢٥ و٢٦

- أنثاسيوس الرسولي أكد أنها لبولس الرسول ٢٦  
- في الغرب استشهد بها كليمنندس الروماني ولم  
يذكر كاتبها ٢٦

- تأخر الغرب في قبولها فيما عدا هيلاريون  
وجيروم وأغسطين ٢٦ و٢٧ و٢٩

- الشرق قبلها في مصر وأنطاكية وأورشليم  
٢٧-٣٠

- رفض لوتر وكلفن لها في عهد النهضة ٢٩

- الكنيسة الكاثوليكية فتحت للعلماء باب

الجدال فيها سنة ١٩٥٥ و٢٩ و٣٠

+ عنوان الرسالة: «إلى العبرانيين» ٣٠

+ طبيعتها: ليس لها فاتحة الرسالة، ولكن فيها كل  
مقوماتها ٣١ و٣٢

+ موضعها بين بقية الرسائل :

- في بعض المخطوطات قبل الرسائل الرعية، أو  
بين رسالتي كورنثوس وغلاطية ٣٣

- أو في نهاية رسائل بولس، أو بعد رسالة رومية  
مباشرة ٣٣

+ لمن كتبت :

- حسب العنوان وكاعتقاد الآباء أنهم يهود بالمولد  
٣٣

- لماذا لقبوا عبرانيين ومن هم ؟ ٣٣-٤٠

○ اللقب شعبي يفيد الجنس واللغة ٣٥

○ كلهم عبرانيون مسيحيون، وليس فيهم أحد

من الأمم، في أورشليم ٣٥-٤٠

○ عددهم قليل، لهم زمان طويل في الإيمان  
٣٦

○ ظردوا من مجمع اليهود، سُلبت أموالهم،  
يفكرون في الارتداد ٣٦

○ بعضهم كانوا كهنة في الهيكل ٣٧

+ تاريخ كتابة الرسالة :

- الجيل اللاحق للرسل مباشرة ٤١

- قبل خراب الهيكل سنة ٧٠ م. ٤١ و٤٢

- حوالي سنة ٦٤ و٦٥ م. ٤٢

+ مكان كتابتها :

- من إيطاليا على يد تيموثاوس ٤٢

+ أهميتها :

- للمسيحيين من أصل يهودي وأُمِّي بالتساوي،  
للأمس كما لليوم وإلى الأبد ٤٣

- بها يلتحم المهدان ويتكامل التدبير الإلهي في  
صوت واحد لله ٤٤-٤٧

+ خصائصها :

- رسالة عزاء ٤٧

- ربط العهد القديم بالجديد بإيجابية كرسالة رحمة



+ التشابه بين سفر العبرانيين والأسفار الأخرى:

— إنجيل يوحنا:

- كلمة الله المتكلم قديماً وحديثاً ٦٩
- كل شيء به كان = به عمل العالمين ٦٩
- هو النور الحقيقي = بهاء مجده ٧٠
- وصار جسداً = هيأت لي جسداً ٧٠
- تمجد بالصليب ٧٠
- عبادة بالروح والحق بدل أشباه السماويات ٧٠
- كفاة للعالم كله ٧١

— رسالة بطرس الأولى:

- المسيح تألم تاركاً لنا مثلاً ٧١
- دم حمل بلا عيب = قدم نفسه بلا عيب ٧١
- بيتاً روحياً، ذبائح روحية = بيته نحن، ذبيحة التسبيح ٧١ و٧٢

— رسائل بولس الرسول:

- نقط الاختلاف:
- للأمم: لم يذكر الكهنوت والذبائح ٧٢ و٧٣

للعبرانيين: لم يذكر الانحداد بالمسيح لضعفهم ولأن الكنيسة جسد المسيح ٧٢ و٧٣

○ نقط التشابه:

- الناموس لا يبرر ٧٣
- المثال مقابل الأصل ٧٣
- طاعة المسيح مقابل تعدي آدم ٧٣
- التطابق في لا هوت الفداء ٧٤
- التطابق في شركة الروح القدس ٧٤
- الإفخارستيا وصلتها بذبيحة ملكي صادق ٧٤

روح:

- + النبوة بسياق من الروح القدس ٧٦ و٧٧
- + شهادة يسوع هي روح النبوة ٧٧
- + الكلمة النبوية هي روح التاريخ ٧٩
- + المزامير منطوقة بالروح القدس ٢٩٧ و٢٩٨

أكملت في المسيح ٤٧ و٤٨

— الناموس لطهارة الجسد، أما دم المسيح فلطهارة الضمير ٤٨

— التحول من الناقص إلى الكامل، من الفاضل إلى الأفضل ٤٨ و٤٩

— لولا المسيح ما كان ناموس ٤٩

— الهيكل العالمي، والأقداس السماوية ٥٠

— معالجة الإخفاق في الرجاء المسيحي بسبب الضيق من الاضطهاد ٥١-٦١

○ بالإيمان والشقة إلى النهاية وأمثلة رجال الإيمان ٥٢ و٥٣

○ بالنظر إلى رئيس الإيمان ومكملة يسوع ٥٤

○ مقارنة المسيح بموسى، والهيكل بالسماء ٥٥ و٥٦

○ تحذيرهم من الارتداد والتعريب بين الفرقين ٥٦-٥٩

○ ملكي صادق أعظم من إبراهيم وكهنوته أعظم من اللاوي ٥٩ و٦٠

○ كهنوت المسيح على طقس ملكي صادق ٦٠ و٦١

— حتمية تغير الكهنوت اللاوي بكهنوت المسيح (انظر كهنوت) ٦١ و٦٢

— حتمية توقف الذبائح بذبيحة المسيح (انظر ذبيحة) ٦١-٦٣

— الانتقال من عبادة الهيكل إلى الأقداس السماوية (انظر هيكل) ٦٤ و٦٥

+ الأغراض الرئيسية للرسالة:

— تقوية إيمان اليهود المنتصرين مقابل اضطهادهم ٦٥

— ذبيحة الصليب أكملت إلى الأبد المقدسين ٦٥ و٦٦

— المسيح الآن قائم رئيس كهنة وشفيماً دائماً في السماء ٦٧

— المسيح أكمل الناموس والأنبياء ٦٧-٦٩

+ أرواح الأبرار المكملين ٧٤٥ و ٤٧٦

زواج :

+ ليكن الزواج مكرماً والمضجع غير نجس ٧٦٤

٧٦٦

سبت :

+ كسر وصية السبت (انظر راحة) ١٠٧

سجود :

+ سجود الملائكة للابن ١٨٠-١٨٣

سلام :

+ تأديب الرب يثمر سلاماً ٢١ و ٧٢١

+ اتبعوا السلام مع الجميع ٧٢٤ و ٧٢٥

+ إله السلام يكملكم في كل عمل صالح ٧٩٢

٧٩٤

+ سلموا على الجميع، يسلم عليكم الذين من

إيطاليا ٧٩٥ و ٧٩٦

سما :

+ رئيس كهنتنا السماوي ٣٤٨-٣٥٠

٤٨٨-٤٩٠

+ الوطن السماوي ٦٥٢ و ٦٥٣

+ أورشليم السماوية ٧٣٥-٧٤٠

+ الذين كتبت أسماؤهم في السموات ٧٤٣-٧٤٥

+ نبوة عن زوال الأرض والسما ٧٥٠-٧٥٢

سمع :

+ الانتباه إلى ما سمعناه ٢١٢-٢١٦

+ ثبوت الخلاص في الذين سمعوا ٢٢٤ و ٢٢٥

+ إن سمعتم صوته لا تقسوا قلوبكم ٢٩٧-٣٠١

٣١٦ و ٣١٧

+ الذين سمعوا ولم يطيعوا لعدم إيمانهم

٣٢١-٣٢٥ و ٣٣٠

+ المسيح سُمع له لأجل تقواه ٣٨١-٣٨٣

+ متباطئي المسامح ٣٨٧-٣٩٢

شاهد / شهادة / شهيد :

+ شهادة يسوع هي روح النبوة ٧٧

+ شهادة الله مع الكارزين بالآيات والمواهب

٢٢٥-٢٢٨

+ شهادة الروح القدس لنا بمغفرة خطايانا

٥٨٤-٥٨٧

+ الحكم في مخالفة ناموس على فم شاهدين أو

ثلاثة ٦١٤

+ شهادة الله لقرابين هايل ٦٣٨

+ الشهادة لأخنوخ بأنه أرضى الله ٦٣٩

+ سحابة الشهود من أمثلة الإيمان ٧٠٠-٧٠٢

شركة :

+ شركاء الدعوة السماوية ٢٧٨ و ٢٧٩

+ شركاء المسيح ٣١٤ و ٣١٥

شكر :

+ ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مقبولة

٧٥٢-٧٥٥

شفاعة / شفيع :

+ شفاعة المسيح الدائمة ٥٧ و ٤٧٧-٤٧٩

- بسبب مشابهته لنا في كل شيء ٢٦٤-٢٦٩

- بسبب إحساسه بضعفنا وقادر أن يرثي لها

٣٥١-٣٥٥

- قائم كل حين أمام وجه الله لأجلنا

٥٤٨-٥٤٠

شيطان / إبليس :

+ المسيح أبداً بموته الذي له سلطان الموت أي

إبليس ٢٥٤-٢٥٨

صبر :

+ الصبر في عمل مشيئة الله / وفي الجهاد الموضوع

أماننا ٢٠ و ٣٦ و ٣٧ و ٧٠٣ و ٧٠٤

+ بالتفكير في احتمال المسيح / وتذكر الأيام

الأولى ٣٨ و ٦٢١

+ الفرق بين الصبر وطول الأناة ٤٢٦

+ الصبر على مجاهدة آلام كثيرة ٦٢٢-٦٢٦

+ الحاجة ماسة إلى الصبر ٦٢٨-٦٢٩

صدقة / عطاء :

+ سرقة العشور، إهمال نصيب اللاويين، وأكل

حقوق الفقراء ١٠٧ و ١٠٨

+ لا تنسوا فعل الخير والتوزيع ٧٨٦ و ٧٨٧

صراخ :

+ طلبات المسيح بصراخ ودموع ٣٧٦-٣٧٨  
صفح / مغفرة :

+ الصفح عن الآثام سمة العهد الجديد ٥١١-٥١٣  
صلاة :

+ صلاة المسيح بصراخ شديد ودموع ٣٧٦-٣٧٩  
+ صلوا لأجلنا لكي نتصرف حسناً وأرد إليكم  
سريعاً ٧٩١

صليب :

+ يسوع احتمل الصليب من أجل السرور الذي  
أمامه ٢١ و٥٤ و٧٠٤-٧٠٧

+ فلننتظر إليه لكي لا نخور في شدائدنا ٥٣ و٥٤  
٧٠٩-٧١٠

+ صُلب خارج المحلة لكي تتمثل به ٤٤  
ضمير :

+ ذكر الضمير لأول مرة في العهد الجديد ٥٢٧  
و٥٢٨

+ دم المسيح يطهر الضمير ٥٤٠-٥٤٣  
+ كاتب الرسالة له ضمير صالح للتصرف حسناً

٧٩١

ضيافة :

+ ضيافة الغرباء ٧٦٢ و٧٦٣

ضيق :

+ تذكيرهم بأيامهم الأولى والضيقات التي  
تحملوها بشكر ٦٢١-٦٢٥

+ إيمان الذين تحملوا ضيقات عظيمة للتمثل  
بصبرهم ٦٨٩-٦٩٨

طاعة :

+ المسيح بطاعته صار لمن يطعمه سبب خلاص  
أبدي ٥٧ و٣٨٣-٣٨٦

+ بالإيمان إبراهيم أطاع أمر الله ٦٤٣ و٦٤٤

+ الطاعة والخضوع للمدبرين ٧٨٨-٧٩٠

طريق :

+ الطريق الحي الحديث المكرس لنا بجسد المسيح

٥٩٢

ظاهرة / تطهير :

+ من تطهير الجسد بالدم والماء إلى تطهير القلب  
والضمير بالروح ٤٨ و٥٤٠-٥٤٣

+ الابن صنع تطهيراً لخطايانا ١٥٨ و١٥٩  
ظل / ظلال / شبه :

+ خدمة التاموس شبه السماويات وظلها ٤٨-٥٠  
و٤٩٤-٤٩٦

عالم :

+ به عمل العالمين ١٣٩-١٤١

+ دخول الابن كبكر إلى العالم ١٨٠-١٨٣

+ العالم العتيق = الدهر الآتي = ملكوت الله =  
عالم الخلاص ٢٣٠-٢٣٢

عبد / عبادة / عبودية :

+ بعد ألفي سنة من وضع أسس العبادة اليهودية  
كُتبت الرسالة للعبرانيين ١٨

+ وكانت هذه آخر الأيام بالنسبة للعبادة اليهودية  
١٨

+ عبودية الخوف من الموت ٢٥٩-٢٦١

عبراني / عبرانيون (انظر يهود) :

+ اللقب له معنيان في العهد الجديد: لغة اليهود،  
ونسبتهم لإبراهيم ٣٣ و٣٤

عطاء : (انظر صدقة).

عمل :

+ طبيعة وعمل الابن ١٤٢-١٦٤

+ كهنوت المسيح من حيث عمله الفائق ٤٨٧

+ فخر إيمان الإنسان بأفخر أعمال الله ٧٧٦

+ الذين عملوا أعمالاً عظيمة ٦٨٢-٦٨٨

+ إله السلام يكملكم في كل عمل صالح ٧٩٣  
و٧٩٤

عهد :

+ الرسالة لربط العهدين ٤٧ و٤٨

+ الأنبياء استعملوا العهد الجديد ٩٣ و٩٤

+ المسيح وسيط لعهد أعظم : العهد الجديد  
٤٩٦-٥١٤ و٥٤٣-٥٤٥ و٧٤٦ و٧٤٧

+ في العهد الجديد أجعل نواميسي في قلوبهم

وأكتبها على أذنانهم ٥٨٤-٥٨٦

+ التزامات يحتمها العهد الجديد ٧٣٢-٧٣٦

+ دم المسيح هودم العهد الأبدي ٧٩٢ و٧٩٣

غربة :

+ الإيمان بالمسيح وعلاقته بعدم التمسك بوطن

أرضي ٥٥

+ بالإيمان تغرب إبراهيم في أرض الموعد

٦٤٥-٦٤٧

+ بالإيمان مات الآباء البطارقة دون أن ينالوا

المواعيد وعاشوا كغرباء ٦٤٩-٦٥٢

+ تغرب موسى من أجل الله ٦٧٠-٦٧٢

+ لا تنسوا ضيافة الغرباء ٧٦٢ و٧٦٣

غسل :

+ خدمة العهد القديم قائمة بأطعمة وأشربة

وغسلات ٥٢٨-٥٣٠

+ غسل الجسد بالمعمودية = غسل الماء بالكلمة

٥٩٩

غضب :

+ غضب الله ٣٠٥ و٣٠٦

فداء :

+ المسيح دخل الأقداس بدمه فوجد فداء أبدياً

للبشرية ٥٣٥-٥٣٩

+ المسيح مات لفداء التعديت في العهد الأول

٥٤٣-٥٤٥

+ موسى صورة للفادي ٦٦٥

فرح :

+ كل تأديب لا يُرى أولاً أنه للفرح بل للحزن

٧٢١

فصح :

+ بالإيمان صنع موسى الفصح في مصر ٦٧٢-٦٧٤

قداسة / تقديس / مقدّس :

+ يسوع لكي يقُدس الشعب بدم نفسه تألم خارج

الباب ٥٤ و٧٧٧-٧٧٩

+ كان يلبق بنا رئيس كهنة مثل هذا، قدوس،

بلا شر ولا دنس ٥٧ و٦٢

+ نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة

واحدة ٥٧ و٦٢ و٦٣ و٦٦ و٥٧٥-٥٧٧

+ بقربان واحد أكمل إلى الأبد المقدسين ٥٧ و٦٣

٥٨٤-٥٨٢ و٦٦

+ دم تيوس وثيران يقدس إلى طهارة الجسد ٦٣

+ بدون القداسة لن يرى أحد الرب ٧٢٤ و٧٢٥

قدس / أقداس : (انظر هيكل).

قربان : (انظر ذبيحة).

قسَم :

+ أقسم الله في غضبه لن يدخلوا راحته ٣٠٥-٣٠٨

٣٢٠-٣٢٢

+ كلمة القسم تقيم كاهناً إلى الأبد ٥٠ و٦٢

+ أقسم الله لإبراهيم بالبركة ٤٢٨-٤٣٢

قلب :

+ قساوة القلب / ضلالة ٢٩٨-٣٠٥ و٣١٢-٣١٤

٣١٦ و٣١٧

+ قلب شرير في عدم الإيمان ٣٠٨ و٣٠٩

+ ناموس العهد الجديد مكتوب في القلوب

٥٠٤-٥٠٧ و٥٨٤ و٥٨٥

+ التقدم إلى الله بقلب صادق، مطهرة قلوبنا من

ضمير شرير ٥٩٦-٥٩٩

+ القلب يُشَبَّت بالنعمة وليس بالأطعمة ٧٧٣

٧٧٤

قوة :

+ بالإيمان أطفأوا قوة النار ٦٨٥

+ تقووا من ضعف ٦٨٦ و٦٨٧

قيامة :

+ استشهد شهداء القيامة وتأخر المجيء الثاني

واضطهاد المؤمنين أخفى بهجة القيامة ٥١ و٥٢

+ أمثلة المؤمنين الذين عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة

لكي ينالوا قيامة أفضل ٥٣ و٦٨٧-٦٩٠

+ قيامة الأموات والدينونة الأبدية ٤٠٣ و٤٠٤

+ إيمان إبراهيم بالقيامة ٦٥٨ و٦٥٩

+ إله السلام أقام من الأموات ربنا يسوع ٧٩٢

## كتابة / مكتوب :

+ ناموس المعهد الجديد مكتوب في القلوب  
٥٠٧-٥٠٤

+ الناموس مكتوب لأجل المسيح ٥٧١-٥٧٣

+ كنيسة أبكار مكتوبين في السموات ٧٤٤-٧٤٥  
كفارة :

+ علاقة التجسد بالكفارة ٢٦٦-٢٦٦

+ كفارة المسيح في مقابل كفارة الناموس ٥١٥  
٥٣١-٥٣٩

## كلمة / كلم / قول :

+ الله كلم الآباء بالأنبياء، وكلمنا في ابنه ٤٤  
و٤٧ و١١٩-١٣٥

+ الكلمة واحدة لأن الذي نطقها واحد وهو الله  
٤٣ و٤٤ و١١٥ و١٢٠ و١٢١

+ سفر العبرانيين جعل الله صوتاً واحداً وكلمة  
واحدة في المهدين ٤٦ و٤٧ و١١٥ و١٢١ و١٢٢

+ سفر العبرانيين كلمة وعظ وعزاء ٤٧  
+ مستوى كلمة الأنبياء: هي كلمة الله النافذة

١٠٤-١٠١

+ الحامل الكل بكلمة قدرته ١٥٧

+ كلمة الله حية وفعالة ٣٣٩-٣٤٦

+ بداءة أقوال الله والخبرة في كلام البر  
٣٩١-٣٩٩

+ دم المسيح يتكلم أفضل من دم هابيل ٧٤٦  
٧٤٧

+ لا تستعفوا من التكلم من السماء ٧٤٩ و٧٥٠

+ تمثلوا بمرشديكم الذين كلوكم بكلمة الله  
٧٧٠-٧٧٢

## كنيسة :

+ لم تستعمل الكلمة في الرسالة بمفهومها الكنسي  
٧٣٩

+ بل العالم العتيق، بيت الله، المدينة التي لها  
الأساسات ٧٣٩ و٧٤٠

+ كنيسة الأبكار المكتوبين في السموات ٧٤٠  
٧٤٣-٧٤٥

+ واجبات كنيسية ٧٥٩-٧٦٩

## كهنوت / رئيس كهنة :

+ المسيح كرئيس كهنة شبيه بإخوته في كل شيء  
٢٠ و٢٦٢-٢٦٦ و٢٨٢-٢٨٤ و٣٤٧-٣٥٠

- قادر أن يرثي لضعفاننا، مجرب مثلنا بلا  
خطية ٢٦٦-٢٦٩ و٣٥١-٣٥٤

- مدعوم من الله ٣٦٦-٣٦٨

+ كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ٥٠ و٦٢  
٣٦٨-٣٧٦ و٤٣٦-٤٣٨

- ملكي صادق الكاهن والملك ٤٤٠-٤٤٩

- تفوق كهنوت ملكي صادق على الكهنوت  
اللاوي ٥٩ و٦٠ و٤٤٠-٤٧٣ و٤٨٦

- عدم كمال الكهنوت اللاوي وتغيره بتغير  
الناموس ٥٠ و٦١ و٦٢ و٣٦٦-٣٦٦

و٤٦٧-٤٧٠ و٤٧٥ و٤٨٥ و٤٩٨

- امتياز كهنوت المسيح يؤكد بقسم إلهي ٥٠  
و٦٢ و٣٦٨-٣٧٦ و٣٨٦ و٤٣٦ و٤٧٣ و٤٧٤

- دوام كهنوت المسيح ٤٧٥-٤٧٩

- صفات المسيح كاهن مكمل، قدوس، بلا  
عيب، حسي إلى الأبد ٥٦ و٥٧ و٦٢

و٣٦٨-٣٧٦ و٣٨٦

+ المسيح كرئيس كهنة سماوي ٣٤٨-٣٥٠  
٤٨٨-٤٩٠

- لذا فخدمة الكهنوتية لم تكن مع كهنة  
الناموس ٤٩٣ و٤٩٤

- خدمتهم لشبه السماويات وظلها  
٤٩٤-٤٩٦

- هو وسيط لعهد أعظم سبق الوعد به (العهد  
الجديد) ٤٩٦-٥١٤

+ خدمة الكهنوت القديم مقابل كهنوت المسيح  
٤٦ و٣٥٩-٣٦٦ و٥١٥-٥٣٠

- وسائل خدمة الكهنوت القديم: محتويات  
الخيمة ٥١٦-٥٢٢

- خدمة الكهنوت داخل الخيمة ٥٢٢-٥٣٠  
- محدوديتها ٥٢٤-٥٣٠

١٨٧-١٩٠

+ الملائكة أرواح خادمة / رياح ، هيب نار ١٨٥  
١٨٦ و ٢٠٦-٢٠٩

+ فإنه لملائكة لم يُخضع العالم العتيد بل المسيح  
٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٤٣-٢٢٩

+ وضع قليلاً عن الملائكة ٢٣٣-٢٣٧

+ الله لم يُمسك الملائكة بل نسل إبراهيم  
ليخلصهم ٢٦١ و ٢٦٢

+ الملائكة دخلوا في زمرة الكنيسة مع الأبكار  
والأرواح ٧٤١ و ٧٤٢

**ملك / ملكوت :**

+ المسيح ملك البر ، ملك السلام ٢٠

+ ملكوت الله = العالم العتيد ٢٣٠-٢٣٢

+ نحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ٧٣٩-٧٤١  
٧٥٢-٧٥٥

+ استعلان الملكوت الأبدي ٧٥٠-٧٥٢

**ملكي صادق :**

+ المسيح على طقس ملكي صادق ٢٠ و ٥٠ و ٦٢  
٣٦٨-٣٧٦ و ٣٨٦ و ٤٣٦

— ملكي صادق الكاهن والملك ٤٣٩-٤٤٨

— كهنوت ملكي صادق أعظم من الكهنوت  
اللاوي ٤٦١-٤٧٣

— امتياز كهنوت المسيح يُؤكّد بقسم ٤٧٣  
٤٧٤

— دوام كهنوت المسيح ٤٧٥-٤٧٩

+ ملكي صادق أعظم من إبراهيم ٥٩  
٤٤٨-٤٦٤

**موت :**

+ المسيح بالموت أباد الموت والذي له سلطان الموت  
٢٥٨-٢٥٦

+ وحرزنا من عبودية الخوف من الموت ٢٥٩-٢٦١

+ المسيح صلى بصراخ للقادر أن يخلصنا من الموت  
٣٧٦-٣٨١

+ الموت والدينونة ٥٥٢-٥٥٥

+ الموت لمخالف التاموس ٦١٤

+ كُفارة المسيح كرئيس كهنة أعظم ٥٣١-٥٣٩

— بالمسكن الأعظم السماوي ٥٣١-٥٣٥

— بدم نفسه ، وليس بدم تيموس وعجول  
٥٣٥-٥٣٩

— أبطل الخطية بذبيحة نفسه ٥٥١ و ٥٥٢

+ المسيح كاهننا العظيم على بيت الله ٥٩٦

+ رئيس الكهنة يدخل بدم الذبيحة إلى الأقداس  
أما جسمها فيحرق خارج المحلة ٧٧٧-٧٧٩

**مثل / مثال :**

+ التشبيهات العملية والأمثال عند الأنبياء ٩٧  
٩٨

+ إعطاء المثل الذي يعبر عن الأصل ٩٨-١٠٠  
مجذ :

+ استعلان مجد الله في ابنه ١١٨

+ الابن بهاء مجد الآب ١٤٢-١٥٠

**مجيء (الثاني) :**

+ رسالة العبرانيين هي رسالة الساعة للذين  
يترجون مجيء الرب ٥٢

+ بعد قليل جداً سيأتي الآتي ٦٣٠ و ٦٣١

**مذبح :** (انظر ذبيحة).

**مسكن :** (انظر هيكل).

**معرفة :**

+ في العهد الجديد سيعرفونني من صغيرهم إلى  
كبيرهم ٥٠٩-٥١١

**معمودية :**

+ من تنكّر لمعموديته لا يمكن تجديدها ٢١  
٤٠٥-٤٢٠

+ تعليم المعموديات ووضع الأيدي ٤٠٢ و ٤٠٣

**مغفرة / صفح :** (انظر صفح).

**ملاك / ملائكة :**

+ حسب التقليد العبراني استلم موسى التاموس  
بهد ملائكة ٥٥ و ٢١٦ و ٢١٧

+ أما المسيح فأعظم من الملائكة ١٦٥ و ١٧٣

— لكونه ابناً ، الملائكة تسجد له ، كرسيه إلى  
الأبد ، مسحته فائقة ١٧٤-١٧٩ و ١٨٠-١٨٣

+ هايل وإن مات فدعه يتكلم ٦٣٨  
+ أختوخ نُقل ولم ير الموت ٦٣٩  
+ بالإيمان يوسف عند موته نبياً ٦٦٢

موسى :

+ تفوق المسيح على موسى ويشوع ٢٧١-٢٩٤  
- موسى كخادم أمين والمسيح كابن في بيته  
٢٧٦-٢٩٢  
+ موسى قائد الخروج ٦٦٥-٦٧٤

نار :

+ إن أخطأنا باختيارنا بعد معرفة الحق تنتظرنا  
دينونة عجيبة ونارتأكل المضادين ٦١٢ و ٦١٣  
+ اليهود أقبلوا إلى جبل مضطرب بالنار لكي يأخذوا  
الناموس ٧٣٢ و ٧٣٣  
+ فلنحرص أن نخدم الله خدمة مرضية لأن إلهنا  
نار آكلة ٧٥٥-٧٥٧

ناموس / تورا :

+ عقوبة مخالفة الناموس ومقارنتها بما يستحقه من  
داس ابن الله ٢٠ و ٢١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٨-٢٢٣  
٦١٨-٦١٤  
+ الناموس له ظل الخيرات العتيدة ٤٢  
٥٦٠-٥٦٢  
+ الرسالة تربط العهد القديم بناموسه وأنبيائه  
بالعهد الجديد ٤٣  
+ ماركيون الكافر فضل الإنجيل عن الناموس ٤٤  
+ الناموس بداية عزاء الله ورحمته للإنسان كتمهيد  
لرحمته العظمى في المسيح ٤٧ و ٤٨

+ الناموس تدريب للإنسان لبغضة الخطية تمهيداً  
لتطهير الضمير بدم المسيح ٤٨  
+ لولا المسيح ما كان ناموس، فهو كمال القصد  
٤٩ و ٥٠

+ تسلّم موسى الناموس بيد ملائكة ٥٥ و ١١٢  
+ الخلاص بالمسيح أعظم من الناموس بيد موسى  
١١٢

+ ناموس العهد الجديد في الأذهان والقلوب  
٥٠٤-٥٠٧ و ٥٨٤-٥٨٦

نبوة / نبي :

+ الله كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة  
٤٤ و ٤٧ و ٥٥

+ الرسالة لم تقدّم شيئاً عن النبوة والأنبياء لأنها  
كتبت لليهود ٧٥  
+ ما هي النبوة؟

- موهبة، بالروح القدس، للشهادة للمسيح،  
صانعة للتاريخ ٧٦-٧٩  
+ من هم الأنبياء؟

- المتكلم بسم الله، الرائي، رسول رب  
الجنود، عبد الله، رجل الله ٨٠-٨٥  
- أنبياء الأمم ٨٣  
- جدول بأسماء الأنبياء في العهد القديم ٨٦  
و ٨٧

+ وظيفة الأنبياء: لا صلة لها بالكهنوت أو  
الحكم، فهو استعلان حق الله ٨٧-٨٩

+ النبي الصادق والنبي الكاذب ٩٠-٩٢  
+ علاقة قيام الأنبياء بمجيء المسيا ٩٣-٩٦  
+ استخدام الأنبياء لأنواع وطرق كثيرة في نبواتهم  
٩٧-١٠٠ و ١١١-١٢٦

+ مستوى كلمة الأنبياء ١٠١-١٠٤  
+ توقف النبوة وانتهاء عصر الأنبياء بظهور النبي  
المسيا ١٠٥-١٠٨

+ نبوة عن زوال الأرض والسماء واستعلان  
الملكووت الأبدى ٧٥٠-٧٥٢

نعمة :

+ خطورة الازدراء بروح النعمة ٢١ و ٦١٥-٦١٨  
+ الحذر من أن نخيب من نعمة الله ٧٢٥-٧٢٧  
+ كلمة الختام: النعمة مع جميعكم آمين ٧٩٦

نور :

+ الابن نور من نور ١٤٣

هبة / موهبة :

+ النبوة هبة أو موهبة فائقة للطبيعة ٧٦

هيكل / مسكن الله / الأقداس :

+ حرق هيكل اليهود ١٨

+ الرسالة للعبرانيين كُتبت قبل خراب الهيكل  
واندثار للعبادة فيه ٤١ و ٤٢ و ٤٣-٤٦  
+ موسى صنع المسكن حسب المثال الذي أظهر  
له، أما المسيح فهو خادم للمسكن الحقيقي ٤٩  
و ٥٠ و ٦٥

+ الرسالة تقارن بين عبادة الهيكل وعبادة المسيح  
واتصالهما السري معاً ٥٠ و ٥١ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨

+ الهيكل أغلق في وجه اليهود المنتصرين،  
فأصبحوا بلا هيكل ولا مدينة ولا وطن ٥١

+ المسيح أكمل ذبيحته خارج الهيكل وخارج  
أورشليم ليكون للعالم كله ٥٤ و ٥٥ و ٧٧٧-٧٧٩

+ المسيح بانسي الهيكل الحقيقي ورئيس كهنته  
عوض مجد الهيكل الزائل ٥٥-٥٧

+ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ٥٧  
٦٦ و ٥٨٩-٥٩٢

+ المسيح خادم للأقداس والمسكن الحقيقي  
(الهيكل الجديد) ٤٨٧-٤٩٣

+ مغزى المسكن الأول وقدس الأقداس ٥٢٤  
و ٥٢٥

+ دخل إلى الأقداس العليا بدمه مرة واحدة، إلى  
السماء عينها ٥٣٥-٥٣٩ و ٥٤٧-٥٥١

هايل :

+ بالإيمان قدم هايل ذبيحة مقبولة وشهد لبره  
٦٣٨

+ دم المسيح يتكلم أفضل من دم هايل ٧٤٦  
و ٧٤٧

هارون :

+ مواصفات رئيس الكهنة في النظام الهاروني  
٣٥٩-٣٦١

+ وظيفة رئاسة الكهنوت بدعوة من الله كما كان  
هارون ٣٦٦-٣٦٨

وصية :

+ الوصية غير نافذة إلا بعد موت الموصي  
٥٤٥-٥٤٧

+ وصايا راعوية في ختام الرسالة ٧٥٩-٧٩٥

- واجبات اجتماعية ٧٦١-٧٦٩

- واجبات دينية ٧٧٠-٧٩٠

- وصايا شخصية ٧٩١-٧٩٥

وعد / مواعيد :

+ الإيمان شرط أساسي لنوال الوعد ٢٩٦ و ٢٩٧

+ الوعد بالراحة ما زال قائماً ٣٢٤-٣٣٦

+ بالإيمان وطول الأناة نرت المواعيد ٤٢٦ و ٤٢٧

+ صدق مواعيد الله ٤٢٨-٤٣٨ و ٦٠٠-٦٠٢

+ المعهد الأعظم تثبتت على مواعيد أفضل ٤٩٦  
و ٤٩٧

+ المفديون ينالون وعد الميراث الأبدي ٥٤٣-٥٤٥

+ بالإيمان تغرب الآباء البطارقة في أرض الموعد  
٦٤٥-٦٤٩

+ بالإيمان ماتوا دون أن ينالوا المواعيد ولكن  
صدقوا ٦٤٩-٦٥٢ و ٦٦٦ و ٦٦٧

+ بالإيمان قدم إبراهيم إسحق الذي قبل فيه  
المواعيد ٦٥٣

+ بالإيمان نالوا مواعيد ٦٨٥

وعظ :

+ وعظ كل فرد لنفسه ٣١٠-٣١٢

+ واعظين بعضنا بعضاً ٦٠٥-٦٠٧

+ احتملوا كلمة الوعظ ٧٩٥

يهود / عبرانيين :

+ الرسالة لليهود المنتصرين لتقوية إيمانهم ١٨  
و ٣٣-٤٠

+ معنى لقب يهود ٣٤ و ٣٥

+ الرسالة تحذروهم من الارتداد لليهودية ٣٦-٣٨

+ حال الشعب اليهودي وعلاقته بالله على يد  
موسى ٧٣٢-٧٣٤



## قائمة بكتابات

للأب متى المسكين  
(يونيو ١٩٩٣)

- الفن : فرش / جنبه
- ٤٠ر٠٠ ..... □ القديس بولس الرسول
- ٣٥ر٠٠ ..... □ شرح رسالة رومية
- ٢٠ر٠٠ ..... □ المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا
- ٣٥ر٠٠ ..... □ شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ١
- ٣٥ر٠٠ ..... □ شرح إنجيل القديس يوحنا - ج ٢
- ٣٥ر٠٠ ..... □ القديس أثناسيوس الرسولي
- (تحت الطبع) ..... □ الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
- (تحت الطبع) ..... □ حياة الصلاة الأرثوذكسية
- ٢٥ر٠٠ ..... □
- سلسلة دراسات في التقليد الكنسي:
- ٢٥٠ ..... □ التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي
- (تحت الطبع) ..... □ العذراء القديسة مريم (ثيوتوكس)
- ٥٠- ..... □ الصليب المقدس
- (تحت الطبع) ..... □ التسبحة اليومية ومزامير السواعي
- (الطبعة الثانية تحت الطبع) ..... □ الإفخارستيا والقداش (الجزء الأول: الإفخارستيا)
- سلسلة «الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية»:
- ٧ر٠٠ ..... □ أعياد الظهور الإلهي
- (تحت الطبع) ..... □ الصوم الأربعيني المقدس
- ٢٥٠ ..... □ مع المسيح في آلامه حتى الصليب
- ٦٠٠ ..... □ القيامة والصعود
- ١٠ر٠٠ ..... □ الروح القدس الرب المحيي (في جزئين داخل كيس واحد)
- ٧٥- ..... □ التجسد الإلهي في تعليم القديس كيرلس الكبير مع عظة عن الميلاد للأب متى المسكين

## مقالات تصلح للخدام والشباب :

- الخدمة ( ٣ أجزاء معاً ) ..... ٢٠٠
- المسيحي في المجتمع ..... ١٧٥
- المسيحي في الأسرة ..... -٣٥
- كيف تقرأ الكتاب المقدس ..... -٤٠
- في التدبير الروحي ..... -٧٥
- توجيهات في الصلاة ..... -٤٠

## عيد القيامة المجيد :

- القيامة والحليقة الجديدة ..... -٤٠
- القيامة والرجاء الحي ..... -٤٠

## عيدا الصعود والعنصرة :

- رسالتان في عيدي الصعود والعنصرة ..... ( نفذ وسيُعاد طبعه )
- يوم الخمسين في التقليد الأبائي ..... -٥٠
- الروح القدس وعمله داخل النفس ..... ١٠٠
- مع الروح القدس في جهادنا اليومي ..... -٥٠

## صوم الرسل :

- صوم الرسل ومكانته الروحية في الكنيسة ، والروح القدس وصوم الرسل ..... -٣٥

## صوم العذراء وعيد صعود جسدها :

- صوم العذراء القديسة مريم وعيد صعود جسدها إلى السماء ..... -٣٠

## عيد النيروز :

- الشهادة والشهداء ..... ١٧٥
- ( أنظر : قصص مسيحية للحياة ) .

## في الموضوعات الروحية العامة :

- التوبة ..... -٣٠
- التوبة والنسك في الإنجيل ..... ( نفذ وسيُعاد طبعه )
- العمل الروحي ..... -٢٥
- الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل ..... ٢٠٠
- رسائل القديس أنطونيوس ..... ١٠٠
- الإيمان بالمسيح ..... ( تحت الطبع )
- حبة الحنطة ..... -٣٥

- أين شوكتك يا موت ..... ٣٠-٣٠
- التبرير ..... ٥٠-٥٠
- الوحدة المسيحية ..... ٣٠-٣٠
- مقالات بين السياسة والدين ..... ١٠٠-١٠٠
- ملكوت الله ..... ٧٥-١٧٥
- المرأة حقوقها واجباتها ..... ٢٥٠-٢٥٠
- الكشف الأثري في دير القديس أنبا مقار عن رفات يوحنا المعمدان وأليشع النبي ..... ٥٠-٥٠
- لمحّة سريعة عن دير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر ..... ٥٠-١٥٠
- سيرة القديس أنبا مقار ..... ٥٠-١٥٠
- رسائل روحية ..... ٣٠٠-٣٠٠
- غاية الحياة المسيحية ..... ٢٠-٢٠
- القديس أنطونيوس ناسك إنجيلي ..... ٦٠-٦٠
- رأي في تحديد النسل ..... ١٥-١٥
- الكنيسة الخالدة ..... ٢٠٠-٢٠٠
- كلمة الله شهادة وخدمة وحياة ..... ١١٠-١١٠
- الوحدة الحقيقية ..... ٣٠-٣٠
- لقد وجدنا يسوع ..... ٣٥-٣٥
- قصة الإنسان (حول الخطيئة والخلّاص) ..... ٧٥-١٧٥
- تغيّروا عن شكلكم ..... ٥٠-٥٠
- حاجتنا إلى المسيح ..... ٢٥-٢٥
- الكتاب المقدس رسالة شخصية لك ..... ٢٥-٢٥
- النعمة في العقيدة والحياة النسكية ..... ٧٥-٧٥
- الحدود المتسعة للإيمان بالله ..... ٦٠-٦٠
- في تعليم المتدينين ..... ٢٠٠-٢٠٠
- قصص مسيحية للحياة: ..... ٣٠٠-٣٠٠ (في مجلد واحد)
- (وهي تشمل ١٥ قصة طُبعت منفصلة في ٩ كتيبات صغيرة وثمان كل كتيب ٢٥ قرشاً).
- سفراء من العالم الآخر ..... ٢٥-٢٥
- في زقاق المسيحيين ..... ٢٥-٢٥
- قصة استشهاد الرسولين بطرس وبولس ..... ٢٥-٢٥
- النيروز وذكرى أيام الشهداء ..... ٢٥-٢٥
- أيقونة جميلة ..... ٢٥-٢٥
- قصة استشهاد مؤثرة للغاية ..... ٢٥-٢٥

□ قصة طهارة واستشهاد بارع،

القديس فوكا البستاني،

فلسفة الموت عند شهداء مصر

..... ٢٥-ر

□ أولوجيوس والمقعد الرذيل،

المحارب العجوز

..... ٢٥-ر

□ تاييس امرأة الأساطير،

القديسة ميلانية العجيبة،

صلاة فلاح،

..... ٢٥-ر

اتباع المسيح وهرجة الفلاسفات